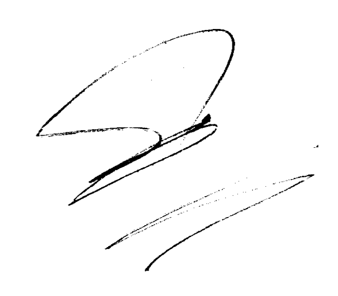


# الدعوة الإسلامية في مصر

## منذ الفتح حتى آخر عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

## منهجًا ودراسة


تأليف

أستاذ دكتور / **محمود محمد رسلان**

أستاذ ورئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

كلية أصول الدين - المنصورة ، السابق .



الطبعة الأولى

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

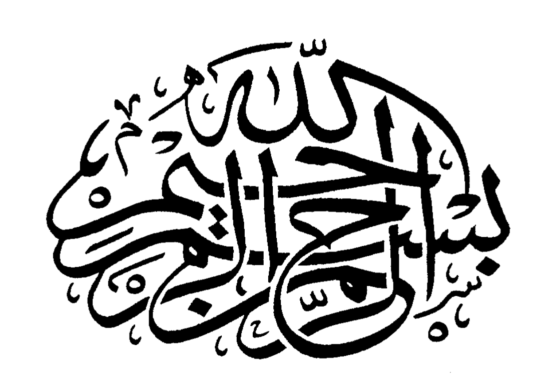
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٩٦٩٦ / ٢٠٠٢



دار اللواء للطباعة

ت : ٢٧٩٢٩٤٨ - ٢٨١٦٧٠٧



﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾

صَدَقَ اللهُ العَظِيم

(الآية رقم ١٠ من سورة الكهف)

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الداعين، وسيد المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد :

فالدعوة[١] طلب إحضار الشيء.

وإذا أطلقت انصرفت إلى دعوة الإسلام لشهرتها، ومدلولها عليه لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [٢] وقوله سبحانه : ﴿فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ...﴾ [٣] .

فالإسلام منذ بدء ظهوره دين دعوة من الناحية النظرية أو التطبيقية، وقد كانت حياة محمد ﷺ تمثل هذه التعاليم ذاتها، وكان النبى ﷺ يقوم على رأس طبقات متعاقبة من الدعاة المسلمين من الأنبياء الذين وفقوا إلى إيجاد سبيل إلى قلوب الكفار[٤].

ولما كانت هذه الدعوة قد أرسى قواعدها رب العالمين أرسل لها أعز خلقه ﷺ، وأيده بكتاب أمره فيه بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة : ٦٧]، كما خاطبه بقوله: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل من الآية ١٢٥].

وخاطب المسلمين فقال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٤]، ثم امتن الله على العرب فقال: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة : ٢ ـ ٣].

---

(١) لغة : انظر المعجم الوسيط: مادة:دعوة .

(٢) النحل : من الآية : ١٢٥ .

(٣) سورة الشوري : آية ١٥ .

(٤) راجع سير توماس أرنولد : الدعوة إلي الإسلام ص ٢٨ .

## تربية الله لرسوله ﷺ :

ربّى الله عز وجل رسوله محمدا ﷺ على عينه، فقام بالدعوة خير قيام، وجمع من الصحابة الأطهار ما تفخر بهم الأجيال، فمدحهم الله بقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ...﴾ الفتح .. من الآية ٢٩ .

## تربية محمد ﷺ لصحابته :

ربّى رسول الله ﷺ صحابته خير تربية، وحثّهم على نشر دعوة الإسلام فقال: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرءًا سَمِعَ منَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَرُبَّ حَامِلُ فقه إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلَ فقْه لَيْسَ بفَقِيه» رواه الترمذى من حديث زيد بن ثابت وفى رواية : «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَءًا سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ» رواه الترمذى من حديث عبد الله ابن مسعود، وقال فى حجّة الوداع:

«ليبلّغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعوى له منه»[١]. لم يتوان الصحابة فى القيام بما كلفوا به بين أمم الأرض، بل قاموا به خير قيام، فقصدوا مشارق الأرض ومغاربها داعين الناس إلى الله، وكان لمصر القدح المعلى من دعوتهم.

## دعوة الإسلام تهبط مصر :

نالت مصر من صاحب الدعوة ﷺ قدراً من الأهميّة، فأرسل حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه ـ برسالة إلى المقوقس يدعوه فيها إلى الإسلام، فكانت أول دعوة رسمية تهبط أرض الكنانة[٢]، وإليك وصيّة رسول الله ﷺ بأهل مصر، قال أبو ذر رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنكم ستفتحون أرضًا يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرًا فإن لهم ذمة ورحمًا..».

وفى رواية: «ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى

---

(١) رواه الإمام البخارى من حديث أبى بكر ج ١ ص ٢٤ راجع مقدمة مفتاح كنوز السنة لفنسنك ترجمة محمد فؤاد عبد الباقى.

(٢) الكنانة: جَعْبة صغيرة من أدَم للنبل وتطلق مجازا على أرض مصر: المعجم الوسيط: مادة: كنّ.

أهلها، فإن لهم ذمة ورحمًا، أو قال : ذمة وصهرًا، »ورواه مالك والليث، وزاد «فاستوصوا بالقبط خيرًا» ، أخرجه مسلم فى الصحيح عن أبى الظاهر عن ابن وهب، وقال ابن شهاب: وكان يقال إن أم إسماعيل منهم، قال الليث بن سعد : قلت لابن شهاب: ما رحمهم؟ قال: إن أم إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما منهم، وقال محمد بن إسحاق: قلت للزهرى ما الرحم الذى ذكر رسول الله ﷺ قال: «كانت هاجر أم إسماعيل منهم» [(١)]، وهى روايات كما ترى يوثق بعضها بعضاً.

فمصر إذن لها فى قلب صاحب الدعوة وصحابته الأجلاء مكان، ومن ثم فموضوع: **الدعوة الإسلامية في مصر منذ الفتح حتى آخر عهد عمر بن العزيز** ﷺ يعيد إلى الأذهان وصية رسول الله ﷺ بفتح مصر، ويوضح طريقة انتشار الدعوة فيها، وكيف استقر الإسلام بين ربوعها، كما يبرز الأثر الذى تركته هذه الدعوة فى نفوس المصريين، بعد أن حلّت بينهم إذ ظهر التحول نحو الإسلام مما يدل علي صدقها، وصدق ما تدعو إليه.

وبعد : فقد كانت لى معايشة مع الموضوع منذ سنوات طويلة، فاستخرت الله تعالي فى الكتابة فيه، إذ هو موضوع ربّما لم يعره أحد التفاتاً، لأن الإسلام فى مصر بخير كما هو الظاهر، أو المشاهد، بيد أن الإسلام هنا ينقصه :

تطبيق الحدود، كما كانت مطبّقة بعد فتح مصر ـ إخضاع المعاملات فيها لحكم الإسلام ـ القضاء الذي يجب أن يستمد قوانينه من روح الإسلام ودعوته ـ الاهتمام المستمر باللغة العربية، حتى لا تطغى عليها العامية، وسائل الإعلام التي تحاول طمس معالم الإسلام وقوانينه بين المصريين ـ انصراف المسلمين عما يتطلبه الإسلام منهم ـ تذكير كل المسلمين والمسلمات بأنهم على ثُغْرة من ثُغَر الإسلام. فليحذر كل منهم أن يؤتى الإسلام من قبله.

## سبب اختيار الموضوع :

يرجع سبب اختيارى لهذا الموضوع ما يلى :

---

(١) الحديث عزاه فى الجامع الكبير للسيوطى إلي أحمد فى مسنده، ومسلم فى صحيحه، وأبو عرافة، وابن حبان عن أبى ذر، .. ورواه مسلم فى صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبى ﷺ باب فى ذكر مصر وأهلها م ٧ ص ١٩٠ مختصر مسلم رقم ١٧٤٩ .

أولاً : رأيت كثيراً من الباحثين فى مصر يهتمون بالعلوم الشرعية والعربية، أما الدعوة الإسلامية فى مصر، فلم أجد من الباحثين من يوليها من الاهتمام ما هى جديرة به، اللهم إلا مقالات فردية هنا أو هناك تتناول الدعوة بوجه عام، أما إفراد مصر بكتاب خاص عن الدعوة فيها فلم أجد .

ثانيًا : لماذا خرجت الدعوة.. من الجزيزة ...، وأصرت علي أن تطوى الأرض حتي تدخل مصر؟

ثالثًا : الرد على القائلين بأن دعوة الإسلام فى مصر انتشرت بقوة السيف!! ونسوا أن النص القرآنى ينهى عن هذا فقال: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ البقرة من الآيـة ٢٥٦ ، ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس : ٩٩]. ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾ [الغاشية : ٢٢].

رابعًا : لماذا حظيت دعوة الإسلام بالقبول لدى الأقباط حتى تعلموا لغتها؟ مع أن هناك من دخل بلادهم من قبل مثل الفرس والروم، ومع ذلك لم يعتنقوا دين هؤلاء، ولا مذهب أولئك أو لغتهم؟

خامسًا : دور الصحابة الذين نزلوا مصر، واندمجوا مع أهلها على العكس من الفرس والروم، الذين أنِفُوا الاندماج معهم أو التسمى باسمهم.

سادسًا : صلة الرحم والنسب التى بين المصريين والعرب قبل الميلاد وإلى ما شاء الله.

سابعًا : كيف نجح عمرو بن العاص ﷺ فى فتح مصر بهذه السهولة؟ وأثر هذا الفتح على المصريين؟

ثامنًا : النتائج التى ترتبت على هذا الفتح بالنسبة للمصريين والمسلمين على السواء.

تاسعًا : رد الشبهاد عن الفاتحين، ودعوتهم.. .، لهذا كله ، وغيره، رغبت فى اختيار هذا الموضوع فهو موضوع متجدد، ومستمر باستمرار الزمن، تذكيراً لأخطر دعوة نزلت إلى أهل الأرض، فجابهت أقوي البشر وما زالت وتحدت الأخطار، وما زالت، وخاطبت أهل الأرض جميعًا... ومازالت ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ

جَميـعًا ﴾ الأعـراف من الآية ١٥٨ ، ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيـرًا ﴾ [الفـرقـان: ١] .﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيـرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ:٢٨] .

### أهمية الموضوع:

ترجع أهمية الموضوع ـ فى نظرى ـ إلى شدة حاجة طلاب العلم إليه، وتطلب البيئة له، ومن ثم فإن الموضوع لخصوبته، وغزارة مادته، استغرق منى ما يقرب من تسع حجج، ومن ثم فإنه يلقى الضوء على:

دعوة الإسلام فى مصر، وكيف نجحت واستقرت على الرغم من التحدّيات ـ تعريب الدواوين، وأثر ذلك على مستقبل الدعوة فى مصر ـ الدعوة الإسلامية للناس جميعاً، وأنها الرسالة الخاتمة .

تطبيق الحدود فى مصر، كما طبقت فى باقى الولايات الإسلامية ـ المعاملات الإسلامية وكيف سارت على العدل والإنصاف ـ العبادات الإسلامية تنفذ لأول مرة فى أرض الكنانة ـ القضاء الإسلامى المستمد من القرآن والسنة، ورأته مصر حقيقة ماثلة أمامها.

### كما ترجع أهمية الموضوع إلى أنه كشف عن الشبه التي أثيرت حول:

عموم دعوة الإسلام وأنها إقليمية ـ دعوى أن المسلمين قوم جياع خرجوا للسلب والنهب ـ المسلمون قوم محتلون، ويجب إخراجهم من مصر.. ، إلصاق حريق مكتبة الإسكندرية إلى المسلمين الفاتحين ـ تهجّم بعض الكتاب المصريين على صاحب الدعوة ﷺ طعنهم فى الجهاد ، والتشكيك فيه.

ولقد عالجت فى هذا البحث مواضيع فى غاية الأهمية منها :

أولاً : وضع المصريين قبل الفتح وحالتهم فى عهدى الفرس الروم، الانقسام المذهبى الذى حلّ بهم، وموقف كنيسة الإسكندرية منه.

ثانيًا : كيف دخلت الدعوة قلوب المصريين، وكيف نجحت؟ أهمية الجهاد فى الإسلام وأثره فى فتح مصر، انتشار الصحابة فى أرض الكنانة، وأثرهم فى المصريين.

ثـالـثًا : كيف استقرت الدعوة فى مصر، ودور اللغة العربية فى أرض الكنانة قبل الفتح وبعده، ولماذا اتخذ المسلمون مصر قاعدة لفتوحاتهم الخارجية؟

رابعًا : عمر بن عبد العزيز وأثره فى الدعوة فى مصر خاصة.

كما أننى أبرزت فى هذا البحث ما يلى :

أ ـ أصل المصريين الذين نزحوا إلى مصر، واشتراكهم مع العرب فى جنس واحد، وأن العلاقات بينهم كانت قديمة.

ب ـ لم يلتق الفاتحون مع المصريين فى معركة قط، وإنما المعارك كانت أساسًا مع الرومان.

جـ ـ عدم اشتراك المصريين مع الرومان ضد المسلمين، أو ثورة المصريين ضد الفاتحين.

د ـ تمكن المسلمين من طرد الرومان، أدى إلى احترام المصريين لهم.

هـ ـ لم يتدخل المسلمون فى عقائد المصريين، فازدادوا لهم حبًا.

و ـ أعادوا رئيسهم الدينى «بنيامين» إلى منصبه، فازداد المصريون لهم إجلالاً وإكباراً.

ز ـ تأثر المجتمع المصرى تأثراً شديداً بالدعوة الإسلامية، فلم ينقض قرن من الزمان حتى تغيرت لغة القبط إلى العربية وأصبح المجتمع المصرى يشاهد كل يوم تحولاً نحو الإسلام، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

والجدير بالذكر أن هذا البحث التفصيلى لم يكن واضحًا قبل جمع المادة وكل ما كان واضحًا منه خطوطه العريضة، ثم فرضت المادة نفسها، فرتبت فقراته ثم كان التقديم والتأخير حسب مقتضى الحال، حتى جمعت فى فصول، ثم انتظمت فى أبواب.

## تحليل عنوان الموضوع :

لما كان الموضوع هو الدعوة الإسلامية فى مصر منذ الفتح حتى آخر عهد عمر بن عبد العزيز ﵀ ، وأن موضوع الدعوة هو الإسلام، فإن البحث[1] فى الإسلام يوصلنا إلى أنه

---

(١) معنى البحث على وجه العموم : هو الفحص والتقصى المنظم لمادة أى موضوع من أجل إضافة المعلومات الناتجة إلى المعرفة الإنسانية، أو المعرفة الشخصية، ويرى بعض المربين أن البحث عملية تقصى الحقائق، ومعاينتها وتطبيقاتها بالنسبة لمشكلة معينة. أما البحث الإسلامى : فهو كل دراسة موضوعية تبين الأحكام التى تتصل بجانب من جوانب الحياة بيانًا واضحًا أو تعالج مشكلة اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية.. من=

دين الله عـز وجل، بمعنى أن الدين: «وضع إلهى يرشـد إلى الحق فى الاعتقـادات، وإلى الخير فى السلوك والمعاملات»[١].

كذلك فإن الدعوة هى العبادات والشرائع والنظم الاجتماعية، والاقتصادية، التى أوحى الله بها إلى أنبيائه وإلى محمد ﷺ ، هى موضع التصديق الكامل والتطبيق الأمين، وهى مسؤولية مقررة من الأفراد تجاه المجتمع، ومن المجتمع تجاه الأفراد، ومن كل فرد تجاه نفسه، ومن حيث إن هذه الشرائع أو النظم أساس قيام مجتمع المؤمنين، فالإسلام هو نظام إلهى فى تشريعه، وعلمى بتجربته، وهو يقوم على بناء المجتمع عن طريق بنائه الإنسانى للفرد[٢]، «فالإسلام الحنيف يشمل جميع مناحى الحياة الفردية والعقلية والروحية، والنفسية، كما يشمل الحياة الاجتماعية بجميع فروعها ووقائعها بدءاً من النواة الأولى للأسرة إلى أكبر ميادين الجماعة بشكلها السياسى والاقتصادى والثقافى وغير ذلك»[٣].

ومن ثم فإن تحليل الموضوع :يؤدى إلى الإفصاح عن المدلول حتى لا تلتبس على القارئ الكلمات، فأعنى بكلمتى منذ الفتح.. أى أن بداية الدعوة الحقة فى مصر بدأت بعد الفتح، فلولا الجهاد وبذل المهج والأرواح فى فتحها لما كتب للدعوة فى مصر البقاء، واستقر فيها الإسلام، إذ قبل الفتح لم يكن للإسلام فى مصر دعاة يشرحون للناس منهجه.

أما الغرض من الدعوة هنا فهو صورتها المتكاملة المطبقة قولاً وعملاً، كما أننى حددتها بزمن يبدأ من وقت فتحها على يد عمرو بن العاص ﷺ ، وينتهى بعمر بن عبد العزيز ﷺ.

سبب ختم الموضوع بعمر بن عبد العزيز :

أولاً : لأنه استطاع أن يرد الناس إلى الله بعدله، وحبه للحق، بعد أن استولت عليهم الأثرة وحب الدنيا،.. ومن ثم أعاد الانسجام بين الإنسان وربه، وبين الإنسان وقوانين

=خلال قيم الإسلام وأحكامه ـ تستند إلى فهم سديد وفحص عميق، وإدراك صحيح، ومنهج سليم. راجع للدكتور عجاج الخطيب : لمحة فى المكتبة والبحث والمصادر ص ٩١ .

(١) الدكتور محمد عبد الله دراز:الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ص ٢٩ ـ ١٣٨٩ ـ ١٩٦٩ م .

(٢) راجع لسفيان سالم دراسى : الدعوة الإسلامية، وكيف نوجهها فى جهادنا المعاصر ص ١٥٨ ، ١٥٩ بحوث فى الدعوة الإسلامية. سلسلة العيد الألفى للأزهر القاهرة ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣ .

(٣) انظر د/ محمد عجاج الخطيب : لمحة فى المكتبة والبحث والمصادر ص ٩١ .

الكون وضرب مثلاً عمليًا مشهورًا عن إمكان العودة إلي هذا الانسجام .. فى أى عصر يصح العزم فيه وتخلص النية لله، فهذا مفهوم الإسلام الذى جاء به كل رسل الله جميعًا، ووضع محمد ﷺ ملامحه الأخيرة ـ قبل لقاء ربه ـ الثابتة، وسماته البارزة التى لن تزول : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣].

ثانيًا : إقامته للحدود .

ثالثًا : تمسكه الشديد بالكتاب والسنة حتى لقب بخامس الراشدين.

رابعًا : أنه ولد فى مصر، وتربى فى المدينة، وحكم فى دمشق، وقاد الدولة الإسلامية الموحدة فى كفاءة وإبداع.

خامسًا : اعتماده فى الإصلاح على عاملين هامين:

أ ـ عامل الدين .

ب ـ عامل القناعة، فكان عامل الدين والزهد هما الخلتان اللتان تغمران فؤاد عمر وقلبه.

سادسًا : لم يكن عمر .. صاحب حق فى الخلافة بمقتضى نظام الحكم الأموى، لكن ذيوع فضله، وسمو خلقه الروحى على سائر بنى أمية لفت إليه نظر أولى الحل والعقد من صلحاء الشام أمثال : رجاء بن حيوة الكندى، وابن شهاب الزهرى، ومكحول الشامى.

سابعًا : لم يقتصر عمر ... فى إصلاحه المسلمين، وتطبيق حدود الله على مملكة الإسلام، بل عنى أيضًا بالدعوة إلى الإسلام فى غير المسلمين، وكان لها تأثير كبير لإخلاصه، وحسن تطبيقه للإسلام بحياته وأخلاقه ففتح بذلك بابًا لمن أراد أن يسير على الدرب .

ومن ثم فقد نالت هذه الرسالة شرف الصحبة مع الجد والحفيد، ففى عهد الجد (عمر ابن الخطاب ﷺ) (*) كان فتح مصر، واستقرار المسلمين فيها، وفى عهد الحفيد (عمر

---

(*) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قُرْط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى القرشى العدوى أبو حفص.
كان من أشرف قريش، وإليه كانت السفارة فى الجاهلية ، وكانوا يرسلونه للمنافرة أو المفاخرة .
إسلامه : قال الزبير : أسلم عمر بعد أن دخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وبعد نيف وأربعين من الرجال والنساء، وكان إسلامه سنة ست من الهجرة. انظر «أسد الغابة» (٤ / ١٤٦ ، ١٥١) ط . الشعب . =

ابن عبد العزيز رضي الله عنه) كانت العناية بالدعوة فيها أيضاً، ومن ثم فقد شرفت مصر بعدل الجد، وزهد الحفيد.

ولقد صاحب البحث توفيق الله، فاطلعت على أكثر مصادره، واستفدت منها فائدة عظيمة ومع ذلك فإنى أردد مع العماد الأصفهانى فى مقدمة لسان العرب :

«إنى رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً فى يومه إلا قال فى غده: لو غُيِّر هذا لكان حسن، ولو زيد لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر».

لقد شاء القدر الحكيم أن يحفظ للأزهر دوره فى خدمة الدعوة فى مختلف القرون والأزمان فكرس على تبليغها رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فحملوا تبعاتها وشرف العمل فى ساحتها مجددين دعوة محمد ﷺ وصحابته الأجلاء رضي الله عنهم .

إن مصر بلد الأزهر لتفخر بحمل هذه الدعوة، وتبليغها للناس مجددة لهم أمر دينهم، تحقيقاً لوعد رسول الله ﷺ من أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها[1]، فكان على رأس المائة الأولى أحد أبناء مصر : عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .

وفى الختام:أسأل الله العلى القدير أن يبعث فى نفوس المسلمين فى أرض الكنانة أفرادا وجماعات، حكاما ومحكومين أن يهبوا للعمل على مرضاة الله، واظهار أمر الدعوة إلى الله حتى تعود لأرض الكنانة مكانتها وسؤددها، أن مصر التى احتضنت الإسلام وسعدت به، واستنشقت منه عبير الإيمان، وقامت تبلغ دعوته، وانتصرت على أعدائها فى الداخل والخارج، ليسعدها اليوم أن تعاود الكرة من جديد، وأن تتحمس لإحياء دعوة رسول الله ﷺ.

=سئلت عائشة رضي الله عنها من سمي عمر الفاروق؟ قالت : النبى ﷺ ، وقد قال ﷺ : «إن الله جعل الحق على لسان عمروقلبه، وهو الفاروق فرق الله به بين الحق والباطل» المرجع نفسه.

**علمه** رضي الله عنه : جاء عن قبيصة بن جابر قال: لم أر أحداً أقرأ لكتاب الله، ولا أفقه فى دين الله، ولا أقوم بحدود الله، ولا أهيب فى صدور الرجال من عمر بن الخطاب . نفسه ص ١٥٥ .

**زهده**: عن ثابت البنانى عن أنس بن مالك قال: لقد رأيت بين كتفى عمر أربع رقاع فى قميصه. المصدر نفسه ص ١٥٨ .

(١) انظر أ .د. محمد رشاد خليفة :مدرسة الحديث فى مصر:المقدمة بتصرف.

وقد اقتضي هذا الحبث تقسيمه إلي مقدمة، وثلاثة أبواب وخاتمة:

**الباب الأول**: مصر قبل دخول الدعوة

وقسمته إلي ثلاثة فصول.

**الباب الثاني**: كيف دخلت الدعوة الإسلامية فى مصروكيف نجحت؟

وقسمته إلي أربعة فصول.

**الباب الثالث**: الدعوة الإسلامية فى مصر منذ الفتح حتي آخر عهد عمر بن عبد العزيز ﷺ.

وقسمته إلى ثمانية فصول.

وإنى إذ أشكر الله سبحانه على إتمام هذا البحث فإنى أسدى الشكر إلى كل من عاون فى إخراجه من الأساتذة الأجلاء والزملاء الكرام سائلا المولى عز وجل لهم حسن الجزاء.

والله ولي التوفيق والحمد لله رب العالمين

**المؤلف**

أ.د. محمود محمد رسلان

# الباب الأول
## « مصر قبل دخول الدعوة »

ويضم ثلاثة فصول:

**الفصل الأول:** حالة المصريين تحت حكم الرومان والفرس.

**الفصل الثاني:** «الانقسام المذهبي في عهد الرومان، وأثره علي المصريين، وموقف كنيسة الإسكندرية منه».

**الفصل الثالث:** «ولاية (قيرس) المقوقس على مصر».

## الفصل الأول:

حالة المصريين تحت حكم الفرس والرومان.

ويشتمل علي تمهيد وستة مباحث:

التمهيد:

المبحث الأول: البيئة المصرية من حيث:

أ ـ الموقع.. ب ـ أصل المصريين.. جـ ـ سبب التسمية..

المبحث الثاني: طبقات السكان في مصر.

المبحث الثالث: ديانة المصريين.

المبحث الرابع: صراع الفرس والروم علي امتلاك مصر.

المبحث الخامس: مصر تحت حكم هرقل.

المبحث السادس: مصر بعد خروج الفرس.

## تمهيد:

مما تجدر الإشارة إليه ما آلت إليه حالة المصريين تحت حكم الفرس والروم، واحتلالهم مصر ردحا من الزمن، لم تجد مصر فى كنفهم، الراحة المنشودة، أو الطمأنينة المطلوبة، حتى أتاها الإسلام، فخلصها من ظلم هؤلاء، واستبداد أولئك....

وكان موقعها المتميز أحد الأسباب التى لفتت إليها الأنظار.

## المبحث الأول: البيئة المصرية:

### ١ ـ موقع مصر:

يكتنف مصر جبلان أجردان غير شامخين متقاربان جداً فى وضعهما.أحدهما:فى ضفة النيل الشرقية، وهو جبل المقطم، والآخر:فى الضفة الغربية منه، والنيل متسرب فيما بينهما من لدن مدينة أسوان إلى أن ينتهيا إلى الفسطاط، ثم تتسع المسافة بينهما، وتنفرج قليلا، ويأخذ المقطم منها شرقا فيشرف على فسطاط [١] مصر، ويغرب على وراب [٢] من مأخذيهما، وتعريج مسلكيهما فتتسع أرض مصر من الفسطاط إلى ساحل البحر الرومى الذى عليه الفرما[٣] وتنيس،[٤] ودمياط[٥] ورشيد،[٦] والإسكندرية [٧] ...

---

(١) الفسطاط:المدينة، وكل مدينة فسطاط، ولذلك قيل لمصر فسطاط، وقال البكرى:الفسطاط بضم أوله:كسره واسكان ثانيه اسم لمصر يقال فسطاط وبسطاط، وقال المطرزى، وفصطاد وفستاد، وبكسر أوائله جميعا فهى عشر لغات، وقال أبو قتيبة:كل مدينة فسطاط، واستشهد بحديث «عليكم بالجماعة فإن يد الله على الفسطاط» يرويه سويد بن عبد العزيز عن النعمان بن المنذر عن مكحول عن أبى هريرة عن النبى ﷺ راجع لابن قتيبة فى كتابه غريب الحديث ، ولتقى الدين أبى العباس أحمد بن على المقريزى:المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف بالخطط المقريزية جـ ١ ص ٢٩٦ .

(٢) وراب:الوربة الحفرة التى فى أسفل الجنب.راجع لابن منظور:جمال الدين محمد بن مكرم الانصارى:اللسان مادة ورب.عيذاب:صحراء عيذاب كان يركب منها الحجاج إلى ساحل جده إلى مكة:راجع لمحمد بن إياس الحنفى:بدائع الزهور فى وقائع الدهور جـ ١ ص ٥٠ تحقيق محمد مصطفى.

(٣) الفرما:كانت حصنا على البحر الأبيض، كان يحمل إليها ماء النيل عن طريق المراكب من دمياط، وهى واقعة على بعد ٣٥ كم جنوب شرق بوسعيد، وقالوا:هى أول مدن مصر من جهة الشمال، وبينها وبين البحر الأبيض ثلاثة أميال.انظر د/ عبد الصبور شاهين، وإصلاح عبد السلام الرفاعى:مصر فى الإسلام القرن الأول ص ٦٦ هامش ١ .

(٤) تنيس:جزيرة صغيرة تقع فى بحيرة المنزلة. (٥) أول مدينة على رأس فرع دمياط من جهة الشرق.

(٦) رشيد:مدينة ساحلية تقع شرق مدينة الإسكندرية. (٧) ياقوت:شهاب الدين أبو عبد الله الحموى =

فإذا بلغت آخر مصر شمالا، واستقبلت الجنوب وتسير فى الرمل، وأنت مول وجهك شطر القبلة يكون الرمل من مصبه عن يمينك إلى افريقية، وعن يسارك إلى أرض مصر الفيوم، وأرض الواحات الأربع غربى مصر وهى آخر أرض الإسلام هناك، وتليها بلاد النوبة ثم تقطع النيل وتأخذ من أرض أسوان فى الشرق منكبا على بلاد السودان إلى عيذاب على ساحل البحر الحجازى، فمن أسوان إلى عيذاب خمس عشرة مرحلة، وذلك كله قبلى أرض مصر، ومهب الجنوب منها، ثم تقطع البحر الملح من عيذاب إلى أرض الحجاز فتنزل الحوراء أول أرض مصر، وهى متصلة بأعراض مدينة الرسول ﷺ وهذا البحر، هو بحر القلزم[١]، وهو داخل فى أرض مصر بشرقيه وغربيه، فالشرقى منه أرض الحوراء، وأرض مدين، وأرض أيلة فصاعدا إلى المقطم بمصر والغربى منه:

ساحل عيذاب إلى بحر القلزم إلى المقطم، والبحرى منه مدينة القلزم، وجبل الطور، وبين القلزم والفرما مسيرة يوم وليلة وهو الحاجز بين البحرين:

بحر الحجاز وبحر الروم، وهذا كله شرقى مصر من الحوراء إلى العريش [٢]....

ومن ثم فإن مصر تحد طولا من برقة [٣] إلى أيلة [٤]، وعرضا من أسوان إلى رشيد[٥]، فهى بهذا الموقع الفريد محط الأنظار، لتحكمها فى التجارة العالمية حينذاك، ولما تدره أرضها من خيرات وفيرة كذلك.

---

=الرومى: معجم البلدان جـ ٨ ص ٧١ .، والاسكندرية مدينة كبيرة بناها الإسكندر المقدونى لوصية أستاذه أرسطو وهى تقع على شاطىء البحر الأبيض غربى فرع رشيد. انظر بتلر: فتح العرب لمصر صـ ٦٤ .

(١) القلزم: مدينة كانت ساحلا لمصر من الحجاز، وكان يؤخذ منه المكوس من التجار فى المراكب هناك وقيل بأن فرعون غرق بالقرب من ذلك المكان راجع لابن أياس: بدائع الزهور... جـ ١ ص ٢٧ .

(٢) معجم البلدان.. جـ ٨ ص ٧١ .

(٣) برقة: منطقة فى شرقى ليبيا، ومن مدنها بنى غازى، راجع فتوح مصر لابن عبد الحكم ص ٢٢٩ هامش١ تحقيق عبد المنعم عامر.

(٤) أيلة العقبة: تقع على ساحل القلزم. راجع ياقوت: معجم البلدان جـ ١ ص ٢٩٢ .

(٥) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المغربى الخضرمى: العبر وديوان المبتدأ و الخبر جـ ٢ ص٧٨ .

ب ـ أصل المصريين:

البحث فى أصل المصريين أمره صعب، والإحاطة بتاريخهم وترتيب أحداثهم أصعب، وذلك لتضارب المصادر واختلافها مع قدم الزمن وطوله، كما أن من يكتب فيه إنما يعتمد على الاستنتاج التاريخى الذى يغلب خلوه عن الوحى العاصم من الخطأ، ومن ثم تعددت الآراء واختلفت حول أصل المصريين فما أصلهم؟.

يقول ول ديورانت:«ما من أحد يعرف من أين جاء هؤلاء المصريون الأولون، ويميل بعض العلماء الباحثين إلى الرأى القائل:بأنهم مولودون من النوبيين والأحباش، واللوبيين من جهة، ومن المهاجرين من الساميين والأرمن من جهة أخرى، فالأرض حتى هذا العهد السحيق لم تسكنها سلالات نقية.

ويرجح أن الغزاة،أو المهاجرين الذين وفدوا من غرب آسيا قد جاءوا معهم بثقافة أرقى من ثقافة أهل البلاد، وأن تزواجهم مع هؤلاء الأقوياء قد انجبت سلالة هجينة [١]، كانت مطلع حضارة جديدة كما هو الشأن فى جميع الحضارات.

وأخذت هذه السلالات تمتزج امتزاجا بطيئا حتى تألف من امتزاجها فيما بين عام أربعة آلاف، وثلاثة آلاف (٤٠٠٠، ٣٠٠٠ ق م) شعب واحد هو الذى أوجد مصر التاريخية»[٢] وهذا الرأى أقرب إلى الصحة.

هل المصريون آباء البشر؟ أما الرواية الأخرى فتقول:

«كان المصريون يعتقدون أنهم أول من سكن وادى النيل، وعمروا فيه، ولذا أسموا أنفسهم على الآثار (روت) أو (لوت) ـ يلى هذا الاسم رسم فرعونى هو كتابة هذا الاسم.

ومعناه:أصل البشر ظنا منهم أنهم آباء البشر، ولكن بالتحقيق من الآثار أتضح أن أصلهم، وتمدنهم من آسيا لا من جهة الجنوب [٣]، ولم يعلم فى أى وقت استوطن بها

(١) هجين بين الهجنة، والهجنة فى الناس والخيل:إنما تكون من قبل الأم، فإذا كان الأب عتيقا أو كريما والأم ليست كذلك كان الولد هجينا.مختار الصحاح لمحمد بن أبى بكر الرازى.مادة:هجين.

(٢) ول ديورانت قصة الحضارة جـ ٢ ص ٦٥ .

(٣) كتاب د . روجن فى الست عائلات الأولى نقلا عن العقد الثمين ص ٧ هامش ١ هكذا النص.

أهلها، وكيف اتسعت مادة هذا التمدن الذى بلغ درجة عجيبة ومرتبة غريبة، وعلى كل حال اتفقت سائر النقول عن ـ كذا ـ أن الملك (منّا) هو أول ملوك مصر» [١] .

والمطلع على هذا النص يجد أن كلمة (روت) أو (لوت) أن أصلها لوديم حذفت منها علامة التأنيث فصارت :لود، ثم انقلبت الدال إلى التاء لقرب مخرجيهما، ولوديم اسم لابن مصرايم بن نوح ـ عليه السلام ـ فهذا مما يثبت أن أصل المصريين من آسيا [٢] .

من هاتين الروايتين، وليس بين مراجعى ماينقضهما، وأيضا فإنهما يتفقان وطبيعة التكوين فى شعوب الحضارة المتقدمة، يتضح كيف تكون شعب مصر منذ أقدم العصور، وكيف تكونت حضارته، وأن أى حضارة إنما الشأن فيها الامتزاج والاختلاط الناتجان عن التقاء البشر بعضهم ببعض وارتباط مصالحهم فيما بينهم.

### علاقة القبط بمعاصريهم من الأمم..،وتسميتهم:

تعد أمة القبط [٣] التى سكنت مصر منذ أزمان طويلة من أعرق الأمم فى التاريخ ومن «أقدم أمم العالم وأطولهم أمدا فى الملك اختصوا بملك مصر وما إليها، ملكوها من لدن الخليقة إلى أن صبحهم الإسلام بها فانتزعها المسلمون من أيديهم ولعهدهم كان الفتح وربما غلب عليهم جميع من عاصرهم من الأمم حين يستفحل أمرهم فقد تعرض القبط للغزاة مثل :العمالقة، والفرس، والروم، واليونان، فيستولون على مصر من أيديهم ثم يتقلص ظلمهم فراجع القبط ملكهم هكذا إلى أن انقرضوا فى مملكة الإسلام، وكانوا يسمون الفراعنة سمة لملوك مصر فى اللغة القديمة، ثم تغيرت اللغة وبقى هذا الاسم مجهول المعنى كما تغيرت الحميرية إلى المضرية والسريانية إلى الرومية» [٤] .

---

(١) أحمد كمال افندى مترجم الأنتيقة خانة المصرية :العقد الثمين فى محاسن أخبار وبدائع آثار الأقدمين من المصريين ص ٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٧ هامش ١ .

(٣) كلمة القبط الأوربية مأخوذة من كلمة قبط العربية وهذه محرفة عن ايجبتوس..اليونانية ومعناها المصرى. راجع ول ديورانت :قصة الحضارة جـ ١ المجلد الرابع ص ١٢٥ هامش .، وراجع لعباس محمود العقاد:عمرو ابن العاص ص ٨٠ وما بعدها.

(٤) ابنخلدون:عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المغربى الحضرمى:العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٢ ص٢٤ .

لم يكن المسلمون إذا أول الداخلين إلى مصر فاتحين ثم استوطنوها، بل سبقهم إليها أمم غازية، كالعمالقة والروم والفرس الخ ولم يكتب لهم فيها البقاء بل رحلوا عنها، لأنهم قضوا فيها حاجتهم، أما المسلمون فارتبط مكثهم فيها باستقرار دعوة الإسلام وتعاليمه، وحب أهل البلاد له واعتناقهم لعقيدته، ولعدم استخدام الإسلام الأسلوب الاستعمارى فى نهب خيرات البلاد وإذلال أهلها.

جـ سبب التسمية:

يرجع سبب تسمية المصريين بهذا الاسم «أن بيصر بن نوح لما انفصل عن أرض بابل بولده وكثير من بيته غرّب نحو مصر، وكان له أربعة أولاد، مصر بن بيصر، وفارق بن بيصر، وماح، وياح» (١).

وكان نزول مصربن بيصر فى مكان يسمى «منف» (٢) وبذلك سمى به إلى وقتنا هذا..وكان لمصر أولاد أربعة وهم:قبط، وأشمون،وأتريب وصا.فقسم مصر الأرض بين أولاده الأربعة أرباعا، وعهد إلى ولده الأكبر من ولده ـ وهو قبط، وأقباط مصر يضافون فى النسب إلى أبيهم قبط بن مصر.كذلك أضيفت المواضع إلى ساكنيها، وعرفت بأسمائهم، فمنها أشمون، وقبط، وصا، وأتريب (٣) وهذه الأسماء لمواضع معروفة بها حتى اليوم.

ثم«اختلطت الأنساب وكثر ولد قبط وهم الأقباط، فغلبوا على سائر الأرض ودخل غيرهم فى أنسابهم...فقيل لكل قبط مصر، وكل فريق منهم يعرف نسبه واتصاله بمصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام إلى هذه الغاية» (٤) ولهذا جاء تسمية مصر.

«بمصر بن بيصر بن حام، ويقال:أنه كان مع نوح ـ عليه السلام ـ فى السفينة فدعاله،

(١) المسعودى:المؤرخ الرحالة المعروف:أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى:مروج الذهب جـ ١ ص ٢٦٧ دار الشعب ١٣٨٦ هـ ،١٩٦٦ م،وورد ذكر مصر على أنه من سلالة نوح ـ عليه السلام ـ بسفر التكوين:١ ـ ٦ .

(٢) منف:عاصمة مصر فى العهد الفرعونى بعد وحدة الشمال مع الجنوب فى عهد مينا، ومكانها جنوب الاهرامات بالجيزة قبالة الفسطاط (مصر القديمة) انظر فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم تحقيق عبد المنعم عامر ص ١٢ هامش ١ ـ القسم التاريخى.

(٣) المسعودى:مروج الذهب جـ ١ ص ٢٦٨ .

(٤) المسعودى:مروج الذهب جـ ١ ص ٢٦٨ .

فأسكنه الله هذه الأرض الطيبة وجعل البركة فى ولده» [١] .

ولابن عبد الحكم عدة روايات فى هذه التسمية وفى نسبة القبط، قد تكون فصل الخطاب، فابن الحكم أقدم مؤرخ فى تاريخ مصر، عاش حتى سنة ٢٥٧ هـ.

تقول إحدى هذه الروايات:

«حدثنا عثمان بن صالح، حدثنا ابن لهيعة عن عياش - وهو مصرى ثقة من المحدثين ابن عباس القتبانى عن حنش بن عبد الله الصنعانى عن عبد الله بن عباس قال: كان لنوح عليه السلام - أربعة من الولد: سام بن نوح، وحام بن نوح، ويافث بن نوح ويحطون بن نوح وأن نوحا - عليه السلام - رغب إلى الله - عز وجل - وسأله أن يرزقه الإجابة فى ولده وذريته حين تكاملوا بالنماء والبركة فوعده ذلك.

فنادى نوح ولده، وهم نيام عند السحر، فنادى ساما، فأجابه يسعى، وصاح سام فى ولده فلم يجبه أحد منهم إلا ابنه ارفخشذ فانطلق به معه حتى أتياه، فوضع نوح يمينه على سام، وشماله على أرفشخذ ابن سام، وسأل الله عز وجل أن يبارك فى سام أفضل البركة، وأن يجعل الملك والنبوة فى ولد أرفشخذ.

ثم نادى حاما، فتلفت يمينا وشمالا ولم يجبه، ولم يقم إليه هو ولا أحد من ولده، فدعا الله عز وجل أن يجعل ولده أذلاء، وأن يجعلهم عبيداً لولد سام.

قال: وكان مصر بن بيصر بن حام نائما إلى جنب جده حام فلما سمع دعاء نوح على جده وولده قام يسعى إلى نوح، فقال يا جدى قد أجبتك إذ لم يجبك أبى ولا أحد من ولده، فاجعل لى دعوة من دعوتك ففرح نوح - عليه السلام - ووضع يده على رأسه، وقال: اللهم إنه قد أجاب دعوتى فبارك فيه وفى ذريته وأسكنه الأرض المباركة التى هى أم البلاد وغوث العباد، التى نهرها أفضل أنهار الدنيا، واجعل فيها أفضل البركات، وسخر له ولولده الأرض وذللها وقوهم عليها.

فعاش سام مباركا حتى مات وعاش ابنه أرفشخذ بن سام مباركا حتى مات، وكان الملك الذى يحبه الله والنبوة والبركة فى ولد أرفشخذ بن سام، وكان أكبر ولد حام كنعان

(١) ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر جـ ٢ ص ٧٦، ياقوت: معجم البلدان جـ ٢ ص ٦٨ .

ابن حام وهو الذى حيل به فى الزجر فى الفلك» [١] .

وهناك رأى يذكر سبب تسمية مصر بهذا الاسم يقول:

إن مصر فى الزمن القديم كانت معروفة بين أهلها باسم «كيم» أو «قيم» وليست مأخوذة من كلمة خام، أو حام بن نوح على اعتبار المصريين من سلالة حامية قديمة، لأنه لا سند لهذا من الآثار الباقية، لأن معنى الكلمة قديم فى اللغة المصرية بمعنى الأرض السوداء..[٢] .، وهذا القول يخالف ما جاء فى فتوح مصر والمغرب كما سبق بيانه.«ولكل وجهة» .

**من أسماء مصر القديمة:** لم يبق من أسماء مصر القديمة غير اسمين:

أحدهما:«ايجبت» الذى تلقاه الغربيون عن اليونان، ولا يزال لديهم علما على البلاد المصرية..ويرجح أن الكلمة منحوته من كلمتين بمعنى «جن بتاه» أو «كن بتاه» والذين يرجحون هذه التسمية يرون أن كلمة «قبطى» مشتقة من النسبة إلى «كى بتاه» خلافا لمن يرجع بها إلى قفط، أو كوبتوس الواقعة فى طريق البحر الأحمر..[٣] .

أما الاسم الآخر، فهو اسمها المشهور فى اللغة العربية مصر..، والغالب أن كلمة مصر عربية الأصل، ولكن فى لغة العرب السابقة على الإسلام، وما قبله بأجيال قليلة، فقد عرف العرب مصر قبل الإسلام، ثم عرفها منهم العبرانيون المنتقلون من أرض العراق، على أن العبرانيين قدموا مصر فى عهد القبائل العربية من الرعاة وأتباعهم المشهورين باسم الكهكسوس، فهم أول من أطلق على مصر هذا الاسم وسموها مصرايم، ولكن الواقع أن «مصرايم» تثنية مصر باللغة العبرية بمعنى المصريين، أى الوجه البحرى والوجه القبلى[٤] .

الفرق بين النسبة إلي مصر، والنسبة إلي قبط:

هناك فرق بين المصريين قبل الإسلام، والمصريين بعد دخول الإسلام، فقد «كان

---

(١) ابن عبد الحكم:عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث المصرى أقدم من وصلت مؤلفاته من مؤرخى مصر الإسلامية، ومنها:فتوح مصر والمغرب ص ٢٩ ..وهذه إحدى الروايات التى أوردها.. راجع ص ٩، ١١ تحقيق عبد المنعم عامر ـ القسم التاريخى، ومروج الذهب جـ ١ ص ٢٦٨ .

(٢) انظر عباس محمود العقاد:عمرو بن العاص ص ٧٨، ٧٩ .

(٣) العقاد:عمرو بن العاص ص ٧٩ .

(٤) العقاد:عمرو بن العاص ص ٨٠ بتصرف .

المؤرخون المسلمون يذكرون «المصريين» إلى عهد «معاوية» ويعنون بهم العرب المسلمين المقيمين فى الديار المصرية، ولهذا كانوا يقولون:إن المصريين أيدوا عليا فى خلافه مع معاوية، وأنهم لم يبايعوا معاوية إلا بعد ولاية عمرو بن العاص الثانية، على أن العرب كانوا يسكنون مدينة «قفط» قبل الإسلام حتى قال سترابون:إن نصف سكانها منهم، وربما أخذوا كلمة قبط من النسبة إلى هذه المدينة القديمة التى تقع فى طريق الحجاز..(١) .

والخلاصة:أنه «من المحقق بعد.التأويلات والاحتمالات أن اسم مصر كان معروفا فى أرض كنعان قبل وفود العبرانيين، وأن اليونان عرفوا مصر باسم «إيجبت» قبل عصر الشاعر هوميروس، وأن ألواح تل العمارنة ذكرت مصر باسم هكبتاه الذى يرجع إليه الاسم اليونانى، وأرادت به أرض منف، وعاصمته بتاح أو فتاح، وأن مصر بغير التعريف، لم تطلق على قطر غير وادى النيل، وأن العرب هم أول من تسمى بالمصريين ولم يأنفوا من مساواة أبناء البلاد بالانتساب إليها كما أنف الرومان، واليونان من قبلهم» (٢) .

نبي المصريين:

مما سبق يتبين أن المصريين من سلالة هجينة، كما هو الشأن فى كل الحضارات التى تكونت فى العالم وأن نسبهم يرجع إلى أحد أحفاد أولاد نبى الله نوح ـ عليه السلام ـ وهو مصر بن بيصر بن نوح كما أن من أرسل إليهم من الرسل على وجه الخصوص:سيدنا يوسف الصديق ـ عليه السلام ـ كما جاء ذكر ذلك صراحة فى القرآن الكريم فى قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا ﴾ غافر:آية ٣٤ .

يفهم من هذه الآية الكريمة مجيء يوسف بن يعقوب إليكم «يا قوم من قبل موسى بالواضحات من حجج الله كما حدثنا محمد قال:ثنا أحمد، قال:ثنا أسباط عن السدى، ولقد جاءكم يوسف من قبل، قال:قبل موسى، وقوله:فما زلتم فى شك مما جاءكم به، ويقول فلم تزالوا مرتابين فيما أتاكم به يوسف من عند ربكم غير موقنى القلوب بحقيقته

(١) العقاد:عمرو بن العاص ٨٢ .
(٢) المصدر نفسه .

حتى إذا ما مات يوسف قلتم أيها القوم لن يبعث الله من بعد يوسف إليكم رسولا بالدعاء إلى الحق، كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب.

يقول هكذا يصدق الله عن إصابة الحق، وقصد السبيل من هو كافر به مرتاب شاك فى حقيقة إخبار رسله»[١] فهذا واضح فى أن يوسف بن يعقوب ـ عليه السلام ـ قد أرسل إلى أهل مصر، كما جاء ذلك مفصلا فى القرآن الكريم بسورة يوسف [٢].

## المبحث الثاني: طبقات السكان وكيف استوطنوا مصر؟

سبقت الإشارة إلى أن «سكان مصر.. أخلاط من الناس مختلفوا الأصناف من قبط وروم، وعرب وبربر، وأكراد، وديلم، وأرمن، وحبشان، وغير ذلك من الأصناف والأجناس إلا أن جمهورهم قبط، والسبب فى اختلاطهم تداول المالكين لها، والمغالبين عليها من العمالقة، واليونانيين والروم والعرب وغيرهم، فلهذا اختلطت أنسابهم، واقتصروا من الانتساب على ذكر مساقط رؤوسهم» [٣].

ولقد توالت الهجرات إلى مصر من أقدم أزمنة «التاريخ قبل زمن الفراعنة، والفراعنة أكثرهم من الفاتحين الغرباء، فكانوا إذا فتحوا مصر، واستقام الأمر فيها هاجر إليها أهل عصبيتهم لاستثمار ذلك الفتح.فيأتون على أن تكون إقامتهم وقتية ريثما يجتمع لهم المال، ولكن أكثرهم لا يرجعون، ولا تمضى بضعة أجيال حتى يختلطوا بالسكان ويصيروا جزءا منهم كما حدث فى زمن الرعاة والفرس واليونان وغيرهم ممن فتحوا مصر قبل الإسلام»[٤].

صفات الفاتحين وتميزهم: كان «الغالب فى الفاتحين أنهم لا يزالون يميزون عصبيتهم، ويندمجون فى جملة الوطنيين ناهيك بمن يأتى مصر للاتجار أو الاستثمار

---

(١) الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى: جامع البيان عن تأويل القرآن جـ ٢٤ ص ٤١ طـ الأولى طـ بولاق ١٣٢٨ هـ.

(٢) انظر الدعاة الأول فى أرض الكنانة صـ ١٠ وما بعدها للمؤلف.

(٣) ياقوت: معجم البلدان جـ ٢ ص ٧٤.

(٤) جورج زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى جـ ٥ ص ١٣، ١٤ طـ الهلال ١٩٠٦.

لاشتهارها بالخصب والرخاء، وكان الفاتحون يترفعون غالبا عن الاختلاط بسائر أفراد الأمة، فيكون منهم الجند ورجال الدولة والكهنة، ونحوهم من أهل السيادة، ويجعلون مقامهم فى المدن الكبرى، ويبقى الشعب للفلاحة والصناعة، والخدمة، فالبطالمة حكموا مصر نحو ثلاثمائة سنة، وتقاطر اليونان فى أيامهم بكثرة، فكانوا يقيمون فى الإسكندرية أو غيرها من العواصم، وأكثرهم من الجند أو التجار أو رجال الدولة لإدارة الحكومة.وكذلك كان شأن الرومان، فإنهم تولوا وادى النيل ستة قرون، والرومانى يمتاز عن المصرى لغة ومذهبا وخلقا، وكانوا يقيمون فى المعاقل والحصون أو المدن الكبرى كما كان حالهم فى الشام» (١).

## المبحث الثالث: ديانة المصريين، وعبادتهم:

ورد أن أهل مصر كانت لهم ديانات مختلفة ومتعددة، فمنهم من كان على دين «الصابئة» (٢) ومنهم من كان يعبد النبات والحيوان، ومنهم من كانوا عبّاد أصنام، ومدبّرى هياكل إلى أن ظهر دين النصرانية بمصر فتنصروا وبقوا على ذلك إلى أن فتحها المسلمون فى أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأسلم بعضهم وبقى البعض على دين النصرانية، وغالب مذهبهم يعاقبة (٣) . واليعاقبة فرقة من النصارى أتباع يعقوب البراذعى الذى عاش فى الشام فى القرن السادس للميلاد ويقولون باتحاد اللاهوت والناسوت فى المسيح ـ عليه السلام ـ، ويعرفون بأصحاب الطبيعة الواحدة (٤).

### سبب تنصرهم:

يرجع سبب تنصرهم إلى ملك الروم «قسطنطين» فقد حملهم على النصرانية عندما

---

(١) المرجع نفسه: جـ ٥ ص ١٣، ١٤ .

(٢) يقول الشهرستانى فى مذهب الصابئة أو أصحاب الروحانيات «ومذهب هؤلاء: أن للعالم صانعا فاطرا حكيما مقدسا عن سمات الحدثان، والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله. إنما يتقرب إليه بالمتوسطات المقربين لديه، وهم الروحانيون المقدسون جوهرا وفعلا وحالة».
الملل والنحل للشهرستانى المجلد الأول ص ٢٣٠ ـ ٢٣١ والمجلد الثانى ٤ ـ ٥٧ فهم على حد تعبير وثنى العرب: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ الآية ٣ من سورة الزمر.

(٣) ياقوت: معجم البلدان جـ ٨ ص ٧٤ .

(٤) انظر المعجم الوسيط مادة يعاقبة، وانظر الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة صـ ٥٠٣ طـ ١٤٠٩هـ وانظر «عقيدتهم» فى «الفرق فى الميزان» صـ ٨٠ وما بعدها للمؤلف.

أغار هو وجيشه «على الأمم المجاورة لهم من الجلالقة، والصقالبة، وبرجان والروس والقبط، والحبشة، والنوبة فدانوا كلهم بذلك ورجعوا عن دين الصابئة فى تعظيم الهياكل، وعبادة الأوثان» [١] .

## مكانة الدين عند المصريين:

كان للعقيدة الدينية عند المصريين دور هام فى حياتهم، «حتى كان الدين فى مصر فوق كل شيء، ومن أسفل منه فنحن نراه فى كل مرحلة من مراحله وفى كل شكل من أشكاله من الطواطم إلى علم اللاهوت» [٢] .

---

(١) ابن خلدون:ديوان المبتدأ والخبر جـ ٢ ص ٧٨ .

(٢) التوتم بالتاء فهى كلمة أعجمية، وقد جرت عادة المعربين أن يقلبوا التاء فى الكلمة الأعجمية طاء فيقولون مثلا ميطا فيزيقا بدلا من «ميتافيزيك» ومن هؤلاء جورج زيدان، وسلامة موسى، وكلمة «الطوطمية والطوطم» بالطاء وقد اشتهر هذا الاسم ولكن الأولى أن يكتب بالتاء لأنه لا ضرورة لقلب التاء طاء مع وجودها فى رسم العرب.

وتنتشر «التوتمية بين قبائل كثيرة من البدائيين تعيش حتى اليوم باستراليا وغينيا الجديدة وكلومبيا البريطانية وايرلندة الجديدة، ومن قبائل الهنود الحمر بأمريكا، وتطلق كلمة «توتم» ـ التى تنتسب إليها العقيدة التوتمية، أو النظام التوتمى ـ على كل أصنل حيوانى أو نباتى تتخذه عشيرة «ما» رمزا لها ولقبا لجميع أفرادها، وتعتقد أنها تؤلف معه وحدة اجتماعية ـ وتنزله وتنزل الأمور التى ترمز إليه منزلة التقديس.

فإذا كان الذئب ـ مثلا ـ توتما العشيرة (ما) فمعنى ذلك أن هذه العشيرة تتخذ هذا الحيوان رمزا يميزها عما عداها من العشائر، وتتخذه لقبا يحمله جميع أفرادها للدلالة على انتمائها إليه، وتعتقد أنها وفصيلة الذئاب من طبيعة واحدة، وتنزل هذا الحيوان وما يرمز إليه منزلة التقديس وتقوم جميع عقائدها وطقوسها الدينية على أساس من هذا التقديس» دكتور على عبد الواحد وافى:الطوطية:دار المعارف.. ١٩٥٩، ومع أنه نقد كلمة ـ طوطم، وقال:إنها بالتاء لا بالطاء لكنه كتبها بالطاء على غلاف كتابه.

ولمزيد من المعرفة، وكشفا للمبهم عن هذه العقيدة فإن:

التوتمية..من أقدم الديانات البدائية...لدى بعض البشر وال «توتم» يعتقد صاحبه أنه نصيره، وحاميه.

والفرد فى القبائل التى تدين بالتوتمية يقدس عادة «تواتم» ثلاث:

أ ـ توتم الاتحاد الذى يجمع لواؤه عدة عشائر.

ب ـ وتوتم العشيرة التى ينتمى إليها.

جـ ـ وتوتمه الشخصى هذا.

ولهذا الأخير طقوس دينيه درج الأفراد فى هذه القبائل على ممارستها لأنها فى ـ زعمهم ـ هى التى تؤدى إلى اكتشاف التوتم الخاص..فإذا أراد الفرد أن يكتشف توتمه الشخصى فعليه أن يبدأ عزلة تامة عن الناس تشبه الاعتكاف يختار لها بقعة بعيدة عن أعينهم، ويظل صائما مكبا على أوراده ليل نهار لا يدخر =

## المبحث الرابع: صراع الفرس والروم علي امتلاك مصر:

تبين مما سبق أن قسطنطين حمل المصريين على اعتناق المسيحية، فما علاقة قسطنطين بمصر؟ ترجع هذه العلاقة يوم أن ظهرت الروم، وفارس على جميع الممالك، والملوك الذين فى وسط الأرض، فقاتلت الروم أهل مصر ثلاث سنين، وحاصروهم برّا وبحرا إلى أن صالحوهم على شىء يدفعونه إليهم فى كل عام على أن يمنعوهم، ويكونوا فى ذمتهم (١). ثم ظهرت فارس على الروم وغلبوهم على الشام، وألحوا على مصر بالقتال ثم استقرت الحال على خراج ضرب على أهل مصر من فارس والروم فى كل عام، وأقاموا على ذلك تسع سنين، ثم غلبت الروم فارس وأخرجتهم من الشام، وصار صلح مصر كله خالصا للروم، وذلك فى عهد رسول الله ﷺ فى أيام الحديبية وظهور الإسلام..(٢) وقد نزل فى ذلك قرآن يتلى هو صدر سورة الروم.

**من آثار الروم في مصر:**

حصن باب اليون، وقد بناه الروم فى موضع الفسطاط الذى هو مدينة مصر اليوم، وسموه قصر اليون، وقصر الشام، وقصر الشمع، ولما غزا الروم عمرو بن العاص تحصنوا بهذا الحصن، وجرت لهم حروب إلى أن فتح المسلمون البلاد (٣) كما سيأتى إن شاء الله تعالى.أما حقيقة هذا الحصن فإن الذى وضع أساسه فهم الفرس ثم أكمله الرومان كما سيأتى.

---

=فى ذلك طاقة حارما نفسه تماما من كل لذائذها إلى أن تبدو له «رؤيا» ترشده إلى توتمه ويظل على هذا الحال ولو اقتضى الأمر شهورا، فإذا عرف «توتمه» اتخذه «سخابا» تميمة، وهو ما يسمى فى عرف العامة حجابا يعلقه فى رقبته أو حيث يريد، وينتهى عندئذ صيامه، وما يترتب عليه من حرمان.وتعتبر قبائل «البيبلوس» فى الجنوب الغربى من أمريكا الشمالية هذه الطقوس الفردية «خبرات تجلب التصدع، ومن ثم ترفض القيام بها».

راجع للدكتور على أحمد الخطيب:الصيام من البداية حتى الإسلام ص ٣٣ ــ ٣٥ بتصرف، وعن ديانة المصريين وعقائدهم انظر دكتور:على إبراهيم حسن:الحضارة المصرية والحضارة الشرقية فى العصور القديمة.

(١) ول ديورانت:قصة الحضارة جـ ٢ ص ١٥٥ ،١٥٦ وسنرى صورا من مواقفهم مع الروم عندما يتدخلون فى مذهبهم الدينى الذى ارتضوه.
وانظر معجم البلدان.لياقوت جـ ٨ ص ٧٤ .

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

**قواد الروم يتصارعون علي الفوز بمصر:**

تخلص هرقل من الفرس، ونفض يده من معاركهم بعد إبرام معاهدة صلح فيما بينهم، وبقى عليه أن ينتصر على (فوكاس) امبراطور روما الشرعى، فأراد أن يكيد له ويقطع عنه غلال مصر وخيراتها.......

استطاع هرقل بعد صراع مرير أن يستولى على مصر بعد أن سار إليها بجيشه حتى وصل إلى إقليم الإسكندرية بعد أن أعلن الخروج على (فوكاس) وجعل نفسه ملكا وعزم على استيلاء إقليم مصر، فى الوقت الذى سار فيه (نيقتاس) قائد جيوش فوكاس قاصدا مصر أيضا[1] .

فى نفس الوقت كانت المؤمرات على أشدها بين أحزاب يكيد بعضها لبعض فى عاصمة القطر المصرى، فقد اشترك رجلان فى مؤامرة لقتل (فوكاس)، ليجعلا التاج بعده لهرقل ولكن المؤامرة اكتشفت.فازداد الصراع، ومن ثم فقد اجتمع فى الأراضى المصرية جيشان :أحدهما :بقيادة هرقل والآخر بقيادة (فوكاس) الامبراطور الشرعى لروما، وكان لابد من انتصار أحدهما على الآخر [2].

**الجولة الأخيرة في احتلال مصر:**

ظلت الحرب مشتعلة بين قواد الامبراطورية الرومانية فى مصر أيهما يفوز بها، وقاتل كل فريق منهما قتال المستميت،فتارة تميل الكفة مع هؤلاء، وتارة مع هؤلاء، والبلاد نهبا بين هؤلاء وهؤلاء، وإذا بها تهب على صوت الصور من جيوش هرقل، فإذا بـ (نيقتاس) قائد جيوشه يدخل الإسكندرية، بغير قتال إذ كانت قلوب أهلها تميل إليه...فى الوقت نفسه كان (بونوسوس) قائد (فوكاس) يهوى على رأس مصر السفلى كالنمر على فريسته، فاكتسح كل مادونه حتى بلغ أسوار الإسكندرية ليقضها على قواد هرقل، ولكن حصونها المنيعة حالت دونه ودون هدفه، فمضى فى النضال مناجزة هينة بين حين وحين [3] .

**استقبال حافل لبونوسوس:**

ظفر (بونوسوس) قائد (فوكاس) بمصر السفلى وسيطر عليها فخرج إليه المطران

(١) انظر الدكتور:الفرد .ج.بتلر:فتح العرب لمصر ص ٥ هامش ١ .
(٢) المصدر نفسه ص ١٢ ـ ١٥ بتصرف شديد.
(٣) انظر بتلر:فتح العرب لمصر ص ٢١ بتصرف.

(تيودور) ومعه مراقب الأموال (ميناس) ومعهما الإنجيل والصلبان فى موكب حافل وقور سائرين إلى القائد نازلين على حكمه راجين عفوه [١].

لكن هذا المشهد لم يعجب مؤلف كتاب فتح العرب لمصر، إذ علق قائلا:كان خيرا لهما أن يلقيا بأنفسهما من أعلى أسوار مدينتهما، فقد أودع (ميناس) السجن، وغرم ثلاثمائة قطعة من الذهب،ثم أذيق العذاب، بأن جلد طويلا ثم أطلق سراحه...أما تيودور فقد أخذه بنوسوس معه إلى نقيوس، فرأى عند باب المدينة تماثيل فوكاس وهى محطمة على الأرض فأمر بضرب عنق المطران تيودور، وثلاثة من أعيان منوف [٢].

أما غضب بتلر من هذا المشهد فسببه استقبالهم لبونوسوس بهذه الحفاوةوالتقدير، لأنه يحاول نفى التهمة التى تقول أن أقباط مصر يرحبون بأى فاتح جديد، لكن محاولة نفيه هذه لن تطمس الحقيقة.

**المعركة الفاصلة:**

دارت فى الإسكندرية، المعركة الفاصلة،التى صدت فيها قوات هرقل محتمين بحصون المدينة حينا وحينا آخر فى مواجهة قوات (بونوسوس) ولما ضيق الخناق عليه فر من أعدائه تحت جنح الليل، فهدأت مقاومة رجاله، وأصبحوا بين قتيل مقضى عليه، أو طريد مبعد، أو مرتد ترك الجانب الخاسر وهجره [٣].

**المبحث الخامس:مصر تحت حكم هرقل:**

خلصت مصر كلها لهرقل، فكيف ساسها؟ أراد أن يعيد للحكم المدنى نظامه، وللجيش كيانه، فهذان هما آلتا الدولة الرومانية، وكان الحكم المدنى والجيش كلاهما فى يد السادة الحاكمين ليس فيهم أحد من أقباط مصر أهل البلاد [٤].

**هدف حكومة روما في مصر:**

كان هدفها«أن تبتز الأموال من الرعية لتكون غنيمة للحاكمين، ولم يساورها أن تجعل

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) بتلر:ص ١٥ بتصرف.،ونقيوس:هى مدينة زاوية رزين، أو شبشير وباليونانية:فيلكيون، تقع شرق فرع رشيد بالقرب من منوف، قال بتلر:فتحها المسلمون فى ١٣ مايو عام ٦٤١م - راجع مصر فى الإسلام القرن الأول صـ ٨٥ هامش ٢ .

(٣) انظر بتلر:ص ٢٤ باختصار شديد.

(٤) انظر بتلر فتح العرب لمصر ص ٣٢ باختصار شديد.

قصد الحكم توفير الرفاهية للرعية، أو ترقية حال الناس، والعلو بهم فى الحياة، أو تهذيب نفوسهم أو اصلاح أمور أرزاقهم، فكان الحكم على ذلك حكم الغرباء لا يعتمد إلا على القوة ولا يحس بشيء من العطف على الشعب المحكوم. وكانت فى يد الحكام عاصمة البلاد الإغريقية كما كانت فى يدهم العاصمة المصرية القديمة منفيس وحصنها العظيم حصن بابليون الرومانى على الشاطىء الشرقى من النيل، وكذلك كانوا يملكون مدائن عدة حصينة يلى بعضها بعضا بين أسوان فى الجنوب والفرما فى الشمال، وكان جند الحكومة وجباة ضرائبها ينتشرون من تلك المدائن يظهرون هيبة السلطان ويجمعون الأموال، على حين كان تجار الروم واليهود يحلون حيث شاءوا تحميهم جنود الربط ينافسون الأقباط فى التجارة منافسة شديدة» (١).

## خضوع مصر للفرس:

قبل أن أكمل الحديث عن حالة مصر تحت حكم الرومان، أجدنى مضطرا إلى الحديث عن غزو الفرس لمصر ونجاحهم فى امتلاكها من الروم مسترشدا إلى ما ذكره المستر ملن حيث قال:

«مما لاشك فيه أن الجنود التى فتح بها كسرى مصر وملكها بهم كان بعضهم من أهل الشام وبعضهم من العرب، وكان هؤلاء يمتون إلى الفلاح المصرى بصلات الدم والود، وهذا هو السبب فى ميل البلاد كلها إلى التسليم بعد هزيمة الروم، ولكن هذا السبب عينه هو الذى أضعف الفرس، وسبب لهم خسارة ما فتحوه سريعا، وذلك عندما تمرد عليهم العرب» (٢).

ويؤكد ما ذهب إليه المستر ملن ما جاء فى كتاب (شارب) حيث قال:

«فملك حكام مصر الجديدون تلك البلاد بغير منازع، ولا غرابة فى ذلك،إذ كان جيش الفرس متمكنا من الشام، وبلاد العرب فلم يلقوا مشقة فى حكم مصر، ولعل الأغنياء فى مصر كان بينهم كثير من العرب فرحبوا بأقربائهم فى حين أن أسوأ ما حل بالفلاحين هو تغيير سادتهم، فلما ثار العرب عندما دعاهم محمد إلى دينه فقد الفرس أكبر عدة لهم فى الجيش، وسنحت للروم فرصة استرجاع مصر» (٣).

---

(١) المصدر السابق ص ٣٢ .
(٢) نقلا عن المصدر السابق ص ٦١ هامش ١ .
(٣) نقلا عن بتلر:فتح العرب لمصر ص ٦١هامش ٢ .

وبهذه السهولة دخل الفرس مصر حيث لم يكن للقبط جيش نظامى يدفع عن البلاد كل عاد يريد بها سوءا أو محتلا يريد مص دمائها، حتى انفرد الغزاة بها وانتقموا من أهلها، إذ بعد فتح الإسكندرية سار قائد جيوش كسرى بجنده صعدا إلى الجنوب بحذاء النيل لفتح الصعيد، وكانت معاملته للقبط واحدة، ففى كل مكان يحل فيه، يحل الموت والخراب [١].

ومن ثم أصبحت مصر ولاية من ولايات الدولة الفارسية التى كانت تضمها، وتضم فلسطين وسوريا، وفينقيا، وأبونيا، وآشور، وبابل فأثرت هذه الحضارات على الدولة الفارسية، وخاصة من ناحية العمارة، وتخطيط المدن [٢].

**سبب هزيمة القبط على أيدي الفرس:**

ترجع هزيمة القبط إلى ما قاله وكتبه (بيزنتيوس) وبعث به إلى أبرشيته كلها حيث قال: «لقد خذلنا الله لما نقترفه من الذنوب، وسلط علينا من الأمم من لا يرحمنا»[٣].

قال هذه المقالة بعد أن بلغه نبأ نزول عبدة النار بالديار، وأزعجه ما سمع من قسوتهم. ولم يكن يريد البقاء حيث هو ليكون شهيدا، فآثر الهرب، مع تلميذه حنا إلى الجبل.. وذلك قبل أن يأخذ الفرس مدينة (قفط) [٤] فلما أدركوها، وصارت فى يدهم أمعن (بيزنتيوس) فى الهرب موغلا فى الصحراء..[٥].

وكانت نتيجة الهرب خلو الجو للفرس يتجولون فى طول البلاد وعرضها، بينما كبار رجال الدين من القبط يولون هاربين، داخل الكهوف والمغارات، وكان فى مقدورهم أن يكوّنوا ما يسمى فى هذا العصر بالمقاومة الشعبية، ولكنهم تركوا ميدان النضال وآثروا عيش الصحراء، ومَنْ ظل داخل البلاد كان فى خدمة الغازى الجديد، ومن نتائج ذلك:

«أن الفرس بلغوا فى فتوحهم أبعد أطراف وادى النيل حتى أسوان» [٦].

---

(١) بتلر.. ص ٦٢، ٦٣ بتصرف.

(٢) انظر دكتور: على إبراهيم حسن: الحضارة المصرية والحضارة الشرقية فى العصور القديمة ص ١٣٧ .

(٣) بتلر.. ص ٦٣ .

(٤) قفط بلدة مصرية قديمة جنوبى مدينة قوص، وهى أقرب إلى الجبل منها إلى النيل، وتقع فى الجهة الشرقية من النيل على بعد سبعة أميال، وقد سماها اليونان: كبتوس. انظر الخطط التوفيقية جـ ١٤ ص ١٠٥، وفتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم تحقيق: عبد المنعم عامر. القسم التاريخى ص ١٢ هامش ٢ .

(٥) بتلر.. ص ٦٤ .

(٦) المصدر السابق ص ٦٥ بتصرف.

**مدة حكم الفرس في مصر:**

مكث «الفرس سادة البلاد عشر سنين،أو اثنتى عشرة سنة، ولعلهم قضوا ثلاث سنوات يمهدون لسلطانهم فى طول البلاد وعرضها فى مصرو (بطابولس) ولكن لا يرد ذكر لمقاومة عنيفة،أو لقتال استطالت به المدة اللهم إلا عند الإسكندرية.وكان طول هذه المدة أكبر علة لاضطراب ترتيب الحوادث فى هذه الفترة، وقلة الضبط فى تواريخها»(١).

**أعمال الفرس وسيرتهم في مصر:**

كان من أهم ما عمله الفرس فى مصر أن «فرضوا على الكنائس جزية تؤديها، أو لعلهم على الأقل استصفوا ما كان للكنائس الملكانية الطريدة من أوقاف وأرزاق» (٢) كما «قيل:إن كسرى حين فتح الإسكندرية كان بالقرب منها ستمائة دير عامرة مثل أبراج الحمام فخربها كلها» (٣).

**أما سيرتهم:**فإنهم كانوا يرفقون وخاصة بالأبنية الأهلية وأصحابها إذا هم سلموا لهم أمانا، أما إذا قاوموا، فإنهم ينهبون ما فتحوه عنوة فيسلبوا منه كل ما استطاعوا حمله من تحف أو كنوز، ثم كانوا فوق ذلك يهدمون البناء نفسه كى يأخذوا ما فيه من العمد البديعة والإطارات الجميلة والمرمر الثمين ويرسلوه إلى الملك الأعظم يحلى به قصرا من قصوره، ولكن لم يثبت أنهم أخذوا شيئا مثل ذلك من مصر لبعد الشقة بينها وبين قصر كسرى (٤).

كذلك من أعمال الفرس ما جاء فى ترجمة حياة (أندرونيكوس) ساويرس الأشمونتى قوله عن المصائب التى أنزلها الفرس عند فتحهم مصر جاء فى ختامها:«فقضى البطريق (أندرونيكوس) ست سنوات فى ولايته البطرقة لاقى فيها مالا قى من فظاعة الفرس وشهد فيها هذه الأمور الفظيعة، وقاساها بنفسه وتحملها ثم ذهب إلى مقره بعد ذلك» (٥).

**حق الملك:**كذلك لم ينس الفرس حق ملكهم ففرضوا «على كل ولاية أن ترسل للملك كل عام، قدرا محدودا من المال والبضائع.ومن بين هذه الولايات.

مصر والهند، وآشور، وبابل.فكانت الأراضى الزراعية مقسمة إلى إقطاعات واسعة فى

(١) نفس المصدر ص ٦٧ .
(٢) زكى شنوده المحامى:تاريخ الاقباط جـ ١ ص ٢١٩ طـ الاولى سنة ١٩٦٢٠ .
(٣) بتلر..ص ٦٧ بتصرف.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) بتلر:فتح العرب لمصر ص ٦١ هامش ١ .

حوزة نبلاء أو ملاك أغنياء مع أقلية ضئيلة من الزراع كانت تملك أراضيها» (١).

**اقتسام مصر بين الفرس والروم:**

كان لظهور فارس على الروم في سبع سنين،أثر فعال على الروم مما جعلهم ينشطون في عدتهم وعددهم فساعدهم ذلك على الظهور على فارس، وكان ذلك زمن الحديبية، ففرح المسلمون بنصرة أهل الكتاب ورغب الروم في مصر، ولما خشيت الروم انفراد الفرس بمصر تم الصلح على اقتسام مصر بينهما.

وأقامت مصر بين الفرس والروم نَصَفَيْن سبع سنين، ثم استجاشت الروم وتظاهرت على فارس والحت بالقتال والمدد حتى ظهروا عليهم، وخربوا مصانعهم أجمع، وديارهم التي بالشام ومصر، وكان ذلك في عهد النبي ﷺ فصارت الشام كلها، وصلح أهل مصر كله خالصا للروم وليس لفارس من الشام ومصر شيء (٢).

وقد استطاع الفرس أثناء إقامتهم في مصر أن يؤسسوا حصن باب ليون ـ في الأصل :باب أليون (٣) وهو الحصن الذى بفسطاط مصر اليوم، فلما انكشف جموع فارس عن الروم، وأخرجوا من الشام ومصر أتم الرومان بناء ذلك الحصن فنسب إليهم، وأقامت به فلم تزل مصر في ملك الرومان حتى فتحها الله على المسلمين (٤).على ما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى.

---

(١) د . على إبراهيم حسن :الحضارة المصرية والحضارة الشرقية في العصور القديمة ص ١٣٩ .

(٢) ابن عبد الحكم:فتوح مصر وأخبارها ص ٥١ تحقيق عبد المنعم عامر، وابن خلدون..جـ ٢ ص ٧٦ ،وياقوت :معجم البلدان جـ ٨ ص ٧٤،٧٣ وقد تم الصلح في أول سنة ٦٢٨ م وهو تاريخ جلاء الفرس عن ضفاف البسفور والنيل ـ بتلر ص ٩٣ ـ ، وانتهاء الحروب بين الدولتين بالصلح ـ بتلر..ص ٩٥ .

(٣) ابن عبد الحكم ص ٥٢ هامش ١ .

(٤) ابن عبد الحكم فتوح مصر والمغرب. ص ٥٢، وابن خلدون «العبر» .. جـ ٢ ص ٧٧،٧٦، وياقوت :معجم البلدان جـ ٨ ص ٧٤ . **نبذة عن هذا الحصن**:(أول من بناه الفرس، قيل :بختنصّر أول غاز فارسى، وقيل: قمبيز، ثم جاء الامبراطور الرومانى (تراجان) عام ١٠٠م ليخمد ثورة لليهود في الإسكندرية، وبنى قلعة مكان الحصن على مرتفع من الأرض، وبداخل الحصن عدد كبير من الكنائس يصل إلى عشرة، وبيعة يهودية كانت كنيسة مسيحية قبل الفتح هدمها اليهود بعد شرائها من النصارى، وأقاموا مكانها معبدا لهم، وكان للحصن باب حديدى على المرسى قبالة جزيرة الروضة التى كان بها حصون مثل بابليون، ويقع شمال الحصن وشرقه المزارع الفسيحة والحدائق الغناء، والأرض الفضاء التى صارت بعد الفتح مدينة الفسطاط .انظر مصر في الإسلام صـ ٧٤ هامش١ .

**المبحث السادس:**

**هل سعدت مصر بعد خروج الفرس؟**

أُخْرِجَ الفرس من مصر، وانفرد الرومان بحكمها، وكان من المنتظر أن تكون معاملة الرومان للمصريين معاملة كريمة يتمتع المصريون فيها بالحرية الدينية،والإخاء والاستقرار، خاصة وهم جميعا أبناء دين واحد [١]. لكن الذى حدث كان على النقيض من ذلك تماما، فقد قلب الرومان لأهل مصر ظهر المجن.يقول ول ديورانت:

«كان خليقا بمصر أن تكون أسعد بُلدَان الأرض قاطبة لأن النيل يرويها ويغذيها ولأنها أكثر بلاد البحر الأبيض المتوسط قدرة على الاكتفاء بخيراتها، فهى غنية بالحَبّ والفاكهة، تنتج أرضها ثلاث غلات فى العام، ولم يكن يعلو عليها بلد آخر فى صناعاتها وكانت تصدر الغلات والمصنوعات إلى مائة قطر وقطر وقلما كان يزعجها ويقلق بالها حرب خارجية أو أهلية، ولكن يبدو أن المصريين برغم هذه الأسباب..لم ينعموا بالحرية يوما واحدا فى تاريخهم كله على حد تعبير قول يوسفوس، ذلك أن ثروتهم كانت تغرى بهم الطغاة أو الفاتحين واحداً فى إثر واحد مدى خمسين قرنا من الزمان كانوا فيها يستسلمون لأولئك الطغاة والفاتحين» [٢].

وظيفة مصر فى عهد الرومان:

بالرغم من أن روما كانت تحابى مصر وتجعلها من خاصة الامبراطورية اهتماما بدورها و لم تكن تجعلها ولاية تابعة لها فحسب «بل كانت تعدها من أملاك الامبرطور نفسه، وكان يحكمها حاكم مسئول أمامه وحده.وكان موظفون من اليونان المتمصرين يديرون أقسامها الثلاثة:

مصر السفلى، ومصر الوسطى، ومصر العليا، ومقاطعاتها الست والثلاثين، وبقيت اللغة اليونانية هى اللغة الرسمية،ولم تبذل محاولة ما لتحضر السكان، فقد كانت وظيفة مصر فى

---

(١) أصبحت المسيحية الدين الرسمى للدولة الرومانية فى عهد الامبراطور ثيودوسيوس الأول (٣٧٩ ـ ٣٩٥) وصدرت عدة دساتير أو مراسيم بين عام ٣٨٠ ـ ٣٩٢ لتحريم الديانات، والعقائد الأخرى تحريما باتا.انظر:هـ.آيدرس بل:الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى تعريب:د.عبد اللطيف أحمد على ص ١٦١ هامش ٣ .

(٢) ول ديورانت:قصة الحضارة جـ ٣ ص ٩٧ .

الامبراطورية أن تكون المورد الذى تستمد منه روما ما يلزمها من الحبوب، ولهذا السبب انتزعت من الكهنة مساحات واسعة من الأرض، وأعطيت للممولين الرومان أو الأسكندريين، وجعلت ضياعا واسعة يعمل فيها الفلاحون ويستغلون بلا رحمة [١].

كما ظل الجانب الأكبر من الأراضى الجديدة يؤخذ من أراضى العامة، ويحمل نفس الاسم القديم وهو:«الأرض الملكية».

**أرض الضياع:**

كان اسم «الأرض المقدسة» يظهر فى سجلات الأراضى، ولو أن جانبا منها صادرته الحكومة عقب الغزو، كذلك وضعت المعابد تحت رقابة أشد مما كانت عليه فى أواخر عصر البطالمة، وأما أراضى الهبة البطلمية، فكانت تقابلها بعض الضياع الكبيرة.التى منحها الأباطرة فى صدر العصر الرومانى لأعضاء من الأسرة المالكة، أو النبلاء من الرومان، ومواطنى الإسكندرية..ثم أدمجت هذه الضياع حتى أصبحت تؤلف قسما خاصا من الأراضى يسمى «أرض الضياع» ووضعته تحت إشراف وكيل للإمبراطور «هو ناظر الضياع »كما أن هناك قسما من الضياع منفصلا وكان خاصا بالعسكريين، ولكن الحكومة أوقفته [٢].

**الحكومة المركزية:**

اهتم الرومان بملكية الأراضى الخاصة وشجعوا عليها، لأنهم كانوا يفضلون إرساء الجهاز المالى والإدارى على عاتق سكان يملكون عقارا ثابتا يكفل اضطلاعهم بالمسئوليات، وضمانا لهذا المسلك صادرت جانبا كبيرا من الأراضى، كما باعت بعضها بالمزاد، بينما عرضت الأراضى المهجورة أو غير الجيدة للإيجار بشروط مرضية حتى تغرى الناس على استئجارها، واستصلاحها للزراعة، وهكذا كان الحال فى مصر فى زمن الرومان بوجه عام: حكومة مركزية قوية ذات جهاز إدارى واضح المعالم..ونظام بيروقراطى[٣] محكم..ومجتمع هرمى الشكل منقسم إلى طبقات ممتازة، وتفرقة فى المعاملة بين المتأغرقين من سكان العواصم،

---

(١) نفس المصدر جـ ٣ ص ٩٧ .

(٢) انظر:هـ.آيدرس بل:مصر من الاسكندر الاكبر حتى الفتح العربى.تعريب.عبد اللطيف أحمد على ص ١٠٦ بتصرف.

(٣) البيروقراطية:الحكم بواسطة كبار الموظفين.المعجم الوسيط:مادة.البيروقراطية.

وبين جمهرة الأهالى المصريين من سكان الريف [١].

**خراج مصر في عهد الرومان وفرض الجزية:**

حرص الرومان على خراج مصر فوكلوا به من يجمعه، فى عهد هرقل والتزم المقوقس بضمان الخراج، حتى وصل فى عهده إلى تسعة عشر ألف ألف دينار، وكان يجبيها عشرين ألف ألف دينار، ثم جعلها عمرو بن العاص عشرة آلاف ألف دينار فيما بعد [٢].

وكان الرومان أول من وضعوا الجزية على الأمم التى أخضعوها، وكانت أكثر كثيرا مما وضعه المسلمون بعدئذ كما كان الفرس أيضا يجبون الجزية من رعاياهم، وأن لفظ الجزية فارسى الاصل، وأنه فى الفارسية «كزيت» [٣] ويؤيد هذا القول، ما أثبته ابن الأثير [٤] عما فعله كسرى أنو شروان فى الخراج والجند حيث قال:«والزموا الناس الجزية ما خلا العظماء، وأهل البيوتات، والجند والمرازبة والكتاب، ومن فى خدمة الملك كل إنسان على قدره:اثنى عشر درهما، وستة دراهم، وأربعة دراهم «فلعل المسلمين أخذوها عن الفرس لفظا ومعنى فعربوا لفظها حتى صار (جزية) [٥].

**تقدير الخراج في عهدي الفرس والروم:**

كان الخراج فى دولتى (الفرس والروم) بالتعديل، وهو ما يعبرون عنه بالمقاسمة، إذا عمرت القرى وكثر أهلها زيد فى خراجهم، وإن قل أهلها، وخربت نقصوه، وكانت جباية الشام على نحو ذلك أيضا.أما الفرس فكانوا يأخذون خراج أرضهم بالمقاسمة حتى مسحه قباذبن فيروز قبل الإسلام وجعله بالمساحة، فضرب على الجريب الواحد درهما وقفيزا ـ الجريب (٣,٦٠٠) ذراع مربع ـ مهما يكن حاله من الخصب أو الجدب، فلما فتح المسلمون البلاد عَدّلُوا فى الخراج على ما اقتضته الأحوال فى سائر البلاد، كما وضعوا قوانين عامة فى

---

(١) انظر.هـ آيدرس:مصر من الاسكندر الاكبر حتى الفتح العربى.تعريب د:عبد اللطيف أحمد على ص ١٠٦، ١٠٧ بتصرف.

(٢) ياقوت:معجم البلدان جـ ٨ ص ٧٥، وانظر دكتور:حسن إبراهيم حسن:تاريخ الإسلام السياسى جـ ١ ص ٤٦٩ طـ التاسعة ١٩٧٩ م النهضة مصر.

(٣) نقلا عن جورجى زيدان:تاريخ التمدن الاسلامى جـ ١ ص ١٢٩ طـ الهلال ١٩٠٢م.

(٤) الكامل فى التاريخ .لابن الأثير:عز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم..الشيبانى .

(٥) انظر:تاريخ التمدن الإسلامى جـ ١ ص ١٦٩، ١٧٠ . **والمرزبان:** الرئيس من الفرس.والجمع:المرازبة انظر المعجم الوسيط مادة:مرز.

الأرضين [١] على ما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى.

**تاريخ الخراج:**

يرجع تاريخ الخراج إلى ما كان معروفا أن الأرض ملك للسلطان أو الملك، وهذا الاعتقاد قديم جداً.

ففى التوراة أقوال صريحة فى كيفية دخول الأرض فى ملك الفراعنة.

كما ورد فى المجاعة التى حدثت فى مصر أنه «لما جاع المصريون فى أثناء القحط فباعوا يوسف كل ما اقتنوه من فضة، وذهب، وماشية، ولم يبق إلا الأرض فباعوه إياها بالخبز» [٢].

ومن ثم فالأرض للملك، والأهالى إنما يتمتعون بريعها، وللحكومة حصة من ذلك الريع وهو الخراج.

وكان من عادة التتر أن الإنسان يستأثر بملك الماشية، وأما الأرض فأنكروا حق تملكها على أفرادها، كما كان الجرمان القدماء لا يعترفون بملك الأرض إلا لحكامهم أو رؤسائهم، فكان رئيس القبيلة يوزع أراضيها على أفرادها.وفى السنة الثانية توزع عليهم بالتناوب بحيث أن القطعة الواحدة لا يستغلها الرجل الواحد سنتين متتاليتين.وهذه العادة لا تزال شائعة حتى اليوم فى بعض شعوب الصقالبة [٣].

«وعلى هذا المبدأ كان الرومان يضعون الضرائب على أراضى مملكتهم، وفى جملتها مصر والشام وغيرهما، مما فتحه المسلمون من بلادهم، وكان لهم فى كل ولاية ديوان خاص بالخراج تدون فيه أعماله، ودخله، وخرجه وله كتّاب وجباه، وعمال من أهالى البلاد أو من الحكام، وكان الفرس يقتبسون كثيراً من قوانين اليونان والرمان» [٤].

**ثورة بسبب الضرائب...واضطهاد الرومان:**

اشتدت قبضة الرومان الحاكمين على المصريين حتى لم يجد الفلاح متنفسا لشكايته، ففى الوقت الذى كان فى استطاعة الفلاح على عهد البطالمة إذا ضاق ذرعا بحالته أن يلوذ بحمى مذبح الملك أو ساحته، أو بأحد المعابد العديدة، التى كانت تتمتع بحق حماية

---

(١) المصدر السابق جـ ١ ص ١٧٣ .

(٢) سفر التكوين:الفصل السابع والاربعين.

(٣) تاريخ التمدن الاسلامى جـ ١ ص ٧٢ .

(٤) المصدر نفسه.

المستجيرين، ولا يبرح مكانه إلا بعد أن تزول أسباب شكايته.

فلما جاء الرومان حصروا هذا الحق فى أضيق نطاق فلم يعد أمام الفلاح إلا الفرار إلى الأدغال أو الصحراء أو الانضمام إلى إحدى عصابات اللصوص» (١).

وقد ساعدت شدة هذه القبضة فى جمع الضرائب مما تسبب فى ثورة ضد الرومان استطاعت الحكومة اخمادها وقد اندلعت هذه الثورة فى «منطقة طيبة إثر ظهور جباة الضرائب الرومان هناك» (٢).

إن مما لا شك فيه: «أن تاريخ مصر الرومانى قصة محزنة من قصص الاستغلال الذى يدل على قصر النظر وينتهى حتما بالانهيار الاقتصادى والاجتماعى» (٣).

كما غرس الكره فى نفوس المصريين وتخليهم عنهم فى أشد أوقات الحرج، وكان عاملا مساعداً للمسلمين على فتحها بهذه السهولة، وانتصارهم الرائع على جيوش الامبراطورية. كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى.

وكان من العوامل التى أدت إلى نفور الأقباط من الرومان تدخلهم فى عقيدتهم، فقد أرادت كنيسة روما توحيد المذاهب، فى مصر وجعلها كلها تخضع لمذهب واحد مما أثار حفيظة المصريين، وكان ذلك سببا فى الانقسامات المذهبية التى سأوضحها فى الفصل التالى:

---

(١) هـ. آيدرس بل: مصر من الاسكندر الاكبر حتى الفتح العربى، ترجمة الدكتور عبد اللطيف أحمد على ص ١٧٨ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٠٧ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٠٨ .

## الفصل الثاني

# الانقسام المذهبي في عهد الرومان، وأثره علي المصريين، وموقف كنيسة الإسكندرية منه

ويشتمل على تمهيد

وعشرة مباحث:

**المبحث الأول:** الخلاف على ولاية البطرقة اليعقوبية.

**المبحث الثاني:** اختلاف الأحزاب وأثره.

**المبحث الثالث:** (تدخل السلطة الرومانية فى شئون القبط الدينية، واقصاء رئيس الدين القبطى من العاصمة)

**المبحث الرابع:** انشقاق المسيحية المثلثة.

**المبحث الخامس:** موقف الكنائس من الموحدين.

**المبحث السادس:** كنيسة الاسكندرية تحاول ضم آريوس إلى رأيها.

**المبحث السابع:** العوامل التى أدت إلى ظهور الموحدين.

**المبحث الثامن:** القائلون بعدم تأليه المسيح ـ عليه السلام ـ من المحدثين.

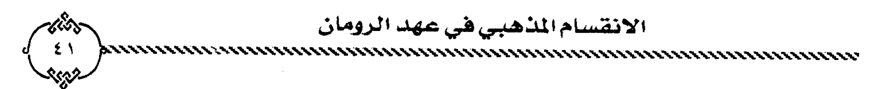
**المبحث التاسع:** اختلاط الوثنية بالتوحيد.

**المبحث العاشر:** فى عصر تأليه المسيح:

أ ـ التشهير بالموحدين....

ب ـ تحريق كتبهم....

جـ ـ اضطهادهم....



# الفصل الثاني

## الانقسام المذهبي في عهد الرومان، وأثره على المصريين ومـوقف كنيسة الاسكندرية منه

**تمهيد:**

تربع الرومان على عرش مصر، وأصبحوا المتحكمين فى اقتصادها وخيراتها، وجمع خراجها، كما تولوا الدفاع عنها...الخ كما سبق بيانه فى الفصل الأول.

ولم يقف الامر بهم إلى هذا الحد، بل راحوا يفرضون مذهبهم الدينى على أهل البلاد مما كان له أثر سيىء على نفوسهم حتى قال بتلر:

«وفى الحق لم يكن فى بلاد الدولة الرومانية ما هو أشقى حالا من مصر، فقد سعى «جستيان» * جهده ليجبر القبط الذين ليسوا على مذهب الدولة (الأرثوذكس) فيدخلهم فى ذلك المذهب [١] .

مما أثار حفيظتهم وجدد الصراع بين «طائفتى الملكانية» [٢] «والموفيسيين اليعاقبة» [٣] وهم عامة أهل مصر وصار أشد سعيرا، ولم يكن عند قبط مصر هَمٌّ أكبر منه يملأ قلوبهم،

---

* جستيان :امبرطور روما، بلغت الدولة فى عهده شأوا بعيدا إذ وصلت إلى بلاد القوقاز، وبلاد العرب شرقا وإلى مضيق جبل طارق غربا، وفى عهده أيضا بدأ اضمحلال ملكه بادئا بمصر..وقد سعى جهده ليجبر قبط مصر على مذهب الدولة انظر:بتلر فتح العرب لمصر ص ١، ٢ وهامش ١ من ص ١ .

(١) بتلر .. ص ٢ .

(٢) **الملكانية**:مذهب الدولة الرومانية، وحزب الملك والبلاط، وكانت تعتقد العقيدة السنية ـ كذا ـ الموروثة، وهى ازدواج طبيعة المسيح.بتلر ص ٢٣ وانظر الفاروق عمر:للدكتور محمد هيكل باشا جـ ٢ ص ٧٦، ٧٨ وانظر الشيخ محمد الغزالى:التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ص ٩٨، وانظر:د / توفيق الطويل:قصة الاضطهاد الدينى فى المسيحية والإسلام ص ٦٤ هامش ١، **وخلاصة مذهب اليعاقبة** أن الطبيعة الإلهية والبشرية امتزجتا فى المسيح فصارتا فيه طبيعة واحدة فكان عند التجسد ذو طبيعتين أما بعد فصار ذا طبيعة واحدة.**أما مذهب الملكانية فخلاصته**:«أن الابن مولود من الآب قبل الدهور، غير مخلوق، وهو جوهره، ونوره، والابن اتحد بالإنسان المأخوذ من مريم فصارا واحدا وهو المسيح».

(٣) ويسمون أيضا «بالتيودوسيين» بتلر ص ٢٣ هامش ٢، وكانوا يستبشعون عقيدة الملكانيين ويستفظعونها ويحاربونها حربا عنيفة فى حماسة هوجاء يصعب علينا أن نتصورها أو نعرف كنهها فى قوم يعقلون بله ممن يؤمنون بالإنجيل، فالحق أن روح التعصب الشديدة..كانت لاتزال كامنة فى القلوب لم تتغير«بتلر..ص ٢٣».

ويملك عليهم آمالهم فلم يكن عجيبا على ذلك أن يسمع صليل السيوف بين حين وحين في مدينة الإسكندرية نفسها، وأن تمتلىء أرض الصعيد بعصابات اللصوص، وقطاع الطرق، كما يغزو أكنافها البدو وأهل النوبة، بل لم يكن عجبا أن تضطرب الأحوال في مصر السفلى فتصبح ميدانا للشغب تشور بها فتن بين الطوائف توشك أن تكون حربا أهلية، ولم يكن عجبا أن يكون هذا في بلاد أصبح الحكام فيها لاهم لهم إلا أن يجعلوا المال لخزائن الملك البيزنطي وحاشيته، وأن تكون لمذهبهم الديني اليد العليا بين أهل البلاد فصار الحكم على أيديهم أداة لا تؤدى إلا إلى الظلم ونشر الشقاء، فالحق أن بلاد مصر إذ ذاك كانت جميعا تضطرم بنار الثورة، ورغبة في الخروج لا يغطيها إلا غطاء شفيف من الرماد، ولا يستثن من ذلك عهد دون عهد» [١].

وقد جاء ذكر هذه الاضطرابات في ثنايا كتاب «حنا النقيوسي»، وكتاب (تاريخ بطارقة الإسكندرية) الذى ألفه (رينودو) وغيرهما، وهذه الكتب تصف اضطراب مصر، فقد كان القرن الخامس والسادس عهد نضال متصل بين المصريين، والرومان، نضال يذكيه اختلاف الجنس، واختلاف المذهب الديني، وكان اختلاف الدين أشد أثرا من اختلاف الجنس، فقد كان علة العلل في ذلك الوقت.. [٢].

**المبحث الأول: الخلاف على ولاية البطرقة اليعقوبية:**

في الوقت الذى كانت العدواة ظاهرة بين **الملكانية، والمونوفيسية**، كان المونوفيسيون على خلاف فيما بينهم، كما كانوا أحزابا، «يشهد بذلك ما كان من الخلاف بين (تيودوسيوس) الرجل العالم و(جايان) القبطي ونضالهما على ولاية البطرقة اليعقوبية في أوائل القرن السادس، وكان كل الرهبان مع جايان، وقد بزه تيودسيوس، فقام بالصلاة في كنيسة مارمرقص، وقلد الولاية قبله، ولكن الناس ثاروا عليه، وأنزلوه عن عرشه فما كاد جايان يلي البطرقة حتى تدخلت تيودورا ـ زوجة جستنيان ـ في الأمر فأرسلت (نارسيس) ليخلعه ويعيد تيودوسيوس، وأعقب ذلك ثورة بين الناس ونشب قتال في شوراع الإسكندرية أريقت فيه الدماء، واشترك فيه الناس جميعا حتى النساء، فكن يرمين بالآجر من أعلى المنازل على رؤوس الجنود الغرباء الذين يقاتلون في الطرق» !! [٣].

---

(١) بتلر.... ص ٣ .
(٢) بتلر:فتح العرب لمصر ص ٢٢ هامش ٢ .
(٣) المصدر نفسه .

**جستنيان يتدارك الأمر:**

ظلت الحرب بين الحزبين اللذين كان يعتقد أحدهما أن جسم المسيح عليه السلام فان يفسد وآخر يعتقد أن جسمه باق لا يفنى ولا يفسد، ولما قلد جنستنيان (زويلوس) «ولاية الدين ثار الناس، وغلبوا جنود الروم فلجأ إلى أن جعل (أبوليناريوس) واليا للمدينة وبطريقا فى آن واحد فنشأت عن ذلك مذبحة أمر بها المطران من محرابه،وهو فى سلاحه وعدة حربه فجرت الدماء من المصليين من القبط ، وقد أنفذ (جستنيان) أمرا يريد به الإصلاح فى مصر، ولكنه كان أمر سيد مستبد إلى رعية من عبيد...لكن القبط تركوا تدريجيا عقيدة جايان فى أن جسد المسيح لا يفنى ولا يفسد وغلب على اعتقادهم رأى (تيودسيوس) فى أن جسمه كجسم البشر..» [١].

وحسبنا هذا القول لندل به على ما كانت عليه مصر فى ذلك العصر من زعزعة الأمن فى داخلها، فمن إغارة للفرس أحرقت كل أرباض الإسكندرية كما يشهد بذلك (سعيد بن بطريق) وهو كاتب مصرى المولد إلى عسف الاضطهاد والمذابح التى سال فيها الدماء، إلى تشجيع الحكام لذلك حتى (جستنيان نفسه) إلى ثورات صغيرة كتمرد (ارستماخوس) إلى خروج اللصوص فى عصابات منظمة، إلى غارات للبدو، وقبائل السودان وما يصحب هؤلاء وأولئك من انزعاج دائم، إذ كانت تلك القبائل إذ ذاك خطراً يهدد حدود البلاد [٢].

**المبحث الثاني:اختلاف الأحزاب. وأثره:**

تظهر من وراء هذه الحقيقة صورة البلاد، وهى «أن أسبابا كثيرة أدت إلى أن تكون البلاد دائمة الاضطراب، الأحزاب بها كثيرة عنيفة الخلاف، فكان لأى غاز عقد العزم على غزوها أن يعتمد على تلك الأحزاب التى بها» [٣].

**السبب في وصول مصر إلى هذا المنعطف:**

اتسم حكم الرومان بالقلاقل والاضطرابات هنا وهناك، وعدم ازدياد يد العون والنصح، والتحضر لأهل البلاد، إلا فى حالات متفرقة، ونادرة، وحسبنا ما وعاه التاريخ فى ذاكرته عن صور جاءت «متفرقة فى أوراق البردى تشير إلى أن السلطات كانت فى بعض الحالات الفردية

(١) المصدر السابق ص ٢٣ هامش ٢ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٣، ٢٤ .
(٣) بتلر:فتح العرب لمصر ص ٢٤ .

تعامل الناس معاملة مشربة بروح الإنسانية غير أن النوايا الحسنة كانت عديمة الجدوى طالما كانت الحكومة متمسكة بنظريتها الأصلية وهى أن مصر بقرة ينبغى حلبها لصالح روما - وليس ثمة شك فى أن البقرة كانت حلوبا، ولكن روما دأبت على استدرار لبنها حتى استنزفته.

ويكفينا فى هذا الصدد أن نلقى نظرة على بردية برلين المشهورة باسم. P.Gnomonأى القواعد المالية لمراقب الحسابات الخاصة.أونْدْرس قوانين تأجير الأراضى أو جباية الضرائب، لندرك مدى إصرار الحكومة على مطالبة مزارعيها بأعلى الإيجارات، فى الوقت الذى لاتجزيهم عن مجهودهم الطويل الشاق إلا بأدنى الأجور..لقد كان الجهاز كله يقوم على أكتافهم، فلو قصر أحد من المكلفين بخدمة إلزامية فى أدائها أو إذا هجر مزارع مثقل بالضريبة أرضه لعاد ذلك بالضرر على الخزانة...» [١].

**هروب أهالي القرى بسبب الضرائب:**

يؤكد هذا ما نقله فليون الفيلسوف اليهودى..«عن جباة الضرائب الذين لا يتورعون حتى عن الحجر على جثة الشخص الذى قصّر فى أداء الضريبة لإرغام ذويه على دفع المتأخر عليه.ويحدثنا عن زوجات،وأطفال، وأقارب آخرين يزج بهم فى السجن ويسامون سوء العذاب للإرشاد عن مكان اختفاء أحد الهاربين، وعن قرى بأسرها، بل بلاد أقفرت من سكانها.وكان من الجائز لنا طالما لم يكن لدينا من الأدلة ما يؤيد فليون، أن نعتبر كلامه ضربا من التهويل البلاغى، بيد أن الوثائق التى وجدناها فى مصر تعزز كلامه فى جملته فمنذ عام عشرين من الميلاد، أى منذ فجر العصر الرومانى نسمع عن فرار المطالبين بدفع الضرائب، كما نسمع على لسان جباة ضريبة الرأس من ست قرى بالفيوم فى بردية مكتوبة بين عامى خمسة وخمسين، وستين ميلادية.

« **أن سكان القرى المذكورة بعد أن كانوا كثرة، قل عددهم حتى غدوا حفنة من الأفراد.لأن البعض لاذ بالفرار لانقطاع مواردهم، والبعض الآخر ماتوا دون أن يتركوا أقارب**» [٢].فماذا يفعل المصريون والحالة هذه إلا أن يهتموا بالدين ويلجأوا إلى حماه، ومن ثم كان الدين فى مصر أهم عندهم من السياسة.

---

(١) آيدرس بل:مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى نقله إلى العربية د / عبد اللطيف أحمد على صـ ١٠٩ .

(٢) المصدر السابق ص ١١٠،١١١ .

**لماذا كان الدين في مصر أهم من السياسة؟**

حُرِمَ المصريون من خيرات بلادهم، وحكمها، فلم يكن لهم جيش منظم يذود عن حياض البلاد عادية العابثين والطامعين، ومن إدارة حازمة تنظم دخلهم وحقوقهم، ومن ثم كانت:«أمور الدين..فى مصر أكبر خطرا على الناس من أمور السياسة، فلم تكن أمور الحكم هى التى قامت عليها الأحزاب، واختلف بعضها عن بعض فيها، بل كان الخلاف على أمور العقائد والديانة، ولم يكن نظر الناس إلى الدين أنه المعين الذى يستمد منه الناس ما يعينهم على العمل الصالح، بل كان الدين فى نظرهم هو الاعتقاد المجرد فى أصول معينة، وكان الناس لا يكادون يحسون شيئا اسمه حب الوطن، وما كانت عداواتهم عند اختلاف الجنس والوطن لتثور ويتقد لهيبها على الأكثر إلا إذا اختلف معها المذهب الدينى، فكان اختلاف الناس ومناظراتهم العنيفة كلها على خيالات صورية من فروق دقيقة بين المعتقدات، وكانوا يخاطرون بحياتهم فى سبيل أمور لاقيمة لها، وفى سبيل فروق فى أصول الدين فى فلسفة ما وراء الطبيعة يَدُقّ فهمها ويشق إدراكها.

فحق على مصرالمسيحية قول الشاعر (جوفنال) إذ يصف ما كان بين قومه من النزاع والشقاق:«على أيهما أفضل فى العبادة؟عبادة التماسيح؟ أم عبادة القطط، إذ قال:كان كل منهما يكره الآلهة التى يعبدها جيرانه، ويعتقد أن الآلهة الحقيقة هى التى يعبدها هو» (١)!!

**آثار يعتمد عليها في تاريخ مصر:**

قال بتلر:«لقد تغير الزمان، ولكن الناس هم هم لم تتغير طباعهم، وقد كانت الأحزاب، ومناظراتها قائمة على ما كان فى الدين من شِيَع وفِرَق، كان جل آثار العصر وما تخلف من كتبه تراجم لحياة القديسين والبطارقة، وقلما نجد فيها ذكرا لأهل الحرب أو السياسة، وعلى هذه الآثار نعتمد فى تاريخ مصر فى ذلك العهد» (٢).

**أسباب النزاع..ونتائجه:**

تولدت أسباب النزاع فى مصر بين الحزبين المختلفين فى المذهب واللذين ازدهرا فى ظل الحكم الرومانى، وكان كل منهما يكيد للآخر، فقد كان لكل منهما بطريقه، ومع أن الأمور الدينية كانت مستقلة، إلا أن ذلك لم يذهب بشىء من الخلاف القائم بين الحزبين، والذى

(١) نقلا عن بتلر:فتح العرب لمصر ص ٣٤ هامش ١ .
(٢) بتلر....نفس المصدر ص ٣٤ .

أوقدته روما، وما نتج عنه من تشققات واختلافات ومنازعات بين أبناء الشعب الواحد، حتى كانت المحاولة التى بذلت للقضاء على أحدهما مبيتة.

فالحزبين المشهورين: اليعاقبة، والملكانيين، الأول يمثله غالبية أهل مصر والأخير «اسمه مأخوذ من أصل ملك، وهو أصل مشترك فى اللغات السامية كلها، ويغلب على الظن أن لفظ الملكانية المستعمل فى مصر مأخوذ عن السريانية» (١) . ـ يمثل سلطة الحاكمين أو هو هو حزب الحاكم ـ.

**الخلاف المستحكم:**

يعد الحزب الملكانى، حزب الملك، أو هو الحزب الحاكم، ومن ثم «كان اليعاقبة * على مذهب المونوفيسيين وأكثرهم وإن لم يكونوا جميعا من الجنس المصرى، على حين كان

(١) المصدر السابق ص ٣٤ هامش ٢ .

* هذه الطائفة يكتنفها بعض الغموض، واختلفت حولها الآراء، فإلى من تنتسب؟ وما هى حقيقتها؟

تنتسب هذه الطائفة إلى يعقوب البراذعى الذى عينه الامبرطور ثيودوسيوس أسقفا لمدينة «الرها» فى شمال بلاد النهرين عام (٥٤٣ م) ولكنه لم يزر أسقفيته إلا نادرا جدا، وقصر جهوده على القيام بزيارات عديدة فى أرجاء العالم المسيحى الشرقى كانت نتيجتها بعث الحياة فى نفوس أتباع مذهب الطبيعة الواحدة (المونوفيزيتيين) وتنظيمهم تنظيما قويا، وكانت مصر من بين البلاد التى زارها.

انظر هـ. آيدرس بل: مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى،

أما حقيقة اليعقوبية فهى فرقة نافرت العقل والحس منافرة، وحشية تامة، لأن الاستحالة نقلة، والنقلة والاستحالة لا يوصف بهما الأول الذى لم يزل ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ فهم يقولون: **بأن الإله اتحد مع الإنسان بمعنى أنهما صارا شيئا واحدا، وفسرت اليعوقبية ذلك فقالت:**

كاتحاد الماء يلقى فى الخمر فيصيران شيئا واحدا... وقد ظلت الكنيسة اليعوقبية فى الإسكندرية على مذهب المونوفيسية أو الطبيعة الواحدة وهو المذهب الذى دعا إليه ساويرس أسقف انطاكية.

انظر: الإمام الغزالى: الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل تحقيق وتعليق أ / عبد العزيز عبد الحق حلمى ص ٩٥، ٩٦، ٢٠٨ مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية المطابع الاميرية ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤م)

**وعقيدة هذه الطائفة:** «بأن المسيح ذو طبيعة واحدة قد امتزج فيه عنصر الإله بعنصر الإنسان، وتَكَوّنَ من الاتحاد طبيعة واحدة جامعة بين اللاهوت والناسوت، ونسبة ذلك إلى يعقوب البراذعى لأنه من أنشط الدعاة لا لأنه مبتدعه ومنشئه، فإن ذلك المذهب أسبق من يعقوب هذا، فإن أول من أعلنه بطريك الإسكندرية فى منتصف القرن الخامس الميلادى («راجع للشيخ محمد أبى زهرة: محاضرات فى النصرانية ص ١٩٠، ١٦٧، ١٦٨ طـ الخامسة دار الفكر العربى ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧م.

وقد أفرد بعض الباحثين كلمة عن نسبة القبط إلى اليعاقبة جاء فيها كما ذكر صاحب مختصر تاريخ الأمة القبطية لسليم أفندى جاء فيها: ـ =

.................................................................................

= «يزعم بعض المؤرخين أن القبط هم اليعاقبة أوهم من اليعاقبة وهو خطأ محض،لأن اليعاقبة:هم جماعة السريان سكان مابين النهرين الذين حافظوا على تعاليم الآباء الأولين كاثناسيوس وكيرلس، ودسقورس الأرثوذكسيين القائلين بأن للكلمة المتجسدة طبيعة واحدة، وتفصيل ذلك:

أنه عند ماقام يوسنياس النسطورى ملك القسطنطينية (٥١٧ ـ ٥٦٥)م واضطهد سويرس بطريرك انطاكية الذى تمسك بالعقيدة الأرثوذكسية ضد المجمع الخلكيدونى فر سويرس هذا إلى مصر فى هذا الوقت قام فى انطاكية:

يعقوب السريانى تلميذ سويرس بنشر تعاليم معلمه فى تلك البلاد، فمن تبعه من أبناء انطاكية سمى يعقوبيا، ولما كان يعقوب هذا يلبس خرقة البرادع تزهدا لقب البرادعى وهو غير يعقوب السروجي أسقف سروج.

هذه هى حقيقة مسألة اليعاقبة التى ذكرها أفتيخوس بطريك الملكيين، ولا يخفى أنه أول من أطلق اسم اليعاقبة على جماعة السريان الذين اتبعوا تعاليم يعقوب البرادعى.

ولما نشرت كتابات أفتخيوس بين الافرنج، ورأى بعض مؤرخيهم أن تعاليم اليعاقبة لا تخالف تعاليم الكنيسة القبطية خرج هؤلاء المؤرخون من هذا الرأى إلى تسمية القبط باليعاقبة أيضا وهو استنتاج خاطىء ربما وقع فيه رواته من غير عمد، وقد كان سببا لوقوع كثيرين فى هذا الشطط حتى أنه تسرب إلى فئة من مؤرخى القبط فنقلوا هذا الاستنتاج من غير تمحيص، كابن العسال، فى كتابه:أصول الدين.

ثم جاء المقريزى العربى فردد هذا القول، وتبعه أبو دقن القبطى المنوفى الذى عاش فى منتصف الجيل السابع عشر غير أن القائلين بذلك لم يتفقوا فى روايتهم عن نسبة هذه التسمية.

فقال المقريزى:

«وقد اختلف فى تسمية اليعاقبة (يريد القبط) بهذا الاسم فقيل:بأن ديسقورس كان يسمى قبل تعينه بطريكا يعقوب، وقيل:إن ديسقورس كان له تلميذ اسمه يعقوب، وكان يرسله وهو منفى إلى أصحابه فنسبوا إليه.وقيل: إن يعقوب تلميذ سويرس بطريك انطاكية كان على وادى ديسقورس فكان سويرس يبعث بيعقوب هذا إلى النصارى، ويثبتهم على أمانة ديسقورس فنسب النصارى إلى يعقوب المذكور».

ثم قال أبودقن فى كتابه الموجود بمكتبة اكسفورد:

«إن اسم يعاقبة مشتق من يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم»

وزعم صاحب مجلة صهيون وهو سريانى فى العدد ١٣ من السنة السادسة من مجلته «أن هذه التسمية اتصلت بالكنيسة نسبة إلى يعقوب الرسول».

وقد قاده هذا الزعم إلى وضع كتاب سماه البراهين الثاقبة فى معتقدات اليعاقبة..وكل هذه أقوال مردودة التبس على أصحابها وجه الصواب، ولاسيما، وأن البابا ديسقورس لم يعرف باسم يعقوب، ولم يكن له تلميذ بهذا الاسم، ولا يوجد فى كتاب تاريخ الكنيسة القبطية أن بين باباواتها من سمى بهذا الاسم، ولم يبشر يعقوب الرسول القبط، ولم يعرف القبط من أول عهدهم بالمسيحية إلى اليوم إلا بالقبط الأرثوذكس «انتهى كلام صاحب تاريخ الأمة القبطية».

فانتماء المصريين إلى اليعقوبية إنما هو نتيجة ليعقوب البراذعى، لنشاطه، وبراعته وتواضعه، لا لأنه مؤسسها كما ذكر الشيخ محمد أبو زهرة فى كتابه، وبذلك يتفق الرأيان حول هذه الطائفة.

الملكانيون يتبعون المذهب الذى أقره مجلس (خلقيدونية) وكان أكثرهم من أصل اغريقى أو أوربى.

ونجد إجماعا من المؤرخين وفيهم (ساويرس الاشمونى) على أنه ما ولى امبرطور إلا سار على سنة القضاء على مذهب اليعاقبة فى مصر قضاء لا هوادة فيه، ولا رحمة.

وكان اليعاقبة لايرضون إلا بأن يمحوا كل أثر من آثار مذهبه. (خلقيدونية) [١]، ومن ثم «كان الخلاف مستحكما بين الأقباط والدولة البيزنطية....[٢]».

**المبحث الثالث:تدخل السلطة الرومانية في شئون القبط الدينية، وإقصاء رئيس الدين القبطي من العاصمة:**

لم يوفق هرقل فى المصالحة بين رئيسى الطائفتين:اليعاقبة، والملكانية فى مصر فكان لابد من إقصاء أحدهما عن العاصمة، فكان الإقصاء من نصيب رئيس القبط الذى رضى بالأمر الواقع ولم يحرك ساكنا وعاش فى دير «الهانطون»* يدير أمر شعبه من داخله، ويصف بتلر تلك الحالة فيقول:

«بقيت مصر وفيها بطريقان للمذهبين مدة وكانت خطة هرقل فى مبدأ الأمر أن يوفق بين هذين المذهبين العظيمين اللذين اقتسما أتباع الدين المسيحى فى مصر ولكن لم يستطع رئيس الدين القبطى أن يبقى فى العاصمة، فقد كانت العداوة بين الشيعتين وإن خمدت، تتقد فى خفاء ويندلع منها اللهب إذا ماهب عليها أضعف ريح من الفتنة.ورأت الحكومة أن من الحكمة التفريق بين رئيسى الدين حتى لا يبقى المتنافسان معا فى العاصمة فإن «انستاسيوس» مثلا عندما جاء إليه بطريق انطاكية كان مقيما فى دير الهانطون، وهو دير شهير على الساحل على نحو تسعة أميال إلى غرب الإسكندرية، ومن ثم خرج للقاء ضيفه ولم يذهب إلى الإسكندرية، بل أرسل يطلب قسوسه منها وعقد فى الدير مجمعا أسفر عن الاتفاق والاتصال بكنيسة انطاكية» [٣].

---

(١) بتلر:فتح العرب لمصر ص ٣٤،٣٥ .

(٢) راجع للدكتور محمد حسن وآخرين:فى مصر الاسلامية ص ٣ ط المقطم ١٩٣٧ م.

* ذكره المقريزى بقوله:كان هناك دير اسمه (الزجاج) مع دير اسمه أناتون أو الهانطون، ويقول:إنه مكرس باسم مارجرجس راجع بتلر..ص ٣٩ هامش.

(٣) بتلر...ص ٣٨،٣٩ .

**دور الحامية الرومانية:**

لم يستطع الأقباط الاعتراض على هذا الإجراء، فقد كانت الجيوش الرومانية منتشرة فى مصر وعلى الأخص الإسكندرية، فقد أحس الرومان أن الأقباط لم ينصاعوا لمذهبهم، وأنهم دائمى الشغب ومن ثم احتفظت روما بحامية «قوية.لذلك وضع أغسطس فيها مالا يقل عن ثلاث فرق رومانية، بالإضافة إلى القوات المساعدة الملحقة بها *، ولم تكن الحالة تستدعى وجود مثل هذا الجيش الضخم حتى أن خليفته تيبيريوس أدرك ذلك فسحب واحدة من هذه الفرق، ومصر بلد من السهل الدفاع عنه، فكان فى وسع أى قائد طموح إذا وطد مركزه فيها. أن يقطع عن روما مؤونة الغلال، وأن يقطع عليها فى نفس الوقت إحدى الطرق التجارية الهامة التى تصل الامبراطورية بالشرق» [(١)].

**بذور الخلاف:**

أراد هرقل توحيد الأمة من خلال العاطفة الدينية فهى كفيلة بلم الشمل، ورأب الصدع، وتهدئة النفوس وتوحد مشاعر الرعية فى احترام الدين، وتجمع بين الكنيسة الأرثوذكسية، وبين الخارجين على الدين، وبيْن الحكومة المركزية، لكنه لم يلتفت إلى لب الخلاف الذى وجد بعد مجمع خلقيدونية الذى عقد سنة ٤٥١م [(٢)] وكان من أهم مسائله:

«أن المسيح ينبغى أن يعترف بأنه يتمثل فى طبيعتين لا اختلاط بينهما ولا تغير، ولا تجزؤ، ولا انفصال ولا يمكن أن ينتفى اختلافهما بسبب اتحادهما، بل الأحرى أن تحتفظ كل

---

* كان الجيش الرومانى يتألف أول الأمر من الإيطاليين، ثم من الولايات الأخرى فيما بعد، وكانت الفرقة الواحدة تشتمل نظريا على ستة آلاف جندى وتنقسم إلى عشر كتائب..وتتألف من ستمائة رجل، كما كانت الكتيبة تنقسم بدورها إلى ست سرايا كل سرية تتكون من حوالى مائة جندى...وكان قائد الفرقة الرومانية رجلا من طبقة الفرسان، ولا يعرف على وجه التحقيق عدد الكتائب والفصائل المساعدة التى كانت مرابطة من وقت لآخر، ومن العسير تقدير عدد جنود الجيش الرومانى المحتل فى مصر نظراً لتغيره من وقت بعينه لكن «لسكيه» يرى أنه لم يزد أبدا عن سبعة عشر ألفا أو ثمانية عشر ألفا، على أن غيره من العلماء يعتقد استنادا إلى الوثائق المكتشفة حديثا أنه كان يزيد عن هذا العدد، وأن الرومان كانوا يضاعفون العدد، حتى يحتفظوا بمصر من أيدى الطامعين فيها، والمغيرين عليها.

انظر:هـ.آيدرس بل:مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربى ص ٩٣ هامش.

(١) المصدر السابق ص ٩١ ـ ٩٣ .

(٢) انظر:توماس أرنولد:الدعوة إلى الإسلام:بحث فى نشر العقيدة الإسلامية ص ٧١ ترجمة د / حسن إبراهيم حسن وآخرين.

طبيعة منهما بخصائصها، وتجتمع فى أقنوم واحد وجسد واحد، لا كما لو كانت متجزئة، أو منفصلة فى أقنومين، بل متجمعة فى أقنوم واحد هو ذلك الواحد، والله، والكلمة»(١).

**منشأ الخلاف ونتيجته:**

اعترض اليعاقبة على هذا القانون،ولم يعترفوا فى المسيح إلا بطبيعة واحدة وقالوا: إنه مركب الأقانيم له كل الصفات الإلهية والبشرية، ولكن المادة التى تحمل هذه الصفات لم تعد ثنائية بل أصبحت وحدة مركبة الأقانيم (٢).

ومن هنا نشأ الخلاف بين طوائف النصرانية حول شخصية المسيح ـ عليه الصلاة والسلام ـ ودار التساؤل الذى اتسعت شقته:«هل هو رسول من عند الله..من غير أن تكون له منزلة أكثر من شرف السفارة بين الله وخلقه؟ أم له بالله صلة خاصة أكبر من رسول؟ فهو من الله بمنزلة الابن، لأنه خلق من غير أب، ولكن ذلك لا يمنع أنه مخلوق لله، لأنه هو كلمته، ومن قائل:إنه ابن الله، له صفة القدم كما لله تلك الصفة..؟»(٣).

ومما زاد فى اتساع الخلاف دخول فئات متباينة المشارب من الوثنيين، ومن الرومان، واليونان، والمصريين، فتكون فى المسيحية مزيج غير تام التكوين، وكل قد بقى عنده من عقائده الأولى ما أثر فى تفكيره وعقيدته، كما دخل فى ذلك الدين أيضا:فلاسفة لهم أراء فلسفية أرادوا أن يفهموا ما اعتنقوه جديدا على محتوئها، وعلى مقتضى منطقها وتفكيرها، ومن ثم ظهرت الخلافات الكامنة، التى أوضحت أنهم اتفقوا فى الاسم، واختلفوا فى المسمى، تمسكوا بالانتساب إليه من غير أن يتفقوا على شىء فى حقيقته (٤).

**احتدام الجدل:** ظل الجدل قائما بين «طائفة الأرثوذكس وبين اليعاقبة الذين

(١) نفس المصدر، وانظر أيضا الأب نعمة الله العنداري:سلاحك أيها المسيحى ص ١٦٩،١٧٠ ط لبنان ١٩٢٩م.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الشيخ محمد أبو زهرة:محاضرات فى النصرانية ص ١٤٦ ،وانظر:زكى شنوده تاريخ الأقباط جـ ١ ص ١٤١ ،سنة ١٩٦٢م.

(٤) انظر محاضرات فى النصرانية ص ١٤٦،١٤٧ وانظر أيضا:برتراند رسل فى كتابه:عن تاريخ الفلسفة الغربية نقلا عن فتحى عثمان:مع المسيح فى الأناجيل الأربعة ص ٤٢٠ ـ ٤٢٢ .وليون جوتييه:المدخل إلى الفلسفة الإسلامية ترجمة د / محمد يوسف موسى نقلا عن:فتحى عثمان:مع المسيح فى الأناجيل الأربعة ص ٤٢٢ ـ ٤٢٣ .

ازدهروا بوجه خاص فى مصر والشام والبلاد الخارجية عن نطاق الأمبراطورية البيزنطية، فى الوقت الذى سعى فيه هرقل لإصلاح ذات البين عن طريق المذهب القائل بأن للمسيح مشيئة واحدة..ففى الوقت الذى نجد هذا المذهب يعترف بوجود طبيعتين إذ به يتمسك بوحدة الأقنوم فى حياة البشرية وذلك بإنكاره وجود نوعين **من الحياة في** أقنوم واحد، فالمسيح الذى هو ابن الله يحقق الجانب الإنسانى، والجانب الإلهى بقوة إلهية إنسانية واحدة، ومعنى ذلك أنه لا يوجد سوى إرادة واحدة فى الكلمة المتجسدة» (١).

**اتهام هرقل بالإلحاد:**

كان كل من يتكلم فى المسيح ـ عليه السلام ـ ويقول بأن له مشيئة واحدة، أو له طبيعتان مختلفتان يتهم بالمروق والخروج على الدين،ولما كان هرقل يدعو لمثل هذا فقد «لقى المصير الذى انتهى إليه كثيرون جدا ممن كانوا يأملون أن يقيموا دعائم السلام.ذلك أن الجدل لم يحتدم مرة أخرى كأعنف ما يكون الاحتدام فحسب، بل إن هرقل قد وصم بالإلحاد، وجر على نفسه سخط الطائفتين على السواء» (٢).

**رعايا البيزنطيين يرحبون بالعرب:**

كان من نتيجة هذا الموقف الذى اتخذته الدولة الرومانية بقيادة هرقل، وتدخلها فى العبادة واجبارها رعاياها بأن يعتقدوا فى المسيح ـ عليه السلام ـ بمشيئة واحدة هذا التصرف من «الامبراطور قد بلغ من المرارة مبلغا لا يبرره الاعتقاد بأنه حتى السواد الأعظم من الأرثوذكس من رعايا الدولة البيزنطية الذين كانوا يقيمون فى البلاد المفتوحة فى عهد هذا الامبراطور هم الذين رحبوا بالعرب، وقد نظروا إلى الامبراطور نظرة الكراهية باعتباره خارجا على الدين، وكانوا يخشون أن يأخذ فى اضطهادهم، وارغامهم على القول بوحدة مشيئة المسيح، (٣) ومن الممكن أن نحكم على أن مثل هذه المخاوف لم يكن لها أساس على الإطلاق مما أظهره الأمبرطور من تصرفات تنطوى على التعصب إزاء كثير من أفراد الطائفة اليعقوبية، وذلك فى أثناء تقدمه فى بلاد الشام بعد أن أحل الهزيمة بالفرس (سنة ٦٢٧م) (٤).

---

(١) توماس أرنولد:الدعوة إلى الإسلام ص ٧١ .
(٢) المصدر السابق ص ٧٢، وانظر مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى. ص ١٦٠ ـ ١٦٤ .
(٣) أرنولد:الدعوى إلى الإسلام صـ ٧٢ .
(٤) المصدر السابق ص ٧٢ هامش ٢ .

كذلك اعترض اليعاقبة على مسائل المجمع التى أعلنها، ورفضتها كنيسة الإسكندرية فأدى بها الحال إلى الانشقاق.

**المبحث الرابع: انشقاق المسيحية المثلثة**

ظهر اختلاف طوائف النصارى حول طبيعة المسيح ـ عليه السلام ـ وتضاربهم من هذه الصورة فبينا يرى المجمع «أن للمسيح طبيعتان، إحداهما :إنسانية يشارك فيها الناس، والأخرى لاهوتيه وأقنوم الابن مكون من الطبيعتين» (١).

إذ به يخالف النسطوريين القائلين :بأن أقنوم الإبن لم يكن من العنصرين بل من العنصر الإنسانى وحده (٢).

فى الوقت الذى يخالف ما أقره مجمع أفسس الثانى القائل :بأن للمسيح طبيعة واحدة تجسد فيها العنصر اللاهوتى من الروح القدس ومن مريم العذراء فصيّرا هذا الجسد معه واحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط، والاستحالة بريئة من الانفصال، وبهذا الاتحاد صار الابن المتحسد طبيعة واحدة من طبيعتين،ومشيئة واحدة من مشيئتين، وقد بدت آثار ذلك كله سريعة واضحة (٣).

فانشقت بذلك المسيحية إلى ثلاثة:

١ ـ «انشقاق الأديرة» *

٢ ـ «الانشقاق الدوناني، نسبة إلى دونانس، وهو زعيم شيعة مسيحية أفريقية ظهرت فى القرنين الرابع والخامس،وكانت تعارض أى نقص فى احترام الشهداء، وتطالب باعادة تعميد من ينضمون إليها من اتباع الكنيسة الكاثولكية» (٤)

٣ ـ «والإلحاد الأريوسى ـ كما أطلقوا عليه ـ نسبة إلى آريوس الإسكندرى المتوفى عام

---

(١) الشيخ محمد أبو زهرة:محاضرات فى النصرانية ص ١٦٦ .

(٢، ٣) انظر المصدر السابق ص ١٦٦ .

* وتتمثل فى انقطاع البعض منهم عن الحياة العامة، وعدم المشاركة فى خدمة المجتمع، وعدم التعاون مع أجهزة الدولة، وعدم الانصياع لاوأمرها، وخاصة الدينية، ومن ثم آثروا العيش فى الصحراء بين الأديرة والكهوف يصبون جام غضبهم على قرارات خلقيدونية ومن يتبعها، وفى نفس الوقت كان البعض الآخر يجاهد فى سبيل إثبات بشرية المسيح ـ كآريوس وأتباعه ومن ثم كان كل دير يتبع مذهبا خاصا به، لاعنا ما عداه واثقا أنه على الحق، وغيره على الباطل.

(٤) الشيخ محمد أبو زهرة:محاضرات فى النصرانية ص ١٦٦ .

(٣٣٦م) والذى ينكر ألوهية المسيح [١] ـ عليه السلام ـ.

**أخطر هذه الانشقاقات:**

كان أكثر هذه التشققات وأبعدها أثرا آراء آريوس التى اهتزت لها الدوائر الكنسية خاصة كنيسة الإسكندرية فشعرت تجاهها بأنها «أخطر حركة الحادية فى تاريخ الكنيسة، ذلك أن قسا مصريا تقدم إلى أسقفه حوالى عام (٣١٨م) بآراء غريبة عن طبيعة المسيح» [٢] وحاجه الأسقف فرد عليه قائلا:«إن المسيح لم يكن هو والخالق شيئا واحداً، بل الكلمة أول الكائنات التى خلقها الله وأسماها، واحتج الأسقف الكسندر على هذا القول، ولكن آريوس أصر عليه، وقال:إنه إذا كان الابن من نسل الآب، فلابد أن تكون ولادته قد حدثت فى زمن، وعلى هذا لا يمكن أن يكون الابن متفقا مع وجود الآب فى الزمن، يضاف إلى هذا أنه إذا كان المسيح قد خلق فلابد أن يكون خلقه من لا شيء، أى من غير مادة الآب، لأن المسيح والآب ليسا من مادة واحدة.وقد ولد الروح القدس من الكلمة، وهو أقل ألوهية من الكلمة نفسها..»[٣] كما قام آريوس «الأسقف الإسكندرى» يعلم الناس أن ابن الله هو فقط بكر الخلائق وأرقاها، وأرفعها مقاما، وليس أزليا، كما أن الآب أزلى، ففى البدء كان الله وحده بدون الكلمة، ثم كان إلها بكلمته، وهو يقول:«حتى إن دعى الله فهو ليس إلها حقا، ولكنه فقط شريك فى نعمة فقط شأنه شأن الآخرين» [٤].

وبهذا المنطق التوحيدى أفحم آريوس خصمه، وأظهر شخصية المؤمن الذى يعتد بعقيدته الصحيحة، ويدافع عنها مهما كلفته، وقد قامت قيامة الكنيسة على آريوس [٥] وأتباعه ولم

---

(١) الشيخ محمد أبو زهرة محاضرات فى النصرانية صـ ١٦٦ .

(٢) وول ديورانت:قصة الحضارة جـ ١ المجلد الرابع ص ٣٩٠ هامش، وانظر:زكى شنوده:تاريخ الأقباط جـ ١ ص ١٤٩ وما بعدها وفى هذا رد على العقاد الذى لم يتكلم عن عقيدة آريوس، وانتشارها، وكثرة اتباعها،حتى فشى مذهبه، وأصبح خطرا يتهدد الكنيسة، كما لم يذكر أن آريوس كان يعمل أصلا فى كنيسة الاسكندرية وأنه مصرى الأصل، وإنما اكتفى بقوله:«وأرسلوا أى رؤساء مجمع نيقية ـ آريوس إلى الإسكندرية بأمر الامبراطور فقاطعه الشعب المصرى، وأوصد فى وجهه أبواب كنائسه «راجع عمرو بن العاص ص ١٣٧ .

(٣) ول ديورانت:قصة الحضارة جـ ١ ص ٣٩٢ .

(٤) فتحى عثمان:مع المسيح فى الأناجيل الأربعة ص ٤٣٢ .

(٥) **ولد آريوس في ليبية** القيروان بأفريقا سنة ٢٧٠م ودخل فى شبابه المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية، ثم رسمه البابا بطرس بطريك الإسكندرية شماسا سنة ٣٠٧م، ثم قسا وواعظا، وكان ذكيا فصيحا قوى =

يهدأ لها بال، ولم يقر لها قرار حتى سدت الطرق والمنافذ أمام الموحدين، فأحرقت كتبهم، وشلت حركتهم، وطاردتهم فى كل مكان..فهل ماتت عقيدة آريوس؟

## المبحث الخامس: موقف الكنائس من الموحدين:

### انتشار مذهب آريوس:

### مقدمة:

لم تمت عقيدة آريوس بل انتشرت، وزاد من انتشارها، الاجراءات التى اتخذتها الكنيسة ضد آريوس فقد ارتاع الأسقف الكسندر عند سماعه قول آريوس فدعا: «الأساقفة المصريين إلى الاجتماع، واقنع أعضاءه بأن يحكموا بتجريد آريوس وأتباعه، وأبلغ الإجراءات التى اتخذها المجلس إلى سائر الأساقفة، فاعترض عليها بعضهم وأظهر بعض القساوسة عطفا على آريوس، واختلفت آراء رجال الدين، والدنيا فى الولايات الأسيوية فى هذه المشكلة، وترددت فى المدائن أصداء الضجيج والاضطراب..حتى كان الدين المسيحى كما يقول يوسيوس: «موضوع السخرية الدنسة من الوثنيين حتى فى دور التمثيل نفسها»[١].

### موقف الكنائس:

وأصبحت الكنائس أمام أمرين أحلاهما مُر:

**الأمر الأول:** يتمثل فى الخارجين عليها، المتمسكين بوحدانية الله، والرافضين مساواة المسيح ـ عليه السلام ـ بالخالق سبحانه، فأطلقت عليهم ملحدين، ولما كان آريوس على رأس هؤلاء وسَمَّوه: بالإلحاد الآريوسى.

**الأمر الآخر:** يتمثل فى قوم تمسكوا بقانون التثليث، ولكنهم انقسموا على أنفسهم إلى: ١ ـ أرثوذكس[٢] ـ ٢ ـ كاثوليك[٣] ٣ ـ برتوستانت[٤]، والتقسيم الأخير لا أود

---

=الحجة جريئا فى الحق واسع الحيلة، بالغ الأدب أخذ على نفسه، مقاومة كنيسة الإسكندرية فيما تبثه بين المسيحيين من ألوهية المسيح، وتدعو إليه فقام هو محاربا ذلك مقرّاً بوحدانية الله منكرا ما جاء فى المجامع مما يوهم تلك الألوهية فطاردته الكنيسة وأحرقت كتبه..راجع زكى شنوده تاريخ الأقباط جـ ١ ص ١٥٠ وما بعدها، ومحاضرات فى النصرانية ص ١٤٧ .

(١) ول ديورانت: قصة الحضارة جـ ١ ص ٣٩٣ .

(٢) أرثوذكس: كلمة يونانية أصل معناها: الرأى المستقيم: تطلق على المسيحيين الذين يقولون: بالطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة للمسيح. المعجم الوسيط مادة: أرثوذكس.

(٣) الكاثوليك: اتباع البابا رأس الكنيسة الرومانية، المعجم الوسيط مادة: الكاثوليك.

(٤) البروتستانتية: مذهب مسيحى نشأ عن حركة الاصلاح الدينية التى قادها (لوثر) ويدعو إلى تحرر الفرد =

التعرض له بل سأكتفي بالحديث على الامر الاول وهم الموحدون، الذين سيدور الحديث حولهم، لما بينهم وبين صحابة رسول الله ﷺ من أوجه الشبه، ولأنهم تحملوا اضطهاد الكنيسة وظلمها، وصبروا له، ولأن موطن رئيسهم الأساسي الاسكندرية، فهم ضمن البحث، ومن ثم فهم نواة الموحدين في مصر الذين رأوا في الإسلام أنه دين التوحيد .

أما أوجه الشبه بين آريوس واتباعه، وبين أصحاب رسول الله ﷺ فتتمثل في الآتي:ـ

١ ـ تمسكهم بأن الله منفرد بالوحدانية. ٢ـ صبرهم على أذى قومهم واضطهادهم.

٣ ـ هجرتهم وهروبهم من وجه الظلم، والجبروت .

وأما أوجه الاختلاف فتتمثل في:ـ

١ ـ أن الآريوسية لم يكتب لها البقاء، وإن ظلت عالقة بالأذهان حقبة من الزمن، فقد طاردتها الكنيسة في كل مكان حلت به حتى استأصلتها وأحرقت كتبها.

٢ ـ إن مهاجري الإسلام، لم ينل أحد منهم في مهجرهم بشيء ذي بال.

٣ ـ كادت تعاليم الآريوسية أن تندثر، ولم تجد من يحييها إلا على أيدي أفراد قلائل، وفي أماكن محددة.

٤ ـ أما مهاجري الإسلام فكان حظهم في دعوتهم أرحب، فقد تَرّسَ الله أصحاب محمد ﷺ .بالقوة التي دافعت عن كلمة التوحيد، وأبقت عليها متألقة رغم الكنيسة، ومن ثم تكون نحلة أريوس قد كتب الله لها التجديد والبقاء على يدي رسول الله ﷺ وصحابته الأبرار رضي الله عنهم أجمعين.

**عقيدة آريوس:**

هي باختصار كما ذكرها ابن البطريق:

«أن الآب وحده الله، والابن مخلوق مصنوع، وقد كان الآب إذ لم يكن الابن»[١] وأنه «يؤمن بإله واحد متعال يفوق حد التصور...وهو فريد لا شبيه له، أزلي لا بداية له، لا يموت، صالح، وهو وحده سبحانه ينفرد بهذه الصفات...وعلى ذلك فإن القوة الخالقة من صفات الآب، أعطاها للابن، فأوجد هذا بها المخلوقات، وهذا الوسيط لم يأت من عند الآب

=من سلطان الكنيسة، وجعله مسئولا أمام الله وحده..المعجم الوسيط مادة البروتستنية.

(١) نقلا عن الشيخ محمد أبي زهرة:محاضرات النصرانية ص ١٧٤ .

بأن صور عنه أو انحدر منه، بل خلقه الآب خلقا، فهو إذن غير أزلى، وهو مخلوق مثل باقى المخلوقات، ولا يمتاز عنها إلا بكونه خلق قبلها..وهو ليس مساويا للآب فى الجوهر بل بالعكس، تتغير طبيعته مثل أى مخلوق، وهو كأى مخلوق أيضا قادر على عمل الخير والشر... وعندما جاء ملء الزمان اتخذ ابن الله هذا صورة إنسان، وعلم الحقيقة، وهو بهذا الوصف لا يستحق أن نعبده، بل أن نحترمه، وأن نعترف بجميله» [١].

ومن ثم فعقيدة آريوس على النقيض مما تمسكت به كنيسة الإسكندرية فى القانون الذى وافقت عليه، ودافعت عنه، وأذاعته، والذى جاء فيه عن المسيح ـ عليه السلام ـ، على حد قولها:

«أنه مركب الأقانيم له كل الصفات الإلهية، والبشرية، ولكن هذه المادة التى تحمل هذه الصفات لم تعد ثنائية بل أصبحت وحدة مركبة الأقانيم» [٢] فهى إذن قد أطلقت على المسيح أنه إله، فماذا كان موقف قسطنطين؟

**قسطنطين يؤيد مؤلهي المسيح:**

كان رد السلطة الزمنية تأييد موقف المؤلهين، فقد جاء على لسان ابن البطريق ما يلى: «وضع الملك..مجلسا عظيما...وأخذ خاتمه، وسيفه وقضيبه فدفعه إليهم وقال لهم: قد سلطتكم اليوم على مملكتى، لتصنعوا ما ينبغى لكم أن تصنعوا مما فيه قوام الدين وصلاح المؤمنين، فباركوا الملك، وقلدوه وسيفه، وقالوا له: أظهر دين النصرانية، وذُبَّ عنه، ووضعوا له أربعين كتابا فيها السنن والشرائع: منها ما يصلح لذلك أن يعمله، ويعمل به، ومنها ما يصلح للأساقفة أن يعملوا به» [٣].

وتمخض المجمع عن هذا القانون التالى:

«إن الجامعة المقدسة والكنيسة الرسولية تحرم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجودا فيه، وأنه لم يوجد قبل أن يولد، وأنه وجد من لا شىء، أو من يقول إن الابن وجد من مادة أو جوهر غير جوهر الآب، وكل من يؤمن أنه خلق، أو من يقول إنه قابل للتغيير، ويعتريه ظل دوران» [٤].

---

(١) تاريخ الأقباط جـ ١ ص ١٥٠، ١٥١ .
(٢) نعمة الله العندراى: سلاحك أيها المسيحى ص ١٦٩، ١٧٠ طـ لبنان ١٩٢٩ .
(٣) صاحب كتاب تاريخ الأمة القبطية، نقلا عن محاضرات فى النصرانية ص ١٥١ .
(٤) المصدر السابق.

لقد قرروا إذن ألوهية المسيح، فى أنه قديم، ولا يعتريه تغير ولا تحول، ثم فُرض هذا القانون على المسيحيين.

**موقف كنيسة الإسكندرية:**

هل أيدت هذا القانون أم عارضته؟ من المعلوم أن هذا القانون يخالف ما قال به المسيح ـ عليه السلام ـ،فقد ورد قوله:«رؤساء الأمم يسودونهم، والعظماء يتسلطون عليهم، فلا يكن فيكم هذا»[(١)]

لكن العلماء تسلطوا على اخوانهم المسيحيين لما أعطاهم قسطنطين خاتمه، وسيفه، وقضيبه، وبذلك خالفوا المسيح ـ عليه السلام ـ ليطيعوا قسطنطين[(٢)].

وموقف الاسكندرية يتضح فى مجمع صور، والذى كان يمثل فكرة ألوهية المسيح، ويدعو إليها بطريك الاسكندرية، وانفرد بها من بين البطاركة فى المبالغة فى الدعوة إليها، ولعن كل من يقاومها [(٣)] وكانوا يعنون آريوس وأتباعه ولقد وقع جدال عنيف فى ذلك المجمع بين رئيس كنيسة الإسكندرية وبين المجتمعين وكان من بينهم (أوسابيوس) أسقف نيقومدية وهو من المناصرين لأريوس، فأثار مقالته، وأنكر ألوهية المسيح، واشتد النقاش حتى أدى إلى الاشتباك بالأيدى إلى بطريك الإسكندرية، وعمدت إلى رأسه لإخراج الوثنية منها فضربوه حتى أدموه، وكادوا يقتلوه، ولم يخلصه من أيديهم إلا ابن أخت الملك الذى كان حاضرا ذلك الاجتماع[(٤)].

**دفاع الموحدين عن المسيحية الصحيحة:**

كانت حماسة الموحدين من أهل المسيحية الأولى ظاهرة، ودفاعهم عن عقيدة التوحيد لا يقف طريقها خوف سلطان أو حاكم، كما أن الغالبية من المسيحين كانوا يؤمنون بالله الواحد، أما فكرة تأليه المسيح ففكرة طارئة بثتها نفوس مريضة غافلة، أما الثابت فهو التوحيد دين الرسل جميعا عليهم الصلاة والسلام.﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [(٥)].

---

(١) انجيل متى:الاصحاح العشرين.
(٢) محاضرات فى النصرانية ص ١٥٣ .
(٣) نفس المصدر ص ١٥٥ .
(٤) نقلا عن نفس المصدر السابق ص ١٥٠ ، وانظر زكى شنوده:تاريخ الأقباط ص ١٥٢،١٥٣ .
(٥) الشورى:آية ١٣ .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (١).

وفي الحديث: «إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وأنهم أتتهم الشياطين، فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا...» (٢) فمن الخطأ أن تنضم السلطة الزمنية للمخالفين لعقيدة التوحيد، بينما تعضد التثليث والتأليه لعيسى ـ عليه السلام ـ مع أن الطائفتين تظلهما دولة واحدة لكن الملاحظ أن الذى تولى كبر الدعوة إلى ألوهية المسيح كنيسة الإسكندرية فهى التى حاربت آريوس، وهى التى نادت بلعنه مرتين، كما ظهر أن التثليث الذى اشتملت عليه فلسفة الإسكندرية كان يعلن على ألسنة بطاركتها، وأنهم كانوا يمثلون تلك الفلسفة بآرائهم أكثر من تمثيلهم لمسيحية المسيح ـ عليه السلام ـ (٣). حتى قيل: «إن المسيحية التى نعرفها اليوم هى فى الواقع المسيحية التى حورت وطورت فى مصر... كذلك أخذ الاعتقاد أن لكل شيء كامل ثلاثة نواح عند المصريين، وكان لكل مدينة مصرية ثالوثها، وكان الثالوث السكندرى قبل المسيحية مباشرة هو:

الإله، والحكمة، والكلمة... وانتشرت المسيحية بسرعة بين إغريق الإسكندرية باعتبارها حركة مقاومة وتمرد ضد الرومان.

وكان أول بطريك مسيحى لكرسى الإسكندرية عيّنه: القديس مرقس يهودى الأصل، وتلاه بطاركة إغريق... وعمل الإغريق على تقريب المسيحية من فهم المصريين، فقاموا بدراسات فى سحر الارقام، والمعانى الخفية فى الإنجيل، وتقبل المصريون الدين الجديد بسرعة، ولكن على أساس أن المسيحية تقدم أسماء جديدة للآلهة المعروفة، والمتعارف عليها، كما تحمل بعض التغييرات الأسطورية الأخرى وهكذا حل المسيح فى المسيحية المصرية محل حورس، والعذراء محل إيزيس، والله محل سيرابيس (أوزريس) واعتبر المسيح والعذراء شفيعين عند الله» (٤).

وبهذا التصور الغريب، والبعيد عن الحق تبنت كنيسة الإسكندرية، هذه العقيدة!!

(١) الأنبياء آية ٢٥ .

(٢) صحيح مسلم: للإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى جـ ٨ ص ١٥٨ ـ ١٥٩ طـ التحرير القاهرة ١٣٨٤ هـ، ومسند الإمام أحمد بن حنبل جـ ٤ ص ١٦٢ طـ المكتب الإسلامى «بيروت».

(٣) محاضرات فى النصرانية ص ١٥٥ـ ١٥٧ .

(٤) فريد كامل: الفن فى خدمة الدين: مجلة الطليعة العدد السادس السنة الأولى ١٩٦٥ نقلا عن فتحى عثمان مع المسيح فى الأناجيل الأربعة ص ٤٢٤ ـ ٤٢٥ .

وفرضتها على أتباعها، ولعنت وطردت كل من يخالفها، فكان لابد والحالة هذه من موقف حاسم لهذا المسلك الشائن فقام آريوس وأتباعه يدافعون عن عقيدة التوحيد، وانتشروا فى الأرض يعلنون أن المسيح إنسان، حتى قال ابن البطريق:

«غلبت مقالة آريوس على القسطنطينية، وانطاكية، وبابل، والإسكندرية، **وحتى أسيوط قد علمت أن كنيستها كانت موحدة**»[1].

ويقول عن الإسكندرية ومصر:

«فأما أهل مصر، والإسكندرية فكان أكثرهم آريوسيين، فغلبوا على كنائس مصر والإسكندرية وأخذوها ووثبوا على اثنا سيوس بطريك الإسكندرية ليقتلوه، فهرب منهم واختفى»[2].

**رؤساء الكنائس أكثرهم من الموحدين:**

يتضح لنا مدى انتشار الوحدانية فى مصر على يد هؤلاء الذين كانوا يستمسكون بالتوحيد ويحثون الناس على التشبث به، وكلما ولى أسقف غير موحد ثاروا عليه وهموا بقتله، كما يذكر ابن البطريق فيقول فى ذلك:

«وثب أهل بيت المقدس، ومن كان منهم أريوسيّا على «كورلس» أسقف بيت المقدس ليقتلوه فهرب منهم، فصيروا أراقليوس أسقفا على بيت المقدس وكان أريوسيّا»[3] كما حدث لبطريك الإسكندرية.

ولعل هذا يفسر لنا سر تحول أهل مصر إلى الإسلام دين التوحيد الخالص.

ومن ثم نجد مغالبة قوية بين التوحيد وألوهية المسيح.

الأولى تغالب بالكثرة وقوة الإيمان، وسعة الحيلة، والأخرى بقوة السلطان، وبقايا الوثنية والذين كانوا متأثرين بها، ووجدوا مواءمة بينها وبين ما يألفون، فاتبعوها لقربها مما ألفوا وعرفوا حتى مكنتها التقاليد من نفوسهم ولكن قوة السلطان طمست نور المذهب الأول، إذ احتاطت الكنيسة فجعلت كل الأساقفة فيما بعد من غير الموحدين، واحتاطت لهذا الأمر أشد الاحتياط وأخذ أولئك يسيطرون على قلوب العامة بالرؤى والأحلام والإلهامات يزعمونها، حتى اختفى المذهب الحق فى لجة التاريخ ولم يبد على السطح إلا ألوهية المسيح !![4].

---

(١) نقلا عن محاضرات فى النصرانية ص ١٥٧ .
(٢) نفس المصدر.
(٣) المصدر نفسه ص ١٥٨ .
(٤) محاضرات فى النصرانية ص ١٥٧ .

**موقف كنيسة الإسكندرية من أريوس:**

لم تكن كنيسة الإسكندرية منصفة حين وقفت من أريوس ذلك الموقف فثارت عليه، واضطهدته، وأطلقت على العقيدة الأريوسية التى تؤمن بها وتذيعها، ما يعرف فى تاريخهم بـ «بدعة آريوس» أو هرطقة أريوس، ويصمون كل من يتصف بها بالكفر، والطرد من رحمة الكنيسة [١] ومع ذلك كله فقد أيد آريوس فى عقيدته كثير من الطوائف، كما سارت معه آراء تعضده وتسانده [٢].

فهل كان أريوس أول من نطق بهذا الحق؟ كلا، فلم يكن هو أول من نطق به وأذاعه بين المسيحيين، بل كان معروفا، ومشهورا من قبله كما يقول المسيحيون أنفسهم، جاء فى كتاب تاريخ الأمة القبطية ما نصه:

«الذنب ليس على أريوس، بل على فئات أخرى سبقته فى إيجاد هذه البدع، فأخذوها عنها، ولكن تأثير تلك الفئات لم يكن شديدا كما كان تأثير آريوس الذى جعل الكثيرين ينكرون سر الألوهية، حتى انتشر هذا التعليم وعم»[٣].

**انتشار رأي أريوس وأشياعه في مصر:**

كان لرأى أريوس الذى تمسك به أن المسيح ـ عليه السلام ـ مخلوق، أو مصنوع لله مشايعون كثيرون، «فقد كانت الكنيسة فى أسيوط على هذا الرأى، وعلى رأسها ميليتوس، وكان أنصاره فى الإسكندرية نفسها كثيرين من حيث العدد، أقوياء من حيث المجاهرة بما يعتقدون، كما كان لهذا الرأى مشايعون فى فلسطين ومقدونية، والقسطنطينية»[٤] عندما جاءهم فاتحا وهذا هو السر فى اعتناق الكثير من المصريين للإسلام.

**المؤيدون والمخالفون لأريوس:**

كان من الأمور الذائعة والمنتشرة مذهب عدم تأليه المسيح ـ عليه السلام ـ فقد كان أسقف نيقومدية على مذهب أريوس أيضا، ويعظ على أساسه، كما أن أسقف مقدونية، وفلسطين، وكنيسة أسيوط كل أولئك على رأى آريوس، وكنيسة الإسكندرية وحدها هى التى

---

(١) انظر نعمة الله العندارى: سلاحك أيها المسيحى ص ١٤٥ .

(٢) انظر مطران دورهم: الأشعة اللاهوتية فى مبادىء التعاليم المسيحية ص ٨٨ ـ ٩٢ طـ الثانية القاهرة ١٩١٨ .

(٣) محاضرات فى النصرانية ص ١٤٧ .

(٤) المصدر السابق ص ١٤٨ .

تحاربه، ومن ثم فالخلاف محصور بين آريوس، ومعه أسيوط وفلسطين، ومقدونية وبين بطريرك[١] الإسكندرية، الذى دار بينه وبين آريوس مناقشة حادة، لا بأس من ذكرها هنا لتظهر دعوة الحق من دعوة الباطل، ولعلها كانت دعوة للصلح.

**مجمع المصالحة في الإسكندرية سنة ٣٢٤م:**

أرسل الامبرطور..إلى الإسكندرية، أسقف قرطبة، أوسيوس، ليقوم بدور الوساطة بين آريوس وبطريرك الإسكندرية، لكن المصالحة لم تتم لإصرار بطريرك الإسكندرية على موقفه من آريوس، وتمسك الأخير بمذهبه الذى ذاع أمره، وأصبح خطرا على الكنيسة...فعقد مؤتمر نيقية سنة ثلاثمائة وخمس وعشرين، وحضره الكسندروس بطريرك الإسكندرية، وبصحبته اثناسيوس رئيس شمامسته، وتصدر الامبراطور الاجتماع ثم طلب من آريوس أن يشرح مذهبه فقال:ـ

«إن الابن ليس مساويا للآب فى الأزلية وليس من جوهره.وقد كان الآب فى الأصل وحيدا فأخرج الابن من العدم بإرادته، والآب لا يمكن أن يراه أو يكيفه أحد ولا حتى الابن، لأن الذى له بداية لا يعرف الأزلى، والابن إله لحصوله على لاهوت مكتسب»[٢].

وعندئذ دارت مناقشة حادة بين آريوس، واثناسيوس رئيس شمامسة الإسكندرية جاء فيها:

**آريوس:** إن سليمان الحكيم تكلم بلسان المسيح قائلا:«خلقنى أول طرقة»

**اثناسيوس:** معنى خلقنى هنا:ولدنى..كما ورد فى داود النبى:«أنت أبى وأنا اليوم ولدتك ومن البطن قبل كوكب الصبح ولدتك».

**آريوس:** إن لابن قال:«أبى أعظم منى «فالابن إذن أصغر من الآب ولا يساويه فى الجوهر.

**اثناسيوس:** إن الابن دون الآب لكونه تجسد كما يتضح من نفس الآية، إذ يقول السيد:«لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون لأنى قلت:إنى ماض إلى الأب لأن أبى أعظم منى»...

(١) بطريرك لفظ رومى، وهو لقب على القائم بأمر دين النصرانية ـ ثم اختص بالطائفة اليعقوبية فى عهد الدولة الإسلامية بعد أن كان لا يختص بطائفة معينة بل تارة يكون يعقوبيا، وتارة ملكيا ـ انظر القلقشندى:صبح الأعشى جـ ٥ ص ٤٧٣ .

(٢) انظر:زكى شنوده:تاريخ الأقباط جـ ١ ص ١٥٣ .

**آريوس**: إن المسيح قال: «أعطيت كل سلطان فى السماء، وعلى الأرض «فذكر هنا أنه قال السلطان من أبيه، لأنه أعظم منه، وغير مساو له.

**اثناسيوس**: يعنى أن الابن بولادته الأزلية من الآب قد ملك كل سلطان....

**آريوس**: إن المسيح نسب ذاته لعدم معرفة ساعة الدينونة بقوله لتلاميذه:

«وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفها أحد ولا ملائكة السماوات إلا الآب وحده. «فإذا كان الابن لا يعرف وقت الدينونة فكيف يكون إلها؟».

**اثناسيوس**: إن المسيح قال ذلك لتلاميذه لئلا يسألوه عن هذا الذى لا يجوز لهم أن يطلعوا عليه....

**آريوس**: إن المسيح قال: «أنا لا أقدر أن أصنع بمشيئتى، بل مشيئة من أرسلنى».

وإذن فهو عبد للآب ودونه.

**اثناسيوس**: إن المسيح تكلم فى مواضع كثيرة بحسب كونه إلها صار إنسانا كقوله:

«إن شئت فلتعبر عنى هذه الكأس» وقوله: «إلهى إلهى لماذا تركتنى»،.... وبصفة كونه إلها قال من رآنى فقد رأى الآب» وقال: «أنا فى الآب والآب فى»....

**آريوس**: إن يوحنا قال فى بشارته عن الابن: «كل به كان، وبغيره لم يكن شىء مما كان»

فهذا القول يدل على أن الابن آلة استخدمها الآب لصنع الخلائق، فالابن ليس إلها خالقا.

**اثناسيوس**: إن الآب خلق بالابن، أى بواسطة الابن الخالق، كما يقال بنى الملك المدينة بابنه..»[١].

**من هذه المناقشة يتضح الآتي:**

١ ـ أن آريوس يتحدث بمنطق الحق الواثق من نفسه إذ قال على لسان المسيح ـ عليه السلام ـ «أبى أعظم منى» وقوله: «خلقنى أول طرقة».

ولكن اثناسيوس يتحدث بمنطق الباطل، الذى يحاول صرف اللفظ عن معناه الحقيقى فيفسر معنى «خلقنى» بمعنى «ولدنى».

---

(١) زكى شنوده: تاريخ الأقباط جـ ١ ص ١٥٤ ـ ١٥٦، وانظر: دكتور: رؤوف شلبى: يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ص ٢١٣ ـ ٢١٥ .

٢ ـ يحاول آريوس أن يجر خصمه إلى الحق الصراح، وخصمه يروغ منه، فيقول آريوس على لسان المسيح ـ عليه السلام ـ «أنا لا أقدر أن أصنع مشيئتى بل مشيئة من أرسلنى»

لكن اثناسيوس يرد بغرور: «إن المسيح تكلم فى مواضع كثيرة بحسب أنه إله» «إن شئت فلتعبر عنى هذه الكأس».

لقد كان بين الخصمين بعد ما بين المشرقين، وكان من أبسط قواعد العدالة. أن تترك الفرصة للخصمين للقاءات أخرى، أو تقام لجنة تحكيم تظهر المحق من المبطل، ولكن أُستُبدِلَ بالتحكيم:

الطرد، والنفى، وتحريق كتب آريوس [١] الذى قام يدعو قائلا: ربى الله، والمسيح ـ عليه السلام ـ بشر إنسان، وأعقب المناقشة جو من الفوضى، والانقسامات، ومما زاد الأمور تعقيدا جنوح قسطنطين إلى مذهب القائلين بألوهية يسوع المسيح [٢].

٣ ـ إن آريوس قد انتصر على اثناسيوس، ولو كان العكس لما لجأ الأخير إلى هذه الحجة الضعيفة التى أذاعها ضد خصمه.

**حجة واهية ضد آريوس:**

افتعل بطريرك الإسكندرية حجة داحضة ضد آريوس أذاعها بين الناس، ليصرفهم عنه، ويجد مبررا قويا لطرده، ويقضى على فكرته بغير مناقشة، ولا جدال حتى لا يتسع الخرق على الراقع، وحتى لا يلحن عليه آريوس بالحجة، فلجأ إلى لعنه وطرده من حظيرة الكنيسة محتجا بأن المسيح يبرأ من آريوس ويلعنه برؤية منامية، ومن ذلك قول البطريرك الذى أمر بنفيه: أن السيد المسيح لعن آريوس هذا فاحذروه:

«فأنى رأيت المسيح فى النوم مشقوق الثوب، فقلت له يا سيدى من شق ثوبك؟ فقال لى آريوس، فاحذروا أن تدخلوه معكم».

**المبحث السادس: كنيسة الإسكندرية تحاول ضم آريوس إلى رأيها:**

لما لم ينجح النفى وإعلان الرؤى والأحلام فى القضاء على رأى آريوس،

ولى أمر الكنيسة البطريرك اسكندر فأخذ يعالج المسألة بنوع من الحيلة والصبر، فكتب إلى آريوس وزعماء هذا الرأى يدعوهم إلى رأى كنيسة الإسكندرية، ولكن محاولته لم تنجح

---

(١) تاريخ الأقباط جـ ١ ص ١٥٧ .

(٢) يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ص ٢١٥ .

هى الأخرى، فعقد مجمعا فى كنيسته بالإسكندرية وحكم على آريوس بالحرمان [١]، فلم يخضع لهذا ولم يخنع، وغادر الإسكندرية إلى فلسطين [٢].

**ذيوع عقيدة آريوس:**

انتشرت دعوة آريوس عن الوحدانية، التى جاهر بها، ولقى بسببها ما لقى، فانعقد لذلك مجمع خاص هو مجمع نيقيه الذى تقرر فيه:ألوهية المسيح، وانكار نحلة آريوس، ولكنهم لم يستطيعوا الانتصار عليه، أو القضاء على دعوته، لأن الآراء لا تنتصر بكثرة العدد، بل بقوة الدليل، وقوة تصور العقيدة، وقوة الاقناع بها، وسهولة دخولها إلى العقل، واستساغته لها، ولذلك لم يقض المجمع على فكرة الوحدانية.بل ربما كانت المحاولة للقضاء عليها سببا فى شدة الاستمساك بها، والمبالغة فى المحافظة عليها مما يراد بها [٣].

الموحدون يتقربون إلى قسطنطين:

بدأ نشاط البطارقة الذين لعنوا وطردوا بسبب اعتناقهم رأى آريوس يظهر، ومن ثم اتخذوا الحيلة لذلك، «فتقربوا من قسطنطين وأظهروا له الاقلاع عما كانوا عليه ليعودوا إلى ما كان لهم من مناصب، ويستطيعوا مناصرة فكرتهم، ولينالوا ثقة قسطنطين، ومن طريق هذه الثقة ينفذون إلى نفسه، ويقنعونه هو بالتوحيد، ليستطيع أن يخدمه بسلطانه وقوته، كما خدم ألوهية المسيح، أو على الأقل ليقف موقف الحياد، ويترك الآراء تسير فى مجراها الطبيعى»[٤].

**موقف الموحدين أمام قسطنطين:**

لم يتوان الموحدون عن إعلان الاستمساك بعقيدتهم، وتخطئة الذين أعلنوا ألوهية المسيح، ومعهم فى ذلك الكثرة العظمى من المسيحيين، ومن ثم فقد حاولوا جذب قسطنطين إلى رأيهم بعد أن مات أبوه، فاجتمعوا به، وحسنوا له رأى الموحدين وبينوا له أنه من صميم المسيحية، وأن الذين ناقضوه خالفوا وجه الحق، ولم يكونوا آخذين بتعاليم السيد المسيح التى بشر بها بين الأنام، ولكنه لم يعمل على نصرتهم، ولم يعاونهم فى دعايتهم، مع أن أكثر المسيحيين فى ذلك العصر كانوا موحدين [٥].

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص ١٤٨ .

(٢) نفس المصدر.

(٣) انظر المصدر السابق ص ١٥٥ .

(٤) المصدر السابق.

(٥) محاضرات فى النصرانية ص ١٥٧ وتاريخ الأقباط جـ ١ ص ١٥٩ ـ ١٦٢، ١٧٥ .

**ظهور النسطورية:**

لم تكد الكنائس تنفض يدها من آريوس ونحلته التى كانت تنادى بالتوحيد، حتى ظهرت نحلة أخرى هى النسطورية، التى انتشرت، واتخذت وضعا أقلق المسيحيين وخاصة نصارى الإسكندرية، الذين ظاهروا عقيدة التثليث، ونادوا بألوهية المسيح!!

**فمن يكون نسطور؟ وما عقيدته؟**

«إنه بطريرك القسطنطينية..رأى أن هناك أقنوما وطبيعته، فأقنوم الألوهية من الآب، ونسب إليه، وطبيعة الإنسان، وقد ولدت من مريم، فمريم أم الإنسان وليست أم الإله»[١] أى «إنما هى أم المسيح أما الكلمة فليس لها بداية ولا يمكن أن يتألم أو يموت»[٢].

ومن ثم«فإن مريم لم تلد الإله، وإنما ولدت الإنسان، وأن الله تعالى لم يلد الإنسان..، وهذه الفرقة غالبة على الموصل، والعراق، وفارس وخراسان، وهم منسوبون إلى نسطور»[٣].

**انكاره لألوهية المسيح:**

إذن فنسطور ينكر ألوهية المسيح كما سبق، كذلك ينقل ابن البطريق عن نسطور قوله:

«إن هذا الإنسان الذى يقول إنه المسيح بالمحبة متحد مع الآب، ويقال:إنه الله وابن الله ليس بالحقيقة، ولكن بالموهبة، ويظهر من هذا أن المسيح الذى ظهر بين الناس لم يكن إلها بحال من الأحوال، ولكنه مبارك بما وهبه الله من آيات وتقديس»[٤].

**تعليل...لعقيدة نسطور:**

جاء فى تاريخ الأمة القبطية عن عقيدته:«أما **هرطقة** (*) نسطور هذه فلم تكن كغيرها نشأت عن اختلاف فى عقائد وضعها الآباء والأحبار، بل هى جوهرية تختص بأعظم موضوعات الإيمان والأركان فى الدين المسيحى، ذلك أن نسطور ذهب إلى أن ربنا يسوع المسيح لم يكن إلها فى حد ذاته، بل هو إنسان مملوء من البركة، والنعمة أو هو ملهم من الله

---

(١) ابن حزم:الفصل فى الملل والنحل والأهواء جـ ١ ص ٤٩، ومحاضرات فى النصرانية ص ١٦٤، ونعمة الله العندارى:سلاحك أيها المسيحى ص ١٦٩، ١٧٠ .

(٢) فتحى عثمان:مع المسيح فى الأناجيل الأربعة ص ٤٣٢ .

(٣) ابن حزم:الفصل فى الملل والنحل والأهواء جـ ١ ص ٤٩ .

(٤) نعمة الله العندارى:سلاحك أيها المسيحى ص ١٦٢ طـ لبنان ١٩٢٩م.

(*) وكلمة هرقطة أى بدعة والهراطقة والكفرة كل من هم من غير كاثوليك..فى نظرهم انظر:نعمة الله العندارى ص ١٤٥ .

فلم يرتكب خطيئة وما أتى أمرا إدًا»[١] .

فعلى هذا التعليل «يكون نسطور لا يعتقد بألوهية المسيح وجهر بهذا الرأى وهو رئيس لكنيسة القسطنطينية، ولها مكانتها....»[٢] .

**الاستعداد لطرد نسطور:**

هل يُرضى قول نسطور كل من بطريرك الإسكندرية، وأساقفة انطاكية، ورومة، وبيت المقدس؟ كلا،ومن ثم اتفقوا على عقد مجمع أفسس للنظر فى هذا الرأى..ولم يحضره نسطور لعلمة بما عزموا عليه، وانعقد المجمع، وقرر القانون التالى، كما جاء فى تاريخ ابن البطريق:

«إن مريم العذراء والدة الله، وأن المسيح إله حق، إنسان معروف بطبيعتين متوحد فى الأقنوم»[٣]

وكعادتهم:لعنوا نسطور.

**انتشار النسطورية في الشرق:**لم يخضع نسطور لقرار المجمع، وظل مستمسكا بعقيدته

فـ«نفى إلى مصر.ولم يندرس مذهبه بذلك النفى، بل وجد أرضا صالحة له فى الشرق، فلقد نهضت النسطورية فى نصيبين»[٤] و«تكاثرت...فى المشرق، والعراق، والموصل، والفرات، والجزيرة»[٥] .

**رأي كنيسة الإسكندرية الجديد:**

بعد ذيوع مذهب نسطور فى المشرق وبعد نفيه، واضطهاده، ولعنه..إذ بكنيسة الإسكندرية تخرج على الملأ برأى منطوقه:

«إن للمسيح طبيعة واحدة اجتمع فيها اللاهوت بالناسوت، وانعقد لأجل هذا مجمع أفسس الثانى...ولكن ملكة الرومان وزوجها وجدا خلافا حول مجمع أفسس الثانى فأمرت بعقد مؤتمر فى مدينة خلقيدونية، وكان الاجتماع تحت إشراف زوج الملكة فى شهر أكتوبر سنة

---

(١) الإدّ:بالكسر والتشديد:الداهية مختار الصحاح.
(٢) نعمة الله العنداري:سلاحك أيها المسيحى ص ١٦٢ .
(٣) محمد أبو زهرة:محاضرات فى النصرانية ص ١٦٣ .
(٤) المصدر السابق ص ١٦٣ ،وانظر ابن حزم الفصل فى الملل والنحل والاهواء جـ ١ ص ٤٩.
(٥) المصدر السابق، ومحاضرات فى النصرانية ص ١٦٣ .

إحدى وخمسين وأربعمائة»[١].

**من أسباب انفصال الكنيسة المصرية:**

حدث هَرْج ومَرْج فى مؤتمر خلقيدونية الذى عقد تحت إشراف زوج الملكة، أما ما وقع فترويه صاحبة كتاب الأمة القبطية قالت:«كان أول اقتراح طلبه منه مندبو رومية انسحاب ديسقورس بطريرك الإسكندرية من المجلس.فسأل الرئيس عن الباعث لهذا الانسحاب التى تلجىء المجمع إلى إخراج هذا البطريرك من قاعته؟ فكان اعتراض هؤلاء أن ديسقورس شكل مجمعا دون أن يستأذن الكرسى الرسولى، ويقصدون بالكرسى الرسولى بابا القسطنطينية..فلم يصادق مندبو الحكومة على هذا الرأى السقيم، وقرر المجمع بقاء ديسقورس ولكن على غير كرسى الرياسة، كما كان فى المجمع السابق، لأنها أصبحت فى يد رجال الامبراطورة وقد حدث ضجيج وصخب ومنازعات فى أثناء الاجتماع، مما جعل مندبو الحكومة يصيحون فيهم قائلين بلسان أحدهم:«إنه لا يجدر بالأساقفة وأئمة الدين أن يأتوا بمثل هذه الأعمال الشائنة من صياح وصراخ، وسب وقذف، وضرب ولكم، بل يجب عليهم أن يكونوا قدوة للشعب فى الهدوء وتيسير الأمور على محور الحكمة والسداد، ولذلك نرجوكم أن تستعملوا البرهان بدل المهاترة، والدليل عوضا عن القول الهراء ، وأميلوا آذانكم إلى سماع ما سيتلى عليكم»[٢].

**قرار المجمع:**

انتهى المجمع بعد صخب وأعلن أن للمسيح ـ عليه السلام ـ طبيعتان كما ذكر ابن البطريق وهاك نصه:

«قالوا:إن مريم العذراء ولدت إلهنا، ربنا يسوع المسيح الذى هو مع أبيه فى الطبيعة الإلهية، ومع الناس فى الطبيعة الإنسانية، وشهدوا أن المسيح له طبيعتان، وأقنوم واحد، ووجه واحد ولعنوا نسطور ولعنوا ديسقورس، ومن يقول بمقالته، ونفوه ولعنوا المجمع الثانى الذى بأفسس، وقد نفى ديسقورس إلى فلسطين»[٣].

**السبب المباشر في فصل الكنيسة المصرية عن القسطنطينية نهائيا: وصياغها قانونا خاصا بها:**

قررت الكنيسة المصرية صياغة قانون الإيمان الخاص بها، والذى سارت عليه حتى

(١) محاضرات فى النصرانية ص ١٦٤ باختصار.
(٢) المصدر السابق ص ١٦٥ ، والكرسى الرسولى:أعلى سلطة كهنوتية.
(٣) الشيخ محمد أبو زهرة:محاضرات فى النصرانية ص ١٦٦ ،وانظر:الشيخ عبد الوهاب النجار:قصص الأنبياء=

اليوم، والذى خالفت به كل المجامع التى عقدت لتوحيد كل الكنائس، والذى شقت به عصا الطاعة على الكنائس الأخرى وناصبتها العداء، وجعلت رأيها هو الرأى الصائب، وكل ما عداه خطأ، ومن ثم:

«كان قرار مجمع خليقدونية هو السبب فى انقسام الكنائس أو بعبارة أدق هو السبب فى انفصال الكنيسة المصرية عن الكنيسة الغربية.

## عقيدة الكنيسة المصرية:

لخص صاحب كتاب تاريخ المسيحية فى مصر عقيدة الكنيسة المصرية فقال:

«كنيستنا المستقيمة الرأى التى تسلمت إيمانها من كيرلس، وديسقورس، ومعها الكنائس الحبشية والأرمنية السريانية الأرثوذكسية تعتقد بأن الله ذات واحدة مثلثة الأقانيم أقنوم الآب، وأقنوم الابن، وأقنوم الروح القدس، وأن الأقنوم الثانى أى أقنوم الابن تجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء، فصير هذا الجسد معه واحداً وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط، والامتزاج والاستحالة، بريئة عن الانفصال، وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين ومشيئة واحدة»[١] فالتثليث إذن من غرس كنيسة الإسكندرية.

## ثمرة الخلاف:

أدى موقف الكنيستين:المصرية والقسطنطينية إلى اتساع الهوة والخلف بينهما فكان الانفصال وما زال الخلاف بينهما قائما حتى ولو ظهروا أمام الناس مؤتلفين[٢].

كانت تلك حال الكنيسة فى مصر وحال اتباعها فى فترة وجودهم تحت الحكم الرومانى، وما لاقوه من تجهم وعبوس من الرومان، حتى عندما اعتنقوا دينهم لم يسلموا من العنت فكانت حياتهم سلسلة من القلاقل، والاضطرابات ثم كان انفصال كنيسة الإسكندرية، وموقفها العدائى من باقى الكنائس، وعقدت لنفسها المؤتمرات ضد النحل التى ظهرت تقاوم عقيدتها حتى نجحت فى النهاية أن تستعدى السلطة المدنية ضد مخالفيها فى العقيدة ليخلو لها الجو، فلا يسمع لكلمة التوحيد صوت، لكن كان نجاحها إلى وقت مؤقت إلى مجىء التوحيد على لسان محمد ﷺ وصحابته الكرام من بعده ليجددوا دعوة الموحدين فى الأرض كما سيأتى بيانه فى محله إن شاء الله تعالى.

---

=ص ٤٦٠ ط الثانية ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٣م.

(١) محاضرات فى النصرانية ص ١٦٨، ١٦٩ .

(٢) انظر المصدر السابق ص ١٦٩ .

## المبحث السابع: العوامل التي أدت إلى ظهور طوائف الموحدين:

**تمهيد:**

ترجع العوامل التى أدت إلى ظهور طوائف الموحدين إلى فكرة الإله فى المسيحية المثلثة، والتى سبقت الإشارة إليه.

ولما كانت عقائد النصارى تختلف فيما بينها حول:

شخصية المسيح ـ عليه السلام ـ وخاصة فى: ميلاده، ووفاته، وهل هو نبى أو إله، وهل روح القدس إله أو غير إله، وفائدة اجتماع اللاهوت بالناسوت فى عيسى، وأنه ذو طبيعتين منفصلتين لا طبيعة واحدة، وأن الصلب من صميم المسيحية...الخ

ولما كان الخلاف مستحكما بين المجامع حول هذه العقائد، حتى أن «هذا المجمع يرى أن المسيح له طبيعتان: إحداهما إنسانية، يشارك فيها الناس، والأخرى لاهوتية، وأقنوم الابن مكون من الطبيعتين وهو بذلك يخالف النسطوريين.

لأنهم يقولون: «إن أقنوم الابن لم يكن من العنصرين، بل من العنصر الإنسانى وحده، ويخالف قرار أفسس الثانى الذى يقول: إن المسيح طبيعة واحدة تجسد فيها العنصر اللاهوتى من الروح القدس، ومن مريم العذراء مصيراً هذا الجسد معه واحدا وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط والاستحالة بريئة من الانفصال، وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين ومشيئة واحدة»[١].

أقول لما كانت هذه العقائد كذلك، آثرت البحث فى عقيدة واحدة منها وهى فكرة الإله فى المسيحية المثلثة حيث جعلوه خاضعا للتركيب الانسانى أى أنه شركة بينه وبين ابنه، وبين مريم العذراء وفى هذه التركيبة يتحول الابن إلى طبيعة واحدة من طبيعتين، ومشيئة واحدة، ومن الغريب أنهم يدافعون عن ذلك كله بقولهم إن المسيحية ديانة فوق العقل، أما غيرها من الديانات الأخرى فليست فوق العقل، لأنها اختراع بشرى!!!

ومثل هذا التفكير لم يصب كبد الحقيقة، وإلا فلماذا قامت الخلافات وتشعبت، ولماذا ظهرت طوائف الموحدين؟ الذين كانوا فى مجمع نيقية، كثرة وفى مجمع صور كذلك ماعدا

(١) محاضرات فى النصرانية: ص ١٦٦ .

رئيس كنيسة الإسكندرية فإذا كانوا الكثرة فى المؤتمرات الخاصة والعامة، فلابد أن يكونوا الكثرة فى جمهور المسيحيين، ومن ثم تكون فكرة ألوهية المسيح عارضة، والأصل هو التوحيد، كما يستنبط من المصادر المسيحية نفسها، كما سبق بيانه، وأن قسطنطين كان يشجع المخالفين للتوحيد، وأن كنيسة الإسكندرية كانت موطن الدعاية لألوهية المسيح [(١)] ـ عليه السلام ـ

فهل يحق القول بأن«التثليث الذى اشتملت عليه فلسفة الإسكندرية كان يعلن على ألسنة بطاركتها وأنهم كانوا يمثلون تلك الفلسفة بآرائهم أكثر من تمثيلهم لمسيحية المسيح ـ عليه السلام ـ إن ذلك هو مفتاح التاريخ الصحيح، فمن أراد أن يعرف كيف حالت المسيحية من توحيد إلى تأليه للمسيح فليستعن به»[(٢)].

وقبل الخوض فى الحديث عن طوائف الموحدين، ينبغى أن نقسم عصر المسيحية ـ إلى ثلاثة أقسام :ـ

**القسم الأول:عصر التوحيد:**حتى انعقاد مجمع نيقية، وما بعده بقليل.

إذ غَالَبَ التوحيدُ فيه فكرةَ ألوهية المسيح ردحا غير قصير من الزمن بعد مجمع نيقية.

**القسم الثاني:اختلاط الوثنية بالتوحيد:**

**القسم الثالث:عصر تأليه المسيح:**ويبتدىء من بعد مجمع نيقية بقليل، وبمساندة امبراطورة الرومان فى طمس نور التوحيد، وسط المسيحيين، ومنع الموحدين من نشر عقيدتهم.

أما القسم الأول، وهو عصر التوحيد، فقد كان الغالب فيه وحدانية الله سبحانه[(٣)].ومن الطوائف التى نادت به وحافظت عليه حتى الموت:

الأريوسية، وبولس الشمشاطى، ومقدونيوس، والنسطورية، اليعقوبية، المارونية، وسنتعرض لهذه الطوائف بشىء من التوضيح مع الإيجاز :

**أريـــوس:**ممن ذاع اسمه واشتهر قوله ذكره ابن حزم فى معرض حديثه عن طوائف النصارى فقال:والنصارى فرق منهم أصحاب آريوس، وكان قسيسا بالإسكندرية،ومن قوله:التوحيد المجرد، وأن عيسى ـ عليه السلام ـ عبد مخلوق، وأنه كلمة الله تعالى التى بها خلق السماوات والأرض، فكان فى زمن قسطنطين الأول بانى القسطنطينية، وأول من تنصر

---

(١) المصدر السابق ص ١٥٦ بتصرف.
(٢) محاضرات فى النصرانية ص ١٥٧ .
(٣) المصدر السابق ص ١٨٣ .

من ملوك الروم، وكان على مذهب آريوس»[١] سبق الحديث عن آريوس وطائفته بشيء من التفصيل.

فهل كان قسطنطين هذا على مذهب آريوس؟

مما سبق بيانه يتضح أنه خالف آريوس ومذهبه بل ووقف ضده ثم وجدناه يرد كنائس الأريوسيين إليهم، ويرسل خطابا إلى آريوس، [٢] ويتحدث معه مرة أخرى بلطف وحلم..[٣]

فهل معنى ذلك أنه كان على مذهبه؟ الظاهر أنه تلطف مع آريوس حيث وجد الكثرة معه فأراد ضمهم إليه ليضمن ولاءهم شأن الساسة، وإلا فهو فى النهاية قد سلم للمسيحيين المثلثين الأمر فى شأن مملكته [٤] كما سبق.

ولما فشا أمر آريوس واتباعه أمر قسطنطين بعقد مجمع دينى فى نيقية سنة خمس وعشرين وثلاثمائة ميلادية ضم أساقفة من آسيا، وروما، وأوربا، وكانت نتيجته أن:

«حكم بوحدة الجوهر عند الآب والابن معا، وإدانة آريوس، وإحراق كتاباته، وتحريم اقتنائها، ومن رأى من الأساقفة الانتصار لمذهب آريوس أمر قسطنطين بخلعه ونفيه»[٥].

**بولس الشمشاطي:** من الذين تمسكوا بوحدانية الله سبحانه، وأيدته فى قوله طائفة من الناس صدقوا قوله، واتبعوا رأيه، يقول عنه ابن حزم:

«كان بطريركا بأنطاكية، وكان قوله التوحيد المجرد الصحيح، وأن عيسى عبد الله ورسوله، كأحد أنبياء الله عليهم السلام، خلقه الله تعالى فى بطن مريم من غير ذكر، وأنه إنسان لا إلهية فيه، وكان يقول: لا أدرى ما الكلمة ولا الروح القدس»[٦].

فبولس هذا يقر إقراراً صادقا بوحدانية الله سبحانه، فإذا سئل عما لا يعلم قال: لا أدرى، وهذا هو التفويض فى أمر الغيب، إذ ربما تكون «كلمة روح القدس» هى مثار الشبهات لأنصار ألوهية المسيح حول التوحيد: حتى قال ابن البطريق فى بيان مذهب بولس هذا:

«إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا فى جوهره، وأن ابتداء الابن من مريم،

(١) ول ديورانت: قصة الحضارة جـ ١ ص ٣٩٤،٣٩٣ .
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) راجع لفتحى عثمان: مع المسيح فى الأناجيل الأربعة ص ٤٣٢ .
(٥) راجع للدكتور توفيق الطويل: قصة الاضطهاد الدينى فى المسيحية والإسلام ط ١٣٦٦ هـ ـ ١٩٤٧م.
(٦) ابن حزم: الفصل فى الملل والنحل والأهواء جـ ١ ص ٤٨ ط الثانية، وانظر نعمة الله العندارى: سلاحك أيها المسيحى ص ١٦٩ .

وأنه اصطفى ليكون مخلصا للجوهر الانسى صحبته النعمة الإلهية، وحلت فيه بالمحبة والمشيئة، ولذلك سمى ابن الله، ويقولون:إن الله جوهر واحد، وأقنوم واحد يسمونه بثلاثة أسماء، ولا يؤمنون بالكلمة ولا بروح القدس، وهى مقالة بولس الشمشاطى بطريك إنطاكية وهم البوليقانيون»[١].

وعبارة ابن حزم..وابن البطريق، تؤديان الغرض نفسه تقريبا، فابن حزم عبر عن الجوهر بالرسالة، والنعمة الإلهية التى حلت فيه هى الوحى..،والنبوة جاءت فى عبارة ابن البطريق حكاية لقول بولس وهى عبارة عن المحبة وقد عبر ابن البطريق عن الموحدين بمنطقه وتعبيره[٢].

**مقدونيوس:**

من الذين أنكروا أن يكون روح القدس إلها، وقاوم ما ترمى إليه الكنيسة العامة من فرض الألوهية ودعوة الناس إليها، ومقدنيوس كان:

«بطريركا فى القسطنطينية، بعد ظهور النصرانية أيام قسطنطين بن قسطنطين..وكان من قول مقدنيوس هذا:التوحيد المجرد، وأن عيسى عبد مخلوق إنسان نبى رسول الله كسائر الأنبياء عليهم السلام، وأن عيسى هو روح القدس، وكلمة الله عز وجل، وأن روح القدس والكلمة مخلوقان..»[٣]

ويقول ابن البطريق عن مقدنيوس:

«وفى عشر سنين من ملكه (قسطنطين بن قسطنطين الثانى) صيّر مقدونيوس بطريركا على القسطنطينية وكان يقول:إن روح القدس مخلوقة، وأقام عشر سنين ومات»[٤]

ويعتقد الكنسيون أن إنكار ألوهية الروح القدس وليد مذهب الموحدين، فقد قال صاحب تاريخ الكنيسة:«وقد انبعث من جوف هذه الأرطقة (رأى آريوس) أرطقة أخرى لم تكن أقل مناقضة للثالوث الأقدس فكانت تنكر ألوهية الروح القدس، وكان منشئها مقدنيوس، وهو نصف آريوسى قد اختلس كرسى القسطنطينية واحتجب مدة سنين عديدة تحت رداء

---

(١) نقلا عن محاضرات فى النصرانية ص ١٨١، وراجع:تاريخ الأقباط جـ ١ ص ١٤٧، ١٤٨ .
(٢) محاضرات فى النصرانية ص ١٨١ .
(٣) الفصل فى الملل والنحل والأهواء جـ ١ ص ٤٨ .
(٤) نقلا عن محاضرات فى النصرانية ص ١٨٦، وراجع تاريخ الأقباط جـ ١ ص ١٧٣، ١٧٤ .

المذهب الآريوسى، ولم تكن له شهرة خصوصية فى بهو الأستباسى التى أحدثها الآريوسيون»(١)

**إحياء عقيدة النسطورية مرة أخرى:**

سبق أنها تنسب إلى نسطور بطريرك القسطنطينية، وقد رأى أن مريم «لم تلد الإله، وإنما ولدت الإنسان وأن الله تعالى لم يلد الإنسان» (٢).

فهو «بذلك يرى أن الأقنوم الثانى، وهو الابن لم يتجسد، وتلده مريم، وقد رد عليه كيرلس بطريرك الإسكندرية ويوحنا بطريرك انطاكية فى ذلك الإبان ليعدل عن رأيه فلم يصغ إليهما، ولم يجب طلبهما، فانعقد مجلس أفسس سنة ٤٣١م وقرر لعنه وطرده، وإثبات أن مريم العذراء قد ولدت الإنسان الإلهى»(٣).

**انتشار النسطورية:**

لم يؤثر الطرد أو اللعن فى نسطور ونحلته، بل أحياها «برصوما مطران نصيبين فى عهد قبازبن فيروز ملك فارس،وثبتها فى الشرق، وخاصة أهل فارس، ولذلك تكاثرت النسطورية فى الشرق، وفى العراق، والموصل والجزيرة»(٤).

ويقول صاحب سوسنة سليمان:«إن النسطوريين فى هذا العصر يسمون كلدان وهم يسكنون خاصة فيما بين النهرين، والبلاد المجاورة لهما، ولهم تعاليم كثيرة مختصة بهم، غير أنهم يمتازون عن باقى المذاهب باعتقادهم أن نسطوريوس حرمه مجمع أفسس ظلما..»(٥).
وتكون عقيدة نسطوريوس أو نسطور:«الذى اعتلى كرسى القسطنطينية (٤٥٨م) تقر أن لا تكون العذراء أم الإله، وإنما هى أم المسيح، أما الكلمة فليس لها بداية ولا يمكن أن يتألم أو يموت»(٦).

**اليعقوبية:**وهم أتباع يعقوب البراذعى، وهم الذين يقولون:بأن المسيح ذو طبيعة واحدة، قد امتزج فيه عنصر الإله بعنصر الإنسان، وتكون من الاتحاد طبيعة واحدة جامعة بين

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص ١٨٧ .
(٢) ابن حزم:الملل والنحل والأهواء :جـ ١ ص ٤٩ .
(٣) محاضرات فى النصرانية صـ ١٨٨ ،وانظر:نعمة الله العندارى :سلاحك أيها المسيحى ص ١٦٩ .
(٤) نقلا:عن محاضرات فى النصرانية ص ١٨٩ .
(٥) نقلا عن المصدر السابق ص ١٨٩ .
(٦) فتحى عثمان مع المسيح فى الأناجيل الأربعة ص ٤٣٢ وانظر تاريخ الأقباط جـ ١ ص١٦٢ .

اللاهوت والناسوت، ونسبة ذلك المذهب إلى يعقوب البراذعى لأنه كان من أنشط الدعاة إليه، لا أنه مبتدعه ومنشئه، فقد كان هذا المذهب أسبق منه [١].

**المارونية:**

أتباع يوحنا مارون، وقد اشتهر برأيه الذى دعا إليه فى سنة سبع وستين وستمائة من الميلاد، وكان يقول:بأن المسيح ذو طبيعتين، وذو إرادة أو مشيئة واحدة ومن أجل هذه النحلة الجديدة اجتمع المجمع العام بمدينة القسطنطينية سنة ثمانين وستمائة من الميلاد، وقرر حرمان مارون، ولعنه وتكفيره، وكل من يذهب مذهبه وينتحل نحلته..[٢] كانت هذه الطوائف تؤثر وتتأثر بكنيسة الإسكندرية فكلها واقعة تحت حكم الرومان.

**طوائف أخرى:**

كما وجدت طوائف أخرى، أنكرت ألوهية المسيح – عليه السلام – إلا أنها لم تنل الشهرة كسابقتها لأنها ولدت صغيرة فلم يأبه لها، ولأنها جاءت بعد أت تربعت المسيحية المثلثة على زمام السلطة المدنية.. من هذه الطوائف:

**الخيالية:** وهى التى أنكرت ناسوت المسيح، وقالت:إنه ظهر بصورة إنسان خيالية، وقد كانت فى الجيل الأول للمسيح [٣] – عليه السلام –

**أتباع أبوليناريس:** وكان أسقف اللاذقية، وأنكر وجود النفس العاقلة فى المسيح، وقد كان «فى الجيل الرابع»[٤] وقيل:كان أسقفا «لأودكيا بآسيا الصغرى فى النصف الثانى من القرن الرابع حاول تفهم علاقة اللاهوت والناسوت فى المسيح»[٥].

**سرجيوس:** بطريرك القسطنطينية، وقد أنكر الإرادة البشرية للمسيح حدث هذا فى الجيل السابع[٦].

**العصريون:** وهم أصحاب مبدأ تحوير الدين على ذوق العصر (كالموضة مثلا)[٧]

---

(١) راجع للشيخ محمد أبى زهرة:محاضرات فى النصرانية ص ١٩٠، وقد سبق التعريف بأصل هذه الطائفة بإطناب.
(٢) المصدر السابق ص ١٩١، ١٩٢.
(٣) نعمة الله العندارى:سلاحك أيها المسيحى ص ١٦٩.
(٤) المصدر نفسه، وانظر / تاريخ الأقباط جـ ١ ص ١٧٤.
(٥) فتحى عثمان:مع المسيح فى الأناجيل الأربعة ص ٤٣٢.
(٦) نعمة الله العندارى:سلاحك أيها المسيحى ص ١٦٩.
(٧) المصدر نفسه.

**العقليون:** وهم الذين يحلون كل المعتقدات وفقا للعقل، كما حلها الفلاسفة الوثنيين مثلا[١].

**الأحـــرار:** وهم كما قال نعمة الله العنداري: «كل من يدعى النقد العلمى يحاولون إنكار ألوهية سيدنا يسوع المسيح بسفسطات صبيانهم يطلونها بشىء من الخيال الكاذب ليخدعوا بها السذج»[٢].

**الأبيـونيـون:** قالوا «إن يسوع الذى تألم لم يكن إلهيا وأكثرهم من المسيحيين اليهود فى فلسطين وسوريا. وظلوا طائفة مستقلة عدة قرون»[٣].

**الدوكيـون:** «من دوكى اليونانية بمعنى ظهور قالوا: «إن جسد يسوع البشرى لم يكن جسدا حقيقا ـ حتى لا يقال إن يسوع الإلهى تألم ـ بل كان مجرد ظهور»[٤].

**الدوســـيت:** وثمة مسيحيون آمنوا بلاهوت المسيح، وناسوته، وهم أصحاب نزعة الدوسيت، ولذلك ارتأوا: أن سمعان القيروانى هو الذى صلب عوضا عن المسيح الذى رفع إلى السماء».

وارتأه آخرون تأويلا فلسفيا يذهب إلى:

«أن المسيح الروحانى انفصل عن المسيح النفسانى ليس قبيل الموت وحسب، وإنما منذ بداية الآلام بحيث إن الذى تألم ومات ليس هو المسيح الحقيقى، وإنما شبيه له فقط»[٥]
وهذان الرأيان اللذان ذهبت إليهما طائفة الدوسيت يلتقيان مع قول الله تعالى:
﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[٦].

---

(١) نفس المصدر.
(٢) المصدر السابق ص ١٧٠، وسوف أرد على العندارى، عندما أتناول الحديث من: عصر تأليه المسيح.
(٣) مع المسيح فى الأناجيل الأربعة ص ٤٣٢.
(٤) نفس المصدر.
(٥) فرنسيس فريه: التجسد تعريب لويس أبادير ص ٤٤ نقل عن: مع المسيح فى الأناجيل الأربعة صـ ٤٣٥.
(٦) والآية من سورة النساء: آية ١٥٧، ١٥٨.

### سبب ظهور هذه الطوائف

يرجع سبب ظهور هذه الطوائف، وغيرها فى القديم والحديث إلى شدة اختلاف اتباع الكنيسة حول شخصية المسيح ـ عليه السلام ـ. مما كان له أثر سىء، فى عقول بعض الناس للمسيح ـ عليه السلام ـ ومع أن القرآن زكى المسيح ـ عليه السلام ـ وأمه، وأزال عن العقول غشاوات متراكمة من عصور مظلمة، وحسم المشكلة مع المحافظة على المسيح ـ عليه السلام ـ ومكانته التى تليق به، إلا أن أتباع الكنيسة، مازالوا على موقفهم العدائى للإسلام مما سنوضحه فيما بعد إن شاء الله تعالى، كذلك فإن هناك من الطوائف التى تمتنع عن القول بألوهية المسيح ـ عليه السلام ـ مثل ـ

### طائفة الغنوصية الذين يذهبون إلى:

«أن (يسوع) مجرد إنسان من البشر، وأن ابن الله قد هبط عليه عند تعميده، ثم تركه ساعة العذاب(؟!) وهم فى تأييدهم لهذا الرأى يرجعون إلى النص:«يا إلهى لماذا تركتنى» !! ولابد من الاعتراف بأن المسيحيين قد وجدوا صعوبة فى تفسير هذا النص دائما!! **فالغنوسطيون** *.

رأوا أنه مما لا يجوز(لابن الله) أن يولد، وأن يكون رضيعا، ثم لا يليق به فوق ذلك كله أن يموت على الصليب، وقالوا:إن هذه الأشياء إنما حدثت ليسوع الإنسان لا (لابن الله) السماوى!!»[(١)].

### أوريجين:

من الفلاسفة الذين عاشوا فى الإسكندرية، والتى ظلت منذ نشأتها إلى سقوطها المركز

---

(*) الغنوصية:نزعة من نزعات التوفيق فى مجال الدين، تستهدف صهر معتقدات كان لكل منها قبلا طابعها المتميز الخاص، وكانت قد اختطت مجراها جنباً إلى جنب مع المسيحية الأصلية التى أخذت تتبلور بالتدريج فى الكيسة الكاثوليكية خلال عصورها الأولى، وقد حملت الغنوصية ملامح قوية من المؤتمرات المسيحية... والغنوصية تقول بالثنائية أى باعتبار الخير والشر عنصرين أساسيين فى الوجود....وتأثرت بالغنوصية بعض الفرق اليهودية مثل الاسينيين الذين استبدلوا بفكرة (الإله العادل) (الحكمة الإلهية)...و... الغنوصية مستمدة فى أغلبها من نصوص قبطية وجدت بنجع حمادى، وبعض كتب الحكمة الأخرى، وينقل عن كلمنت الإسكندرى القول:إن الغنوص يعنى:«معرفة من كنا وماذا صرنا، وأين كنا، وإلى أين يلقى بنا، وإلى أين نتعجل المسير والمصير، وأنى يكون الخلاص، ماهو ـ المَوْلد وماهو المبعث» فتحى عثمان:مع المسيح فى الأناجيل الأربعة ص ٤٢٠ هامش ١ .

(١) نقلا عن:مع المسيح فى الأناجيل الأربعة ص ٤٢١ ـ ٤٢٢، وانظر تاريخ الأقباط جـ ١ ص ١٤٤ .

الرئيسى للعلماء الذين يحاولون التوفيق بين مختلف المذاهب...وعلى الرغم من أن أوريجين اعترف به أبا من الآباء إلا أنه فيما بعد ذلك قد اتهم بالخروج على الدين فى أربعة أشياء:

١ ـ فى اعتقاده وجود الأرواح قبل مولد أصحابها وهو رأى أفلاطون.

٢ ـ وفى اعتقاده أن الطبيعة البشرية للمسيح قد كانت قائمة قبل حلوله فى الجسد، وليس الأمر فى ذلك بمقتصر على طبيعته الإلهية.

٣ ـ وفى اعتقاده أن أجسادنا عند البعث ستتحول إلى أجساد أثيرية خالصة.

٤ ـ وفى اعتقاده أن الناس جميعا ـ بل والشياطين كذلك ـ سيصيبها الخلاص ـ فى آخر الأمر [١].

**مقالة اليان وأشياعه:**

ذكر ابن البطريق أن منهم من كان يقول:«لم تحبل به مريم تسعة أشهر، وإنما مر فى بطنها، كما يمر الماء فى الميزاب، لأن الكلمة دخلت فى أذنها، وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعته»[٢].

**الأرمن:**

وهم الذين يعتقدون أن المسيح ذو طبيعة واحدة، ويتحدون مع الكنيسة القبطية فى ذلك الاعتقاد ولكن لهم تقاليد دينية وطقوس كما أن لهم بطاركة خاصة بهم، ولا يندمجون فى كنيسة القبط، ولا فى كنيسة السريان بآسيا [٣].

**المبحث الثامن:** القائلون بعدم تأليه المسيح من المحدثين:

كان لبشرية المسيح ـ عليه السلام ـ فى القديم مؤيدون، وكذلك نجد من المحدثين من يؤكد على هذه البشرية، ففى الحديث نجد كتّابا لهم وزنهم العالمى..ينكرون ألوهية المسيح ـ عليه السلام ـ منهم على سبيل المثال لا الحصر، الفليسوف الإنجليزى برتراند راسل فى كتابه تاريخ الفلسفة العربية يقول:

«...وأخيرا أُرسل الإله الأسمى ابنه ليحل مؤقتا فى جسم (يسوع) الإنسان كى يحرر

---

(١) برتراند راسل:تاريخ الفلسفة الغربية، الترجمة العربية للدكتور زكى نجيب محمود جـ ٢ ص ٣٧ ـ ٤٢ نقلا عن:..مع المسيح فى الأناجيل الأربعة ص ٤٢٢ .

(٢) نقلا عن المصدر السابق.

(٣) انظر:المصدر السابق.

العالم...وكان المذهب المانوى يجمع بين عناصر مسيحية، وعناصر زرادشتية..وقد ساعدت أمثال هذه المذاهب المتوسطة مساعدة كبرى فى تحول المثقفين الذين يتكلمون اليونانية تحولا تدريجيا إلى الدينَ المسيحى..وظلت...المانوية تزدهر..حتى أصبح الحكم «فى أيدى المسيحيين، وبعدئذ انتهى بها الأمر إلى إخفاء عقائدها، وأن يكن قد بقى لهما تأثير تسير عوامله فى الخفاء...»[١].

فلماذا لجأ القوم إلى إخفاء عقيدتهم، وتسيير عواملها فى الخفاء؟

إلا أن تكون قد بعدت عن وحى الله، واخترعت اختراعا...أما الكاتب الآخر فهو:ليون جوتييه فليسوف فرنسى يقول:من أجل الاحتفاظ «لله بالكمال المطلق والبراء من التغيير، وضع بينه وبين العالم وسيطين دونه، وخارجين عنه على نحوٍ ما، داخلين فيه أى تتضمنهما ذاته، صادرين عنه، دونه فى الكمال، ويجعلان ممكنا أن يصدر عن الله العالم الكثير التغير..**أول الوسيطين:العقل، وثانيهما:الروح الإلهية**....

وهكذا لم ينتج التزاوج بين العقيدة اليهودية والفلسفة الإغريقية فلسفة فقط بل دينا أعنى المسيحية التى تشربت كثيرا من الآراء والأفكار الفلسفية عن اليونان! ذلك أن اللاهوت المسيحى مقتبس من نفس المعين الذى استمدت منه الافلاطونية الحديثة، ولذا نجد بينهما مشابهات كثيرة، وإن افترقا فى التفاصيل! فيرتكزان على عقيدة التثليث، والثلاثة أقانيم واحدة فيهما، أول الأقانيم:الله مصدر كل كل كمال ومحى وحدته كل الكمالات ـ فدعاه المسيحيون الآب، والثانى:الابن وهو الكلمة، والثالث:هو دائما الروح القدس.

على أنه يجب أن يلاحظ أن الأقانيم الثلاثة ليست فى نظر المذهب متساوية فى الجوهر والرتبة، بينما هى متساوية عند المسيحية...»[٢].

فنجد رَاسل لا يستبعد تسرب مؤثرات الفلسفة إلى العقيدة المسيحية، وأيضا استنتج ليون جوتييه من علاقَة التزواج بين العقيدة اليهودية والفلسفة الإغريقية ما يسمى دينا أى المسيحية التى تشربت كثيرا من الآراء والأفكار الفلسفية اليونانية.

بل إن **توكارو** يقرر فى دائرة المعارف الفلسفية ٣:٤٩٢ ما يلى:

(١) نقلا عن:فتحى عثمان:مع المسيح فى الأناجيل الأربعة ص ٤٢٠ ـ ٤٢٢ .

(٢) ليون جوتييه:فقرة من كتابه المدخل إلى الفلسفة الإسلامية ترجمة د / محمد يوسف موسى.نقلا عن.. مع المسيح فى الأناجيل الأربعة ص ٤٢٢،٤٢٣ .

«لقد أخذت المسيحية عقيدة الإله الأعظم، ولكنها أضافت إلى ذلك عقيدة الإله الابن الذى يتجسد فى المسيح الإله الإنسان، كما أضافت عقيدة الأفلاطونية الحديثة من الإيمان بروح العالم (الروح القدس) ولهذا ليست المسيحية إن أردنا الدقة دين توحيد»[١].

ويعترف أميل لودفيج ـ قائلا عن المسيح عليه السلام ـ:

«يعد الجميع المعلم الجديد نبيا، ويبدو .. نبيا، ولم يفكر يسوع فى أنه أكثر من نبى، وليس بقليل أن يرى نفسه فى بعض الأحيان دون النبى! ولم يحدث من يسوع ما يخيل به إلى السامع أن له خواطر وآمالا فوق خواطر البشر وآمالهم، وما كان يسوع ليذهب إلى أبعد من ذلك فيدعى أنه المنقذ المنتظر! فإذا ما قال الناس أنه أحد قدماء الأنبياء راقه ذلك، موجها أفكارهم إلى ملكوت السماوات وإذ ما قال إنه ابن الرب كان ذلك محمولا على أنه ابن الرب كجميع الذين يشعرون بانطواء أنفسهم على القوى المبدعة التى يشق منها وجودنا! والآن يجد يسوع كلمة جديدة صالحة للتعبير عن تواضعه بقوله عن نفسه:

إنه ابن الإنسان! وقديما أراد الأنبياء أن يلفتوا الأنظار إلى الهوة الواسعة التى تفصلهم عن الله، فكانوا يسمون أنفسهم بأبناء الإنسان، ومن هؤلاء:دانيال، وحزقيال، اللذان أظهر الرب مخاطبا كل واحد منهما بابن الإنسان، أى بآدمى من ضعيف هالك ولد ليفنى بعد ألم، ولكن مع استعداد لنيل عفو الرب»[٢].

فهذه نصوص من الفهم الحديث غاية فى الصراحة بأن المسيح ـ عليه السلام ـ نبى إنسان، وكان يسره أن يصفه الناس بأنه أحد قدماء الأنبياء..على الرغم مما أشاعته الكنائس وسجلته بأن المسيح ـ إله ـ والدكتور بترسون سمث صاحب الكتاب الذى حقق درجة كبيرة من الرواج الشعبى عن (سيرة المسيح) ـ عليه السلام ـ يقول:

«يعزب عن البال أن التلاميذ قبلوا المسيح فى بادىء الأمر كإنسان، وقد كان هذا هو القصد الإلهى الذى أراده المسيح...على أن العذارء نفسها لم تفكر فى ولدها (كإله) رغم مولده الإعجازى الفريد»[٣].

(١) من خطاب الكردنال كونتج فى جامعة الأزهر ٣١ مارس ١٩٦٥م نقلا عن مع المسيح فى الأناجيل الأربعة ص ٤٢٣ .

(٢) لودفيج :ابن الإنسان ترجمة عادل زعيتر ص ٩٥ نقلا عن:مع المسيح فى الأناجيل الأربعة ص ٤٢٢ .

(٣) دكتور بترسون سمث:حياة يسوع ترجمة حبيب سعيد ص ٢٥، ٢٨، ٣١، ٣٢، ٤٢، ٤٣ نقلا عن مع المسيح فى الأناجيل الأربعة ص ٤٢٨ .

«وقد تربى المسيح كصبي عادى، «وكان يتقدم فى الحكمة والقامة، والنعمة عند الله والناس» .وكانت أمه توجهه وتؤنبه وهو لها مطيع.

ومن حوارى المسيح أنفسهم من أمضى وقتا طويلا وهو لا يؤمن بأن للمسيح شخصية إلهية:

فليبس، ونَثْنَائيل، وبرثلماوس، ومتى، وتوما، ويرى بترسون سمث أن هذا «ليس عيبا فكذا ركبت نفوسهم وطبائعهم..فيلبس يقول:يا سيد أرنا الأب وكفانا، وتوما يرفض الإيمان بالقيامة بشهادة زملائه الرسل»[١] وقد قضى عيسى ـ عليه السلام ـ ثلاث سنوات فى فلسطين..[٢] فما نطق لسانه ـ عليه السلام ـ بأنه إله أو ابن إله، بل يبرأ مما نسب إليه كما ذكر فى سورة المائدة [٣] وكما سيأتى.

**المبحث التاسع:اختلاط الوثنية بالتوحيد:**

**تمهيد:**

كان الاختلاف والشقاق حول شخصية المسيح ـ عليه السلام ـ وتمسك كل فريق برأيه وتعصبه له، وتصويبه، وتخطئة رأى الآخرين مما أذهب ضوء المسيحية المشرق، وضياع تعاليمها السمحة، مما أدى إلى اختلاط الوثنية بالتوحيد على يد:

**أتباع مرقيون:**

الذين كانت لهم آراء كثيرة من بقايا الوثنية، لا تزال رؤوسهم مملوءة بما درسوه، ومن ثم فهموا المسيحية على ضوء ما عرفوا أولا وبما استكن فى تلك الرؤوس من آراء ومعتقدات سابقة...ثانيا.

فدخلت تلك الأوهام على المسيحيين الموحدين وبرزت بينهم كما تبرز رؤوس الشياطين ..فمنهم من يقول:إن هناك آلهة ثلاثة:صالح، وطالح، وعدل بينهم، وهم أتباع مرقيون ولعل هذه النحلة من آثار المجوس، لأنهم هم الذين يقولون:بإله الخير، وإله الشر.

وقال ابن البطريق فى هذه النحلة:

«زعموا أن مرقيون هو رئيس الحواريين، وأنكروا بطرس»فالمنتحلون لهذه النحلة يزعمون

(١) بترسون سمث:حياة يسوع:ترجمة حبيب سعيد ص ١٨٥ ـ ١٨٦ نقلا عن:مع المسيح فى الأناجيل الأربعة ص ٤٢٨ .

(٢) نقلا عن:مع المسيح فى الأناجيل الأربعة ص ٤٢٧ .

(٣) المائدة آية ١١٦، ١١٧ .

أن مرقيون داعيتها، والمنادى بها حوارى عيسى ـ عليه السلام ـ بل كبير الحواريين وشيخهم والمقدم فيهم ورئيسهم [١].

**البربرانية:**

كانت تقول: إن المسيح وأمه إلهان، ولعل هؤلاء هم الذين ذكرهم الله تعالت كلماته فى قوله تعالى مبينا ما يكون بينه سبحانه وتعالى، وبين عيسى ـ عليه السلام ـ يوم القيامة:

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [٢].

«ولعل فريقا منهم كان موجوداً عند نزول القرآن الكريم» [٣].

**مقالة بابليدوس وشعيته:**

كانت تقول كما ذكر ابن البطريق: «إن المسيح من الآب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية» [٤].

وهذا مصرى من أهل الكتاب المعاصرين يقول فى أحد مؤلفاته فى ص ١١:

«ظل الشعب القبطى بعد انتشار المسيحية على أيدى الرومان والبيزنطيين يعبد بحرارة آلهته الفرعونية ويكرم آثار ماضيه التليد، وكان يرفض أن يقدم أى قربان لآلهة اليونان والرومان، كما أنه لم يقبل المسيحية إلا بتحفظ شديد لأنها جاءته من الخارج، وكان الشعب يريد بذلك إقناع نفسه أنه لم يخضع لاحتلال الغزاة ما دام يقاوم شعائرهم وعقائدهم» [٥].

---

(١) راجع للشيخ محمد أبى زهرة: محاضرات فى النصرانية ص ١٨٢، ١٨٣، وللدكتور رؤوف شلبى: يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ص ٢١٣ .

(٢) المائدة: آية ١١٦ ـ ١١٨ .

(٣) راجع لابن حزم: الملل والنحل والأهواء جـ ١ ص ٤٨، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ص ١٢، ومحاضرات فى النصرانية ص ١٨٣ .

(٤) نقلا عن محاضرات فى النصرانية ص ١٨٣ .

(٥) نقلا عن الشيخ: محمد الغزالى: التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ص ١٨٢ طـ الثالثة طـ السعادة القاهرة ١٣٨٤هـ = ١٩٦٥ .

أى أن تأثير المسيحية يكاد يكون مقصورا على آباء الكنيسة، أما الشعب فما زال متعلقا بعبادة آلهته الفرعونية..ثم يقول نفس الكاتب وفى نفس الصفحة.

«ترك مسيحيو مصر ديانة أجدادهم مكرهين (كذا) لأن ديانة الفراعنة، ومعابد الفراعنة، وآلهة الفراعنة كانت تذكرهم بمجد مصر فى مختلف عهودها.

فلا غرابة إذا ظلت معتقداتهم الأولى راسخة فى نفوسهم، رابضة فى قلوبهم، بعد إعتناقهم المسيحية، ونضرب مثلا لهذا التشبث – يعنى تشبث المصريين بوثنيتهم القديمة بعد اعتناقهم المسيحية – من قراءة «السيبناكسار» أى تاريخ القديسين.

يقول – كما ترجم الكاتب من مرجع فرنسى نـ«فى معبد قيصرون الذى شيدته الملكة «كليوبترة» كان يوجد صنم كبير من النحاس اسمه عطارد، وكان يحتفل سنويا بعيده وتقدم له الذبائح، وقد ظلت هذه التقاليد معمولا بها إلى أيام حكومة الأب «اسكندر» أى لمدة تزيد عن ثلثمائة عام فلما نصب «اسكندر» بطريركا قرر تحطيم هذا الصنم.

بيد أن شعب الإسكندرية ثار قائلا:«لقد اعتدنا إحياء هذا الصنم..ولقد تربع على هذا الكرسى اثنا عشر بطريركا.ولم يجرؤ أحد منهم أن يصرفنا عن هذه العادة»[1]، وذلك هو تصرف الأمناء على ديانة نزلت من السماء لتوحيد الله، بإزاء التقاليد الوثنية التى رفض العامة من المصريين أن يدعوها [2] .

وهكذا تختلط الوثنية المسيحية فى نفوس معتنقيها، فلا تجد من يخلصها من ذلك الخلط المشين إلا أفراد قلائل، سرعان ما تواروا عن الأنظار خوف الاضطهاد والنفى.

ومن ثم نجد أهل التوحيد يختفون فى عصر التأليه كما سيأتى.

### المبحث العاشر:

### عصر تأليه المسيح:

يبتدىء ذلك العصر بعد مجمع نيقية الذى عقد سنة ٣٢٥ م، وبعد أن استطاعت السلطة الزمنية طمس نور التوحيد وسط المسيحيين ومنع الموحدين من نشر آرائهم، أو التحدث

---

(١) نقلا عن المصدر نفسه، وقد بحثت عن هذا المرجع الفرنسى فإذا هو:أقباط ومسلمون منذ الفتح العربى إلى عام ١٩٢٢ للدكتور:جاك تاجر:دكتور فى الآداب من جامعة باريس ص ٢٢ وما بعدها.مكتبة الأزهر تحت رقم(٥٨٨٦) .

(٢) انظر التعصب والتسامح ص ١٨٣ .

بها أمام الجماهير، واتخذت لتنفيذ غرضها ذلك طرق ثلاث:-

**الأولى:** التشهير بمن يجهر بكلمة التوحيد، أو يقول إن المسيح بشر، بالطرد، والنفى من رحمة الكنيسة وصب اللعنات عليه، وعلى كل من يقول بمقالته، وقد مر توضيح ذلك.

**الثانية:** تحريق الكتب. إذ المخرج من الاختلافات، والمنازعات العقدية الفيصل فيها الرجوع إلى الأصل، وأعنى به الكتاب المنزل من عند الله، الشرط فيه أن يكون محفوظا لا يعتريه الشك من أى جانب، ولا يتطرق إليه الظن والاحتمال، ليكون ميزانا للحق والباطل، وليكون مقياسا تقاس به الآراء ومرجعا يرجع إليه المختلفون [١].

ولكن الذى حدث أن تعاليم التوحيد طمست: إما بمصادرة كتبها وتحريقها، وإما بنفى المتحمسين لها وذلك كله «بأمر الرومان، والأيدى العابثة المفسدة، كل هذا جعل مصادر المسيحية يعتريها الشك والريب، ومن وراء ذلك نفذت الأهواء، والأساطير إلى القلوب، وأخذت من المسيحية وصميمها من غير أن يعقب معقب بنص قاطع، وكتاب ثابت السند»[٢].

**من أخطاء مجمع نيقية:**

كان من أهم الأخطاء التى نجمت عن مجمع نيقية أمره بتحريق الكتب وتحريم قرائتها، فقد أصدر أمره «بتحريق الكتب التى تخالف رأيه، وتتبعها فى كل مكان، وحث الناس على تحريم قرائتها، فهو بهذا يمنع أن يصل إلى الناس علم بأى أمر من الأمور التى تخالف رأيه، وهو بهذا يحاول التحكم فى القلوب والسيطرة على النفوس بحملها على قراءة ما وافق رأيه، ومنعها منعا باتا جازما من أن تقرأ غيره ويسد عليها منافذ النور للاهتداء إلى ما يخالفه، ولعل المجمع مخطىء فى ذلك التحريم، وآثم فى ذلك التحريق، بل إن المجامع العامة من بعدُ قد خطأته فأعادت إلى حظيرة التقديس كتبا حرمها وأخرجت من البلى كتبا حرقها كما قد حرم كتبا من العهد القديم ولم يعترف بها فاعترفت بها المجامع المسيحية من بعده»[٣].

وكان مما حُرِّم من كتب النصارى المعتبرة لديهم الآن: «رسالة بولس إلى العبرانيين، والرسالة الثانية لبطرس، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا، ورسالة يعقوب، ورسالة يهوذا، ومشاهدات يوحنا، ولكن المجامع من بعدُ أقرتها وأجمعت عليها.

---

(١) انظر: محاضرات فى النصرانية ص ١٨٤ .
(٢) نفس المصدر.
(٣) المصدر السابق ص ١٥٣ .

إذن لم يكن المجمع مصيبا من كل الوجوه، وإن أخطأ فى معرفة الصحيح من الكتب، فآراؤه الأخرى أكثر عرضة للخطأ وأكثر استهدافا للنقد، لعل أشدها صلة بالباطل، وأقربها به رحما، وأدناها إليه هو ما يتعلق بالعقيدة»[١].

ومن ثم كانت كل «نحلة تدعى لا تجد ردّاً لها من نص، وهى تروج لدى العامة لا بقوة الدليل أو النص بل بقوة الداعى، ومقدار لحنه بالحجة الباطلة، والصحيحة ومقدار نشاطه وبيانه وسعة حيلته ودهائه، ودربته على جذب الجماهير»[٢].

**من التقديس إلى التأليه:**

لما كان جمهور المسيحية يقدس المسيح ـ عليه السلام ـ أبلغ تقديس، كانت مهارة الدعاة وقوتهم البيانية متجهة إلى هذه الناحية، وكلما زادوا فى تقديس المسيح زاد كلامهم قبولا لدى العامة ومن ثم انتقلوا من التقديس المعقول إلى الغلو المرذول، فغالوا حتى عدوه إلها !![٣].

**النتيجة المنتظرة:**

أن العقيدة أخذت تنحدر نحو الفساد، والعامة وقعوا بين حبلين قويين، وكل حبل فى يد عصبة من أولى القوة، حبل التوحيد، ومعه العقل، ومعه الأصل، ومعه السيادة للتوحيد، وحبل آخر براق خدع ببريقه أعين العامة وعقولهم هذا الحبل هو حبل التثليث الذى اعتمد على عاملين :ـ

**أحدهما:** عامل الاستهواء الذى جاء من الناحية التى يحبها العامة، ويرضى شهوتهم، وهى ناحية تقديس المسيح ـ عليه السلام ـ، وأخذ يلقى تعاليمه فى النفوس، وقد وضعها فى ذلك اللون الشهى، وذلك الطعم المستساغ[٤].

**ثانيهما:** «عامل السلطان والجاه بتقرب من يقول مقالة تأليه المسيح، وإدانة من ذوى السلطان، وتمكينه من الرقاب، وتغريب من لا يقول هذه المقالة، واضطهاده، وإبعاده عن حظيرة المسيحية، ولعنه وطرده، وتصويره للناس بصورة من لا يقدس المسيح ولا يرجو له وقارا وإجلالا»[٥].

(١) المصدر السابق ص ١٥٣، ١٥٤ .
(٢) محاضرات فى النصرانية ص ١٨٤ .
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر نفسه ص ١٨٤، ١٨٥ .

**الثالثة من الطرق:**

أو الوسائل التى اتخذت لاقصاء لتوحيد:الاضطهاد، الذى صاحبه التعذيب الجسدى الذى قد يفضى إلى الموت، ومن ثم فإن «اضطهاد المخالفين كان صبغة عامة للمسيحية منذ تحولت إلى دولة على يد الامبراطور الوثنى قسطنطين.

ولم يكن اضطهاد أولئك المخالفين عملا فرديا يبدو حينا ويختفى أحيانا، بل كان سياسة ثابتة حاسمة تستهدف إفناء الخصوم ومحو آثارهم محوا.وكانت المذابح العامة والقوانين الصارمة التى توحى بها تدبر وتنفذ بوحشية بالغة.

وليست المسيحية التى أنزلها الله على نبيه عيسى – عليه السلام – هى التى شرعت للنصارى فى العصور الأولى أو الوسطى هذه التعاليم الهمجية المتعطشة إلى السفك والهلاك.فإن المسيحية الحقة تبخرت بعد وفاة عيسى – عليه السلام – بأمد قليل.وقد حاول بعض الأتقياء المنصفين أن يعيدوها إلى أوضاعها الصحيحة – كأريوس وأتباعه – ففشلوا وأبيدوا، وتولى زمام الديانة المشوهة أقوام انقسموا على أنفسهم فى فهم عقيدة التثليث ولعن بعضهم بعضا، ونصبوا المشانق والمحارق، وعانى العالم من تعصبهم وتشفيهم من خصومهم الويل الكبير...»[(١)].

**مقاومة الهرطقة:**

ومن ثم قال نسطوريوس بطريق القسطنطينية للامبراطور قسطنطين فى شأن الموحدين الذين أطلقوا عليهم اسم الملحدين أو الهراطقة:

«أعطنى الدنيا وقد تطهرت من الملحدين، أمنحك نعيم الجنة المقيم»[(٢)].

ولهذا نجد الكنائس تقف ممن وصفتهم بالهراطقة موقف المضطهد فسنت القوانين التى تقضى «بهدم كنائسهم، ومصادرة اجتماعاتهم ونفى كهانهم، وإحراق كتاباتهم، فمن أخفى ما كتب كان الإعدام مصيره....!!» [(٣)].

ثم جاء أوغسطين فأيد مبدأ الاضطهاد بحجة هداية الأجيال المقبلة «وتمشيا مع هذا المنطق سلم أوغسطين بمعاقبة الملحد بالنفى والجلد وفرض الغرامات، ووضع للكنيسة دستورا

(١) التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ص ٩ .
(٢) د / توفيق الطويل:قصة الاضطهاد فى المسيحية والإسلام ص ٥٢ .
(٣) نفس المصدر.

تلتزمه إزاء كل حركة إلحادية فمضت الكنيسة بعد هذا جاهدة فى تحقيق هذا الدستور..!![١].

وكان من تبرير أوغسطين لرأيه قوله:

«إن من دلالات الرفق وشواهد الرحمة، أن يعاقب الملحدون إذ كان هذا العقاب ينقذهم من العذاب الأبدى الذى ينتظره المرتدون عن دينهم القويم، إن الهرطقة توصف فى الكتاب المقدس، وكأنها نوع من الفسق والمروق، وعبادة الأوثان، إنها أسوأ أنواع القتل؛ لأنها قتل للنفوس إنها نوع من التجديف ومن أجل هذا اقتضت العدالة أن ينال أهلها ما يستحقون من عقاب» [٢] !!

ولم ينته أمر الهرطقة عند هذا الحد، وإنما أقيمت لها خصيصا (محاكم التفتيش) فيما بعد بأمر الكنيسة ذاق فيها الموحدون أشد أنواع الاضطهاد، ولا يغيب عن الذهن أن مثل هذه الاضطهادات، إنما هى عدوان على حرية الضمير التى تسعى الإنسانية إلى بلوغه بعد جهاد طويل...

«ولكن..المتزمتين من غلاة المتعصبين يتكلفون بمسلكهم الباغى إزاء خصومهم، بأن يقوضوا هذه الحرية، ويضيعوا على الناس ثمرة هذا الجهاد الطويل..فوق أنهم يسيئون بمسلكهم إلى عقائدهم أكثر مما يسيء إليها المارقون...»! [٣].

إن قيام الحق لا يتطلب البطش بالخصوم وإذلالهم، فإن السيف إذا تولى حماية الباطل فسيظل الباطل باطلا حينا ثم لا يلبث بعده أن يتداعى، وتنكشف حقيقته للعيان..«وجانب الحق فى كل دين كفيل بأن يطيل بين الأمم بقاءه..وليس معنى هذا أن نكف عن دفع الكفر، وحماية الدين، بل حسبنا أن نعمل على نشر مبادئنا بالاقناع والحسنى، وأن نتوخى الحجة فى تأييدها فذاك خير وأبقى..ثم لماذا القهر والكبح والاضطهاد وما إليه بسبيل إذا كان النصر للمذهب الصحيح، والبقاء للحق الوضاح»[٤].

فـ «منذ اللحظة الأولى لظفر الكنيسة بسلطة مدنية ـ فى عهد قسطنطين ـ دخل مبدأ الكبح العام، واستمر عشرة قرون شداد، رسف فيها العقل والقلب فى الأغلال، وعانى من

(١) المصدر السابق ص ٥٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٠، وانظر الشيخ محمد الغزالى:التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ص ٩٣ ـ ٩٥ .

(٣) قصة الاضطهاد فى المسيحية والإسلام ص ٢٣ .

(٤) المصدر السابق ص ٣٠،٣١ .

قسوته اليهود والوثنيين كثيرا..» [١].

حتى أن قسطنطين حاول «أن يضع حداً لشرورهم، فأصدر قانونا يقضى بإحراق كل يهودى يلقى على من اعتنق المسيحية حجرا، وعقاب كل مسيحى تهود..ثم عدل العقاب إلى مصادرة الأملاك، فإن تزوج يهودى بمسيحية أعدم»[٢] .

**هداية الأجيال بالقوة:**

حاول القديس (أوغسطين) فى أوائل القرن الخامس هداية الأجيال بالقوة فماذا فعل؟

«صاغ مبدأ الاضطهاد لهداية الأجيال التالية، وأقامه على أساس الكتاب المقدس مستندا إلى كلمة فاه بها المسيح فى مثل من أمثاله «وأجبروهم على اعتناق دينكم».

وتمشيا مع هذا سلم (أوغسطين) بمعاقبة الملحد بالنفى والجلد، وفرض الغرامات، ووضع للكنيسة دستورا تلتزمه إزاء كل حركة إلحادية...» [٣] .

ومن رأى(أوغسطين)ـ الذى استمده من عقيدة الخلاص، ومن نصوص العهد القديم ـ أن عقاب الملحدين هو من دلالات الرفق بهم وشواهد الرحمة، إذا كان هذا العقاب ينقذهم من العذاب الأبدى الذى ينتظر المرتدين عن المسيحية...» [٤] .

وهكذا «مضت المسيحية تشق طريقها فى الحياة على ركام يعلو مع الزمن من جثث الخصوم ورفات الضحايا كان الوثنى يقول عن المسيحيين فى القرن الأول:

انظروا كيف يحب المسيحيون بعضهم بعضاً!!.

فما انقضت بضعة قرون حتى كان يقول:هل عرفت الدنيا وحوشا كهؤلاء الذين يفترسون كل من خالفهم فى الدين»؟؟!!.

وهكذا يختفى التوحيد فى عصر التأليه، وتعيش مصر هذه المرحلة، فهل نعمت فيها؟ وأظلها الاستقرار بظلاله؟ خاصة بعد أن تولى أمرها المقوقس؟ أو قيرس؟ سنرى ماذا آل إليه أمر مصر فى عهده.

---

(١) قصة الاضطهاد الدينى فى المسيحية والإسلام ص ٤٨، ٤٩ دار الفكر العربى سنة ١٣٧٧هـ / ١٩٤٧م .وانظر السيد أمير على:روح الإسلام جـ ٢ ص ٨٨ ترجمة:أمين محمود الشريف ـ ١٩٦١ .

(٢) قصة الاضطهاد..ص ٤٩ ،وانظر الشيخ محمد الغزالى:التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ص ٩٣ .

(٣) قصة الاضطهاد..ص ٥٩ .

(٤) المصدر السابق ص ٦٠ .

(٥) المصدر السابق ص ٨٢ وانظر:التعصب والتسامح...ص ٩٦ .

## الفصل الثالث

## ولاية «قيرس» أو المقوقس على مصر
## ويضم ستة مباحث :

المبحث الأول: عقيدة المصريين.

المبحث الثاني :وحدانية الله في أقدم النصوص المقدسة

المبحث الثالث :التوحيد على ألسنة أنبياء الله في القرآن.

المبحث الرابع :معاملة المقوقس للمصريين.

المبحث الخامس :صور من ألوان التعذيب والاضطهاد للمصريين في عهد الرومان.

المبحث السادس :ظهور الإسلام في بلاد العرب.

## المبحث الأول: عقيدة المصريين:

### تمهيد

صاحبت المسيحية فى مصر صراعات مختلفة بين طوائفها، ثم استقرت أخيرا على عقيدة التثليث، فكيف تغلب التثليث على التوحيد فى المسيحية؟ ومن أين مصدره؟

من المعلوم أن النصرانية دين أنزل الله له كتابا هو الإنجيل فيه هدى للناس، وأنزل قبلها دين هو اليهودية، وأنزل لها كتابا هو التوراة فيها هدى ونور، وجاء بعدهما كتاب هو خاتم الكتب السماوية القرآن الكريم.

ونصوص التوحيد واضحة كل الوضوح فى التوراة، وآيات التوحيد واضحة فى القرآن، وضوح الشمس فى رابعة النهار، فإذا كان الكتاب السابق على الإنجيل، واللاحق له ينطق كل منهما بالتوحيد فكيف يشذ ما بينهما من كتاب، فلا يقول بالتوحيد وإنما يقول بالتثليث فيتمسك أتباعه به متذرعين أن الإنجيل نطق به!.

هذه مسألة تحتاج إلى تحليل، وبيان وجه الصواب فيها إذ من حق النصرانية كدين أنزله الله، ونزل القرآن بتصديقه، أن تجد من ينافح عنها بين الحين والحين، ويزيح عنها غبار الوثنية عن طريق المناقشة الهادئة لنصل إلى النتيجة الهادفة.

### توضيح لعقيدة المصريين في عهد المقوقس: أو قيرس:

أرسل هرقل «قيرس» حاكما عاما على مصر لتوحيد المذاهب، وجمع شمل المسيحيين تحت مذهب واحد، فقام قيرس بهذا الأمر فماذا وجد؟ لقد وجد المصريين منكبين على عقيدة التثليث: التى صاغتها لهم كنيسة الإسكندرية كما سبق توضيحه، كما وجد القوم قد غالوا فى المسيح غلوّا شديدا. فما حقيقة التثليث؟ وما أسباب غلو النصارى فى المسيح؟ هذان السؤالان مفتاح العلاقة بين المصريين، ومهمة قيرس فى أرض الكنانة [1].

### أما غلو النصارى في عبادتهم لعيسى - عليه السلام - فمن أسبابها:

أن اليهود تغالوا فى تحقير عيسى، واهانته، والكفر به، وزعموا أن المسيح لقيط، وأن أمه بغى أتت به لغير رشدة، ففرطوا كل التفريط، وذهب النصارى إلى أن عيسى إله فى صورة بشر، وأن ميلاده الخارق ينفصل به عن غيره من الأناسى، فغلت النصارى فى تعظيمه، وتقديسه فأفرطوا كل الإفراط، ولما نزل القرآن فى أواخر القرن السابع لميلاد ابن مريم كان مبينا

(١) راجع المبحث الرابع من الفصل الثانى.

تخطئة الفريقين، وناسبا كليهما إلى الغلو القبيح، والشرود عن الحق [١] .

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [٢] .

**أصل التثليث:**

أدخل التثليث على النصرانية إدخالا، فإن هناك طوائف دخلت المسيحية وظلت على معتقداتها وفكرها، كالفلاسفة، والوثنيين، والمصريين...الخ كما سبق بيانه.

وكان للوثنيين المتنصرين دور خطير فى المسيحية، إذ فرضوا عقيدتهم عليها، وأقنعوا بها الجماهير الغافلة بصحتها، وأثاروا الشبه التى اتكأوا عليها فى التضليل، والتأويل، فهدموا بذلك آيات التوحيد القوية البنيان، العالية الأركان، أما كون التثليث، أو الوثنية، دخلت المسيحية وتغلبت عليها فهذا ما يعترف به علماء أوربا بالتفصيل والشواهد إذ يرجعون التثليث إلى أنه مأخوذ عن البراهمة، والبوذيين، وقدماء المصريين، والفرس، واليونان والرومان.

**أما التثليث عند البراهمة:** فيرجع إلى ما جاء فى كتاب الآثار الهندية القديمة المجلد الثالث ص ٣٥ ما ترجمته: «كان عند أكثر الأمم الوثنية البائدة تعاليم دينية جاء فيها القول باللاهوت الثلاثى، أو الثالوثى» [٣] .

وقال **داون** فى كتابه: خرافات التوراة وما يماثلها فى الأديان الأخرى ص ٣٦٦ .

(إذا رجعنا البصر إلى الهند نرى أن أعظم وأشهر عادتهم اللاهوتية هو التثليث، ويسمون هذا التعليم بلغتهم، «ترى مورتى» وهى عبارة مركبة من كلمتين بلغتهم السنسكريتيه، فـ «ترى» معناها: ثلاثة، و«مورتى» ومعناها **هيئات، أو أقانيم**، وهى «برهما، وفشنو وسيفا «ثلاثة أقانيم متحدة لا تنفك عن الوحدة فهى إله واحد بزعمهم» [٤] .

وهؤلاء الثلاثة يرمز إليهم بـ (ا.و.م).

**أما براهما** فيمثل المبادىء والتكوين والخلق، ولا يزال خلاقا إلهيا، وهو الآب،

---

(١) انظر تفسير المنار الشيخ السيد محمد رشيد رضا جـ ٦ ص ٦٧ طـ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٣، وانظر: الشيخ محمد الغزالى: التعصب والتسامح. ص ٩٦ .

(٢) المائدة: آية ٧٧ .

(٣) نقلا عن تفسير المنار جـ ٦ ص ٧٣ .

(٤) نفس المصدر، وراجع تفسير الظلال ص ١٦٤٠ طـ الشروق ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

**وفـــشنـوا** يمثل حفظ الأشياء المكونة من الزوال، وهو الابن، المنبثق والمتحول عن اللاهوتية.

**وسـيـفـا:** هو المهلك والمبيد، والمبدىء والمعيد، أى له التصرف والتحويل فى الكون، وهو: روح القـدس ويدعـونه كـوشنا: الرب المخلص، والروح العظيم الذى ولد منه (فـشنوا) الإله الذى ظهر بالناسوت على الأرض ليخلص الناس [١] .

**الفرق بين ثالوث البراهمة، وثالوث النصاري:**

قام أحد اليسوعيين بالتفرقة بين ثالوث البراهمة، وثالوث النصارى فقال: إن ثالوث البراهمة وأمثالهم نجس، وثالوث النصارى مقدس!، فإذا قال لهم الوثنيون الأمر بالعكس، فارجعوا إلى الأصل ودعوا المبتدع، فبماذا يحجونهم؟ [٢] .

والظاهر أن التوحيد هو أصل عقيدة البراهمة، وأن أول رسول أرسل إليهم وصف لهم الإله بثلاث صفات هى التى تظهر بها حقيقة الألوهية وهى: ـ

أ ـ مابه الخلق والإيجاد.

ب ـ الحفظ والامداد.

جـ ـ التصرف والتغيير فى عالم الكون والفساد.

فلما طال عليهم الأمد، ودبت إليهم الوثنية جعلوا لكل فعل من هذه الأفعال إلها، وجعلوا أسماء الصفات أسماء أقانيم وذوات، ولما كانوا ناقلين بالتواتر كلمة التوحيد وأن الله إله واحد، قالوا:

إن الثلاثة واحد، وكل واحد منها عين الثلاثة. وسرت هذه العقيدة إلى غيرهم من الوثنيين فى الشرق والغرب [٣] .

أما عند البوذيين: فكما عند الهنود ثالوثا مؤلفا من: برهما، وفشنوا، وسيفا، فإن عند البوذيين أيضا ثالوثا، فإنهم يقولون كما جاء فى كتاب أصل الوثنية: لمستر فابر:

«إن بوذه: إله له ثلاثة أقانيم، وكذلك بوذيو (جينست) يقولون: إن (جيفا) مثلث

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر: المصدر نفسه.

(٣) انظر تفسير المنار جـ ٦ ص ٧٣، ٧٤، والبيرونى: الفلسفة الهندية ص ١٢٦ ـ ١٣٠، د. عثمان عبد المنعم عيش: الأديان والمذاهب الشرقية: الفصل الثامن: البرهانية فى طور جديد ص ٥٠ وما بعدها.

الأقانيم .قال:والصينيون يعبدون يوذه ويسمونه (مو) ويقولون:إنه ثلاثة أقانيم كما تقول الهنود. وذكر رمزهم (أ.و.م) [(١)] .

وفى كتاب خرافات التوراة..لداون ص ١٧٢ أن أنصار لاوكومتذا الفليسوف الصينى.. وكان قبل المسيح بأربع سنين وستمائة (٦٠٤) يدعون «شيعة تاوو» ويعبدون إلها مثلث الأقانيم .وأساس فلسفته اللاهوتيه أن «تاوو» وهو العقل الأول الأزلى انبثق منه واحد، ومن الثانى انبثق ثالث، وعن هذا الثالث انبثق كل شىء، وهذا القول بالتولد والانبثاق أدهش العلامة موريس لأن قائله وثنى [(٢)] .

**أما عند قدماء المصريين:**

فيتضح التثليث عندهم كما قال داون فى ص ٤٧٣ من كتابه المشار إليه آنفا:

«وكان قسيسو هيكل منفيس بمصر يعبرون عن الثالوث المقدس للمبتدئين بتعلم الدين بقولهم:إن الأول خلق الثانى، وهما خلقا الثالث، وبذلك تم الثالوث المقدس.وسأل توليو ملك مصر الكاهن تنيشوكى أن يخبره هل كان قبله أحد أعظم منه، وهل يكون بعده أحد أعظم منه؟ فأجابه الكاهن:نعم يوجد من هو أعظم وهو الله قبل كل شىء، ثم الكلمة، ومعهما روح القدس، ولهؤلاء الثلاثة طبيعة واحدة وهم واحد بالذات وعنهم صدرت القوة الأبدية، فاذهب يافانى ياصاحب الحياة القصيرة.قال المؤلف:لا ريب أن تسمية الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس «كلمة» هو من أصل وثني مصري دخل في غيره من الديانات كالمسيحية. و«أبولو» المدفون فى (دهلى) يدعى «الكلمة» وفى علم اللاهوت الإسكندرى الذى كان يعلمه (بلاتو) قبل المسيح بسنين عديدة «الكلمة هى الإله الثانى» ويدعون أيضا ابن الله البكر» [(٣)] .

وفى كتاب عقائد قدماء المصريين لبونيك ص ٤٠٢ قال:

«أغرب عقيدة عم انتشارها في ديانة المصريين هو قولهم:بلاهوت الكلمة، وأن كل شيء صار بواسطتها، وأنها منشقة من الله، وأنها هى الله» [(٤)] وهذه العبارة كالجملة الأولى التى افتتح بها يوحنا إنجيله بلا فرق كبير [(*)] .

---

(١) تفسير المنار جـ ٦ ص ٧٤ .
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر السابق ص ٧٥ .
(*) يوحنا:١ ـ ١ .

و«الذي يظهــر أن الرسل الذين أرسلهم اللــه إلي المصريين وأمـثـالهم من القـائلين بمثل قولهم هـذا كانوا يقولون لهم: إن كـل شيء خلق بكلمة الله، فلمـا طال عليهم الأمـد وسرت إليهم الوثنية ظنوا أن الكلمة ذات تفعل بالإرادة، والاختيار فقالوا ما قالوا.

والحق أنهـا عبـارة عن تعلق إرادة الله الواحـد الأحـد بالشيء الذى يريد خلقـه، ومتى تعلقت إرادته بخلق شيء كان كما أراد» [١] .

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [٢] .

**أما عند الفرس**، وغيرهم من أهل آسيا: فالتثليث فى مفهومهم كما قال هيجين فى كتابه الانكلوسكسون ص ١٦٢: «وكان الفرس يدعون متـروسا الكلمة، والوسيط، ومخلص الفـــرس» أ هـ، وقـال مـثل هذا دونلاب وينصـون، وقـال **داون** فى كـتـابه الذى ذكـر غيـر مـرة: وكـان الفـرس يعـبـدون إلهـا مثلث الأقـانيم مـثل الهنود ويسـمـونهـا: أوزمـرد، ومـترات، وأهرمن: فأوزمرد الخلاق، ومترات: ابن الله المخلص والوسيط، وأهرمن: المهلك» [٣] .

والمشـهـور عن مـجوس الفـرس التثنية دون التثليث، فكانوا يقـولون: بإله مـصـدر النور، والخيـر، وإله مـصـدر الظلمـة والشـر. ونقل عن الكلدانيين، والآشـوريين ، والفـينقـيين الإيمان بالكلمة على أنها ذات تعبد، ويسميها الكلدانيون (ممرار والآشوريون(مردوخ) ويدعون مردوخ ابن الله البكر، وهكذا الأمم يأخذ بعضها عن بعض، وقد قال برتشرد فى ص ٢٨٥ من كتابه خرافات المصريين الوثنيين: لا يخلو شيء من البحوث الدينية المأخوذة عن مصادر شرقية من ذكر أحد أنواع التثليث أو التولد الثلاثى.

إن أديان الغربيين إن لم تكن أعرق فـي الوثنية فهم تلاميذ الشـرقيين فيها، ولا سيـما المصريين منـهم، ولكنهم هم الذين شوهوا الديانة المسيحية الشرقية، فنقلوها من التوحيد الإسرائيلى إلى التثليث الوثنى [٤] .

---

(١) تفسير المنار جـ ٦ ص ٧٥، وراجع تفسير الظلال جـ ٣ ص ١٦٤٠ عن الثالوث المصرى طـ الشروق ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ .

(٢) يس: آية ٨٢ .

(٣) نقلا عن تفسير المنار جـ ٦ ص ٧٥ .

(٤) المصدر السابق ص ٧٦ .

**أما التثليث عند أهل أوربا اليونان والرومان وغيرهم:**

فهو كما جاء في كتاب سكان أوربا الأولين ماترجمته: كان الوثنيون القدماء يعتقدون أن الإله واحد ولكنه ذو ثلاثة أقانيم» [١] .

وفي كتابه ترقي الأفكار الدينية ص ٣٠٧ ملزمة (١) :أن اليونانيين كانوا يقولون :إن الإله مثلث الأقانيم، وإذا شرع قسيسوهم بتقديم الذبائح يرشون المذبح بالماء المقدس ثلاث مرات، ويرشون المجتمعين حول المذبح ثلاث مرات، ويأخذون البخور من المبخرة بثلاثة أصابع، إشارة إلى الثالوث ويعتقدون أن الحكماء قالوا:إنه يجب أن تكون جميع الأشياء المقدسة مثلثة، ولهم اعتناء بهذا العدد في جميع شعائرهم الدينية [٢] . أ .هـ.

ومن ثم فقد «اقتبست الكنيسة بعد دخول نصرانية قسطنطين فيهم هذه الشعائر كلها، ونسخت بها شريعة المسيح التى هى التوراة، ويسمون أنفسهم مع ذلك مسيحيين ويعملون كل شيء باسم المسيح! فهل ظلم أحد من البشر بالافتيات عليه كما ظلم المسيح ـ عليه السلام ـ؟ لالا» [٣] .

وقال فسك في كتابه : الخرافات ومخترعوها ص ٢٠٥ :

«كان الرومان الوثنيون القدماء يؤمنون بالتثليث، ويؤمنون بالله أولا، ثم بالكلمة، ثم بالروح» [٤] .

**والخلاصة** أنه مما سبق يتضح النقل الحرفي بين، التثليث في الأمم السابقة الوثنية وبين ما هو كائن في الثالوث المسيحي والذى اتخذته النصارى عقيدة يقدسونها.مع أنهم نقلوا عن المسيح ـ عليه السلام ـ أنه ما جاء لينقض الناموس ـ شريعة موسى عليه السلام ـ وإنما جاء ليتمها، ولكنهم بدل أن يقتدوا بمثل هذه الأقوال الحكيمة راحوا يبحثون عن «دين جديد لا يتفق مع دين المسيح ـ عليه السلام ـ في عقائده، ولا في أحكامه، ولا في آدابه، وأبعد الناس عن دين المسيح الإفرنج الذين بذلوا الملايين من الدنانير لتنصير البشر كلهم باسم المسيح، وغرضهم من ذلك استعباد جميع البشر بإزالة ملكهم وسلب أموالهم، لتكون جميع لذات

(١) نقلا عن المصدر السابق ص ٧٦ والأقنوم:الجوهر والشخص والأصل ج أقانيم عند المسيحيين العرب للدلالة على الثالوث.المعجم الوسيط مادة:أقنوم.

(٢) نقلا عن نفس المصدر.

(٣) تفسير المنار:السيد محمد رشيد رضا.جـ ٦ ص ٧٦ .

(٤) نقلاً عن تفسير المنار:جـ ٦ ص ٧٦ .

الدنيا وشهواتها وزينتها وعظمتها خالصة لهم، فهل جاء المسيح بعد ذلك، وبهذا أمر أم بضده؟[١] .

**هل المسيح عين الله؟ كلا، وحاشا لله:**

لو كان المسيح ـ عليه السلام ـ عين الآب لكان يعلم كل ما يعلمه الآب، لكنه ـ عليه السلام ـ نفى علم الغيب عن نفسه وهذا موافق لقول الله سبحانه فى القرآن، على لسان خاتم رسله ﷺ ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَيُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ﴾ [٢] .

إنه من غير شك، والثابت المقطوع به أن التثليث دخيل على المسيحية، وألصق بها إلصاقا، لقد كان النبيون ـ عليهم السلام ـ من لدن آدم حتى محمد ﷺ لم تكن دعوتهم إلا إلى رب واحد لا شريك له، ولا ند، ولا ضد، والعهد القديم خير شاهد على ذلك [٣] .

وها هو بيد القوم، وقد ذكر فيه وحدانية الله، بأجلى معانيها، فماذا فيه عن هذه الصفة المقدسة؟

**المبحث الثاني: وحدانية الله في أقدم النصوص المقدسة:**

تحت هذا العنوان كتبت فى بحث [٤] المسيحية الموحدة ما يلى: «إن أقدم مصدر يعتبر صدى ردد بعض ما جاء فى التوراة التى أنزلت ألواحا على موسى ـ عليه السلام ـ وأعنى به العهد القديم، الذى عكف عليه بنو إسرائيل، ثم النصارى.

هذا العهد المتداول [٥] بأيدى القوم يقرر وحدانية الله فى غير لبس، ودون أدنى غموض جاء فيه

«أنا الرب إلهك... لا يكن لك آلهة أخرى أمامى. لا تصنع لك تمثالا منحوتا، ولا صورة ما، مما فى السماء من فوق، وما فى الأرض من تحت، وما فى السماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن، ولا تعبدهن، لأنى أنا الرب إلهك» [٦] .

---

(١) المصدر نفسه جـ ٦ ص ٧٧ .

(٢) الأعراف: آية ١٨٧ وفى متى ٢٤: ٣٦ «فأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلمها أحد ولا ملائكة السماوات إلا الآب وحده».

(٣) الشيخ محمد الغزالى: التعصب والتسامح... ص ٩٧ .

(٤) رسالة قدمها الباحث إلى كلية أصول الدين للحصول على درجة الماجستير ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

(٥) آثرت هذا التعبير، إشارة إلى عدم اعتقادى أنه عين التوراة التى أنزلت على موسى عليه السلام.

(٦) العهد القديم: خروج: ٢٠ ـ ٢، ٣، ٤، ٥ .

«لا تسجد لإله آخر» (١) .

«أنا الرب إلهكم، لا تلتفتوا إلى الأوثان، وآلهة مسبوكة لا تصنعوا لأنفسكم.أنا الرب إلهكم» (٢) .

هذه نصوص تقرر الوحدانية بأجل معانيها.

«لقد قررت فى أجلى بيان، وقطعت سبيل الشرك فلم تترك عذرا إليه، حتى لقد كان الخطاب الوارد فى العهد، المنقول مما توارثه القوم عن التوراة مناسبا لعقليتهم فى بسط الارشاد والتبصير لمنع الشرك وطرق الضلال» (٣) .

بل إن العهد يفصّل الوحدانية تفصيلا على لسان الأنبياء من آدم حتى زكريا ـ عليهم السلام ـ. فنصوص سفر التكوين ليس فيها إلا الله وحده الخالق.سواء فى ذكر السماوات والأرض وأنه وحده خالقها (١) أو خلق آدم من تراب (٢)وخلق حواء لتؤنسه (٣) أو إرسال نوح للعصاة (٤) أو إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ وفيه عدة إصحاحات ناطقة جميعا بوحدانية الله سبحانه وتعالى، وكان إبراهيم يقسم بإله السماء والأرض (٤) .

وفى العهد، خاصا، بلوط ـ عليه السلام ـ بيان بأمر الوحدانية، وحيث الملائكة الذين أُرسلوا إلى قريته لإيقاع الجزاء بعُصَاة من قومه الكافرين على نحو ما جاء فى القرآن الكريم، مشتركا بين إبراهيم ولوط ـ عليهما السلام ـ.

حتى هُلْك امرأة لوط (٥) .

والنص على رسالة إسحاق وارد بالتكوين (٦) .

وفى التكوين أن إسحاق بنى معبدا لعبادة الله وحده، وأخذ يدعو لعبادة الله (٧)، وورد على لسان إسحاق يدعو ليعقوب قائلا:«الله القدير يباركك، ويجعلك مثمرا، ويكثرك فتكون جمهورا من الشعوب، ويعطيك بركة إبراهيم» (٨) .

(١) خروج:٣٤ ـ ١٤ .
(٢) لاويين:١٩ ـ ٣،٤ .
(٣) دكتور على الخطيب:مع عقيدة بنى إسرائيل ص ٤ ،٨ .
(٤) راجع:تكوين:١٢ إلى نهاية الإصحاح ٢٣ كما ورد القسم فى تكوين:٢٤ ـ ٣ .
(٥) تكوين:١٩ ـ ٢٦ .
(٦) تكوين:٢٨ ـ ٣ .
(٧) تكوين:٢٦ ـ ٢٥ .
(٨) تكوين:٢٨ ـ ٤ .

ومن مناجاة يعقوب:«يا إله أبى إبراهيم، وإله أبى إسحاق» [١] .

وفيه يقول يوسف لاخوته أثناء حديثه فى الصفح عنهم:«أنتم قصدتم لى شرا، أما الله فقصد به خيرا» [٢] أى أن الشر الذى قصدتم إليه حوله الله إلى خير.ولا جدال فى أن التوراة ناطقة بإله واحد هو الله صور ذلك القرآن الكريم، ففى سورة طه:﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي ﴾ [٣] .

وفى العهد نصوص كثيرة عن الوحدانية غير ما تقدم أذكر بعضها وأحيل إلى غيرها:

**فمنها**:«أتى عليكم كل الكلام الصالح الذى تكلم به الرب إلهكم عنكم كذلك يجلب عليكم الرب كل الكلام الردىء حتى يبيدكم عن هذه الأرض الصالحة.حينما تتعدون عهد الرب إلهكم الذى أمركم به وتسيرون وتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها يحمى غضب الرب» [٤] .

**ومنها**:«حاشا لنا أن نترك الرب لنعبد آلهة أخرى، لأن إلهنا هو الذى أصعدنا وآباءنا من أرض مصر...فنحن أيضا نعبد الرب لأنه هو إلهنا.فقال يشوع للشعب لا تقدرون أن تعبدوا الرب لأنه إله قدوس وإله غيور هو.لا يغفر ذنوبكم وخطاياكم.وإذا تركتم الرب وعبدتم آلهة غريبة يرجع فيسىء إليكم ويفنيكم بعد أن أحسن إليكم.فقال الشعب ليشوع لا.بل الرب نعبد.فقال يشوع للشعب أنتم شهود على أنفسكم إنكم قد اخترتم لأنفسكم الرب لتعبدوه.فقالوا:نحن شهود فقال الشعب ليشوع:«الرب إلهنا نعبد ولصوته نسمع» [٥] وهكذا استطاع يشوع أن يأخذ عليهم العهد بعبادة الله وحده.كذلك يذكر العهد نصا هاما يصف موسى بالعبودية حيث يقول:«فمات هناك موسى عبد الرب» [٦] وهذا يقطع حتى على بنى إسرائيل أنفسهم الطريق إلى الشرك عن جهالة، وإن كانوا قد وقعوا فيه، فقد انحرفوا إلى الوثنية فكان عهد القضاة في بني إسرائيل من أنصع الأدلة علي التوحيد، ومن ثم عاب عليهم الشرك الذى جرهم فى الوقوع فى أيدى أعدائهم جاء فيه:ـ

---

(١) تكوين:٣٢ ـ ٩ .
(٢) تكوين:٥٠ ـ ٢٤ .
(٣) سورة طه:آية ١٤ .
(٤) يشوع:٢٣ ـ ١٥،١٦ .
(٥) يشوع:٢٤ ـ ١٦ ـ ٢٠ .
(٦) تثنية:٣٤ ـ ٦ .

«ولقضاتهم أيضا لم يسمعوا بل زنوا» (١)، و«..وراء آلهة أخرى وسجدوا لها.حادوا سريعا عن الطريق التى سار بها آباؤهم لسمع وصايا الرب، ...فحمى غضب الرب على إسرائيل وقال من أجل أن هذا الشعب قد تعدوا عهدى الذى أوصيت به آباءهم، ولم يسمعوا لصوتى، فأنا أيضا لا أعود أطرد إنسانا من أمامهم من الأمم الذين تركهم يشوع عند موته» (٢) .

ثم تلا ذلك عهد الملكية فظهر طالوت الذى «تسميه التوراة شاول» (٣) وينص القرآن على أن أول الملوك يسمى طالوتا.﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ (٤) .

**التوحيد على ألسنة أنبياء بني إسرائيل:**

**داود وسليمان:** يقول شاول فى خطبة له لبنى إسرائيل:«حاشالى أن أخطىء إلى الرب فأكف عن الصلوات من أجلكم بل أعلمكم الطريق الصالح المستقيم.إنما اتقوا الرب واعبدوه بالأمانة من كل قلوبكم، بل انظروا فعله الذى عظمه معكم.وإن فعلتم شرًا فإنكم تهلكون أنتم وملككم جميعا» (٥).

**داود:** قال داود لابيجايل:«مبارك الرب إله إسرائيل الذى أرسلك هذا اليوم لاستقبالى، وحى هو الرب إله إسرائيل الذى منعنى من أذيتك» (٦) .

**سليمان:** جاء فى وراثة الملك من سيدنا داود إلى سيدنا سليمان ـ عليهما السلام ـ، ولما قربت أيام وفاة داود أوصى سليمان ابنه قائلا:أنا ذاهب فى طريق الأرض كلها، فتشدد وكن رجلا.احفظ شعائر الرب إلهك إذ تسير فى طرقه وتحفظ فرائضه....» (٧) .

ثم قال سليمان:«أيها الرب إلهى أنت ملكت عبدك داود أبى وأنا فتى صغير لا أعلم الخروج والدخول» (٨) وفى مناجاة أشعياء:«أنت صنعت السماء والأرض».وفى سفر أشعياء أيضا:«يقول الرب ملك إسرائيل، وفاديه رب الجنود.أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيرى» (٩) .

---

(١) قضاة:١ ـ ١٧ .
(٢) قضاة:٢ ـ ٢٠، ٢١ .
(٣) تفسير المنار:السيد محمد رشيد رضا:جـ ٢ ص ٣٧٧ طـ الهيئة المصرية العامة ١٩٧٢م.
(٤) سورة البقرة الآية:٢٤٧ .
(٥) صموئيل أول:١ ـ ٢٣، ٢٤، ٢٥ .
(٦) صموئيل أول:٢٥ ـ ٢٢، ٢٤ .
(٧) الملوك الأول:٢ ـ ١، ٢، ٣ .
(٨) الملوك الأول:٣ ـ ٧ .
(٩) الملوك الثانى:١٩ ـ ١٥، ٢١ .

وفى سفر أرميا تقرأ هذا النص:

«لنخَف الرب إلهنا الذى يعطى المطر المبكر والمتأخر فى وقته» (١) .

وفى حزقيال:« ....إن حزقيال صلى عنهم قائلا:الرب الصالح يكفر عن كل من هيأ قلبه لطلب الله الرب إله آبائه» (٢) .

«اخترت إسرائيل ورفعت يدى لنسله بيت يعقوب وعرفتهم نفسى فى أرض مصر، ورفعت لهم يدى قائلا:«أنا الرب إلهكم» ، «لا تسلكوا فى فرائض آبائكم وتحفظوا أحكامهم ولا تتنجسوا بأصنامهم...أنا الرب إلهكم فاسلكوا فى فرائض، واحفظوا أحكامى واعملوا بها.. فتكون علامة بينى وبينكم لتعلموا أنى أنا الرب إلهكم.أما الرب الإله فحق هو إله حى وملك أبدى.من سخطه ترتعد الأرض ولا تطيق الأمم غضبه»(٣) .

**يونان:** «أنا عبرانى، وأنا خائف من الرب إله السماء الذى صنع البحر والبر» (٤) .

وفى سفر زكريا:« ..الرب باسط السماوات ومؤسس الأرض، وجابل روح الإنسان فى داخله» (٥) .

وفى مزامير داود:«اصغ يا رب إلى صلاتى وانصت إلى صوت تضرعاتى.فى يوم ضيقى أدعوك لأنك تستجيب لى.لا مثل لك بين الآلهة يا رب ولا مثل أعمالك، كل الأمم الذين صنعتهم يأتون ويسجدون أمامك يا رب ويمجدون اسمكَ لأنك عظيم أنت وصانع عجائب أنت الله وحدك» (٦) .

ونختم نصوص الوحدانية كما بدأنا الحديث عنها فى هذا المكان بهذا الحوار الربانى بين الله سبحانه وتعالى، وبين نبيه موسى ـ عليه السلام ـ.ففى العهد:« ..ثم قال الرب لموسى مد يدك وأمسك بذنبها.فمد يده وأمسك به فصارت عصا فى يده.لكى يصدقوا أنه قد ظهر لك الرب إله آبائهم إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب» (٧) .

وهكذا تركنا هذه النصوص الواضحة تفصح عن وحدانية الله فى أقدم نص يعتنقه جم غفير من البشر على هذه الكرة الأرضية، منها ما هو خطاب من الله سبحانه إلى الأنبياء، ومنها

(١) ارميا:٥ ـ٢٣ . (٢) أخبار الأيام الثانى:٣٠ ـ ١٨، ١٩، ٢٣ .
(٣) حزقيال:٣٠ ـ ٥، ٧، ١٨، ١٩، أرميا:١٠ ـ ١٠، ١١، ١٢، ١٣ .
(٤) يونان:١ ـ ١٠ . (٥) زكريا:١٢ ـ ١ .
(٦) المزمور:٨٦ صلوة داود من ٦ ـ ١٠ وانظر المزمور ٨٨، ٨٩ إلى آخرهما.
(٧) خروج:٤ ـ ٥، ٦ .

ما جاء على ألسنتهم أنفسهم فهم صلوات الله عليهم المبلغون عن الله والمسؤولون أمام الله عن تبليغ العقيدة الصحيحة، عقيدة توحيد الله إلى الناس فإذا حدث تغيير أو تبديل نتيجة لهوى فى النفوس، أو انحراف فى القلوب، فهم أول من يتبرؤون من هذا التغيير والتبديل وهوى النفوس.

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ﴾ ؟ (١) .لا أحد.

**وحدانية الله في الإنجيل !!**

أُلحق بالديانة النصرانية كثيرا مما ليس منها، وبالرغم من ذلك بقيت فيها ذبالة (٢) تدل على التوحيد لم يستطع القوم طمسها.

جاء فى إنجيل **يوحنا** قول المسيح ـ عليه السلام ـ «وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى، وحدك، والذى أرسلته يسوع المسيح» (٣) .

فبين أن الله تعالى هو الإله وحده، وأنه هو رسوله، وهذا هو الذى دعا إليه القرآن، وكان يجب أن يكون أساس عقيدتهم، يرد إليه كل ما يوهم خلافه ولو بالتأويل» (٤) .

**وفي مرقس:** أن أحد الكتبة سأل المسيح عن أول الوصايا قال:فأجابه يسوع:أول الوصايا اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا واحد الخ.... ـ ٣٢ فقال له الكاتب جيدا يا معلم بالحق قلت:لأنه واحد وليس آخر سواه...فلما رأى يسوع أنه أجاب بعقل قال له لست بعيداً عن ملكوت السماوات» (٥) .

فعلم من هذا أن التوحيد الخالص هو العقيدة المعقولة التى تؤخذ على ظاهرها بلا تأويل، فإن فرضنا أنه ورد ماينافيها، وجب رده أو إرجاعه إليها.(٦) .

وفى إنجيل **يوحنا:** «الله لم يره أحد قط» (٧) .

«الله لم يره أحد قط» (٨) .

(١) الجاثية:٢٢ .
(٢) الذبالة:الفتيلة التى تسرج.المعجم الوسيط مادة:ذبل.
(٣) يوحنا:١٧ ـ ٣ .
(٤) تفسير المنار جـ ٦ ص ٧٨ .
(٥) مرقس:الفصل الثانى عشر / ٣٢ ـ ٣٤ .
(٦) تفسير المنار جـ ٦ ص ٧٨ .
(٧) الفصل الأول:١٨ .
(٨) الفصل الرابع من رسالة يوحنا الأولى:١٢ .

الله «الذى لم يره إنسان ولا يقدر أن يراه» (١) وقد رأى الناس المسيح، والروح القدس.

وجاء فى **مرقس** أنه قال فى الساعة ويوم القيامة ما نصه:

«فأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلم يعلمهما بها أحد، ولا الملائكة الذين فى السماء، ولا الابـن إلا الآب» (٢) وإليك بعض نصوص من القرآن الكريم، الكتاب الخاتم أثبتها لتبين بجلاء دعوة كل رسول إلى أمته يدعوهم فيها إلى الله وحده لا شريك له.

**المبحث الثالث: التوحيد على ألسنة أنبياء الله عز وجل في القرآن:**

**نستفتحها بنوح عليه السلام:** الذى بلغ دعوة ربه، ولما أصروا واستكبروا، وصموا آذانهم، وغطوا رؤوسهم حتى لا يرونه.

دعـا عليـهـم...﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾ ثم طلب من الله بعد كل المحاولات لاقناعهم باتباع دعوته.أن يهلكهم فـقـال:﴿ . . .رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ (٣) .

**وابراهيم عليه السلام:** يدعو قومه إلى عبادة الله وحده ولكنهم يصرون على عبادة آبائهم حتى أبوه عصاه فبرأ منهم جميعا..﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾(٤) .

**وشعيب عليه السلام:** يحض قومه على التمسك بالعمل إرضاء لله ولكنهم لما أبوا أنذرهم بالعاقبة الوخيمة:﴿ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ (٥) .

**وموسى عليه السلام:** يقول لقومه:﴿ . . . .إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ * فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ (٦) .

(١) الفصل السادس من رسالة بولس الأولى إلى أهل تيموثاوس:١٦ .
(٢) مرقس:الفصل الثالث عشر:٣٢ .
(٣) نوح:٧، ٨ ـ ٢٧ .
(٤) الزخرف:آية ٢٦ .
(٥) هود:آية ٩٣ .
(٦) يونس:آية ٨٤،٨٥ .

**وعيسى عليه السلام:** يبرأ إلى الله، ومفوضا إليه أمره، مما ألحق به - زورا - من إدعاء الألوهية هو وأمه على لسان قومه المكابرين: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) وأكتفى بهذا القدر من أدلة توحيد الله كما جاءت على ألسنة أنبياء الله - عليهم السلام - فى التنزيل العزيز، وأحيل إلى وحدانية الله سبحانه على لسان محمد ﷺ، كما ذكرها القرآن الكريم.

وإذا كان ما قدمناه من نصوص ذكرت فى العهد القديم، هى أقدم النصوص المقدسة التى بأيدى القوم مصدرها التوراة، فإننا يجب أن نسير بنفس المنهج مع آخر كتاب مقدس نزل على البشر.

ولم يسع حتى الكنيسة الكاثوليكية إلا أن تقرّ فى محاضر رسمية بقدسيته، وأنه نزل من عند الله، وأعنى به القرآن الكريم (٢) الذى جاء فيه التوحيد غاية فى الصراحة وأنه فطرة فى الناس منذ الخليقة.

### الوحدانية...، والفطرة:

سبق الحديث عن توحيد الله فى بعض الكتب التى سبق نزولها على القرآن.، ونتناول هنا ما جاء فى القرآن..من توحيد الله متوخين الإيجاز غير المخل، قدر المستطاع.

### الوحدانية في القرآن على لسان محمد ﷺ:

جاءت آيات الوحدانية فى القرآن الكريم، صريحة غايةً فى الصراحة، تأمر محمدا ﷺ، بمخاطبة الذين يزعمون أن مع الله آلهة أخرى. مفندة معتقداتهم، موضحة الوحدانية الحقة. مبرهنة على أنه لو كان هناك آلهة مع الله لاضطرب نظام الوجود كله، للتعارض الظاهر بين

(١) المائدة:آية ١٢٠ - ١٢٦ .

(٢) انظر المسيحية الموحدة للباحث فى كلية أصول الدين جامعة الأزهر.الفصل الأول:١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

قوى هذه الآلهة ــ لو وجدت ــ كما جاء فى التنزيل العزيز:﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا * سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ (١) .

وكما جاء فى التنزيل العزيز:﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (٢) .

كما أن رب العالمين يؤكد هذا الأمر تأكيدا لا يشوبه كُدر، بل يتسم مع ذوى الألباب والأفهام المعتدلة فيقول سبحانه:﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٣).

فالله جل جلاله واحد فى ذاته لا مثيل له، واحد فى صفاته لا شبيه له، واحد فى أفعاله لا شريك له فوحدانية الله سبحانه، وانفراد ذاته بغير مبدأ قرره القرآن:﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ (٤) .

كما قال جل ذكره:

﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ ﴾(٥) .

وقوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا * لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٦) * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا * وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ (٧) .

ولم يرفع الله سبحانه وتعالى أحدا من خلقه فوق مقام العبودية، وسوى بينهم فيها.

﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا * لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ

---

(١) الإسراء / آية ٤٢، ٤٣ .
(٢) الأنبياء:من الآية ٢٢ .
(٣) المؤمنون:آية ٩١، ٩٢ .
(٤) سورة الإخلاص.
(٥) الأنعام:من الآية ١٠١ .
(٦) الأدّ والأدّ:العظيم المنكر، ومنه أدّنى الأمر وآدنى أى ثقل على وعظم، أى لقد أتيتم إثما عظيما تكاد السماوات تتفطرن منه، وتنشق الجبال، وتسقط الأرض هدّا، الموجب لذلك أن دعو للرحمن ولدا، وما ينبغى للرحمن ولدا.وما يليق به أن يتخذ ولدا؛ لأن كل ما فى السماوات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا، انظر أ ـ محمد فريد وجدى:المصحف المفسر ص ٤٠٥ ط الشعب ١٣٧٧ هـ.وراجع مختار الصحاح: كلمة:أدد.
(٧) سورة مريم:آية ٨٨، ٨٩ .

آتيه يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ (١) .

والله جل جلاله مبرأ عن التجسد، فليس سبحانه وتعالى بجسم، ولا معدود ولا محدود، ولا متبعض ولا متجزىء، ولا متلون، ولا متكيف، كما لا يسأل عنه بمتى كان، لأنه خالق الزمان ولا بأين هو:لأنه خالق المكان، وما خطر بقلبك فالله بخلاف ذلك.

وقد حدد المولى ـ عز وجل ـ أمرا هاما يتعلق بذاته فقال:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ (٢) .

وهذا المبدأ ينفى عن أذهاننا كل وصف لمخلوق تناله الأذن، أو تقع عليه العين، أو يحيط به إدراكنا، أو يناله لمسنا عن الله، لأن فى ذلك مثلية، والله فوق ذلك كله له ذات قصرت قوى الإدراك فينا عن الإحاطة بها، وقضى سبحانه أن لا يضع فى قوانا المدركة أسبابا تمكننا من التعرف على كنهه (٣) .

### علاقة الفطرة بوحدانية الله تعالى :

قرر القرآن الكريم أن الوحدانية ديانة السماء، وأن أهل الأرض مطالبون بها، لأنها الفطرة التى خلق الله الناس عليها من قبل أن يخلقوا، كما جاء فى التنزيل العزيز: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴾ (٤) .

فيخبر تعالى:أنه استخرج ذرية بنى آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه (٥) قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ (٦) .

فهذه الآية صريحة فى اطراد الفطرة (٧)، وبقاء سُنَنَ الله فيها على الزمان كله من غير

---

(١) سورة مريم آية:٩٣، ٩٤، ٩٥ .
(٢) سورة الشورى:آية ١١ .
(٣) انظر:المسيحية الموحدة:للباحث الفصل الثانى ص ١٣ ـ ١٥ .
(٤) سورة الأعراف:آية ١٧٢ .
(٥) تفسير بن كثير:أمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى جـ ٢ ص ٢٦١ طـ الحلبى.
(٦) سورةالروم من الآية:٣٠ .
(٧) والفطرة الخلقة التى يكون عليها كل موجود أول خلقه، والطبيعة السليمة التى لم تشب بعيب، وفى اصطلاح الفلاسفة:استعداد لاصابة الحكم والتمييز بين الحق والباطل.المعجم ـ الوسيط مادة:فطر.

تحويل، ولا تبديل.والفطرة وسننها هنا تشمل كل ما وجد فى ملكوت الله، سواء فى ذلك ما تعلق بغير الإنسان من جماد ونبات وحيوان، أما ما تعلق بالإنسان من ناحية النفس، والروح فى الفرد والجماعة فهو مالم يرتق إليه العلم إلى الآن.

فمبدأ التوحيد فى القرآن هو مبدأ الفطرة، كما صرحت بذلك آية الروم، وكما جاء فى الحديث القدسى:

«إني خَلقت عبادي كلهم حنفاء، وإنهم أتتهم الشياطين، فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي مالم أُنزل به سلطانا» (١) .

وقد أكد الرسول ﷺ هذا المعنى بقوله:

«كل مولود يولد علي الفطرة، فأبواه يهودانه، وينصرانه، ويمجسانه» (٢) .

**مضمون الآية:**

إن الفطرة فى الآية الكريمة، مضافة إلى الله فاطرها سبحانه، وفى هذا ما فيه من تشريفها، وتوكيد تمامها وكمالها، وتمام الدين المعبر عنه، وكماله...والتعبير فى الآية الكريمة جاء بلفظ (الناس) على الجمع بدلا من لفظ (الإنسان) على المفرد وهذا أصرح، وأوضح فى الدلالة على أن الإسلام، قد أنزله الله طبق فطرة الإنسان فردا وجنسا، وقبائل وشعوبا، أفرادا وجماعات، فلو جاء التعبير «فطرة الله التى فطر الإنسان عليها»لكان هناك محل للتساؤل عن المقصود بالإنسان، أهو آدم أم نسله؟ أى هل أداة التعريف فى الإنسان للعهد أم للجنس، وهل الإسلام دين الفرد، أو دين الجماعة؟

أما التعبير فى الآية بلفظ الجمع فقد منع هذا التساؤل، وأوصد دونه الباب، إذ قد أفاد أن الناس على اختلاف أجناسهم وبيئاتهم يجدون تمام تحقيق فطرتهم فى دين الله، دين الإسلام (٣) .

والآية الكريمة تجعل الإسلام ليس فقط دين الفطرة، ولكن نفس الفطرة التى فطر الله

(١) سبق تخريج هذا الحديث ص ٥٨ من هذا البحث.

(٢) مسند الإمام أحمد جـ ١٤ ص ٧٦٩٨،٧٦٩٩ برقم ٧٦٩٨، والحديث له عدة روايات هذه إحداها .ط. دار المعارف ١٣٧٥ هـ ١٩٥٥م:شرح أحمد محمد شاكر.

(٣) راجع للمرحوم الدكتور محمد أحمد الغمراوى:الإسلام فى عصر العلم.إعداد الدكتور أحمد عبد السلام الكردانى ص ١ ط. الأولى ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣م ط. السعادة.

الناس عليها، وهذا أوجز تعبير، وأوكده، وأشمله بتمام انطباق الإسلام على سنن الله التي خلق عليها، الإنسان سواء تعلقت بالبدن أو النفس، وبالعقل أو القلب، في الفرد والأسرة والطائفة أو في القبائل، والأمم والشعوب (١) .

**الإسلام والفطرة شيء واحد:**

جعل الله الإسلام والفطرة بمثابة شيء واحد، حتى صرح بهذا إمامان جليلان من كبار المفسرين هما:

الزمخشري، وابن كثير عند تفسير الآية الكريمة، مستدلين من ناحية بنصب (**فطرة**) في الآية: ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ ففسر الزمخشري نصب فطرة على تقدير: «الزموا» فطرة الله بضمير خطاب الجماعة مستدلا بقوله تعالى في أول الآية بعدها ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ ﴾ على الجمع، ثم قال: «والفطرة الخلقة، ألا ترى إلى قوله: ﴿ لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ ؟ والمعنى أنه خلقهم قابلين للتوحيد، ودين الإسلام غير نائين عنه، ولا منكرين له، لكونه مجاوبا للعقل، مساوقا للنظر الصحيح، حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر. ومن غوى منهم فبإغواء الشيطان من الإنس والجن. وقال في تفسير (لا تبديل لخلق الله) «أي ما ينبغي أن تبدل تلك الفطرة، أو تغير» (٢) .

أما الإمام الحافظ ابن كثير: فَقَدَّر تفسير نصب فطرة تقديرا آخر، يتفق مع توجيه الخطاب إليه ﷺ في أول الآية: إذ يقول في تفسير أولها:

«يقول الله تعالى: «فأقم وجهك واستمر على الدين الذي شرعه الله من الحنيفية ملة إبراهيم التي هداك الله لها، وكملها لك غاية الكمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره» (٣) .

فالملاحظ أن تفسير الإمامين الجليليين متتامان، في كل منهما ما ليس في الآخر وما يتمم الآخر مع اتفاقهما في الصميم:

فالزمخشري مثلا أشار إلى مجاوبة الإسلام للعقل، ومساوقته للنظر الصحيح مما لم يشر به ابن كثير. وابن كثير أظهر بقوله: وكملها لك غاية الكمال «مالم يظهره الزمخشري مما انطوى تحت

(١) المصدر نفسه ص ٢ .
(٢) راجع للزمخشري: تفسير القرآن الكريم جـ ٣ ص ٢٠٤ ط الأولى ١٣٥٤هـ .
(٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم جـ ٣ ص ٤٣٢ وما بعدها ط الحلبي.

إضافة الفطرة إلى الله سبحانه من دلالة، فكان ابن كثير أكثر توكيدا من الزمخشرى للوحدة التى بين الإسلام والفطرة، خصوصا فيما وجه من خطاب النبى ﷺ فى قوله من تفسيره المنقول آنفا» [١] .

ومن ثم قال ﷺ :«كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، وينصرانه، ويمجسانه، كما تنتج البهيمة.هل تحسون بها من جدعاء؟ [٢] ثم يقول:«واقرؤوا إن شئتم ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ [٣] .

فهذا الحديث الشريف الصحيح نص فى تفسير الآية، وهما معا متظاهران على أن الإسلام دين الله هو والفطرة الإنسانية السليمة شىء واحد، وأن مبادىء [٤] الإسلام، وأحكامه مطابقة تماما لسنن الفطرة، وأن ما يعتور الناس من اعوجاج إنما هو أمر طارىء، راجع إلى الخروج عن التربية الإسلامية الصحيحة، أى إلى عدم تنشىء النشىء على أصول الإسلام، وأخلاقه، وأعماله، وإلى عدم إشراب النشىء روح الإسلام وحبه» [٥] .

وضح مما سبق بيانه

فى مبحث التوحيد أنه فطرة الله، ومن ثم كان يقتضى الأمر بأهل الكتاب ألا ينقسموا على أنفسهم، أو يكيد بعضهم لبعض، وتظهر العدواة والبغضاء بينهم، حتى أصبح الدين مشكلة المشاكل فى أنحاء الامبراطورية الرومانية عامة، وفى مصر خاصة، على يد المقوقس، فماذا فعل بأهل مصر؟

## المبحث الرابع:معاملة المقوقس للمصريين:

### تمهيد:

نال اسم المقوقس شهرة كبيرة فى تاريخ مصر، وقد اختلف بعض الباحثين فى تحديد اسمه، مما جعل بتلر، فى كتابه (فتح العرب لمصر) أن يفرد له بحثا خاصا حقق فيه هذه الشخصية، وحدد اسمها.

---

(١) راجع:الإسلام فى عصر العلم ص ٦ .

(٢) الجدعاء:ما قطع طرف من أطرافها:المعجم الوسيط:مادة:جدعه.

(٣) الحديث كما سبق فى مسند الإمام أحمد عن أبى هريرة جـ ١٣ رقم ٧٦٩٨ تخريج:أحمد شاكر والحديث به عدة روايات.

(٤) المبدأ:مبدأ الشىء أوله، ومادته التى يتكون منها، كالنواة مبدأ النخل، أو يتركب منها كالحروف مبدأ الكلام.المعجم الوسيط مادة:بدأ.

(٥) الإسلام فى عصر العلم ص ٧ .

**فمن هو المقوقس؟ وما عمله؟**

ذهب بعض الكتاب الباحثين إلى أن المقوقس كان حاكم مصر، وأنه كان قبطيا، وقيل :إن العرب خلطوا بين المقوقس، وقيرس الامبراطورى فى الإسكندرية مع أنه كان شخصا آخر، وله عمله غير عمل المقوقس، وقد أيد بتلر هذه الرواية [١]، وهاتين الروايتين أوردهما بتلر فى كتابه.

ويظل بتلر يتنقل بين آراء :البلاذرى والطبرى، وسعيد بن بطريق، وأبو صالح الأرمنى، وياقوت حول هذه الشخصية حتى يذكر رأيا «لمكين» يقول :إن عامل هرقل على مصر هو المقوقس وأنه هو وعظماء القبط صالحوا عمرا» ولم يكتف بهذا بل رجع إلى ابن خلدون، وابن دقماق، والمقريزى ثم يعود بعد هذا البحث كله الذى استغرق أكثر من خمسة عشرة صفحة إلى أن المقوقس هو قيرس، فقال :إن هرقل«أقام قيرس بطرك الإسكندرية» [٢] .

ويذهب سعيد بن البطريق إلى أن المقوقس «كان يعقوبيا أى قبطيا يكره الروم، ولكنه يخشى أن يظهر عقيدته خوفا من أن يقتله الروم» [٣] يؤازره فى هذا الرأى استانلى بول إذ :«أنه يقبل القصة المتداولة التى تجعل المقوقس قبطيا» [٤] .

يؤيد هذا نصيحته إلى الأقباط فى مصالحة المسلمين عند فتحهم لمصر ولما نقض الروم العهد، وانتصر المسلمون عليهم قال المقوقس لعمرو :إن الأقباط لم ينقضوا العهد، بل ظلوا متمسكين به، فكان دفاعه عنهم دفاع الصادق الخائف على حياتهم ومصلحتهم، وسيأتى تفصيل ذلك فى موضعه إن شاء الله تعالى [*] .

لكن بتلر ينفى عن المقوقس كونه «مصريا،كما أنه لم يكن من أهل القسطنطينية..وأن هرقل نقله من ولاية الدين فى (فاسيس) ببلاد القوقاز) وعلى ذلك فإنه أقرب الأمور أنه كان يسمى (قفقاسيوس) باللغة اليونانية، وأن هذا اللفظ اليونانى نقل إلى اللغة القبطية أما على صورة قفقيوس أو (قلخيوس) ثم الصورة الأخيرة للاسم العربى المقوقس» [٥] .

---

(١) صـ ٣٧٥، ٤١٩، والعقاد فى كتابه :عمرو بن العاص ص ٩٢ ـ ٩٩ فقد حلل شخصيته المقوقس (قيرس) تحليلا وافيا، كما أماط اللثام عنها.

(٢) بتلر..ص ٤٢٣ .

(٣) المصدر نفسه ص ٤٣٦ .

(٤) المصدر نفسه ص ٣٧٦ .

(*) راجع الملاحق .

(٥) المصدر نفسه ص ٣٩٠، وللدكتور محمد حسين هيكل :الفاروق عمر جـ ٢ ص ٧١، وقد مكث اسم هذا الحاكم على مصر سرا خفيا حتى تبين أنه قيرس دون سواه راجع بتلر ص ١٣٠ .

أما العرب فكانوا يسمون حاكم مصر زمن النبى ﷺ المقوقس، ويسمون حاكمها فى زمن الفتح أيضا المقوقس، والمهم أن العرب ليسوا أول من لَقّب بهذا الاسم، ولاهم أهل لهذا اللقب، وعلى أى حال فقد كان هذا اللقب يطلق على العامل على مصر من قبل امبراطور الروم أى على الحاكم العام لمصر.

**الخلاصة:**

أن بتلر يصل بالدليل إلى أن المقوقس هو قيرس فيقول:«وقد وجدنا دليلا جديداً على أن المقوقس كان قيرس بعينه، ما وجدناه فى كتاب منسوخ فى باريس (منسوخات عربية رقم ١٥٠ ـ صفحات (٢٠ ـ ٣١)...وفيها يروى عن صمويل ـ القلمونى ـ أنه يبدى أشد الكراهية، والإنكار للمقوقس الفاجر، والذى يجب ألا يذكر اسمه، وقد سماه على وجه التعيين باسم (كبيبرس المقوقس) وذلك بلا شك خطأ من الناسخ لاسم كيرس المقوقس كما يقول الأستاذ جاستون فيت، وهذه النسخة المخطوطة منقولة من أصل قبطى، وصفحاتها بالفعل مرقومة باللغة القبطية» [١] .

وبعد هذا البحث والتنقيب لم يسع بتلر إلا أن يؤيد الرواية العربية من أن المقوقس هو حاكم مصر ـ وإن أسند له اسما إضافيا ـ كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ فى كتابه الذى أرسله إليه يدعوه فيه إلى الإسلام، ـ كما سيأتى ـ مخاطبا فيه اسم المقوقس.يؤيد هذا صراحة قول ساويرس:«كانت تلك السنوات هى التى حكم فيها هرقل والمقوقس بلاد مصر»[٢] .

**قيرس في مصر:**

عقد الامبراطور العزم على أن يظهر المذهب الذى اتفق عليه رؤساء الدين الثلاثة فى دولته [*] على كل ما عداه من المذاهب المخالفة متوسلا إلى غرضه هذا بكل الوسائل حسنها وقبيحها فأرسل هرقل «قيرس» على ولاية الدين فى الإسكندرية، وكان قيرس أسقف فاسيس فى بلاد القوقاز، وترتب على تعيينه أسوأ العواقب على شعب مصر [٣] .

---

(١) بتلر..ص ٣٩٢ .

(٢) المصدر نفسه ص ٤٣٤ .

(*) وهم:بطارقة الشام، وبزنطية، وقيرس رئيس أساقفة الإسكندرية.انظر بتلر ص ١١٦ ، والفاروق عمر جـ ٢ ص ٧١ .

(٣) بتلر..ص ١٣٠ ، والفاروق عمر جـ ٢ ص ٧١ .

### موقف المصريين من مهمة قيرس:

كانت مهمة قيرس مرسومة ومحددة فى مصر، وهى توحيد المذاهب كما رغب هرقل، حتى يمكن حصر نقاط الخلاف التى شغلت رعاياه أثر المجامع التى عقدت، ونتج عنها الشقاق، والنزاع، ومن ثم كان الهدف توحيد الولايات عن طريق الدين حتى يضمن ولاءها، وعدم خروجها عليه، كانت هذه هى المهمة التى كلف بها قيرس فى مصر ـ ولكنه «لم يفطن إلى أن مذهبه الذى حاول به التوفيق قد يأباه أهل مصر، ولم يعرف أن أهل مصر، إذا أبوا ذلك المذهب كان شر الطرق إلى ضمهم إلى الجماعة أن يرغمهم عليه، ويقذف به فى حلوقهم..وعلى أى حال..كانت هذه خطته فى مصر والشام، وكان من رأى ذلك العصر أن أمور الدين والعقيدة مما ينبغى للدولة أن تقوم عليه ويصدر الناس فيه عن أمرها.ولم يكن الامبراطور فى هذا الشأن أحكم رأيا من أهل عصره...»[(١)] .

### قيرس يباشر عمله:

بدأ قيرس فى نشر ما كلف به بالطرق الرسمية، ولكنه لم يجد آذانا صاغية لدعوته، ولا قلوبا مرحبة لمهمته، وشعر بخيبة أمل «فى سعيه لتوحيد المذاهب فى مصر» [(٢)] .

### عقيدة الأقباط:

تتمثل هذه العقيدة أو المذاهب فى:

«أن الطبيعة الإلهية والبشرية امتزجتا فى المسيح فصارتا فيه طبيعة واحدة، فكان عند التجسد ذا طبيعتين، أما بعده فصار ذا طبيعة واحدة» [(٣)] .

وهذا المذهب يخالف مذهب الملكانية الذى يقول:

«إن الابن مولود من الأب قبل الدهور، غير مخلوق، وهو جوهره ونوره.والابن اتحد بالإنسان المأخوذ من مريم فصارا واحدا وهو المسيح» [(٤)] .

لما وجد قيرس نفور القبط من مهمته، لجأ إلى استخدام القوة والبطش «حتى صار اسمه مفرعا للقبط كريها عندهم مدة عشر سنين أمعن فيها ما استطاع فى اضطهاد مذهبهم، حتى استحال بعد أن يبقى ولاء لدولة الروم.

---

(١) بتلر ـ ص ١٣٠ .

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الفاروق عمر ..جـ ٢ ص ٧٢ .

(٤) بتلر ص ١٣٠ .

**بداية متاعب المصريين وهروبهم:**

بدأت متاعب القبط بحلول قيرس مصر، ومخالفتهم له، فأخذ فى اضطهادهم مما اضطر الكثير منهم إلى الهرب، وكان على رأس هؤلاء بنيامين - بطريق القبط، الذى ولى الأدبار، منذ علم بنزول «قيرس - الإسكندرية فى خريف سنة ستمائة وإحدى وثلاثين» (١) .

فوجد البطريق القبطى «بنيامين» قد هرب بعد أن:«كتب إلى أساقفته جميعا يأمرهم بالهجرة إلى الجبال والصحارى ليتواروا فيها حتى يرفع الله عنهم غضبه»(٢) .

**لماذا هرب بنيامين؟ وأين استقر؟**

علم بنيامين أن قيرس سيخيره بين أمرين لا ثالث لهما؛ إما الدخول فى المذهب الجديد، وإما الاضطهاد..فآثر الخروج «من الإسكندرية خفية تحت جنح الليل لا يصحبه إلا رفيقان..»

«خرج خائفا يترقب حتى وصل إلى مريوط، ثم انتقل إلى واحة - منى - عند طريقى الإسكندرية، ووادى النطرون، وطريق الطرانة، وبرقة، حتى اقترب من أديرة وادى النطرون، فوجدها مقفرة من ساكنيها، فواصل السير إلى الأهرام، ثم غادرها إلى صعيد مصر سائرا على جانب الصحراء، ومازال حتى بلغ مدينة قوص، ولاذ هناك بدير صغير بالصحراء غير بعيد من تلك المدنية» (٣) .

**استعلاء قيرس على المصريين ورؤساء القبط:**

مكث قيرس فى الإسكندرية فهل تودد إلى المصريين؟ أو تعاطف معهم؟

«لم نجد كلمة..فى خبر من الأخبار تدل على أن قيرس سعى مرة إلى أن يتقرب إلى بطريق القبط أو يتفق معه،...«بل» إن مجيئه إلى مصر شرد قسوس القبط فزعين.فقد صار بطريقا من قبل الدولة الرومانية فى الإسكندرية، وزاد سلطانه بأن صار واليا على حكومة مصر من قبل الامبراطور..ولاشك أن - وجود - سلطتى الدنيا والدين معا هو الذى زعزع أمر

(١) بتلر ص ١٣١ وانظر:الفاروق عمر جـ ٢ ص ٧٢ .
(٢) بتلر ص ١٣١ .
(٣) نفس المصدر، وص ١٣٢ وهامش ٣ من ص ٣٢ .

بنيامين، فإن ذلك جعله يوشك أن يكون ذا سلطان مطلق.ولما قدم (قيرس) فى أول الأمر تظاهر بأنه إنما جاء مسالما، وجعل يبين للناس كنه المذهب الجديد (المونوثيلى) [(١)] .

وهو المذهب الذى كان الامبراطور يطمع أن يزيل به ما أحدثه مجمع خلقيدونية من الشقاق بين الناس.فكان عليه أن يستميل إلى المذهب الجديد أقباط مصر أولا، واتباع المذهب الملكانى ثانيا.ولكن الظاهر أن مذهبه لم يلق منذ أول أمره توفيقا فقد أساء هو بيانه، وإيضاحه، وأساء الناس فهمه، وتلقوه لقاءا سيئا، فأما اتباع المذهب الملكانى فقد رأى كثير منهم أن المذهب الجديد نقض تام لمذهب خلقيدونية، وأما القبط فإن من سمع منهم بالبدعة الجديدة، قال:إن المذهب الجديد ما دام قد سلّم بأنّ اللّه له إرادة واحدة، وفعل واحد، فإنه لابد أن يسلم بأن له كذلك طبيعة واحدة، وعلى ذلك فإن «قيرس» إنما جاء فى الحقيقة مسلما بالمذهب (المونوفيسى) [(٢)] .

### الأقباط لم يعرفوا الاستقلال:

نشط (قيرس) لنشر ما كلف به نشاطا ملحوظا، لكن «المذهب الذى ابتدعه هرقل وبطارقته الشرقيون الثلاثة تلقاه المصريون بكراهة شديدة بادىء ذى بدء..فلم يطيقوا أن يخطر ببال أحدهم أن يغير..عقيدته..وقد كان استقلالهم فى أمور الدين أكبر ما تتعلق به نفوسهم، فإنهم لم يعرفوا الاستقلال القومى قط، ولعلهم لم يحلموا يوما بمثل ذلك الأمل، وأما الاستقلال فى أمر الدين فقد ناضلوا من أجله، وجاهدوا فى سبيله، منذ مجلس خلقيدونية»[(٣)] .

### نقطة الخلاف...وثمرتها:

وجد (قيرس) أن الأقباط يتمسكون بقانون الإيمان الذى وضعته كنيستهم، وأن محاولة توحيد المذاهب..ستفشل، ووجد «الناس لم يَقْبلوا المذهب القائل بأن لله إرادة واحدة، وفعلا واحدا ينفذها به، اقترح سرجيوس أن يقر الناس بأن الله له إرادة واحدة، وأما المسألة الأخرى

---

(١) المذهب المونوثيلى:هو مذهب التقريب، بين المذاهب، وكان صاحب فكرته (سرجيوس) بطريق الكنيسة الشرقية، وكان خير من وليها ومن أوضحهم عقلا انظر بتلر:فتح العرب لمصر ص ١١٧، وخلاصة هذا المذهب:«أن لله إرادة واحدة، وفعلا واحداً، ينفذها به »بتلر ص ١٣٥ .

(٢) انظر بتلر ص ١٣٤ والفاروق عمر جـ ٢ ص ٧٢، والمنَوفيسي:هو مذهب قيرس والامبراطور.انظر بتلر ص ١١٦ .

(٣) بتلر..ص ١٣٤ .

وهي: نفاذ تلك الإرادة بالفعل، وهل ذلك الفعل واحد، أو مزدوج، فيرجأ القول فيها، ويمنع الناس أن يخوضوا في مناظراتها...»[١] .

ودّ «قيرس» أن يحمل القبط على المذهب الذى تقرر مهما تكلف فى سبيل ذلك....، ولما نفد صبره كان يعرض على الناس أحد أمرين لا تعقيب فيهما وهما:

قبول الدخول فى الجماعة، أو الاضطهاد»[٢] .

## قيرس يشدد قبضته على المصريين:

كان قيرس يملك زمام السلطة الدينية والزمنية، وكانت طرقات الإسكندرية تتجاوب جوانبها بأصداء الكتائب البيزنطية متسلقة الأسوار، والآطام [٣]، واضعة آلات الحرب، مرسلة المسالح [٤] إلى الفرما، وهى إذ ذاك ثغر الطريق الآتية من فلسطين إلى مصر، وإلى بلاد مصر السفلى، مثل: أتريب، ونقيوس، وكذلك حصن بابليون قرب ممفيس، كان سلطان الروم يسيطر على بلاد الفيوم، ووداى النيل من أسوان فى أسفل الجنادل، وكانت الجنود والكتائب تحت إمرة (قيرس). ومن ثم لم يجد الأقباط ما يحمدونه، أو يفرحون من أجله، فقد وجدوا فى حكم قيرس أنواع العقاب، وصنوف البلاء، فكأنهم، وقد خرجوا من حكم الفرس إلى حكم الروم قد رفع عنهم التعذيب بالسياط ليحل بهم تعذيب آخر من لسع العقارب، إذ بينا كان غزاة الفرس بعد أن استقر الأمر بهم فى البلاد لايحولون على الأقل بين القبط، وبين التدين بما يشاءون من الدين، حتى جاء (قيرس) المقوقس وصمم على أن يحرمهم تلك الميزة الكبرى وينزعها من أيديهم [٥]. استخدم قيرس العنف مع النصارى، فأعدوا أنفسهم لاحتماله، ولذلك تعجبوا من المسلمين حين نزلوا أرضهم فاتحين بلادهم فلم يتدخلوا فى عقيدتهم، بل عاملوهم بأدب واحترام فحمدوا لهم هذه الروح الطيبة.

حتى سعى المصريون إليهم بأنفسهم للانضمام إليهم، والدخول فى دينهم...

---

(١) المصدر السابق ص ١٣٥ .

(٢) المصدر السابق ص ١٣٦ ، وانظر الفاروق عمر جـ ٢ ص ٧٢ .

(٣) انظر بتلر..ص ١٣٦ ـ الأُطُم: الحصن، والبيت المرتفع جمعه آطام، وأُطُوم. المعجم الوسيط مادة: أطم.

(٤) المسلح: موضوع السلاح وكل موضع مخافة يقف فيه الجند بالسلاح للمراقبة والمحافظة، والقوم المسلحون فى ثغر أو مخفر للمحافظة. المعجم الوسيط مادة: سلح.

(٥) بتلر فتح العرب لمصر ص ١٣٦ ، وسيأتى تعريف لبعض أسماء البلدان التى وردت هنا فى الفصل الثالث من الباب الثانى إن شاء الله تعالى.

**فترة الاضطهاد:**

اتخذ قيرس معاملة شديدة مع الأقباط لمخالفتهم له، وإصرارهم على النفور من مذهبه، فازدادت معاملته لهم سوءا، حتى عانى الأقباط من اضطهاده الشيء الكثير عشر سنين مدة ولايته ورياسته للدين، ولا يشك أحد فى فظاعة ذلك الاضطهاد وشناعته، حتى قال (ساويرس): «لقد كانت هذه السنين، هى المدة التى حكم فيها هرقل والمقوقس بلاد مصر، ففتن فى أثنائها كثير من الناس لما نالهم من عسف الاضطهاد والظلم، ومن شدة العذاب، الذى كان يوقعه هرقل بهم لكى يحولهم على رغمهم عن مذهبهم إلى مذهب خليقدونية، فكان يعذب بعضهم ويعد البعض الآخر أحسن الجزاء، ويمكر بالبعض ويخدعهم»(١).

وإليك طائفة من ألوان العذاب التى لقيها بعض المصريين على يد قيرس مدة ولايته تلك، حتى لقد هاجر كثيرون من مصر، كالطائفة المارونية التى هجرتها جملة واحدة إلى «جبال لبنان كراهة الخضوع لليعقوبيين، ولعلها لو اضطرت إلى البقاء حيث كانت لدانت بالإسلام، ولم تذعن لمن حاربتهم وحاربوها فى المعتقدات عشرات السنين»(٢) كما هجر البعض إلى بلاد النوبة، وإلى أثيوبيا فرارا إلى الله بدينهم أما الذين لم يستطيعوا الفرار، ولم يطيقوا العذاب ففتنوا عن دينهم كارهين، فأظهر كثيرون غير ما يبطنون، وقد خدع غير هؤلاء وأولئك بسلطان المال والجاه، فارتضوا المذهب الجديد، لا حبا فيه ولا إيمانا به، بل حرصا على ما ييسره لهم من مطامع هذه الحياة الدنيا.

على أن ما لقيه الشعب فى هذه السنوات العشر قد زرع فى قلبه لبزنطية، ولقيصر، ولقيرس كراهية امتزجت بحياته، وجرت مجرى الدم فى شرايينه (٣).

ولعل صور العذاب الذى لقيها بعض المصريين، وخاصة رجال الدين، على يد قيرس شاهد صدق على ذلك:

---

(١) بتلر: ص ١٣٦، ١٣٧ .
(٢) العقاد: عمرو بن العاص ص ١٤٥ .
(٣) انظر د / هيكل: الفاروق عمر: جـ ٢ ص ٧٤ .

**المبحث الخامس: صور من ألوان التعذيب والاضطهاد للمصريين في عهد الرومان:**

كان من صور التعذيب، ما لقيه أخو البطريرك بنيامين، فقد عذب ثم قتل غرقا، وكان تعذيبه بأن أُوقدت المشاعل وسلطت نيرانها على جسمه، فأخذ يحترق حتى سال دهنه جنبيه[١] إلى الأرض، هذا ما ذكره ساويرس كما فى النسخة المخطوطة فى المتحف البريطانى ص ١٠٤ الكتاب العاشر، وتتفق نسخة القاهرة معها فى ذلك الخبر [٢]، ولكنه لم يتـزعـزع عن إيمانه فخلعت أسنانه، ثم وضع فى كيس به رمل وحمل فى البحر حتى صار على قيد سبع غلوات* من الشاطىء، ثم عرضوا عليه الحياة إذا هو آمن بما أقره مجلس (خليقدونية)، فعلوا ذلك ثلاثا وهو يرفض فى كل مرة فرموا به فى البحر فمات غرقا»[٣].

لم يكتف (قيرس) بهذا بل كان يذهب بنفسه إلى الأديرة يبحث فيها عن ساكنيها وحدث أن ذهب إلى أَحَدِها «فوجده خلاء ممن فيه إلا من خازنه، فقبض عليه وجلده، وأخذ يسأله فقال له الخازن:

«لقد جمع صمويل الزاهد رهبان الدير وخطب فيهم فأطال، ووصفك بالكفر. وبأنك يهودى من أتباع (خليقدونية) ولا تؤمن بالله، وبأنك لست أهلا لأن تقيم الصلاة، ولا أن يعاملك المؤمنون، فلما سمع الرهبان قوله هذا هربوا قبل مقدمك» [٤].

سمع قيرس هذا الكلام وما فيه من إهانة لشخصه ومكانته فثارت ثائرته «وعض شفتيه من الغيظ وسب الخازن والدير ورهبانه ومضى عنه [٥].

**محاورة بين قيرس والأب صمويل:**

سمع «قيرس» من الخازن ما سمع فخرج يبحث عن الأب صمويل فذهب إلى الفيوم، وأمر أتباعه أن يأتوا بالأب صمويل «مكتوف اليدين من خلاف، وأن يضعوا فى عنقه طوقا من الحديد، وأن يدفعوا به كما يدفع باللصوص. فذهبوا إلى الدير الذى كان فيه وقبضوا عليه»[٦].

(١) انظر بتلر: فتح العرب لمصر ص ١٣٧ .
(٢) المصدر السابق ص ١٣٧ هامش ١ .
(٣، ٤) المصدر السابق ص ١٣٧، وانظر دكتور هيكل: الفاروق عمر جـ ٢ ص ٧٣، وانظر دكتور توفيق الطويل: قصة الاضطهاد الدينى فى المسيحية والإسلام ص ١٧، ١٨، ١٩ .
* الغلوة: مقدار رمية سهم وتقدر بثلاث مئة ذراع إلى أربع مئة المعجم الوسيط مادة: غلا.
(٥) انظر فتح العرب لمصر ص ١٣٨، والفاروق عمر جـ ٢ ص ٧٣ .
(٦) انظر فتح العرب لمصر ص ١٣٧، والفاروق عمر جـ ٢ ص ٧٣ .

فلما مثل بين يدى المقوقس «أمر جنده أن يضربوه حتى سال دمه كما يسيل الماء ثم قال له

«صمويل أيها الزاهد الشقى.من ذا أقامك رئيسا للدير وأمرك أن تعلم الرهبان أن يسبونى ومذهبى» ؟

فقال له..الأب صمويل:«إن البر فى طاعة الله وطاعة وليه البطريق (بنيامين) وليس فى طاعتك والدخول فى مذهبك الشيطانى – يا سلالة الطاغوت، ويا أيها المسيخ الدجال«فأمر (قيرس) جنده بأن يضربوه على فمه وقال له:«لقد غرك يا صمويل أن رهبانك يجلونك ويعلون من شأن زهدك، ولهذا تجرأت وقويت نفسك.ولكنى سأشعرك أثر سبابك للعظماء إذ سولت لك نفسك ألا تؤدى لى ما يجب عليك أن تؤديه لعظيم رجال الدين وكبير جباة المال فى أرض مصر»[١] .

فأجابه صمويل:«لقد كان إبليس من قبل كبيرا على الملائكة ولكن كبره وكفره فسقا به عن أمر ربه.وهكذا أنت أيها المخادع (الخليقدونى) فإن مذهبك مذموم وإنك أشد لعنة من الشيطان وجنوده»

فلما سمع المقوقس ذلك امتلأ قلبه بالغيظ على ذلك الولى وأومأ إلى الجند أن يقتلوه. فتدخل حاكم الفيوم وخلصه من بين يديه، ولكنه «أمر بطرده من جبل نكلون» [٢].

وفى تعبير آخر لنفس الحادثة كما جاء فى ص ١٣٩ :

«وفى الترجمة الاثيوبية لحياة «الأنبا صمويل» –

أنه أتى إلى دير صمويل فى الصحراء، ومعه مائتا جندى، وأنه أعطاه كتابا يؤمر فيه: بالإيمان بمذهب خلقيدونية، فمزقه صمويل، ورمى به من باب الكنيسة، وهو يقول: «ليس لنا من رئيس إلا بنيامين، ولعنة الله على ذلك الكتاب الكفّار الذى جاء به الإمبراطور الرومانى.ولعنة الله على مجمع خليقدونية، وكل من آمن بما أقره» .

فَضُرِبَ صمويل حتى ظن أنه مات، ثم غودر، ولكنه عاد إلى نفسه وسار إلى القلمون

---

(١) بتلر:فتح العرب لمصر ص ١٣٨ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٣٩ ، ونكلون بالعربية (النقلون جوار قلمون على ساعتين إلى الجنوب الغربى من مدينة الفيوم. بتلر ص ١٣٩ هامش ١ .

حيث عاد لمحادثه لقيرس، وما أعقبها كما أسلفنا وصفه»[١].

**تشريد القسس، وافتتان بعضهم بمذهب قيرس:**

وضح من هذه النصوص السابقة ما كانت عليه حالة مصر فى عهد قيرس ومعاملة الرومان للقبط الذين يسكنون حتى فى الصحارى والجبال، فماذا عن معاملتهم لمن يسكنون مصر السفلى، أو الصعيد؟

«لقد كان حظ من يأبى منهم أن يتخلى عن عقيدته، أو ينازع قيرس فى أمره أن يجلد، ويعذب، أو يلقى به فى السجن، أو يلقى الموت، فكانت تقام أساقفة للملكانية فى كل بلد من مصر حتى أنصنا [٢] من بلاد الصعيد.

فى حين كان قسوس القبط يقتلون، أو يشردون فى أنحاء الأرض يلتمسون فيها ملاذا، وكان السعى حثيثا غير منقطع وراء بنيامين، ولكن لم يعثر عليه فى مكان.وقد جاء فى كتاب (ساويرس) أنه كان يتنقل من دير محصن إلى آخر..وليس من العجيب أن يفتن كثيرون ممن لم يستطيعوا الهجرة والهرب، وأن يخضعوا لما شاء قيرس منهم فقد كان حكمه إرهاب.وإذا كان القبط لم تخمد نفوسهم فما كان لشعب بأجمعه أن يستشهد فى سبيل الدين.فدخل جماعة من الأساقفة فى المذهب الجديد مذهب عدوهم، ومن هؤلاء أسقف (نقيوس) واسمه (قيرس) وأسقف الفيوم» [٣]،«فكتور» ولا شك أن عدواهم انتقلت إلى سواهم.أما من لم يستطع الهرب من الناس والخروج إلى الصحراء، وكان مع ذلك غير راض عن ترك مذهبه فقد لجأ إلى التقية، وأظهر غير ما يبطن...»[٤].

لكن لم هذا الهرب والخوف؟ والاضطهاد؟ والرومان والمصريون مسيحيون يدينون بدين واحد؟ يرجع كل ذلك إلى تحكم الأهواء والانحراف عن وحى الله وهديه مما أدى بهم إلى هذا المآل الذى يندى له جبين الإنسانية.

**محاولة التخلص من قيرس:**

حاول بعض القبط التخلص من قيرس بعد أن شتتهم وفرق جمعهم وأثار «حفيظتهم

(١) بتلر:فتح العرب لمصر ص ١٣٩، وانظر د:هيكل:الفاروق عمر جـ ٢ ص ٧٣ .
(٢) انصنا:هى انتنويه عاصمة التيبائيد إلى الشمال من لاكوبولس(هى سيوط) انظر هامش ١ من ص ١٤٠ . فتح العرب لمصر:بتلر.
(٣) بتلر:فتح العرب لمصر ص ١٤٠ .
(٤) المصدر السابق ص ١٤١ .

ماراوا من فعله، إذ تارة ينهب أوانى كنائسهم الثمينة لا يرقب فيها إلاً[١] ولا ذمــة، وتارة يضربهم أو يسجنهم، فاجتمع اتباع الطريقة (الجاياتية) فى كنيسة (دفاشير) بقرب مريوط، وتآمروا على قتل ذلك الظالم، ولكن سمع بهذا الاجتماع (ضابط) رومانى أسمه (أودوقيانوس) وكان عدوا شديد العداوة للقبط، فأرسل جندا وأمرهم أن يذهبوا إلى المتآمرين فيقتلوهم»[٢] ونجا قيرس مما دبّر له.

**قيرس يفتك... بالتيودوسيين:**

كانت مدة اضطهاد القبط عشر سنين، وهذا ما حدث كما تقول المصادر..

وبتلر أحد الباحثين فى هذا الشأن يقول: «إنه ليخيل للانسان أنه من المستبعد أن يبقى مثل هذا الاضطهاد عشر سنوات، ولكن هذا هو الحق الذى لا مراء فيه فقد جاء فى ديوان (حنا النقيوسى) ما يأتى:ـ

«وظل قيرس إلى ما بعد موت هرقل عندما عاد إلى مصر «وذلك فى سنة ٦٤١ بعد نفيه من البلاد أو غيابه عنها فترة، ومع ذلك «لم يذهب عنه حقده على عباد الله، ولم يمتنع عن اضطهادهم بل زاد قسوة على قسوة»[٣] .

وقد جاء مثل هذا القول فى كتاب (ساويرس) إذ قال: «فكان هرقل كأنما هو ذئب ضار يفتك بالقطيع ولا يشبع نهمه، وما كان ذلك القطيع إلا طائفة التيودوسيين»[٤] .

«وكان القبط لا يزالون يسمون أنفسهم (التيودوسيين) وأن لفظ «القبط» فى الحقيقة كان مرادفا للفظ «تيودوسيين» وذكر الأستاذ (Bury)عند تولية قيرس قال إن: «أول عمل قام به هو أن يستميل إليه الطائفة الكبيرة طائفة التيودوسيين[٥] وفى الوقت الذى شغل فيه القبط بالأحداث الداخلية كان ظهور دين التوحيد ينتشر، ويصل أسماع الروم فى مصر والشام، فماذا حدث؟

**المبحث السادس: ظهور الإسلام في بلاد العرب:**

ذاع صيت الإسلام داخل الجزيرة العربية وخارجها، وشاع أمر القائمين عليه أنهم أهل ورع وتقوى، وعدل ونَصَفَة، وأهل جهاد ورسالة، قاموا بفتح البلاد والأصقاع لا لينشروا الفزع

(١) الإل بالكسر: هو الله عز وجل وهو أيضا: العهد والقرابة. مختار الصحاح.
(٢) بتلر..ص ١٤١ .
(٣) بتلر: فتح العرب لمصر ص ١٤١، ١٤٢ .
(٤) أى القبط، انظر بتلر ص ١٤٢ .
(٥) بتلر ص ١٤٢ هامش ١ .

والهلع ويجبروا الناس على اعتناق دينهم كلا، وإنما قاموا يدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وينشروا الأمن والأمان في ربوع الأرض، ويُسْمِعوا الخائفين والآمنين هذه الكلمة الخالدة: ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (١) .

بهذه العبارة الخالدة، فتحوا قلوب المخالفين لهم في العقيدة، فأحبوهم، ورحبوا بمقدمهم، حدث ذلك في الشام وسوريا، ثم في مصر، حتى رأى المصريون أن:

«في مجيء المسلمين نازلة أرسلها الله لينتقم لهم بها من ظالميهم» (٢) .

لقد مَلّ القبط مرارة العذاب، وطول الاضطهاد وشدته، فكانت مسيرة الإسلام المظفرة في كل المواقع، تطرق مسامعهم، وكان لسان حالهم يود حضورها لتخلصهم مما هم فيه.

إذ من المعروف من تاريخ الأديان أن الاصطدام الذي يقع في الدين الواحد من المذاهب المتقاربة بعضها، والبعض الآخر، يكون أشد وأعنف من الاصطدام الذي يقع بين الأديان المتباعدة، وحسبنا في التدليل على عنف الاصطدام الذي يقع بين المذاهب المتقاربة في الدين الواحد، ما وقع في مصر قبيل الفتح الإسلامي» (٣) كما سبق توضيحه.

**نزاع العقيدة بين الحاكم والشعب:**

يُعد النزاع الذي وقع بين الرومان والمسيحيين في مصر نزاعا حول العقيدة، والمذهب، وكانت المضايقات تصب على رؤوس المخالفين، ومن ثم «كان النزاع في أول صوره نزاعا بين دينين:

المسيحية، والوثنية .ولكن ما إن نمت المسيحية في مصر حتى أصبحت تمثل الشعب المصري كله تقريبا، وظل الحكام الرومان يمثلون الديانة الوثنية، وظهر عندئذ بوضوح أن هذا النزاع كان في نفس الوقت صراعا بين شعب وحاكميه، أو بين أبناء وطن ومستعمريه» (٤) .

**الشعب المصري متدين بطبيعته:**

هل كان التعصب الديني هو وحده الذي دفع المصريين للنفور من مذهب قيرس الجديد ومحاربته؟ «قد لا يخطيء من لا يجيب عن هذا السؤال بالإيجاب؛ فالتوجه الديني

---

(١) سورة البقرة من الآية ٢٥٦ .

(٢) بتلر.. ص ١٤٢ .

(٣) د / توفيق الطويل: قصة الاضطهاد في المسيحية والإسلام ص ٦٢، ٦٣ .

(٤) مراد كامل: حضارة مصر في العهد القبطي ص ٢٩ .

أصيل فى الشعب المصرى بحكم طبيعته. كذلك كان شأنه فى عهود الفراعنة وكذلك ظل شأنه على القرون، ولعل بساطة عقيدته، مع تغير الأديان التى دان بها، كانت ذات أثر فى تمسكه بمذهبه: فهو موحد من أقدم العصور، وهو على توحيده يشعر بأن الإله الخالق المنعم جل شأنه أعظم من أن يسموا سواد الناس إلى الاتصال بذاته وإن تطهرت قلوبهم، فلابد من زلفى تقّربهم إليه، وتحلّهم منه محل الرضا»(١).

### موقف المصريين من المسيحية والإسلام:

لم يكن التوجه الدينى وحده «هو الذى دفع المصريين ليقاوموا فى سبيل مذهبهم ماوقاموا سنى الاضطهاد الأعظم، فقد دانوا بالمسيحية بعد وثنيتهم الفرعونية.

ثم كان لهم فى فقه مذهبهم القبطى بحوث تبّحر رجال الدين فيها ما تبحر أسلافهم فى العهود الفرعونية فى فقه مذهبهم، ثم دانوا بعد ذلك بالإسلام، فكان الفقه الإسلامى موضع عنايتهم به وتبحرهم فيه. ولم يحملوا على المسيحية وعلى الإسلام بالاضطهاد والإكراه، بل دعوا إليهما بالحجة فرأوا الخير فى قبولهما. فمالهم نفروا من مذهب هرقل الرسمى لأول ما عرض عليهم بل أبوا أن ينظروا فيه؟ ثم مالهم قاوموه من بعد هذه المقاومة التى اضطرت قيرس إلى اضطهادهم وفتنتهم على النحو البشع»(٢) الذى سبق بيانه؟

### سبب كره المصريين للروم:

من أهم الأسباب التى أدت لبغض المصريين من الروم: العامل السياسي:

«فقد ضاق الشعب المصرى بحكم الرومان ضيقا أثاره برومية، ثم بيزنطية ثورات عنيفة غير مرة، وهو لم يكن أقل ضيقا بهذا الحكم قبل تغلب الفرس على فوكاس واستئثارهم بأرض مصر، ولا بعد تغلب هرقل على الفرس وإجلائهم عن مصر»(٣).

ومع أن الفرس تركوا لهم أمر الحكم على نحو اللامركزية المألوفة فى بلادهم، كما أعفوهم من كثير من الأعباء التى كانت ترهقهم، لكنهم فرحوا بانتصار:(٤).

«هرقل على الفرس، واسترد مصر، فرح المصريون لأنهم مسيحيون مثله، ولأنهم طمعوا

(١) د: محمد حسين هيكل: الفاروق عمر: جـ ٢ ص ٧٤.
(٢) د/ هيكل: الفاروق عمر: جـ ٢ ص ٧٤.
(٣) المصدر السابق جـ ٢ ص ٧٥.
(٤) انظر المصدر السابق.

فى أن يذكر لهم يدهم عنده....، وعظم رجاؤهم ألا يرهقهم حكمه.لكنهم سرعان ما رأوا الحكم الرومانى القديم عاد كما كان، ورأوه شرا من حكم الفرس بمراحل»[١].

إذ «لم يكتف صاحب السلطان من قبل قيصر بأن يأخذ منهم غلاتهم، ومصنوعاتهم ليرسلها إلى بيزنطية مقابل الضرائب المفروضة عليهم، بل اعتبرت الأرض ملكا تفرض على أصحابها جزية. وإن شئت فقل تكليفا، يدفعونها أجراً للأرض التى يزرعونها..وربما احتمل الناس الضريبة والجزية بشىء من الصبر أيام الرخاء.لكن مصر عادت إلى هرقل فى سنى شدة وبأساء.فقد انتهى الاضطراب فى عهد فوكاس إلى تعطيل القناة التى كانت تصل البحر الأحمر بالنيل فالبحر الأبيض، ثم لم يعدْها الفرس، ولم يعدها عمال هرقل، فتدهورت التجارة تدهورا أفلس بسببه كثير من اليهود واليونان المشتغلين فى أسواق الإسكندرية، وتدهورت أسعار الحاصلات والمصنوعات فى داخل البلاد، تدهورا أدى إلى أزمة انزعج لها الناس أيما انزعاج. وما قيمة صناعة الزجاج، أو صناعة المنسوجات، أو صناعة الورق من البردى أو غيرها من الصناعات المصرية التى كانت زاهرة فى مصر السفلى وفى مصر الوسطى، إذا لم تجد أسواقا فى الخارج لتصريفها، واقتصر أمرها على أن تؤخذ جزية لقيصر! لذا كره الناس حكم الروم، وودوا لو استطاعت مصر أن تتخلص منه وأن تستقل بنفسها، لكن الروم كانوا قد حرّموا على مصر صناعة الأسلحة واستعمالها، وكانت الطبقة المستنيرة من المصريين الموظفين فى الدولة قد ذلّت لوظائفها.فلم يكن بد من التذرع بوسيلة ينفس بها الشعب عن نفسه، وذلك بأن ينزع للثورة. وسرعان ما جاء قيرس بالمذهب المسيحى الجديد يحاول فرضه على مصر حتى هب رجال الدين فى وجهه يلعنونه بذلك فتحوا للشعب بابا يروى ظمأه للانتفاض، فكان الاضطهاد الأعظم الذى رأيت، والذى زاد المصريين كراهية لقيصر ولقيرس، ولحكمهما، ولمذهبهما الجديد»[٢].

**تناقل الأنباء بين المصريين والعرب:**

لم يكن ما حدث فى مصر ليخفى على أمير المؤمنين عمر ﵁ ولا على المستنيرين، فقد دام الاضطهاد، والتعذيب فى مصر عشر سنوات.

«بدأت قبيل وفاة النبى ﷺ واستمرت طيلة خلافة الصديق ﵁ وظلت متصلة فى عهد عمر إلى أن دخل العرب مصر.وفى هذه السنوات العشر كان المصريون، والعرب يتبادلون

---

(١) نفس المصدر.

(٢) الفاروق عمر جـ ٢ص ٧٦، ومالية مصر فى عهد الفراعنة إلى الآن:للأمير عمر طوسون ص٩٣ ـ٩٥ .

التجارة كما كانوا يفعلون من قبل، فكانت أنباء العرب البارزة تبلغ المصريين، وكانت أنباء المصريين البارزة تبلغ العرب، وزاد العرب علما بأنباء مصر متاخمتهم لها بالشام.

ولا جرم فقد كان عمرو بن العاص من أكثر الناس بها علما، إذ كان بفلسطين، أدنى الأرض من ميدان الاضطهاد والتعذيب، ومن ثورة المصريين بقيصر وبعماله، لذلك لم يغب عنه أن شعب مصر المضطهد لن تأخذ منه الحماسة فيعاون الروم إذا قاتلهم العرب فى أرض مصر، وإن أيقن أن هذا الشعب لن يقاتل الروم فى صف العرب من خشية أن تدور على العرب الدائرة، ولأنه ليس بينه وبين العرب صلة تثير الحماسة فى قلبه، فهو ليس من جنسهم (*)، وليست لغته لغتهم ولا عقيدته عقيدتهم»(١) .

**إحساس عمرو.. بفتور المصريين تجاه الروم:**

زاد عمرو بن العاص اقتناعا بما ظنه من فتور المصريين عن نصرة الروم، وما كان الناس فى مصر وفى غير مصر يعرفونه يومئذ عن سياسة المسلمين، وأنها تترك الناس أحرارا فى دينهم، فلا تحاول صرفهم عنه، أو حملهم على تغييره، لأن ﴿مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ (٢) .

ومن استمسك بدينه ورضى الجزية فله ما اختاره أما وقد كان الاضطهاد الدينى دعامة الثورة بالروم، ثورة تتلظى بها نفوس المصريين جميعا، فلا عجب أن يلقوا تسامح المسلمين الدينى بالغبطة، وأن يقفوا من قتالهم الروم موقف المتفرج:

لا يُغْضِبون الروم بمظاهرة المسلمين عليهم، ولا تدفعهم لقتال المسلمين حماسة لعقيدة مشتركة بينهم وبين حكامهم، أو طمأنينة إلى عدل يسوى بينهم وبين هؤلاء الحكام (٣) .

**التفكير في فتح مصر:**

لم يكد عمرو بن العاص يخلو بأمير المؤمنين عمر..حين مجيئة إلى الشام..حتى سار معه من الجابية فى أرجاء فلسطين وسورية، وجعل يعيد على سمعه، ما كان قد فاتحه فيه من أمر مصر، ذاكرا له من الحجج التى تؤيد رأيه، حتى انتهى عمر إلى الاقناع برأيه، لكن استمهله فى تنفيذه حتى يكتب إليه من المدينة بعد عوده إليها.

---

(*) سوف يأتى مزيد بيان لهذه النقطة عند الحديث عن علاقة مصر باللغة العربية فى الفصل الخامس من الباب الثالث إن شاء الله تعالى.

(١) انظر الفاروق عمر جـ ٢ ص ٧٢ .

(٢) سورة الإسراء:من الآية ١٥ .

(٣) انظر الفاروق عمر جـ ٢ ص ٧٦ .

وزاد عمر ميلا إلى الإقتناع برأى عمرو..ما يعرفه من جرأته فى الحرب ودهائه فى السياسة وقدرته على تحمل مشقة السير لذلك الفتح، وقد دلت الحوادث على أن أمير المؤمنين عمر - رضى الله عنه - لم يخطىء فى تقديره، وأن شخصية عمرو بن العاص - رضى الله عنه - وما اجتمع فيها من الدهاء والإخلاص والإقدام قد جعلته الرجل المختار فى فتح مصر[1].

وقبل الخوض فى تفاصيل فتح مصر، وما ترتب عليه أحب أن أطرح هذه الأسئلة:

١ - ما هى الأسباب التى دعت المسلمين ليخرجوا من جزيرتهم؟

٢ - ولماذا لم يكتفوا بإرسال الدعاة هنا وهناك بين الحين والحين للفت الأنظار إلى رسالتهم؟

٣ - لماذا جاءت دعوة الإسلام أصلا؟

٤ - وهل جاءت ليرتزق المسلمون من ورائها؟ أم جاءت لتخرج الناس من الظلمات إلى النور؟ ومن عبودية العباد إلى عبودية رب العباد؟

والإجابة على هذه الأسئلة سأتناولها بمشيئة الله تعالى فى الفصل الأول من الباب الثانى، بينما سأنبه على بقية الفصول تباعا.

(١) انظر: د / هيكل: الفاروق عمر .. جـ ٢ ص ٧٧ .

# الباب الثاني

## كيف دخلت الدعوة الإسلامية مصر، وكيف نجحت؟

ويضم أربعة فصول :

الفصل الأول : عموم دعوة الإسلام.

الفصل الثاني : غاية الجهاد في الإسلام.. وعلاقته بفتح مصر.

الفصل الثالث : فتح ولاية مصر، ونشر الدعوة بين سكانها.

الفصل الرابع : أرض الكنانة ومن نزل فيها من الصحابة رضي الله عنهم

## الفصل الأول : عموم دعوة الإسلام

ويشتمل على تمهيد،

وستة مباحث :

المبحث الأول : سبب خروج المسلمين من جزيرتهم.

المبحث الثاني : السبب الحقيقي من مجيء الإسلام.

المبحث الثالث : عموم دعوة الإسلام .

المبحث الرابع : ردود على شبهات حول عالمية الدعوة الإسلامية.

المبحث الخامس : خطورة عالمية الدعوة.

المبحث السادس : (من آثار شبهات الأعداء على الدعوة في مصر)

تهجم بعض كتاب المسلمين في مصر على عموم دعوة الإسلام والرد عليهم.

# الفصل الأول
## عموم دعوة الإسلام

من موضوعات هذا الفصل بالإضافة إلى الموضوعات الأخرى :ـ

**الموضوع الأول:لماذا خرج المسلمون من جزيرتهم:؟**

أ ـ المحاورة بين الصحابة، ورستم وكسرى.في سبب خروج المسلمين، ب ـ وصف العرب لرستم جـ ـ المغيرة بن شعبة ورفاقه يحاورون رستم. د ـ تعليق رستم دعوة كسرى إلى الإسلام على أيدى الصحابة، يزدجرد يحتقر العرب. هـ ـ نتيجة الحوار.

**الموضوع الثاني:سبب مجيء الإسلام:**

أ ـ فساد الأمم السابقة... ب ـ تمكين الإنسان من إرادته الحرة.
جـ ـ زيغ الأمم السابقة عن هدى الله. د ـ نظرة جائرة.
هـ ـ نجاة الموحدين المسلمين الجدد من الإبادة.
و ـ شهادة الخصوم بفضل الإسلام. ز ـ دعوة الإسلام إحياء لمبدأ التوحيد.

**الموضوع الثالث:عموم دعوة الإسلام:**

مقدمة:كتب الرسول ﷺ الاختلافات حول توقيت هذه الكتب.

ـ الأدلة على عموم دعوة الإسلام ـ خطابه ﷺ إلى كسرى، وإلى هرقل امبراطور الروم، وإلى المقوقس عظيم القبط والخلاصة من وراء هذه المكاتبات والردود عليها.

ـ الاختلافات والتشكيك حول الرسائل المتبادلة بين رسول الله ﷺ، وصاحب مصر.

ـ أسباب الجدل ودراسة الباحثين حول رسائل النبى ﷺ إلى المقوقس.

الهدف من هذه الرسائل.

ـ أقوال المستشرقين في عالمية الدعوة..هل المسيحية رسالة عالمية؟ والرد على ما قيل فى هذا الصدد.

ـ أرنولد يسوق الأدلة على عموم دعوة الإسلام ـ استشكال بعض المستشرقين فى فهم بعض آى القرآن انقسام الأوربيين حول هذه المسألة ـ خطورة عالمية الدعوة من خصائص الدعوة، وسبب نشأتها فى مكة ـ الفهم الخاطىء ـ الفرق بين عالمية الدعوة والثورة ـ مكانة الدعوة ـ دعوة الإسلام جاءت لترد الإنسان الشارد إلى ربه ـ حاجة البشر إلى الإسلام ـ كلمة للمسلمين.

**الموضوع الرابع:طعن جولد تسهير على الدعوة:**

من آثار شبهات الأعداء على الدعوة فى مصرـ من آثار الاستشراق فى مصر.تهجم بعض المسلمين على عموم دعوة الإسلام والرد عليه. ـ الأمة الكبرى ـ أحاديث فى عالمية الدعوة ـ ترد على صاحب كتاب:التاريخ السياسى للدولة العربية ـ خطورة هذا الكتاب.

# الفصل الأول

## عموم دعوة الإسلام

**تمهيد:**

يتصدر هذا الموضوع تساؤل ملح، يفصح عن كثير مما يتضمنه هذا الفصل.

**التساؤل الأول:** ما الذى أخرج المسلمين من جزيرتهم؟

**التساؤل الآخر:** ما هو السبب الحقيقى فى مجىء الإسلام؟

**المبحث الأول:** يشمل ــ

الإجابة عن السؤال الأول:أن من يدقق النظر فى سيرة المسلمين الأوائل بإنصاف يخرج منها بهذه الحقيقة، أنهم لم يخرجوا من جزيرتهم طمعا فى مغنم، أو طلبا للقوت، أو رغبة فى شهرة أو حبا لسفك دماء، كما يحلو لبعض المستشرقين، أن يعلل سبب خروجهم من جزيرتهم، لأن مناخ بلادهم وعلى الأخص فى القرن السابع قد أصيب بالجفاف، مما دفعهم إلى الهجرة ومهاجمة البلدان التى تتاخمها حتى قال أحد الصليبيين:

«إن الحاجة تبرر كل عمل عدائى، وأن العرب كثيرا ما قاموا بأعمال عدوانية بحثا عن القــــوت»[١] ونسى هذا القائل أن ذلك كان قبل اعتناقهم الإسلام، ولكنه يقتدى بما قاله المستشرق المجرى جولد تسهير:« ..وكانت البواعث الغالبة التى دفعت بالعرب إلى القيام بالفتوحات ـ ونشر الدعوة ـ هى الحاجة المادية، والطمع...وهو مما يسهل تعليله بالنسبة للمركز الاقتصادى لبلاد العرب، الذى خلق الحافز إلى الهجرة من البلاد التى أصابها الفقر، والاضمحلال، واحتلال الأقاليم الأعظم ثراء وخصبا، وقد دهش العرب للدين الجديد، ورحبوا به، على اعتبار أنه ذريعة لحركة الفتح هذه التى كانت تدعو إليها الضرورات الاقتصادية»[٢] !!

لكن الواقع التاريخى للإسلام يكذب هذه المزاعم، إذ أن البواعث الأكيدة التى دفعت بالمسلمين خارج جزيرتهم فاتحين البلاد شرقا وغربا، إنما هى الرغبة الصادقة فى نشر الدين ودعوته، وتكوين دولة إسلامية عالمية يسعد فيها البشر جميعا، [٣] «وأما المال فلم يكن القصد إليه إلا أمرا ثانويا» [٤] .

---

(١) نقلا عن:الشيخ محمد الغزالى:التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ص ١١٨ .

(٢) جولد تسهير:العقيدة والشريعة.. ص ١٣٧ .

(٣) انظر تعليق المترجمين لكتاب العقيدة والشريعة السابق ص ١٣٧ حاشية.

(٤) المصدر نفسه.

فقد لبث العرب قرونا فى جزيرتهم قانعين بعيشتهم، فما الذى حرك فيهم هذه الرغبة العارمة إلا أن تكون فى سبيل دعوة صادقة خالطت قلوبهم فخرجوا من أجلها مبشرين ومنذرين العالم كله [١].

**الإسلام إعلان عام للإنسان:**

لما كان الغرض من دعوة الإسلام هداية البشرية، فإن الهدف الأسمى الذى خرج من أجله المسلمــون لم يكن لمصلحـة الإنســان العــربى وحــده، فليس الإســلام رســالة خــاصــة بالعــرب....:...إن موضوعه: إعلان عام لتـحرير الإنسان، أي نوع الإنسان، ومجاله الأرض، إن الله جل ثناؤه ليس ربا للعرب وحدهم، ولا حتى لمن يعتنقون العـقيدة الإسلامية وحدهم.. إن الله هو رب العــالمين، وهذا الدين يـريد أن يرد العــالمين إلي ربهم، وأن ينزعــهم من العـبــودية لغيره. والعبــودية الكبرى في نظر الإسلام هي خضوع البشـر لأحكام يشرعها لهم نــاس مــن البشر...وهذه هى العبادة التى يقرر أنها لا تكون إلا لله. وأن من يتوجه بها لغير الله يخرج من دين الله مهما ادعى أنه فى هذا الدين. ولقد نص رسول الله ﷺ على أن الاتباع فى الشريعة، والحكم هو العبادة، التى صار بها اليهود والنصارى مشركين [٢].

أخرج الترمذى ـ بإسناده ـ عن عدى بن حاتم الطائى ـ رضى الله عنه ـ أنه لما بلغته دعوة رسول الله ﷺ فر إلى الشام، وكان قد تنصر فى الجاهلية فأسرت أخته وجماعة من قومه ثم مَنَّ رسـول الله ﷺ على أخته وأعطاها فرجعت إلى أخيها فرغبته فى الإسلام، وفى القدوم على رسول الله ﷺ فتحدث الناس بقدومه فدخل على رسول الله ﷺ وفى عنقه (أى عدى) صليب من فضة وهو أى (النبى ﷺ) يقـرأ هذه الآية: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ [٣].. قال: فقلت إنهم لم يعبدوهم. فقال: «بلى! إنهم حرموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام. فاتبعوهم. فذلك عبادتهم إياهم» [٤].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) راجع لسيد قطب: الظلال جـ ٣ ص ١٤٣٤ وما بعدها طـ الشروق ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

(٣) التوبة: آية ٣١ .

(٤) رواه الإمام أحمـد، والترمذى، وابن جرير من طرق عن عدى بن حاتم ـ رضى الله عنه ـ بطريق حسن وبقية الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: «يا عدى ما تقول؟ أيضرك أن يقال الله أكبر؟ فهل تعلم شيئا أكبر من الله؟ ما يضرك أن يقال: لا إله إلا الله؟ فهل تعلم إلها غير الله؟ ثم دعاه إلى الإسلام فأسلم وشهد شهادة الحق والحديث استدل به الحافظ بن كثير فى تفسيره جـ ٢ ص ٣٤٨ ولم يضعفه .

وهذا التفسير من رسول الله ﷺ نص قاطع على أن الاتباع فى الشريعة، والحكم هو العبادة التى تخرج من الدين، وأنها هى اتخاذ بعض الناس أربابا لبعض. الأمر الذى جاء هذا الدين ليلغيه، ويعلن تحرير الإنسان فى الأرض من العبودية لغير الله تعالى.

ومن ثم لم يكن بد للإسلام أن ينطلق فى الأرض لتغيير هذا الواقع المخالف لذلك الإعلان العام..فيوجه الضربات للقوى السياسية التى تعبد الناس لغير الله، فتحكمهم بغير شريعته وسلطانه، وتحول بينهم وبين الاستماع إلى البيان واعتناق العقيدة بحرية لا يتعرض لها السلطان..

ومع كل هذا، فإنه لم يكن من هدف الإسلام قط أن يكره الناس على عقيدته، ولكنه ليس مجرد عقيدة إن الإسلام إعلان عام لتحرير الإنسان من العبودية للعباد [١].

**وتكتمل الإجابة على التساؤل الأول بهذه المحاورة:**

روى الطبرى فى حوادث السنة الرابعة عشرة هذا الحوار-

لما نزل (رستم القادسية) طلب من سعد بن أبى وقاص أن ابعث رجلا نكلمه فأرسل إليهم **ربعي بن عامر**، فجاءه، ووجده قد جلس على سرير من ذهب، وحوله الحرس، والخدم، ومدت أمامه البسط والنمارق، والوسائد المنسوجة بالذهب، فأقبل ربعى على فرسه، وسيفه فى خرقة، ورمحه مشدود بعصب، فقالوا له:ضع سلاحك، قال:إنى لم آتكم، فأضع سلاحى بأمركم، أنتم دعوتمونى، فإن أبيتم أن آتيكم كما أريد رجعت، فأخبروا «رستم» فقال:ائذنوا له، فلما انتهى إلى البساط وطئه بفرسه، ثم نزل، وربطها بوسادتين شقهما وجعل الحبل بينهما، وجلس على الأرض وركز رمحه بالبسط..فقال له رستم قائد جيش الفرس:ما جاء بكم؟

قال:«الله ابتعثنا، والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه فمن قبل ذلك منه، قبلنا ذلك منه، ورجعنا عنه، وتركناه وأرضه يليها دوننا، ومن أبى قاتلناه حتى نفضي إلى موعود الله،:الجنة أو الظفر» [٢].

---

(١) راجع:تفسير الظلال جـ ٣ ص ١٤٣٥ ـ وسيأتى مزيد بيان فى عدم إكراه الناس على الإسلام.
(٢) الإمام محمد بن جرير الطبرى:تاريخ الرسل والملوك جـ ٣ ص ٥٢٠ طـ دار المعارف.

## تفصيل بعد إجمال:

فقال رستم: قد سمعت مقالتكم، فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه، وتنظروا؟ قال: «نعم، إن مما سن لنا رسول الله ﷺ وعمل به أئمتنا، ألاَّ نمكن الأعداء.. أكثر من ثلاث! فنحن مترددون عنكم ثلاثا، فانظر فى أمرك وأمرهم، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل: اختر الإسلام وندعك وأرضك، أو الجزية، فنقبل ونكف عنك، وإن كنت إليه محتاجا منعناك، أو المنابذة [1] فى اليوم الرابع، ولسنا نبدؤك فيما بيننا وبين اليوم الرابع إلا أن تبدأنا، وأنا كفيل لك بذلك على أصحابى» [2].

قال رستم: أسيدهم أنت؟ قال: «لا، ولكن المسلمين كالجسد بعضهم من بعض، يجير أدناهم على أعلاهم» [3].

ثم انصرف، فخلا رستم بأصحابه، وقال هل رأيتم كلاما قط أوضح، ولا أعز من كلام هذا الرجل؟ قالوا: معاذ الله أن تميل إلى شىء من هذا وتدع دينك، ورأوه الاستخفاف بالرجل.. فقال رستم: ويحكم:

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ الأنفال: ٥٨ أى: وإما تخافن من قوم «خيانة» فالق إليهم عهدهم على عدل فى معاملتهم، والاستقامة، إن الله لا يحب الخائنين، فإذا خشيت نقضا لما بينك، وبينهم من المواثيق والعهود، فانبذ إليهم، عهدهم على سواء، أى أعلمهم بأنك قد نقضت عهدهم حتى يبقى علمك وعلمهم بأنك حرب عليهم، وهم حرب لك، وأنه لا عهد بينك وبينهم على السواء، أى تستوى أنت وهم فى ذلك. راجع تفسير بن كثير جـ ٢ ص ٣٢٠ طـ الحلبى، والمصحف المفسر ص ٢٣٦ لمحمد فريد وجدى.
أخرج الإمام أحمد بسنده عن سليم بن عامر قال: كان معاوية «..يسير فى أرض الروم، وكان بينه وبينهم أمد، فأراد أن يدنو منهم، فإذا انقضى الأمد غزاهم، فإذا شيخ على دابة يقول: الله أكبر، الله أكبر وفاء لا غدر إن رسول الله ﷺ قال: ومن كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عقدة، ولا يشدها حتى ينقضى أمدها، أو ينبذ إليهم على سواء» . قال فبلغ ذلك معاوية.. فرجع، فإذا بالشيخ: عمرو بن عنبسة ـ رضى الله عنه ـ رواه أبو داود الطيالسى. وقال الترمذى: حسن صحيح. كيف كانت تبلغ دعوة الإسلام للمحاربين؟ أخرج الإمام أحمد بسنده عن سلمان الفارسى ـ رضى الله عنه ـ أنه انتهى إلى حصن أو مدينة فقال لاصحابه: دعونى أدعوهم، كما رأيت رسول الله ﷺ يدعوهم، فقال: إنما كنت رجلا منكم فهدانى الله عز وجل للإسلام، فإن أسلمتم فلكم ما لنا، وعليكم ما علينا، وإن أبيتم فأدوا الجزية وأنتم صاغرون وإن أبيتم نابذناكم على سواء. إن الله لا يحب الخائنين. يفعل بهم ذلك ثلاثة أيام. استدل بهذا الحديث الحافظ ابن كثير فى تفسيره جـ ٢ ص ٣٢٠ .

(٢) تاريخ الطبرى جـ ٣ ص ٥٢٠ .

(٣) المصدر نفسه.

لا تنظروا إلى الثياب، ولكن انظروا إلى الرأى، والكلام، والسيرة، إن العرب تستخف باللباس، والمآكل، ويصونون الأحساب، ليسوا مثلكم فى اللباس، ولا يرون فيه ما ترون..فلما كان اليوم الثانى .بعثوا:أن ابعث إلينا ذلك الرجل فبعث إليهم سعد بن أبى وقاص - رضى الله عنه - **حذيفة بن محصن الغطفاني**، فلم يختلف عن ربعى فى العمل، والقول والإجابة.

قال له رستم:ما بالك جئت ولم يجيء صاحبنا بالأمس؟ قال:إن أميرنا يحب أن يعدل بيننا فى الشدة، والرخاء، فهذه نوبتى، قال:ما جاء بكم؟ قال:

«إن الله عز وجل منّ علينا بدينه، وآرانا آياته، حتى عرفناه، وكنا له منكرين، ثم أمرنا بدعاء الناس إلى واحدة من ثلاث، فأيها أجابوا إليها قبلناها:

الإسلام، وننصرف عنكم، أو الجزية ونمنعكم إن احتجتم إلى ذلك، أو المنابذة.فقال:أو الموادعة إلى يوم ما؟ فقال:نعم، ثلاثا من أمس»[(١)].

فلما كان من الغد أرسل:ابعثوا لنا رجلا فبعثوا إليهم:

**المغيرة بن شعبة**:فأقبل المغيرة حتى جلس معه على سريره، ووسادته، فوثبوا عليه يجذبونه، فقال:كانت تبلغنا عنكم الأحلام، ولا أرى قوما أسفه منكم، إنا معشر العرب سواء لا يستعبد بعضنا بعضا إلا أن يكون محاربا لصاحبه، فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى، وكان أحسن من الذى صنعتم أن تخبرونى أن بعضكم أرباب بعض، وأن هذا الأمر لا يستقيم فيكم فلا نصنعه، ولم آتيكم، ولكن دعوتمونى. اليوم، علمت أن أمركم مضمحل، وإنكم مغلوبون، وأن ملكا لا يقوم على هذه السيرة، ولا على هذه العقول.

فقالت السوقة:صدق والله العربى، وقالت الدهاقين:والله لقد رمى بكلام لا يزال عبيدنا ينزعون إليه، قاتل الله سابقينا، كانوا يصغرون أمر هذه الأمة[(٢)].

### رستم يصف العرب، ويحط من قدرهم:

ثم تكلم رستم:فمدح قومه، ومكانتهم بين الأمم، وأنكر مكانة العرب فقال:«لم يكن فى الناس أمة أصغر عندنا منكم، كنتم أهل قشف، معيشة سيئة، لا نراكم شيئا ولا نعدكم، وكنتم إذا قحطت أرضكم، وأصابتكم السنة استغثتم بناحية أرضنا فنأمر لكم بالشيء من التمر والشعير ثم نردكم، وقد علمت أنه لم يحملكم على ما صنعتم إلا ما أصابكم من الجهد فى

(١) المصدر نفسه ص ٥٢١ .
(٢) الطبرى جـ ٣ ص ٥٢٢ .

بلادكم، فأنا آمر لأميركم بكسوة وبغل، وألف درهم، وآمر لكل رجل منكم بوقر [١] تمــر وبثوبين وتنصرفون عنا، فإنى لست أشتهى أن أقتلكم ولا آسركم» [٢].

**المغيرة يجدد دعوى زميليه:**

ثم تكلم المغيرة..فحمد الله وأثنى عليه، وقال:«إن الله خالق كل شىء ورازقه..وأما الذى ذكرت به نفسك، وأهل بلادك، من الظهور على الأعداء، والتمكن فى البلاد وعظم السلطان فى الدنيا فنحن نعرفه، ولسنا ننكره، فالله صنعه بكم، ووضعه فيكم، وهو له دونكم، وأما الذى ذكرت فينا من سوء الحال وضيق المعيشة واختلاف القلوب، فنحن نعرفه ولسنا ننكره والله ابتلانا بذلك، وصيرنا إليه والدنيا دول...إن الله تبارك وتعالى بعث فينا رسولا..، ثم ذكر مثل الكلام الأول حتى انتهى إلى قوله:وإن احتجت إلينا أن نمنعك فكن لنا عبدا تؤدى الجزية عن يد وأنت صاغر، وإلا فالسيف إن أبيت...» [٢].

**تعليق رستم على المحاورة، ومدحه للعرب:**

انصرف المغيرة، وخلا رستم بأهل فارس وقال:أين هؤلاء منكم؟

ألم يأتكم الأولون فجسَّراكم واستحرجاكم؟ ثم جاءكم هذا، فلم يختلفوا، وسلكوا طريقا واحدا، ولزموا أمرا واحدا، هؤلاء والله الرجال صادقين، كانوا أم كاذبين، والله لئن كان بلغ من إربهم وصونهم لسرهم ألا يختلفوا فما قوم أبلغ فيما أرادوا منهم...[٣]

أوعيت هذه المفاوضة؟ فهل القوم طلاب غنائم، ..وأسلاب، أم طلاب دعوة ومبادىء؟ إنهم كما رأيت لم يناقشوا الفرس فى عبادتهم، إذ كان هدفهم كما قال ربعى:ليخرجوا من شاء وأراد من عبادة العباد إلى عبادة الله...

**دعوة كسرى إلى الإسلام:**

لم يكتف سعد ـ رضى الله عنه ـ بدعوة «رستم» قائد قوات يزدجرد إلى الإسلام، بل أرسل أيضا دعاة إلى يزدجرد نفسه يدعونه إلى الإسلام أيضا منهم:ـ

**النعمان بن مقرن،**

(١) الوقر:الحمل الثقيل:المعجم الوسيط:مادة:وقرت.
(٢) انظر الإمام الطبرى جـ ٣ ص ٥٢٣ .
(٣) نفس المصدر السابق.
(٤) انظر الإمام الطبرى جـ ٣ ص ٥٢٣،٥٢٤ .

**وقيس بن زرارة،**

**والأشعث بن قيس،**

**وفرات بن حيان.** فلما وصلوا إلى المدائن أدخلوا على «يزدجرد» فقال لترجمانه: سلهم ما جاء بكم؟ وما دعاكم إلى غزونا، والولوغ ببلادنا، أمن أجل. تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا؟

**فتكلم النعمان،** فقال: «إن الله رحمنا فأرسل إلينا رسولا يدلنا على الخير، ويأمرنا به، ويعرفنا الشر وينهانا عنه، ووعدنا على إجابته خيرى الدنيا والآخرة فلم يدع إلى ذلك قبيلة إلا صاروا فرقتين، فرقة تقاربه، وفرقة تباعده، ولا يدخل معه فى دينه إلا الخواص، فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث، ثم أمر أن ينبذ إلى من خالفه من العرب، وبدأ بهم وفعل، فدخلوا معه جميعا على وجهين:

مكره [١] عليه فاغتبط، وطائع أتاه، فعرفنا جميعا فضل ما جاء به على الذى كنا عليه من العداوة والضيق، ثم أمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الانصاف، فنحن ندعوكم إلى ديننا، وهو دين حسن الحسن، وقبح القبيح كله، فإن أبيتم فأمر الشر هو أهون من آمر آخر أمنه. الجزية، فأن أبيتم فالمناجزة، فإن أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله، وأقمناكم عليه على أن تحكموا بأحكامه، ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم، وإن اتقيتمونا بالجزية قبلنا ومنعناكم، وإلا قاتلناكم» [٢].

### يزدجرد يحتقر العرب هو الآخر:

فتكلم يزدجرد فقال: إنى لا أعلم فى الأرض أمة كانت أشقى، ولا أقل عددا ولا أسوأ ذات بين منكم، قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي، فيكفونا أمركم، لا تغزون فارس ولاتطمعون أن تقوموا لهم، فإن كان عددكم لحق - أى كثر - فلا يغرنكم منا، وإن كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتا إلى خصبكم، وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم، وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم [٣].

---

(١) كان الدخول فى الإسلام والخروج منه مباحا إلى ما قبل وفاة الرسول ﷺ بفترة قصيرة فلما تكالب مشركوا الجزيرة على حرب الدعوة ابتغاء إفنائها خيروا وثنى الجزيرة بين الإسلام والقتال. انظر التعصب والتسامح ص ١٢٣ هامش ٢ .

(٢) انظر الإمام الطبرى جـ٣ ص ٤٩٨ - ٤٩٩ .

(٣) انظر الإمام الطبرى جـ٣ ص ٤٩٩ .

**فقام بن زرارة، وقال:**

«أما ما ذكرت من سوء الحال، فما كان أسوأ حالاً منا، وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع، كنا نأكل الخنافس، والجعلان والعقارب والحيات، فنرى ذلك طعامنا، وأما المنازل فإنها هى ظهر الأرض، ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل، وأشعار الغنم، ديننَا أن يقتل بعضنا بعضا، ويغير بعضنا على بعض، وإن كان أحدنا ليدفن ابنته وهى حية كراهية أن تأكل من طعامنا، فكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرت لك، فبعث الله إلينا رجلا معروفا:نعرف نسبه، ونعرف وجهه، ومولده، فأرضه خير أرض، وحسبه خير أحسابنا، وبيته أعظم بيوتنا، وقبيلته خير قبائلنا، وهو بنفسه كان خيرنا فى الحال التى كان فيها أصدقنا وأحملنا، فدعا إلى أمر فلم يجبه أحد قبل ترْب [(١)] كان له، وكان الخليفة من بعده، فقال، وقلنا، وصدق وكذبنا، وزاد ونقصنا، فلم يقل شيئا إلا كان، فقذف الله فى قلوبنا التصديق له واتباعه، فصار فيما بيننا، وبين رب العالمين، فما قال لنا فهو قول الله، وما أمرنا فهو أمر الله فقال لنا:

إن ربكم يقول:إنى أنا الله وحدى لا شريك لى، كنت إذ لم يكن شيء وكل شيء هالك إلا وجهى، أنا خلقت كل شيء، وإلىّ يصير كل شيء، وإن رحمتى أدركتكم فبعثت إليكم هذا الرجل لأدلكم على السبيل التى بها أنجيكم بعد الموت من عذابى، ولا أحلكم دارى، دار السلام فنشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الله وقال:

من تابعكم على هذا فله ما لكم وعليه ما عليكم، ومن أبى فأعرضوا عليه الجزية، ثم امنعوه مما تمنعون منه أنفسكم، ومن أبى فقاتلوه، وأنا الحكم بينكم، فمن قتل منكم أدخلته جنتى، ومن بقى منكم أعقبته النصر على من ناوأه [(٢)].

فاختر إن شئت الجزية عن يد وأنت صاغر، وإن شئت فالسيف، أو تسلم فتنجى نفسك.فقال:أتستقبلنى بمثل هذا؟ فقال:ما استقبلت إلا من كلمنى، ولو كلمنى غيرك لم أستقبلك به [(٣)] . فقال يزدجرد:لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم، لا شيء لكم عندى فقال:

---

(١) الترب:المماثل فى السن، وأكثر ما يستعمل فى المؤنث.المعجم الوسيط مادة:ترب.

(٢) لعله يشير إلى الحديث الذى أخرجه الإمام أحمد بسنده عن ابن عمر قال:قال رسول الله ﷺ:«بعثت بالسيف حتى يعبد الله لا شريك له، وجعل رزقى تحت ظل رمحى، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمرى..» المسند جـ٧ ص ١٢١، باب الإيمان طـ دار المعارف ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م تحقيق الشيخ أحمد شاكر.

(٣) تاريخ الطبرى جـ٣ ص ٥٠٠ .

ائتونى بوقر من تراب، فقال احملوه على أشرف هؤلاء، ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن، ارجعوا إلى صاحبكم فأعلموه أنى مرسل إليكم «رستم» حتى يدفيكم ويدفيه ـ أى يدفنكم ويدفنه ـ فى خندق القادسية، وينكل به وبكم من بعد، ثم أورده بلادكم حتى أشغلكم فى أنفسكم بأشد مما نالكم من سابور.ثم قال:من أشرفكم؟ فسكت القوم، فقام **عاصم بن عمرو** وقال:

أنا أشرفهم، أنا سيد هؤلاء فحملنيه، فقال:أكذلك؟

قالوا:نعم، فحمله على عنقه، وخرج إلى راحلته فركبها حتى إذا وصل إلى سعد... ودخل عليه أخبره الخبر، فقال:أبشروا، فقد والله أعطانا الله مقاليد ملكهم»[١].

### نتيجة الحوار:

استمر الحوار ـ كما رأيت ـ بين سفراء المسلمين وبين ملك الفرس يزدجرد، ورستم قائد جيشه، ثم انتهى إلى هذه النتيجة على يد رجل من المسلمين اختطفه رجال «رستم» دون قنطرة القادسية وكان رستم بـ «كوثى» وجاءوا به إلى «رستم» فقال له:

ما جاء بكم؟ وماذا تطلبون؟ قال:جئنا نطلب موعود الله، قال:وما هو؟ قال:أرضكم، وأبناؤكم، ودماؤكم إن أبيتم أن تسلموا.قال رستم:فإن قتلتم قبل ذلك؟ قال:فى موعود الله، أن من قتل منا قبل ذلك أدخله الله الجنة، وأنجز لمن بقى منا ما قلت لك، فنحن على يقين، فقال رستم:قد وضعنا إذا فى أيديكم؟

قال:ويحك يا رستم! إن أعمالكم وضعتكم، فأسلبكم الله بها، فلا يغرنك ما ترى حولك فإنك لست تحاول ـ تجاول ـ الإنس، إنما تحاول القضاء والقدر! فاستشاط غضبا منه، فأمر به فضربت عنقه، وخرج رستم من «كوثى» حتى ينزل ببرس، فغصب أصحابه الناس: أموالهم، ووقعوا على النساء، وشربوا الخمور فضج العلوج إلى رستم، وشكوا إليه ما يلقون فى أموالهم، وأبنائهم، فقام فيهم، فقال:

يا معشر أهل فارس، والله ما أسلمنا إلا أعمالنا، والله للعرب فى هؤلاء، وهم لهم ولنا حرب أحسن سيرة منكم[٢].

---

(١) المصدر نفسه جـ٣ ص ٥٠١ .

(٢) راجع تاريخ الطبرى جـ٣ ص ٥٠٨ ، وانظر محمد الغزالى:التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ص ١٢٣ .

نعم لقد نطق بالصدق، وأن المسلمين كانوا على درجة عالية من الخلق الرفيع، إذ كانت أعمالهم مطابقة لأقوالهم، فكانوا خير داع للرسالة الخاتمة، وخير ناصح للناس أجمعين.

**سبب مجيء الإسلام:**

تمهيد: فساد العالم الذى كان يتطلب رسالة إلهية عاجلة تصلح ما فسد، وتقوّم ما اعوج، وترد للإنسان حقه السليب، ومن الحرية العقدية التى افتقدها فى ظلّ (فارس وروما)، فكانت دعوة الإسلام، رسالة الله الخاتمة إلى الثقلين، جاءت إلى العالم حامية حانية، لتضع بين يديه حرية الإرادة، وحرية العقيدة، وحرية الكلمة.

**المبحث الثاني: سبب مجيء الإسلام إلى العالم:**

يرجع مجيء الإسلام إلى العالم إلى أسباب منها:

أ ـ فساد الأمم السابقة..

ب ـ تمكين الإنسان من إرادته الحرة.

جـ ـ تمكينه من العقيدة التى يختارها..

فإذا نظرنا إلى العالم قبيل مجيء الإسلام، لوجدنا الفساد عم الشرق والغرب، والشمال والجنوب، وظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس، فكان، لابد لإصلاح الأرض بعد فسادها من رسالة تصلح ما فسد، ولابد لهذه الرسالة من أن تكون عامة، لتصلح الفساد الذى انتشر فى الأرض ولم يبدأ الإسلام دعوته الكبرى إلا بعد أن انقضى على مجيء المسيحية ما يقرب من سبعة قرون، فضلا عن اليهودية القديمة، وعن الوثنية الأقدم من الجميع[1]، ومع هؤلاء الثلاثة، فسد العالم، ومع هذه الحقيقة فإن هناك من أهل الكتاب الذين يتساءلون ـ مستغربين ـ ما هذه الدعوة الجديدة؟

وما حاجة الناس إليها، وهم قائمون فى الحياة يباشرون مراسم العبادة، ويربطون الخلق بربهم على النحو الذى يألفون؟ [2].

ونسى هؤلاء، وهم فى طغيانهم يعمهون «أن ظهور هذا الدين، يعنى أن هناك نقصا فى

(١) التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام .ص ٨٩ .

(٢) المصدر نفسه ص ٧٤ .

العمل الذى يؤدونه، أو خللا فى المنهج الذى يقدمونه، أو تفريطا فى الواجب الذى يحملونه... أو...الخ (١).

لقد شعروا بأن «هذه الرسالة الجديدة تَحَدٍ لوجودهم، وإتهام لبقائهم.

ومسايرتها لحظة من الزمن اعتراف بانقضاء أمدهم، وانتقال دور التوجيه إلى غيرهم!!

ومن الذى يرضى بترك ما معه من يقين، لينضم إلى هذا العربى المبعوث بين الأميين؟؟(٢).

ولننظر إلى الطرق التى سلكتها هذه الديانات ـ التى يتمسك بها هؤلاء وأولئك ـ فى سيطرتها على الشعوب متجاوزين عن قيمتها الذاتية، ومدى ما فيها من حق وباطل متسائلين عن مصير الفرد والجماعة قبيل الإسلام:

هل نال كل فرد من البشر حقه المطلق فى اعتناق الدين الذى يختاره بمحض إرادته؟ وهل الحكومات التى أقامتها هذه الديانات أعطت رعاياها حرياتهم المطلقة فى تخير ما يرون من مذاهب وأفكار؟ (٣) ـ وانقسامات المصريين، واضطراباتهم خير شاهد على فساد هذه الحكومات.

انفردت الوثنية فى فارس، فهل قامت على دعائم مكينة من حرية العقل والضمير؟ ثم انفردت المسيحية بالحكم فى أقطارها الواسعة، فهل كان الإيمان فيها وليد رغبة مطلقة؟ وماذا يكون الرأى إذا كانت المسيحية متمثلة فى الحكومة ذات سلطة هائلة قد قامت على أنقاض مذاهب مسيحية أخرى خنقها الاضطهاد، وقتلها الكبح والجبروت النازل بأشياعها عدة قرون؟ وما هو الرأى إذا ظهر أن المذاهب المنهزمة أدنى إلى الرشد والصدق؟ (٤).

فإذا جاءت دعوة لترد الحق إلى نصابه، وتمنع الباطل من التمادى فى الأرض فهل يكون هذا عدوانا؟

لقد جاء الإسلام لهذه الغاية، ولو أن دعوة الإسلام استخدمت القوة العسكرية ضد أى حكومة تعتمد فى سياستها على تأمين حقوق الفرد، وإطلاق حريته الدينية لكان قد ارتكب

---

(١) المصدر نفسه ص ٧٥ .

(٢) المصدر نفسه.

(٣) راجع الباب الأول من البحث، وأيضا:أبو الحسن الندوى:ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٤٢، وبتلر:فتح العرب لمصر ص ٣٣٦، ودكتور غوستاف لوبون:حضارة العرب:تعريب عادل زعيتر.الفصل الرابع عن حالة مصر قبيل الفتح.

(٤) التعصب والتسامح..ص ٨٩ .

جريمة هو الآخر لا تغتفر ويؤخذ بها إلى يوم الدين [١].

**زيغ الأمم السابقة عن هدي الله:**

يظهر زيغ الأمم السابقة وانحرافها عن هدى الله وسبيله فى هذا القسم الذى أقسمه سبحانه مع بيان أهمية الكتاب الخاتم: ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [٢] فهذا قسم من الخالق سبحانه على انحراف الأمم السابقة عن وحى الله لإغواء الشيطان لهم، وتزيينه ما انحرفوا إليه من تصورات وأعمال، فصار وليهم الذى يشرف عليهم ويصرفهم، فجاءت دعوة الإسلام لتنقذهم وتبين لهم وجه الحق من الباطل، ويفصل بينهم من خلاف فى عقائدهم وكتبهم، وليكون هدى ورحمة لمن يؤمنون به[٣]، وينصاعون لأحكامه.

﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [٤].

وحسبنا أن ننظر فى تاريخ الكنيسة قبيل مجيء الإسلام متوخين الإيجاز لنشاهد سلسلة من المآسى لحقت البشرية تحت حكمها فلم يكن اضطهاد المخالفين عملا فرديا يبدو حينا ويختفى أحيانا، بل كان سياسة ثابتة تستهدف إفناء الخصوم ومحو آثارهم [٥].

وليست المسيحية التى أنزلها الله على عيسى ـ عليه السلام ـ هى التى شرعت للنصارى فى العصور الوسطى هذه التعاليم الجائرة، المتعطشة إلى السفك والهلاك، فإن المسيحية الحقة أصابها تحريف بعد وفاة رسولها عيسى ـ عليه السلام ـ بفترة قصيرة. ولما حاول بعض الأتقياء الورعين أن يعيدوها إلى مكانها الطبيعى من التوحيد، كآريوس وأتباعه، لاقوا من صنوف العنت والتشريد ما لاقوا..[٦].

فتحكم الرومان فى العقيدة، كما تحكموا فى رقاب الناس حتى ليذهب:

---

(١) التعصب والتسامح.. ص ٨٨، ٨٩ .

(٢) النحل: آية ٦٣، ٦٤، كما قد أخبر الله عن زيغ بنى إسرائيل فى نص صريح هو: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ الصف: آية ٥ .

(٣) راجع الظلال جـ٤ ص ٢١٨٠ .　　(٤) سورة إبراهيم: آية ١ .

(٥) سبقت الإشارة إلى هذه النقطة بإفاضة فى الفصل الثانى من الباب الأول.

(٦) راجع الفصل الثانى ص ٣٢ ـ ٣٤ من الباب الأول.

«صفوة المؤرخين إلى تبرير الاضطهاد الذى أنزلته الدولة الرومانية بالمسيحية - واتباعها إذ كان الدين الجديد يناصب العقائد الأخرى العداء، ولا يلين فى حكمه عليها ورأيه فى أتباعها.

وقد بدا من تصرفات المسيحيين، واعترافاتهم أنهم على استعداد لإبادة المذاهب كلها، وتحطيم الحضارة التى يعيشون فى ظلها، متى تهيأت لهم سلطة تمكنهم من بلوغ هذه الغاية[١].

فكان على الدولة أن تنهض للدفاع عن نفسها، ومحو كل دين يهدد بإثارة الشقاق بين رعاياها، وينذر بتحطيم الحضارة التى يعتز بها...»[٢].

ولذلك كان للكنيسة موقف عصيب مع الموحدين، دأبا على تطويقهم حتى استأصلتهم.

**لقد حكمت الكنيسة فماذا فعلت؟**

«منذ اللحظة الأولى لظفر الكنيسة بسلطة مدنية - فى عهد قسطنطين - دخل مبدأ الكبح العام، واستمر عشرة قرون شداد، رسف فيها العقل والقلب فى الاغلال، وعانى من قسوته اليهود والوثنيون كثيرا...وقد حاول قسطنطين أن يضع حدا لشرورهم، فأصدر قانونا يقضى بإحراق كل يهودى يلقى على من اعتنق المسيحية حجرا، وعقاب كل مسيحى تهود..ثم عدّل العقاب إلى مصادرة الأملاك، فإن تزوج يهودى بمسيحية أعدم»[٣] وهذا المبدأ عام يشمل كل ولايات روما، ومنها مصر.

**نظرة جائرة:**

ابتدع المسيحيون عقيدة الخلاص، وهى لب المسيحية، وأساس فكرة التثليث، وعن عقيدة الخلاص هذه صدر التفكير فى الاضطهاد، إذ أخذ المسيحيون بنظرية مؤداها:

إن الخلاص - للبشرية طبعا - لا سبيل إليه إلا عن طريق الكنيسة الكاثوليكية وحدها... فالطفل مثلا على براءته، وخلو ساحته من الخطايا متى مات من غير تعميد.أمضى بقية حياته الأخروية فى جهنم [*] !! فهل ينتظر من الكنيسة التى تعامل الأطفال بهذا المنطق أن تعامل جماهير الناس بالمنطق السليم؟

وهكذا شقت المسيحية طريقها فى الحياة على ركام يعلو مع الزمن من جثث الخصوم

---

(١) وهم اليوم يهددون العالم بين الحين والحين بالدمار، بما مكّن لهم من اكتشافات علمية!!

(٢) دكتور توفيق الطويل:قصة الاضطهاد فى المسيحية والإسلام ص ٣١ .

(٣) المصدر السابق نفسه ص ٣٢ .

(*) يوحنا:٣ :٥ ، ونعمة الله العندارى:سلاحك أيها المسيحى ص ١٩٤ ، وراجع التعصب والتسامح..ص ٩٥ .

ورفات الضحايا والواقع أن المسيحية فى العصور الأولى لم تظفر برعاة يبسطون حمايتهم عليها، ولا دعاة مطمئنين يجمعون الناس فى هدوء على حقيقتها، وكانت ولادة المسيح ـ عليه السلام ـ الخارقة، ووفاته الخارجة على السنن المعتاد مثارا لانطلاق الأخيلة فى ظلمات الاضطهاد النازل فى كل مكان [١].

لقد تخيله البعض إلها، وابن الله، والبعض على أنه ثلاثة، الآب والابن والروح القدس، والقلة منهم تؤمن بأنه نبى، وانقسمت الكنائس على نفسها بسبب هذا الاختلاف، وظهرت طوائف اليعقاقبة والملكانية، أو الأرثوذكس، [٢] ثم البروتستانت ـ فكان النزاع بينهم على أشده والانتقام من الخصم هو الفيصل، وليس العقل أو المنطق أو الحجة.ثم كان الاستقرار شبه الجماعى على عقيدة التثليث التى أدخلتها على المسيحية إدخالا [٣].

فهل فى مثل ذلك الجو يمكن للحرية العقدية أن تتنفس؟ كلا.

إن الإسلام ينهض على أساس فذ هو توحيد الله، فهل أعطت الكنيسة فى تاريخها، حق البقاء يوما لمن اعترفوا به كمؤمنين مخلصين، أم حرقوا وأبيدوا!![٤].

**فإذا سألنا ماذا فعل الإسلام عندما حكم؟**

هل صادر مبدأ التثليث فى ظل دولته الإسلامية الموحدة؟ أم بقيت كنائسه، وأشياعه تتكاثر إلى اليوم فى قلب الإسلام، وفى أرجاء وطنه الكبير.

لقد كان محمد ﷺ يدرك الأحوال العامة فى فارس والروم فلم يرسل دعاته إلى الشعوب المضطهدة المأكولة، فأنى لها سماع هديه؟ والاقتناع بوحيه؟ وهى مغلوبة على أمرها مستسلمة لآكليها، فأرسل دعاته إلى الرؤساء المتكبرين أولا [٥].

روى مسلم عن أنس قال:كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشى وليس بالنجاشى الذى صلى عليه، وإلى كل جبار عنيد يدعوهم إلى الله عز وجل [٦]، كما

---

(١) راجع الشيخ:محمد الغزالى:المرجع السابق..ص ٩٥، ص ٢١٦ .

(٢) أى أصحاب التعليم السليم الذى لم يعتوره ابتداع أو ضلال.راجع د/ مول.مطران درهم:الأشعة اللاهوتيه فى مبادىء التعاليم المسيحية ص ٧٩ ط الثانية ١٩١٨م.سيأتى تعريف لهذه الطوائف.

(٣) بسطت القول فى هذا الموضوع فى الفصل الثانى من الباب الأول.

(٤) التعصب والتسامح..ص ١٠٤ .

(٥) صحيح مسلم باب كتب النبى ﷺ إلى الكفار يدعوهم إلى الله تعالى جـ ٢ص ٩٢ متن.

(٦) القسطلانى:المواهب اللدنية جـ٢ ص ٢٩٢ .وابن عبد الحكم ص ٤٧،وطبقات ابن سعد ١ / ٢ ص ١٦، ١٧ .

أرسل أيضا إلى المقوقس حاكم مصر [١].

كما أبان منهج الدين الجديد فى ارشاد الناس إلى أصوله، فموسى - عليه السلام - الفريد الأعزل لا يتصور فى حقه مثلا أن يكره فرعون على الإيمان بالله، ومحمد ﷺ المعلم فى قلب الصحراء المنقطعة لا يتصور فى حقه كذلك أن يكره كسرى وقيصر على الدخول فى دين، وإبلاغ الدعوة لا يتطلب أكثر من عرض حقائقها على صفحة قرطاس ثم [٢]:

﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [٣].

**نجاة الموحدين الجدد من الإبادة:**

كان مصير الموحدين الأول فى عهد الأباطرة الإبادة والتشريد، ومما «لاشك فيه أن المسلمين لو كانوا رعية رومانية من نشأتهم الأولى لأبيدوا وطمست عقيدتهم كما حدث لأسلافهم الموحدين الخاضعين لسلطات الكنيسة.

لكن القدر فى هذه المرة دَرَّعَ الموحدين بالحديد ذى البأس الشديد.فلما فغرت الكنيسة فمها وأطبقته لتعض الموحدين الجدد تهشمت أسنانها، وانكسر عدوانها..إذ كان ذلك بعد سنين من هزيمة المسلمين فى معركة «مؤتة» ومقتل دعاتهم عند حدود الشام على عهد النبى ﷺ [٤] - نفسه»

**شهادة الخصوم بفضل المسلمين:**

سلك المسلمون مسلكا رشيدا، انطق الخصوم حتى قال أحد النصارى:

«لا نغالى إذا قلنا إن توطيد السيادة العربية مكان السيادة البيزنطية، أدخل على نفوس مسيحى الشرق بادرة من الأمل» [٥].

كما كتب ميخائيل السورى بطريرك انطاكية يقول:

«إن رب الانتقام استقدم من المناطق الجنوبية أبناء إسماعيل لينقذنا بوساطتهم من أيدى

---

(١) التعصب والتسامح..ص ١٠٤ .

(٢) المصدر نفسه.

(٣) سورة الكهف:آية ٢٩ .

(٤) ابن هشام:أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافرى الحميرى:سيرة النبى ﷺ جـ٢ ص ٣٢٢ ط- التحرير ١٣٨٤ هـ، وراجع:التعصب والتسامح..ص ١٠٦ .

(٥) نقلا عن التعصب والتسامح..ص ١٠٩ .

الرومانيين، وإذا تكبدنا بعض الخسائر لأن الكنائس التى انتزعت منا، وأعطيت لأنصار مجمع «خليقدونية» بقيت لهم، إلا أننا قد أصابنا خير ليس بالقليل، بتحررنا من قوة الرومان وشرورهم، ومن غضبهم وحفيظتهم علينا، وهذا من جهة، ومن جهة أخرى سادت الطمأنينة بيننا»[1].

وهو فى هذا النص يشير إلى أن المسلمين ردوا كنائس الملكانيين إليهم، ومنعوا أن يظلم أحد أحداً فى ظل حكومة الإسلام.أو يظل الظلم قائما دون تغيير.كما يشير إلى عهد الحرية الذى أظل الجميع فاستبشروا به، كما عمهم الأمان والاطمئنان، فلم يتدخلوا فى عقيدة المسيحيين أو فى خلافاتهم.

كما أن المسلمين احترموا رغبة المسيحيين ألا يجاورهم ببيت المقدس يهودى، ولم ير المسلمون فى هذا ظلما لليهود، فحسبهم فى خلال الحكم الجديد أن أمنوا على عقيدتهم ما بقوا مسالمين لغيرهم، وكان آخر ما نزل بهم قبل حكم الإسلام فى الشام، ما أصدره الامبراطور هرقل:

«بتعميد جميع اليهود والسامريين الذين يقطنون مختلف الولايات الخاضعة له» [2]. مما أثار حفيظة اليهود عليه.

### دعوة الإسلام إحياء لمبدأ التوحيد:

إن القدر الساهر على إصلاح العباد، يدفع الناس بعضهم ببعض، لم يدع هذا المذهب المضطهد يموت، لئن ظل مطاردا فى أرجاء الممالك المسيحية قرونا بعد قرون.فقد شاء الله أن تجدد حياته الرسالة العامة الخاتمة التى جاء بها محمد ﷺ وأن يحوطه بسياج متين تتكسر حوله أمواج العدوان...وهكذا عاد مبدأ التوحيد الذى نزل به آدم ـ عليه السلام ـ من السماء إلى الأرض، وحمل ألويته: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

عاد هذا المبدأ إلى حياته، ونمائه ـ بعد ما أوشك على الذبول والتلاشى، تحت وطأة المسيحية الرومانية الشاردة عن أصولها الصحيحة ـ [3] على أيدى دعاة الإسلام الجدد، فى دعوتهم الناس جميعا إلى دين الإسلام دين التوحيد الذى جعله الله سبحانه للعالمين.

---

(١) نقلا عن نفس المصدر.
(٢) نقلا عن نفس المصدر السابق ص ١٠٩ ـ ١١٠ .
(٣) انظر المصدر نفسه ص ١١٢ .

## المبحث الثالث: عموم دعوة الإسلام:

### مقدمة:

لم تكن دعوة الإسلام ـ ولن تكون ـ دعوة محلية، كما قد يفترى البعض، ومن ثم كان اهتمام الرسول ﷺ بمراسلة الدول خارج شبه الجزيرة وكان معظمها من أهل الكتاب، لا سيما وأن شبه الجزيرة..كانت لها صلات وثيقة بالعالمين :الساسانى، والبيزنطى عن طريق التجارة التى تجعل معرفة العرب بما يجرى فى الامبراطوريتين دقيقة ومباشرة، وعن طريق الدويلات العربية فى أطراف الجزيرة المتحالفة مع الروم، أو الفرس...ومن المؤكد أن التحركات البيزنطية على مشارف الشام فى أعقاب انتصار الروم على الفرس فى تلك الفترة كان لها صدى «فى داخل جزيرة العرب..ومن ثم فقد جذبت هذه المنطقة اهتمام الرسول ﷺ أكثر من أى بقعة أخرى داخل شبه الجزيرة خاصة وقد أمن شر قريش وأحلافها من قبل قبائل العرب حين اتفق معهم على وضع الحرب عشر سنوات بمقتضى هدنة الحديبية [١].

ولكن دوران بعض قبائل العرب فى أطراف الجزيرة فى فلك تلك القوى الأجنبية..كان يشكل خطرا على أمن الجزيرة، ويغرى هذه القبائل بقطع طريق التجارة إلى الشام بالنسبة للمسلمين ولذلك شاهد من قبيلة جذام [٢].

وقد يكون ذلك بإيعاذ من الروم ـ كما حدث فى حروب الردة ـ وهذه التحرشات ذاتها كانت السبب فى بعث الرسول ﷺ جيشا قوامه ثلاثة آلاف محارب إلى «مؤتة» فى العام الثامن الهجرى حيث دارت بينه وبين الروم معركة غير متكافئة لكثرة الروم وأحلافهم من العرب من لخم، وجذام، وبهراء، وبلى مائة ألف [٣]!! وقلة المسلمين من جانب آخر.

وقد ظلت الجبهة البيزنطية شغله الشاغل حتى أيامه الأخيرة، وكان آخر ما قام به ﷺ قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى تجهيز جيش بقيادة أسامة بن زيد للزحف على مشارف الشام،

---

(١) انظر ابن هشام جـ٣ ص ٢٧٣ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق جـ٤ ص ٢٢١ التى أغارت على دحية بن خليفة الكلبى، وهو قافل من عند قيصر الروم، حين بعثه رسول الله ﷺ إليه، ومعه تجارة له، فخرج من قبيلة جذام الخاضعة لسلطان الروم فأخذوا منه كل شيء كان معه، فأرسل إليهم رسول الله ﷺ جيشا بقيادة زيد بن حارثة، فانتقم لدحية ممن اعتدوا عليه، راجع المصدر نفسه جـ٤ ص ٢٠١، ٢٢١ وما بعدها.

(٣) المصدر نفسه جـ٣ ص ٣٢٢، ٣٢٦ ـ وراجع ملحق الخرائط لترى المساحة التى كان يسيطر عليها الروم فى بلاد العرب.

وقد أنفذ أبو بكر الصديق – رضى الله عنه – بعث ذلك الجيش كما أمر ﷺ [١]
فرغم انشغاله ﷺ بالوضع الداخلى فى «جزيرة العرب..بادر..بالاتصال بالروم مخاطبا هرقل مطامنا من غلوائه، وهو فى قمة انتصاره على الفرس، ودافعا لما قد يكون ساوره من رغبة فى غزو جزيرة العرب.ولا يمنع هذا من..بعثات أخرى ذات صبغة عملية..كالبعثة للنجاشى التى كانت مرهونة بتحقيق هدف محدد، هو مسألة المهاجرين..وقد نجد المبرر بنفس المنطق لبعثة المقوقس.. وقد بدأت العلاقات مع الحكام الفرس فى البحرين، وعمان، واليمن فى هذه المرحلة المتأخرة من حياة الرسول ﷺ أيضا.

ولا يمنع ذلك إرسال الرسل إلى بعضهم فى مرحلة مبكرة كمقدمة لهذه العلاقات العملية التى وضحت فى هذه المرحلة المتأخرة»[٢].

كتب الرسول ﷺ إلى كسرى، وقيصر، وحاكم مصر:

يروى:ابن هشام فيقول:خرج رسول الله ﷺ على أصحابه ذات يوم بعد عُمرته التى صُدّ عنها يوم الحديبية، فقال:«أيها الناس:إن الله قد بعثنى رحمة وكافة، فلا تختلفوا على كما اختلف الحواريون على عيسى ابن مريم» فقال أصحابه:وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله؟ قال:«دعاهم إلى الذى دعوتكم إليه، فأما من بعثه مبعثا قريبا فرضى وسلّم، وأما من بعثه مبعثا بعيدا فكره وجهه وتثاقل، فشكا ذلك عيسى إلى الله فأصبح المتثاقلون، وكل واحد منهم يتكلم بلغة الأمة التى بعث إليها» [٣].

فبعث رسول الله ﷺ من أصحابه، وكتب معهم كتبا إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام.

فبعث دحية بن خليفة الكلبى – رضى الله عنه – إلى قيصر الروم.

وبعث عبد الله بن حذافة السهمى – رضى الله عنه – إلى كسرى ملك فارس.

وبعث عمرو بن أمية الضمرى – رضى الله عنه – إلى النجاشى ملك الحبشة.

وبعث حاطب ابن أبى بلتعة – رضى الله عنه – إلى المقوقس ملك الإسكندرية[٤].

---

(١) دكتور عون قاسم:نشأة الدولة الإسلامية ص ٨٦ – ٨٨ .

(٢) المصدر نفسه ص ١١٢ ، وراجع للدكتور هيكل الصديق أبو بكر ص ٨٧،٨٦ وما بعدها.

(٣) ابن هشام:سيرة النبى ﷺ جـ٤ ص ٢١٦ ط التحرير ١٣٨٤ .القاهرة.

(٤) المصدر نفسه، راجع تاريخ الطبرى جـ٢ص ٢٨٩ راجع صورة الكتاب فى الملاحق.

كما بعث ﷺ كتبا ورسائل إلى بقية رؤساء وأمراء أهل الأرض (١).

أخرج ابن سعد عن بريدة والزهرى... والشعبى أنه ﷺ بعث عدة إلى عدة، وأمرهم بنصح عباد الله، فأصبح الرسل كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين أرسل إليهم، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال:

«هذا أعظم ما كان من حق الله فى أمر عباده» (٢).

ولا ينافى هذا دعاء بعض الملوك الترجمان: لأنه من تعاظم العجم (٣) فمتى أرسلت هذه الرسائل؟

اختلاف المؤرخين حول السَّنَة التى أرسل فيها الرسول ﷺ الكتب والرسائل إلى الملوك والرؤساء والأمراء:

فذكر الطبرى فى تاريخه أن النبى ﷺ أرسل الرسل فى السنة السادسة من الهجرة إذ أرسل: «فى ذى الحجة ثلاثة نفر مصطحبين: حاطب بن أبى بلتعة، وشجاع، ودحية» (٤).

وابن سعد يتفق مع الطبرى فى نفس السنة، ولكنه يحدد الزمان، وأنه بعد الرجوع من الحديبية، ومن ثم كان العام السابع بداية إرسال الرسل، ولما كتب ﷺ الرسائل، قيل له يا رسول الله: إن الملوك لا يقرؤون كتابا إلا مختوما، فاتخذ رسول الله ﷺ يومئذ خاتما من فضة فصه منه، نقشه ثلاثة أسطر:

الله
رسول
محمد

وختم به الكتب (٥)، وممن أيد هذه الرواية ابن حجر العسقلانى (٦).

أما الإمام البخارى، فيروى أن الرسالة إلى كسرى قد بعثت فى العام التاسع الهجرى، إذ يذكرها بعد غزوة تبوك (٧)، يؤيده: أبو عبيد فى كتاب الأموال (٨). ويضيف ابن كثير مزيدا

(١) ابن سعد: محمد بن سعد كاتب الواقدى جـ١ ق ٢ ص ١٥ ـ ٣٨ ط التحرير ـ القاهرة ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.
(٢) الزرقانى: شرح المواهب جـ٣ ص ٣٦٧ .
(٣) المصدر نفسه.
(٤) تاريخ الطبرى جـ٢ ص ٢٨٨ .
(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى جـ١ ص ١٥ .
(٦) فتح البارى لابن حجر العسقلانى جـ٨ ص ١٠٣ .
(٧) المصدر نفسه ٨ / ١٠٤ .
(٨) أبو عبيد كتاب الأموال ص ٢٥٥ .

من الإضافات حول هذه النقطة فيذكر العام الثامن هو التاريخ الذى يرجع لبعث هؤلاء الرسل إلى الحكام والملوك.

ومن هذه الروايات يظهر مدى الاختلاف فى توقيت هذه البعوث، مما يجعل محاولة البت فيها برأى قاطع ضرب من المخاطرة حتى أدى ببعض المستشرقين من أمثال كيتانى إلى الشك فيها [١].

وإزاء هذا الاختلاف يكون مقبولا ومفسرا ما ذكره ابن إسحاق حسب رواية الطبرى ـ من أن «رسول الله ﷺ قد فرق رجالا من أصحابه إلى ملوك العرب والعجم دعاة إلى الله عز وجل فيما بين الحديبية ووفاته»[٢] وهذا الرأى أدعى إلى الرضا والقبول.

**الأدلة على عموم دعوة الإسلام:**

تتوفر لدى الباحث عن الحق الأدلة القاطعة على عموم ـ دعوته ﷺ وأنها للثقلين: الإنس والجن ساق هذه الأدلة القرآن الكريم، وأثبتتها السنة النبوية الشريفة ففى القرآن:

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [٣].

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [٤].

﴿ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [٥].

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [٦].

أما السُّنة:فقد ثبت صحة إرسال الكتب إلى الملوك والرؤساء والأمراء، مؤكدا فيها رسول الله ﷺ أنه رسول الله إلى الناس كافة [٧] لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين،

---

(١) سيأتى مزيد بيان عن رأيه.

(٢) دكتور عون الشريف قاسم:نشأة الدولة الإسلامية ص ٧٤ ـ ٧٦ .

(٣) الأعراف من الآية ١٥٨ .

(٤) الفرقان: الآية ١ .

(٥) الأحقاف:آية ٢٩ ـ ٣٢ .

(٦) سبأ:٢٨ .

(٧) حيث قال ﷺ :«أعطيت خمسا، ما أعطيهن أحد قبلي:أما أنا فأرسلت إلى الناس كلهم عامة، وكان مَنْ=

كما جاء في خطابه إلى كسرى:

### خطابه ﷺ إلى كسرى:

«من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس:

سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاء الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فأسلم تسلم، فإن أبيت فإن أثم المجوس عليك» [(١)].

### جواب كسرى إلى رسول الله ﷺ:

وكتب إليه كسرى كتابا بين سرقتي حرير، وجعل فيهما مسكا:فلما دفعه الرسول إلى النبي ﷺ فتحه فأخذ قبضة من المسك فشمه وناوله أصحابه وقال:لا حاجة لنا في هذا الحرير ليس من لباسنا وقال:

«لتدخلن في أمري، أو لآتينك بنفسي ومن معي.وأمر الله أسرع من ذلك، فأما كتابك فأنا أعلم به منك:فيه كذا وكذا» ولم يفتحه، ولم يقرأه.

ورجع الرسول إلى كسرى فأخبره.وقد قيل:إن كسرى لما وصل إليه الكتاب...قدّه شتورا.فقال رسول الله ﷺ «يمزق الله ملكه كل ممزق.ولم يرو نص الكتاب» [(٢)].

### خطابه ﷺ إلى هرقل عظيم الروم:

«بسم الله الرحمن الرحيم:

من محمد بن عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم.

سلام على من اتبع الهدى.أما بعد:فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك أثم الأريسيين.و﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ

---

= قبلي إنما يرسل إلى قومه...الخ» (ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ :٣٦٧) ..وقال:رواه أحمد، ورجاله ثقات راجع المسند جـ١٢ ص ٧٠٦٨ طـ دار المعارف ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م وانظر أرقام الأحاديث الآتية:(٧٦٣، ١٣٦١، ٢٢٥٦، ٢٧٤٢) في «المسند».

(١) اليعقوبي:تاريخ جـ٢ ص٨٣، ودكتور محمد حميد الله:مجموعة الوثائق..ص ١١١، ١١٢ .

(٢) البخاري:باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر جـ٣ هامش ٦١ حاشية السندي:يدعوهم إلى الله جـ٢ ص ٩٢ (متن) طـ الحلبي، وتاريخ الطبري جـ٢ ص ١٥٧١ روايتان والقلقشندي ٦ / ٢٩٦، ٣٧٨، ودكتور عون قاسم:نشأة الدولة الإسلامية ص ٣٠٦، ومجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة للدكتور محمد حميد الله ص ١١٠ طـ الثالثة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (١).

**جواب امبراطور الروم إلى النبي ﷺ:**

«إلى أحمد رسول الله الذى بشر به عيسى، من قيصر ملك الروم، إنه جاءنى كتابك مع رسولك، وإنى أشهد أنك رسول الله، نجدك عندنا فى الإنجيل، بشرنا بك عيسى ابن مريم، وإنى دعوت الروم إلى أن يؤمنوا بك فأبوا، ولو أطاعونى لكان خيرا لهم، ولوددت أنى عندك، فأخدمك وأغسل قدميك» (٢).

**دعوة الرسول ﷺ أهل مصر إلى الإسلام:**

كانت أول دعوة رسمية إلى الإسلام تهبط مصر، كتاب رسول الله ﷺ إلى المقوقس حاكم مصر، والإسكندرية رويت بروايتين: **الرواية الأولى:** إلى المقوقس عظيم القبط ونصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد بن عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط.

سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فعليك أثم القبط ـ ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٣).

الله *

رسـول

محمد

---

(٣) البخارى جـ٣ ص ٦١، ومسلم جـ٢ ص ٩٠ ومجموعة الوثائق السياسية..ص ٨٠،٨١، واليعقوبى جـ٢ ص ٨٣،٨٤ والقلقشندى جـ٦ ص ٣٧٦،٣٧٧.

(٢) اليعقوبى جـ٢ ص٨٤، والسهيلى ٢ / ٣٢٠، ومجموعة الوثائق السياسية..ص٨٦.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٤٦ تحقيق عبد المنعم عامر، والقسطلانى: المواهب جـ١ ص٢٩٢ وما بعدها، وطبقات، ابن سعد: ١ / ٢ص١٦، ١٧ ومجموعة الوثائق السياسية ص ١٠٥، ١٠٦ وثيقة رقم٤٩ أما اختلافات الروايات فقد ذكرها ابن عبد الحكم كالآتى: محمد رسول الله..فأسلم تسلم وأسلم يؤتك الخ راجع بقية الروايات فى صفحات ٦٤ ـ ٦٦ من فتوح مصر تحقيق عبد المنعم عامر، وفى القلقشندى: صبح الأعشى جـ٦ ص٤٦٧: أسلم تسلم وأسلم فإن عليك..يا أهل الكتاب الخ، ومجموعة الوثائق السياسية. حاشية ص ١٠٦.

(*) أما سبب اتخاذ الختم فيرجع إلى إشارة بعض الصحابة على رسول الله ﷺ أن يتخذ خاتما، لأن الملوك =

**رد المقوقس:**

وكان رد المقوقس على دعوة رسول الله ﷺ كما يلى:-

«لمحمد بن عبد الله من المقوقس:سلام، أما بعد:

فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت، وما تدعو إليه.وقد علمت أن نبيا قد بقى، وقد كنت أظن أن يخرج بالشام، وقد أكرمت رسلك، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان فى القبط عظيم، وبكسوة، وأهديت إليك بغلة لتركبها.والسلام (١).

**خطاب آخر، أو الرواية الأخرى عن نص المكتوب إلى المقوقس:**

«من محمد رسول الله إلى صاحب مصر والإسكندرية.

**أما بعد:**«فإن الله تعالى أرسلني، وأنزل عليّ قرآنا وأمرني بالإعذار والإنذار، ومقاتلة الكفار حتى يدينوا بدينى، ويدخل الناس فى ملتى، وقد دعوتك إلى الإقرار بوحدانية الله تعالى، فإن فعلت سعدت وإن أبيت شقيت.والسلام»(٢).

**رواية أخرى عن جواب المقوقس:**

«باسمك اللهم.

من المقوقس إلى محمد.

---

= والرؤساء لا يقرأون كتابا إلا مختوما، فاتخذ ﷺ هذا الخاتم.راجع صحيح البخارى باب ما يذكر فى المناولة ص ١٥ .

(١) ابن عبد الحكم:ص٤٧ تحقيق عبد المنعم عامر، والقسطلانى:المواهب جـ٢ ص٢٩٢ وما بعدها والقلقشندى:جـ٦ ص٤٦٧ ، وطبقات ابن سعد ٢١١ ص١٦، ١٧ ،ومجموعة الوثائق ص١٠٧ وثيقة رقم (٥٠) وفى الزرقانى:شرح المواهب جـ٢ ص٣٤٩ بسم الله الرحمن الرحيم، والقزوينى:مفيد العلوم، ومبيد الهموم: مخطوط فى مجلدين فى مكتبة شهيد على باشا فى استانبول تحت رقم ٧٢٨٠ وفى مكتبة المتحف البريطانى القسم الشرقى رقم ١٥٥٦ صفحات ٢٦، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٤٩، ٥٠، ٥٣ نقلا عن مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى ص ٤ .م ع ٨ :سلام عليك وإنى قرأت كتابك وما تدعو، وفى القزوينى:وابن الحكم القسطلانى:أكرمت رسولك).

(٢) فتوح مصر للواقدى:ص١٠ ، والقلقشندى:جـ٦ ص٣٧٨ وكتاب ديوان الإنشاء مخطوط باريس تحت رقم ٤٤٣٩ ورقة ٩، ١٠ نقلا عن د / محمد حميد الله:مجموعة الوثائق السياسية ص ١٠٧ وثيقة رقم٥١ .

وفى القلقشندى :ديوان الإنشاء:إلى المقوقس بمصر.

وفى القلقشندى :بوحدانيته فإن...

وفى القلقشندى :ديوان الإنشاء:سلام على من اتبع الهدى.أما بعد ـ :كتابا مبينا ـ ملتى فإن أطعت سعد.

أما بعد:فقد بلغنى كتابك، وقرأته وفهمت ما فيه.أنت تقول أن الله تعالى أرسلك رسولا، وفضلك تفضيلا، وأنزل عليك قرآنا مبينا، فكشفنا يا محمد فى علمنا عن خبرك، فوجدناك أقرب داع دعا إلى الله، وأصدق من تكلم بالصدق.ولولا أنى ملكت ملكا عظيما، لكنت أول مَنْ سار إليك، لعلمى أنك خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، وأمام المتقين.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته إلى يوم الدين» [1].

**أسلوب هذه الرسائل، وهدفها:**

امتاز أسلوب هذه الرسائل بالطابع الإسلامى الرامى إلى دعوة الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والدخول فى طاعته، وهو أسلوب لم يكن معهودا من قبل، إنه تعبير نبوى فريد، كما ظهر فى هذه الرسائل عزة الإسلام، وشخصية رسوله ﷺ، كما سبق.أما هدف هذه الرسائل فيتضح فيما يلى:ـ

**أولا:** تواضعه ﷺ، وأنه ليس بملك ولا جبار، وإنما هو عبد الله ورسوله، وأن دوره ودور أمته أنهم دعاة إلى الله وإلى منهجه، قولا وعملا.

**ثانيا:** إعلانه ﷺ عن مولد أمة الإسلام، كأمة لها مكانتها ومبادؤها، وعلاقتها بغيرها من الأرض، وأن منهجها، الكتاب والسنة، وهما للناس جميعا.

**ثالثـــا:** إنذاره وبشارته لمن أرسل إليهم رسله وكتبه، وأنه يريد لهم الخير فى الدنيا والآخرة، فيقول لهرقل:أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين:على هدايته، وهداية أمته.

**رابعا:** التأكيد على عموم رسالته:فيقول لكسرى:أدعوك بدعاية الله، فإنى أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا، ويحق القول على الكافرين، وهى عبارة لا يقولها إلا الواثق من دعوته.

**ويقول للمقوقس:** أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن

---

(١) الواقدى:فتوح مصر،ص١٦، ١٧، والقلقشندى:جـ٦ ص٤٦٧، ومجلة جمعية المستشرقين الألمان ١٨٦٣م ص٣٨٥ نقلا عن د / محمد حميد الله مجموعة الوثائق:..ص١٠٨ وثيقة رقم (٥٢) وقد جاء فى القلقشندى:جـ٦ ص٤٦٧ :كتابك وفهمته أنت تقول:إن الله أرسلك.
:فكشفنا عن خبرك...
:داع...إلى الله..
:خاتم النبيين، وإمام المرسلين.
:عليك منى إلى يوم الدين.

توليت فعليك إثم القبط ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ وفى رسالة أخرى يدعوه فيها إلى الإقرار بواحدانية الله.إنه إعلان واضح فى مبادىء دعوته ﷺ .

**خامسا:** إنه ﷺ يبرأ إلى الله ممن لم يطعه، ويتبع دعوته فيقول لهرقل:فإن توليت، فعليك إثم الأريسيين [١]، ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ [٢]...

ويقول لكسرى:فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك.

ويقول للمقوقس:فإن توليت فعليك إثم القبط.

إنه منطق الحكمة، والنبوة، والعزة، لم يخف من هؤلاء، أو أولئك، مع مكانة تلك الأمم فى زمانه، ﷺ، وتحكمها فى العالم، بل ذهب إلى أبعد من هذا، إنه حملهم تبعة انحرافهم، وانحراف شعوبهم إن لم يدخلوا فى دين الله.

**سادسا:** يقول فى ختام هذه الرسائل، إن لم تؤمنوا فاشهدوا لنا بالإيمان، ففى ختام رسالة هرقل، والمقوقس يقول:﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [٣] إلزام لهم بأن أمته ﷺ مسلمة، كما امتازت هذه الرسائل النبوية بالإيجاز.

**سابعا:** مع وضوح هذه الكتب، ومصادرها الموثوق بها، فإن هناك من شكك فى الرسائل المتبادلة بين الرسول ﷺ والملوك والرؤساء خاصة رسائله ﷺ إلى حاكم مصر!!.

فالذين شككوا فى هذه الرسائل، لفوا وداروا، ثم هداهم اللف والدوران إلى التشكيك فى شخصية المقوقس، وأنها غير حقيقية، ليصلوا إلى أن الرسائل التى أرسلت إلى حاكم مصر، وهمية، بدليل عدم وجود من يسمى فيها باسم المقوقس، وبالتالى لا داعى لتمسك المصريين بدعوة الإسلام التى يعتزون بها، وأن الرسول ﷺ خاطبهم بها فى شخصية حاكمهم المقوقس، لكن الوقائع التاريخية، والأدلة أثبتت أن لمصر حاكما عاما يدعى المقوقس فعلاً، وأنها حقيقة وليست وهماً [٤].

---

(١) أهل البلاد الأصليين.راجع المعجم الوسيط مادة:أرس.

(٢) آل عمران من الآية ٦٤ .

(٣) سورة آل عمران من الآية ٦٤ .

(٤) راجع شخصية المقوقس فى ملاحق الرسالة.

فماذا قال المشككون؟

**الاختلاف والتشكيك حول الرسائل المتبادلة بين رسول الله ﷺ وصاحب مصر:**

حـامت الشكوك حـول الوثائق التى تبـادلهـا رسـول الله ﷺ مع صـاحب مـصـر والإسكندرية، بعد أن تدخلت فيـها أنوف المغرضين والحاقدين من المستشرقين، فالبرغم مما تحدثت عنه المصادر التاريخية عن الوثائق التى تبادلها رسول الله ﷺ والمقوقس.

وبالرغم من بعثة حاطب بن أبى بلتعة اللخمى ـ رضى الله عنه ـ إلى المقوقس.ضمن الذين بعثهم رسول الله ﷺ خارج الجزيرة إلى الملوك والأمراء [١] .لدعوتهم إلى الإسلام.وهذا ثابت فى كتب السنة الصحيحة.

وحيث إن هناك شبه خلاف حول تسمية المقوقس [٢]، فقد ظهر من ينتهز الفرصة ليهدم ما بناه التاريخ ووعاه الأجداد، فيقطع الصلة الطيبة بين المدينة ومصر، لغرض مريض فى قلبه.

ولا يعنى تشكيك هؤلاء وأولئك «رفض رسالة النبى ﷺ للمقوقس كمادة تاريخه»[٣] كلا فهناك شواهد على صدق هذه الرسائل وتداولها.

فقد اتفق المؤرخون على أن هذه الشواهد:

تستـمد قوتها من اتفاق المؤرخين العرب والأقباط على مسألة مارية القبطية، وأختها سيرين اللتين ذكروا أن المقوقس أهداهما للرسول ﷺ ويقال:إنهما وصلت المدينة فى السنة السابعة للهجرة مع حاطب [٤]، وقد ولدت مارية إبراهيم بن رسول الله ‹ فى ذى الحجة من السنة الثـامنة [٥]، ووهبت سرين لحسان بن ثابت فتزوجها، وولدت له:عبد الرحمن بن حسان[٦].

وتهجم كيتانى وامتعاضه من فكرة تزعم أن بطريقا يتجر بإرسال جاريتين مسيحيتين

(١) بدأ إرسال الرسائل إلى الملوك والرؤساء بعد الحديبية أى فى أواخر السنة السادسة من الهجرة.
(٢) راجع الفصل الخاص عن المقوقس فى الباب الأول، كما يراجع:عباس العقاد:عمرو بن العاص ص١٢٠ـ ١٢٣ طـ الهلال.
(٣) د/ عون الشريف:نشأة الدولة الإسلامية ص ١٠٦ .
(٤) الطبرى:تاريخ الرسل والملوك جـ ص .
(٥) الطبرى جـ ص ١٦٨٦ .
(٦) الطبرى جـ ص .

هدية لعربي وثني في زعمه، واستبعاده لها [١]، لا يقف حائلا خطيرا دون ما نذهب إليه من أمر توثيق البعثة.

فقد أشار أبو صالح الأرمني من قبل: «أن غرض المقوقس من إرسال هاتين الجاريتين كان السعي لخلق علاقة من المودة مع محمد عن طريقها» [٢].

ومن ثم فإن «من المحتمل أن بعثة حاطب كانت ذات صبغة سياسية غرضها إقامة نوع من العلاقات الودية مع المقوقس» [٣] كما كان الحال مع النجاشي، وفي تلك الحال فإن هناك خطابا مختلفا كل الاختلاف سيكون قد كتب، وإذا فشل الرواة في وضع أيديهم على الخطاب الحقيقي الذي كتب في تلك المناسبة فمن السهل الإتيان برواية للخطاب المزعوم تتلاءم والمناخ العقلي لعصرهم» [٤].

**أسباب الجدل:**

١ - يرجع أسباب الجدل الذي ثار حول مراسلة الرسول ﷺ وهديّة المقوقس إلى الوثيقة التي اكتشفها المستشرق الفرنسي (بارتيلمي) مخطوطة عام ١٨٥٠ في أحد الأديرة بأخميم في مصر العليا...

فقد توصلت دراسات الباحثين حول هذا الموضوع إلى الآتي:

١ - **بعثة أملينو:** أن القصة التي تدور حول بعثة النبي للمقوقس أسطورة!، ويرى أن الخطاب غير صحيح.

٢ - **أما فلهاوزن:** فهو لا يشك في أمر البعثة، ولكنه يرفض صحة هذا الخطاب.

٣ - **أما بيكر:** Becker فيعتقد أن المخطوط مجرد صفحة منزوعة من أحد كتب الحديث.

**أما كاراباشيك:**

فيرفض توثيق المخطوط على أساس أن طريقة خطه لا تتسق مع ما كان عليه وضع الخط العربي في تلك المرحلة الأولى من حياة الإسلام.

(١) كيتاني: حوليات الإسلام. السنة السادسة.
(٢) أبو صالح الأرمني: كنائس مصر ص ٢٤٤ .
(٣) دائرة المعارف الإسلامية مادة: محمد.
(٤) راجع د/ عون الشريف قاسم: نشأة الدولة الإسلامية ص ١٠٤ - ١٠٥ .

**أما كيتاني:**

فلا يعلق على الخطاب، ويدين القصة كلها التى دارت حول بعثة المقوقس بأنها خيالية، وليس لها أى قيمة تاريخية.

لكن **نولدكه**:يعتقد فى صحة البعثة، ويوثق الخطاب الذى ترد نصوصه فى الكتب القديمة(١).

**أما شفالي:**فيقيم دعائم رفضه للخطاب على أساس اعتراضات فنية:

فهو يشك فى استعمال الختم الذى كان يستعمل فى تلك الأيام، كان يطبع على نوع معين من الطين أو الصلصال، ثم يلقى ظلالا من الشك على الخط الكوفى الذى كتب به المخطوط.

بينما **بتلر**:يقبل الأساس التاريخى للبعثة للمقوقس، وعزز صدق الخطاب إليه لكنه يرى اسم المقوقس، أو لقبه يخص الحاكم الذى كان زمن الفتح....ويقول بتلر:

إن المؤرخين العرب ظنوا خطأ أن الحاكم المتقدم يدعى بنفس اللقب، وهذا الخلط بين الاثنين سهل بحيث يكاد لا يمكن تفاديه فى حالة عقول غير ناقدة بطبيعتها (٢).

لكن الدكتور «بادجر» يعلن أن المخطوط صحيح، ويراه مطابقا لرواية القسطلانى فى: «المواهب اللدنية» مع اختلاف فى كلمة واحدة، وهى «دعاية» فى المخطوط، التى ترد داعية فى المواهب.

أما كاتب مادة المقوقس فى دائرة المعارف الإسلامية، فيتفق مع كيتانى، ويعلل رأيه بأن الفرس فى العام السادس الهجرى (٦٢٨م) سادة مصر، ولهذا فإن رواية المؤرخين العرب لا تكاد تثبت أمام النقد الموجه لها، ولهذا فهى خيالية والمخطوط مرفوض (٣).

**والخلاصة**:إلى أى مدى يحق رفض البعثة إلى المقوقس لأن المخطوط مزيف؟

إن هذا لا يكفى لإضعاف شاهد الروايات التاريخية المسجلة، لعله زُيِّفَ فى مرحلة متأخرة، أو لعله نقل عن أحد المصادر التى وردت فيها الإشارات إليه، ولهذا فيجب دراسة أقدم

(١) المصدر السابق ص ١٠٢، ١٠٣ .

(٢) انظر بتلر:فتح العرب لمصر ص ٣٨٧، وقد حسم العقاد أمر المقوقس فى كتابه:عمرو بن العاص ص ١٢٠، ١٢١، ٢٥ وانظر المزيد فى الملاحق عن المقوقس.

(٣) نشأة الدولة الإسلامية ص ١٠٣، ١٠٤ .

رواية للنص وهى التى جاءت فى ابن عبد الحكم [١].

**من أسباب الشكوك:** أن الخطاب وردت فيه آية من سورة آل عمران، وهى متأخرة النزول إلى عام تسعة هـ، بينما كان عام الخطاب سنة ست للهجرة.

ومع هذا كله لا يصح رفض البعثة ككل، أو اعتبارها أسطورة لماذا؟

لأن هناك اتفاق المؤرخين العرب والأقباط على مسألة مارية القبطية، وأختها سيرين اللتين ذكروا أن المقوقس أهداهما للرسول ﷺ، ويقال إنهما وصلتا المدينة فى السنة السابعة للهجرة مع حاطب. وقد ولدت مارية إبراهيم بن الرسول ﷺ فى ذى الحجة من السنة الثامنة، ووهبت أختها سيرين لحسان بن ثابت فتزوجها، وولدت له عبد الرحمن بن حسان [٢]..

ومن المحتمل أن تكون بعثة حاطب كانت ذات صبغة سياسية، غرضها إقامة نوع من العلاقات الودية مع المقوقس [٣]، كما كان الشأن فى بقية الرسائل التى بعثها ﷺ إلى الملوك والرؤساء يدعوهم فيها إلى الإسلام، ومن ثم فلا محل للتشكيك فى أمر هذه البعثة ولا إنكارها.

**السبب المباشر لبعث هذه الرسائل:**

يرجع سبب بعث هذه الرسائل، إلى ما جاء فى القرآن الكريم، من أنه ﷺ مبعوث العناية الإلهية، إلى الثقلين، ومن ثم بادر منذ أن مكن الله له الأمر، بإرسال الرسل، والكتب إلى ملوك الآفاق، ورؤسائها من طوائف بنى آدم عربهم وعجمهم، أميهم وكتابيهم، يدعوهم فيها إلى الإسلام شارحا دعوته، وهدفها، امتثالا لأمر الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ [٤].

وكما ورد فى الحديث عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ أنه قال:

«والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ومات، ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أهل النار» [٥] ومن ثم قام ﷺ، يبلغ الناس ما أمره الله به،

---

(١) نالمرجع نفسه.

(٢) سبق توضيح المصدر وهو فتوح مصر والمغرب ص ٤٦ .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية مادة «محمد» ﷺ ، وانظر:نشأة الدولة الإسلامية ص ١٠٢، ١٠٥ .

(٤) سورة المائدة:من الآية ٦٧ .

(٥) رواه الإمام مسلم جـ١ ص٧٥ باب وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ إلى جميع الناس.(متن).

﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (١).

فهل وقف الأمر بالمشككين عند حد بعث الرسول إلى رؤساء الأمم؟ كلا، بل تعدى الأمر فى التشكيك فى عالمية الدعوة أيضا، ليسلبوها أهم خصوصياتها، وإليك أقوالهم والرد عليها.

**المبحث الرابع: أقوال المستشرقين في عالمية الدعوة، والرد عليهم:**

**تمهيد:**

عالمية الدعوة أمر قرره القرآن الكريم، وثبته الله سبحانه وتعالى فى قلب رسوله ﷺ وفرغ منه منذ أكثر من أربعة عشر قرنا، وقررته السنة الشريفة، وبلّغ ذلك كله محمد الأمين ﷺ إلى أمته، وقد وقر ذلك كله فى أذهان المسلمين، وآمنوا به، وصدقوه:

بيد أن هناك نفر من المستشرقين يشكك فى هذا الموضوع أمثال:

جولد تسهير، ولامنسى، وميور، وكيتانى، وبوهل.

أما كيتانى، فقد شرع فى إقامة الدليل على ما ادعاه بقوله:

«إن الفكرة التى تقول: إن هدف الإسلام هو العالم رأى تدبرى، فعالم محمد هو شبه جزيرة العرب، ومن أجلها أنزل الإسلام» !!(٢).

وأما جولد تسهير فبعد أن يشير إلى الأدلة التى أدلى بها قريمه من أن هذه الخطابات المرسلة إلى الملوك الأجانب تباين ما عرف عن محمد من توسط واتزان ومعقولية، وأنه ليس هناك ذكر آخر فى القرآن لموضوع هذه البعثة العالمية، يختم دعواه باعتبار أن كل الأحاديث الخاصة بهذه البعوث للملوك يرجع فى أصله إلى «تأثير المسيحيين الذين دخلوا فى الإسلام فى مرحلة متأخرة، والذين كانوا يعرفون أن رسالة عيسى للناس كافة»(٣) ويرى أن المفهوم قد بدأ

---

(١) سورة النساء: من الآية ١٦٥ .

(٢) جولدتسهير: العقيدة والشريعة ص ٧٣ .

(٣) المقام هنا يستدعى الاطناب إذ كيف تكون المسيحية للناس كافة مع قول التوراة: «أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به» تثنية ١٨: ١٨ ـ ١٩ وأنه لا يخلف من بنى إسرائيل نبيا مثل موسى. قارن التثنية ٣٤: ١٠ .

**أولا**: الذى بشرت به التوراة ليس من بنى إسرائيل لكن من إخوة بنى إسرائيل ولا محالة أنهم العرب أو الروم، فأما الروم فلم يكن منهم نبى سوى أيوب، وكان قبل موسى بزمان، فلم يكن أيوب من الروم، وإنما كان عربيا ظهر قبل موسى ـ عليه السلام ـ، وكان يسكن أرض (عوص) فى شرقى فلسطين أو حوران. =

= وهو عند مؤرخي العرب من بني إبراهيم الخليل بينهما خمسة آباء.

وعند بعض شراح التوراة قبل إبراهيم، وترجح دائرة المعارف البستاني الرأي القائل بأنه قبل إبراهيم بأكثر من مائة سنة.

غير أن الطبري ذكر في رواية وهب بن منبه أنه كان من الروم، وذكر نسبه على أنه من ولد إبراهيم، وهذا تضارب فإبراهيم لم يكن من الروم، فلا يجوز أن يكون هو الذي بشرت به التوراة ومن ثم فلم يبق إلا العرب، فهو محمد ﷺ راجع: كتاب أبي عبيدة الخزرجي: بين الإسلام والمسيحية، تحقيق وتعليق دكتور محمد شامه ص ٢٦٠ هامش١ ص٢٦١ وهامش١ أيضا.

وفي التوراة أيضا: «جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم سعير، وتلألأ من جبل فاران، ومعه جماعة من الصالحين» قارن تثنية: ٢٣: ٢ .

فمجيئه من جبل سيناء أن الله أنزل فيه التوراة، وكلم عليه موسى - عليه السلام - وإشراقه من جبال سعير أن دين عيسى ابن مريم إنما أشرق من جبال سعير وهي جبال الروم من أدوم.

وأدوم: لفظة عبرانية، معناها أحمر، وهي اسم لعيسو الابن البكر لاسحاق ودعيت البلاد التي أعطاها له بأرض أدوم نسبة إليه، وكانت تسمى قبلا بجبل سعير، وذلك نسبة إلى سعير جد الحواريين.

راجع: بين الإسلام والمسيحية ص ٢٦٣ هامش٥ .

**ثانيا: في الزبور:**

«سبحوا الرب تسبيحا حديثا. سبحو الذي هيكله الصالحون ليفرح إسرائيل بخالقه، وبنات صهيون من أجل أن الله اصطفى لهم أمة، وأعطاهم النصر وأيد الصالحين منهم بالكرامة، ويسبحون الله على مضاجعهم ويكبرونه بأصوات مرتفعة، بأيديهم ذوات شفرتين لينتقم الله بهم من الأمم الذين لا يعبدونه، يوثقون ملوكهم بالقيود، وأشرافهم بالأغلال».

(مزمور ١٤٩).

فمن تكون هذه الأمة التي سيوفها ذوات شفرتين ينتقم الله بهم من الأمم الذين لايعبدونه؟ ومن المبعوث بالسيف من الأنبياء؟

ومن الذين يكبرون الله بأصوات مرتفعة في الآذان؟ سوى أمة الإسلام. وهذا دليل قاطع وبرهان ساطع على عالمية الإسلام، وأن اليهودية ديانة إقليمية وإلا لما بشرت بالإسلام.

(بين المسيحية والإسلام ص ٢٦٠ - ٢٦٧).

**ثالثا: في الإنجيل:**

«اللهم ابعث الفارقليط ليعلم الناس أن ابن الإنسان بشر»

قارن (يوحنا ١٥ / ٢٦ - ٢٧).

وفي الإنجيل أيضا «الفارقليط لا يجيئكم ما لم أذهب أنا، فإذا جاء وبخ العالم على الخطيئة، ولا يقول من تلقاء نفسه شيئا، ولكنه مما يسمع يكلمكم، ويسوسكم بالحق، ويخبركم بالحوادث والغيوب.. إلى أن قال عنه: وسيعظني» =

(يوحنا ١٦ :٧ ـ ١٥).

وفى الإنجيل:«إنى لم أبعث إلى الأجناس، وإنما بعثت إلى الغنم الرابضة من نسل إسرائيل»

(متى١٥ :٢١ ـ ٢٦).

فلا يجوز أن يكون إلى الأمم جميعا غير محمد ﷺ.(بين المسيحية والإسلام ص ٢٧٥).

وفى الإنجيل أيضا:«لا تسلكوا إلى سبيل الأجناس، ولكن اختصروا إلى الغنم الرابضة من نسل إسرائيل» (متى ١٠ :٥ ـ ٦) وهذا أيضا دليل قاطع، وبرهان ساطع على عالمية الدعوى الإسلامية بنص الإنجيل، وأن ديانة عيسى ـ عليه السلام ـ خاصة ببنى إسرائيل ليس هذا فحسب بل جاء فى صحف حبقوق النبى:«جاء الله من تيمان، وتقدس من جبال فاران، وامتلأت الأرض من تحميده، وتقديسه، وملك الأرض بهيبته»

(حبقوق:٣:٣ ـ ٤).

وقال أيضا:«عُرِّيَتْ قوسُك تعريةً.سُباعياتُ سهام كَلِمتُك».

وفي التعليق: «...تضيء لنوره الأرض، ويستنزع فى قسيك أعرافا، وترتوى السهام بأمرك يا محمد ارتواء» انظر:(حبقوق٣ :٩) وانظر إنجيل برنابا:الفصل التاسع والثلاثون:١٤ ـ ٢٩ .

وفى سفر أشعياء:«لأنه هكذا قال لى السيد:اذهب أقم الحارس ليخبر بما يرى.فرأى رُكّابا أزواج فرسان.ركّاب حمير.ركّاب جمال..، وقال:سقطت، سقطت بابل وجميع تماثيل آلهتها المنحوتة كسرها إلى الأرض».

(أشعياء ٢١ :٦ ـ ٩).

فصاحب الجمل هو محمد ﷺ وصاحب الحمار باتفاق..هو عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ.أوليس محمد بركوب الجمل أشهر من عيسى بركوب الحمار؟ ،وإنما سقطت عبادة الأصنام ببابل من دون الله، وهدمت أوثانها بالنبى محمد ﷺ وأمته، لا بعيسى، ولا بغيره فما زالت ملوك بابل يعبدون الأوثان من لدن إبراهيم ـ عليه السلام ـ إلى زمان محمد وأمته، فعلام تدل كل هذه النصوص عن محمد ﷺ، ألا تدل على أن دعوته دعوة عالمية.

وقد جمع كتاب أبى عبيدة الأدلة فى الإنجيل ببشارة محمد ﷺ مــن ص ٢٦٧ ـ ٢٨٠ .

فهل كان هناك نبى غير محمد ﷺ جمع الأجناس والأمم كلها على اختلافها، واختلاف لغاتها ودياناتها، وممالكها وبلادها؟

فجعلها جنسا واحدا، ولغة واحدة، ومملكة واحدة، ودينا واحدا.

ولا محالة أن العرب والفرس، والنبط والقبط، والأكراد والترك، والديلم والحبش والبربر، ومن أسلم من أهل الهند والسودان والروم، وغيرهم على كثرتهم كلهم ينطقون بلغة واحدة، وبها يقرؤون القرآن.راجع بين المسيحية والإسلام ص ٢٧٧ ـ ٢٨٠ .

**رابعاً : ما أثبته القرآن الكريم من بشارة الأنبياء بمحمد ﷺ :**

فالذى يقطع به من كتاب الله وسنة رسوله، ومن حيث المعنى أن رسول الله قد بشرت به الأنبياء قبله وأتباع الأنبياء يعلمون ذلك ولكن أكثرهم يكتمون الحق ويخفونه قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ الأعراف:آية ١٥٧ ،١٥٨ .

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ البقرة:آية ١٤٦ .

وقال تعالى: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ ءأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ ﴾ آل عمران:آية ٢٠ .

وقال تعالى: ﴿ هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ إبراهيم:آية ٥٢ .

وقال تعالى: ﴿ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ الأنعام:آية ١٩ .

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ﴾ هود:آية ١٧ .

وقال تعالى: ﴿ لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ يس:آية ٧٠ .

وقد أثبت القرآن الكريم بشارة عيسى ابن مريم فى بنى إسرائيل لمحمد ﷺ فى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ الصف:آية ٦ .

وقد أخذ الله الميثاق على جميع الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد ﷺ وأن ينصروه قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ آل عمران: آية ٨١، ٨٢ .

ففى قول الله تعالى: ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ . . . ﴾ الخ الآية:

«يعنى التورات قد بشرت بى وأنا مصداق ما أخبرت عنه، وأنا مبشر بمن بعدى وهو الرسول النبى الأمى العربى المكى أحمد فعيسى - عليه السلام - هو خاتم أنبياء بنى إسرائيل، وقد أقام فى ملأ بنى إسرائيل مبشرا بمحمد هو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين الذى لا رسالة بعده ولا نبوة» تفسير ابن كثير جـ٤ ص ٣٥٩ الحلبى.

= أورد البخارى بسنده عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال سمعت رسول الله ﷺ يقـول:«إن لى أسماء:أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحى الذى يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى، وأنا العاقب» رواه مسلم من حديث الزهرى به نحوه، واستدل بهذا الحديث الحافظ بن كثير عند تفسيره لهذه الآية.

وأخرج أبو داود والطيالسى بسندهما أن رسول الله ﷺ قال:«أنا محمد، وأنا أحمد، والحاشر والمقفى، ونبى الرحمة، والتوبة والملحمة» رواه مسلم من حديث الأعمش عن عمرو بن مرة به.

وأخرج الإمام أحمد بسنده عن العرباض بن سارية قال:قال رسول الله ﷺ:«إنى عند الله خاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل فى طينته، وسأنبؤكم بأول ذلك:دعوة أبى إبراهيم، وبشارة عيسى بى ورؤيا أمى التى رأت، وكذلك أمهات النبيين يرين» رواه أحمد.

وقد اشتهر الأمر ببشارة محمد ﷺ فى أهل الأرض على لسان إبراهيم ـ عليه السلام ـ..حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولا منهم، ثم على لسان عيسى ـ عليه السلام ـ، ولما سئل ﷺ عن بدء أمره فى الأرض قال:«دعوة أبى إبراهيم، وبشارة عيسى ابن مريم، ورؤيا أمى التى رأت» أى ظهر فى أهل مكة أثر ذلك.تفسير ابن كثير جـ٤ص٣٦٠ .ثم إن الآية ببشارة عيسى ـ عليه السلام ـ لمحمد ﷺ كانت تُتْلى بين ظهراني أهل مكة والمدينة، وفيهم اليهود والنصارى، ولو وجدوها مخالفة لما معهم لاتخذوها حجة على رسول الله ﷺ، ودعوته، لكن لم يحدث.

**خامسا: موقف المنكرين من محمد ﷺ.**

«فلما جاءهم» أحمد المبشر به فى الأعصار المتقادمة..قال الكفرة والمخالفون:﴿ هذا سحرٌ مُبينٌ﴾ . من هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تظهر أمامنا بشارة محمد ﷺ فى وضوح لا خفاء فيه، فلو كان عيسى ـ عليه السلام ـ مرسل إلى الناس كافة كما يدّعون لما بشر بأحمد ﷺ ولا دعا إبراهيم ـ عليه السلام ـ لأهل مكة:أن يجعل منهم رسولا، ثم إن عيسى ـ عليه السلام ـ لم يأت إلى بنى إسرائيل إلا بعد انتهاء دور موسى ـ عليه السلام ـ وبانتهائه انتهت قوامة بنى إسرائيل على دينهم وعدم صلاحيتهم لهذا الأمر لزيغهم وضلالهم وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿ وإذْ قالَ مُوسَىٰ لقوْمه يا قوْم لم تُؤْذُونني وقد تعْلمُون أني رسُولُ اللَّه إليْكُمْ فلمَّا زاغُوا أزاغ اللَّهُ قُلُوبهُمْ واللَّهُ لا يهْدي القوْم الفاسقين﴾ .الصف:آية٥ .

ولما كانت رسالة الأنبياء ـ عليه السلام ـ مترابطة الحلقات المتقدم يسلم للعاقب فإن المسيح ـ عليه السلام ـ نطق بالحق وأخبر باليقين.ومن ثم فقد.

«قرىء القرآن على اليهود والنصارى في الجزيرة العربية وفيه ﴿ النَّبيَّ الأُمّيَّ الَّذي يجدُونهُ مكْتُوبًا عندهُمْ في التَّوْراة والإنجيل﴾ وأقر بعض المخلصين من علمائهم الذين أسلموا كعبد الله بن سلام بهذه الحقيقة التي كانوا يتواصون بتكتمها! =

تطوره أولا بنسج الإسلام الفاتح منذ الأيام الأولى فقد كان تفكير الرسول ﷺ متجها فقط إلى تلك الأوضاع الضرورية أولا وبالذات» [١].

والرد على الفقرة الأولى تؤكد:«أن النبي ﷺ قد كان يعلم ما يصيبه الإسلام من الانتشار، وتمكين السلطان، وقد بشر أصحابه بالفتوح التي في عهد خلفائه وللمؤمنين به، وبرسالته من بعده وفي سورة النور دليل ذلك: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ ﴾[٢].

قال جولد تسهير في كتابه ص ٤٤ ما يلي:فـ«...بعد أن كانت أُمّةً دينية بمكة ارتقت في المدنية إلى صورة سياسية ساذجة، إلى دولة سياسية عالمية» .فهو يعترف إذن بعالمية أمة الإسلام سياسيا فقط وهو اعتراف ناقص وفي نفس الصفحة:«..وهكذا يظهر غير صحيح ما يقال من أن الإسلام، في كل العلاقات، جاء إلى العالم طريقة كاملة، بل على العكس فإن الإسلام والقرآن لم يتمّا كل شيء، وكان الإكمال نتيجة لعمل الأجيال اللاحقة»[٣] !!

يتضح من كلامه أن الأمة الإسلامية في مكة والمدينة أُمّة دينية سياسية ـ على السواء، وإن كانت السياسة في المدينة غيرها في مكة، وغاب عنه أن السياسة والدين في الإسلام ممتزجتان [٤].

أما عن الفقرة الثانية فالرد عليها ماخلاصته أنه:

«قد جاء الإسلام في كل العلاقات بطريقة كاملة في المبادىء والأصول، وهذا ما ينتظر من القانون والنظام أن يحتوي الكليات، وتترك الجزئيات والتفاصيل للقائم بالفهم والتنفيذ، وقد يكون في ذلك مجال للاختلاف، وهذا لابأس به متى كان رائد الجميع فهم النصوص، وتعليق الحوادث بمبلغ الاجتهاد والبعد عن الهوى» [٥].

---

=كما أنه ثابت من الروايات التاريخية أن اليهود كانوا ينتظرون مبعث نبي قد أظلهم زمانه وكذلك بعض الموحدين المنعزلين من أحبار النصارى في الجزيرة العربية، ولكن اليهود كانوا يريدونه منهم.فلما شاء الله أن يكون من الفرع الآخر من ذرية إبراهيم كرهوا هذا وحاربوه!

وعلى أية حال فالنص القرآني بذاته هو الفيصل في مثل هذه الأخبار.وهو القول الأخير..».

(الظلال جـ٦ ص ٣٥٥٧ دار الشروق).

(١) جولد تسهير:العقيدة والشريعة..ص٧٣ .

(٢) سورة النور:آية ٥٥ . (٣) العقيدة والشريعة..ص ٤٤ .هامش.

(٤) انظر المترجمين للمصدر السابق ص ٤٤ حاشيته. (٥) انظر المترجمين للمصدر السابق ص ٤٤ حاشيته.

ومع أن هذا المستشرق قد درس القرآن والسنة لكنه أبى أن ينطق الحق، ومن ثم يُوَجّه إليه وإلى كل من يدور في فلكه هذا السؤال:

هل قال محمد ﷺ لقومه: إنى مرسل إليكم وحدكم؟ أو قال إنى لم أرسل إلى أهل الكتاب؟ أم أنه ﷺ كان يخبرهم، وهو يعلم أنه للناس جميعا؟ لقد كان «مصرًا على أنه أوسع دائرة من الأنبياء الذين سبقوه كلهم فهم يهدون من حولهم من الناس فحسب. أما هو فبعثته عامة للتعليق كليهما» (١).

وفى القرآن الكريم من دعوة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومن دعوة المشركين وعبّاد الأوثان، وجميع الإنس والجن مالا يحصى إلا بكلفة، وهذا كله معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، فكيف يقال:

إنه لم يذكر أنه ما بعث إلا إلى العرب خاصة، وهذه دعوته ورسله وجهاده لليهود والنصارى والمجوس بعد المشركين، وهذه سيرته ﷺ فيهم.

وأيضا، فالكتاب المتواتر عنه ـ وهو القرآن ـ يذكر فيه دعاءه لأهل الكتاب إلى الإيمان فى مواضع كثيرة جدا، بل يذكر الله فيه كفر من كفر من اليهود والنصارى، ويأمر فيه بقتالهم (٢).

قال جل ثناؤه: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣).

وفى سورة النساء: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا * لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ

---

(١) الشيخ محمد الغزالى: دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين ص ٨٣، وراجع لابن تيمية: الدين الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ١ ص ٢٧٤ .

(٢) انظر الإمام بن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ١ ص ١١٢ .

(٣) سورة المائدة: آية ١٧ وراجع فى نفس السورة آيات ٧٢ ـ ٧٧ .

وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ (١) .

وقال سبحانه: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (٢) .

وقد أكد النبي ﷺ على عموم رسالته في قوله: «كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبُعثت إلى الناس كافة» (٣) قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٤) .

وأكد القرآن هذه الحقيقة فقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (٥) .

وقوله: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (٦) .

ومن ثم فقد كان ﷺ يعلم تمام العلم مستقبل هذا الدين، ومدى انتشاره.

«وكان الصحابة – رضي الله عنهم – يسمعون من رسولهم أن الأرض ستسلم لهم، وأن ملك كسرى وقيصر سيتلاشى بين أيديهم، أجل لقد سمعوا هذا الرسول يحلف: «والله لتنفقن كُنوزهُمَا في سَبيلِ اللَّه» (٧) .

---

(١) سورة النساء:آية ١٧١، ١٧٢ .
(٢) سورة التوبة:آية ٣٠ – ٣٢ .
(٣) وفي حديث الشفاعة: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء من قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلي قومه خاصة وبعثت إلي الناس عامة» الحديث في الصحيحين من رواية جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – (وقد سبق تخريجه) صـ١١٢ هامش٦ .
(٤) سورة سبأ:آية ٢٨ .
(٥) سورة الفرقان:آية ١ .
(٦) سورة التوبة:آية ٣٣ .
(٧) رواه الإمام البخاري جـ٦ ص ٤٦٠ ،و١١ :ص٤٥٨ من طريق الزهري، ورواه مسلم جـ٢ ص ٣٧٠، ٣٧١ من طرق عن أبي هريرة.ورواه الترمذي جـ٣ص ٢٢٦ من طريق سفيان عن الزهري، وقال: «هذا حديث حسن صحيح.وفي المسند عن أبي هريرة جـ١٢ ص٧١٨٤ برقم ٧١٨٤ طـ دار المعارف.

ولقد لنطلقوا بعد موته ﷺ إلى هذه الامبراطوريات الشاهقة وكأنهم على موعد مع الفتح ماخالجتهم ريبة في أن النصر مكتوب لهم.

**تحقيق وعد الرحمن:**

حين رأى المسلمون إيوان كسرى يلوح أمامهم أبيض ناصعا، تذكروا ما وعد رسول الله ﷺ على ما رواه مسلم عن جابر بن معمرة أن رسول الله ﷺ قال:«عُصيبة من المسلمين يفتحون البيت الأبيض بيت «كسرى» (*) أو آل كسرى» فقويت قلوبهم وعظمت همتهم، وازداد إقبالهم، واشتاقت نفوسهم إلى أنْ يكُونوا تلك العصيبة.

فنادى ضرار بن الخطاب «الله أكبر» هذا أبيض كسرى، هذا ما وعد الرحمن وَصَدَقَ رسولُه وكبّر المسلمون وفتحوا المدينة.

إنه ليس ملك مَلِك كسرى وقيصر فقط بل العالم أجمع سوف يهتدى إلى الإسلام ويستريح إلى هديه، ويكسر القيود التي تحجزه عنه (١)، كما روى أحمد وغيره عن الرسول ﷺ أنه قال:«لَيبلغَنّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنَّهار، ولا يترك الله بيْت مدر ولا وبر إلا أدخله الله في هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل...»(٢).

فكيف يقال:إن محمدا لما أسس دينه لم يكن يدرى ما يفعله، ولا ما ينتظر دعوته؟ روى المقداد بن الأسود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:«لا يبقى على أهل (٣)الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخل الله عليهم (٤) الإسلام بعز عزيز (٥) وبذل ذليل، أما يعزهم الله فيجعلهم الله من أهلها.أو يذلهم فيدينون لها»(٦).

وعن تميم الداري -رضي الله عنه - قال:سمعت رسول الله ﷺ يقول:«ليبلغَنَّ هذا(٧)

---

(*) رواه مسلم:كتاب الإمارة جـ٢ص١٢٢ (متن( طـ الحلبى.

(١) الشيخ محمد الغزالي:دفاع عن العقيدة والشريعة..ص٨٤،٨٥ .

(٢) رواه الإمام أحمد....

(٣) في المسند:على ظهر الأرض.

(٤) في المسند كلمة الإسلام.

(٥) في المسند (أو).

(٦) إسناده حسن، وأخرجه أحمد ٦ / ٤ من طريق يزيد بن عبد ربه...راجع كتاب الإيمان لابن منده تخريج د / على الفقيهي مجلد (٣) ص ٩٦١ .

(٧) في المسند:هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار.

ما بلغ الليل .ولا يترك بيت مدر ولا بيت وبر إلا أدخله [١] هذا الدين بعز عزيز أو ذل ذليل [٢] ثم يعز الله الإسلام .ويذل به الشرك» [٣] ا .هـ.

فهل يصح أن يقال بعد هذا وذاك أن محمدا لما أسس دينه لم يكن يدرى ما يفعله، ولا ما سيصير إليه أمره، ولا أن العالم سيدخل فيه؟ [٤].

أما قوله :«إن الإسلام والقرآن لم يتما كل شيء، بل كان الإكمال نتيجة لعمل الأجيال اللاحقة» وأن «القرآن نفسه لم يعط من الأحكام إلا القليل، ولا يمكن أن تكون أحكامه شاملة لهذه العلاقات غير المنتظرة مما جاء من الفتوح، فقد كان مقصورا على حالات العرب السذج ومعنيا بها بحيث لا يكفى لهذا الوضع الجديد» [٥].

معنى هذا ببساطة لا ينقصها الوهم والادعاء «أن الإسلام لم يكمل أيام الرسول، وأنه لم يحتو إلا على طائفة من الأحكام تلائم العرب السذج وحسب .وهذا كذب صراح فإن الإسلام بلغ تمامه أيام النبى .والمسلمون مجمعون على رفض أية إضافة تجىء بعده، ويعتبرونه ضلالا، وهم يعرفون أن فى كتاب ربهم وسنة نبيهم الكفاية المطلقة لكل تشريع تحتاج إليه العصور..» [٦].

وحينما يذكر أن القرآن لم يعط إلا أحكاما قليلة!!

نخبره بأن« ..الكتاب والسنة احتويا مبادىء وأصولا تكفل معرفة ما يجد من الأحوال، والأقضية فليس بصحيح اقتصار الكتاب والسنة على أحكام الحياة البدوية الساذجة» [٧] ومع أن المستشرق المجرى دائب البحث فى القرآن والسنة فكيف غاب عنه قول الله تعالى:﴿ الْيَوْمَ

(١) فى المسند :الله.
(٢) فى المسند :عزا يعز به الإسلام، وذلا يذل به الكفر.
(٣) أخرجه حم ٤ / ١٠٣ من طريق أبى المغيرة قال حدثنا صفوان، واسناده صحيح وقد خرج رجاله فى كتاب الإيمان المحقق :د/ على بن محمد الفقيهى مجلد (٣) ص ٩٦١ هامش ٤ ـ٩ والحديث برقم ١٠٨٥ «وحديث تميم الداري..لعل المناسبة للترجمة أن انتهاء الإسلام لا يكون إلا بقيام الساعة» راجع كتاب الإيمان لابن منده تخريج وتحقيق د/ محمد الفقيهى جـ٣ ص ٩٦٤ .
(٤) الشيخ محمد الغزالى :دفاع عن العقيدة والشريعة :..ص ٨٥ .
(٥) جولد تسهير :العقيدة والشريعة..ص٤٤، ٤٧، ٤٨ .
(٦) الشيخ محمد الغزالى :دفاع عن العقيدة والشريعة ص٩٩ .
(٧) المعلقون على كتاب جولد تسهير ص ٤٨ هامش.

أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ (١).

**لامـــانس:** أما لامانس المبشر الفرنسى فهو دائم التحامل على الإسلام حتى ظهر من فند رأيه، وهو «إميل درمنجم» فى كتابه «حياة محمد» إذ يقول: «إن الأب لامانس يرى ـ مثلاً ـ أنه حين يوافق حديث من أحاديث الرسول بعض آى القرآن يحكم بأن الحديث موضوع، وأنه دس على النبى!! لماذا؟ اعتماداً عل ورود معناه فى القرآن وعلى تأييد الكتاب!!

ومن ثم لا يعتبره «لامانس» صحيح الرواية ولا يثق به(٢). فحدثنى بربك كيف يمكن تدوين التاريخ إذن؟ إذا كان كلما اتفقت شهادتان واجتمعت دلالتان، فبدلاً من أن تقوى إحداهما الأخرى وتزكيها فإنها تكذبها وتجرحها.

ثم تساءل «درمنجم» لماذا لا يكون مثل هذا الحديث شارحًا للقرآن..؟

وهب الحديث جاء بمزيد من المعانى فلماذا نهمل الأسانيد التى وردت به؟ وكيف يطلب من الناقد تجاوزها؟»(٣).

**والسير وليم موير هو الآخر يقول:**

إن فكرة عالمية الرسالة قد جاءت فيما بعد!!! وأن هذه الفكرة على الرغم من كثرة الآيات والأحاديث التى تؤيدها لم تخطر ببال محمد نفسه!! ثم يقول: وعلى فرض أنه فكر فيها فقد كانت فكرته غامضة!!. إذ أن عالمه الذى يفكر فيه إنما هو بلاد العرب. كما أن هذا الدين الجديد لم يهيأ إلا لها. ويزعم الرجل أن «محمدًا» لم يوجه دعوته ـ منذ بعث إلى أن مات ـ إلا للعرب دون غيرهم.!! ثم يقول موير: وهكذا قد نرى أن عالمية الإسلام غرست بين تعاليم الإسلام، ولكنها إذا كانت قد اختمرت وتمت بعد ذلك، فإنما يرجع هذا إلى الظروف والأحوال أكثر منه إلى الخطط والمناهج.

وهذه الادعاءات المفتراة على الإسلام يتولى دحضها، السير «توماس أرنولد» فى كتابه الدعوة الإسلامية تحت عنوان:الإسلام دين عالمي قائلا:«لم تكن رسالة الإسلام مقصورة على

(١) سورة المائدة:آية ٣ .

(٢) نقلاً عن: الشيخ محمد الغزالى : مع الله . دراسات فى الدعوة والدعاة ص ١٠٥ ، ١٠٦ ، وانظر العقاد: ما يقال عن الإسلام ص ٦٩ .

(٣) نقلاً عن : مع الله، ويراجع الرد الذى سبق بيانه ص ١٠٥ ـ ١١٥ .

بلاد العرب، بل إن للعالم أجمع نصيبا فيها. ولما لم يكن هناك غير إله واحد كذلك لا يكون هناك غير دين واحد يدعى إليه الناس كافة.

ولكى تكون هذه الدعوة عامة، وتحدث أثرها المنشود فى جميع الناس وفى جميع الشعوب، نراها تتخذ صورة عملية فى الكتب التى قيل إن محمداً «بعث بها فى السنة السادسة من الهجرة (٦٢٨م) إلى عظماء ملوك ذلك العصر. وفى هذه السنة أرسل الرسول كتبا إلى هرقل قيصر الروم، وإلى كسرى فارس، وإلى حاكم اليمن وإلى حاكم مصر، وإلى النجاشى. وقد قيل: إن الكتاب الذى أرسل إلى هرقل كان كما يلى:-

بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل قيصر الروم. السلام على من اتبع الهدى [1] ...» الخ نص الرسالة كما سبق توضيحها. ثم يقول أرنولد: «على أنه إن كانت هذه الكتب قد بدت فى نظر من أرسلت إليهم ضربا من الخرق فقد برهنت الأيام على أنها لم تكن صادرة عن حماسة جوفاء» [2].

«وتدل هذه الكتب دلالة أكثر وضوحا، وأشد صراحة على ما تردد ذكره فى القرآن من مطالبة الناس جميعا بقبول الإسلام، فقد قال الله تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٨٧) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ [3].

﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ * لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [4].

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [5].

ثم يكمل السير توماس كلامه قائلا: «...وأن ما يعبر به النبى فى تلك الآيات من مطالبة البشرية كلها بارتضاء الإسلام دينا ليزداد وضوحا فى قول محمد متنبئا أن بلالاً: «أول ثمار الحبشة» وأنَّ صهيْباً «أول ثمارَ الرُّوم» أما سلمان: فهو أول من أسلم من الفرس... وهكذا يصرح الرسول بكل وضوح وجلاء بأن الإسلام ليس مقصورا على الجنس العربى قبل أن يدور بخلد العرب أى شىء يتعلق بحياة الفتح والغزو بزمن طويل وأن القصة التالية الخاصة بإرسال البعوث

---

(١) سير توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام ترجمة الدكتور حسن إبراهيم وآخرين ص ٤٨ ط الثالثة ١٩٧٠ .
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه والآية من سورة ص: آية ٨٧ ،٨٨ .
(٤) سورة يس: آية ٦٩ ،٧٠ .
(٥) سورة سبأ: آية ٢٨ .

إلى كل الشعوب للدعوة إلى الإسلام لتشير إلى عموم دعوة الرسالة»[١]، قال الرسول ﷺ لأصحابه:«وافونى بأجمعكم الغداة، وكان إذا صلى الفجر حبس فى مصلاه قليلا يسبح ويدعو، ثم التفت إليهم فبعث عدة إلى عدة، وقال لهم:انصحوا الله فى عباده، فإنه من استرعى شيئا من أمور الناس ثم لم ينصح لهم حرم الله عليه الجنة انطلقوا، ولا تصنعوا كما صنعت رسل عيسى ابن مريم، فإنهم أتوا القريب وتركوا البعيد»[٢] الخ هذه الرواية، وقد سبق تخريجها وعزوها.

**يقول أرنولد**:عن هذه الرواية إنها«على أقل تقدير تدلنا على إدراك السابقين للصفة التبشيرية فى الإسلام»[٣].

### أرنولد يسوق الأدلة على عموم دعوة الإسلام:

ثم يقول أرنولد:«ويؤيد دعوى عموم الرسالة والحق فى المطالبة بأن يستجيب لها جميع الناس أن الإسلام كان الدين السماوى الذى اختاره الله للجنس البشرى كافة ثم أوحى به إليهم من جديد على لسان محمد «خاتم النبيين» [٤].

يشير إلى قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [٥].

ثم يستدل أرنولد على كلامه فيقول:«كما أوحى به من قبل على لسان غيره من الرسل»[٦] مستشهدا بهذه الآيات: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [٧].

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ [٨].

---

(١) الدعوة الإسلامية ص ٤٨ ـ ٥٠ .
(٢) سبق تخريج هذه الرواية فى صفحة ١١٠ .
(٣) أرنولد:الدعوة إلى الإسلام ص ٥٠ هامش ١ .
(٤) أرنولد:الدعوة إلى الإسلام ص ٥٠ .
(٥) سورة الأحزاب:آية ٤٠ .
(٦) الدعوة إلى الإسلام ص ٥٠ .
(٧) سورة يونس:آية ١٩ .
(٨) سورة الأحقاف:آية ٩ .

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[١] .

وبهذه الشواهد التى ساقها السير «توماس أرنولد» يكون قد وضع الحق فى نصابه ولم يترك للتعصب يطغى على الحقيقة، ومن ثم فهو أدنى المستشرقين إلى النصفة.

**ومن ثم فلا قيمة لما ساقه «سوندرز» عندما قال:**

«ما من دليل واف يدل على أن محمدا ـ صلوات الله عليه ـ كان يتصور الإسلام دينا عالميا لجميع الناس، أو يتصور أنه أرسل لهداية شعب من الشعوب غير شعبه العربى، وليست قصة رسائله إلى الامبراطور هرقل وشاه فارس، وملك الحبشة، وغيرهم من الرؤساء للدخول فى دينه بالقصة التى تقوم على أساس»[٢] .

ثم يقول: «ولاشك أن محمدا لم يفكر فى فتح العالم، وإنما اعتقد أن واجبه الأول أن يمهد لأبناء أمته أسباب الإيمان بدينه، فإذا صدوه عن دعوته فواجبه إذن أن يقابل القوة بالقوة»[٣] .

**ويتولى الأستاذ العقاد الرد عليه قائلا:**

«...الأستاذ سوندرز يجهل سياق القرآن فى هذا الصدد فإنه لو كلف نفسه قراءة الآيات الخاصة بالبشر جميعا لتراجع عن هذا الرأى، إن دستور الإسلام أخبر بأن الله رب العالمين، ملك الناس إله الناس، فمن جهل رسالة القرآن كلها فالعجب أن ينتظر الخبر اليقين من قرطاس مطوي في بيزنطة، أو في غيرها يحتمل الشك والإنكار»[٤] .

**استشكال بعض المستشرقين في فهم بعض آيات القرآن:**

ظاهرة استشكال عموم دعوة الإسلام لدى بعض المستشرقين ظاهرة غير حكيمة حتى قال: «سوندرس» أيضا: «إن هناك أدلة تفيد أن محمدا ﷺ قد أراد بدينه أن ينشر على الناس،

---

(١) سورة البقرة: آية ٢١٣ .
(٢) نقلا عن عباس العقاد: ما يقال عن الإسلام ص ٦٨ ط الأولى ١٣٨٦هـ .
(٣) المصدر نفسه ص ٦٩ .
(٤) المصدر نفسه.

كما أن هناك أدلة أخرى تفيد أنه لم يفعل ذلك...أما أن محمدا قد آمن بأن الله هو إله الجميع فليس محل مناقشة، ولنا سند من القرآن نفسه..فقوله فى أول سورة الفرقان:﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (١).

قد يقابله فى سورة السجدة: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾(٢) وهو يشير..إلى العرب ومثله فى سورة الشورى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (٣).

فإنه يدعو إلى التساؤل عن القرآن العربى هل يخاطب به أناس غير المتكلمين بالعربية ؟(٤).

**انقسام الأوربيين حول هذه المسألة:**

قال سوندرس:«إن الأوربيين المتخصصين للإسلاميات ينقسمون انقساما شديدا فى هذه المسألة، فإن **موير**: يرى أن الدعوة من البداية إلى النهاية كانت دعوى للعرب وحدهم ولم يدع بها أحد غيرهم...لكن **نولدكه، وجلدزيهر**...يقولان:إن محمدا ﷺ أراد بدينه منذ أوائل الدعوة، أن يكون مجرد عقيدة وطنية محلية، ونقول:إنه لو كان قد ثبت أنه كتب إلى هرقل، وملك الفرس، وغيرهما من الملوك يدعوهم إلى الإسلام لا تنفى الشك بالواقع، ولكن آراء الباحثين ـ مع الأسف ـ لا تميل إلى قبول هذه الأخبار، ومونتغومرى وات يقول:إن هذه القصة لا يمكن أن تقبل على حسب هذه الروايات»(٥) ثم يختم كلامه قائلا:«وعندنا صعوبة كهذه فى أمر المسيحية، فهل كان المسيح ـ عليه السلام ـ ينظر إلى نفسه كأنه صاحب ديانة جديدة كما جاء فى (متى) حيث يقول:اذهبوا وعلموا جميع الأمم «أو كان ينظر إلى نفسه كأنه مصلح لليهودية ليس إلا وأنه ما جاء إلا إلى خراف إسرائيل الضالة؟ وأحب أننى أمام هذا الخلاف قد كنت متحرزا حيث قلت إن البرهان القاطع غير موجود»(٦).

---

(١) سورة الفرقان:آية ١ .
(٢) سورة السجدة:آية ٣ .
(٣) سورة الشورى:آية ٧ .
(٣) نقلا عن العقاد:الإسلام دعوة عالمية ص ١٥٧، ١٥٨ .
(٥) المصدر نفسه.
(٦) المصدر نفسه ص ١٥٨، ١٥٩ .

ليس هناك وجه مقارنة بين اتباع المسيح - عليه السلام - وأتباع محمد ﷺ إذ: «بين موقف الخلفاء من الدعوة المحمدية وموقف بولس..وإخوانه من الدعوة المسيحية - بون شاسع - فإن بولس وإخوانه لم يكن فى وسعهم أن يبشروا اليونان والرومان بمسيح منتظر فى بنى إسرائيل لخلاصهم، واستعادة ملكهم الذى قضي عليه الرومان أنفسهم، فلا جرم تتحول الدعوة من إسرائيلية إلى عالمية لهذه الضرورة التى لا محيص عنها وليست هناك مشابهة قط بين الدعوة الخاصة ببنى إسرائيل وبين الدعوة إلى الناس كافة كما وردت فى القرآن الكريم بذلك الوضوح الذى فهمه الكاتب...»، كما أننا لا نرى دليلا على التحرز ولا على الجد - فى استناد الكاتب إلى نزول القرآن باللغة العربية لتعزيز حجته على تخصيص الإسلام بمن يتكلمون اللغة العربية، إذ كيف كان يريد أن تكون الدعوة إن كانت عالمية إنسانية ولم تكن مقصورة على المتكلمين بلغة الرسول؟ إنه يمنع بذلك أن توجد فى العالم دعوة عالمية إنسانية على الإطلاق، أو يفترض فيمن كان يرسل بهذه الدعوة أن ينطق بألسنة الناس أجميعن.

فإذا كانت كلمة الناس كافة تحتمل اللبس فى أذهان هؤلاء المستشرقين لسبب من أسباب التأويل فى اللغة أوفى المنطق، فما هو اللبس فى وصف العباد الذين تكرر الخطاب بإنذارهم ودعوتهم إلى الدين؟ إننا نذكر - والكلام للعقاد - من وصف هؤلاء العباد فى الكتاب العربى..فى خطاب النبى بالعربية:[1] ﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ * اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾[2].

فمن يقرأ وصف هؤلاء العباد الذين سخر لهم البحر وسخر لهم الأنهار وسخر لهم الليل والنهار لا يخطر له لحظة أنهم أبناء الجزيرة العربية دون غيرهم من بنى الإنسان فى جميع البلدان.

وإذا كان عرب الجاهلية قوما لم يأتهم نذير من قبل فالدين الذى جاء به صاحب

---

(١) العقاد: الإسلام دعوة عالمية ص ١٥٩، ١٦٠.
(٢) سورة إبراهيم: آية ٣١ - ٣٣.

الدعوة المحمدية يعم المتدينين الذين سبقت إليهم الرسل، ويقوم النبى العربى بالدعوة إليه ليظهره على الدين كله ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [١].

وبعد: فكيف يسيغ العقل أن يكون صاحب الدعوة المحمدية خاتم النبيين إذا كانت رسالته مقصورة على قوم لم يأتهم من قبل نذير»[٢]..؟!!

**المبحث الخامس: الإسلام عقيدة عالمية:**

معنى أن الإسلام عقيدة عالمية أنه صالح لكل زمان ومكان، بل يصلح به الزمان والمكان ولو ضاع هذا الركن لضاعت بضياعه رسالة الإسلام ودعوته للبشرية.

إن هذه العالمية ركن أساسى للإسلام، وكل تفاسير مناقضة لروح هذه العالمية عدوة لدودة للإسلام، والأصل فى هذه العالمية ليست فى صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان فحسب بالنسبة لأهله، بل قابليته الدائمة أيضا لاجتذاب غير أهله إليه وهذا يعني إشعاعه الدائم من بابه المفتوح بالترحيب والهداية، وبمعاني الأخوة الإنسانية.

فالإسلام الحق هو الإسلام الحي، الإسلام العالمي، الذي لا يقنع بمكان أو زمان، أو بيئة أو شعب أو أفراد، وإنما يعني بالإنسانية جمعاء في جميع الأقطار، ويهتم بخير البشرية كافة، ومهما أنذر مناوئيه ليردعهم عن غيهم كما ينذر الأب أبناءه، فإن روح الإشفاق والرحمة لا تفارقه ولو سترها الوعيد الشديد [٣].

ولما كان الإسلام عقيدة عالمية فإنه يساير التطور المستمر، لأنه يعتمد على العقل والعلم المحقق، واحترامه للعادات المعقولة جزء من احترامه للمنطق، وللواقعية المفيدة، ولذلك كانت الشريعة الإسلامية فى لبابها واسعة يرضى عنها سكان آلاسكا، رضاء سكان أفريقيا، أو أوربا، أو أمريكا، أو آسيا، أو أي بقعة في العالم [٤]. لما يمتاز به من خصائص.

**من خصائص الدعوة الإسلامية:**

أنها «دعوة إلى الإنسانية دعوة إلى المستوى الإنسانى فى سلوك الأفراد، وفى الترابط

---

(١) سورة التوبة: آية ٣٣ .

(٢) العقاد: الإسلام دعوة عالمية ص ١٦٠ .

(٣) انظر للدكتور أحمد زكى أبو شادى: الإسلام الحى ص ٢٦، ٢٧ ط الأولى القاهرة ١٩٥٥م.

(٤) المصدر السابق ص ٢٧ .

فيما بينهم وفى تعامل بعضهم مع بعض.

هى دعوة إلى التحول من وضع اجتماعى قائم إلى وضع آخر مرجو ومقابل له.هى دعوى إلى الانتقال من الأنانية والمنفعية المادية إلى المعنى الجماعى والمصلحة العامة.هى دعوة إلى ترك خصائص المادية، والأخذ بالقيم الإنسانية»(١).

**ومن خصائص الدعوة أيضا:**

أنها دعوة إلى الاتجاه الإسلامى:نعم نشأت الدعوة فى مكة إلا أنها، «لم تكن عربية.أى لم تكن خاصة بالعرب، وإنما المكيون كانوا أول تجربة تقوم فيهم، على أساس أنهم مجموعة من الناس ساد بينهم الاتجاه المادى فى سلوكهم وتعاملهم كما ساد هذا الاتجاه نفسه:شبه الجزيرة العربية، وامبراطورية الفرس فى الشرق، وامبراطورية الرومان فى الشمال والغرب، أى كما ساد هذا الاتجاه العالم كله فى ذلك الوقت.

فهى دعوة قامت لتواجه هذا الاتجاه، وتدعو إلى التحول عنه إلى ما يسمى بالاتجاه الإنسانى أو الإسلامى.وبهذا الاعتبار هى دعوة عامة للبشرية كلها.ويوم دخلت فارس بعد شبه الجزيرة ووصلت إلى الشام وبيت المقدس ثم إلى جميع انحاء الامبراطوريتين القائمتين فى ذلك الوقت، امبراطورية الفرس، والرومان:لم تكن غازية، وإنما كانت في مسيرها الطبيعي، لتحقيق القيم الإنسانية التي حملتها أول لحظة. ولإحلالها مكان الجاهلية أو المادية السائدة في ذلك الوقت...ويوم أن وقع الاختيار على «يثرب» (*) للهجرة بالدعوة الإسلامية، وقام فيها المجتمع الإسلامى، لم يكن طابع هذا المجتمع من وحى بيئة «يثرب» (٢).

وإنما هو مجتمع إنسانى يستهدف القيم الإنسانية العليا فى الترابط بين أفراده وفى العلاقة بينه وبين ما عداه فى أى مكان، وفى أى زمن.وما عداه هو ذلك المجتمع اللاإنسانى أو المجتمع الجاهلى، أو المادى.ومجتمع «يثرب» إذن هو التجربة الأولى للمجتمع الإنسانى أو الإسلامى، وتتكرر هذا التجربة فى مجتمعات أخرى كلما نجحت الدعوة إلى القيم الإنسانية

---

(١) د/ محمد البهى:الإسلام دعوة وليس ثورة ص ٨ .

(*) يثرب:جاء فى ذكر اسمها خمسة وتسعين اسما، اثبتها الإمام محمد بن يوسف الشامى ت ٩٤٢ هـ «كتاب سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد» الجزء الثالث الذى قام بتحقيقه الأستاذ عبد العزيز عبد الحق:ص١١٤ ـ ٤٢٦، وأثبت أن كثرة الاسماء تدل على شرف المسمى.

(٢) د/ محمد البهى:الإسلام دعوة وليس ثورة ص ٩،١٠ .

العليا فى أى وقت، وفى أية بقعة من بقاع العالم.

ومن هنا كانت الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، وليست محلية بيئية، ونزول القرآن باللغة العربية لأنها كانت لغة التجربة الأولى لقيام المجتمع الإنسانى على أنقاض المجتمع المادى أو الجاهلى. كما كانت مكة هى المكان الأول لهذه التجربة. ولا يعنى نزوله باللغة العربية: أن الدعوة الإسلامية كانت للعرب وحدهم»[١].

**الفهم الخاطىء:**

كل من يفهم أو يُصر على أن نزول القرآن باللغة العربية أو أن مكة، وهى المكان الأول للدعوة الإسلامية هذه أو تلك تحدّ من عالمية هذه الدعوة فهو فهم خاطىء؛ لأن الطابع العالمى لها مستخلص من المبادىء العامة التى تدعو لها، وهى مبادىء تخص الطبيعة البشرية، من حيث هى طبيعة بشرية: فى أى مكان وفى أى جيل من الأجيال [٢]. فهى تختلف عن أنواع الثورات اختلافا تاما.

**الفرق بين عالمية الدعوة، والثورة:**

إن أمر الدعوة «مرهون فقط بملائمة مبادئها لطبيعة الإنسان أىّ إنسان، وليس بشىء أخر وراءها. وعالمية الدعوة الإسلامية إذن تجعلها مميزة تماما عن محلية «الثورة» حتى لو انتقلت الثورة من مكان إلى آخر، ومن شعب مختلف إلى شعب عن شعب الثورة، لأن مبادىء الثورة ذاتها تعبير عن عوامل البيئة التى وقعت فيها، وليست مستخلصة من الطبيعة البشرية كطبيعة بشرية لها خصائصها التى تميزها، والتى لها فى أى مكان، وفى أى وقت»[٣] وهذا هو الفرق الواضح بين الثورة كثورة والإسلام.

**وفى عالمية الدعوة يقول الله تعالى:** ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [٤].

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا

(١) د/ محمد البهى: الإسلام دعوة وليس ثورة ص٩، ١٠ .
(٢) انظر د/ محمد البهى: الإسلام دعوة وليس ثورة ص١٠، عبد العظيم منصور: كلمة الله الأخيرة ص ٣١ ـ ٣٤، وعلى عبد الحليم محمود: الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ص ١٧ ـ ١٩، ٩٤، ٩٥ .
(٣) د/ محمد البهى: الإسلام دعوة.. وليس ثورة ص١٠، عباس العقاد: الإسلام دعوة عالمية ص ١٥٦ ـ ١٦١ .
(٤) سورة سبأ: آية ٢٨ .

لقوم عابدين * وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (١).

فماذا تعنى كلمة كافة؟ أى وما أرسلناك إلا إرسالة عامة من الكف فإنها إذا عمتهم فقد كفتهم أى منعتهم أن يخرج منهم أحد (٢).

وماذا يفهم من أنه ﷺ رحمة للعالمين؟

إن الآية الكريمة توضح أن في هذا..من الإخبار والمواعيد لكفاية لقوم يعبدون الله الحق، لا عابدين لأهوائهم متبعين لأباطيلهم.فما أرسلناك يا محمد إلا رحمة للعالمين، لأن ما بعثت به سبب لإصلاح شؤونهم وتربية نفوسهم، وإقامتهم على منهاج الأحياء في محاولاتهم (٣).

وتظهر قيمة الإسلام فى استيعابه كل ما استحدث، «إلا ما ناقض العقل والعلم والآداب العالمية الوضع، مثال ذلك:مجانبة الإسلام للخرافات، والبدع والتهريج المضلل، واستباحة الأعراض، والاعتداء على الخَلْق وحقوقهم، وأما ما عداها فلا يحرمه الإسلام إطلاقا.وفى القرآن..أمثلة من المحرمات التى كانت لها أسباب معقولة، فحينما وجدت هذه الأسباب استمر التحريم، وحيثما انتفت الأسباب انتفت النتائج المترتبة عليها.ومن الاختصاصيين الجامعيين رجال العلم والتحقيق يستمد تفسير الإسلام وتطبيقه كشريعة عالمية احتفظت من الشرائع السماوية السابقة باللباب الصافى الخالد واحتفظت ببعض الشكليات النفسية الرمزية، وتفردت بعد ذلك باتخاذها العقل الذى يسانده العلم المحقق ـ أداة للتفسير والتطبيق» (٤).

### مكانة الدعوة:

الدعوة التى حملها محمد ﷺ إلى البشرية ذات مكانة عظيمة فهى:«تمثل اللبنة، والحلقة الأخيرة من سلسلة الدعوى الطويلة إلى الإسلام بقيادة الرسل الكرام على مدار التاريخ البشرى، وجماع الدعوة التى حمل لواءها آخر الأنبياء بآخر الرسالات السماوية، وهى رد البشرية إلى إله واحد يدين له بالعبودية كل مخلوق، ويخضع لشريعته كل موجود، وإزالة كل

---

(١) سورة الأنبياء:آية ١٠٥ ـ ١٠٧

(٢) محمد فريد وجدى:المصحف المفسر ص ٥٦٦ حاشية:ط الشعب ١٣٧٧ هـ، والعقاد:الإسلام دعوة عالمية ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ .

(٣) المصحف المفسر:ص٤٣٢ هامش.

(٤) د. أحمد زكى:الإسلام الحى ص ٢٧، ٢٨ .

ما يعترض تلك الدعوة من مواريث الأنظمة البشرية التي تراكم بعضها فوق بعض، فحجب الفطرة وران على القلوب والاتجاه بكل ما يسمح به الإسلام نحو تقويض دعائم الأنظمة البشرية البالية وإقامة صرح للحياة دعائمه أعز لأنه من عند الله، وأسسه قويمة لأنه من صنع الله، وهدفه نبيل وسام، لأنه يتجه بالبشرية إلى أن تحلق في أجواء مشرقة من توحيد الله، متخلية بذلك عن الطبائع الحيوانية، والرذائل الخلقية، والنجاسات المعنوية التي هي في أصل النشأة، ومحال أن تزول إلاّ بانعدام الذات»[١].

**دعوة الإسلام جاءت لترد الإنسان الشارد إلى ربه:**

فقد أقرت «رابطة واحدة تربط الناس بعضهم ببعض فإذا انفصمت عراها فلا مودة ولا صلة»[٢]، وهي: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[٣].

نعم لقد جاء الإسلام ليناجي النفس الإنسانية، ويخاطب الضمير البشري في كل مكان، ويؤكد للناس أن البشرية من أسلافها إلى أعقابها لها نسب واحد، ولها إله واحد، وأكرمهم عند الله اتقاهم وأفضلهم عند الله أسبقهم للخيرات، كما جاء ليقرر أن هناك طريقا واحداً يصل إلى الله[٤].

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[٥].

جاء الإسلام لِيَثُلَّ عرش الشيطان، ويقيم عرش الضمير داخل النفس الإنسانية، يتابع تطرفاتها ويَحْبِط تطلعاتها إلى ما ليس من حقها ويقهرها بردها عن مطامعها وأشواقها حتى تستقر على طاعة الله، المطلع على الضمائر، العالم بالسرائر الرقيب على أعمال العباد، القائم على كل نفس بما كسبت»[٦].

**حاجة البشرية إلى الإسلام:** «إن البشرية الآن أحوج ما تكون إلى روحية وأخلاقية؟

---

(١) عبد العظيم منصور: كلمة الله الأخيرة ص ٣٧ .
(٢) المصدر السابق ص ٥٨ .
(٣) سورة المجادلة: آية ٢٢ .
(٤) كلمة الله الأخيرة ص ٥٨ .
(٥) سورة الأنعام: آية ١٥٣ .
(٦) كلمة الله الأخيرة ص ٥٨، ٦٠ بتصرف.

ومعانى الإنسانية، تهذب من ديانتها المادية، وتردها عن الاندفاع القاسى وراء شهواتها أياكانت أشكالها وألوانها، وتشعرها بمعانى الإنسانية التى يجب أن تسود البشر، وتتخلى بها عن طبائع القهر والغلبة والاستبداد التى أصبحت العلامة المميزة والسمة البارزة فى التعامل بين الأمم والشعوب، وفى العلاقات بين القوى المتصارعة على مستوى الأفراد، وعلى مستوى الطبقات، وعلى مستوى الأنظمة المتصارعة والمتطاحنة التى تعاورت على البشرية فى الماضى، وتتقاسم البشرية اليوم، ولن تجد البشرية كما سبق لها أن وجدت وجربت تلك القيم والأخلاق والسلوك الحميد إلا تحت راية الإسلام [١].

### كلمة للمسلمين:

موقفنا «نحن المسلمين فى أرجاء الدنيا فى حاجة إلى رقابة الدين بشرائعه وتعاليمه وسننه وأحكامه وتوجيهاته،وأخلاقياته.من أداء الأمانة والحكم بالعدل، وأداء الحقوق وذلك على كل تصرفاتنا وسلوكنا وأخلاقنا ومعاملاتنا بعد أن انسحب الدين من واقع الحياة من ضمير الفرد ومن ضمير الجماعة تحت دعاوى المرجفين والمنافقين والذين فى قلوبهم مرض...

ولو علم هؤلاء أن السياسة هى تدبير أمور أمة، وإسلامنا لم يشرعه الله إلا لإخراج خير أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر تقيم العدل، وتدفع الظلم وتحقق الأمن، وتنشر السلام، وتوفر الرخاء، وتدعم الأخلاق، وتربط الأرض بالسماء، وترفع لواء الرحمة على مستوى الفرد والأسرة والدولة والملك وعلى مستوى الإنسانية كلها»[٢] لنادوا بتطبيق الإسلام قولا وعملا فى أوطانهم.

### طعن جولد تسهير على الدعوة:

فهل بعد هذا كله يأتى جولد تسهير فيحكم على الدعوة الإسلامية بأنها «لا جدة ولا طرافة فى هذه الدعوة» [٣] كما يقول فى ص ١٧ :بأن:«الوحى الذى نشره محمد فى أرض مكة لم يكن ليشير إلى دين جديد، فقد كان تعاليم واستعدادات دينية نَمّاهَا فى جماعة صغيرة، وَقَوى فى أَفْرادِ هذه الجماعة فهمها للعالم مؤسسا على الحكم الإلهى!!» [٤].

---

(١) المصدر السابق :ص٦١ .
(٢) عبد العظيم منصور:كلمة الله الأخيرة ص ٦١ .
(٣) جولد تسهير:العقيدة والشريعة ص ١٢ .
(٤) المصدر السابق ص ١٧ .

كما يقول: إن الوحى الذى نشر فى مكة لم يكن ليشير إلى دين جديد، هل هذا صحيح؟

فيم إذن كانت مقاومة رجال مكة، وعذابهم للمؤمنين؟

لقد كانت فى مكة كل عناصر الدين الجديد.

فيها: التوحيد، والصلاة، والصدقة، ومراقبة الخالق فى عمل العبد، وإذا كان من مقومات الدين المقاومة والتضحية، فقد كان ذلك فى مكة على أتم الوجوه، وكانت فى مكة الهجرة إلى الحبشة وغيرها من مظاهر الثبات والكفاح، والإباء، وهو يقول بعد عن هذه التنظيمات الاجتماعية: إنه قد وضعت مبادىء بعضها فى مكة فكيف إذن لا يكون فى مكة دين جديد؟[1].

هذا الكلام زيغ عن الحق، وتحريف للكلم عن مواضعه، فإن أهل مكة الذين يعرفون النصرانية جيدا قالوا لما سمعوا دعوة الإسلام: ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ ﴾[2].

أى أن ما قرع أسماعهم هو شىء جديد غير معهود فى الديانات الوثنية والكتابية المحرفة وذلك حق.

فإن التوحيد المطلق، المنكر للبنوة والولادة، الرافض لتسوية أى مخلوق بالله سبحانه كان شيئا جديدا طريفا أنطق الألسنة بهذا الاستغراب: ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾[3].

«فهل يصح القول بأن دعوة الإسلام لاجدة فيها ولا طرافة؟ وإذا كان القرآن النازل فى مكة لا يكون دينا جديدا فماذا يكون؟

إن الوحى المكى جمع كل الآداب، والوصايا، والمبادىء الرفيعة الموزعة فى صحائف العهدين القديم والجديد، وزاد عليها آدابا، ووصايا، ومبادىء أخرى احتاج إليها العالم فى تقويم فطرته وصيانة حياته، وذلك كله إلى جانب ما صحح من عقائد، واستن من شرائع لم تكن معروفة فى العبادات الأصلية»[4].

(١) المصدر السابق ص ١٧ هامش تعليق المترجمين.

(٢) سورة ص: آية ٧ .

(٣) سورة ص: آية٥، ٦ .

(٤) الشيخ محمد الغزالى: دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين ص ٣٧ .

فكيف يوصف القرآن المكى بأنه:«استعدادات دينية، وليس دينا جديدا؟»[١].

إن هذا المستشرق قرأ القرآن وبحث فى السنة فهل غاب عنه أن سورة الأنعام، أو سورة الإسراء وهما مكيتان قد تضمنتا من حقائق الدين ما يربو على الأناجيل كلها.

فإذا لم يكن الإسلام دينا، فلن تكون اليهودية ولا المسيحية ديانات..[٢].

إن الإسلام فى مكة هو الإسلام فى المدينة ففى سورة البقرة وهى مدنية: ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ [٣] وفى سورة الصافات وهى مكية: ﴿ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴾ [٤].

وفى سورة يونس: ﴿ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾ [٥] وفى سورة آل عمران: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [٦] والأولى مكية والأخرى مدنية.

وفى سورة لقمان: ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ * هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [٧] وفى سورة البقرة: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾. والأولى مكية والأخرى مدنية [٨].

«إن المعانى والأغراض متشابهة بين مكة والمدينة، لأنها جميعا من عند الله، الله الذى أنزل القرآن هنا وهناك واحد. والرجل الذى تلقاه فى كلا البلدين واحد.

وما تأسس فى العهد الأول كان الدعامة لما جاء فى العهد الثانى. يصدق بعضه بعضا ويمهد له ويتلاقى معه وما نقضت عقيدة ولا خلق، ولا حلال ولا حرام عرف فى مكة بشىء

(١) المصدر نفسه.

(٢) انظر الشيخ محمد الغزالى: دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين ص ٣٨ .

(٣) سورة البقرة: ص ١٦٣ .

(٤) سورة الصافات: ص٤ .

(٥) سورة يونس: ص ٧ .

(٦) سورة آل عمران: ص١٩٠ .

(٧) سورة لقمان: ص٣، ٤ .

(٨) راجع أسباب النزول: للإمام جمال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى القاهرة ١٣٨٢هـ، أسباب النزول، وبهامشه الناسخ والمنسوخ لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى. المكتبة التوفيقية القاهرة، وبراجع ديباجة مصحف محمد على خلف الحسينى رحمه الله تعالى ١٣٣٧هـ.

جدّ بعد ذلك فى المدينة»[١].

ومع هذه الحقائق المبثوثة بين دفتى المصحف تجد غالبية المستشرقين يتغافلونها ويجهدون أنفسهم فى النيل من الإسلام والطعن فيه حتى تضعف مكانته المقدسة فى النفوس، ومازالت آثارهم تنتقل من جيل إلى جيل، تشاهد فى كل عصر..

وإليك بعض آثارهم فى مصر:

**المبحث السادس: من آثار شبهات الأعداء على الدعوة في مصر:**

تهجم بعض كتاب المسلمين على عموم دعوة الإسلام! والرد عليهم:

دأب المبشرون، والمستشرقون، والحاقدون منهم على مهاجمة الإسلام، محاولين النيل منه، وكسر شوكته، وحصره فى أضيق الحدود، ونسى هؤلاء وأولئك أن للإسلام منهج فى الأرض لابد أن ينّفذ ويطبق فهو ذو خصائص متميزة فهو:

أ ـ من ناحية التصور الاعتقادى متكامل.

ب ـ وهو من ناحية الشريعة المنظمة لارتباطات الحياة كلها شامل.

جـ ـ وهو من ناحية القواعد الأخلاقية التى تقوم عليها هذه الارتباطات، ولا تفارقها سواء كانت سياسية، أو اقتصادية، أو اجتماعية راسخ إذن هو منهج جاء لقيادة البشرية كلها، ومن ثم فلابد أن تكون هناك جماعة من الناس تحمل هذا المنهج لتقود به البشرية [٢]، وتهديها سواء السبيل.

امتثالا لقول الله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [٣] وتحقيق هذا المنهج يقتضى دعوة إلى الخير يعرف منها الناس حقيقة هذا المنهج، ويقتضى سلطة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فتطاع، والله تعالى يقول:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [٤].

«فمنهج الله فى الأرض ليس مجرد وعظ وإرشاد، وبيان فهذا شطر، أما الشطر الآخر

---

(١) الشيخ محمد الغزالى :دفاع عن العقدة والشريعة..ص٣٩ .

(٢) انظر تفسير الظلال جـ١ ص ٤٤٠ .

(٣) سورة آب عمران:آية ١٠٤ .

(٤) سورة النساء:آية ٦٤ .

فهو القيام بسلطة الأمر والنهى، على تحقيق المعروف ونفى المنكر من الحياة البشرية، وصيانة تقاليد الجماعة الخيرة من أن يعبث بها كل ذى هوى، وكل ذى شهوة، وكل ذى مصلحة..»[١].

والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، تكليف ليس بالأمر الهين، ولا اليسير، فجماهير الناس طبائعهم متباينة، ففيهم الجبار الغاشم، والحاكم المتسلط، والهابط الذى يكره الصعود، والمسترخى الذى يكره الاشتداد، والمنحل الذى يكره الجد، والظالم الذى يكره العدل، والمنحرف الذى يكره الاستقامة، وفيهم من ينكرون المعروف، ويعرفون المنكر، ولا تفلح البشرية إلا أن يسود الخير..وهذا ما يقتضيه إقامة سلطة للخير وللمعروف تأمر وتنهى، وتطاع..[٢].

عن أبى سعيد الخدرى ــ رضى الله عنه ــ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:«من رأي منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[٣].

وعن ابن مسعود ــ رضى الله عنه ــ قال:قال رسول الله ﷺ: لما وقعت بنو إسرائيل فى المعاصى نهتهم علماؤهم، فلم ينتهوا، فجالسوهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله تعالى قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داود وسليمان، وعيسى ابن مريم ثم جلس، وكان متكئا فقال:«لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطرا» [٤] .أى تعظوهم وتردوهم [٥].

**الأمة الكبرى:**

إن لكل أمة من الأمم الكبيرة رسالة، وأكبر أمة هى التى تحمل أكبر رسالة، وهى التى تقدم أكبر منهج.وهى التى تتفرد فى الأرض بأرفع مذهب للحياة.

والعرب يملكون هذه الرسالة ــ وهم فيها أصلاء وغيرهم من الشعوب شركاء، فأى باغ أو ماكر أو شيطان يا ترى يصرفهم عن هذا الرصيد الضخم؟

---

(١) الظلال جـ١ ص٤٤٤ .
(٢) انظر المصدر السابق جـ١ ص٤٤٤ .
(٣) أخرجه الإمام مسلم:كما ورد ذكره فى البيان والتعريف فى أسباب ورود الحديث الشريف جـ ٢ ص ٣٣٠ .
(٤) أخرجه أبو داود والترمذى:إطر الشيء جعل له إطارا.المعجم الوسيط مادة:أطر.
(٥) الظلال جـ١ ص٤٤٨ .

لقد كانت المنة الإلهية على هذه الأمة بهذا الرسول، وبهذه الرسالة العظيمة، لا يمكن أن يصرفها عن هذه المنة إلا شيطان، وهى مكلفة من ربها بمطاردة الشيطان [١].

والشيطان هنا هو ربيب المستشرقين والمبشرين فى مصر، يحاول تقليدهم، فيهاجم الإسلام ونبيه، والمسلمين الذين اتبعوه، محاولا هدم هذا الصرح الشامخ الذى جاء لهداية البشرية، ففى كتاب بعنوان:التاريخ السياسى للدولة العربية:[٢].

يقول فيه مولفه عن عموم رسالة النبى ﷺ ـ

«وهو وإن كان أرسل إلى العرب إلا أنه اعتبر نفسه مرسل إلى الناس كافة» [٣] ومعنى هذه العبارة:أنه مرسل إلى العرب وحدهم، ولكنه تجاوز حده واعتبر نفسه رسولا إلى كافة الناس، وكأنما الأمر متروك إليه يقرر فيه ما شاء!

وكأنى بهذا المؤلف[٤] لم يقرأ القرآن، ولم يدرس السنة فهو لم يقرأ مثلا قول الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [٥].

فهذا المؤلف من غير شك من الناس الذين لا يعلمون، أو يعرفون لكنهم ينكرون، جريا على عادة المستشرقين الذى تأثر بهم لينال بذلك شهرة فى هدم دعوة الإسلام، وعمومها!! وليلحق بالركب الحاقد على الإسلام ممن سبقوه فى هذا المضمار.

---

(١) نفس المصدر جـ١ ص٥١٢ .

(٢) د/ عبد المنعم ماجد.

(٣) التاريخ السياسى للدولة العربية جـ١ ص١٢٧، ١٢٨ .

(٤) راجع على عبد العظيم:أقلام مسمومة تهاجم الإسلام ص ٧٥، سلسلة مجمع البحوث الإسلامية العدد الخامس والثمانون ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

(٥) سورة سبأ:آية٢٨ والكتاب المذكور بجزئيه محشو بكثير من المفتريات ففى ص ١٩٨ جـ١ يقول:«وفجأة في سن الأربعين يملك محمد موهبة النبوة» !! ونسى أن النبوة اصطفاء، وليست فطرية شأن المواهب الأخرى المكتسبة، وفى ص ١٣٦ جـ١ يذكر أن الإسلام حرّم الربا، لأن معظم القائمين به هم اليهود، فهل الإسلام يشرع لأفراد أم للناس جميعا؟ ويقول فى ص١٦٣ :«لا نوافق بعض المستشرقين فى قولهم:إن العرب كانوا مدفوعين نحو الفتوح بالحماس الدينى، ولكن من غير المعقول أن يخرج البدوى ـ وهو الذى لا يهتم بالدين ـ لينشر الإسلام «لقد وصلت غيرته إلى تخطئة المستشرقين الذين يقولون كلمة إنصاف فى حق المسلمين، أى حقد هذا؟ وفى ص ٢٠٤ جـ٢ عن فتح المسلمين للأندلس «قيل:إنهم طبخوا أول من قتلوه فى القدور» ، ولمزيد من المعرفة يراجع الجزء الأول والثانى من الكتاب.

ففى صفحة ١٢٧ ينكر صاحب الكتاب: «أن رسالة المسيحية عامة وليست خاصة كاليهودية»[١] !!

وهو بهذا يخالف القرآن فى قوله تعالى على لسان عيسى – عليه السلام –: ﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾[٢].

كما يخالف الإنجيل حيث جاء فيه: «لم أرسل إلا إلى الخرافان الضالة من آل إسرائيل»[٣].

فهذا المؤلف يردد دعاوى المستشرقين دون بحث أو تمحيص، والآيات الكثيرة تكذب ما ذهب إليه منها هذه الآية الكريمة: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[٤].

ففى هذه الآية يؤمر فيها رسول الله ﷺ أن يواجه برسالته الناس جميعا وهى آية مكية – فى سورة مكية وهى تجبه المزورين من أهل الكتاب، ومن نهج نهجهم وسار على دربهم، الذين يزعمون أن محمدا لم يكن يدور فى خلده وهو فى مكة أن يمد بصره برسالته إلى غير أهلها، وأنه بدأ يفكر فى أن يتجاوز بها قريشا، ثم يجاوز بها العرب إلى ما وراءها...

كل أولئك بعد أن أغراه النجاح الذى ساقته إليه الظروف! وإن هى إلا فرية من ذيول الحرب التى شنوها قديما على هذا الدين، وأهله. وما يزالون ماضين فيها!، ويصدقهم بعض المنتسبين إلى الإسلام المعدودين من أهله وهو منهم براء[٥].

**أحاديث في عالمية الدعوة ترد على صاحب كتاب «التاريخ السياسي للدولة العربية»:**

بالإضافة إلى ما سبق توضيحه من أدلة على عالمية الدعوة فقد أخرج الطبرانى عن المسور بن مخرمة – رضى الله عنه – قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقال: «إن الله بعثنى رحمة للناس كافة فأدوا عنى رحمكم الله، ولا تختلفوا كما اختلف الحواريون على عيسى – عليه السلام – فإنه دعاهم إلى مثل ما دعوتكم إليه.

فأما من بعد مكانه فكرهه فشكا عيسى ابن مريم ذلك إلى الله عز وجل، فأصبحوا

---

(١) انظر التاريخ السياسى للدولة العربية ص ١٢٧ .
(٢) سورة آل عمران: آية ٤٩ .
(٣) متى اصحاح: ١٥ – ٢٤ .
(٤) سورة الأعراف: آية ١٥٨ .
(٥) راجع الظلال جـ٣ ص ١٣٧٩ .

وكل رجل منهم يتكلم بكلام القوم الذين وجه إليهم.

فقال لهم عيسى: هذا أمر قد عزم الله لكم عليه فافعلوا: فقال أصحاب رسول الله ﷺ: نحن يا رسول الله نؤدى إليك فابعثنا حيث شئت. فبعث رسول الله ﷺ: عبد الله بن حذافة رضي الله عنه إلى كسرى، وبعث سليط بن عمرو رضي الله عنه إلى هوذة بن على صاحب اليمامة، وبعث العلاء بن الحضرمى رضي الله عنه إلى المنذر بن ساوى صاحب هجر، وبعث عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى جيفر، وعباد ابنى الجلندى ملكى عمان، وبعث دحية الكلبى رضي الله عنه إلى قيصر، وبعث شجاع بن وهيب الأسدى رضي الله عنه إلى المنذر بن الحارث بن أبى شمر الغسانى، وبعث عمرو بن أمية الضمرى رضي الله عنه إلى النجاشى فرجعوا جميعا قبل وفاة النبى ﷺ غير العلاء الحضرمى فإن رسول الله ﷺ توفى وهو بالبحرين»[١].

فالملاحظ هنا أن رسل محمد ﷺ رجعوا إليه بعد تبليغهم ما كلفوا به فى حياته ما عدا العلاء.. بينما رسل عيسى – عليه السلام – لا نعرف هل قاموا بهذه المهمة فى حياته أو بعد مماته؟

كذلك أخرج أحمد والطبرانى عن تميم الدارى رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزًا يعز الله به الإسلام وأهله، وذلا يذل الله به الكفر، وكان تميم الدارى يقول: عرفت ذلك فى أهل بيتى، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافرا الذل والصغار والجزية»[٢].

فماذا يقول صاحب: «التاريخ السياسى للدولة العربية»؟ عن هذه النصوص؟

ثم يواصل صاحب كتاب «التاريخ السياسى» كذبه فيقول: «ولا ريب أن النبى نفسه تعب من أستهتار العرب بالدين وعدم ميلهم إليه»[٣] لم هذا التحامل؟ ولمصلحة من؟ إن هذا

---

(١) قال الهيثمى وفيه محمد بن إسماعيل وهو ضعيف كذا فى مجمع الزوائد جـ٥ص٣٠٦ .قال الحافظ فى الفتح جـ٨ص٨٩ .وزاد أصحاب السير: أنه بعث المهاجر بن أبى أمية بن الحارث بن عبد كلال، وجريرا رضي الله عنه إلى ذى الكلاع والسائب رضي الله عنه إلى مسيلمة، وحاطب بن أبى بلتعة رضي الله عنه إلى المقوقس. راجع فصل عموم الدعوة.

(٢) كذا فى مجمع الزوائد جـ٦ص١٤، وجـ٦ص٨٦٢ قال الهيثمى جـ٦ص١٤ رجال أحمد رجال الصحيح أ.هـ.

(٣) ص ١٤٥ جـ١ .

التعبير يجافى الذوق السليم إزاء النبى ﷺ الذى قضى حياته مكافحا مناضلا يتقدم الصفوف ويقود المسلمين في مواطن الخطر وميادين البأس دون أن يدركه ملل أو كلل ودون أن يخشى فى الله لومة لائم وظل هكذا حتى آخر حياته فكيف يقال إنه :تعب من الدعوة إلى الله ؟[١] .

**خطورة هذا الكتاب:**

هذا الكتاب «التاريخ السياسى للدولة العربية» والذى تناولت بعض فقراته التى تمس الموضوع حتى لا يطول وقوفى معه.

تتمثل خطورة الكتاب فى أنه يسرد آراء المستشرقين المتعصبين الذين تمتلىء قلوبهم بالأحقاد المتوارثة على الإسلام والمسلمين، والذين أعمتهم العصبية الحمقاء فأضلتهم سواء السبيل.

وصاحب هذا الكتاب يردد كلامهم دون مراجعة أو تمحيص، وينقلها كأنها حقائق ثابتة ويلقنها لتلاميذه ويلزمهم بها كأنها أحكام صحيحة لا تحتمل المناقشة أو الرد!!.

فالمؤلف من أعضاء هيئة التدريس فى إحدى الكليات المصرية، وكان عليه أن يقدر المسئولية، وأن يراعى الأمانة العلمية، وأن يعتمد فى بحوثه ودراساته على المراجع التاريخية الأصيلة التى عاصر مؤلفوها الأحداث، أو نقلوها بأمانة عمن عاصروها وشارك فى أحداثها[٢] .

«ولو كان الأمر مقصورا على كتاب يؤلفه صاحبه ويحشوه بما شاء من آراء المنحرفين والمتعصبين لهان الأمر، ولكنه كتاب جامعى مفروض على طلبة الكلية فرضا منذ سنوات يتلقاه الطلبة عن أستاذهم واثقين به ليرددوا ما فيه ـ بعد ذلك ـ على عشرات الآلاف من تلاميذهم فى التعليم العام عاما بعد عام»[٣] .

وبعد :فإن عموم دعوة الإسلام حقيقة مؤكدة مهما وقف فى وجهها أساطين المستشرقين والمبشرين، ووضعوا فى طريقها الأشواك والعقبات، وناصرهم تلاميذ لهم فى بلاد الإسلام، فإن الله حافظ دينه، وناصر أولياءه، كما أكد القرآن الكريم، والسنة هذه الحقيقة، وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [٤]و«ليبلغَنّ هذا

---

(١) راجع للشيخ محمد الغزالى :قذائف الحق ص ٨٢ .
(٢) المصدر السابق ص ٧٨ .
(٣) راجع لعلى عبد العظيم: أقلام مسمومة تهاجم الإسلام من ص٧٥ ـ ٩١ .
(٤) سورة الحجر:آية ٩ .

الأمر ما بلغ الليل والنهار...»[١].

نعم، ينبغى على المسلمين اليقظة، وعدم الغفلة عن كل ما يكتب، ويذاع.

ولما كانت دعوة الإسلام العامة فى حاجة إلى سياج يحفظها، وجهاد متعدد الجوانب يمسك عليها مكانتها كان لابد من كلمة عن الجهاد، وغايته فى الإسلام وعلاقته بالدعوة، وبفتح مصر أرض الكنانة.

(١) سبق تخريج هذا الحديث عند الكلام على عالمية الدعوة فى السنة النبوية.

## الفصل الثاني

## الجهاد في الإسلام:... غايته وصلته بفتح مصر

ويضم سبعة مباحث، وهي كما يلي:

المبحث الأول: في مفهوم الجهاد، وأدلته، ومكانته.

المبحث الثاني: الهدف من الجهاد.

المبحث الثالث: تعدد أنواع الجهاد في الإسلام.

المبحث الرابع: شبهات حول الجهاد، والفتوحات الإسلامية والرد عليها.

المبحث الخامس: موقف المسلمين من المخالفين لهم في العقيدة.

المبحث السادس: هدف المسلمين من جهادهم.

المبحث السابع: علاقة الجهاد بالبواعث الحقيقية في فتح مصر.

# الجهاد في الإسلام: غايته، وصلته بفتح مصر

## المبحث الأول: مفهوم الجهاد، وأدلته، ومكانته:

يُعدّ الجهاد مبدأ من مبادىء الإسلام الهامة شرعه الله للجماعة الإسلامية ليذودوا عن عقيدتهم، وأنفسهم، وأموالهم نحو المتربصين بهم وبعقيدتهم الدوائر.

إذ ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ (١).

أى لولا أن الله يدفع بقوم عن قوم، ويكف شرور أناس عن غيرهم..لأهلك القوى الضعيف...، و﴿ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ ﴾ قال ابن عباس وآخرون:هى المعابد الصغار للرهبان، وقال قتادة:هى معابد الصابئين..﴿ بِيَعٌ ﴾ وهى أوسع منها، وأكثرها بالعابدين..وهى للنصارى، قاله أبو العالية وآخرون...﴿ وَصَلَوَاتٌ ﴾ قال العونى عن ابن عباس:الصلوات الكنائس، وقيل:إنها كنائس اليهود وهم يسمونها صلوات.. وقال أبو العالية وغيره:الصلوات معابد الصابئين، وأما المساجد فهى للمسلمين، ﴿ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ قيل:إن الضمير فيها راجع إلى المساجد؛ لأنها أقرب المذكورات..(٢) وقال ابن جرير:الصواب:لهدمت صوامع الرهبان، وبيع النصارى، وصلوات اليهود، وهى كنائسهم ومساجد التى يذكر فيها اسم الله كثيرا، لأن هذا هو المستعمل المعروف فى كلام العرب.

وقال بعض العلماء:هذا ترق من الأقل إلى الأكثر إلى أن انتهى إلى المساجد، وهى أكثر عمارا، وأكثر عبّادا، وهم ذوو القصد الصحيح(٣).فغاية الجهاد أن يأمن الناس فى عبادتهم.

### تعريف الجهاد لغة وشرعا:

### الجهاد في اللغة:

يقال:جاهد العدو مجاهدة، وجهادا قاتله، وجاهد فى سبيل الله، والجهاد محاربة الأعداء، وهو المبالغة، واستفراغ الوسع فى الحرب، واللسان، أوما أطاق من شيء (٤).

---

(١) سورة الحج:آية ٤٠ .
(٢) تفسير الإمام ابن كثير جـ٣ ص ٢٢٦ .
(٣) تفسير الطبرى:الإمام محمد بن جرير الطبرى جـ ١ .
(٤) ابن منظور:جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى:لسان العرب:مادة (جهد) .

**الجهاد في الشرع:** أما فى الشرع، فقد يطلق لفظ الجهاد، ويراد منه جهاد النفس بمعنى تذليلها لأحكام الدين وصدّها عن متابعة الهوى والركون إلى الشهوات...[١].

وكثيرا ما يراد لفظ الجهاد مقيّدا بسبيل الله، ومعناه فى لسان الشرع كذلك: بذل الجهد فى قتل الكفار، لإعلاء كلمة الله تعالى[٢].

وبعض الأئمة يسوى بين قتال الكفار، وقتال البغاة، وقطاع الطريق، فيسمى النوعين جهادا فى سبيل الله[٣].

وهو في الشرع أيضا: قتال مسلم كافرا غير ذى عهد لإعلاء كلمة الله، أو حضوره له، أو دخوله أرضه له...[٤].

**مراحل الجهاد:** ضاق المسلمون ذرعا باضطهاد المكيين لهم فأمروا بالهجرة، وكانوا كلما همت نفوسهم بالرد على الظلم.. ردهم رسول الله ﷺ إلى الصبر، وانتظار أمر الله، قائلا: «لم أومر بقتال، لم أومر بقتال»[٥].

ظلوا كذلك حتى كان اليأس يساورهم عند ذلك أنزل الله أول آية فى القتال. على سبيل الإباحة وليس الفرض والإلزام ولذلك مرّ القتال بمرحلتين:-

**المرحلة الأولى:** الإذن فى القتال، وذلك بعد أن هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة، ودخل فى الإسلام خلق كثير، وهنا أذن الله فى الجهاد ولم يفرضه، كما فى قوله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾[٦] وهى أول آية نزلت فى الجهاد كما قال ابن عباس[٧].

---

(١) راجع للشيخ محمد عبد اللطيف السبكى: الجهاد فى الإسلام. كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية ص٢٢٨ .سنة ١٣٨٨هـ وراجع لابى الحسن الندوى: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٤٤ وما بعدها.

(٢) الجهاد فى الإسلام المؤتمر الرابع ص ٢٢٨ .

(٣) المصدر نفسه.

(٤) حاشية العدوى فى فقه الإمام مالك جـ٢ ص٢ طـ الاستقامة. القاهرة ١٣٧٢هـ.

(٥) الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت: الإسلام والعلاقات الدولية (فى السلم والحرب) ص ٢٩ طبعة ١٣٧٠هـ ١٩٥١م وفى الإمام ابن كثير: تفسير «إنى لم أومر بهذا» جـ٣ ص٢٢٥ طـ الحلبى. وفى سيرة ابن هشام: «لم نؤمر بذلك» جـ ٢ ص ٥٧ طـ دار التحرير ١٣٨٣ هـ. وكلها بمعنى واحد، والمعنى أن الله سبحانه لم يأمره بعد بالقتال.

(٦) سورة الحج: آية ٣٩، ٤٠ .

(٧) راجع تفسير ابن كثير جـ٣ ص٢٢٥ .

**المرحلة الأخرى:** وهي التي فرض الله فيها الجهاد، وذلك بعد اشتداد أذى الكفار، واشتداد شوكة المسلمين، نزل قول الله تعالى: ﴿ وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم ﴾ [١]، ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ﴾ [٢]، ﴿ وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ﴾ [٣]، ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [٤].

**دليل مشروعيته:** ﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم ﴾ [٥].

**الترغيب في الجهاد:** رغب الله المؤمنين في الجهاد ووعدهم المثوبة والعطاء الجزيل في الدنيا والآخرة كما ورد ذلك صريحا في القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة.

**القرآن الكريم:** ﴿ فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما ﴾ [٦].

﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ [٧].

**السنة:** ما رواه الإمام مالك بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلماته أن يدخله الجنة أو يرده إلي مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة» وفي رواية: مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «تكفل الله الخ. ولمسلم من رواية أبي زرعة عن أبي هريرة «تضمن الله» الخ، وللبخاري: «أنتدب الله» وكلها بمعنى واحد ومحله تحقيق الموعد المذكور في قوله تعالى: ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾. وذلك التحقيق على وجه الفضل منه سبحانه وتعالى [٨].

---

(١) التوبة: آية ٤١ . (٢) التوبة: آية ٢٩ .
(٣) التوبة: آية ٣٦ . (٤) التوبة: آية ٥ .
(٥) البقرة: آية ٢١٦، راجع المجموع شرح المهذب للشيرازي تكملة الشيخ محمد نجيب المطيعي جـ١٨ ص٤٧ طـ الأولى ١٩٧١م.
(٦) النساء: آية ٧٤ .
(٧) التوبة: آية ١١١ .
(٨) موطأ الإمام مالك على شرح الزرقاني، باب الجهاد جـ٣ ص٢٧٧ تحقيق: إبراهيم عطوة طـ الحلبي.

**مكانته في السنة:** للجهاد مكانة مرموقة في السنة، فعن عبد الله بن مسعود قال: «سألت رسول الله ﷺ أى العمل أحب إلى الله؟ قال: الصلاة على وقتها، قلت ثم أى؟ قال: ثم بر الوالدين، قلت: ثم أى؟ قال: ثم الجهاد فى سبيل الله، قال: فحدثنى بهن ولو استزدته لزادنى»(١).

فجعل الإسلام حراسة الحق أرفع العبادات أجرا، أجل، فلولا يقظة أولئك الحراس، وتفانيهم، ما بقى للإيمان منار، ولا سرى شعاع، «قيل يا رسول الله ما يعدل الجهاد فى سبيل الله؟ قال: لا تستطيعونه! فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثة، كل ذلك يقول لا تستطيعونه وقال فى الثالثة: مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام، ولا صلاة حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله تعالى» (٢).

كما قال ﷺ أيضا: «والذى نفسى بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل» (٣).

فأى مكانة أعظم من هذه المكانة التى أعدها الله ورسوله للمجاهد؟

وأى إغراء بالاستماتة فى إعلاء كلمة الله، ونصرة الدين أعظم من هذا الإغراء؟ (٤).

وقال الشوكانى: فى رواية البخارى وغيره: أى العمل أفضل؟ وظاهره أن الصلاة أحب الأعمال وأفضلها قال فى الفتح: والحاصل... عن هذا الحديث ونحوه مما اختلفت فيه الأجوبة بأنه أفضل الأعمال، أن الجواب اختلف لاختلاف أحوال السائلين بأنه أعلم كل قوم بما يحتاجون إليه، أو بمالهم فيه رغبة، أو بما هو لائق بهم، أو كان الاختلاف باختلاف الأوقات، بأن يكون العمل فى ذلك الوقت أفضل منه، فى غيره فقد كان الجهاد فى أول الإسلام أفضل الأعمال، لأنه الوسيلة إلى القيام بها، والتمكن من أدائها، وقد تضافرت النصوص على أن الصلاة أفضل من الصدقة، ومع ذلك ففى وقت مواساة الفقراء المضطرين تكون الصدقة أفضل، أو أن أفضل ليست على بابها، بل المراد الفضل المطلق، أو المراد من أفضل الأعمال فحذفت من وهى مرادة»(٥).

---

(١) البخارى كتاب الجهاد والسير جـ٢ ص٩٠ حاشية السندى على البخارى.

(٢) المصدر نفسه جـ٢ ص٩١، ومسلم باب فضل الشهادة فى سبيل الله جـ٢ ص١٤٧.

(٣) رواه البخارى: كتاب الجهاد السير: باب تمنى الشهادة جـ٢ ص٩٢، ومسلم باب فضل الجهاد فى سبيل الله جـ٢ ص١٤٥.

(٤) الشيخ محمد الغزالى: قذائف الحق ص ١٨١ ـ ١٨٢.

(٥) المجموع: شرح المهذب تكملة الشيخ محمد نجيب المطيعى جـ١٨ ص٥١.

**المبحث الثاني: الغاية من الجهاد ويشمل مفهوم «في سبيل الله»:**

أولا: أنه فى سبيل الله، وقد نزلت الآيات على هذا الغرض.

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (١).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢)، ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (٣)، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (٤).

وهكذا نرى الجهاد مقيدا بأن يكون فى سبيل الله، وقد يفهم من الآيات السابقة الخصوص بجهاد الكفار ومقاتلتهم لإعلاء كلمة الله، وقد يفهم منها العموم للكفار، ولكل من يصد الناس عن طريق الله كما فى قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ (٥).

ثانيا: ما معني فى سبيل الله؟ أنه «شامل لهجرة المسلم بدينه من بلد يضيق به إلى بلد يتمكن فيه من القيام بدينه، وشاملا لسبيل العلم، ولنشر الدعوة إلى الغير كافة» (٦).

فإذا قرأنا مثلا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٧).

وجدنا كلمة (سبيل الله) ذكرت مرتين فى هذه الآية، والمقصد الواضح منها لا يقف عند خصوص القتال للكفار، فإن الأحبار والرهبان يصدون الناس عن الخير كله، وعن سبيل الهداية للحق، وكذلك الذين يكنزون الذهب والفضة يبخلون بها عن سبيل الخير كله حتى وصفهم القرآن بالاكتناز وهو الشح.

ومن هذه التوجيهات تكون لفظة (سبيل الله) غير مقصودة على قتال العدو لإعلاء كلمة الله، وإن كان هذا المعنى فى مقدمة المعانى التى يراد من هذه اللفظة، فإن اقترن لفظ

---

(١) سورة البقرة: آية ١٩٠ .
(٢) سورة الصف: آية ١٠، ١١ .
(٣) سورة النساء: آية ٧٦ .
(٤) سورة الأنفال: آية ٧٢ .
(٥) سورة النساء: من الآية ١٠٠ .
(٦) الشيخ السبكى: الجهاد فى الإسلام المؤتمر الرابع.. ص٢٧٩ .
(٧) سورة التوبة: آية ٣٤ .

الجهاد أو القتال بهذا اللفظ كان المتبادر، أن سبيل الله هى مجاهدة الكفار لإعلاء كلمة الله[١] وهذا نحو:

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [٢].

وما عدا ذلك فهى شاملة، ومن شمولها أيضا: «أن الأمة الإسلامية مكلفة بتحقيق العدالة في الأرض، وهذا التكليف يوجب على المسلمين، أن يكافحوا الظلم والبغي حيث كان، ويزيلوا أسبابه، لا ليملكوا الأرض ويستولوا على المرافق ويستذلوا الأنفس بل لتحقيق كلمة الله في الأرض خالصة من كل غرض وهذا ما يطلق عليه في الإسلام: الجهاد في سبيل الله، والقتال في سبيل الله» [٣] جاء فى القرآن: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [٤]، ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ [٥].

وسبيل الله: هو سبيل الحق، فكل قتال لأجل الدين والدفاع عنه هو فى سبيل الله، وكل قتال لدفع الظلم، ومعاونة المظلومين ضد الظالمين، ونصرة الحق هو فى سبيل الله، وكل طريق للوصول إلى الحق أو حمايته أو الدفاع عنه هو فى سبيل الله سبحانه وتعالى.

والقرآن يدعو فى كثير من الآيات للقتال فى سبيل الله خالصا من أى غرض دنيوى...

﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا * وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ [٦].

ففى هاتين الآيتين إشارة لطيفة إلى أن الحرب ليست للتحكم فى الرقاب، ولا لإذلال العباد، بل هى فى سبيل الله، وفى سبيل المستضعفين من المؤمنين أمثال الساكنين فى مكة الذين استذلهم كفارها وآذوهم....» [٧].

---

(١) انظر الشيخ: محمد عبد اللطيف السبكى: الجهاد فى الإسلام ص ٢٨٠ .
(٢) سورة البقرة: آية ١٩٠ .
(٣) عفيف طبارة: روح الدين الإسلامى ص ٣٩٤ .
(٤) سورة البقرة: آية ٢٤٤ .
(٥) سورة الحج: آية ٧٨ .
(٦) سورة النساء: آية ٧٤، ٧٥ .
(٧) عفيف طبارة: روح الدين الإسلامى ص ٣٩٥ .

وقد ورد في الحديث: «الرجل يقاتل للمغنم، والرجل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله؟ قال النبي ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»[١].

**ثالثا: الجهاد في الإسلام باق لإصلاح عوج المعوجين، وليس وقفا على أمة بعينها:**

فالمسلمون في جهاد دائم لا ينقطع أبدا لتحقيق كلمة الله في الأرض، أي لتحقيق النظام الصالح الذي يسعد البشرية، والأمة الإسلامية منتدبة لرفع الظلم عن الأفراد، والجماعات في أقطار الأرض كافة بقطع النظر عن ألوانهم، وأجناسهم و وأديانهم [٢]، قال الله تعالى مخاطبا المسلمين. ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ..﴾[٣].

أي لتكونوا أيها المسلمون شهداء على الناس في تقصيرهم وغلوهم، فتقوموا أنتم بإصلاح عوجهم. وليس في الأمر إظهار فضل أمة على أخرى أو جرح كبرياء أمة من الأمم، لأن الذي وضع هذا الانتداب لم يجعله ميزة لشعب ولا وقفا على جنس من الأجناس، ولكنه جعله للجماعة التي تدين بأصوله مهما كان لون هذه الجماعة أو جنسيتها، ونصوص القرآن واضحة في أن الإسلام دين عام للناس كافة [٤].

قال تعالى مخاطبا رسوله محمدا ﷺ.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [٥].

ومن ثم نرى النبي ﷺ قد أرسل سفراء إلى ثمانية ملوك، وأمراء مجاورين لجزيرة العرب[٦].

**رابعا: نظرة السلف في قوله تعالى: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وفهمهم لها:**

حسبوا أنها لقتال الكفار فقط، ولكن النظرة إلى هذه الآية وما جاء في آيات أخرى تليها توضح معنى «في سبيل الله» أكثر قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [٧].

---

(١) البخاري: باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا جـ٢ ص٩٤ حاشية السندي.
(٢) انظر عفيف طبارة..ص٣٩٦ . (٣) سورة البقرة: آية ١٤٣ .
(٤) انظر عفيف طبارة: روح الدين الإسلامي ص ٣٩٦ ، وراجع: للشيخ محمد الغزالي: قذائف الحق ص١٥٥ ، وما بعدها ط. الأولى . بيروت. (٥) سورة الأعراف: آية ١٥٨ .
(٦) انظر د/ محمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ود/ عون قاسم الشريف: نشأة الدولة الإسلامية: فقد قدما... دراسة وافية للمعاهدات والرسائل التي عقدها الرسول ﷺ .
(٧) سورة البقرة: آية ١٩٥ .

ويعلق الشيخ السبكى على الآية قائلا :«وأحسب أن اقتصار السلف على أن سبيل الله هى قتال الكفار فقط سببه ما كان يحصل كثيرا من حروب مع الكافرين المعارضين لدعوة الإسلام، كارهين له ولأهله، فاتجهت الأذهان قديما إلى الاقتصار فى مفهومها على هذا المعنى، وذلك يخرجنا عن المجال الفسيح فى مدلولها المنشود» (١).

فالجهاد فى الإسلام إذن، فى سبيل الله لا فى سبيل النفس والهوى، وطلبا للآخرة، لا اغتصابا للدنيا، ومسرة للأرض، واستعبادا للناس، أو أى عرض من أعراض الحياة ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ ﴾ الخ.

فانظر كيف قدم القرآن أمام المجاهد فى هذه الآية أن يموت، لا أن يبقى، وأن يقتل لا أن ينتصر، وذلك كيما يجعل نظرته إلى الآخرة لا إلى الدنيا (٢).

فالجهاد :إذن لم يشرع لتعقب الكافرين فى كل مكان، بل عند وقوفهم فى وجه الدعوة أو اعتدائهم على المسلمين لقوله سبحانه :﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (الممتحنة :٨،٩).

وقوله سبحانه :﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (الكافرون :٦).

**خامسا :الحكمة السامية من الجهاد** :للجهاد حكمة سامية عند الله، ثم عند الناس:

**أما عند الله:** فهو تلبية لأوامره سبحانه، وطاعته كما فى الآيات ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ (٣) ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا ﴾ (٤) ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ ﴾ (٥) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾ (٦)، وجدير بمن يطع الله فإن الله يورثه رضاه ومحبته ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٧).

(١) الشيخ محمد عبد اللطيف السبكى: الجهاد فى الإسلام.المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية ص٢٨ .
(٢) انظر:للشيخ محمد الغزالى :مع الله:دراسات فى الدعوة والدعاة ص ١٣٤ ،١٣٥ ،وانظر الصفحات ١٣٦ – ١٤٢ .
(٣) سورة البقرة:آية ٢١٦ .
(٤) سورة البقرة:آية ١٩٠ .
(٥) سورة التوبة:آية ١٢٣ .
(٦) سورة الأنفال:آية ٦٥ .
(٧) سورة الأحزاب:آية ٧١ .

**أما عند الناس:** فإن الجهاد يردع المعتدين، والظالمين، والخارجين على حدود الله، الصادين عن سبيل الله، وقد كان لجهاد المسلمين لمن وقفوا فى وجه الدعوة نتائجه الحسنة فارتفعت فى الأرض راية التوحيد، وأصبحت كلمة الله هى العليا..

فحكمة الجهاد غير خافية فهى إعلاء لكلمة الله، وحماية للأوطان والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان.﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ ﴾ (١).

ولما كان الجهادالمنشود فى الإسلام لتلك الغايات، فإنه يجعل دعوة الإسلام جهيرة فى مسامع الدنيا، وتبدى لكافة الناس أن شريعة القرآن شريعة الاعتزاز بنفسها وتعاليمها وأهدافها، شريعة تنهض على دعائم الحق، وطموح إلى المثالية الإنسانية وليست شريعة هوان وانكماش وتخلف...(٢)، ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢).

**سادسا: دائرة الجهاد وغايتها:** تتسع دائرة الجهاد فى سبيل الله، فتشمل تحرير الإنسان من العبودية التى لاتتم إلا باسقاط ولاية البشر على البشر، وجعل السيادة لله وحده، والإقرار بعبودية البشر كلهم على قدم المساواة ليكون السلطان والسيادة لله وحده...

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣).

**فدعوة الإسلام إعلان عالمي لتحرير الإنسان:** الأبيض والأحمر، القرشى والحبشى، العربى والفارسى، الشرقى والغربى، القريب والبعيد، القوى والضعيف، أيا كان مصدر القوة، ماديا أو معنويا......

**وبالجملة:** فالإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله للبشرية ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (٤) فهو ليس «جملة تعاليم» عارضة اقتضتها حياة شعب من الشعوب أو أمة من الأمم، وإنما جاء لصياغة حياة البشر من جديد، وبعد أن انفرط عقدها وخوى ضميرها، وتنافرت الأخلاقيات مع الماديات، وتفرق الروح والجسد، وغلبت الأحقاد السوداء على

---

(١) سورة النساء: آية ٧٥ .

(٢) سورة المنافقون: آية ٨ وانظر عبد العظيم منصور: كلمة الله الأخيرة ص ١٥٨ .

(٣) سورة البقرة: آية ٢٥٦ .

(٤) سورة المائدة: آية ٣ .

معاني الإنسانيات النبيلة، ومن ثم جاء الإسلام للناس جميعا [١].

﴿ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [٢].

**سابعا: الحروب الإسلامية حروب رحمة:**

لقد شرع الله الجهاد لـ «تحقيق الرحمة للبشرية كلها، وحفظا للدين والنفس والمال، والنسل، والعقل، أن يلتزم الفاتحون...ما تصبوا إليه النفوس من معاملة إنسانية لم تألفها البشرية، فالحروب الإسلامية هى الحروب الإنسانية الأولى فى التاريخ، عصم الإسلام بها الدماء من أن تُراق دون وجه حق، أو يستذل شعب، أو أمة، أو فرد....هذا أبو بكر رضي الله عنه يوجه المقاتلين فيأمرهم وينهاهم بمالم تشهده البشرية، فيقول:وقد بعث جيشا إلى الشام، وأمّر عليه يزيد بن أبي سفيان:إني موصيك بعشر خلال:لا تقتلوا امرأة، ولا صبيا، ولا كبيرا هرما، ولا تقطعنّ شجرا مثمرا، ولا تخربن عامرا، ولا تعقرن شاة ولا بعيرا إلا لمأكلة، ولا تحرقن نخلا، ولا تغرقنه، ولا تغلل ولا تجْبن» [٣].

**المبحث الثالث: تعدد أنواع الجهاد في الإسلام:**

يتعدد الجهاد بتعدد الميادين، المتنوعة التى تحتاج إليه، وقد فصلها القرآن، وحاط المسلمون بها علماء، فقاموا يعلموها الناس، حتى يجنبوهم خزى الدنيا، وعذاب الآخرة، وهذه رسالة المسلمين فى الدنيا وعليهم أن يعرفوا بأن الجهاد أنواع منها:جهاد النفس، وجهاد بالمال، وجهاد فى الثغور، وجهاد بالكلمة: مقروءة كانت أو مسموعة، وجهاد بالقلب وذلك أضعف الإيمان، فيكون المسلمون فى عمل خالص لله إلى يوم القيامة فى كل أطوار حياتهم ونخلص إلى:

**أولا: الجهاد أحد نتائج الإيمان:** يقترن الجهاد بالمال والنفس فى القرآن فى آيات متعددة منها على سبيل المثال لا الحصر:﴿ لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ * إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [٤].

---

(١) انظر:عبد العظيم منصور:كلمة الله الأخيرة ص ١٥٨ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

(٢) سورة الأعراف:آية ١٥٧ .

(٣) راجع موطأ مالك:باب الجهاد.على شرح الزرقانى جـ٣ص٢٩٠ تحقيق ومراجعة إبراهيم عطوه عوض ط ـ الحلبى، وتاريخ الطبرى جـ٣ص٢٢٦ ،٢٢٧ وكلمة الله الأخيرة ص ١٥٨ .

(٤) سورة التوبة:آية ٤٤، ٤٥ .

فنرى أن الجهاد فى سبيل الله هنا قد اقترن: «بالأموال والأنفس ـ وهذه ـ إحدى نتائج الإيمان بالله، وإن كان من أكثرها مشقة على النفس، وأدعاها إلى إبعاد التردد والريب، والشكوك عن الإيمان.

فالمؤمن حقا يقوم بالتضحية بالنفس والمال دون أن يستأذن فى مباشرتها، لأن الاستئذان من جهة أمارة على النفاق، ومن جهة أخرى علامة على التردد والشك، وبعبارة أخرى هو أمارة الاحتراف بالإيمان قبل الركون له والاطمئنان إليه» [١].

﴿ إِنَّمَا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾[٢]. «والذين يستأذنون عادة فى مباشرة مستلزمات الإيمان هم أشدها خطرا على الدعوة إلى الحق، وعلى قضية الإيمان ذاته من أولئك الذين يعارضون الدعوة صراحة ويقفون فى طريقها جهرا..وهم فى الوقت نفسه، فى أوقات رخاء الدعوة أسبق الناس إلى الحصول على مغانمها، وأرباحها المادية، أو الأدبية فى كلتا الحالتين يعملون من أجل أنفسهم، ويستخدمون الدعوة والإيمان بها وسيلة وليست غاية.

ولذا يجب على صاحب الدعوة إلى الحق أن يحذر مثل هؤلاء، ويتخذ منهم الحيطة أكثر مما يتخذها من أولئكم الكافرين الصرحاء فى كفرهم ومعارضتهم، والدعوة إلى الحق ليست دائما دعوة الرسول لرسالة الله التى كلف بتبليغها للناس، ولكنها قد تكون دعوة لمبادئها من غير صاحب الرسالة، وفى غير عهدها وزمنها ـ لكن بتأثير منها على أى حال ـ فكل ما يفيد البشرية ويرفع مستوى الإنسانية ويحول دون الخصومة، والتطاحن ويدعو إلى الاستقرار والسلام، هو دعوة لمبادىء هذه الرسالة وإلى الحق ذاته.

ولا يختلف صدق الإيمان بها فى تعرفه وتميزه عن النفاق فى شأنها عن ذلك القانون الذى قننته تلك الآيات السابقة وخلاصته: أن الاستئذان فى تطبيق المبادىء، والنظم التى تدعو إلى المستوى الإنسانى الفاضل، أمارة على ضعف الإيمان والتردد فيه، وقد يكون أمارة على النفاق والرياء» [٣].

---

(١) د/محمد البهى: السبيل إلى دعوة الحق والقائم بأمرها ص ١١١، ١١٢ مجمع البحوث الإسلامية: السنة الثانية. الكتاب السابع عشر: ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م .

(٢) سورة التوبة: آية ٤٥ .

(٣) السبيل إلى دعوة الحق، والقائم بأمرها ص ١١٢ .

**ثانيا: من ثمرات الجهاد في سبيل الله:** أن الله سبحانه يطمئن عباده المؤمنين فيقول: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١).

«وفي هذا التنبيه تمحيص للأنفس مما يخالجها، وإشعار لها بأن القتال فى ذاته لا تألفه النفس بطبيعتها، لأنه مخاطرة بالحياة، أو المال أو بهما جميعا، ولكن هذه الكراهة للقتال فى سبيل الله لا تكسب الإنسان حياة أطول من عمره، وهى تبعد الإنسان عن خير كثير فلا تفيد المرء شيئا مما يكسبه الجهاد من سيادة الأمة على عدوها، ومن غنائم يدركها المجاهدون من مال عدوهم، ومن تحصين الوطن والأهل من ويلات الجبن والتخاذل فضلا عن جانب الطاعة لما أمر الله، وعن الحظ فى الآخرة لمن استشهد فى سبيل الله فإن يكن هناك لقتال العدو غريزة، أو شبه غريزة فهى غريزة سلبية تكون سببا فى التخلف عما هو خير ولذلك بادر القرآن إلى انتزاع هذه الغريزة السلبية من النفس بما هو أحب إلى الغريزة من التخلف، فذكر فى نفس الآيـة: ﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ﴾ يعنى تحبون التخلف عن الجهاد، وهو شر لكم ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

وعلى الإجمال فالقوة التى أمر الله بإعدادها للجهاد فى سبيله ليست مجرد كثرة الجنود، وإنما هى الإيمان أولاً بالجهاد، وهى الإخلاص فيه بالعزيمة، وبالثقة فى وعد الله للمجاهدين فهذا تربية للنفس قبل كل شيء» (٢).

**ثالثا: الجهاد بالمال في القرآن:** وهو قرين النفس، ومن ثم قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (٣) وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ ﴾ (٤).

**وفي السنة:** ما روى عن أنس عن النبى ﷺ قال: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم» (٥) كما روى أيضا عن أبى أمامة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين، وأثرين: قطرة من دموع فى خشية الله، وقطرة دم تهراق فى سبيل

(١) سورة البقرة: آية ٢١٦.
(٢) الشيخ السبكى.. الجهاد فى الإسلام ص ٢٨٢، ٢٨٣.
(٣) سورة الأنفال: آية ٧٢.
(٤) سورة التوبة: آية ٢٠.
(٥) رواه النسائى فى كتاب الجهاد باب٤٥، والحاكم جـ٢ ص٨١، والإمام أحمد فى مسنده جـ٢ ص١٢٤، ١٥٣.

الله أما الأثران :فأثر فى سبيل الله، وأثر فى فريضة من فرائض الله» [١].

والجهاد بالمال كالجهاد بالنفس يكون وقت الحاجة أفضل منه في الأوقات الأخرى، كما بين الله ذلك فيمن أنفق وقاتل قبل فتح مكة، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾ [٢].

ولما كان الإسلام فى أول أمره فى حاجة إلى المساعدة والمعونة، أعلى الله مرتبة المنفقين قبل الفتح ورفع درجتهم عن الذين أنفقوا بعد الفتح، وقاتلوا مع أن الله وعد الجميع الحسنى، على أصل البذل والجهاد لما فيه من النفع والفائدة، وما لفاعلها من الأجر والثواب[٣]. فلماذا قدم الأموال فى آية التوبة رقم عشرين السابقة؟ وهل هناك حكمة فى تقديم لفظ الأموال فيها وغيرها؟ يقول الشيخ السبكى :«الذى أفهمه ـ وأرجو صحته ـ:

**أ-** إن بذل المال أيسر على الناس من بذل النفس فكثيرا ما يهون على المرء أن يقدم ماله فى مجال التضحية، إذا لم يستطع تقديم نفسه لمرض، أو لرعاية والديه المحتاجين له، وهكذا مما يعتبره الشرع عذرا مقبولا فى التخلف عن الجهاد بالنفس.

**ب-** إن الجهاد يحتاج إلى مال غير محدود، ولكنه يكتفى من الرجال بالعدد الكفيل بالتغلب على العدو، كأن يكون جيش المسلمين ضعف جيش العدو، أو ثلاثة أضعافه، وهكذا لا يمنع من الزيادة فى الرجال، أما المال فلا تحديد فيه.وبهذا يمكن للإنسان أن يشارك فى الجهاد بماله، إذا لم يجاهد بنفسه.

ولا شك أن المجاهد بنفسه وماله فى طليعة المقربين إلى الله أكثر من المجاهد بأحدهما فقط»[٤] ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ﴾ [٥].

---

(١) أخرجه الترمذى فى مسنده رقم ١٦٦٩، والطبرانى فى الكبير جـ٨ص,٢٨٠والأثر:العلامة، وما بقى من= رسم الشىء، وضربة السيف.مختار الصحاح ترتيب محمود خاطر بك، مادة أثر:والمصباح المنير للعالم:أحمد ابن محمد بن على المقرى الفيومى مادة أثر.

(٢) سورة الحديد:آية ١٠ .

(٣) انظر الشيخ: عبد الله غوشة/الجهاد فى طريق النصر ص ٢١٠ المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية.

(٤)الشيخ : السبكى..الجهاد فى الإسلام ص ٢٨٣،٢٨٤ .

(٥) سورة الأنعام:آية ١٣٢ .

جـ- من الحكمة فى ذكر الأموال قبل الأنفس، وهو:أن فى بعض الناس ضعفا جسمانيا أو رهبة فى الجهاد لوهن فى العزيمة ولو تكلف هؤلاء خروجهم للجهاد بالنفس لكانوا مظنة الاستسلام والفتنة فى دينهم، أو مظنة الفرار، أو تخذيل سواهم عن مصايرة العدو، والاستبسال فى مقاومته، فأولئك يحسن بهم أن يجاهدوا بالمال إن كانوا مياسير، وبهذا نتقى خروجهم المخوف، ونستفيد من إسهامهم بالمال، وهم يستفيدون من هذا الإسهام المستطاع مثوبة عند الله تعالى، ويكونون راضين عن أنفسهم، فلا يلاحقهم يأس ولا ينزع فيهم الشيطان.

د- إن أصحاب المال يكونون فى نظر العدو قوة مرابطة لجيشنا، وتكون كحماية لظهر الجيش من ناحية الإمداد بالمال فلا يستهين العدو بالمجاهدين، ولا يعلق أمله على نفاد المال من أيديهم، وفى ذلك جانب لا يستهان به من الرهبة، كالرهبة من كثرة العدد والعتاد أو أكثر، ومن أجل هذا المعنى وحده أجاز الإسلام لولى الأمر أن يأخذ من أموال الناس فى ساعات الحرب ما تدعو إليه الحاجة.

تلك وجوه الحكمة – فيما أفهم – من ذكر المال قبل الأنفس، وإن كانت الأنفس فى ذاتها أعز من المال شأنا»[1].

**رابعا: الجهاد باللسان (أي بالكلمة):**

وكما أن الجهاد يكون بالنفس، وبالمال، فأنه يكون أيضا:

أ – بالكلمة أى باللسان، كما ذكر فى الحديث الشريف.«جاهدوا المشركين بأموالكم، وأنفسكم، وألسنتكم»[2].

وربما يكون اللسان أنكى على العدو من السيف حيث يستخدم الحجة – عليه، ودعوتهم إلى الله، وبالأصوات عند اللقاء وبالزجر ونحوه من كل ما فيه نكاية للعدو.كالدرس أو الخطبة أو المحاضرة أو المقالة، أو الكتاب.وكم كان للسان من أثر فى غلبة المسلمين على عدوهم، وفى دحض حجتهم، وكم كان للسان حسان بن ثابت رضي الله عنه وغيره من شعراء الإسلام صاعقة تحرق أكبر المشركين عتوا وبغيا[3].

عن أبى هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول لحسان بن ثابت:«أجب عنى اللهم أيده بروح القدس»[4].

---

(١) الشيخ السبكي:الجهاد فى الإسلام ص ٢٨٤ . (٢) سبق تخريج هذا الحديث.

(٣) انظر شرح سبل السلام جـ ٤ ص٥٤، ٥٥ .

(٤) البخارى: كتاب بدء الخلق.الباب الخامس،وصحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة.تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقى طـ الحلبى.

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان بن ثابت: «إن روح القدس لا يزال يؤيدك مانافحت عن الله ورسوله» (١).

وعن البراء بن عازب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان بن ثابت: «أُهْجهم، أو هَاجِهم وجبريل معك» (٢) فمجاهدة الكفار باللسان مازال مشروعا من أول الأمر إلى آخره، فإذا شرع جهادهم باليد، فباللسان من باب أولى (٣).

**ب- الجهاد بالمجادلة:** كذلك من أنواع الجهاد بالكلمة الجهاد بالمجادلة وذلك:

حرصا من الإسلام على كرامة النفس البشرية، وحفاظا على كبريائها وعنادها وأنها لا تنزل عن الرأى الذى تدافع عنه إلا بالرفق حتى لا تشعر بالهزيمة أمر الله أن يكون الجدال بالحسنى ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٤).

ثم إن التنازل عن الرأى، تنازل عن الهيبة والاحترام والكيان، والجدال بالحسنى يطامن من الكبرياء، ويشعر المجادل أن ذاته مصونة، وقيمته كريمة، وأن قصد الدّين كشف الحقيقة والاهتداء إليها فى سبيل الله لا فى سبيل ذاته ونصرة رأيه (٥).

وتضيف آية العنكبوت فائدة أُخرى من وراء الجدال فى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ (٦) فتظهر الحكمة من مجيء الرسالة الجديدة، والكشف عما بينها وبين الرسالات قبلها من صلة.

والاقناع بضرورة الصورة الأخيرة من صور دعوة الله الموافقة لما قبلها من الدعوات المكملة لها وفق حكمة الله وعلمه بحاجة البشر.

﴿ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ فانحرفوا عن التوحيد الذى هو قاعدة العقيدة الباقية، وأشركوا بالله، وأخلوا بمنهجه فى الحياة، فهؤلاء لا جدال معهم ولا محاسنة، وهؤلاء هم الذين حاربهم الإسلام عندما قامت له فى المدينة دولة» (٧).

---

(١) رواه مسلم عن عائشة: كتاب فضائل الصحابة، جـ٤ ص١٩٣٦ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقى.
(٢) المصدر نفسه جـ٤ ص١٩٣٣.
(٣) راجع لابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ١ ص٧٤.
(٤) سورة النحل من الآية ١٢٥.
(٥) انظر الظلال جـ٣ ص٢٢٠٣ ط- الشروق.
(٦) سورة العنكبوت من الآية ٤٦.
(٤) راجع الظلال جـ٥ ص ٢٧٤٥.

### جـ- كذلك من الجهاد بالكلمة:

### المناظرة:

فالذين يرمون انتشار دين الإسلام بالسيف، لا بالهدى والعلم والآيات «يرد عليهم: وهل طلب خصومه: العلم، والمناظرة فقيل لهم ليس لكم جواب إلا السيف؟ إذ من المعلوم أن السيف لا سيما سيف المسلمين وأهل الكتاب هو تابع للعلم والحجة، بل وسيف المشركين هو تابع لآرائهم واعتقادهم والسيف من جنس العمل أبدا تابع للعلم والرأى.

وحينئذ فبيان دين الإسلام بالعلم، وبيان أن ما خالفه ضلال وجهل هو تثبيت لأصل دين الإسلام، واجتناب لأصل غيره من الأديان التى تقاتل عليها أهلها، ومتى ظهرت صحته، وفساد غيره كان الناس أحد رجلين:

١ - إما رجا تبين له الحق فاتبعه فهذا هو المقصود الأعظم من إرسال الرسل.

٢ - وإما رجل لم يتبعه فهذا رجل قامت عليه الحجة، إما لكونه لم ينظر فى آثار أعلام الإسلام، أو نظر وعلم فاتبع هواه أو قصر... فقيام الحجة أنضر وأعذر»[١] وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [٢]، ﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [٣]، ﴿ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا * عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴾ [٤].

وحديث رسول الله ﷺ «ما أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين» [٥]. وكما أن الله - سبحانه - رغب فى الجهاد ورصد له الجوائز الخالدة، كذلك رغب فى مرابطة الثغور [٦]، ولزومها لأهميتها.

### خامسا: الرباط حقيقة

الرباط والمرابطة: ملازمة الثغر وموضع المخافة، ويقال رابط الجيش وفى التنزيل العزيز: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾ [٧].

(١) ابن تيمية: شيخ الإسلام تقى الدين ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ١ ص٧٧ .

(٢) سورة الإسراء: آية ١٥ .

(٣) سورة النساء: آية ١٦٥ .

(٤) المرسلات: آية٥، ٦ .

(٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ١ ص٧٨ .

(٦) الثغر: الموضع يخاف هجوم العدو منه. المعجم الوسيط مادة (ثغر).

(٧) والرباط: ملازمة الثَّغر وموضع المخافة المعجم الوسيط: مادة (ربط) والآية الكريمة آخر سورة آل عمران: ٢٠٠

**وفي الشرع:** هو ملازمة الثغور، ورقابة المجاهدين لمداخل الوطن، لئلا يتسرب إلينا العدو على غفلة، وكان ذلك أمرا منيعا إلى حد ما، فى أوائل التاريخ، وفى الأزمنة المتتابعة [١].

ثم هو الآن ألزم لنا من ذى قبل، لأن الاستعمار يشغل نفسه كثيرا بالتطلع إلى الأوطان الإسلامية وغيرها من البقاع المطلقة من قيود الاستعمار. وإذا كانت الخيل هى أدوات الحركة فى مجال الجهاد قديما، فقد استحدث العلم أدوات أخرى أسرع من الخيل، وأشد فتكا. وذكر الخيل ليس للحصر، وإنما هو للاستنهاض إلى المسارعة.

فما يجوز لنا أن نتوانى فى اقتناء كل وسيلة تجدى فى مناجزة العدو ودفع شره عن محيطنا والقرآن يأمرنا صريحا بالمرابطة [٢] فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [٣].

## حكم المرابطة

### فرض الله المرابطة على المؤمنين، وفيها قولان:

**القول الأول: إنه الصلاة.** اخرج ابن جرير بسنده عن على ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلكم على ما يكفر الذنوب والخطايا؟ إسباغ الوضوء على المكاره، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط» [٤] هذا مع العلم بأنه لم يكن فى زمن الرسول ﷺ غزو، يرابط فيه [٥].

**القول الآخر:** إن المراد بالمرابطة هاهنا مرابطة الغزو فى نحو العدو، وحفظ ثغور الإسلام، وصيانتها عن دخول الأعداء إلى حوزة بلاد المسلمين، وقد وردت الأخبار بالترغيب فى ذلك منها ما رواه البخارى فى صحيحه عن سهل بن سعد الساعدى أن رسول الله ﷺ قال: «رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها» [٦] كما أخرج الإمام أحمد بسنده عن فضالة بن عبيد يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل ميت يختم على عمله إلا الذى مات

---

(١) راجع حاشية العدوى.. فى مذهب الإمام مالك جـ٢ ص١٤، ١٥، وللشيخ السبكى: الجهاد فى الإسلام، كتاب المؤتمر ص ٢٨٤، ٢٨٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) سورة آل عمران: آية ٢٠٠.

(٤) الحديث استدل به الحافظ بن كثير فى تفسيره جـ١ ص٤٤٤.

(٥) راجع تفسير ابن كثير جـ١ ص٤٤٤.

(٦) البخارى جـ٢ ص١٠٢ باب جهاد النساء (حاشية السندى).

مرابطا في سبيل الله، فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن فتنة القبر» [١].

**سادسا: جهاد النساء بين المنع والجواز:** هل تمنع المرأة من الجهاد؟ أم يباح لها؟

وقع اختلاف حول هذه المسألة فقائلون بالإباحة وقائلون بالمنع.

**القائلون بالمنع:**

**أما القائلون بالمنع:** فيعتمدون على نصوص منها: ما رواه البخاري في باب الجهاد عن عائشة رضي الله عنها قالت: «استأذنت النبي ﷺ في الجهاد، فقال: جهادكن الحج» [٢] وفي لفظ آخر: فسأله نساؤه عن الجهاد، فقال: «نعم الجهاد: الحج» [٢] ورواه ابن ماجه بلفظ وقالت عائشة رضي الله عنها: فقلت يا رسول الله: أعلى النساء جهاد؟ قال نعم جهاد لا قتال فيه: الحج والعمرة» وسئل ابن عباس رضي الله عنه هل كان رسول الله ﷺ يغزو بالنساء؟

السائل هو: نجدة الحروري كتب إلى ابن عباس عن أمور منها: هل كان النبي ﷺ يخرج بالنساء، أو يحضرن معه القتال؟ فكان جواب ابن عباس رضي الله عنه: «...وأما النساء، فقد كان رسول الله ﷺ يخرج معه النساء، فيداوين المرضى، ويقمن على الجرحى، ولا يحضرن القتال..» [٣]

فهذه روايات تدل ظاهرا على أن الجهاد بالنسبة للنساء هو: الحج والعمرة دون القتال، وشراح هذه الأحاديث يعللون عدم وجود الجهاد على النساء، بأن النساء مأمورات بالتستر، والسكون، وغض الأصوات، والتعرض للأسر فلا يكون الجهاد ملائما لحالات النساء ونضيف إلى هذا التعليل: أن النساء سريعات التأثر بالمناظر الرهيبة في القتال، والكر والفر، والحرب تحتاج إلى جلادة ليست متوافرة في المرأة.

فتكون الحكمة ظاهرة في إسقاط الوجوب عنهن لصيانتهن، وتوفير الكرامة لهن [٤].

---

(١) الحديث استدل به الحافظ ابن كثير عند تفسيره لآية المرابطة، وراجع أيضا للمنذري: الترغيب والترهيب جـ٢ ص١٦٥ كتاب الجهاد طبعة وزارة الأوقاف. القاهرة.

(٢) البخاري جـ٢ ص١٠٠ باب جهاد النساء (حاشية السندي).

(٣) حديث ابن عباس أخرجه مسلم في باب النساء الغازيات، يرضخ لهن، ولا يسهم الخ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده جـ٣ ص٢٩٧ ـ ٢٩٨ ط. المعارف ١٣٧٥هـ ونجدة الحروري. هو ابن عامر الحنفي الخارجي وأصحابه يقال لهم: (النجدات) بالتحريك، والحروري نسبة إلى حروراء، قرية بالكوفة. راجع المجموع جـ١٨ ص١٦٤، ١٦٥، وهو من غلاة الخوارج الحروريين، وزعمائهم وفصحائهم، راجع مسند الإمام أحمد جـ٣ ص٢٩٧ هامش. ط. المعارف.

(٤) كتاب الجهاد: المؤتمر الرابع ص٢٨٩، راجع المجموع جـ١٨ ص٥٢ ـ ٥٤.

**القائلون بالجواز يصرحون بأن:** هذه الروايات تدل ظاهرا على منع الوجوب بالنسبة للنساء فإنها لا تدل على عدم الجواز.

فقد روى مسلم عن أنس، أن أم سليم - وهى مرضعة النبى ﷺ - اتخذت يوم حنين خنجرا فكان معها فرآها أبو طلحة، فقال يا رسول الله، هذه أم سليم معها خنجر فقال لها رسول الله ﷺ: «ما هذا الخنجر؟ قالت: اتخذته، إن دنا منى أحد من المشركين بقرت به بطنه فجعل رسول الله ﷺ يضحك... فقال... يا أم سليم: إن الله قد كفى وأحسن» (١).

فعدم إنكار النبى ﷺ دليل على جواز قتال نسائنا للكفار، إذا ما أتيحت للمرأة فرصة دون أن تخرج إلى صف العدو وتبارز، أو تعرض نفسها لتلك المخاطرات التى ذكرها العلماء.

فإذا كان النبى ﷺ ينهى عن قتل نساء المشركين وأطفالهم، وشيوخهم الكبار، إذا لم يتعرضوا لنا، أويساعدوا علينا فهذه رحمة ليس لها نظير.

فكيف بنا نزج بنسائنا إلى أتون المعارك؟ (٣).

**والخلاصة:** إنه مما تقدم يعلم أن جهاد النساء جائز مع التحفظ عليهن وهذا الجواز مستفاد من رواية مسلم يعززه كثيرا ما رواه البخارى من أن المرأة إذا حضرت موقف الجهاد كان إسهامها مع المجاهدين أن تسقى الماء وأن تداوى الجرحى، وتناول السهام مع المقاتلين، ومن ثم فإن المرأة لا تكلف بالخروج، ولكن! إذا خرجت وحضرت الموقعة كان لها أن تجاهد بما يدخل فى طاقتها من خدمات يستعين بها المجاهد فى جهاده (٤).

**سابعا: الجهاد ماض إلى يوم القيامة:** هل مازال الإسلام يحض على الجهاد مع ما آل إليه المسلمون اليوم من انفتاح على العالم الخارجي ومحاولتهم المستمرة السير فى ركاب الغرب وتقليده؟

والجواب واضح فى قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ

---

(١) كتاب الجهاد: المؤتمر الرابع ص٢٨٩، راجع المجموعه جـ١٨ ص٥٢ - ٥٤.
(٢) صحيح مسلم باب غزو النساء مع الرجال جـ٢ ص١١٦ (متن).
(٣) كتاب الجهاد: المؤتمر الرابع ص ٢٨٩.
(٤) المصدر نفسه ص ٢٨٩ - ٢٩٠، ص٢١٩ - ٢٢١، وراجع البخارى جـ٢ ص١٠١ باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال، وباب حمل النساء القرب إلى الناس فى الغزو. وباب مداواة النساء الجرحى فى الغزو.

الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (١)، وقوله تعالى:﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾ (٢).

قال الشيخ محمد عبده: كان المشركون يبدأون المسلمين بالقتال لأجل إرجاعهم، ولولم يبدأوا فى كل واقعة لكان اعتداؤهم بإخراج الرسول ﷺ من بلده وفتنة المؤمنين وإيذائهم، ومنع الدعوة كل ذلك كان كافيا فى اعتبارهم معتدين» (٣).

وقد أُمر المسلمون أن يقاتلوا من يقاتلهم ابتغاء مرضاة الله، حتى ولو كان الطرف الثانى يقاتلهم للمغنم والدنيا. كما جاء فى السنة: قوله ﷺ: «الجهاد ماض إلي يوم القيامة» (٤).

فأراد به فرضا باقيا، والفرضية مستفادة من قوله: «ماض» أى نافذ، والنفاذ إنما هو فى الفرض بين الأحكام، وهو فرض على الكفاية، لأنه ما فرض لعينه، إذ هو إفساد فى نفسه، وإنما فرض لإعزاز دين الله، ودفع الشر عن العباد.

**ثامنا: متى يتعين الجهاد؟ الجواب** فى ثلاثة مواضع:

**الأول:** إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان.

**الثاني:** إذا نزل الأعداء ببلد تعين على أهله قتالهم ودفعهم.

**الثالث:** إذا استنفر الإمام قوما لزمهم النفير معه (٥).

**لماذا الجهاد باق ما بقيت الدنيا؟** لما روى: عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من أصل الإيمان:

١ - الكف عمن قال لا إله إلا الله لا نكفره بذنب ولا نخرجه من الإسلام.

٢ - والجهاد ماض منذ بعثني الله وإلى أن يقاتل آخر أمتى الدجال لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل.

٣ - والإيمان بالأقدار (٦)».

---

(١) سورة الممتحنة: آية ٨، ٩.
(٢) سورة البقرة: آية ١٩٠.
(٣) كتاب الجهاد: المؤتمر الرابع ص ١٩٦.
(٤) البخارى جـ ٢ ص ٩٨ باب الجهاد ماض مع البر والفاجر (حاشية السندى).
(٥) كتاب الجهاد ص ١٩٩.
(٦) الحديث فى الجامع الكبير برقم ٣٤٣٤، وعزاه إلى أبى داود فى الجهاد عن أنس جـ٣ ص٢٩٣.

وقوله: «لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل» فيه دليل على أنه لا فرق في حصر فضيلة الجهاد بين أن يكون مع الإمام العادل، أو الجائر، وذلك لأهمية الجهاد والقيام به (١).

مما سبق يتبين أن الجهاد، إنما يكون في سبيل الله، ومن أجل الدعوة إلى الإسلام، لقوله تعالى: ﴿ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾(٢)، ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ (٣).

فنجد أن بعض الملوك والرؤساء رد ردا كريما لفتح باب الود وأسلم وذلك كالنجاشي، وأمير اليمن (باذان)، ومنهم من رد ردًا كريما غير أنه لم يدخل في الإسلام، وذلك مثل المقوقس حاكم مصر...

فالجهاد، ماض، لأن الدعوة ما تزال قائمة، وستظل بمشيئة الله تعالى و إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومن ثم فإن النجاح الذي ينتظر الدعوة مرتبط بالجهاد الذي يؤمنها سواء كان بالنفس، أو بالمال أو بالكلمة، أو بهم جميعا (٤).

**تاسعا: المؤمنون ميزان الحق في الأرض:** لقد فرض الله الجهاد «وأنزل فيه آيات كثيرات، وكان القصد منه والله أعلم: حفظ الدين، وإقراره في الأرض، وتمكين كل إنسان من اختيار عقيدته، وممارسة شعائرها، بحرية كاملة، وتحديد الإلزام به في وقت محدد، أو شكل مخصوص، أو ظرف من الظروف خطأ لا يجوز الركون إليه (٥) لقوله ﷺ: «الجهاد واجب عليكم مع كل أمير برا كان أو فاجرًا» (٦) قال أبو عبد الله الحلبي في شعب الإيمان: «إن الله أبان لنا أنه لولا دفعه المشركين بالمؤمنين وتسليط المؤمنين على دفعهم عن بيضة الإسلام لغلب الشرك على الأرض، وارتفعت الديانة، فثبت بهذا أن بقاء الدين واتساع أهله للعبادة إنما هو بالجهاد.

(١) كتاب الجهاد ص ١٩٩ .
(٢) النساء: ٩٠ .
(٣) آل عمران: ٦٤ .
(٤) راجع كتاب المؤتمر الرابع: الجهاد ص ٩٥، ٩٦، ١٩٠ ـ ١٩٦ .
(٥) كتاب الجهاد: المؤتمر الرابع ص ١٧٢ .
(٦) الحديث في الجامع الكبير برقم ١٠٣٧٠، وعزاه إلى أبي داود، وأبي يعلى، والطبراني في الكبير، والبيهقي في السنن عن أبي هريرة، وفي الجامع الصغير برقم ٣٦٥٣ .

وما كان بهذه المنزلة فحقيق به أن يكون من أركان الإيمان، وأن يكون المؤمنون من الحرص عليه في أقصى الحدود والنهايات (١).

فالمؤمنون مستمرون في جهادهم حتى يستقر الحق في الأرض، ولو غضب المستشرقون، ومن داروا في فلكهم ومهما أثاروا حول الإسلام وأهله من شبهات.كما سنرى:

**المبحث الرابع: شبهات حول الجهاد والفتوحات الإسلامية والرد عليها:**

يجب أن يفهم أن الجهاد إنما جاء لتأمين دعوة الإسلام والحفاظ عليها، ودفاعا عن العقيدة، وعن الحقوق التي كانت مسلوبة، وأنه ما جاء ليظلم الناس شيئا، وأن المسلمين كانوا نعمة من الله أرسلهم إلى أهل الأرض شهد بذلك المخالفون للإسلام.

يقول جوستاف لوبون:«سيرى القارىء حين نبحث في فتوح العرب، وأسباب انتصاراتهم أن القوة لم تكن عامل انتشار القرآن، وأن العرب تركوا المغلوبين أحرارا في أديانهم، فإذا حدث أن انتحل بعض الشعوب النصرانية الإسلام، واتخذ العربية لغة له فذلك لما يتصف به العرب الغالبون من ضروب العدل الذي لم يكن للناس عهد بمثله، ولما عرف به ـ عليه الصلاة والسلام ـ من السهولة التي لم تعرفها الأديان الأخرى» (٢).

**الفاتحون الرحماء:**

ويقول لوبون في موضع آخر:«كان يمكن أن تعمى فتوح العرب الأولى أبصارهم فيقترفون من المظالم ما يقترفه الفاتحون عادة، ويسيئون معاملة المغلوبين، ولو فعلوا ذلك لتألبت عليهم جميع الأمم التي كانت بعد غير خاضعة لهم، ولأصابهم مثل ما أصاب الصليبيين عندما دخلوا بلاد سوريا مؤخرا.ولكن الخلفاء السابقين الذين كان عندهم من العبقرية ماندر وجوده في دعاة الديانات الجديدة، أدركوا أن النظم، والأديان ليست مما يفرض قسرا، فعاملوا أهل سورية ومصر وأسبانية وكل قطر استولوا عليه بلطف عظيم تاركين لهم قوانينهم ونظمهم، ومعتقداتهم غير فارضين عليهم سوى جزية زهيدة في مقابل حمايتهم لهم، وحفظ الأمن بينهم، والحق أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب» (٣).

---

(١) كتاب الجهاد ص ١٧٢ .

(٢) جوستاف لوبون:حضارة العرب:نقلا عن الترجمة العربي لمحمد زعيتر ص ١٤٥، راجع عفيف طبارة:روح الدين الإسلامي ص ٤١٠ .

(٣) المصدر السابق ص ١٤٦، وراجع عفيف طبارة:روح الدين الإسلامي ص ٤١٠ ـ ٤١١ .

سبب محافظة المصريين على تراث العرب: إن «رحمة الفاتحين، وتسامحهم كانا من أسباب اتساع فتوحهم، واعتناق كثير من الأمم لدينهم، ونظمهم ولغتهم التى رسخت وقاومت جميع الغارات، وبقيت قائمة حتى بعد أن توارى سلطان العرب عن مسرح العالم، وإن أنكر ذلك المؤرخون، وتُعَدّ مصر أوضح دليل على ذلك، فقد انتحلت مصر ما جاءها به العرب، وحافظت عليه ولم يستطع الفاتحون الذين سبقوهم إليها من الفرس، والإغريق، والرومان، أن يقبلوا الحضارة الفرعونية القديمة، وأن يحملوها على ما أتوها به» (١).

**اعتراف المنصفين من علماء أوربا بتسامح الإسلام حتى مع أعدائه:**

اعترف بعض المنصفين من علماء أوربا الذين أنعموا النظر فى تاريخ العرب حتى قال ربرتسون فى كتابه تاريخ شارلكن: «إن المسلمين وحدهم هم الذين جمعوا بين الجهاد والتسامح نحو أتباع الأديان الأخرى الذين غلبوهم وتركوهم أحرارا فى إقامة شعائرهم الدينية» (٢).

،قال (ميشود) فى كتابه تاريخ الحروب الصليبية: «إن الإسلام الذى أمر بالجهاد متسامح نحو أتباع الأديان الأخرى، وهو قد أعفى البطاركة، والرهبان وخدمهم من الضرائب، وقد حرم قتل الرهبان ـ على الخصوص ـ لعكوفهم على العبادات، ولم يمس عمر بن الخطاب النصارى بسوء حين فتح بيت المقدس. وقد ذبح الصليبيون المسلمين، وحرقوا اليهود عندما دخلوها» (٣).

ويقول الكونت (هنرى دى كاسترى) فى كتابه: الإسلام خواطر وسوانح: «بعد أن دانت العرب وآمنت بالقرآن، واستنارت القلوب بنور الدين الحنيف برز المسلمون فى ثوب جديد أمام أهل الأرض قاطبة، هو المسالمة وحرية الأفكار فى المعاملات. وتتابعت آيات القرآن تأمر بالمحاسنة بعد تلك الآيات التى كانت تنذر القبائل المارقة.. «لقد تعلم المسلمون من هذا النص: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (٤) فطبقوه على أنفسهم كما طبقه رسول الله ﷺ فى معاملته مع مخالفيه، وقد اقتفى أثره الخلفاء الراشدون والمسلمون من بعدهم، وذلك يحملنا على القول كما قال روبرتسون: «إن شيعة محمد هم وحدهم الذين جمعوا بين المحاسنة ومحبة انتشار دينهم، وهذه

(١) حضارة العرب ص ٦٢٩، وراجع: روح الدين الإسلامى ص ٤١١ .
(٢) نقلا عن: عفيف طبارة: روح الدين الإسلامى ص ٤١٢ .
(٣) حضارة العرب، نقلا عن عفيف طبارة: روح الدين الإسلامى ص ٤١١، ٤١٢ .
(٤) سورة البقرة من الآية: ٨٣ .

المحبة التى دفعت العرب فى طريق الفتح وهى سبب لا حرج فيه فنشر القرآن جناحية خلف جيوشه المظفرة إذ أغاروا على الشام.وساروا سير الصواعق إلى أفريقيا الشمالية من البحر الأحمر إلى المحيط الأطلانطيكي، ولم يتركوا أثرا للعسف فى طريقهم إلا ما كان لابد منه فى كل حرب وقتال، فلم يقتلوا أمة أبت الإسلام» (١).

ومع هذه الشهادة المعتدلة، ومع أنها لم تضم كل الحقائق عن معاملة المسلمين الطيبة فى جهادهم.مع عدوهم إلا أن هناك من قالوا فى الإسلام قولا يجانب الصواب، ويبعد عن الحقيقة فيرى أن الإسلام دين لم ينتصر إلا بالسيف، حتى أكره الناس على الدخول فيه، تفوه بهذه الأكذوبة المستشرق المجرى جولد تسهير، إذ قال:بعد أن تناول الحديث عن محمد ﷺ فى مكة والدور الذى قام به فى الدعوة ثم انتقاله ﷺ إلى المدينة يقول:«فهو الآن يحمل السيف فى العالم، ولا يكتفى بعصاه التى يضرب بها الأرض، ولا بنفثات شفتيه لإبادة الكفرة، بل هو نفير الحرب الذى كان ينفخ فيه، وهو السيف الدامى الذى رفعه لإقامة مملكته.وفى رواية إسلامية متواترة نتبين منها مهمته مركزة فيها أنه حمل اللقب الذى ورد فى التوراة وهو:«نبى القتال والحرب» (٢).

كما قال فى نفس الصفحة:«ومن قعد عن الجهاد من المؤمنين اعتبر كأنه لايأبه بإرادة الله، ومسالمة الوثنيين الذين يصدون عن سبيل الله لا يمكن أن تكون فضيلة»(٣) ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾(٤).

**عناية الله تؤازر الإسلام:** لا يزال جولد تسهير يعلن عن غيظه من شرعية الجهاد فى الإسلام، وكأنه كان يريد من الإسلام أن يكون نسخة مكررة من المسيحية والمسيح – عليه

---

(١) انظر الإسلام خواطر وسوانح ص ٣٥ عن الترجمة العربية لأحمد فتحى زغلول، راجع روح الدين الإسلامى ص٤١٢ .

(٢) جولد تسهير:العقيدة والشريعة..ص٣٤، ٣٥ وهذه من أدلة التوراة على وصف محمد ﷺ بهذا الوصف.

(٣) اانظر لمرجع السابق.

(٤) سورة النساء:آية٩٥، ٩٦ .

السلام ـ، كأنه يريد نفس الشيء من الإسلام، ولكنه نسى أو تجاهل أن العناية الإلهية هذه المرة زودت الإسلام برجال وتعاليم قوية، لا يستطيع الباطل أن يجتاحها بسهولة، ولا أن ينال منها بيسر، لقد كان الباطل يزأر فى عرصات الدنيا دون تهيب، ويزعج الآمنين فى كل قطر دون وجل.

فلما ظهر الإسلام، واشتبك الباطل معه، على عادته ـ عاد من هجومه مقصوم الظهر مخضوب الكف. فراح يجأر بالشكوى أن الإسلام دين سيف، وأن الحكم فى رحابه جعله صلب العود، وماعيب الصلابة فى الحق إذا استعصت على الفتانين؟ [1] لا بأس، فإن الرسول ﷺ بعث بالسيف كما جاء فى التوراة وكما قال فى الحديث الذى رواه ابن عمر رضي الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «بعثت بين يدى الساعة بالسيف حتى يعبد الله لا يشرك به شيء، وجعل الصّغار والذل على من خالف أمرى» [2].

إن السؤال الذى يجب أن نحدد الإجابة عنه هو: هل كان الحكم فى الإسلام أساساً لفتنة غير المسلمين عن دينهم؟ هل كانت الدولة فى خدمة الدعوة من حيث استغلال أجهزتها للفتنة والإعنات؟ [3].

والجواب نتركه للسير توماس آرنولد فهو مستشرق ـ أيضاً ـ قال: «ومهما تكن المساوئ التى نجمت عن حاجة المسلمين إلى طبقة كهنوتية تختص بنشر العقيدة فقد وجدوا ما يعوضهم عنها فى ذلك الشعور الناشئ عن المسؤولية التى ألقيت على كواهل المؤمنين من الأفراد.

ولما لم تكن هناك واسطة بين المسلم وربه، كانت مسؤولية خلاصه الشخصى ملقاة على كاهله وحده، وكان من أثر ذلك أن أصبح المسلم ـ كما جرت العادة ـ أكثر تشدداً واهتماماً فى أداء واجباته الدينية، وأشد تحملاً للمتاعب فى سبيل تعلم مبادئ دينه وشعائره» [4].

---

(١) الشيخ محمد الغزالى: مع الله دارت فى الدعوة والدعاة ص٤٤٩ .
(٢) رواه الإمام أحمد وأبو يعلى فى مسنديهما والطبرانى كلهم عن ابن عمر رضي الله عنهما ـ سبق تخريج هذا الحديث.
(٣) الشيخ محمد الغزالى : مع الله دراسات فى الدعوة والدعاة ص ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٥٥ .
(٤) توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ص ٤٤٩ ، ٤٥٠ .

إن الرسـول ﷺ وهو فى المدينة قد تمثل ما يفتح على أمته من الممالك لم ينس العالم الآخر.

ويقول فى أيام الخندق ـ أو غيرها ـ وقد أُرى هذه الفتوح ما معناه:

«إني أخاف عليكم هذه الفتـوح أن تفتنكم عن دينكم»، فـهـو ﷺ فى المدينة لـم ينقلب ملكًا همه الثراء له ولأمته كما يصوره جولد تسيهر، فالرسول فى مكة هو الرسول فى المدينة، ولم تزل عيشته بعد الفتح وما أفاء الله عليه العيشة الأولى[١]. فقد «كانت مهمة المجاهدين فى الإسلام، هداية الكافرين، وإخضاعهم إن لم يهتدوا حتى لا يستشرى شرهم فينالوا من الإسلام فغرضهم دينى أبدًا، ولم يطبع الإسلام بالطابع الحربى رغبة فى الحرب، بل الغرض الأول هو دفع العدوان ونشر مبادئه القويمة»[٢].

ويزعم جولد تسيهر فى كتابه فيقول: «ومع هذا فهناك ضلال أسطورى فى الطريقة التى يتصور بها محمد الله، إذ تؤدى إلى أن الله ينزل من عليائه السماوية ليصبح الشريك المعين للنبى فى جهاده الذى أخذ فى الاضطلاع به فى هذا العالم».

هذا المستشرق دائب التحامل على محمد ﷺ حتى يفترى ويقول: إن محمدًا يتصور أن ينزل الله من عليائه ليعينه فى حروبه، ومحمد ﷺ أبعد الناس أن يتصور النزول الحسى، أو أى شىء فيه يمت للجسدية، والإعانة بنصره، وإقداره لا ضلال فيها، ونزول الله ـ سبحانه ـ معناه نزول أمره ونصره[٣]. ويوالى جولد تسيهر هجومه قائلاً:

«والذى فعله فى الوسط الحربى المحيط به هو أنه أوصى بتحقيق رسالة مستقبله لأمته وهى : جهاد الكافرين، والتوسع فى نشر الإسلام، وفى سيطرته، التى هى سيطرة الله، على أوسع نطاق، ومن ثم ترى أن مهمة المجاهدين فى الإسلام لم تكن هداية الكافرين فحسب بل وإخضاعهم أيضًا».

ولعله يشير من طرف خفى إلى قوله الله تعالى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

---

(١) انظر جولد تسيهر : العقيدة والشريعة ص ٣٥ حاشية ٥ .

(٢) المصدر نفسه (حاشية وهى رد على مزاعم جولد تسيهر).

(٣) انظر المصدر السابق ص ٣٨ حاشية .

حتىٰ يُعطُوا الجزْيَة عن يدٍ وهُمْ صاغرُون ﴾(١).

والآية فيها أمر من الله تعالى بقتال جميع الكفار، لاتفاقهم على عدم الإيمان بالله واليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يعتقدون العقيدة الصحيحة، واستثنى منهم أهل الكتاب إكراماً لكتابهم، ولكونهم عالمين بالوحدانية، والشرائع السماوية، وفى كتبهم البشارات بمحمد ﷺ وذكر أمته، وملته، فلما أنكروه تأكدت عليهم الحجة، وعظمت منهم الجريمة. قال القرطبى: «فنبه على محلهم، ثم جعل للقتال غاية، وهى إعطاء الجزية بدلاً عن القتال»(٢).

كما أن الآية تأمر المسلمين باستمرار قتال طائفة صفتها أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، وهم الذين سبق أن نقضوا العهد، وانقضوا على الدعوة، فعدم إيمانهم ليس سبباً لقتال المسلمين إياهم، بدلالة أن الآية فى بقيتها أمرت بقتالهم حتى يعطوا الجزية علامة على الخضوع واشتراكاً فى دفع النفقات العامة وأعباء الدولة، ولو كان الكفر سبباً فى قتالهم، لجعلت غاية القتال إسلامهم، ولما سمح لنا بقبول الجزية منهم فهم لا يقاتلون لمجرد أنهم كفار، بل لأنهم نقضوا العهد وأعلنوا الحرب على المسلمين مرة أخرى، فوجب ـ والحالة هذه ـ الاستمرار فى قتالهم حتى يعطوا الجزية ..(٣).

وأما قوله تعالى: ﴿ يا أيُّها الَّذين آمنُوا قاتلُوا الَّذين يلُونكُم مّن الكُفَّار ولْيجدُوا فيكُمْ غلْظةً واعْلمُوا أنَّ اللَّه مع الْمُتَّقين ﴾(٤).

فظاهر النص يوهم بأن المسلمين أُمروا بقتال جميع الكفار أينما كانوا سواء بدؤوا بالعداء والحرب أم لا والآية إنما جاءت إرشاداً للمسلمين بنوع من نظام الحرب وهو ما يسمى اليوم «بتكتيك» الحرب، وذلك أنهم إذا أرادوا حرب من بدؤوهم بالحرب والعدوان من المشركين الذين آذنوا بقتالهم كافة، فيجب أن يبدؤوا بالحرب الأقرب حتى يخلو طريقهم،

(١) سورة التوبة : آية ٢٩ .

(٢) انظر القرطبى جـ ٤ ص ٢٩٤٨ وما بعدها، والمجموع جـ ١٨ ص ١٩٨ وما بعدها .

(٣) الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت : الإسلام والعلاقات الدولية (فى السلم والحرب) ص ٣٤ وما بعدها، وراجع المستشار على منصور : الشريعة الإسلامية، والقانون الدولى ص ٢٦٤ ، ٢٦٦ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

(٤) سورة التوبة : آية ١٢٣ .

ويأمنوا مفاجأة العدو من الخلف إن هم بدؤوا بحرب الأبعد، وهذه هي الطريقة المثلى في الحروب العصرية أيضاً، وهي ما تسمى بعدم ترك جيوب عدائية خلف الجيش الزاحف.

لكن هناك من يكيد للإسلام، فيقف عند ظاهر الآية ﴿قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾ وزعم أن الدين الإسلامي يأمر بقتال الكفار عامة، سواء أحصل منهم اعتداء أم لم يحصل حتى يؤمنوا ويدينوا بالإسلام، وقالوا وقد استقر الحكم في الشريعة على ذلك، والواقع أن المراد من كلمة الكفار في الآية ونظائرها المشركون المحاربون، الذين قاتلوا الإسلام والمسلمين واعتدوا عليهم وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم، ووقفوا فتنة للناس في دينهم، وهم الذين تحدثت عن أخلاقهم الآيات الأولى من سورة التوبة[١].

ولعله ثالثًا يشير إلى حديث رسول الله ﷺ الذي قال فيه: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم - إلا بحق الإسلام - وحسابهم على الله»[٢].

وكلمة الناس في الحديث : هي من استعمال العام في الخاص كقوله تعالى : ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم﴾ فالناس الأولى بعض المنافقين، والأخيرة مشركوا مكة[٣].

والمراد بالناس في الحديث: هم عبدة الأوثان من العرب خاصة - وقد أجمع العلماء على ذلك - فلم هذه المعاملة؟ أوليست إكراهًا على الدين؟ ولماذا عدل الإسلام عن خطته الأصلية في عرض دعوته ألأن أولئك الجهال قد أسقطوا كرامة عقولهم بعبادتهم أحجاراً صماً لا تسمع ولا ترى، لو كان الأمر كذلك لعامل الإسلام عباد العجول، والأشجار، والأصنام بهذا الأسلوب في كل بلد نزل به، لكنه عامل المجوس معاملة أدب ورقة فألحقهم بأهل الكتاب[٣].

---

(١) الشيخ محمود شلتوت: الإسلام والعلاقات الدولية ص ٣٥ وما بعدها، وراجع الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام ص ٢٦٥ .

(٢) أخرجه البخاري في الإيمان : باب "فإن تابوا وأقاموا الصلاة.." فتح الباري «١ / ٧٥ جـ ٢٥»، وراجع كتاب الإيمان لابن منده المجلد الأول ص ١٦٦ . ط المدينة المنورة ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م.

(٣) الشيخ محمد الغزالي : الإسلام والاستبداد السياسي ص ١١٣ .

أخرج الإمام مالك عن جعفر بن محمد أن عمر بن الخطاب ذكر المجوس قال: ما أدرى ما أصنع فى أمرهم؟ فقال عبد الرحمن بن عوف: أشهد لسمعته من رسول الله ﷺ يقول «سنوا بهم سنة أهل الكتاب» [(١)].

والحق أن الإسلام أعطى مشركى الجزيرة حق البقاء على الوثنية ما طابت به نفوسهم، على أن يتركوا الحرية لمن هجرها إلى الإيمان بالله وحده فلا يفتنوه أو يضطهدوه.. . وظهر ذلك جليًا أول الإسلام من قوله تعالى: ﴿قل يا أيها الكافرون (١) لا أعبد ما تعبدون (٢) ولا أنتم عابدون ما أعبد (٣) ولا أنا عابد ما عبدتم (٤) ولا أنتم عابدون ما أعبد (٥) لكم دينكم ولي دين﴾[(٢)].

بيد أن هؤلاء المشركين الحمقى ركبوا رؤوسهم وسيطرت عليهم فكرة القضاء على الدين الجديد، واستئصال شأفته والمغامرة بكل شىء فى سبيل محوه ومحق أتباعه فإما طاحوا بهم، وإما طاح بهم، وشاء القدر الأخير... فإن الرسول وصحابته ظلوا عشرين عامًا يسمحون للمشركين بالبقاء على دينهم، راجين منهم أن يتركوهم وشأنهم، ثم اتضحت نوايا المشركين الخبيثة[(٣)]، فنزل قول الله تعالى: ﴿إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون﴾ [(٤)]. ﴿وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون﴾ [(٥)].

فمن الآيات السابقة، والحديث السابق يتضح أن الذى يتوقف انتهاء قتاله على ما ذكرهم: مشركى العرب خاصة، أما غيرهم فيكفى فى انتهاء قتالهم أن يعطوا الجزية، وبهذا تتفق الآيات بعضها مع بعض ويجمع بينها وبين الأحاديث ويسقط كل زعم باطل من هؤلاء وأولئك[(٦)].

فإذا انتفى العدوان وأمنت الفتنة فلا مكان لقتال، وحمل السيف عندئذ جريمة نهى

---

(١) أبو عبيد: الأموال ص ٤٥، وأبو يوسف: الخراج ص ٢٦٩.
(٢) سورة الكافرون.
(٣) الإسلام والاستبداد السياسى ص ١١٤.
(٤) سورة الممتحنة: آية ٢.
(٥) سورة التوبة: آية ٨.
(٦) الإسلام والعلاقات الدولية ص ٣٦، ٣٧ حاشية ص ٣٧، وانظر الشريعة الإسلامية والقانون الدولى العام ص ٢٦٥، ٢٦٦.

القرآن عن ارتكابها: ﴿ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً ﴾[١].

كما أكد الدوافع فى حمله السلاح فى قوله : ﴿ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾[٢].

فلم يكن الرسول ﷺ طامعًا فى توسع، ولا سيطرة لله، ولا إخضاع الكافرين كما يقول جولد تسيهر الذى اجترأ على رسول الله ﷺ وقال: إنه تغير بعد انتقاله إلى المدينة فطمع فى الدنيا وصار محاربًا جبارًا.

وهذا أبعد شىء فى حياة الرسول ﷺ فقد «كان إذا عاد من فتح، أو غزو يكون هجيراه: «تائبون، آيبون إلى ربنا عابدون» فكان المسيطر عليه وعلى أعماله النظر إلى الآخرة، وواجب الدين التحذير من عذاب الآخرة والتبشير بنعيم الجنة، وما فيها ما يزال مبثوثًا فى تضاعيف السور المدنية»[٣].

وترى فى سورة النساء المدنية قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (٥٦) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً ﴾[٤].

## الحرب ضرورة اجتماعية ـ هكذا يقولون في الغرب !! :

بينما يجعل الإسلام الحرب فى سبيل الله لا فى سبيل الشيطان والأهواء والمطامع نجد من يقول: إن الحرب ضرورة اجتماعية فيقول هيجل : «إن التغيير لا يحدث فى أى ميدان إلا لنتيجة تصارع قوى متضادة متشابكة تقضى كل منهما على الأخرى بحيث تخرج نتاجًا جديدًا يفوقها» وهذه الفلسفة تبناها فيما بعد «ماركس، وانجلز»[٥] لكن القرآن يقول: ﴿ وَلَوْلا

(١) سورة النساء : آية ٩٠ .
(٢) سورة النساء : آية ٩١ .
(٣) المترجمون لكتاب العقيدة والشريعة.. ص ٣٩، وانظر المؤتمر الرابع : كتاب الجهاد ص ١٩١ ـ ١٩٥ .
(٤) سورة النساء : آية ٥٦ ، ٥٧ .
(٥) نقلاً عن روح الدين الإسلامى ص ٢٨٩ .

دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [١].

«فالإسلام أقر الحرب على أنها وسيلة لحل بعض المشاكل الاجتماعية فى وقت كانت القوة الغاشمة هى العائق الوحيد الذى يقف أمام دعوة الحق، والدول الغربية نراها بعد أن نالت ما نالته من ثقافة علمية عالية، ومدنية راقية، لا تزال تعمد فى القرن العشرين لحل مشاكلها المختلفة إلى الحرب»[٢] التى ليست فى سبيل الله، وإنما فى سبيل السيطرة والعبودية» فهل يعقل أن يحرِّم الإسلام الحربَ قبل أربعة عشر قرنًا؟ وقد قصد إلى إحداث تطور عام. من الناحيتين الدينية والاجتماعية. وهذا مما يدحض رأى الطاعنين فى الإسلام بأنه دين حربى، وأنه لم ينتشر إلا بالسيف، هذا الطعن الذى اتخذه أعداء الإسلام وسيلة لتشويهه من ذلك ما قاله (ماكدونالد) فى دائرة المعارف الإسلامية: «إن نشر الإسلام بحد السيف والقوة هو الواجب الدينى على كل مسلم»[٣].

**لا يزال الجهاد مفروضًا على المسلمين لتربص الأعداء بهم:**

يحاول بعض المغرضين من أعداء الإسلام أن يرمونه بالتناقض، فيزعمون أنه فرض بالسيف فى الوقت الذى قرر قاعدة «لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ». أما البعض الآخر فيتظاهر بأنه يدفع عن الإسلام هذه التهمة، وهو يحاول فى خبث أن يخمد فى حس المسلم روح الجهاد. ويهون من شأن هذه الأداة فى تاريخ الإسلام، وفى قيامه وانتشاره . وذلك فى صورة من يدفع التهمة الجارحة عن الإسلام[٤].

وهؤلاء وهؤلاء كلاهما من المستشرقين ومن يدور فى فلكهم يعملون فى حقل واحد وهو حرب الإسلام وتحريف منهجه، كى يأمنوا انبعاث هذا الروح الذى لم يقفوا له مرة فى ميدان، والذين آمنوا واطمأنوا منذ أن حددوه وكبلوه بشتى الوسائل، وكالوا له الضربات الساحقة الوحشية فى كل مكان، وألقوا فى خلد المسلمين أن الحرب بين الاستعمار وبين وطنهم ليست حرب عقيدة أبدًا تقتضى الجهاد! إنما هى فقط حرب أسواق وخامات، ومراكز وقواعد . . ومن ثم فلا داعى للجهاد! لكن الجهاد لا يزال مفروضًا على المسلمين رغم خبث

---

(١) البقرة : ٢٥١ .

(٢) عفيف طبارة : روح الدين الإسلامى ص ٣٩٠ .

(٣) نفس المصدر السابق، وراجع دائرة المعارف الإسلامية مادة (سلم) .

(٤) راجع توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام، والظلال جـ ١ ص ٢٩٤ .

المستشرقين، ومحاولاتهم المتكررة تجميد روح الجهاد فى نفوس المسلمين وصرفهم عنه نعم لا ينكر أحد أن الإسلام حمل السيف وناضل وجاهد فى تاريخه الطويل، لا ليكره أحدًا على الإسلام ولكن ليكفل عدة أهداف تقتضى الجهاد[١]:

أ- إن الإسلام جاهد ليدفع عن المؤمنين الأذى والفتنة التي كانوا يسومونها، وتكفل لهم الأمن على أنفسهم وأموالهم، وعقيدتهم، فذكر أن ﴿الْفِتْنَةَ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾[٢].

فاعتبر الاعتداء على العقيدة، والإيذاء بسببها، وفتنة أهلها، أشد من الاعتداء على الحياة ذاتها،، فالعقيدة أعظم قيمة من الحياة، وفق هذا المبدأ العظيم، وقد شهد المسلمون فى مكة كما شهدوا فى الأندلس من بشاعة التعذيب ما جعلهم فى الأولى يهاجرون، وفى الأخرى يقتلون أو يفتنون عن دينهم. حتى لنجد الأندلس ـ أسبانيا ـ اليوم، ولا ظل فيها للإسلام ولا للمذاهب الأخرى!

ب- جاهد الإسلام لتقرير حرية الدعوة، كما جاء بأكمل تصور لوجود الحياة، وبأرقى نظام لتطوير الحياة . . وأبلغ البشرية ما جاء به، وما يهدف إليه، وبعد البيان والبلاغ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، ولا إكراه فى الدين ولكن لابد قبل ذلك أن تزول الحواجز، وما يزال الجهاد مفروضًا على المسلمين ليبلغوه إن كانوا مسلمين[٣].

**الجهاد كلمة جامعة:**

تعنى كلمة الجهاد جميع أنواع السعى، وبذل الجهد، فتغيير وجهات أنظار الناس وميولهم . . وتحولهم العقلى والفكرى بواسطة مرفهات الأقلام نوع من الجهاد، والقضاء على الجور والظلم بحد السيف نوع من الجهاد، وبذل الأهوال، وتحمل المشاق، ومكابدة الشدائد من الجهاد .

ولما كان الجهاد الإسلامى غايته أنه فى سبيل الله، انخدع كثير من الناس بمدلوله اللغوى الظاهر، وحسبوا أن إخضاع الناس لعقيدة الإسلام، وإكراههم على قبولها هو الجهاد، لكن الحق أن سبيل الله هو الوصول إلى تأسيس نظام عادل، يقوم بالقسط والحق بين الناس[٤]، لا أن ينال بعض الناس شرفًا وجاهًا . . ويتبوؤا مناصب الظلم والجبروت.

(١) انظر المصدر اسابق .
(٢) سورة البقرة من الآية ١٩١ .
(٣) الظلال جـ ١ ص ٢٩٤ بتصرف.
(٤) نفس المصدر ص ١٤٤٧ بتصرف .

لأن ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ ﴾[١].

إن لباب دعوة الإسلام، أنها دعوة تغير وتحول، إنها دعوة إلى التوحيد الخالص وعبادة الله الواحد، فليس الإسلام مجرد مجموعة من الكلام وإنما هو خير ما جاء للإنسانية[٢].

قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ [٣].

هنا ثلاث ظواهر أثبتها القرآن:

**الظاهرة الأولى:** ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ [٤]

**الظاهرة الثانية:** ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾[٥].

**الظاهرة الثالثة:** ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[٦].

لقد غلى مرجل الحقد الصليبي بعد موقعة اليرموك الظافرة التي أعقبها انطلاق الإسلام لتحرير المستعمرات الإمبراطورية الرومانية في الشام ومصر، وشمال إفريقية، وجزر البحر الأبيض ثم في النهاية بناء القاعدة الإسلامية في الأندلس.

لكن حقد الصليبيين ضارب جذوره في التاريخ على المسلمين.

إذ من العجب أن ينسى الرومان عداوتهم مع الفرس، وأن النصارى يعينونهم ضد الإسلام في جنوب الجزيرة ثم بعد ذلك في مؤتة، ثم فيما تلا موقعة اليرموك الظافرة، ثم تجلت ضراوتها ووحشتها في الأندلس، ثم في الحروب الصليبية[٧].

جاء في كتاب حضارة العرب، لجوستاف لوبون ـ وهو فرنسي مسيحي قال: «كان أول ما بدأ به ديكاردوس الإنجليزي أنه قتل أمام معسكر المسلمين ثالثة آلاف أسير سلموا أنفسهم إليه. بعد أن قطع على نفسه العهد بحقن دمائهم، ثم أطلق لنفسه العنان باقتراف القتل والسلب مما آثار صلاح الدين الأيوبي النبيل الذي رحم نصارى القدس فلم يمسهم بأذى،

---

(١) سورة النساء: آية ٧٦.
(٢) انظر الظلال جـ ٣ ص ١٤٤٩.
(٣) سورة البقرة من الآية ٢٥١.
(٤) سورة البقرة من الآية ٢١٧.
(٥) سورة البقرة من الآية ١٠٩.
(٦) سورة البقرة من الآية ١٢٠.
(٧) الظلال جـ ٣ ص ١٦٢٩ باختصار وتصرف.

والذى أمد فيليب، وقلب الأسد بالمرطبات والأدوية والزواد أثناء مرضهما»[١] .

**نظرة الصليبيين إلى الإسلام :**

هل تغيرت نظرة أهل الصليب تجاه الإسلام؟ رغم المكاسب التى أخذوها من أرض الإسلام والمسلمين؟ ورغم ما هم فيه من حضارة ومدنية؟ إن هذا النص يحدد نظرة الصليبيين إلى الإسلام ويوقظ أصحاب الآراء المخدوعة فيهم من المسلمين.

«لقد كنا نخوّف بشعوب مختلفة، ولكننا بعد اختبار لم نجد مبرراً لمثل هذه المخاوف . . لقد كنا نخوّف من قبل بالخطر اليهودى، والخطر الأصفر، وبالخطر البلشفى، إلا أن هذا التخويف كله لم يتفق كما تخيلناه: إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا، وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الألد!

ثم رأينا البلاشفة حلفاء لنا، أما الشعوب الصفراء فهنالك دول ديقراطية كبرى تقاومها لكن الخطر الحقيقى كامن فى نظام الإسلام..وفى قوته على التوسع، والاخضاع، وفى حيويته...إنه الجدار الوحيد فى وجه الاستعمار الأوربى»[٢] .

فما المخرج، والدول تتربص بالإسلام؟ هل يظل الجهاد قائما أم يلغى؟ إن الجهاد باق ما بقى فى المسلمين عرق ينبض، رغم أنف المهزومين روحيا، نعم جاء الإسلام مدافعا، ومقوما اعوجاج من ناصبوه العداء، ومن ثم فرض الجزية على الاقطار التى فتحها، ومنها مصر، لقد خرج ليزيح الأنظمة التى تكيد له، والتى استعبدت الناس قرونا وقرونا، أو يقهروها حتى تدفع الجزية، وتخلى بين الجماهير، وبين ما تعتنق بحرية وإرادة.

إن الجهاد باق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها،؛ لأنه جاء لإقرار منهج الله فى الأرض، وإعلان سلطانه على البشر، وتحكيم شريعته فى الحياة، لتحقيق الخير والصلاح والنماء للناس»[٣] .

---

(١) المستشار على على منصور : الشريعة الإسلامية والقانون الدولى العام ص ٢٩٢ .

(٢) من كتاب جورج براون نقلا عن كتاب التبشير والاستعمار فى البلاد العربية للدكتور مصطفى خالدى، والدكتور عمر فروخ، وراجع كتاب الغارة على العالم الإسلامى للأستاذين:اليافى، ومحب الدين الخطيب، وكتاب الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر للدكتور محمد محمد حسين، وكتاب هل نحن مسلمون:لمحمد قطب دار الشروق، وراجع تفسير الظلال جـ٣ص١٦٣٠ .

(٣) الظلال جـ٢ ص ٩١٩ .

**الجهاد في الإسلام..تحرير للإنسان:** ينبغي أن يعرف أن الجهاد في الإسلام جاء« لأمر آخر لا علاقة له بحروب الناس اليوم، ولا بواعثها وتكييفها كذلك..إن بواعث الجهاد في الإسلام ينبغي تلمسها في طبيعة الإسلام ذاته، ودوره في هذه الأرض، وأهدافه العليا التي قررها الله، وذكر الله أنه أرسل من أجلها هذا الرسول بهذه الرسالة، وجعله خاتم النبيين، وجعلها خاتمة الرسالات.إن هذا الدين إعلان عام لتحرير الإنسان في الأرض من العبودية لهواه أيضا، ومن العبودية للعباد، وذلك بإعلان ألوهية الله وحده ـ سبحانه ـ وربوبيته للعالمين» [(١)].

وقد أبدى ابن خلدون رأيه في الحرب، وقسمها إلى مشروعة وغير مشروعة فماذا قال؟:

**رأي ابن خلدون في الحرب:** ذهب ابن خلدون إلى القول بأن الحرب المشروعة نوعان وغير المشروعة أيضا نوعان فقال:«إن الحرب لم تزل واقعة منذ أن بدأ الله الخليقة وهي أمر طبيعي في البشر لا تخلو منه أمة ولاجيل وترجع في الأكثر إما إلى غيرة ومنافسة.وإما إلى عدوان.وإما إلى غضب لله ولدينه.وإما غضب للملك وسعي في تمهيده وبسطه.

**فالأول:** أكثر ما يجري بين القبائل المتجاورة والعشائر المتناظرة.

**والثاني:** وهو العدوان أكثر ما يكون بين الأمم الوحشية الساكنة بالقفر كالعرب في الجاهلية والتركمان والأكراد والتتار وأشباههم، لأنهم جعلوا أرزاقهم في رماحهم ومعاشهم فيما بأيدي غيرهم. ومن دافعهم عن متاعه آذنوه بالحرب ولا بغية لهم فيما وراء ذلك من رتبة ولا ملك.

**والثالث:** :هو المسمى الجهاد.

**والرابع:** هو حروب الدول مع الخارجين عليها والمانعين لطاعتها.فهذه أربعة أصناف من الحرب الصنفان الأولان منها حروب بغي وفتنة، والصنفان الأخيران حروب جهاد وعدل، وقد حرم الإسلام الصنفين الأولين، وأذن بالصنفين الأخيرين» [(٢)].

**حيلة ماكرة من ساسة الغرب خدع بها مسلموا الشرق:** أليس عجيبا أن يرمي الغرب الإسلام بأنه دين قام على حد السيف، في الوقت الذي يتسلح فيه الغرب من قمة رأسه إلى أخمص قدمه.

---

(١) الظلال جـ٣ ص ١٤٣٣ .

(٢) ابن خلدون:المقدمة ،وابن خلدون أحد فقهاء، ومؤرخي الإسلام، وكتابه الاجتماعيين، وهو أول من وضع أسس علم الاجتماع.انظر المستشار علي علي منصور الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام ص ٢٣٦ هامش١ .

الغرب الذى يجرى وراءه ألوفا من الأمم المأسورة، والدول المقهورة بعدما كسر شوكتها بقوته الباطشة.الغرب الذى رسم الصلبان ـ رمز التضحية ـ على رايات تظلل جيوشا طالما اشتغلت بالسلب والنهب، وانطلقت فى مشارق الأرض ومغاربها تثير الرعب والفزع.

هذا الغرب العنيد هو الذى ينشر بحوثا علمية نزيهة!!! لإثبات أن الإسلام قام على السيف.ذلك جهد كثير من المستشرقين الذين أخضعوا العلم لنزعات الهوى والتعصب الذميم.

ومتى يقال هذا؟ في الوقت الذي جثم فيه الغرب المسلح على الشرق الأعزل يبغي هلاكه...والقصد البين منه تسويغ منطق القوة العمياء الذي نعامل به، وصرفنا عن إعداد العدة التي نسترد بها خسائرنا، ونحامى بها عن مقدساتنا، وقد وصل ساسة الغرب ومستشرقوه إلى هدفهم، وتكون جيل من المسلمين يحسن الظن بمستقبل الحق العارى عن القوة فكان الفشل مصير قضايانا كلها، وأصبح البغاث يستنسر بأرضنا!!![1].

إن المستشرقين تواصوا فيما بينهم على تشويه صورة الإسلام وتقديمها للعالم متهمة بإدخال الناس فيه بالقوة أو بسط سيادتها على العالم.

فهذا «ميور» يقول:«كان من الضرورى لدوام الإسلام أن يستمر فى خطته العدوانية، وأن ينفذ بحد السيف ما يطالب به من دخول الناس فى الإسلام كافة أو بسط سيادته العالمية على الأقل» ويتولى الرد على «ميور» توماس كارليل صاحب كتاب الأبطال وعبادة البطولة فيقول عن محمد ﷺ:«إن اتهامه بالتعويل على السيف فى حمل الناس على الاستجابة لدعوته سخف غير مفهوم.إذ ليس مما يجوز فى الفهم أن يشهر رجل فرد سيفه ليقتل به الناس، أو يستجيبوا لدعوته، فإذا آمن به من يقدرون على خصومهم فقد آمنوا به طائعين مصدقين، وتعرضوا للحرب من أعدائهم قبل أن يقدروا عليها» [3] والواقع، والثابت تاريخيا أن المسلمين لم يعمدوا قط:«إلى القوة إلا لمحاربة القوة التى تصدهم عن الاقناع، فإذا رصدت لهم الدولة القوية جنودها حاربوها، لأن القوة لا تحارب بالحجة والبينة، وإذا كفوا عنهم لم يتعرضوا لها بسوء.لذلك سالموا الحبشة ولم يحاربوها، ولذلك حاربوا الفرس لأن كسرى أرسل إلى عامله فى اليمن بتأديب النبى أو ضرب عنقه، وإرسال رأسه إليه، وحاربوا الروم، لأنهم أرسلوا طلائعهم

(١) الشيخ محمد الغزالى:الإسلام والاستبداد السياسى ص ١٠٢،١٠٣ .
(٢) نقلا عن السيد أمير على:روح الدين الإسلامى ص ٩٥ .
(٣) نقلا عن عباس العقاد:حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص ٢٢٧ .

إلى تبوك فبادرهم النبي ﷺ بتجريد السرية المشهورة إلى تخوم الحجاز الشمالية، وعادت السرية بغير قتال حين وجدت في تبوك أن الروم لا يتأهبون للزحف على بلاد العرب ذلك العام»[(١)].

**المبحث الخامس: موقف المسلمين من المخالفين لهم في العقيدة:**

يلاحظ أن المسلمين «لم يتعرضوا قط لعقائد أي دين من الأديان، ولم يضطهدوا أهله، ولم ينشروا محاكم تفتيش، ولم يخترعوا معاصر للتعذيب، ولا محارق لإعدام من خالفهم في الرأي، أو خنق الضمير الإنساني أو إبادة أهل البدع والضلال، ولا يستطيع أي باحث له إلمام كاف بالتاريخ أن ينكر أن كنيسة المسيح حين ادعت لنفسها العصمة الكاملة سفكت من دماء الأبرياء مالم يسفكه أي دين آخر ظهر على وجه الأرض... إن الامبراطور شارل الخامس قرر سنة إحدى وعشرين وخمسمائة وألف إعدام جميع الهراطقة وكان الاحراق بالنار وشنق الرقاب وانتزاع الألسنة، واعتصارها هي العقوبات المعتادة التي تنزل بكل من رفض اتباع المذهب الكاثوليكي...»[(٢)].

**أما عالم الإسلام:** فإنه يبسط ظل حمايته ورعايته على اليهود، والنساطرة الذين اضطهدتهم المسيحية الأولى بعنف وقسوة على السواء ـ لأنهم أبناء القوم الذين صلبوا إلههم المتجسد بزعمهم ـ ورفضوا أن يؤلهوا مريم العذراء، وكان ملوك المسلمين يشملون رعاياهم غير المسلمين بكل رعاية وتسامح في حين كانت أوربا المسيحية تحرق الساحرات والهراطقة، وتذبح اليهود والكفار»[(٣)].

**ثمرة الخلاف الديني في المسيحية والإسلام:** «كان الخلاف في الدين يعد في المسيحية إثما!!

أما في الإسلام فيعد أمرا عارضا وفي ذلك يقول ايركهارت: «كان اختلاف الدين في العالم المسيحي مسوغا للحرب في واقع الأمر ولم يكن هذا مقصورا على العصور المظلمة ولا

---

(١) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص ٢٢٨، وانظر صـ٢٢٩ ـ ٢٥٥ من نفس المرجع، وانظر للعقاد أيضا: ما يقال عن الإسلام ص ١٢٩ ـ ١٣٢ فصل الجهاد في الدين الإسلامي، والإشارة هنا إلى غزوة تبوك.

(٢) السيد أمير على، روح الإسلام ص ٩٥، وراجع: د/ توفيق الطويل: قصة الاضطهاد في المسيحية والإسلام. صـ٣٢ وما بعدها.

(٣) السيد أمير على: روح الإسلام ص ٩٦ .

على المتعصبين»[١].

**هل المسلمون هم الذين علموا المسيحيين الحرب؟!** «وهل ثمت شيء يمزق نياط القلوب أكثر من الإبادة الجماعية لقبائل الهنود الحمر البريئة التى ارتكبت باسم المسيحية، وزعموا أن المسلمين بثوا روحا حربية فى نفوس المسيحيين خلال القرون الوسطى، وغاب عنهم أن المذابح التى اقترفها الامبراطور «جستنيان»، والحروب المروعة التى شنها «كلوفيس» ملك الفرنجة باسم المسيحية حدثت كلها قبل ظهور محمد ﷺ بزمن طويل»[٢].

**ماذا حدث في بيت المقدس لما فتحه المسلمون، ثم لما استولى عليه الصليبيون؟!** لما فتح الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيت المقدس سنة سبع وثلاثين وستمائة ميلادية دخل المدينة مع البطريق صفرنيوس وهما يتحدثان عن آثارها. ولما حان وقت الصلاة امتنع الخليفة عن الصلاة فى كنيسة القيامة التى اتفق وجوده فى فنائها وقت الصلاة فصلى على مدخلها، وقال للبطريق فى ذلك: لو صليت فى فنائها لنقض المسلمون العهد فى المستقبل بحجة الاقتداء بى فى الصلاة، ولما استولى الصليبيون على بيت المقدس عمدوا إلى تحطيم رؤوس الصبيان على الجدران، وإلقاء الأطفال الرضع من أسوار المعاقل والحصون، وشيّ الرجال على النار، وبقر البطون ليروا هل ابتلع أهلها الذهب.

أما اليهود فقد ساقوهم إلى المعبد وأحرقوهم، وحدثت، مذبحة قتل فيها ما يقرب من سبعين ألف نسمة وشوهد القاصد الرسولى البابا وهو يشارك فى هذا الانتصار!![٣].

**مؤلف عربي يرمي الفاتحين بما ليس فيهم:** يظهر أن بين الناقمين على الإسلام شبه توافق، إذ بينا نرى الغربيين يطعنون فى الإسلام إذ بمؤلف عربى ينضم إلى ذلك الركب الناقم فيدلى هو الآخر بدلوه فيرمى جهاد المسلمين بأن العامل الاقتصادى من ورائه فيقول: «إن وراءه سبب هام غير الأثرة الدينية، والأخوة، والروح الإسلامية العجيبة التى دوخت الدول وفتحت الأمصار إلى ما وراء تخوم البادية القفراء إلى مواطن الخصب فى بلدان الشمال... كان

---

(١) المصدر السابق ص ٩٧ .

(٢) نفس المصدر السابق. وجستنيان سبقت ترجمة صـ هامش، أما كلوفيس فهو أول ملوك فرنسا ٤٨١ – ٥١١ من قبيلة الجرمانية كان وثنيا ثم اعتنق المسيحية انظر المنجد قسم الأعلام.

(٣) نقلا عن نفس المصدر ص ٩٧، ٩٨ .

الدافع الذى حبب لهم القتال»[١] ونقول:لماذا لم يخرجوا للبحث عن القوت منذ سنين مضت قبل مجيء الإسلام؟ طالما أن الذى أخرجهم هو العامل الاقتصادى، لقد اكتفى عرب الجزيرة برحلتين:إحداهما شتاء، والأخرى صيفا، وظلوا على ذلك الحال حتى جاء الإسلام فنفخ فيهم من روحه وأنشأهم خلقا جديداً.

لكن موقف (فيليب حتى*) واضح أن المقصود منه تنقص الجهاد الإسلامى ورمى بواعثه بالسوء، ولسنا نعرف فى تاريخ المذاهب والديانات ملة يترقرق السماح فى روحها، والأدب فى عرضها، والعدل فى معاملة خصومها كما نعرف ذلك فى الإسلام، لكن ماذا ينتظر من رجل لا يفهم إلا أن الفتح الإسلامى غارة لطلب المغانم! إن إتهام الفاتحين بالظلم والنهب مقصود به إظهار الشعوب التى اتصلوا بها وكأنها دخلت الإسلام فرارا من الضغط الاقتصادى!![٢] وهذا أمر بعيد عن روح الجهاد الإسلامى، ودعوته.

**نظرة الإسلام إلى القتال:** إنه«قتال الذين يفتنون المسلم عن دينه ويصدون عن سبيل الله، وهذا هو القتال في سبيل حرية الدعوة إلى الله، وإلى دينه، وبعبارة تتمشى مع أسلوب عصرنا الحاضر:الدفاع عن الرأى بالوسائل التى يقاتل بها أصحاب الرأى.فإذا أراد أحد أن يفتن رجلا عن رأيه بالدعاية وبالمنطق دون أن يحمله على ترك هذا الرأى بالقوة، وبغير..وسائل الرشوة والتعذيب.لم يكن لأحد أن يدفع هذا الرجل إلا بإدحاض حجته وتفنيد منطقه، لكنه إذا حاول بالقوة المسلحة أن يصد صاحب رأى عن رأيه، وجب دفع القوة المسلحة بالقوة المسلحة متى استطاع الإنسان إليها سبيلا»[٣].والحكمة من الجهاد أيضا أن الإسلام لا يشتهى القتال، ولا يريده حبا فيه، ولكنه يفرضه؛ لأن الواقع يحتمه، ولأن الهدف الذى وراءه كبير فالإسلام يواجه البشرية بالمنهج الإلهى فى صورته الأخيرة المستقرة..، وهناك قوى كثيرة فى هذه الأرض لا تحب لهذا المنهج أن يستقر؛ لأنه يسلبها كثيرا من الامتيازات، ..ومن ثم يتعين على حملة

---

(١) فيليب حتى:تاريخ العرب المطول جـ١ ص ١٥٥،١٥٦ .

(*) لبنانى مسيحى اكتسب الجنسية الأمريكية، عمل أستاذا بقسم الدراسات الشرقية بجامعة «برنستون» بأمريكا، وتتضح آراؤه بالعداء الشديد للإسلام والمسلمين، راجع د/محمد عبد الفتاح عليّان:أضواء على الاستشراق، وراجع:حتى:تاريخ العرب ص ١٩٧ .

(٢) انظر:مع الله:دراسات فى الدعوة والدعاة ص ١٥٨،١٦٢ .

(٣) د/محمد حسين هيكل:حياة محمد ﷺ ص ٢٦٤، وراجع:د/محمد شامة بين المسيحية والإسلام.. هامش ص١٤٢،١٤٣ طـ الثانية.

الإيمان وحراس المنهج أن يكونوا أقوياء ليغلبوا عملاء الشر وأعوان الشيطان أقوياء في أخلاقهم، وأقوياء في صد خصومهم أو قتالهم إذا كان القتال هو الأداة الوحيدة لضمان حرية الدعوة.

إن المسلمين يقاتلون في سبيل الله، لا في سبيل ذواتهم، أو عصبيتهم من أى لون، عصبية الجنس، أو عصبية الأرض أو العشيرة..في سبيل الله وحده؛ لتكون كلمة الله هى العليا[١]، والرسول ﷺ يقول:«من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»[٢].

**ذلك بأن كرامة الإنسان تتلخص في كلمة واحدة:(عقيدته)**:«فالعقيدة أثمن عند من يقدر معنى الإنسانية، من المال، ومن الجاه، ومن السلطان، ومن الحياة نفسها، من هذه الحياة المادية التى يشترك الإنسان والحيوان فيها، يأكلون ويشربون وتنمو أجسادهم وتقوى عضلاتهم، والعقيدة هى هذه الصلة المعنوية بين الإنسان والإنسان، والصلة الروحية بين المرء وربه.وهى هذا الخط الذى يمتاز به الإنسان على سائر الحيوان مما فى الحياة، والذى يجعله يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

إذا ملكت هذه العقيدة إنسانا فحاول غيره فتنته عنها ولم يستطع دفاعا عن نفسه فعل ما فعل المسلمون قبل هجرتهم إلى المدينة، فاحتمل المساءة والأذى، وصبر على الهوان والضيم، ولم يصده جوع ولا حرمان أيا كان نوعه عن التمسك بعقيدته..»[٣].

**نظرة اليهودية والنصرانية إلى الحرب**:إذا نظرنا فى العهد القديم الذى يضم عقائد اليهود والنصارى لوجدنا أن اليهودية فرضت على أهلها الحرب حفظا لوجودهم، وللتمكن فى الأرض، والتبسط فى الفتح، وتعاليمها مبنية على القتل العام ومحو سكان البلاد المفتوحة، كما جاء فى الإصحاح الخامس من المزمور:«إذا أدخلك الرب فى أرض لتملكها، وقد أباد أمما كثيرة من قبلك فقاتلهم حتى تفنيهم عن آخرهم، ولا تعطهم عهدا، ولا تأخذك عليهم شفقة أبدا»[٤].

ثم جاءت المسيحية بتحريم الحرب بتاتا لقول المسيح ـ عليه السلام ـ فى إنجيل متى:

---

(١) انظر الظلال صـ ٣٥٥٤ .

(٢) أخرجه الخمسة.

(٣) د/محمد حسين هيكل:حياة محمد ﷺ ص ٢٦٤ ، وراجع د/محمد شامه بين المسيحية والإسلام.. هامش ص ١٤٢، ١٤٣ طـ الثانية.

(٤) مزمور:٥ .

«قد سمعتم أنه قيل: العين بالعين والسن بالسن أما أنا فأقول لكم، لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن، فحوّل له الآخر»(١).

كما يستند أنصار الرأى القائل بتحريم الحرب تحريما مطلقا إلى قول المسيح ـ عليه السلام ـ للقديس بطرس:«أعد سيفك إلى مكانه، لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون» ومن هنا نجد أن المسيحية تحرم الحرب، لكن هناك نصا صريحا يقول:«لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض ما جئت لألقى سلاما بل سيفا»(٢).

واقرأ هذه النصوص، ثم احكم هل المسيحية المتمثلة فى الكنيسة دين سلام، والإسلام دين حرب أم العكس هو الصحيح؟ قال المسيح ـ عليه السلام ـ:«لا تظنوا أنى جئت أنشر السلام على الأرض إننى لم آت أحمل السلام، وإنما السيف»(٣).

ويقول أيضا:«إننى جئت لألقى النار على الأرض، وماذا أريد من ذلك إلا اشعالها»(٤).

ويقول أيضا:«إذ أنى جئت لأفرق بين الولد وأبيه، والبنت وأمها، وبين زوجة الابن وأمه»(٥).

ويقول أيضا:«إن كان أحد يأتى ولا يبغض أباه وأمه، وامرأته، وأولاده، وإخوته وأخواته، حتى نفسه أيضا، فلا يقدر أن يكون لى تلميذا»(٦).

فأين هذا مما جاء به محمد ﷺ نبى الإنسانية؟ من سلام حقيقى كامل بين الأخ وأخيه وبين الزوجة وزوجها، وبين الأب وولده، وبين الأم وفلذة كبدها وبين الجار وجاره مسلما كان أو غير مسلم، وبين الأرحام والأقارب، وبين المشتركين فى الإنسانية الذين يتوفر لديهم مدلول الإنسانية فى بنى الإنسان (٧). والنصوص خير شاهد، فيما عبرت به عن نفسها.

**شروط رجال الكنيسة لقيام الحرب:** بذل رجال الكنيسة جهودهم فى سبيل التوفيق بين نص الإنجيل، وضرورات الدولة، فخرجوا بالتفريق بين الحرب المباحة والحرب الممنوعة، وأثاروا البحث فى ماهية الحرب العادلة فحددوها بأن يعلنها الأمير وأن تكون عادلة، واشترطوا فيمن يعلنها أن يكون سليم النية صادقا، بلا طمع، ولا وحشية، ولقد اضطرت

(١) متى ٥:٣٩ .
(٢،٣) متى ١٠:٣٤ .
(٤) لوقا ١٢:٣٩ .
(٥) متى ١٠:٣٥ .
(٦) لوقا ١٤:٢٦ .ففى هذه النصوص تعارض ظاهر، أيها حق، وأيها باطل؟ وأيها يعمل بها، وأيها يترك؟.
(٧) نقلا عن قذائف الحق للشيخ محمد الغزالى ص ٤٧ .

المسيحية فى القرن الرابع الميلادى أى بعد أن أصبح لها دولة بقيادة الامبراطور (قسطنطين) الرومانى أن تستأصل شأفة الوثنية من المملكة الرومانية بالحديد والنار. فهل يريد الطاعنون فى الإسلام أن يحرم الحرب مع أن الأديان قبله لجأت إلى الحرب بعد أن أعيتها الحيل فى القيام بدونها؟ وهل يريدون أن يحرمها أتباعه، ثم متى اضطرتهم الحياة لجأوا إليها غير آبهين كما حدث لأهل الأديان الأخرى» ؟[1].

ومن ثم يقول المبشرون: إن روح المسيحية تنكر القتال على إطلاقه، ولست أبحث عن صحة هذا القول فإن «تاريخ المسيحية أمامنا شاهد عدل، وتاريخ الإسلام أمامنا شاهد عدل، فمنذ فجر المسيحية إلى يومنا هذا خضبت أقطار الأرض بالدماء باسم السيد المسيح، خضبها الروم، وخضبتها أمم أوربا كلها، والحروب الصليبية إنما أذكى لهيبها المسيحيون لا المسلمون.

ولقد ظلت الجيوش باسم الصليب تنحدر من أوربا خلال السنين قاصدة أقطار الشرق الإسلامية، تقاتل وتحارب، وتريق الدماء، وفى كل مرة كان البابوات خلفاء المسيح يباركون هذه الجيوش الزاحفة للإستيلاء على بيت المقدس، وعلى الأماكن النصرانية المقدسة. أفكان هؤلاء البابوات جميعا هراطقة، وكانت مسيحيتهم زائفة؟ أم كانوا أدعياء جهالا لا يعرفون أن المسيحية تنكر القتال على إطلاقه؟ أم يقولون: تلك كانت العصور الوسطى عصور الظلام فلا يحتج بها؟ إن يكن ذلك بعض ما قد يقولون فإن... القرن... الذى نعيش فيه والذى يسمونه عصر الحضارة الإنسانية العليا، قد رأى ما رأت تلك العصور الوسطى المظلمة. فقد وقف اللورد اللنبى ممثل الحفاء: انكلترا، وفرنسا، وايطاليا، ورومانيا وأمريكا يقول فى بيت المقدس فى سنة ١٩١٨، حين استيلائه عليه فى أخريات الحرب العالمية الأولى. «اليوم انتهت الحروب الصليبية»[2].

**تهذيب فكرة الحرب في الإسلام:** وهذه أربع وأربعمائة وألف سنة «قد انقضت منذ هجرة النبى العربى من مكة إلى يثرب، والناس فى مختلف العصور يزدادون فى القتال افتنانا وفى صنع آلاته الجهنمية المدمرة دقة وإتقانا...

والإسلام ليس دين وَهْم وخيال، ولا هو دين يقف عند دعوة الفرد وحده إلى الكمال، إنما الإسلام دين الفطرة التى فطر الناس عليها أفرادا وجماعات، وهو دين الحق والنظام، وما

---

(١) عفيف طبارة: روح الدين الإسلامى ٣٩٠، ٣٩١ .

(٢) دكتور هيكل: حياة محمد ﷺ ص ٢٦٤ – ٢٦٦ .

دامت الحرب فى فطرة الناس، فتهذبت فكرتها فى النفوس، وحصرها فى أدق الحدود الإنسانية هو غاية ما تحتمل فطرة البشر، وما يحقق للإنسانية اتصال تطورها فى سبيل الخير والكمال.

وخير تهذيب لفكرة الحرب ألا تكون إلا للدفاع عن النفس وعن العقيدة، وعن حرية الرأي والدعوة إليه، وأن ترعى فيها الحرمات الإنسانية تمام الرعاية، وهذا ما قرره الإسلام»[١].

**المبحث السادس:هدف المسلمين من جهادهم:** ذكر صاحب دولة باكستان سبب انطلاق المسلمين لا بحثا عن مغنم ولا جلبا لقوت حتى «ولا عن وطن يستطيع المسلم أن ينطلق من قيود المستغلين وحسب بل هي وليدة السعي إلى إقامة بلاد تسود فيها آداب الإسلام وتمنع فيها ظلم الأغنياء للفقراء، ويتبع فيها الولاة وصايا العدل الاجتماعي التي يتعلمونها من سماحة الشريعة» [٢] ثم يقول عن تقاليد الإسلام.

«إن هذه التقاليد تشمل مبادىء المساواة بين الأرواح الإنسانية أمام الله، وتقرر أواصر الأخوة العالمية بين جميع المؤمنين بغير نظر إلى العنصر أو اللون، كما تقرر فريضة الدفاع عن الضعيف وحمايته ممن يجورون عليه، وإغاثة المعوزين والمحرومين، وبذل الحياة نفسها فى سبيل الصراط المستقيم..ومعاملتهم..من ثم..للبلاد الأخرى لا تجعلهم حريصين على الغلو فى إثبات وجودهم والتصلب فى إملاء تقاليدهم الحرفية أو الوقوف موقف الاحجام والاعتذار «كما يقول كان هدفهم أنهم:«تطلعوا إلى سياسة تسود فيها آداب العقيدة الإسلامية، وتقوم على العدل الاجتماعى والحكم السمح الرفيق،وتستجيب لحاجات الشعب وضروراته، وتحمى الفقير من قسوة المستغلين وتتكفل بإقرار قواعد الحكم كما تعين على التقدم الاقتصادى..وإن يكن من الحق أن شعور الجماهير من هذه الوجهة غلبت عليه البواعث الدينية من الناحية الاجتماعية أوفر من ناحيتها المذهبية»[٣].

**حركة الفتوح الإسلامية وراء انتشار الدعوة:** التأم شمل العرب بالإسلام بعد الإجراءات التى نفذها رسول الله ﷺ والتى كان منها:

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وإهدار الدماء التى وقعت فى الجاهلية، ونفى العصبية،

---

(١) المصدر السابق ص ٢٦٦، ٢٦٧ .

(٢) البروفيسور شيروك وليامرز:دولة الباكستان.نقلا عن:عباس العقاد:ما يقال عن الإسلام ص ١٣١، ١٣٢ .

(٣) نقلا عن المصدر نفسه.

وإنكار الدعوة إليها، وتصفية أحقاد الجاهلية، وجمع العرب على كلمة سواء، وتربيتهم على طاعة الله، تربية خالطت شغاف قلوبهم فأصابت منهم الحب الصادق والعزيمة القوية، حتى إذا دعا داع الجهاد إلى الله لبوا غير هيابين ولا وجلين.خرجوا وهم على قلب رجل واحد، وتحت راية واحدة هي راية التوحيد، خرجوا بعد أن أصبحت العقيدة تقوم عندهم «مقام الدم، والمساواة مقام التفاخر، والتقوى مكان النسب، ووحدة الكلمة والاتفاق مكان التشتت والافتراق.

ومن هنا لم تكن حركة الفتوح خيرا من حيث انتشار الدعوة فحسب، ولكنها كانت خيرا كذلك من حيث أنها كانت أسلوبا للمزج بين القبائل واختلاطها، وتحطيم ما كان فى الجاهلية من حواجز تحوطها وتجعل منها هذه الجماعة المغلقة، وكانت كذلك سبيلا إلى التآخى بين أفراد المجتمع الجديد لا فى العقيدة فحسب، بل فى مواجهة الحياة، واعتصار القوى فى سبيل الدعوة والمشاركة فى البذل والتضحية، فالجماعة الجديدة لا تشدها مثلها العليا فحسب، إنما يشدها الكفاح المشترك من أجل هذه المثل وانتشارها»[١].

**نعمة الإسلام على العرب:** لقد كان من أجل النعم التى أسداها الإسلام للعرب أن ألّف بين قلوبهم:«وذلك لأن الملك إنما يحصل بالتغلب والتغلب إنما يكون بالعصبية، واتفاق الأهواء على المطالبة وجمع القلوب وتأليفها إنما يكون بمعونة من الله فى إقامة دينه.

قال تعالى:﴿ وَلَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾[٢] وسره أن القلوب إذا تداعت إلى أهواء الباطل، والميل إلى الدنيا حصل التنافس، وفشا الخلاف، وإذا انصرفت إلى الحق ورفضت الدنيا والباطل، وأقبلت على الله اتحدت وجهتها فذهب التنافس وقل الخلاف وحسن التعاون والتعاضد، واتسع نطاق الكلمة لذلك فعظمت الدولة...»[٣].

كما يلاحظ فضائل الإسلام على العرب إذ من الثابت:«أن فضل الإسلام على العرب كفضل الضياء، والماء على الزرع، لا أقول أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف، بل أقول:أوجدهم من عدم، وجعل لاسمهم حقيقة، وأقام بهم دولة وأنشأ حضارة..وارتبطت مكانة العرب الذاتية والعالمية بهذا الدين، فهم يتقهقرون إذا تخلوا عنه، ويستباح حماهم ، وهم

(١) دكتور شكرى فيصل:المجتمعات الإسلامية فى القرن الأول الهجرى ص ٣١ .
(٢) سورة الأنفال:آية ٦٣ .
(٣) ابن خلدون:المقدمة الفصل الرابع ص ١٥٧ طـ المكتبة التجارية .مصر.

يرتقون إذا تشبثوا به، وتحترم حقوقهم» [١].

**العقيدة تصوغ العرب من جديد في صف واحد:** وهكذا كـان وضع دولة الإسلام في قرونها الأولى فتية قوية بعقيدتها.

«لقد بدأت الجزيرة منذ أن انتفضت منطلقة وراء حدودها كأنما أضحت أمة واحدة أنسيت كل ماكان من خلافاتها، وغفلت عن كل ماكانٌ من عصبياتها، وأهدرت ما بينها من فروق النسب والدم، والتقت في ظلال من الإخاء على دعوة واحدة تدعو إليها وتخرج من أجلها لم يعد يلمح المتتبع لنشأة حركة الفتح وسيرها هذه الجماعات الكثيرة التي كانت في الجاهلية، وإنما يرى جماعة واحدة، تملأ عقيدتها ما كان بينها من فراغ [٢]، وتتيح لها غاياتها التي ملأت عليها نفسها أن تنسكب وفق النظام الجديد في مجتمع جديد وصفوف جديدة».

خرجت هذه الجموع المؤمنة لتفتح قطرا بعد قطر، وميدانا بعد ميدان:«فهي لا تكاد تلامس الشام في مؤته حتى تتجه إلى العراق، فإذا انتشرت في العراق العربي عادت إلى الشام تجوز سهوله وحزونه، وتضرب في شماله وجنوبه، حتى إذا وجدت أنها استوفت حد الجزيرة الرابع الذي تضفره أنهار الهلال الخصيب في الشمال الشرقي والشمال الغربي، وأنها ضربت فيما وراء ذلك اندفعت وراء هدف آخر لما في نفسها من حق الدعوة من نحو، ولما في حركتها، وقد أصبحت حركة امتداد عريضة من اتجاه وتطلع» [٣].

**سيطرة العقيدة على العصبية:** لقد كان العامل الديني سببا في ازدياد الدولة في أصلها قوة على قوة العصبية التي كانت لها مكانة في نفوس العرب والسبب في ذلك « ..أن الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذي في أهل العصبية، وتفرد الوجهة إلى الحق فإذا حصل لهم الاستبصار في أمرهم لم يقف لهم شيء، لأن الوجهة واحدة والمطلوب متساو عندهم، وهم مستميتون عليه، وأهل الدولة التي هم طالبوها، وإن كانوا أضعافهم، فأغراضهم متباينة بالباطل، وتخاذلهم لتقية الموت حاصل فلا يقاومونهم، وإن كانوا أكثر منهم بل يغلبون عليهم ويعاجلهم الفناء بما فيهم من الترف والذل..كما وقع للعرب صدر الإسلام في

---

(١) الشيخ محمد الغزالي :قذائف الحق ص ١٥٥ .

(٢) المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجري ص ٣١،٣٢ .

(٣) دكتور شكري فيصل:حركة الفتح في القرن الأول ص ٧٨ طـ دار الكتاب العربي ١٣٧١هـ ١٩٥٢م.

الفتوحات فكانت جيوش المسلمين بالقادسية، واليرموك بضعة وثلاثين ألفا فى كل معسكر وجموع فارس مائة وعشرين ألفا بالقادسية وجموع هرقل..أربعمائة ألف، فلم يقف للعرب أحد من الجانبين وهزموهم وغلبوهم على ما بأيديهم» !!(١).

**فائدة الاختلاط بين جنود المسلمين في الفتوح:** كان من اللازم عند خروج المسلمين للفتح من الأمور الآتية:

الاختلاط فى السكنى، وفى التزاوج، وفى الخروج للفتوح، ثم سياستهم فى البلدان المفتوحة:

**أما اختلاطهم في السكني:** فنجد أن هذا الأمر ظهر جليا بعد حروب الردة التى كان من نتائجها توحيد صفوف المسلمين إذ كان لزاما عليهم الاختلاط فى مجتمع جديد لا تحول القبلية بينه وبين هذه المشاركة فقد انتفت القبلية، وأضحت مكانها أخوة العقيدة وصلة الدين»(٢).

وفى هذا يقول الطبرى: «إن العلاء بن الحضرمى قائد الجيوش التى خرجت تحارب المرتدين فى البحرين «أقفل الناس» بعد انتصاره فرجع إلا من أحب المقام»(٣).

**أما الاختلاط في التزاوج:** فهو أيضا من نتائج حروب الردة إذ كانت السبب فى «حركة تزواج، وتواصل عريضة، بين جيوش الخلافة، وبين مناطق الارتداد..وحمل كثير من السبى الذى أتاحه الحرب فنقل إلى المدينة..و..إن المدينة قد تخيرت من هذا السبى، وتزوجت منه، واستولدته ونشأ عن هذا الزواج جيل جديد، حتى إذا استقامت الجزيرة كلها لنظام الخلافة»(٣) قال عمر: «إنه ليقبح بالعرب أن يملك بعضهم بعضا، وقد وسع الله وفتح الأعاجم، واستشار فى فداء سبايا العرب فى الجاهلية والإسلام إلا امرأة ولدت لسيدها، وجعل فداء كل إنسان سبعة أبعرة إلا حنيفة وكندة»(٤).

**الاختلاط في الخروج للفتوح:** هل كانوا يخرجون فى شكل قبلى؟ أو تجمع عسكرى لا عبرة للقبائل فيه؟ وهل كان لزاما أم بالاختيار؟ مما يقرب إلى هذه الأسئلة فى

---

(١) ابن خلدون: المقدمة ص ١٥٩ .
(٢) انظر المجتمعات الإسلامية فى القرن الأول ص ٣٢ .
(٣) تاريخ الطبرى جـ١ ص ٤ طـ ١٩٧٤ .
(٤) راجع الطبرى ١ / ٤ / ٢٠١٢، وانظر شكرى فيصل المجتمعات الإسلامية ص ٣٣ .

إجاباتها أن الظاهر فى خروج العرب من جزيرتهم لم يكن قط قبلى الصورة بمعنى أنه لم يكن الانتداب للحرب يتخذ شكلا قبليا، ولكن الذى كان يحدث فى خلال الفتوح أن يبعث الخليفة إلى المدن والقبائل يستنصرها ويرغبها فى الجهاد، فكانت تتوافد عليه الجموع من هنا وهناك فيصرفها فى الوجهة التى يرى، ويمد بها الجنود الذين يحتاجون للمدد، وفق ما يصله من رؤساء الجيوش وما يكتب به إليه القواد...»[١].

وفى الطبرى أن «أمير المؤمنين كان إذا اجتمع إليه جيش من أهل الإيمان أمّر عليهم رجلا من أهل العلم والفقه، فاجتمع إليه جيش فبعث عليهم سلمة» [٢].

لم يخرج العرب إذن إلى الفتوح فى نطاق القبيلة، ولم تكن الراية التى تلمهم تعتمد هذا الطابع القبلى، وإنما كانوا يخرجون مؤمنين يحاربون إذا لم يسعهم إلا الحرب، وينشرون الدعوة إذا استطاعوا الاقناع فى الدعوة، وحين كانت كثرة من جيش تنتهى إلى قبيلة واحدة فإن ذلك كان يؤدى بما فطر عليه الناس إلى انحياز أفراد هذه القبيلة بعضهم إلى بعض...[٣]

**الاختلاط خلال الفتوح:** كان من الطبيعى، والحالة هذه أن يكون للفتوح أثرها فى عملية مزج القبائل وصهرها..ومحاولة تنمية طوابع جديدة تتميز بها ذلك أن الأعمال التى كانت تقوم بها الجيوش كانت تقتضى بطبيعة الحال تعاونا جماعيا لا يعتمد على روح القبيلة الفردى، ويبدو أن الجيوش الفاتحة بكل ما كانت تتضمن من خليط القبائل كانت تؤلف وحدات اجتماعية جديدة تتعاون وتتزاوج، وتختلط فيها الدماء والأنساب وتكون لها روحها التى تعبر عنها، وتتمثلها..ويكون لذلك كله أثره الأخير فى المباعدة بين الانطلاق العربى وبين الطابع القبلى والسمو بالروح الفاتحة من نطاق القبيلة إلى نطاق الأمة، ومن حياة المرعى إلى حياة المدينة..[٤].

ورواية الطبرى تقول؟ إن المحاربين كانوا يخرجون ومعهم نساؤهم، وأنه لم يكن من قبائل العرب أحد أكثر امرأة يوم القادسية من بجيلة والنخع كان فى النخع سبعمائة وفى

(١) انظر شكرى فيصل :المجتمعات الإسلامية صـ ٣٥ .
(٢) الطبرى ١ / ٥ / ٢٧١٤ .
(٣) انظر المجتمعات الإسلامية ص ٣٥ .
(٤) المصدر السابق ص ٣٦ بتصرف.

بجيلة ألف، وأن هؤلاء صاهروا أحياء العرب، وأن المهاجرين تزوجوهن حتى استوعبوهن، وأن النخع وبجيلة كانت تسمى لذلك أصهار العرب، أو أختان المهاجرين [١].

وهكذا تتضح صورة الفاتحين وكيف جمعت الفتوح بينهم فى تكون أمة الإسلام، بعد أن ألف الله بين قلوبهم.

**الاختلاط في المدن المفتوحة، والتي استقروا فيها:-**

كان من أثر الاختلاط فى الخروج للفتوح، وأثنائها مما أدى إلى نوع من الاختلاط أعمق مدى وأبعد أثرا حين تستقر هذه الجيوش، أو حين تأخذ حظها من الراحة فى المعسكرات، أو المدن، فترى أن الروح القبلية تتضاءل شيئا فشيئا حتى نرى من المهاجرين من يستقر فى المدن المفتوحة فهذا سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه يكتب إلى عمر لما نزل الكوفة كما يقول الطبرى: «أنه خير المسلمين بالمدائن فمن أعجبه المقام تركه كالمسلحة فبقى أقوام من الأفناء، وأكثرهم بنو عبس» [٢].

حتى أن عمر رضي الله عنه «فرض العطاء لأهل الفىء الذين أفاء الله عليهم وهم أهل المدائن فصاروا بعد إلى الكوفة انتقلوا عن المدائن إلى الكوفة، والبصرة، ودمشق، وحمص، والأردن وفلسطين ومصر» [٣].

فنحن إذن أمام حركة هجرة عريضة بعيدة الآماد لا تتكىء إلى القبيلة التى كانت تُعرف بها، ولكنها تتخذ من حياة الإسلام ونظمه ومن آثار الفتح وامتداده، ومن حياة الجماعة الجديدة معالمها التى تحب أن تعرف بها...فقد أصر الرسول ﷺ على أن ليس منا من دعا إلى عصبية، وكانت دعوته لونا من الإخاء بين العرب من قبل وبين الناس جميعا من بعد...وليس أدل على مدى الاختلاط من أن نقرأ أسماء القبائل والجماعات التى نزلت الكوفة، ثم التى نزلت مصر فيما بعد [٤].

وقد ذكر الطبرى من هذه القبائل: «سليم، ثقيف، همدان، بجيلة، تيم اللات، تغلب،

(١) تاريخ الطبرى ١ / ٥ / ٢٣٦٣ ـ ٦٤ .
(٢) الطبرى ١ / ٥ / ٤٤٨٧ / ٨٨، وانظر المجتمعات الإسلامية ص ٣٦ .
(٣) الطبرى ١ / ٥ / ٢٤١٤ .
(٤) انظر المجتمعات الإسلامية..ص ٣٧ .

أسد، النخع، كندة، الأزد، الانصار، مزينة، تميم، محارب، عامر، جديلة، جهينة» (١).

عندئذ التقت قبائل الشمال، بقبائل الجنوب، قبائل من ربيعة، وقبائل من مصر (*)، من الحجاز، ومن نجد، فلم يكن هناك تفرد، أو تميز، إنما كانت هناك عملية دمج تمضى فى طريقها شيئا فشيئا...ومن ثم نجد الصورة المادية من الاختلاط :فى السكن، أو فى التزاوج، فى الخروج للفتوح كما رأيناها فى المراحل الأولى لحروب الردة، أو فى الفتوحات الخارجية، وقد تولد ـ بدون شك ـ من هذا التقارب مادة لغوية جمعت القبائل على لغة واحدة، أو كالواحدة، تشابها وتقاربا، بعد أن جمعهم الدين فى وحدة مترابطة، متماسكة، وأشربت قلوبهم حب الدعوة وتبليغها (٢).

**سياسة المسلمين الحكيمة في البلاد التي فتحوها:** كان المسلمون على علم بأحوال البلدان التى كانوا يفتحونها، وما كان يعانيه أهلها، من حكم استبدادى إلى اضطهاد عقدى، إلى احتكار فى الرئاسة والحكم، إلى استغلال لمواردها الاقتصادية، ومن ثم فقد عملوا من جانبهم على نهج سياسة ترد إلى هؤلاء، وأولئك حقوقهم وكرامتهم وإنسانيتهم..كما حدث فى مصر فقد أدرك المسلمون منذ وطئت أقدامهم الأراضى الجديدة، أن أمان الناس على أنفسهم وأموالهم أول ما يجب أن يشيع فى نفوس السكان، وأن يملأ عليهم آفاقهم، فلا يعيشون فى وجه الخوف أن تجتاح أموالهم، أو على موجة القلق أن تنتزع أرواحهم، ولا ينقلبون إلى أرضهم إذا أصبحوا أو إلى بيتهم إذا أمسوا قلقين مضطرين فتحريرهم من هذا الخوف، وإنقاذهم من هذا القلق يأتى فى مقدمة ما تهدف إليه رسالة الإسلام، ودعوته حتى يؤوب إليهم أمنهم، وتشوب إليهم طمأنينتهم، وحتى يعيشوا فى أجواء سالمة لا يفسدها الرعب، وحين تتوافر لهم هذه الأجواء، فإنما تتوافر لهم الثقة بأصحاب الدعوة، والإعجاب بما يؤمنون به، وقد يكون الإعجاب طريقا للمشاركة والوحدة (٣).وهذا ما حدث من المسلمين فى مصر.

ومن أجل هذا كان أول ما كان فى كتب الصلح المختلفة أن يعطى القائد أو الخليفة

---

(١) الطبرى:١ / ٢٤٨٩٥ .

(*) كما سيأتى مزيد بيان.كانت صحراء مصر الشرقية تسكنها بعض قبائل العرب كما كانت هناك قبائل يسكنون سيناء، وآخرون يسكنون مصر العليا حتى قيل:إن قفط نصف سكانها من العرب.

(٢) المجتمعات الإسلامية ص ٣٧، ٣٨ بتصرف.

(٣) انظر المجتمعات الإسلامية ص ٦٠ .

للسكان الأمان على أنفسهم وأموالهم...وبذلك استطاع هؤلاء السكان أن يتنفسوا في جو حر، فليس للمسلمين من غرض فيهم، في أنفسهم، ولا في أموالهم لن يجندوهم، ولن يتخذوا منهم الأسرى، ولن يحتازوا أموالهم..إن لهم ما تتيح الإنسانية للناس من..الأمان في كل شئونهم، كانت الأنفس والأموال إذن في عرف المسلمين آمنة..الأموال كلها مدنية تتصل بالأرض والمنازل، ودينية تتصل بالكنائس والصلبان، والأنفس كلها سقيمها وبريؤها وسائر ملتها، فلهذه الأنفس جميعا مكانها في مجتمع المسلمين الجديد لا يضطهد ضعيفها، ولا يهمل مريضها ولا تنسى فيه حقوق، ولاوجاء ثبت كل هذا في عهد عمر رضي الله عنه لأهل بيت المقدس، وعهد عمرو لأهل مصر [١].

وكما جاء في الطبري: «أعطاهم أمانا لأنفسهم، وأموالهم، ولكنائسهم، وصلبانهم وسقيمها وبريئها، وسائر ملتها» [٢].

لم يقتصر الأمان أهل البلاد فقط، وإنما شمل حتى المحاربين للإسلام والمسلمين من الروم.

**موقف المسلمين من الروم المحاربين لهم في مصر:** لم تتسع سماحة المسلمين لأهل البلاد المفتوحة فحسب بل شملت الروم المحاربين لهم أيضا، الذين كانوا يصدون الناس عن دعوة الإسلام، فلم يكن من أهداف المسلمين معادات الروم، لأن غرضهم الأول أن يتألفوهم في دعوتهم، وأن يضموهم إلى عقيدتهم..إن كل ما فعله المسلمون مع الرومان المحاربين أنهم ألجموا فيهم قواهم المستعمرة الطاغية، وردوهم إلى الإيمان بكرامة الإنسان ومساواته، أعني أنهم حققوا معاني التحرير التي جاءوا بها... ولذلك فإنهم لم يخرجوهم من سورية، أو مصر مثلا أسرى مقيدين، ولم يدعوهم أرقاء مستعبدين وإنما تركوا لمن شاء منهم الخروج أن يخرج، يحمل صورة الحرب والسياسة، والخصومات صورة لم يعهدها العالم من قبل في مثل هذا التسامح النادر [٣] حتى جاء في صلح أهل مصر: «ومن دخل في صلحهم من الروم، والنوب فله مثل ما لهم، وعليه مثل ما عليهم، ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه» [٤].

---

(١) المجتمعات الإسلامية ص ٦٠ بتصرف، الطبري ١ / ٥ / ٢٤٠٥ .
(٢) تاريخ الطبري مرجع سابق . (٣) المجتمعات الإسلامية ص ٦٢ بتصرف.
(٤) الطبري جـ٤ ص ١٠٩ من عهد عمرو بن العاص لأهل مصر.كما سيأتي.

لم يكن أمانا كسيحا تغله القيود، وإنما كان أمانا واسع الجوانب، بدا في إطلاق الناس وأموالهم وشئونهم وبدا كذلك في حرية المهاجرة إلى هذه الأرض، أو تلك، أرض الأعداء، وأرض الأصدقاء، وشمل أنواعا من الناس: الروم الطارئين، أو من كان من أم الأرض الزائرين.. كما شمل أهل مصر كلهم، فمن أحب أن يسير بنفسه وماله مع الروم..فإنهم آمنون على أنفسهم..حتى يبلغوا مأمنهم [(١)].

**المبحث السابع وهو: علاقة الجهاد بالبواعث الحقيقة في فتح مصر:** وضح مما سبق كيف كان حرص المسلمين وجهادهم على نشر دين الله في البلدان التي فتحوها وكيف كانت معاملتهم الإنسانية لأهلها، ولما كان أمر الشام، ومصر مشتركا، فقد فكر المسلمون في فتح مصر بعد أن فتحوا الشام، خاصة وقد فر قائد حامية الشام (الأرطبون) إلى مصر، وتحصن بها، مما جعل أمر المسلمين في الشام قلقا، وغير مستتب فكان لزاما على المسلمين، والحالة هذه أن يفتحوها حتى لا يتمكن الروم المتحصنين بها من مهاجمة قوات المسلمين في الشام بين الحين والحين، فصمم المسلمون على فتحها، خاصة وأن هناك بواعث أخرى حقيقية تدعوهم لفتحها.

**منها: أولا: الباعث العقدي:** فقد خرج المسلمون وكلهم أمل ورجاء في نشر دعوة الإسلام كما أمرهم الله ورسوله.في القرآن والسنة: ففي القرآن: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [(٢)].

وفي الحديث: الذي أخرجه الإمام أحمد بسنده عن المقداد بن الأسود قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يبقى على وجه الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخلته كلمة الإسلام يعز عزيزا، ويذل ذليلا، أما الذين يعزهم الله فيجعلهم من أهلها، وأما الذين يذلهم الله فيدينون لها» [(٣)].

وكما ورد عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها.وأن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض،

---

(١) المجتمعات الإسلامية ص ٦٢ بتصرف.

(٢) الأعراف: آية ١٥٨ .راجع فصل عموم الدعوة.

(٣) رواه ابن حبان كما في الزوائد للهيثمي برقم ١٦٣١ وجماعة.، وراجع الأحاديث الصحيحة للألباني (١ / ٧)، وفصل عموم الدعوة، فقد حشدت فيه أدلة كثيرة في هذا المقام .

وإنى سألت ربى ألا يهلك أمتى بسنة عامة، ولا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم.وأن ربى - تعالى - قال:يا محمد، إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإنى أعطيتك لأمتك أنى لا أهلكهم بسنة عامة، ولا أسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم.ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا» (١).

أرأيت هذا الوعد الإلهى القاعد، وما فى ثناياه من وعيد وإنذار، لو اجتمع على هذه الأمة أهل الأرض أجمعين فرموا بنيانها بالزلازل التى تدك الجبال ما استطاعوا اقتحام أسواره، حتى إذا تحركت الأيدى الخائنة بمعاولها - من الداخل - ثم هوت على الحصون السامقة، بدأ الانهيار...وحل العار! (٢).

لقد خرج المسلمون لنشر الإسلام يملؤهم وعد الله بالنصر قوة وعزة، يموج فى صدورهم حماس العقيدة، وكان يسرهم أن تشاركهم الأمم عقيدتهم فكل ما يهم الداعى منهم أن يترك فى أهل البلد التى فتحت من يؤذن ويقيم الصلاة ثم تترك لهم بلادهم، إنه واضح أن ما كان يشغل بال المسلمين هو إقامة دين الله فى الأرض ورفع الظلم عن عباد الله...

**ثانيا:المصير المشترك:** حكم الرومان أهل الشام، ومصر قرونا متطاولة ذاقوا على أيديهم ذل الحياة وخزى المصير، ولم يكتب لهم عز الحياة، وبهجة المصير إلا على أيدى المسلمين فقد فتح الله بيت المقدس على أيدى عمر ﷺ وأعطى لأهلها العهد والأمان، وأن من أحب البقاء فهو آمن، ومن خرج فهو آمن، خرج من خرج منهم وفر من فر إلى مصر، وكان ممن فر أرطبون قائد حامية الشام، ولحق بمصر وأبى أن يدخل فى الصلح.

يقول الطبرى: «لما لحق أرطبون بمصر مَقْدَمَ عمر الجابية، ولحق مَن أحب ممن أبى الصلح، ثم لحق عند صُلح أهل مصر، وغلبهم بالروم فى البحر، وبقى بعد ذلك فكان يكون على صوائف الروم، والتقى هو وصاحب صائفة المسلمين فيختلف هو ورجل من قيس يقال له:ضُريس، فقطع يد القيسى، وقتله القيسى فقال:

| | |
|---|---|
| فإن يَكن أرطبون الروم أفسدها | فإن فيها بحمد الله منتفعا |
| بنانتان وجرموز أقيم به | صدر القناة إذا ما آنوا فزعا |

(١) رواه أبو داود وشرحه بذل المجهود جـ٥ ص ٩٢، وسنن الترمذى جـ٢ ص ٢٧، ومسلم فى مختصره للمنذرى جـ٢ ص ٢٩١ .

(٢) الشيخ محمد الغزالى:الإسلام والاستبداد السياسى ص ١٩٩ .

وإن يكن أرطبون الروم قطعها فقد تركت بها أوصاله قطعا [(١)]

فكان طبيعيا بعد فرار أرطبون، ومن لحق به من الشام إلى مصر أن يهتم المسلمون بأمرها، بعد أن مكنهم الله من فتح الشام، ومن جنوبه «على وجه الخصوص والتاريخ يعلمنا أن الصلات بين مصر وبين هذه المناطق لا تعرف الانقطاع، وأنه لا تكاد تقوم دولة قوية هنا أو هناك حتى تبادر فتنشر ظلالها، وتبسط سلطانها على القطر الآخر..فثمة دائما هذا التجاوب بين هاتين الشقتين من الأرض، بل إن تاريخ هذا الجانب كله من البحر الأبيض المتوسط يوشك أن يكون غرضا لتبادل هذا التأثير وتعاور هذه السيطرة..ومنذ أدهار طويلة سلك الهكسوس، هؤلاء الأسيويين الغرباء صحراء سينا فَمَثَّلوا فى تاريخ الأسرة الخامسة عشرة والسادسة عشرة حتى إذا كانت الأسرة الثامنة عشرة بعد ذلك قوية نضرة، كان أول ما فعلته أنها اتجهت نحو فتح سورية، فلم يجاوز عملها أن يكون تعبيرا عن رد الفعل لحركة الهكسوس، واستطاعت مصر أن تبلغ هذا الفتح، وأن تجعل منه درعها الذى يقيها شر الغزوات الأسيوية مرة أخرى..بل إن تحتمس الأول مضى يسبغ هذه الدروع ضافية الذيل حتى بلغ شاطىء الفرات وجهر أن هذا الشاطىء هو الحد الشرقي لمصر، وسجل ذلك فيما سجل من نقوش جدران معبد الكرنك، وأقام نصبا لذلك على إحدى ضفتى الفرات كأنه الحارس المسلح.

ونستطيع أن نتتبع هذه الصلات التى أظلت مصر والشام فى مراحل التاريخ كلها حتى نصل بها إلى حركة محمد على فى العصر الحديث..» [(٢)].

**فتح المسلمين لمصر كان أمرا لابد منه:** وحسبنا أن نعرف هنا أن اتجاه المسلمين نحو مصر لم يكن بدعا من القول بل كانت أصوله العقدية فى حياة المسلمين وأصوله الواقعية المشتركة، فى المصير تحتمان مثل هذا الأمر ومن ثم فإن أول ما فعله عمرو بن العاص بعد أن فضت المقاومة فى فلسطين باستسلام القدس أن يتحدث إلى الخليفة الثانى ـ عمر ـ هذا الحديث المتطلع نحو الحدود الجنوبية عبر صحراء سيناء [(٣)].

**ثالثا:الصلات بين مصر والبلاد العربية:** بالإضافة إلى ما سبق بيانه من روابط بين مصر وبلاد العرب فإن هناك صلات أخرى..إذ لم تكن بلاد العرب غريبة على المصريين،

(١) تاريخ الطبرى جـ٣ ص ٦١٢ .

(٢) د/ شكرى فيصل:حركة الفتح الإسلامى فى القرن الأول الهجرى:دراسة تمهيدية لنشأة المجتمعات الإسلامية ص ٧٨،٧٩ وانظر د/ هيكل:الفاروق عمر جـ٢ ص ٦٤ .

(٣) حركة الفتح الإسلامى فى القرن الأول..ص ٧٩ بتصرف.

كما لم تكن مصر غريبة أو مجهولة على عرب الحجاز، أو عرب اليمن، كانت هذه الصلات قائمة، ومن الخداع أن نتوهم أن صحراء مصر الشرقية أو البحر الأحمر أحاطا بمصر بهذه العزلة القاسية وحالا بينها وبين جيرانها.فقد كان هناك الجسران العريضان الممهدان اللذان حققا لمصر ولبلاد العرب ألوانا من المشاركة والاتصال:

**أ ـ الجسر البري ممثلا في صحراء سيناء.**

**ب ـ والجسر البحري ممثلا في البحر الأحمر**، والطرق التى تلاقى ما بينه وبين النيل[١].

أ ـ «فأما عن الصلات البرية فقد كان تَقَدّم الهكسوس نحو مصر من قبل، وتمدد المصريين إلى حدود الفرات من بعد تعبيرا عنها، ولكن هل كان هذا اللون من التوسع الحربى أبعد هذه الصلات إيغالا فى الزمن؟ من المؤكد أننا نستطيع الجواب بالنفى وإننا نملك القول بأنه قد سبقه دور سلمى تبادل فيه المصريون والعرب ألوانا من التأثير قبل أن تتفتح فى نفوسهم شهوة الغزو، واشتبكت بينهم وشائق وعلائق ربما كانت التجارة أوضح مظاهرها.ويجب أن لا ننسى بعد أن المصريين تغلغلوا فى سيناء منذ حين يهدفون إلى استغلال مناجم النحاس فيها، وأن سيناء أضحت بعد ذلك المصدر الرئيسى الأول الذى يمد مصر بالنحاس هذا المعدن الذى كان ذا أهمية كبرى لها، وأقدم النقوش التى تدل على علاقة مصر وسيناء فى استثمار مناجم النحاس لتعود إلى الأسرة التاسعة عشرة، وما من شك فى أن البحث عن النحاس فى سيناء يستدعى حتما أشد الصلات وأقواها بالبلاد العربية فسكان سيناء عرب ساميون من نحو، والطرق التي تمتد في سيناء تنتهي دائما في صميم البلاد العربية تنتهى إلى الحجاز فى الشمال، وإلى بلاد اليمن فى الجنوب، وقد كان من مهمة هذه الطرق ونحن نتحدث عن تدفق الموجة الإسلامية في مصر عبر سيناء مرة أخرى كان إدراكنا لهذه الحركة الأخيرة أكثر وضوحا وأقوى تمكنا»[٢].

كذلك يذكر مؤرخو العصور القديمة أن اتصال العرب، والمصريين أدى إلى استقرار عدد غير قليل من العرب ببوادى مصر منذ عهد الفراعنة، وإلى استقرار جالية من المصريين عند واحة على طريق القوافل، وأن هذه الجالية كانت النواة التى نشأت حولها مدينة يثرب.مدينة

(١) انظر المصدر السابق ص ٧٩، ود / هيكل:الفاروق عمر جـ٢ ص ٦٢ .
(٢) حركة الفتح الإسلامى..ص ٨٠ .

الرسول ﷺ [١].

**ب - الصلات البحرية التجارية:** نلاحظ أنه كما ربط طريق سينا البرى بين مصر، وبلاد الحجاز، وخاصة البلاد الشمالية، كذلك ربط البحر الأحمر بين مصر وبين بلاد العرب الجنوبية، وكانت هذه الروابط قائمة على الصلات كما يبدو على صلات سلمية، لا تتجاوز التجارة إلى شيء عداها، فالبضائع التى كانت ترد من آسيا، وتجتاز البحر الأحمر كانت تجد فى النيل تتمة طريقها إلى البحر، وكان النقل النيلى أكثر ازدهارا مما يبدو لنا اليوم، وكان الطريق بين القصير على البحر الأحمر وبين قِفْط حيث يبلغ النيل أقصى انحناءاته إلى الشرق، يزخر بالحركة والنشاط، وينثال فيه جزء كبير من التجارة العالمية البحرية التى تجوز هذه المرحلة من البحر فى يسر واطمئنان، على أن هذه الصلات تتمثل معظمها فى تجارة البخور، إذ من الواضح أن بلاد العرب الجنوبية كانت هى مصدر البخور مدة طويلة..ومن الواضح أن البخور كان مادة أساسية في حياة المصريين حيث الحياة الدينية كانت أشد ما تكون صلة بشعائر الدين، وكانت مراسم الحفلات والأعياد، والعادات فى الجنائز، والتحنيط والطقوس فى الصلوات والمعابد تعتمد عليه اعتمادا كبيرا...[٢]

**أثر العلاقة الوطيدة بين مصر وبلاد العرب:** يقول :«أوليرى» :«إن استعمال البخور فى الشعائر الدينية كان سمة بارزة جدا من سمات الحضارة المصرية حتى أنك لا تجد هذا الاستعمال شائعا فى أى بلد آخر وفى أى زمن من الأزمان إلا ويمكنك أن ترده فى أصله ردّاً مباشرا أو غير مُبَاشر» [٣].

«وإذن فإن لنا أن نقطع بقيام هذه الصلات بين مصر وجنوبى بلاد العرب، وأن نتجاوز ذلك فنصف هذه الصلات بأنها قوية مكينة..ومن يدرى فلعل من وثاقتها أن يكون المصريون، أو أن يكون سكان الرافدين، هم الذين تولوا منشئات الرى فى اليمن، لأن هذه المنشئات تعود بطبيعتها إلى الحضارات فى أحواض الأنهار، ومن يدرى أيضا فلعل من ذلك أن نفسر لم كانت كثرة من القبائل التى استقرت فى عقب الفتح من القبائل العربية الجنوبية»[٤].

(١) د/ هيكل:الفاروق عمر جـ٢ ص ٦٣ .
(٢) حركة الفتح الإسلامى فى القرن الأول ص ٨٠،٨١ ،وانظر الفاروق عمر جـ٢ ص ٦٢،٦٣ .
(٣) حركة الفتح الإسلامى فى القرن الأول ص ٨١ .
(٤) حركة الفتح الإسلامى..ص٨١ .

**استيطان العرب لبعض مدن مصر:** لم يفت بعض المؤرخين أن ينوهوا بهذه الصلات حتى قال سترابون عن مدينة قفط: «إنها مدينة نصف عربية» (١).

**رابعا: صلة الرحم:** لم تقتصر الصلات بين مصر وبلاد العرب على المواصلات البرية والبحرية، واستقرار بعض الجاليات هنا أو هناك، والقوافل التى كانت الصلة المستمرة بين الشعبين، بل إن هناك صلة هامة ربطت بينهما منذ العصور القديمة تلك هى: صلة الرحم، يعرفها على وجه الخصوص أهل مكة:

**صلة العرب بالمصريين قبل ميلاد المسيح - عليه السلام:** وتبدأ هذه الصلة فى أن إسماعيل بن إبراهيم – عليهما الصلاة والسلام – أبو العرب، وهاجر، أم إسماعيل مصرية صميمة، ارتحل إبراهيم – عليه السلام – مع زوجه سارة من العراق إلى فلسطين، ثم إلى مصر، فأهدى إليه ملكها هاجر، فولدت له إسماعيل، وغضبت سارة حين رأت إبراهيم – عليه السلام – يسوى بينها وبين هاجر، فأقسمت ألا تساكنها، فذهب إبراهيم، بهاجر وابنها إلى بلاد العرب، وأنزلها بالوادى الذى تقوم مكة اليوم به.

وتزوج إسماعيل – عليه السلام – فتاة ولودا من جرهم أعقبت له اثنى عشر ولداً هم أبناء العرب المستعربة، فهؤلاء العرب ينتمون من ناحية خؤولتهم فى جرهم إلى العرب أبناء يعرب بن قحطان، وينتمى أبوهم إسماعيل من ناحية خؤلته إلى مصر.

نزل إبراهيم – عليه السلام – مصر، وانتقل بهاجر إلى بلاد العرب فربط بين الجنسين برابطة النسب لمائة وألفى سنة قبل مولد المسيح – عليه السلام – وأضاف بذلك صلة جديدة إلى صلة التجارة القائمة بين الشعبين من أقدم الحقب (٢).

**خامسا الصلة السياسية:** بعد قرنين اثنين من هذا النسب نشأت بين الشعبين صلة سياسية تركت أثراً باقيا على مر التاريخ، فملوك مصر الرعاة (الهكسوس) عرب نزحوا إلى فلسطين، واستقروا بها، ثم ساروا منها إلى مصر فغزوها وأقاموا بها ملكا دام خمسة قرون متعاقبة، من أوائل القرن المتمم للعشرين إلى أواخر القرن الخامس عشر ق .م وقد ظل ملكهم ممتدا فى وادى النيل كل هذه القرون، ثم أجلاهم المصريون عنه، فخرجوا من مصر، وقد بلغ

(١) المصدر نفسه.
(٢) الفاروق عمر جـ٢ ص ٦٢،٦٣ بتصرف.

عددهم قرابة ربع المليون [١].

ويذكر بعض المؤرخين أن هؤلاء الهكسوس هم بنو إسرائيل، وإن قصة يوسف الصديق - عليه السلام - حدثت فى عهدهم [٢].

ظلت هذه الصلات فى التجارة والسياسة الخ متصلة بين مصر وبلاد العرب تضعف حينا وتقوى حينا آخر، وقد أضعفها استيلاء الروم على مصر زمنا، ثم عادت إلى مثل ما كانت عليه. ذلك أن العرب ظلوا يقومون برحلة الصيف إلى الشام، ثم كان منهم من ينحدر من طريق القوافل عند أيلة (العقبة) إلى مصر، وكان أكثرهم يسيرون إلى الشام، فإذا بلغوها، وقضوا وطرا من تجارتهم فيها توجهوا إلى مصر.

وذلك ما كان عمرو بن العاص يصنعه فى الجاهلية وفى الإسلام، ثم ازدادت معرفة العرب المسلمين لمصر بما ذكره القرآن عنها وما حكاه فى دورها ومكانتها فى التاريخ [٣]، فعظم شأنها فى نفوسهم.

كذلك تحدث المؤرخون عن طائفة من رجالات العرب، كالمغيرة بن شعبة، وعثمان بن عفان زاروا مصر للتجارة فى الجاهلية [٤].

ولكنهم عبّروا عن ذلك فى هذا الشكل القصصى الذى نلمحه فى رواية ابن عبد الحكم عن معرفة عمرو بن العاص فى الجاهلية، وعن رحلته إلى الإسكندرية مع أحد الشمامسة الذين لقيهم فى القدس، وكان أنقذه من العطش مرة، ومن حية عظيمة مرة أخرى، فأراد أن يكافئه فدله على مصر وقاده إلى الإسكندرية، وشهد فيها عمرو عيدا من أعيادهم «يجتمع فيه ملوكهم، وأشرافهم ولهم أكرة من ذهب مكللة يترامى بها ملوكهم وهم يتلقونها بأكمامهم، وفيما اختيروا من تلك الأكرة، على ما وصفها من مضى منهم أنها من وقعت الأكرة فى كمه واستقرت فيه لم يمت حتى يملكهم، فلما جلس عمرو مع الناس فى ذلك المجلس أقبلت الكرة تهوى حتى وقعت فى كم عمرو [٥].

---

(١) المصدر السابق ص ٦٤ .
(٢) نفس المصدر، ولكنى لم أجد ضمن مراجعى ما يؤيد هذا الرأى.
(٣) المصدر السابق جـ٢ ص ٦٤،٦٥ .
(٤) الكندى:٦ ـ ٦ .
(٥) ابن عبد الحكم ص ٧٦ تحقيق عبد المنعم عامر، وهى رواية غير صحيحة تاريخيا، ولا تتخذ سنداً من الأسانيد الصحيحة، وقد رواها عن ابن عبد الحكم كثير من المؤرخين راجع نفس الصفحة هامش ١ .

ومهما يكن من شيء فإن اتجاه المسلمين إلى مصر لم يكن ظاهرة جديدة مجردة عن أصولها في أعماق الماضي القريب والبعيد، بل إن الوقت كان قد حان ليحل بها الخير بدخولها في حوزة الإسلام.(١)

**الواقع الحربي أمام المسلمين في مصر وضرورة فتحها :**

لم يكن أمام المسلمين خيار في فتح مصر، فهناك علاقات قديمة تربطهما المواصلات البرية والبحرية، يضاف إليها التجارة التي كانت عصب التعامل فيما بينهما أضف إلى ذلك أن حالة الحرب ما زالت قائمة بين المسلمين والروم، وفرار أرطبون الروم إلى مصر مما يحتم عليهم فتحها للقضاء نهائيًا على شأفة الرومان، واستئصالهم، ومن ثم فقد حتمت الضرورات الحربية أن يتقدم المسلمون نحو مصر، ذلك أن الدعوة الإسلامية تشبة أن تكون قد نفذت في هيكل الدولة البيزنطية، كما ينفذ الأسفين الضخم. جاءتها من وراء الصحراء فشطرتها حين استولت على سورية إلى شطرين:

الأمبراطورية الأم في آسيا الصغرى وما وراءها، والولايات التابعة لها:

مصر وما وراءها في أفريقية، ولم يعد هناك ما يصل بين أجزاء هذه الأمبراطورية إلا البحر، وسيلعب البحر دوره فيما بعد في محاولة استنقاذ الإمبراطورية فيم فعل البيزنطيون، وفي محاولة تصفية هذه الإمبراطورية فيما فعل المسلمون فكلا الفريقين ركب البحر ليعلو خصمه...(٢).

**أهمية مصر، وخطورتها على المسلمين، وصلتها بالجهاد :**

ظل المسلمون يطاردون البيزنطيين حتى أبلغوهم الحدود الجبلية في طورسوس فكان لزامًا عليهم أن يقضوا على الولايات الجنوبية ... التي تكون جزءًا في جسم الإمبراطورية، والتي كانت فيها حاميات وجاليات ومسالح ومراكز . كما كان لهرقل حركة ازدهار، ويقظة بدأت في أفريقية، وأن الجيوش خرجت من هنا متجاوزة مصر بعضها مساحلة وبعضها مبحرة حتى بلغت القسطنطينية.

فإذا أولى المسلمون مصر هذا الاهتمام منذ أن كتبوا عقد الصلح لأهل بيت المقدس،

---

(١) حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول ص ٨٢ .

(٢) نفس المصدر وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى.

وإذا كان عمرو رضي الله عنه قد استأذن الخليفة عمر بالانسياح فيها فإن ذلك اتجاه تقتضيه طبيعة الفتوح الإسلامية منذ آل الأمر بينها وبين البلاد التى ذهبت تدعو فيها إلى عقيدتها، كما لا ننسى ما لمصر من موقع هام ورئيسى لاتصالها بالشام من جهة، ولكونها مطلة على الحجاز من جهة أخرى، كما أنها المفتاح الموصل إلى أفريقية من جهة ثالثة.

وقد يخشى على سورية من هجمات الروم، بل قد يهاجمون الحجاز نفسه من مصر، وبذلك يئدون حركة الدعوة في مهدها كما أنهم سيتخذون الإسكندرية موقعًا حاسمًا لقربها من النيل، كما يستخدمون أيضًا الطرق النيلية، ومن ثم فلابد للمسلمين من أن يحرموا الروم من هذه المميزات، وأن يستمتعوا هم بها [١].

### عبقرية عمرو رضي الله عنه :

لقد كانت خطورة مصر على المسلمين كبيرة حيث إنها كانت تمد جند الروم بالميرة، وما يحتاجون إليه، ومن ثم كان لتنبه عمرو إلى ذلك والتفاته إليه، عبقرية رائعة، فهذه الدولة مضطرة أن تتجنب هذا الخطر، وكان لا يسعها أن تتجنبه إلا أن تواجهه، فإذا ذكرنا تسلسل حوادث الفتح فى الشام، وأدركنا أن جموع الروم الذين هزمتهم المعارك، أو حمتهم عقود الصلح لجأت كثرتهم الكثيرة إلى مصر... مؤملة أن تنقذ هذه المرة كما أنقذت من قبل، وأن المؤرخين ينصون على أن «أرطبون» قائد حامية بيت المقدس قد لجأ [٢] إلى مصر وأنه كان يسعى للانقضاض لاشك. إذا ذكر هذا كله أدركنا أن تدفق المسلمين عبر العريش فى طريق الحرب هذه [٣] «التى سار فيها قمبيز، وانطيوخس أبيفانس، والإسكندر الأكبر» [٤] لم يكن شيئًا إدًا، وإنما كان تكملة لما فعل المسلمون إذ بسطوا ظلالهم على بلاد الشام [٥]. إذن فقد كانت صلة مصر بالجهاد الإسلامى مباشرة لتحظى الدعوة بتربة صالحة تنمو فيها ولتضم إلى رقعتها رقعة جديدة.

### خيرات مصر تلمع في الأفق :

علم المسلمون بهروب الكثير من الرومان، وعلى رأسهم الأرطبون إلى مصر، ومع حرص

(١) حركة الفتح الإسلامى .. ص ٨٣ بتصرف .
(٢) ذلك أن أرطبون، والتذارق لحقا بمصر مقدم عمر الجابية. الطبرى «١ / ٥ / ٢٤٠٤».
(٣) حركة الفتح الإسلامى فى القرن الأول ص ٨٣ ، ٨٤ بتصرف .
(٤) بتلر : فتح العرب لمصر ص ٦٣ .
(٥) المصدر السابق ص ٦٤، وانظر فيليب حتى : تاريخ العرب جـ ١ ص ٢١٦ .

المسلمين الشديد على مطاردة الرومان وتخليص العباد من ظلمهم، فإن المسلمين والحالة هذه، لم يكن خروجهم طمعاً في مغنم أو حرصاً على جاه خاصة وأن الحرب بينهم وبين الروم قد ذَرَّ قرناها، فمن الذى يضحى بنفسه من أجل غنيمة غير مضمونة؟ اللهم إلا غنيمة الشهادة.

ومع التوتر الذى يسبق الحروب غالباً كانت المعلومات تترى على المسلمين عن خيرات مصر وما كانت تأخذه روما، وفارس منها، ومن ثم: «لم يغب عن بال المسلمين ما كانت تنعم به مصر من غنى، فقد كانت أحد أقطار الدنيا الألِقَة، وكانت فى صدر هذا العالم القديم كالدرة المضيئة، وما من شك فى أن العرب كانوا يتحدثون عنها حين تخلوا بهم أسمارهم، أو تصفوا لهم مجالسهم، وكانوا يعرفون ما تغل أرضها من الثروة، وما تستمتع به من خصب، وأنها كانت أهراء القسطنطينية، ومصدر كثير من تموينها وإمدادها . . . ولذلك ليس ببعيد أن تكون قد التمعت أطياف ضاحكة من هذه الدنيا الساحرية فى ضمائرهم، وداعبتهم من عوالمها الخيرة صور، وتمثلت لهم هذه الأرض، وقد دانت بمثل ما يدينون به، وانقادت لهم فوجدوا فى انقيادها ما يتقوّون به على غاياتهم التى كانت تتسع أمامهم يوماً بعد يوم، وقطراً بعد قطر.

ولذلك كان من تحريض عمور بن العاص، عمر بن الخطاب رضي الله عنه على فتحها قوله: «إنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين وعوناً لهم، وهى أكثر الأرض أموالاً»[١] فكيف تحققت كلمة عمرو بن العاص رضي الله عنه هذه وفتحت مصر؟!

---

(١) انظر: الفاروق عمر جـ ٢ ص ٦٥ ـ ٦٨، وراجع: حركة الفتح الإسلامى ص ٨٤، وفيليب حتى: تاريخ العرب جـ ٢ ص ٢١٥ .

# الفصل الثالث

## فتح ولاية مصر ونشر الدعوة بين سكانها

**ويشمل تسعة مباحث، وهي كما يلي:**

**المبحث الأول:** التفكير في فتح ولاية مصر.

**المبحث الثاني:** علاقة مصر ببلاد العرب.

**المبحث الثالث:** مراحل الفتح: (المرحلة الأولى).

**المبحث الرابع:** المقوقس يحاور المسلمين.

**المبحث الخامس:** المصريون يذعنون لمطالب عمرو.

**المبحث السادس:** مصر السفلى، والعليا: (مرحلة الفتح الثانية).

**المبحث السابع:** المرحلة الثالثة والأخيرة وهي فتح الإسكندرية.

**المبحث الثامن:** أثر فتح الإسكندرية على المسلمين.

**المبحث التاسع:** أثر الفتح الإسلامي على مصر، ونجاح الدعوة فيها.

# المبحث الأول

## بداية التفكير في فتح مصر

لما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجابية[١]، كان مقدمه في سنة ثماني عشرة للهجرة، الموافقة لسنة ثلاثين و ستمائة من الميلاد، وكان العرب لا يزالون على حصار مدينة قيصرية[٢] استأذنه عمرو بن العص رضي الله عنه في فتح ولاية مصر، وكان عمرو قد دخلها في الجاهلية وعرف طرقها، ورأى كثرة ما فيها[٣].

وقيل إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما نزل الجابية[٤]، قام إليه عمرو بن العاص فخلا به وكان عمرو مسموع الكلمة عند عمر – وقال: يا أمير المؤمنين، ائذن لي أن أسير إلى مصر، وحرّضه عليها، وقال: إنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين، وعونًا لهم وهي أكثر الأرض أموالا، وأعجزها عن القتال والحرب[٥]، كما ذكر له أن أرطبون[٦] حاكم الروم على بيت المقدس قد هرب من المدينة قبل تسليم البطريق صفرنيوس مدينة القدس للمسلمين ولاذ بمصر، وأنه كان يجمع فيها جنود الدولة الرومانية، وأنه يرى أن على العرب ألا يضيعوا الوقت، بل يجب عليهم أن يوقعوا به قبل أن يستفحل أمره[٧].

فتخوف عمر على المسلمين، وكره ذلك، ولكن عمرا لم يزل به ويعظم له أمرها،

---

(١) قرية من أعمال دمشق قرب مرج الصفر شمالي حوران، وفيها خطب عمر..خطبة مشهورة.راجع ابن عبد الحكم.ص٢٦ هامش ٢ .

(٢) المصدر نفسه ص ٣٦ هامش ١ .

(٣) المصدر نفسه.

(٤) اختلف في قدوم عمر..الجابية، فقيل:سنة ست عشرة بعد عوده من سرغ في سنة عشرة، و«سرغ»: قرية بوادي تبوك، وقيل:سرغ وهي مدينة افتتحها أبو عبيدة بينها وبين المدينة ثلاثة عشر مرحلة.انظر موطأ الإمام مالك تحقيق محمد علوى المالكي صـ٦٢ هامش٩ .وقال البخاري:إن عمر قدم الجابية سنة ثماني عشرة، والتحقيق:أن عمر..قدم الشام أربع مرات:مرتين في سنة ست عشرة، ومرتين في سنة سبع عشرة، ولم يدخلها في الأولى.راجع ابن عبد الحكم..ص ٨٠ هامش١ .

(٥) المصدر نفسه ص ٨٠،٨١ .

(٦) أطلق عليه بتلر اسم (أريطون) ص ١٤٤ ،والدكتور هيكل أطلق عليه اسم (الأطربون) راجع الفاروق عمر جـ٢ ص ٥٩، ٦١، ٨٧ والشائع الاستعمال:أرطبون.التي نطق بها عمر بن الخطاب عندما قال:لقد رمينا أرطبون العرب بأرطبون الروم.راجع للعقاد:عمرو بن العاص ص ٥٨ .والأطربون:هو رئيس من الروم، والقائد من قوادهم.المعجم الوسيط مادة:(أطر).

(٧) ابن عبد الحكم ص ٨١ حاشية:تاريخ الطبري جـ٣ ص ٤١١، وبتلر..ص ١٤٤، الفاروق عمر جـ٢ ص٥٩، ٦١ .

ويخبره بحالها ويهون عليه فتحها حتى ركن لذلك فعقد له على أربعة آلاف رجل كلهم من علكّ، ويقال :بل ثلاثة آلاف وخمسمائة [١] ثلثهم من غافق ثم قال له :سر وأنا مستخير الله فى سيرك، وسيأتيك كتابى سريعا إن شاء الله، فإن أدركك كتابى آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها، أو شيئا من أرضها فانصرف، وإن أنت دخلتها قبل أن يأتيك كتابى فامض لوجهك، واستعن بالله واستنصره [٢].

**سبب تخوف عمر** رضي الله عنه **وتردده:** يرجع سبب تخوفه... وتردده إلى مايلى ـ

**أولا:** كان من سياسته، ألا يتعدى فى فتوحه العراق والشام، اللذان كانا تحت حكم الفرس والروم، وهو قد ضمهما إلى شبه الجزيرة..فيجتمع فيها العرب فى وحدة تمتد من خليج عدن، والمحيط الهندى إلى أقصى الشمال من بادية السماوه، ومن ثم لم يسمح لسعد بن أبى وقاص أن يتخطى سهول العراق إلى جبل فارس، وود لو أن بين السواد [٣] والجبل سدا من نار، فلا يخلص الفرس إليه، ولا يخلص هو إليهم، وقد ظل حريصا على هذه السياسة حتى لم يكن للمسلمين بُدّ من قتال الهرمزان، فلما جمع الفرس لهم بعد ذلك بنهاوند [٤]، وأظفر الله المسلمين بهم أمر عمر بالانسياح فى بلادهم [٥].

**ثانيا:** حمل عمر..على التردد فى فتح مصر هو أن الشام لم يكن خضع كله لسلطان المسلمين حتى نهاية السنة السادسة عشرة فقد ظل شمالها يناوئهم، ولا يستقر لهم فيه أمر حتى قضى أبو عبيدة..وخالد بن الوليد على مقاومته.بالإضافة إلى أن قيساريّة ظلت فى موقعها الحصين على شاطىء البحر تقاوم قوات المسلمين وتهدد مراكزهم بفلسطين إلى أن افتضها معاوية بن أبى سفيان [٦] ...رضي الله عنه .

---

(١) انظر ابن عبد الحكم ص ٨١، وراجع لأبى عمر محمد بن يوسف الكندى المصرى المؤرخ :كتاب الولاة،وكتاب القضاة ص ١٠ ط بيروت ١٩٠٨م، وهو غير الكندى الفليسوف صاحب قضاة مصر راجع الأعلام للزركلى جـ٨ ص ٢١ .

(٢) ابن عبد الحكم ص ٨١، وكتاب الولاة، والقضاة ص ٧، والسيوطى:حسن المحاضرة ١ / ١٠ حاشية.وراجع خطاب عمر لعمرو.فى الملاحق .

(٣) أرض العراق.راجع :لأبى يوسف:الخراج ص ١٩٣ هامش ٢ .

(٤) نهاوند ـ بكسر النون:معركة بين المسلمين والفرس انتصر فيها المسلمون..راجع لابن الأثير:الكامل فى التاريخ جـ٤ ص ٥ وما بعدها.

(٥) الفاروق عمر جـ٢ ص ٦٠، ٦١ .

(٦) انظر:الفاروق عمر جـ٢ ص ٦٠، ٦١ .

**ثالثا:** إن عمر..وجد من بعض الصحابة اعتراض كعثمان بن عفان رضي الله عنه وغيره من الصحابة المقيمين فى المدينة [١].

**رابعا:** فشو المجاعة التى ظهرت..ثم المرض الذى أصاب المسلمين فى عمواس حتى هددت أهلها بالفناء شغلت عمر عن التفكير فيما سواها، فكيف يفكر عمر..فى غزو الروم بمصر، والناس فى شبه الجزيرة جياع لا يصلحون مددا لأى جند..فإنه لم تكد المجاعة تنقضى حتى فشا طاعون عمواس بفلسطين، وامتد إلى الشام والبصرة، وازعج عمر، والمسلمين جميعا، حتى لقد ساورتهم الخشية من انقضاض العراق والشام بهم، ورجعة الفرس والروم عليهم، وكان طبيعيا أن ينسى عمر فى أثناء ذلك كل ما حدثه عمرو بن العاص عن مصر، وأن ينصرف كل الانصراف عن غزوها [٢].

**خامسا:** لزم ابن العاص الصمت طيلة أيام هذه الحوادث إلى أن عادت شبه الجزيرة إلى مألوف حياتها وبرئت الشام من الوباء، وجاء الخليفة إليها يصلح شئونها، وينظم جنودها فوجد عمرو الفرصة سانحة فلقيه بالجابية، وسار معه فى أرجاء البلاد، وعاد يحدثه فى فتح ولاية مصر، ويدلى بحجج جديدة حسبها تزيل تردده [٣] منها:

أ ـ إن المسلمين إذا قنعوا بما فى أيديهم بعدما أصابهم من هول المجاعة والطاعون لظن أعداؤهم بهم الضعف، وربما هاجموهم.

ب ـ تحصن الأطربون فى مصر وتجميعه للجند، واستعداده للقتال، فإذا لم يجد من يهاجمه ارتد إلى فلسطين لمقاتلة المسلمين، إذن فمن الخير أن يفاجئه المسلمون فى مأمنه، فالهجوم خير وسائل الدفاع.

جـ ـ تقدير عمرو..للموقف:إنه بظهور جند المسلمين المتوجهين لفتح مصر، يتحقق لدى الروم أن المسلمين لا يزال بأسهم شديدا كما كان..فتأمن الشام رجعتهم لغزوها، وأنى لهرقل أن ينقل الجند على السفن من مصر إلى انطاكية أو غيرها، والمسلمون يهاجمونه فى مصر نفسها، فإذا فتح الله مصر يوما للمسلمين وأورثهم إياها، وذلك ما يؤمن ابن العاص به،

---

(١) نفس المصدر، وانظر:العقاد:عمرو بن العاص صـ ٦٠ .
(٢) الفاروق عمر جـ٢ ص ٦١ .
(٣) الفاروق عمر جـ٢ ص ٦١ .

فذلك الفوز الذى لا فوز يعدله، وإن تكافأت القوتان فطلب الروم الصلح، أمن المسلمون جانبهم فى الشام وفى جزيرة العراق، وفى سائر الأرجاء التى دانت من قبل بأسلحة أمير المؤمنين، ولا خوف من هزيمة للمسلمين فى مصر، ربما يعقبها كارثة على فرض وقوعها، فإن الشام حصينة بجند المسلمين، كما أن المسلمين خير من الروم حكما، وأكثر منهم عدلا وإنصافا.

سمع عمر..هذه الحجج من هذا السياسى البارع المحنك عمرو بن العاص [١]، وقلبها فى نفسه فمالت به مشاركة ابن العاص فى رأيه خاصة وأن منطق عمرو تتعذر معه معارضة، بالإضافة إلى معرفة كثيرين من العرب بمصر، وطرقها، وأساليب حكمها، وما يدور فيها من خلافات مذهبية [٢]، ومع ذلك كله استمهله حتى يعود إلى المدينة فيكتب إليه منها.

**المبحث الثاني:علاقة مصر ببلاد العرب:**ترجع علاقة مصر ببلاد العرب إلى أقدم الحقب للأسباب الآتية:ـ

**الأول:**إن مصر كانت دولة بحرية منذ عهد الفراعنة ـ فكانت أساطيلها الحربية، والتجارية تشق عباب البحرين:الأبيض والأحمر من أقدم عصور التاريخ..فكانت تذهب إلى الجنوب من بلاد العرب تحمل إليه التجارة، وتجىء منه بمختلف السلع، وفى مقدمتها العطور، والروائح التى توضع فى حنوط الموميات، وكانت هذه السفن تسير وترسو من حيث تقع القصير اليوم، ثم ينقل ما تجىء به إلى مصر فى طريق امتد فى عهد الأسر الفرعونية الأولى بين القصير على البحر الأحمر، وقفط، على ضفة النيل.كما أثبت الأثريون ما سجلته نقوش الدير البحرى من قيام الملكة الفرعونية (هاناسو) بشق طريق ملاحى يصل النيل بالبحر الأحمر عند خليج السويس بالبحيرات المرة...[٣].

---

(١) سيفرد له حديث خاص عند الكلام على الصحابة الذين نزلوا مصر إن شاء الله تعالى.

(٢) الفاروق عمر جـ٢ ص ٦١،٦٢ .

(٣) المصدر نفسه وانظر العقاد:عمرو بن العاص ص ٨٠ فقد ذكر أن العرب عرفوا مصر ثم عرفها العبرانيون المنتقلون من أرض العراق.وقد كاد المؤرخون أن يتفقوا على أن العبرانيين قدموا إلى مصر فى عهد القبائل العربية من الرعاة وأتباعهم المشهورين باسم الهكسوس، فهم أول من أطلق على مصر هذا الاسم وسموها (مصرايم).

**الثاني:برزخ (*) السويس:** أداة الاتصال بين مصر وبلاد العرب لم تنقطع فى عصر من العصور [١].

**الثالث:الطريق البري:** المتمثل فى شبه جزيرة سيناء، والذى عبره المصريون القدماء إلى مناجم النحاس الواقعة بها وكان هذا الطريق يجرى فى شمال الحجاز حتى يتصل عند تيماء، بالطريق المؤدى إلى بابل على شاطىء الفرات، وكانت بابل والعراق كله تابعا لمصر في عصور مختلفة ... [٢].

**الرابع:طريق القوافل:** كان طريق سيناء الواقع فى شمال الحجاز يتصل بطريق القوافل المنحدر إلى مكة، واليمن وهذا الطريق على جانب كبير من الأهمية حيث تجارة مصر، وبلاد اليمن وفارس، وإلى الهند وبلاد الشرق الأقصى كما كان جانب عظيم من تجارة اليمن وفارس والهند والشرق الأقصى ينقل إلى مصر، وبلاد البحر الأبيض فى الطريق عينه، فكان المصريون يصحبون تجارتهم يجتازون بلاد العرب أثناء سير القوافل بها، وكان العرب الذين ينقلون متاجر الشرق إلى مصر يدخلونها بقوافلهم، ويقيمون بها ريثما يعودون منها بتجارة جديدة، وكان ذلك كله يحدث من أقدم العصور..، ومؤرخوا العصور القديمة يذكرون أن هذا الاتصال أدى إلى استقرار عدد غير قليل من العرب ببوادى مصر منذ زمن الفراعنة، وإلى استقرار جالية من المصريين عند واحة على طريق القوافل، وأن هذه الجالية كانت النواة التى نشأت حولها «يثرب» التى أصبحت مدينة الرسول ﷺ [٣] فيما بعد.

**الخامس:صلة الرحم:** كذلك من الروابط التى ربطت بين المصريين والعرب، إن نسيها أهل مصر لم ينسها أهل اليمن أو الحجاز، وهى أن إسماعيل بن إبراهيم – عليهما السلام – أبو العرب و«هاجر» أم إسماعيل.التى ذهب بها وبابنها إسماعيل إلى بلاد العرب، وأنزلهما بواد غير ذى زرع الذى تقوم مكة اليوم مقامه، ثم تزوج إسماعيل – عليه السلام – فتاة ولوداً من جرهم رزقه الله منها اثنى عشر ولدا هم آباء العرب المستعربة [٣] .فهؤلاء العرب

---

(*) البرزخ :الحاجزين بين شيئين ،وفى علم الجغرافيا:قطعة أرض ضيقة محصورة بين بحرين موصلة بين أرضين.المعجم الوسيط. مادة (البرزخ).

(١) الفاروق عمر جـ٢ ص ٦٣ .

(٢) الفاروق عمر جـ٢ ص ٦٣ .

(٣) المستعربة من العرب:أولاد إسماعيل بن إبراهيم – عليهما السلام – والمتعربة من العرب:بنو قحطان بن=

ينتمون من جهة خؤولتهم فى جرهم إلى العرب أبناء يعرب بن قحطان، وينتمى أبوهم إسماعيل ـ عليه السلام ـ من جهة خؤولته إلى مصر ...[١].

و ـ صلة النسب: وضح مما سبق الصلة التى بين العرب والمصريين، فبعد أن تسرى إبراهيم ـ عليه السلام ـ بهاجر، وانتقل بها [٢] إلى بلاد العرب ربط بين الجنسين برابطة النسب لمائة وألفى سنة قبل مولد المسيح ـ عليه السلام ـ فأضاف بذلك صلة جديدة إلى صلة التجارة، والسياسة ثم ربطت الشعبين صلة سياسية تركت أثرا باقيا على التاريخ فملوك مصر الرعاة «الهكسوس» [٣] عرب نزحوا إلى فلسطين، واستقروا بها. ثم ساروا منها إلى مصر فغزوها، وأقاموا بها ملكا دام خمسة قرون متعاقبة، من أوائل القرن المتمم للعشرين إلى أواخر الخامس عشر ق.م وقد ظل ملكهم ممتدا فى وادى النيل كل هذه القرون، ثم أجلاهم المصريون عنه فخرجوا من مصر، وقد بلغ عددهم قرابة ربع مليون نسمة، ويذكر بعض المؤرخين أن هؤلاء الهكسوس هم بنو إسرائيل، وأن قصة يوسف الصديق حدثت فى عهدهم [٤].

**خامسًا:** ظلت هذه الصلات تقوى حينًا، وتضعف حينًا حتى إذا استولى الرومان على مصر ضعفت، ثم عادت إلى ما كانت عليه ذلك أن العرب ظلوا يقومون برحلة الصيف إلى الشام، ثم كان منهم من يتحدر من طريق القوافل عند أيلة (العقبة) إلى مصر. وكان أكثرهم يسيرون إلى الشام، فإذا فرغوا من تجارتهم توجهوا إلى مصر، وذلك ما كان عمرو بن العاص يصنعه فى الجاهلية.[٥]. كما سبق.

**سادسًا:** اشتراك بعض المصريين فى بناء الكعبة: فتذكر كتب السيرة أن السيل طغى على بناء الكعبة فتهدم لسنوات قبل مبعث محمد ﷺ، وأن البحر رمى إذ ذاك بسفينة قادمة من مصر مملوكة لتاجر رومى اسمه «باقوم» فحطمها فابتاع أهل مكة أخشابها لإدخالها فى

---

=عابر الذين نطقوا بلسان العاربة، وسكنوا ديارهم. والعاربة: عرب عاربة: صرحاء خُلّص وقبائل بادت ودرست آثارهم كعاد، وثمود، وطسم، وجديس، وهم العرب البائدة، والعرب أمة من الناس سامية الأصل. راجع المعجم الوسيط: مادة (عرب).

(١) الفاروق عمر جـ٢ ص ٦٣، ٦٤، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك فى موضعه. صـ١٩٩.

(٢) ابن عبد الحكم ص ١٤ ـ ١٧ وقد أورد لهذه القصة أكثر من رواية. تحقيق عبد المنعم عامر القسم التاريخى.

(٣) انظرد: أحمد عبد الحميد يوسف: مصر فى القرآن والسنة ص ١٨، ١٩.

(٤) كما سبق وراجع أيضا: الفاروق عمر جـ٢ ص ٦٤.

(٥) نفس المصدر السابق.

بناء الكعبة، واستعانوا بقبطى يقيم بمكة، ويعرف نجر الخشب وتسويته، فوافقهم على أن يعمل لهم وأن يعاونه «باقوم» ولم يكن هذا القبطى المصرى الوحيد المقيم بالبلد الحرام(١). فالعناصر العربية والمصرية كانت متآلفة متقاربة على عكس الفرس والروم، ومن السهل بعد ذلك التوصل إلى السبب فى حب المصريين لدين الوافدين من بلاد العرب.

**مصر في القرآن والسنة :**

**سابعًا :** بالإضافة إلى معرفة العرب بمصر فقد زادها القرآن معرفة، وبيانًا إذ تحدث عنها فى مواضع كثيرة، فازداد المسلمون بها علمًا ولها تقديرًا فقد ذكرت فى القرآن فى ثمانية وعشرين موضعًا، وقيل: بل أكثر من ثلاثين، وقع فيها ذكر مصر من القرآن صريحًا أو كناية، ونقل عن الكندى تعليقه على طائفة من آياته فيها قوله: «لايعلم بلد فى أقطار الأرض أثنى الله عليها فى القرآن بمثل هذا الثناء، ولا وصفه بمثل هذا الوصف، ولا شهد له بالكرم غير مصر»(٢).

أجل، فلقد كانت مصر فصلاً فى تاريخ كل دين، على أرضها كلم الله موسى عليه السلام، وبعثه لهداية بنى إسرائيل، وأقبل عليها المسيح ـ عليه السلام ـ فى المهد، وكانت به أسبق المؤمنين، ودخلها خليل الله إبراهيم عليه السلام، وعاش فيها يوسف الصديق عليه السلام، كما دخلها يعقوب عليه السلام ـ وأولاده. ثم صارت من بعد حصن الإسلام، ومعقله الحصين(٣).

**ثامنًا :** سفارة حاطب بن أبى بلتعة من رسول الله ﷺ إلى المقوقس، والتى حمل فيها خطابًا إلى عظيم القبط، وقد أورد نص الخطاب ابن عبد الحكم وهو كما يلى :

بسم الله الرحمن الرحيم :

من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى. أما بعد.

فإنى أدعوك بدعاية الإسلام، فأسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾.

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢ ، ٣) السيوطى : حسن المحاضرة جـ ١ ص ٥ ـ ١٩، وانظر : د/ أحمد عبد الحميد يوسف: مصر فى القرآن والسنة ص١١ ، وسيأتى مزيد بيان لفضائل مصر إن شاء الله تعالى.

فلما قرأه أخذه فى حق من عاج وختم عليه(١).

**المقوقس يستوثق من أمر محمد ﷺ :**

خلا المقوقس بحاطب ذات ليلة، وسأله عن صفة محمد ﷺ فلما ذكرها له قال: «قد كنت أعلم أن نبياً قد بقى، وقد كنت أظن أن مخرجه الشام، وهناك كانت تخرج الأنبياء من قبله، فأراه قد خرج فى العرب أرض جهد وبؤس، والقبط لا تطاوعنى فى اتباعه، ولا أحب أن يعلم أحد بمحاورتى إياك، وسيظهر على البلاد، وسينزل أصحابه من بعد بساحتنا هذه حتى يظهروا على ما هاهنا، وأنا لا أذكر للقبط من ذلك حرفًا فارجع إلى صاحبك» فلما أصبح دعا كاتبا يكتب بالعربية فكتب :

«لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط. سلام . أما بعد:

فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت، وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبياً قد بقى، وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان فى القبط عظيم، وبكسوة، وأهديت إليك بغلة لتركبها، والسلام»(٢).

فكانت هذه السفارة مما لفت أنظار المسلمين أيضًا إلى مصر، ومكانتها.

**تاسعًا :** فى الوقت الذى كان يحاول فيه ابن العاص إقناع الخليفة عمر . . بفتحها، كان هرقل قد فكر فى توحيد المذاهب المسيحية، فدعا بطاركة الشام، وبيزنطية، ممن يمثلون شتى المذاهب المسيحية، فدعاهم إلى مجمع خلقيدونية، فأقروا مذهبًا مسيحيًا موحدًا، وجعل بطركة الدين فى الإسكندرية لقيرس أسقف فاسيس فى بلاد القوقاز وطلب إليه أن يحمل أهل مصر على اعتناق المذهب الرسمى الموحد. (مذهب خلقيدونية).

غير أنه لم يفطن إلى أن مذهبه الذى حاول به التوفيق قد تأباه كنيسة مصر، ولم يعرف أن أهل مصر إذا أبو ذلك المذهب كان شر الطرق إلى ضمهم إلى الجماعة أن يرغمهم عليه، ويقذف به فى حلوقهم، إذ قد كرهوا مذاقه منذ ذاقوه، وعلى أى حال كانت هذه خطته فى مصر والشام، وكان من رأى ذلك العصر أن أمور الدين والعقيدة مما ينبغى للدولة أن تقوم به ويصدر الناس فيه عن أمرها(٣).

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص ٦٤ تحقيق عبد المنعم عامر وراجع فصل عموم الدعوة فقد أوردت فيها مصادر المراسلات بين المدينة ومصر.

(٢) المصدر السابق ص ٤٦ ـ ٥٠ وقد أورد لهذا النص عدة روايات، وانظر الفاروق عمر جـ ١ ص ٦٧ .

(٣) انظر بتلر: فتح العرب لمصر الترجمة العربية ص ١٥٥ ، والفاروق عمر جـ ١ ص ٧٢ .

كان مذهب المصريين اليعاقبة كما مر «أن الطبيعة الإلهية والبشرية امتزجتا فى المسيح فصارتا فيه طبيعة واحدة فكان عند التجسد ذا طبيعتين، أما بعده فصار ذا طبيعة واحدة»[(١)].

وهذا المذهب يخالف مذهب الملكانية الذى يقول: «إن الابن مولود من الأب قبل الدهور غير مخلوق، وهو جوهره ونوره. والابن اتحد بالإنسان المأخوذ من مريم فصارا هو المسيح» فلما قدم «قيرس» الإسكندرية فى خريف سنة (٦٣١)م ليحمل أهل مصر على اعتناق المذهب الرسمى، فر بنيامين، من الإسكندرية وسار متخذاً من الأديار المنتشرة بالصحراء ملجأه حتى بلغ قوص، وهنا أقام بدير صغير قريب منها قائم فى الصحراء تحميه الجبال فلا يسهل الوصول إليه[(٢)].

لما رأى قيرس نفور الشعب المصرى من دعوته، وعاداها لجأ إلى البطش والتعذيب لقَصْر الناس على الدخول فى مذهبه، ولج فى الاضطهاد الأعظم عشر سنوات حسوماً. وكان التعذيب وحشياً لم يعرف عصر من العصور مثله حتى أن أخا الأسقف بنيامين أوقدت له المشاعل، وسلطت على جسمه. فأخذ يحترق حتى سال دهنه من جانبيه إلى الأرض. وقد سبق بيان ذلك فى الباب الأول[(٣)].

**عاشراً:** مما لا شك فيه أن العرب كانوا على علم بما يدور فى مصر، وهم عن كثب منها، حتى اقتنع عمرو بن العاص بفتور أهل مصر فى نصرة الروم، وما كان عليه الناس من معرفة بسياسة المسلمين مع البلدان المفتوحة، وأنهم لا يحملون أحداً على تغيير معتقداته، ﴿ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾[(٤)] . . . كان ابن العاص على معرفة بما يدور فى وادى النيل، فلما أن لقى أمير المؤمنين حين جاء إلى الشام بعد طاعون عمواس، وسار معه فى أرجاء فلسطين وسورية، جعل يعيد على سمعه ما كان قد فاتحه فيه من أمر ولاية مصر، ويذكر له ما سبق ذكره من حجج . . . ويدلى بحجج جديدة حتى اقتنع عمر بها.. كما اقتنع عمر أيضاً، بما يعرفه من جرأة ابن العاص فى الحرب ودهائه فى السياسة، واقتداره لذلك على أن يسير بإذن الله فى ذلك الفتح سيراً موفقاً وقد دلت الحوادث على أن

(١) بتلر .. ص ١٥٥ ، والفاروق عمر جـ ١ ص ٧٢ .
(٢) انظر بتلر ص ١٣١ ـ والفاروق عمر جـ ٢ ص ٧٢ .
(٣) ساويرس النسخة المخطوطة فى متحف بريطانيا ص ١٠٤ الكتاب العاشر نقلاً عن بتلر فتح العرب لمصر ص ١٣٧ ، وانظر الفاروق عمر ج٢ ص ٧٣ .
(٤) انظر العقاد : عمرو بن العاص ص ٦٤ ، وانظر الفاروق عمر جـ ٢ ص ٧٧ .

أمير المؤمنين لم يخطئ فى تقديره، وأن شخصية عمرو وما اجتمع فيها من الدهاء والإقدام قد جعلته الرجل المختار فى فتح مصر[١].

**الإذن بالمسير إلى مصر :**

مال عمر ﷺ إلى رأى عمرو، واقتنع بحججه التى أدلى بها، ثم استمهله حتى يكتب إليه من المدينة، فلما نزلها جمع أولى الرأى فيها، وذكر لهم حجج عمرو، وشاورهم فى الأمر، فانقسم رأيهم، وإذ كان عمر.. يرى الفتح فقد كتب إلى عمرو يأمره بالشخوص إلى مصر، وبعث بالكتاب مع شريك بن عبدة وفيه يقول: «اندب الناس إلى السير معك إلى مصر، فمن خف معك فسر به»[٢].

وكان عمرو محاصراً قيسارية[٣] حين جاءه كتاب أمير المؤمنين، فاستخلف معاوية بن أبى سفيان على حصارها، وفصل فى قوة صغيرة، اختلف أكانت ثلاثة آلاف وخمسمائة، أم أربعة آلاف، ثم إنه رد شريك بن عبدة رسول الخليفة يطلب المدد حتى لا تضعف مسالح الشام، وسار متمهلاً بساحل البحر جاعلاً وجهته العريش، آملاً أن يلحقه المدد، حتى يدخل أرض مصر، وأنه لفى مسيرته وتمهله إذ جاءه النبأ بأن الذين يرون فى فتح مصر خطرا على المملكة الناشئة وفى مقدمتهم عثمان، قد ازداد نشاطهم بالمدينة، فخشى أن يضطر عمر آخر الأمر إلى النزول على رأيهم فلا يبعث إليه بمدد بل يرده عن مسيرته.

فلم يكن فتح مصر إذن أمنية الصحابة ﷺ بل منهم من عارض فى فتحها، وهذا يكفى للرد على الذين يطلقون لألسنتهم، ولأقلامهم العنان فى أن المسلمين فتحوا مصر لينهبوا خيرها، ويجعلوا من أنفسهم سادة جدداً كما زعم بتلر وغيره[٥]..

لم يخطئ عمرو فى تقديره للموقف، فقد كان عثمان، والذين معه يرون تلك الغزاة عظيمة الخطر، ولا يبرحون يكررون ذلك على مسامع عمر، حتى قال عثمان ﷺ :«يا أمير المؤمنين، إنَّ عمراً لَمُجرٍّ وفيه إقدام وحُب للإمارة، فأخشى أن يخرج من غير ثقة ولا جماعة

(١) انظر العقاد : عمرو بن العاص ص ٦٤، وانظر الفاروق عمر جـ ٢ ص ٧٧ .
(٢) الفاروق عمر جـ ٢ ص ٨٤، راجع نص الخطاب فى الملاحق.
(٣) قيسارية الشام : بلد على ساحل بحر الشام تعد من أعمال فلسطين، وكانت قديماً من أمهات المدن، راجع ابن عبد الحكم ص ١١٢ هامش ٢ .
(٤) انظر الفاروق عمر جـ ٢ ص ٨٤ .
(٥) انظر بتلر فتح العرب لمصر ص ١٤٤ وما بعدها .

فيعرض المسلمين للهلكة، رجاء فرصة لا يدرى تكون أم لا». إذن فقد كان هناك جبهة معارضة فى فتح مصر.

**موقف عمرو . . .**

ترى ماذا يفعل عمر . . . وقد سمع ما سمع؟ أيرد قائده عن السير بعد أن أمره به، وبعد أن مال إلى رأيه؟ أيرضى إغضاب عثمان والذين معه على رأيه إن ترك رأيهم؟ وماذا تكون النتيجة لو كان ابن العاص تخطى حدود مصر أفلا يكون ارتداده خذلانًا للمسلمين قد يجرِّئ عليهم عدوهم؟.

روى ابن عبد الحكم أن عمر قال له: «سر وأنا مستخير الله فى سيرك، وسيأتيك كتابى سريعًا إن شاء الله فإن أدركك كتابى آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها، أو شيئًا من أرضها فانصرف، وإن أنت دخلتها قبل أن يأتيك كتابى فامض لوجهك، واستعن بالله واستنصره».

فسار عمرو بن العاص من جوف الليل ولم يشعر به أحد من الناس، واستخار عمر الله، فكأنه تخوف على المسلمين فى وجهتهم ذلك، فكتب إلى عمرو بن العاص أن ينصرف بمن معه من المسلمين.

فأدرك الكتاب عمرًا وهو برفح[٢]، فتخوف عمرو بن العاص إن هو أخذ الكتاب وفتحه أن يجد فيه الانصراف كما عهد إليه عمر، فلم يأخذ الكتاب من الرسول ودافعه، وسار كما هو حتى نزل قرية فيما بين رفح والعريش[٣]. فسأل عنها، فقيل: إنها من مصر. فدعا بالكتاب فقرأه على المسلمين، وقال عمرو لمن معه: «ألستم تعلمون أن هذه القرية من مصر؟ قالوا: بلى. قال فإن أمير المؤمنين عهد إلىّ وأمرنى إن لحقنى كتابه ولم أدخل أرض مصر أن أرجع، ولم يلحقنى كتابه حتى دخلنا أرض مصر، فسيروا وامضوا على بركة الله[٤] تعالى.

وفى رواية أُخرى أن عمرًا كان بفلسطين، فتقدم بأصحابه إلى مصر بغير إذن، فكتب

---

(١) ابن عبد الحكم .. ص ٨٣ تحقيق عبد المنعم عامر، والفاروق عمر جـ ٢ ص ٨٤ .

(٢) بلد بالقرب من العريش .

(٣) بلد قديم فى الطرف الشمالى لشبه جزيرة سيناء تطل على البحر الأبيض المتوسط. ابن عبد الحكم ص ٨١ هامش ١ تحقيق عبد المنعم عامر .

(٤) ابن عبد الحكم ص ٨١، ٨٢ تحقيق عبد المنعم عامر، والفاروق عمر جـ ٢ ص ٨٤، ٨٥ وبتلر .. ص ١٤٤، ١٤٧ .

فيه إلى عمر فكتب إليه، وهو دون العريش فحبس الكتاب، فلم يقرأه حتى بلغ العريش، فقرأه فإذا فيه: من عمر بن الخطاب إلى العاص بن العاص : أما بعد :

«فإنك سرت إلى مصر ومن معك، وبها جموع الروم، وإنما معك نفر يسير، ولعمرى لوكان ثكل أمك ما سرت بهم، فإن لم تكن بلغت مصر فارجع» . فقال عمرو: الحمد لله أية أرض هذه؟ قالوا: من مصر فتقدم كما هو[١] .

وهذه الرواية لو قبلت مع حاكم غير عمر رضي الله عنه لصُدِّقت، أما مع عمر.. فهى مروفوضة، فقد كان رضي الله عنه شديد المراقبة على عماله، ولو حدث مثل هذا من عمرو لعزله، ولو صحت هذه الرواية كانت تحايلاً من عمر لا يتفق ، وما عرف من خلقه، وصرامته فى حمل التبعات. والخلاصة : أن فتح مصر جاء عن رغبة أكيدة من عمر. وأنه أرسل قائده عمراً لفتحها، كما جعل له الإمرة عليها فى فتحها[٢] .

## المبحث الثالث

## مراحل الفتح

### المرحلة الأولى :

تبدأ هذه المرحلة بمسيرة عمرو فى ما يقرب من أربعة آلاف مع الذين ساروا معه من العريش فألفوها خلاء ليس بها للروم قوة. وشد ذلك من عزم عمرو، ودفعه لمتابعة سيره، ورجع رسول الخليفة إلى المدينة وذكر له أن عمراً دخل أرض مصر، وسار يطلب الروم فيها، فلن يرتدّ عنها إلا إذا اضطرته الهزيمة إلى الارتداد... وقد كتب الله لعمرو أن يكون الظفر نصيبه، وأراد الله أن تدخل مصر فى حمى الإسلام، وأن تصبح الدرة الغالية فى تاج الامبراطورية الإسلامية[٣] .

### سير المرحلة الأولى :

عاد رسول عمر . . يطوى الطريق إلى المدينة، حاملاً إلى أمير المؤمنين النبأ بأن عمرو ابن العاص دخل أرض مصر أشد ما يكون عزمًا على فتحها، وأكثر ما يكون حاجة إلى المدد، سار عمرو حتى وصل إلى العريش، فلم يجد بها من يدافع عنها فتخطاها منحدراً إلى الجنوب

(١) ابن عبد الحكم ص ٨٢ نفس التحقيق .
(٢) انظر الفاروق عمر جـ ٢ ص ٨٣ .
(٣) المصدر السابق جـ ٢ ص ٨٥ .

من بحيرة شربونة سائرًا فى الطريق الذى سار فيه الفرس لفتح مصر قبل خمس وعشرين سنة من ذلك التاريخ[١].

وهو الطريق الذى سار فيه إبراهيم ـ عليه السلام ـ وقمبيز والإسكندر، وانطيوخوس، وعائلة المسيح ـ عليه السلام ونابليون، وجمال باشا، وهو الطريق الدولى فى العالم القديم الموصل بين أهم مراكز حضارته[٢].

وتم فتح العريش بدون مجهود يذكر فى سنة (٦٣٩م) وهو يوافق السنة التاسعة عشرة من الهجرة[٣].

## بداية الدعوة العملية في مصر منذ اللحظة الأولى :

نزل المسلمون العريش، فلم يجدوا للروم قوة، ولا لأهلها شوكة، فأعلنوا فيها دعوة الإسلام، وتركوا فيها من يعلم أهلها أركانه العملية، ومن يؤذن فيهم فيعلن عن شعائر الإسلام بينهم كما تركوا فيهم من يعلمهم آيات القرآن الكريم، فقد كان هدف المسلمين الأول فى كل بلد يفتحونه أن ينشروا الإسلام، ويعلنوا وحدانية الله، ورسالة محمد ﷺ للناس جميعًا، ثم استأنفوا السير قاصدين ولاية مصر بعد أن اطمأنوا إلى أنهم لن يؤتوا من الخلف. وكان أول لقاء لهم بعد العريش:

**الفرما:** أول موضع التقى فيه المسلمون مع الروم، وكانت الفرما على نهد[٤] من الأرض على نحو ميل ونصف من البحر، وهى مدينة قديمة قوية الحصون بها آثار مصرية قديمة، ويوجد مكان الفرما[٥] فى الوقت الحاضر، تلال حمراء يمكن أن تظهر عن بعد من قناة السويس [٦]. كما تقع جنوب شرق بورسعيد أحرقها الصليبيون عام (١١٦٣م=٤٩٦هـ) قال نعوم شقير: بها قبر جالينوس الحكيم، وهاجر أم إسماعيل منها، وأول مدن مصر من جهة الشمال، وبينها وبين البحر الأبيض ثلاثة أميال انظر تاريخ سيناء صـ١٨٤ نقلا عن مصر فى الإسلام القرن الأول صـ٦٦ .

---

(١) المصدر السابق جـ ٢ ص ٨٦ . وانظر خريطة الإقليم بين العريش وتنيس .
(٢) انظر حتى : تاريخ العرب جـ ١ ص ٢١٦، وحنا النقيوسى ص ٤٧ نقلا عن بتلر: الترجمة العربية ص ١٥٦ .
(٣) د / شكرى فيصل : حركة الفتح الإسلامى فى القرن الأول الهجرى ص ٨٦ .
(٤) النهد : الشيء المرتفع . المعجم الوسيط مادة : (نهد).
(٥) هى (برمون) القبطية، «وبلوز» الفرعونية . الفاروق عمر . جـ ٢ ص ٨٦ وهى «بلوسيوم» عند حتى : راجع تاريخ العرب جـ ١ ص ٢١٦ وعند العرب : الفرما. بتلر . . ص ١٥٦ .
(٦) بتلر . . ص ١٥٦ ، والفاروق عمر جـ ٢ ص ٢١٦ .

وتعد الفرما مدخل مصر الشرقية، وبها اشتبك الفريقان فى قتال شديد نحو شهر وقيل نحو الشهرين[١] ثم سقطت المدينة فى يد عمرو بن العاص ﷺ[٢].

**سبب سقوط مدينة الفرما وحصنها:**

تعجب بعض المؤرخين من سقوط مدينة الفرما فى أيدى عمرو . . وقواته، إذ كيف لمدينة محصنة، وجند لا يتعدى عددهم أربعة آلاف يحاضرون مدينة منيعة الأسوار والحصون يقهروا جندها، ويقتحموا أسوارها، ويفتضوا حصونها؟ وترجع الأسباب التى أدت إلى سقوط الفرما إلى ما يلى:

**أولا :** عزم عمرو بن العاص على استكمال الفتح، ومن ثم جمع جنده، وخطب فيهم، وذكرهم بأن المسلمين كانوا دائماً قلة، حتى فى مواجهتهم للفرس والروم، والله تعالى يقول : ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[٣] . ولم يكذب عمرو أصحابه، وحاصروا الفرما، ففتحها الله عليهم[٤].

**ثانيا :** يرى بعض المؤرخين أن فى الأمر سرا، فيزعمون أن قبط الفرما أمدوا العرب بالمعونة فى أثناء الحصار، فكان ذلك سبب قهرهم عدوهم، كذلك قال المقريزى وأبو المحاسن[٥].

**ثالثا :** كان بالأسكندرية أسقف للقبط يقال له: أبو ميامين، فلما بلغه قدوم عمرو بن العاص وجيشه إلى مصر كتب إلى القبط يعلمهم أنه لن تكون للروم دولة، وأن ملكهم قد انقطع، ويأمرهم بتلقى عمرو. ويقال: إن القبط الذين كانوا بالفرما كانوا يومئذ لعمرو أعواناً»[٦].

**أول من دخل مدينة الفرما من المسلمين :**

كان أول من اقتحم مدينة الفرما من المسلمين : «اسميقع بن وعْلَة السبائى»[٧].

وجاء فى حسن المحاضرة: «وكان أول من شد على باب الحصن اسميقع بن وعلة

---

(١) بتلر . . ص ١٥٧ هامش . .
(٢) حتى : تاريخ العرب جـ ١ ص ٢١٦ .
(٣) سورة القرة : من الآية ٢٤٩ .
(٤) انظر الفاروق عمر جـ ٢ ص ٨٨ .
(٥) ابن عبد الحكم : فتحو مصر والمغرب ص ٨٦ تحقيق عبد المنعم عامر .
(٦) بتلر ص ١٥٧ ، والسيوطى . حسن المحاضرة جـ ١ ص ١٢٧ ، ١٢٨ .
(٧) القضاعى : الخطط ، السيوطى : حسن المحاظرة جـ ١ ص ١٢٧ ، ١٢٨ ، وكان فتح الفرما وحصنها فى أول المحرم سنة ١٩ هـ الموافق ٢ يناير ٦٤٠م .انظر د/ عبد الصبور شاهين وإصلاح عبد السلام الرفاعى مصر فى الإسلام القرن الأول صـ ٦٧ .

السبئى، واتبعه المسلمون فكان الفتح، وتقدم عمرو لا يدافع إلا بالأمر الخفيف حتى أتى بلبيس، فقاتلوه بها نحواً من شهر حتى فتحها الله عليه، ثم مضى لا يدافع إلا بالأمر الخفيف حتى أتى أم دنين، وهى المقس، فقاتلوا بها قتالاً شديداً وكتب إلى عمر .. يستمده، فأمده باثنى عشر ألفاً، فوصلوا إليه أرسالاً يتبع بعضهم بعضاً[١].

ولعل ابن عبد الحكم، وغيره من المؤرخين يحاولون تعليل انتصار المسلمين فى الفرما بشتى الطرق فى الوقت الذى نجد فيه أن أهل مصر لم يروا طعم الراحة فى ظل الرومان، ثم أنهم :

**أولا :** لم يعرفوا بعد لمن ستكون الغلبة .

**ثانيًا :** لم يكن لهم دراية بحكم المسلمين، وإن كانوا سمعوا عنه.

**ثالثا :** أنهم آثروا السلامة، فلم يعاونوا الروم، ولم يدخلوا مع المسلمين جهاراً.

**رابعًا :** موقف (أبو ميامين)الذى هرب من الإسكندرية تخلصاً من ظلم الروم، ولم يعد إلا بعد أن كتب له عمرو بن العاص. أماناً أقر فيه بعودته.

وبفتح الفرما وضع المسلمون أيديهم على رصد مصر، وأصبح الطريق أمامهم مفتوحا إلى قلبها فقد كانت هذه المدينة مفتاح مصر من الشرق، ومدخلها، فاستطاعوا أن يضمنوا لأنفسهم القاعدة التى يتقدمون منها إن أتيح لهم التقدم، ويتراجعوا إليها، لو أكرهوا على التراجع، ويتلقون الإمداد عن طريقها حين يمدهم الخليفة[٢].

**مدينة الفرما : أول المدن المصرية في أيدي المسلمين :**

الفرما اسم عربى لمدينة بلوز، وكان القبط يسمونها پرمون، وكانت على هضبة من الأرض، وعلى مسافة ميل ونصف من البحر تقريباً، وكان لها مرفأ متصل بها بخليج بحرى من البحر، وكان فرع النيل يسمى البلوزى يهوى إلى البحر بقربها، وكانت مدينة قوية الحصون بها كثير من آثار المصريين القدماء، كما كان بها أديرة، وكانت مفتاح مصر من الشرق، فهى تشرف الطريق الصحراوى، وتملك ناصية البحر، ويجرى إليها فرع النيل الذى يؤدى إلى مصر السفلى، وقد دك الفرس أسوارها وحصونها وخربوا كنائسها عند غزوهم لمصر قبل الفتح العربى[٣].

---

(١) انظر ابن عبد الحكم . . ص ٨٦ هامش ١ تحقيق عبد المنعم عامر، والفاروق عمرر جـ ٢ ص ٨٨، وسيأتى مزيد بيان عن (أبو ميامين).

(٢) انظر د/ شكرى فيصل : حركة الفتح الإسلامى فى القرن الأول . . ص ٨٧ .

(٣) ابن عبد الحكم . . ص ٨٥ هامش ٤ القسم المحقق .

**دعوة الإسلام تدخل الفرما ثاني مدن مصر بعد العريش :**

مكث المسلمون فى الفرما، واطمأنوا إلى أهلها، فلم يثوروا عليهم ولم يحاربوا مع الرومان مما شجع المسلمين أن يذيعوا بينهم دعوة الإسلام، كما اتخذوا الفرما قاعدة لهم بالنسبة لباقى المدن الأخرى، ولما آرادوا فتح غيرها من المدن خرجوا وهم مطمئنين بعد أن تركوا بها حامية خفيفة تدافع عنهم، كما تعلمهم أركان الإسلام وعباداته.

**فتح بلبيس :**

ثم عمد عمرو . . إلى بلبيس إلى الشمال الشرقى من القاهرة[١] مع من انضم إليه من البدو المقيمين على تخوم الصحراء المصرية . . فعوضوا المسلمين عمن فقدوه فى أول حصار ضربوه بمصر[٢].

وأثناء سيره التقى بمدينة مجدول القديمة جنوب الفرما، موقعها اليوم القنطرة[٣]، ثم سار إلى موضع آخر يقع على قناة السويس مكانه الآن القنطرة أيضاً، وقد لزم العرب المسلمون جانب الصحراء، حتى وصلوا إلى الصالحية أو القصاصين إلى الجنوب فاجتازوا تلال وادى الطميلات، موقعه اليوم بالقرب من التل الكبير . . اجتاز ابن العاص وجيشه هذه الصحراء الشاسعة حتى وصل إلى بلبيس [٤].

فالتقى مع حاكم القدس الذى فر إلى مصر، وتمت الغلبة للمسلمين، فقد كان عمرو أثناء سيره لا «يدافع إلا بالأمر الخفيف» على حد تعبير ابن عبد الحكم، حتى أتى بلبيس فقاتلهم بها نحواً من شهر ثم فتحها الله عليه(٥).

**أول دعوة علنية على المستوى الرسمي في مصر :**

أقام المسلمون فى بلبيس شهراً قاتلوا فى أثنائه الروم حتى ظفروا بهم . . وتذهب الروايات إلى أن المقوقس بعث إلى عمرو، أول ما نزل بلبيس من يفاوضه ليرجع عن مصر، وأن

---

(١) حتى : تاريخ العرب جـ ١ ص ٢١٦ .
(٢) الفاروق عمر جـ ٢ ص ٩١ .
(٣) نفس المصدر .
(٤) انظر : بتلر . . . ص ١٥٩ ، ١٦٠ .
(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص ٨٧ .

عمراً تحدث إلى الأساقفة عن بعث الله رسوله بالحق، وأنه ﷺ أمر أصحابه بالإعذار إلى الناس، ومن ثم قال: «فنحن ندعوكم إلى الإسلام فمن أجابنا إليه فمثلنا، ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية، وبذلنا له المنعة، وقد أعلمنا أنا مفتتحوكم، وأواصانا بكم حفظاً لرحمنا فيكم، وإن لكم إن أجبتمونا بذلك ذمة إلى ذمة»[1] وفطن الأساقفة إلى أن عمراً يشير بصلة الرحم إلى هاجر أم إسماعيل، فقالوا: قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلا الأنبياء! ثم أضافوا: أمنا حتى نرجع إليك. فقال عمرو: إن مثلى لا يخدع، ولكنى أؤجلكم ثلاثة أيام لتنظروا وتناظروا قومكم، وإلا ناجزتكم. فاستزادوه فزادهم يوماً، ثم يوماً خامساً. ورجع الملأ إلى المقوقس فحدثوه بحديث عمرو. فأبى القائد الأطربون إلا مناجزة المسلمين. وقال الأساقفة المفاوضون للناس، وقد رأوا مخاوفهم: «أما نحن فسنجتهد أن ندفع عنكم ولا نرجع إليهم، وقد بقيت أربعة أيام فلا تصابون فيها بشىء إلا رجونا أن يكون له أمان».

سار الأطربون عقب هذا الحديث فى اثنى عشر ألفا كاملى العدة حتى يأخذ المسلمين ببلبيس على غرة. ولقد فجأهم وبيتهم بياتاً شديداً. لكن عمراً كان الحذر كل الحذر، كان كل جيشه فرساناً فى عدة القتال. لذلك حميت المعركة بين الفريقين فيما يذكر أصحاب هذه الرواية فقتل فيها من العرب عدد ليس بالقليل، وخسر الروم ألفى قتيل، وثلاثة آلاف أسير، ثم انهزم الأطربون وتمزق جيشه، ويقال: إنه قتل[2].

**نبذة عن بلبيس:**

هى من أعمال محافظة الشرقية، وكانت بلبيس عاصمة إقليم آخر عهد الحكم الجركسى، وفى سنة ألف وثمانمائة واثنتين وثلاثين ميلادية، نقلت المصالح الأميرية منها إلى الزقازيق، وكانت بلبيس تسمى قديماً فليبس أو فلابيس[3].

وقد كانت طلائع الروم قد خرجت ترقب قدوم العرب من الصحراء فحدث بينهم وبين الجيش الإسلامى قتال:أسفر عن هزيمة الروم، ويذكر الواقدى فى تاريخه أن أرمانوسة بنت المقوقس كانت فى طريقها إلى قيصرية لتزف إلى قسطنطين بن هرقل، فلما علمت أن قيصرية قد حاصرها العرب عادت إلى مصر بما كان معها من الخدم والمال، وما أن وصلت إلى بلبيس

(١) بتلر ص ص ١٦٠، ١٦١، والفاروق عمر ج٢ ص ٩٢، ٩٣.
(٢) انظر ابن عبد الحكم: ص ٨٧ هامش ١.
(٣) انظر ابن عبد الحكم: صـ ٨٧ هامش ١.

حتى جاءتها جيوش العرب وحاصرتها، وقيل:إن عمرا أكرمها وأعادها إلى أبيها بما كان معها من الجواهر، مظهرا وفاء المسلمين حتى مع أعدائهم [١].

**قبول بلبيس لدعوة الإسلام:** دخل المسلمون بلبيس، والتقوا فيها بجيش الروم، وكتب الله النصر للمسلمين، فاستطاعوا شرح الإسلام لدى أهلها، فدخل فيه من كتب الله له الهداية، وكان من أهم الأمور لدى المسلمين، أن يجدوا الفرصة المواتية للدعوة إلى الإسلام، بالحكمة والموعظة الحسنة، ولو أن أهل القوة فى الأرض حينذاك كانوا يتركون للرأى المخالف أن يتنفس، أو العقيدة المخالفة لهم أن تأخذ حقها، لما شهر المسلمون سيفا، ولما حملوا رمحا، ولكتفوا بإرسال دعاتهم يشرحون رسالة الله وبيان تعاليمه بالحجة، والمنطق، ولكن الطرف الآخر، أراد وأد حركة الإسلام ودعوته منذ البداية، ووقفوا لها بالمرصاد، فماذا يفعل المسلمون، والأعداء يتربصون بهم الدوائر؟ إن من العبث أن يخطىء أحد من البشر، من قاموا يردوا العدوان بالعدوان، ومن قاموا يرسون قواعد العدل والانصاف فى الأرض، لو أن المسلمين اتخذوا وسائل الظلم والقهر فى دعوتهم لما قبلها أحد إلا ريثما تظل قوتهم، فإذا زالت زالت الدعوة من القلوب والنفوس، ولكن العكس هو الذى حدث فقد كان تسعة أعشار الذين دخلوا فى الإسلام ممن لم يدخلهم جيش محارب.

سار المسلمون فى بلبيس سيرة حسنة، ولما أرادوا الانصراف، تركوا فيها حامية، تدفع عنهم غدْر الروم، كما تركوا فيهم من يعلمهم الإسلام، ويشرح لهم عبادته، ويعلمهم آيات القرآن الحكيم، كما تركوا فيهم من يعلن كلمات الإسلام، وأعنى به الأذان، الذى كان المسلمون يحرصون على أدائه بكل صدق وإخلاص فهو شعار بوحدانية الله سبحانه، وإعلان عن تعظيم الله، واعتراف برسالة محمد ﷺ ولما رأى المسلمون أن أهل بلبيس غير غاضبين عليهم ولا مخادعين لهم تركوهم إلى:

**أم دنين:** سار إليها عمرو..مصاقبا الصحراء حتى نزل قريبا من أم دنين على النيل عند مأخذ خليج تراجان الذى يصل مدينة مصر بالبحر الأحمر عند السويس، وكانت أم دنين تقع فى حى الأزبكية اليوم، وكانت حصينة يجاورها مرفأ على النيل فيه السفن كثيرة وكانت تقع

---

(١) انظر:ابن عبد الحكم..ص ٨٧ هامش ١ .

إلى الشمال من بابليون وهو حصن رومانى منيع موقعه مصر القديمة اليوم [(١)].

وفى أم دنين قاتل المسلمون الروم «قتالا شديدا وأبطأ عليهم الفتح فكتب إلى عمر يستمده، فأمده بأربعة آلاف تمام ثمانية آلاف»[(٢)].

ومهما كان من أمر القتال وشدته فقد أتم العرب ماقصدوا إليه فى تلك الجولة، واستولوا على أم دنين، فملكوا بذلك منزلا على النيل جعلوا فيه مسلحة منهم، واستطاع عمرو أن يأخذ من السفن ما يكفى بقية جنده لاجتياز النهر [(٣)].

يذكر المقريزى أن أم دنين كانت ميناء مصر فى وقت الفتح الإسلامى ويذكر بعض المؤرخين الغربيين أنه لما تأخر المدد على عمرو بن العاص، وعجز عن فتح حصن بابليون أخذ مسلحة أم دنين سفنا وعبر النيل بجنده إلى إقليم الفيوم..ولكن مؤرخى العرب يذكرون أن فتح الفيوم كان بعد سقوط حصن بابليون [(٤)].

**باب ليـــون:** حصن رومانى، فارسى منيع يقع موقع مصر القديمة اليوم، كان متين البنيان قوى الأسوار قاومت متانته أحداث الزمن فلم ينقض بنيانه إلا منذ فترة..وعلى أميال قليلة إلى الجنوب من هذا الحصن كانت تقوم مدينة منف..جاء الروم إليه بجلّ قوتهم، وأمدوا حصن أم دنين بمسلحة قوية وتهيئوا لقتال لم يبق لديهم شك فى أنه قتال حياة أو موت، فإما ردوا العرب بعده على أعقابهم وإما قالوا فى أعقابه ما قاله هرقل يوم ودّع سورية الوداع الأخير، عليك السلام يا سوريا سلاماً لا اجتماع بعده!.

أدرك عمرو..دقة الموقف، وخطره، فقد جاءته عيونه بأنباء عرف منها أنه لن يستطيع أن يفتح حصن بابليون، أو يحاصره بمن معه من الجند..وكان الحذر يقتضى عمرا ألا يفرط فى رجاله أو يدفعهم إلى هلكة، وأن يستعجل أمير المؤمنين المدد..ثم تقدم إلى أم دنين، واستطاع أن يضمها إلى سيطرته كما سبق [(٥)].

**الروم داخل الحصن:** كانت قوات الروم تعتصم فى حصن بابليون بقيادة تيودورس،

---

(١) الفاروق عمر جـ٢ ص ٩٤ ، وكان وصول عمرو إليها فى جمادى سنة ١٩هـ الموافق ابريل سنة ٦٤٠م مصر فى الإسلام القرن الأول صـ ٦٩ .

(٢) ابن عبد الحكم:ص٨٧ مكان يحرس الجنود كالثغور أو الرباط.

(٣) انظر بتلر..ص ١٦٣ .

(٤) انظر ابن عبد الحكم:ص٨٧ هامش ٢ بتحقيق عبد المنعم عامر.

(٥) الفاروق عمر:جـ٢ ص ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٨، وانظر بتلر:ص١٦٢ .

ورئاسة المقوقس الذى وكلت إليه بيزنطة منذ استرجعت مصر من الفرس أمر ولاية مصر كلها، وجمعت له السلطة الدينية والمدنية معا، فكان بطريكا على الإسكندرية ورأسا للإدارة المدنية.

عسكر المسلمون فى هليوبوليس «عين شمس» وتلقوا هنا أمداد الخليفة بقيادة:الزبير بن العوام ﷺ، وكتب عمر بن الخطاب ﷺ إلى عمرو..«إنى قد أمددتك بأربعة آلاف رجل على كل ألف منهم رجل مقام الألف:الزبير بن العوام، والمقداد بن عمرو، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلد، وقيل بل خارجة بن حذافة الرابع لا يعدون مسلمة، وقال عمر ابن الخطاب ﷺ :إن معك اثنى عشر ألفا، ولا يغلب اثنا عشر ألفا من قلة» (١).

وصل المدد، لكنهم لم يستطيعوا هجوم الحصن لمناعته، مع نقص آلات الحصارمعهم، فاكتفوا أن يسدوا عليه المنافذ، ويحكموا الأخذ بخناقه «غير أن مركز الحصن لم يكن ليساعد العرب على الحركة السريعة فقد كان فى وسع الروم أن يهبطوا إليهم فيناوشوهم فى أى وقت شاءوا، ثم يعودون إلى حصنهم آمنين وراء أسواره العظيمة»(٢).

وقد لقى المسلمون مشقة عبر عنها ابن عبد الحكم فى قوله:«فقاتلوا قتالا شديدا، وأبطأ عليهم الفتح..حتى إذا كان القتال ذات مرة، استدرج عمرو جيش الروم إلى هذه المسافة التى تفصل بين الحصن وبين هليوبوليس، كانت للمسلمين الغلبة، وهرب القائد تيودورس فلاذ بالإسكندرية، واحتمى المقوقس ثانية بالحصن فرابط العرب حوله سبعة أشهر دارت فيها مفاوضات لم تنته إلى عقد» (٣).

**موقعة عين شمس:** لما لم ينتظر عمرو..فتح حصن بابليون، تخطى النيل وسار إلى عين شمس واتصل بالزبير، وبالمدد العظيم الذى جاء معه...وقد اختار عمرو بن العاص اطلال عين شمس فعسكر بها، وعسكر معه المدد الذى جاء مع الزبير بن العوام، لأن هذا المكان كان نهدا من الأرض يسهل الدفاع عنه.وكان أكبر همه أن يستخرج الروم من حصن بابليون ليقاتلهم فى السهل..فجاءته عيونه تخبره بأن الروم أزمعوا السير إلى عين شمس لإجلاء المسلمين عنها،وضع عمرو خطة للقائهم..فأخرج خمسمائة رجل ساروا تحت جنح الليل من وراء الجبل حتى دخلوا مغار بنى وائل عند قلعة الجبل، وخمسمائة آخرين عليهم خارجة بن

(١) ابن عبد الحكم:ص٩١ .

(٢) بتلر...ص ١٩٢ .

(٣) حركة الفتح الإسلامى فى القرن الأول ص ٨٨، وابن عبد الحكم ص ٩٦ ـ ١٠٣ .

حذافة إلى أم دنين (حي الأزبكية الحالي) وفي الصباح سار عمرو بجيشه من عين شمس إلى العباسية في وقتنا الحاضر في انتظار جموع الروم الذين خرجوا من حصنهم مولين وجوههم شطر عين شمس.....،

والتقى الفريقان، وحمى وطيس المعركة، وإنهم لكذلك إذ خرجت الكتيبة المختبئة في مغار بني وائل تهوى من فوق الجبل فتعصف بمؤخرة الروم عصفا..فتولاهم الفزع وتقهقروا متياسرين نحو أم دنين عند ذلك خرج الكمين الآخر فأمعن فيهم قتلا فخيّل إليهم أن ثلاثة جيوش من المسلمين تقاتلهم من ثلاث نواح مختلفة، فانحل نظامهم ولاذ منهم بالفرار من لاذ إلى الحصن..وانتصر المسلمون في هذه الموقعة التي يسميها المؤرخون (موقعة عين شمس) نصرا حاسما وطد أقدامهم على ضفاف النيل (١).

**حصار حصن بابليون:** انتهت موقعة عين شمس بانتصار المسلمين، فعزم عمرو..على محاصرة حصن بابليون، وهو من الحصون المنيعة التي قابلت المسلمين في مصر، وهو قلعة رومانية، ترتفع أسوارها إلى نحو ستين قدما وسمكها ثماني عشرة قدما يشرف الناظر منها على جبل المقطم شرقا وعلى الجيزة غربا، ويرى منه مجرى النيل شمالا وجنوبا، وكانت السفن ترسو عند بابه، وكان في الحصن كل أسباب المعيشة (٢).

«ويطلق المؤرخون على هذا الحصن اسم بابليون، وباب إليون، وقصر الشمع»(٣) يقول ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة:«وسار عمرو..حتى بلغ بابليون، ويقول:وكان اسم المدينة اليونة فسماها فسطاطا، ويذكر بتلر أن اسم الحصن باللغة القبطية كان «بابليون ــ أن خيمي» ومعناه بابليون مصر، ويروى أن القيصر «تراجان» بنى الحصن في جوار حصن قديم كان يطلق عليه اسم بابليون منذ قرون طويلة قبل أيام تراجان، وأن السبب في تسميته أن جماعة من أسرى بابل جاء بهم سيزوستريس كانت مقيمة فيه، وثم روايات أخرى في سبب هذه التسمية يطول شرحها» (٤).

---

(١) الفاروق عمر:جـ ٢ص ١٠٠ ــ ١٠٢ ، ووقعت هذه المعركة في رجب سنة ١٩هـ الموافق يونيو سنة ٦٤٠م انظر مصر في الإسلام.

(٢) الفاروق عمر:جـ ٢ص١٠٤ .

(٣) الفاروق عمر:جـ ٢ص١٠٤ هامش ١ ، وابن عبد الحكم ص ٨٤ هامش١ تحقيق عبد المنعم عامر.

(٤) الفاروق عمر:جـ ٢ص١٠٤ هامش ١ .

**المبحث الرابع: المقوقس يحاور المسلمين:** كان المقوقس منذ ابتداء الحصار، وكان على إمرة جنود الحصن قائد رومى يسميه مؤرخوا المسلمين «الأعيرج» ويقول بتلر: إن هذه التسمية تحريف منهم لـ «جورج» القائد الرومانى [١].

كان من فى الحصن كلهم من الروم إلا قليلا معهم من القبط فى خدمتهم، وتراشق الجانبان الروم بالمجانيق والمسلمون بالحجارة والسهام.. رأى المقوقس وأصحابه أن يتشاوروا فيما بينهم وهم محصورون، خاصة وأن المسلمين قد انتصروا على جيوشهم فى الفرما وبلبيس، وأم دنين، وعين شمس..، واتفقوا على أن يقوم بمحادثة المسلمين سرًّا المقوقس نفسه. وتسلل المقوقس وجماعة من أصحابه من الحصن بعد جنح الليل، وركبوا السفن إلى جزيرة الروضة فلما بلغها أرسل إلى عمرو بن العاص برسالة مع أسقف بابليون وجماعة يقول فيها: «أنتم قوم قد ولجتم فى بلادنا وألححتم على قتالنا، وطال مقامكم فى أرضنا، وإنما أنتم أسارى فى أيدينا فابعثوا إلينا رجلا منكم نسمع من كلامهم، فلعله أن يأتى الأمر فيما بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب، وينقطع عنا وعنكم هذا القتال قبل أن تغاشكم جموع الروم، فلا ينفعنا الكلام، ولا نقدر عليه، ولعلكم أن تندموا إن كان الأمر مخالفا لطلبتكم ورجائكم، فابعث إلينا رجالا من أصحابكم نعاملهم على ما نرضى به نحن، وهم من شىء» [٢].

**لكن ما هو السبب في تغيير موقف المقوقس ومن معه؟** يرجع هذا التغيير إلى عزم وتصميم المسلمين فى حصارهم للحصن، ومقاتلتهم لحاميته شهرا «فلما رأى القوم الجد منهم على فتحه، ورأوا من صبرهم على القتال ورغبتهم فيه خافوا أن يظهروا عليهم فتنحى المقوقس وجماعة من أكابر القبط، وخرجوا من باب القصر القبلى ودونهم جماعة يقاتلون العرب فلحقوا بالجزيرة ـ أى جزيرة الروضة ـ موضع الصناعة اليوم وأمروا بقطع الجسر، وذلك فى جرى النيل، وزعم بعض مشائخ أهل مصر أن الأعيرج كان تخلف فى الحصن بعد المقوقس، فلما خاف فتح الحصن ركب هو وأهل القوة والشرف، وكانت سفنهم ملصقة بالحصن، ثم لحقوا بالمقوقس بالجزيرة» [٣].

---

(١) انظر ابن عبد الحكم ..ص ٨٤،٨٥، الفاروق عمر: جـ ٢ ص١٠٤ .
(٢) الفاروق عمر: جـ ٢ ص١٠٤، ١٠٥ وابن عبد الحكم ص ٩٦ بتغيير طفيف.
(٣) ابن عبد الحكم ص ٩٦ .

أدى صبر المسلمين وشدة بأسهم فى القتال إلى خور فى هزيمة من بالحصن واختلاف فى رأيهم فجمع المقوقس (قيرس) من وثق بهم من الحرس ودعا معهم الأسقف الملكانى، واستشارهم سرا فى الأمر، وبسط لهم رأيه أن يبعدوا العرب عن البلاد بمال يبذلونه لهم واستقر رأى المجتمعين على أن يذهب قيرس، وأصحابه تحت ستار الليل إلى جزيرة الروضة، وتم الأمر فى كتمان ففتح الباب الحديدى، المفضى إلى النيل، واستقل الخارجون السفن من هناك، ونزلوا فى الموضع الذى أنشئت فيه دار الصناعة فيما بعد بجزيرة الروضة [١].

أما الأعيرج فيقال له المندفور القبطى، كان يدير مصر من قبل المقوقس، وهو جورج قائد حرس الحصن، وقد بقى فى الحصن حتى يقضى على ما يشاع من خروج (قيرس) [٢].

**موقف عمرو عند تسلم رسالة المقوقس:** عندما أتت عمرو بن العاص رسالة المقوقس على يد رسله حبسهم يومين بليلتين حتى خاف عليهم المقوقس، فقال لأصحابه :أترون أنهم يقتلون الرسل، ويحبسونهم، ويستحلون ذلك فى دينهم؟.

**تجديد الدعوة إلى الإسلام:** رد عمرو بن العاص رسل المقوقس ومعهم رسالة منه، بعد أن حبسهم هذه المدة ليريهم حال المسلمين وكتب له الرسالة التالية: «ليس بينى وبينكم إلا إحدى ثلاث خصال! إما أن دخلتم فى الإسلام فكنتم إخواننا وكان لكم مالنا، وإن أبيتم فأعطيتم الجزية عن يد وأنتم صاغرون، وإما أن جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين» ..[٣].

**وصف المسلمين للمقوقس ورده:** دهش المقوقس لما سمع فليس هذا جواب من يريد المفاوضة، بل هو جواب المنتصر يريد أن يفرض حكمه، أترى بلغ من هؤلاء القوم الغرور، أو بلغت منهم الثقة بالنفس فليس إلى إغرائهم بالمال أو بغير المال سبيل؟ وسأل المقوقس رسله كيف رأيتموهم؟.

قالوا:«رأينا قوما الموت أحب إلى أحدهم من الحياة، والتواضع أحب إليه من الرفعة، وليس لأحدهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة، إنما جلوسهم على التراب، وأكلهم على ركبهم،

---

(١) انظر:ابن عبد الحكم ص ٩٦ هامش ٢ .

(٢) نفس المصدر هامش ٣ .

(٣) المصدر السابق ص ٩٧، والفاروق عمر:جـ ٢ ص١٠٥، وبتلر ص ١٨٩ .

وأميرهم كواحد منهم ما يعرف رفيعهم من وضيعهم، ولا السيد منهم من العبد، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد، يغسلون أطرافهم بالماء ويتخشعون في صلاتهم»[١].

فقال المقوقس:«والذي يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها، وما يقوى على قتال هؤلاء أحد، ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبونا به اليوم إذا أمكنتهم الأرض، وقووا على الخروج من موضعهم»[٢].

**المفاوضات:** رد المقوقس رسله إلى المسلمين قائلا:ابعثوا إلينا رسلا منكم نعاملهم، ونتداعى نحن وهم إلى ما عساه أن يكون فيه صلاح لنا ولكم.

فبعث عمرو بن العاص عشرة نفر أحدهم عبادة بن الصامت ﷺ ودارت بين الفريقين محادثات نقتصر منها على مايلي: تكلم عبادة ﷺ أمام الفريقين، ثم أقبل عليه المقوقس قائلا:أيها الرجل الصالح قد سمعت مقالتك، وما ذكرت عنك، وعن أصحابك. ولعمري ما بلغتم إلا بما ذكرت، وما ظهرتم على من ظهرتم عليه إلا لحبهم الدنيا، ورغبتهم فيها، وقد توجه إلينا لقتالكم من جمع الروم مالا يحصى عدده، قوم معروفون بالنجدة والشدة، ما يبالي أحدهم من لقي، ولا من قاتل، وإنا لنعلم أنكم لن تقووا عليهم، ولن تطيقوهم لضعفكم وقلتكم، وقد أقمتم بين أظهرنا أشهرا، وأنتم في ضيق وشدة من معاشكم وحالكم، ونحن نرّق عليكم لضعفكم، وقلتكم وقلة ما بأيديكم، ونحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين، ولأميركم مائة دينار، ولخليفتكم ألف دينار فتقبضونها وتنصرفون إلى بلادكم قبل أن يغشاكم مالا قوام لكم به [٣].

أرأيت هذه السذاجة لقد ظن المقوقس أنه يستطيع تخويف المسلمين، أورشوتهم بدنانيره، كما هو أسلوب أحفاده في العصر الحديث، لعله فهم أن المسلمين طلاب مغانم وأسلاب، ونسى أنهم طلاب دعوة ومبلغي رسالة وحملة أمانة:فكان رد عبادة ﷺ درسا رائعا في الثقة بالنفس وحب التضحية ـ فماذا قال؟

**عبادة ﷺ يوضح لهم دعوة الإسلام:** قال:«يا هذا، لا تغرنك نفسك، ولا

(١) ابن عبد الحكم ص ٩٧ تحقيق عبد المنعم عامر، والفاروق عمر:جـ ٢ص١٠٥، وبتلر ص١٨٩ .
(٢) ابن عبد الحكم ص ٩٧، والفاروق عمر:جـ ٢ص ١٠٦ .
(٣) انظر ابن عبد الحكم ص ٩٩،١٠٠ تحقيق عبد المنعم عامر، والفاروق عمر:جـ ٢ص ١٠٦ .

أصحابك، أما ماتخوّفنا به من جمع الروم، وعددهم وكثرتهم، وإنا لا نقوى عليهم، فلعمرى، ماهذا بالذى تخوفنا به، ولا بالذى يكسرنا عما نحن فيه، إن كان ما قلتم حقا، فذلك والله أرغب ما يكون فى قتالهم، وأشد لحرصنا عليهم، لأن ذلك أعذر لنا عند ربنا إذا قدمنا عليه إن قتلنا عن آخرنا، كان أمكن لنا فى رضوانه وجنته، وما من شىء أقر لأعيننا، ولا أحب إلينا من ذلك، وإنا منكم حينئذ لعلى إحدى الحسنيين:إما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظفرنا بكم، أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا، وإنها لأحب الخصلتين إلينا بعد الاجتهاد منها»[1] والله عـز وجل قـال فى كـتـابه: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[2] .ثم واصل عبادة حديثه قائلا:«وما منا أحد إلا ويدعو ربه صباحا ومساء أن يرزقه الشهادة، وألا يرده إلى بلده، ولا إلى أرضه ولا إلى أهله وولده، وليس لأحد منّا همّ فيما خلفه، وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده، وإنما همنا ما أمامنا.

وأما قولك إنا فى ضيق وشدة من معاشنا وحالنا، فنحن فى أوسع السعة، لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن عليه فانظر الذى تريد فبينه لنا، فليس بيننا وبينكم خصلة نقبلها منك ولا نجيبك إلا إلى خصلة من ثلاث، فاختر أيها شئت، ولا تطمع نفسك فى الباطل بذلك أمرنى الأمير، وبها أمره أمير المؤمنين، وهو عهد رسول الله ﷺ من قبل إلينا ـ تسلسل الأوامر وتنفيذها ـ إما أجبتم إلى الإسلام الذى هو الدين الذى لا يقبل الله غيره، وهو دين أنبيائه ورسله وملائكته، أمرنا الله أن نقاتل من خالفه ورغب عنه حتى يدخله فيه، فإن فعل كان له ما لنا وعليه ما علينا، وكان أخانا فى دين الله، فإن قبلت ذلك أنت وأصحابك فقد سعدتم فى الدنيا والآخرة، ورجعنا عن قتالكم، ولم نستحل أذاكم، ولا التعرض لكم، فإن أبيتم إلا الجزية فأدوا إلينا الجزية وأنتم صاغرون، نعاملكم على شىء نرضى به نحن وأنتم كل عام أبدا ما بقينا وبقيتم، ونقاتل عنكم من ناوأكم، وعرض لكم فى شىء من أرضكم، ودمائكم وأموالكم، ونقوم بذلك عنكم إذا كنتم فى ذمتنا، وكان لكم به عهد علينا، وإن أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا المحاكمة بالسيف حتى نموت من آخرنا، أو نصيب ما

(١) ابن عبد الحكم ص ٩٩،١٠٠ ، والفاروق عمر جـ٢ ص ١٠٦ .
(٢) سورة البقرة:آية ٢٤٩ .

نريد منكم، هذا ديننا الذى ندين الله به، ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره، فانظروا لأنفسكم»[١] .

أوعيتَ هذه المحاورة التى ظهرت الصراحة فيها بكل وضوح، لا مكر، لا خديعة، لا مواربة..فكان رد المقوقس:هذا مالا يكون أبدا، ما تريدون إلا أن تتخذونا نكون لكم عبيدا ما كانت الدنيا فقال له عبادة بن الصامت:هو ذاك فاختر ما شئت.

فقال له المقوقس:أفلا تجيبوننا إلى خصلة غير هذه الثلاث خصال؟ فرفع عبادة يديه، فقال:لا ورب هذه السماء، ورب هذه الأرض، ورب كل شيء، مالكم عندنا خصلة غيرها فاختاروا لأنفسكم.

فالتفت المقوقس عند ذلك لأصحابه، فقال:قد فرغ القوم فماذا ترون؟ فقالوا:أو يرضى أحدٌ بهذا الذل، أما ما أرادوا من دخولنا فى دينهم فهذا مالا يكون أبدا، أن نترك دين المسيح ابن مريم، وندخل فى دين غيره لا نعرفه، وأما ماأرادوا أن يسبونا ويجعلونا عبيدا فالموت أيسر من ذلك، لو رضوا منا أن نُضعِّف لهم ما أعطيناهم مرارا أهون علينا [٢] .

فقال المقوقس لعبادة:قد أبى القوم، فماذا ترى؟ فراجع صاحبك على أن نعطيكم فى مرّتكم هذه ما تمنيتم وتنصرفون، فقام عبادة، ومن معه وانصرفوا...[٣] .

أسفرت المفاوضات عن الأمور التالية :-

**أولا:** أصبح للمسلمين قوة تقف أمام الروم فى مصر، على قدم وساق، واستخدموا حقهم فى الكلمة فعرضوا على القوم مطالبهم.

**ثانيا:** محاولة ثنّى المسلمين عن عزمهم، فقد عرض عليهم حاكم مصر رشوتهم، ليرجعوا من حيث أتوا.

**ثالثا:** رَفْض المسلمين لهذا العرض الرخيص، فأثبتوا أنهم ليسوا طلاب غنائم، وإنما هم مبلغى رسالة، وناشرى دعوة.

**رابعا:** تجلى موقف عبادة وصحبه فى تمسكهم بالحق رغم المصاعب التى قد

(١) ابن عبد الحكم ص ١٠٠، ١٠١، وانظر بتلر ص ١٩٠، ١٩١ .
(٢) انظر ابن عبد الحكم ص ١٠٢ .
(٣) المصدر السابق ص ١٠١، ١٠٢ .

تصادفهم، وهم فى أول الطريق.

**خامسا:** لأول مرة يشترك بعض المصريين فى مفاوضات بشأن مستقبلهم، ومستقبل بلادهم.

**سادسا:** تبليغ المصريين دعوة الإسلام على المستوى الرسمى.

**سابعا:** ظهرت مكانة المقوقس وأنه صاحب الكلمة فى مصر على الرغم مما يحاول البعض التشكيك فيه [(١)]. وأنه عدو للمسيحيين وخائن لهم..الخ.

**نصيحة المقوقس للمصريين:** التفت المقوقس إلى من حوله قائلا: أطيعونى، وأجيبوا القوم إلى خصلة من هذه الثلاث، فوالله مالكم بهم طاقة ولئن لم تجيبوا القوم إليها طائعين لتجيبنهم إلى ما هو أعظم كارهين، فقالوا: وأى خصلة نجيبهم إليها؟ قال: إذاً أُخْبِركم، أما دخولكم فى غير دينكم فلا آمركم به، وأما قتالهم فأنا أعلم أنكم لن تقووا عليهم، ولن تصبروا صبرهم. ولابد من الثالثة.

قالوا أفنكون لهم عبيدا أبدا؟ قال: نعم، تكونون عبيدا مسلطين فى بلادكم آمنين على أنفسكم وأموالكم وذراريكم خير لكم من أن تموتوا عن آخركم، وتكونون عبيدا تباعوا، وتمزقوا فى البلاد مستعبدين أبدا، أنتم، وأهلوكم وذراريكم. قالوا: فالموت أهون علينا.

وأمروا بقطع الجسر من الفسطاط، وبالجزيرة، وبالقصر من القبط والروم جمع كثير[(١)].

**تأزم الموقف بين الطرفين لتمسك كل منهما بمطالبه:** المصريون يعرضون دفع مبلغ من المال على أن يرجع المسلمون من حيث أتوا.

والمسلمون يعرضون دعوة الإسلام فى صورة من ثلاثة، وإزاء ذلك بدأت نذر الحرب بقطع الروم للجسر، وظهرت بوادر العصيان.

**دعوة الإسلام تذاع للمرة الرابعة [(*)] على الصعيد الرسمي:** يذكر الطبرى فى تاريخه أنه لما خرج عمرو بن العاص إلى مصر...انتهى إلى باب ليون..أتبعه الزبير، فاجتمعا

---

(١) ابن عبد الحكم..ص ١٠٢، والفاروق عمر جـ٢ ص ١٠٧.

(*) سبقها دعوة لعمرو..فى بلبيس، ودعوة ثانية..ردا على رسالة المقوقس، ودعوة ثالثة من عبادة رضي الله عنه، وهذه الدعوة الرابعة.

فلقيـهم هناك أبو مريم جاثليق [١] مصر، ومعه الأسقف فى أهل البيات بعثه المقوقس لمنع بلادهم.فلما نزل بهم عمرو قاتلوه، فأرسل إليهم ـ أى عمرو:«لا تعجّلونا لنعذر إليكم، وترون رأيكم بعد. فكفوا أصحابهم، وأرسل إليهم عمرو:إنى بارز فليبرز إلَىّ أبو مريم، وأبو مريام، فأجابوه إلى ذلك، وأمّن بعضهم بعضا، فقال لهما عمرو:أنتما راهبا هذه البلدة فاسمعا، إن الله عز وجل بعث محمداً ﷺ بالحق وأمره به، وأمرنا به محمد ﷺ وأدى إلينا كل الذى أمرنا به، ثم مضى صلوات الله عليه ورحمته وقد قضى الذى عليه، وتركنا على الواضحة، وكان مما أمرنا به:الاعذار إلى الناس فنحن ندعوكم إلى الإسلام، فمن أجابنا إليه فمثلنا ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية، وبذلنا له المنعة، وقد أعلمنا أنا مفتتحوكم، وأوصانا بكم خيرا حفظا لرحمنا فيكم، وإن لكم إن أجبتمونا بذلك ذمة إلى ذمة» [٢] ثم يواصل عمرو شرح موقف الإسلام من أهل مصر:فقال:«ومما عهد إلينا أميرنا أن» استوصوا بالقبطيين خيرا، فإن لهم رحما [٣] وذمة فقالوا:قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلا الأنبياء، معروفة شريفة كانت ابنة ملكنا، وكانت من أهل منف والملك فيهم، فأديل عليهم أهل عين شمس، فقتلوهم وسلبوا ملكهم واغتربوا فلذلك صارت إلى إبراهيم ـ عليه السلام ـ مرحبا به وأهلا.

أمنّا حتى نرجع إليك.فقال عمرو:إن مثلى لا يخدع، ولكنى أؤجلكما ثلاثا لتنتظرا، ولتناظرا قومكما، وإلا ناجزتكم، قالا:زدنا فزادهم يوما، فقالا:زدنا، فزادهم يوما، فرجعا إلى المقوقس فَهَمَّ، فأبى أرطبون أن يجيبهما وأمر بمناهدتهم» [٤] فظهر من هذه المحادثة موقف عمرو رضي الله عنه ـ بجلاء.

---

(١) الجاثليق:رئيس النصارى فى بلاد الإسلام.راجع الطبرى جـ٤ ص ١٠٧ هامش ١ .

(٢) تاريخ الطبرى جـ٤ ص ١٠٨ .

(٣) إشارة إلى قوله ﷺ«إنكم ستفتحون مصر، وهى أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها، فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحما، أو قال:ذمة وصهرا:أما الرحم فلكون هاجر أم إسماعيل منهم، وأما الصهر فلكون مارية أم إبراهيم منهم ـ فإذا رأيت رجلين يختصمان فيها فى موضع لبنة فاخرج منها قال ـ أى أبو ذر راوى الحديث ـ فرأيت عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة، وأخاه ربيعة يختصمان فى موضع لبنة فخرجت منها» صحيح مسلم جـ ٢ ص ٤١٥ طـ الحلبى (متن) باب وصية النبى ﷺ بأهل مصر، وقد أورد الإمام مسلم روايتين لهذا الحديث، عن أبى ذر رضي الله عنه .

(٤) تاريخ الطبرى جـ٤ ص ١٠٨، وراجع ابن عبد الحكم..ص ١٠٢، والفاروق عمر جـ٢ص ١٠٧، والمناهدة:المناهضة فى الحرب.المعجم الوسيط مادة (نهد)، والخراج ص ٣٧١ هامش ٥ .

**فقالا:** أي أبو مريم وأبو مريام لأهل مصر: أما نحن فسنجتهد أن ندفع عنكم ولا نرجع إليهم، وقد بقيت أربعة أيام فلا تصابون فيها بشيء إلا رجونا أن يكون له أمان.فلم يفجأ عمرا والزبير إلا البيات من فرقب (كذا) وعمرو على عدة فلقوه فقتل ـ أرطبون ـ ومن معه، ثم ركبوا أكساءهم، وقصد عمرو، والزبير لعين شمس، وبها جمعهم، وبعث على الفرما أبرهة الصباح فنزل عليها، وبعث عوف بن مالك إلى الإسكندرية..»[١] فالقوم إذن لم يحترموا كلمتهم، ولا عهودهم، فأرادوا مفاجأة عمرا، وأصحابه، ولكن يقظة عمرو بن العاص، أحبطت محاولتهم، وباءت بالفشل.

واصل عمرو تقدمه حتى نزل على القوم بعين شمس.

**مخاطبة أهل مصر لملكهم:قائلين له:** «ما تريد إلى قوم فلّوا كسرى وقيصر، وغلبوهم على بلادهم! صالح القوم، واعتق منهم، ولا تعرض لهم، ولا تعرّضنا لهم ـ وذلك في اليوم الرابع ـ فأبى، وناهدوهم،فقاتلوهم، وارتقى الزبير سورها، فلما أحسوه فتحوا الباب لعمرو، وخرجوا إليه مصالحين، فقبل منهم، ونزل الزبير عليهم عنوة حتى خرج على عمرو من الباب معهم، فاعتقدوا...بعد ما أشرفوا على الهلكة»[٢].

**المبحث الخامس:المصريون يذعنون لمطالب عمرو بن العاص:** أذعن المصريون لمطالب عمرو.ورضوا على صلح يكون بينهم يعرفونه، فأرسل المقوقس إلى عمرو بن العاص:إني لم أزل حريصا على إجابتك إلى خصلة من تلك الخصال التي أرسلت بها إليّ فأبى ذلك عليّ من حضرني من الروم والقبط ولم يكن لي أن أفتات عليهم في أموالهم..واستشار عمرو أصحابه في ذلك، فقالوا:لا تجيبهم إلى شيء من الصلح ولا الجزية حتى يفتح الله علينا، وتصير الأرض كلها فيئا وغنيمة...فقال عمرو:«قد علمتم ما عهد إليّ أمير المؤمنين في عهده فإن أجابوا إلى خصلة من الخصال الثلاث التي عهد إليّ فيها أجبتهم إليها»[٣].

**فرض الجزية، وقيمتها على أهل مصر:** اجتمع الطرفان «على عهد بينهم

---

(١) ابن عبد الحكم..ص ١٠٢، وتاريخ الطبري ٤ / ١٠٨، والفاروق عمر جـ ٢ ص ١٠٧ .

(٢) الطبري جـ٤ ص ١٠٨،١٠٩ .

(٣) انظر ابن عبد الحكم..ص ١٠٢،١٠٣ .

واصطلحوا على أن يفرض على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط ديناران عن كل نفس شريفهم ووضيعهم من بلغ الحلم منهم ليس على الشيخ الفانى، ولا على الصغير الذى لم يبلغ الحلم، ولا النساء شيء..وعلى أن للمسلمين عليهم النزل لجماعتهم حيث نزلوا، ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين أو أكثر من ذلك كانت لهم ضيافة ثلاثة أيام مفترضة عليهم، وأن لهم أرضهم، وأموالهم لا يعرض لهم فى شيء منها.

فشرط هذا كله على القبط خاصة، واحصوا عدد القبط يومئذ خاصة من بلغ منهم الجزية، وفرض عليهم الديناران، رفع ذلك عرفاؤهم بالأيمان المؤكدة، فكان جميع من أحصى يومئذ بمصر أعلاها وأسفلها من جميع القبط فيما أحصوا وكتبوا ورفعوا أكثر من ستة آلاف ألف نفس، فكانت فريضتهم يومئذ اثنى عشر ألف ألف دينار فى كل سنة» (١).

**موقف المسلمين من الروم في مصر:** شرط المقوقس أن «للروم أن يُخَيَّروا، فمن أحب منهم أن يقيم على مثل هذا أقام على ذلك لازما له مفترضا عليه، فمن أقام بالإسكندرية وما حولها من أرض مصر كلها أقام، ومن أراد الخروج منها إلى أرض الروم خرج، وعلى المقوقس الخيار فى الروم خاصة حتى يكتب إلى ملك الروم يعلمه ما فعل، فإن قبل ذلك ورضيه جاز عليهم، وإلا كانوا جميعا على ما كانوا عليه».

أرأيت هذا الموقف المسماح من الفاتحين الغالبين، إن المسلمين هنا هم المنتصرون، وبيدهم دفة الأمور، ومع ذلك لما انصاع المصريون إلى شروطهم، رضيت نفوسهم، لأن من وصايا أميرهم:أنهم إن أجابوهم إلى واحدة من هذه الخصال الثلاث، كفوا عنهم، فلم يكن أمر المسلمين إذن أمر من خرج للسلب وسفك الدماء، والحيازة على ممتلكات الغير بالحق والباطل (٣).

عندما صالح أبو عبيدة بن الجراح مدن الشام، وأخذ منهم الجزية...، والخراج...، ثم علم بجموع الروم التى احتشدت لمقاتلته، وأنه لا قِبل له بهم، كتب إلى كل وال أن يرد ما أخذه إلى أصحابه، وأمرهم أن يقولوا لمن عاهدوهم:إنما رددنا عليكم أموالكم، لأنه قد بلغنا ما

(١) المصدر السابق ص ١٠٣، والفاروق عمر..جـ٢ ص ١٠٧، ١٠٨ .
(٢) ابن عبد الحكم...ص ١٠٤ .

جمع لنا من الجموع، وإنكم قد اشترطتم علينا أن نمنعكم، وإنا لا نقدر على ذلك، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم».

فكان جواب أهل الشام: «ردكم الله إلينا، ونصركم عليهم.. فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئا، وأخذوا كل شيء بقي لنا حتى لا يدعو لنا شيئا»[١].

كما بلغ من إكرام المسلمين لأهل مصر أن يسمحوا لهم، بأن يشترطوا لأنفسهم، فشرط المقوقس أن يكتب بشأن هذا الصلح إلى هرقل ليرى رأيه، وكان في وسع المسلمين أن يرفضوا مثل هذا الشرط المعلق، ولكن القوم كما قلت: أصحاب دعوة، وحملة رسالة، يودون نشرها، ومن ثم وافقوا المقوقس على شرطه.

«واتفق الروم والعرب على أن تبقى الجيوش حيث هي إلى أن يأتي رد هرقل»[٢].

ثم خطا المسلمون خطوة إيجابية فكتبوا لأهل مصر عهدا.

**عهد أهل مصر:** أورد الطبري في تاريخه عهد المسلمين لأهل مصر، هاك نصه: «بسم الله الرحمن الرحيم» هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم، وملتهم، وأموالهم، وكنائسهم، وصلبهم، وبرهم وبحرهم، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص، ولا يساكنهم النوب، وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح، وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف، وعليهم ما جنى لصوتهم[٣]. فإن أبى أحد منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزاء بقدرهم، وذمتنا ممن أبى بريئة، وإن نقص نهرهم من غايته إذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك، ومن دخل في صلحهم من الروم والنوب فله مثل مالهم، وعليه مثل ما عليهم، ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه، أو يخرج من سلطاننا، عليهم ما عليهم أثلاثا في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم، على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته، وذمة رسوله، وذمة الخليفة أمير المؤمنين، وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأسا وكذا وكذا فرسا، على ألا يغزو، ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة.

---

(١) الخراج لأبي يوسف ص ٢٨٢، ٢٨٣.

(٢) ابن عبد الحكم.. ص ١٠٨ هامش ١.

(٣) جمع لصوت وهو اللص. راجع تاريخ الطبري جـ٤ ص ١٠٩، والمعجم الوسيط مادة (لص).

شهد الزبير، وعبد الله، ومحمد ابناه.وكتب وردان وحضر» [١].

**تعليق:** هل رأى تاريخ الحروب فى القديم والحديث مثل هذا العهد؟ يأخذ المغلوب خير ما عند الغالب، على عكس عهود الدول المتحضرة اليوم التى تأخذ أثمن ما عند المغلوب.

لقد اشترط الفاتحون على أنفسهم لأهل مصر: ـ

١ ـ الأمان على أنفسهم وملتهم، وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم، فلا يتدخل فيها أحد، على عكس ما كان يفعله الرومان بهم، كما سبق بيانه فى الباب الأول.

٢ ـ ألا يدخل عليهم شىء ينغص عليهم حياتهم، وألا يزاحمهم أهل النوبة السكن إلا برضاهم.

٣ ـ أن يدفعوا جزية على البالغين فقط ويعفى منها الأطفال والشيوخ والنساء، ويشترط زيادة نهرهم فإن نقص رفع عنهم بقدر نقصانه، ومن يمتنع عن دفع الجزية تركوه وشأنه، وذمة المسلمين منهم بريئة.

٤ ـ ومن يريد الخروج من مصر فهو آمن على نفسه حتى يبلغ المكان الذى يأمن فيه على نفسه.

٥ ـ لم يشترط الفاتحون لأنفسهم شيئا إلا الجزية مقابل الحماية لأهل البلاد!! فهل وعى التاريخ فاتحا أرحم من هؤلاء الفاتحين، تالله ما حدث مثل ذلك فى عصر من العصور إلا فى عصر الإسلام وجنوده الأشاوس الرحماء، لقد أخذ أهل مصر أمانا كاملا، لا أمانا كسيحا تغله القيود، وتكبله النصوص الملفوفة، فتسد عليه منافذ الحياة، وإنما كان أمانا وعاه المصريون تمام الوعى، فعرفوا أن المسلمين أصحاب مبدأ يحافظون عليه ويرعونه فحازوا إعجابهم ، ثم دخلوا فى دينهم أفواجا.

**تعليق العهد على النفاذ:** مع هذا الحرص على مكانة أهل مصر فى ذلك العهد إلا أنه أصبح معلق النفاذ حتى يرضى امبراطور روما ويصدق على بنوده، وأخذ المقوقس على نفسه أن يبعث به إلى هرقل واتفق الطرفان على أن تبقى الجيوش حيث هى حتى يصل رد قيصر،

(١) تاريخ الطبرى جـ٤ ص ١٠٩ ، والقلقشندى:صبح الأعشى جـ ص ٣٨٥، وأبو عبيد:الأحوال ص ٣٨٥، ومجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة..ص ٣٨٦ وما بعدها، وانظر الملاحق.

وأن يبقى الحصن مع الروم إلى ذلك الحين، وركب المقوقس النهر إلى الإسكندرية ومنها بعث بتفصيل ما حدث إلى القسطنطينية..وفي ختامها إقرار الصلح حتى يكفى مصر شر الحرب وويلاتها [(١)].

**إتهام المقوقس بالخيانة بسبب هذا العهد!** لم يسلم المقوقس من الاتهام بسبب عقد الصلح مع الفاتحين، فحمل عليه بتلر حملة شعواء إذ ردد ما قاله هرقل من أنه «خان الدولة وتخلى للعرب عنها، ثم حكم عليه بأنه مرتكب مجرم ـ كذا ـ وما كان دونه إلا الموت جزاء ذنبه ثم شرع يقرعه ويؤنبه على ما كان منه»[(٢)].

ويذهب بتلر مذهب هرقل، فلم يحاول الدفاع عن المقوقس الذى أطلق عليه اسم «قيرس» بل زاد على هرقل حيث قال:«هل كان معنى ذلك الصلح إلا نزع مصر من دولة الروم، وإسلامها لأعداء المسيحية» ؟!! [(٣)].

**هل الإسلام عدو للمسيحية؟** كما قال بتلر؟إن بتلر يتناسى ظلم الرومان لأهل مصر، وأنهم السبب فى بغض المصريين لهم، ولو كان الرومان حافظوا على كرامة المصريين لهبوا معهم مدافعين، ولوقفوا فى وجه المسلمين متحدين، وإطلاق المسلمين على أنهم أعداء المسيحية إطلاق ينطوى على مغزى خطير، وهذا الاتجاه تزعمه كثير من كتاب الغرب، فى القديم والحديث، ونتساءل متى كان الإسلام عدوا للمسيحية؟ بل متى كان الإسلام عدوا للأديان، وغير الأديان؟

إن الإسلام جاء مصححا لما لحق الأديان من تغيير، وتحريف، أو تبديل، كما أنه جاء بالتوحيد الخالص، إنه يعتمد على كتابه الخاتم الذى أثنى فيه ربنا على جميع الأنبياء ومنهم عيسى ـ عليه السلام ـ.بما هم أهله.

**ثناء القرآن على عيسى ـ عليه السلام ـ وكتابه:نلمحه فيما يلي:**

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي

---

(١) انظر الفاروق عمر جـ٢ ص ١٠٨، وبتلر ص ١٩٣ .

(٢) بتلر..ص ١٩٥، وفيليب حتى جـ١ ص ٢١٧ .

(٣) بتلر:فتح العرب لمصر ص ١٩٣، العقاد:عمرو بن العاص ص ٩٧ وما بعدها.

الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١).

فقد بشر الله السيدة مريم بقدومه فأرسل لها من الملائكة من أخبرها بأن سيوجد منها ولد عظيم له شأن كبير وسيكون وجوده بكلمة من الله أى يقول كن فيكون...وكما جاء فى موضع آخر ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ أى له وجاهة ومكانة عند الله فى الدنيا بما يوحيه الله إليه من الشريعة وينزله عليه من الكتاب وغير ذلك مما منحه الله به، وفى الدار الآخرة يشفع عند الله فيمن يأذن له فيه فيقبل منه أسوة بإخوانه من أولى العزم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين(٢).

وقد ذُكر المسيح ـ عليه السلام ـ فى ثلاث عشرة سورة من سور القرآن، الذى يدين به المسلمون ويحترمون كل آية فيه، بل كل كلمة بل كل حرف؟.

وهذه السور هى على التوالى:البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، التوبة، مريم، المؤمنون، الأحزاب، الشورى، الزخرف، الحديد، الصف.

وعدد الآيات التى ذكر فيها ثلاث وثلاثون آية، وجاء ذكر المسيح ـ عليه السلام ـ بلفظه إحدى عشرة مرة، وبلفظ عيسى ـ عليه السلام ـ خمس وعشرون مرة، وبابن مريم ثلاث وعشرون مرة (٣).

فلم كل هذه الأهمية؟

ولم كل هذه الحفاوة؟ بعيسى ـ عليه السلام ـ هل يفهم منها، أو يشتم فيها رائحة الكُره؟ كلا، فما جاء الإسلام إلا ليجمع الناس على كلمة سواء: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٤).

لم يقل فإن تولوا فعليهم اللعنة، أو غضب الله، أو اتخذوهم أعداء لكم، وإنما قال سبحانه: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ فإن أعرضوا عن هذا النداء المطالب بتوحيد

---

(١) آل عمران:آية ٤٥، ٤٦ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير جـ١ ص ٣٦٣، ٣٦٤ .

(٣) راجع محمد عبد الباقى:المعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم طـ الشعب ١٣٧٨، وعبد الوهاب النجار:قصص الأنبياء ص ٣٧٢ .

(٤) سورة آل عمران:آية ٦٤ .

الله، فقولوا لهم: قد لزمتكم الحجة فاشهدوا بأننا مسلمون. هذا هو العدل والإنصاف فى أننا جميعا نعبد الله وحده ولا شيء معه، لا وثنا ولا صليبا، ولا صنما ولا طاغوتا، ولا نارا، ولا شيئا بل نفرد العبادة لله وحده لاشريك له، وهذه دعوة جميع الرسل (١) لقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (٢)

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (٣).

وفى قوله: ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ (٤).

ثم نحيل إلى هذه الآية الناطقة بالثناء على مجموعة من أتباع عيسى – عليه السلام – أيضـا. ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٥).

أى الذين زعموا أنهم نصارى من أتباع المسيح، وعلى منهاج إنجيله فيهم مودة للإسلام وأهله فى الجملة وما ذلك إلا لما فى قلوبهم إذ كانوا على دين المسيح من الرقة والرأفة كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ﴾ (٦) وليس كما جاء فى كتابهم مما يدل على السلبية: من ضربك على خدك الأيمن، فأدر له خدك الأيسر (٧).

وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٨) أى يوجد فيهم القسيسون وهم خطباؤهم وعلماؤهم واحدهم قسيس وقس أيضا. وقد يجمع على قسوس والرهبان: جمع راهب وهو العابد مشتق من الرهبة وهى الخوف (٩).

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ تضمن وصفهم بأن فيهم العلم

---

(١) انظر تفسير ابن كثير جـ١ ص ٣٧١ .
(٢) سورة الأنبياء: آية ٢٥ .
(٣) سورة النحل: آية٣٦ .
(٤) انظر تفسير ابن كثير جـ١ ص ٣٧١ – والآية من سورة آل عمران: ٦٤ .
(٥) سورة المائدة: آية ٨٢ .
(٦) سورة الحديد: آية٢٧ .
(٧) إنجيل متى .
(٨) سورة المائدة: آية٨٣ .
(٩) تفسير ابن كثير جـ٢ ص ٨٦ طـ الحلبى.

والعبادة، والتواضع ثم وصفهم بالانقياد للحق واتباعه والإنصاف له فقال: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾ أى مما عندهم من البشارة ببعثة محمد ﷺ [(١)]، وهذا الصنف من النصارى تشملهم هذه الآية:

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ ﴾ الآية[(٢)].

فهل الإسلام هنا عدو للمسيحيين والمسيح ـ عليه السلام ـ؟؟ كما يقول بتلر بأن المسلمين هم أعداء المسيحيين، وأن المقوقس سلم مصر لأعداء المسيح ـ عليه السلام ـ؟

ولننتقل إلى السنة لنرى موقفها من المسيح ـ عليه السلام ـ:

**مكانة المسيح ـ عليه السلام ـ في السنة:**

أخرج الإمام أحمد بسنده عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وإنى أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن نبى بينى وبينه، وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجل مربوع إلى الحمرة والبياض عليه ثوبان ممصران كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل. فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، ويهلك الله فى زمانه المسيح الدجال، ثم تقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الأبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون»[(٣)].

وروى البخارى عن أبى اليمان عن شعيب عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، والأنبياء أولاد علات ليس بينى وبينه نبى»[(٤)].

كما رواه محمد بن سنان عن فليح بن سليمان، عن هلال بن على، عن عبد الرحمن ابن أبى عمرة، عن أبى عمرة عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى

---

(١) المصدر نفسه.　　(٢) سورة آل عمران: آية ١٩٩ .

(٣) أورده البخارى فى كتاب بدء الخلق، باب قوله تعالى: قالت الملائكة يا مريم جـ٤ ص ٢٠٣ طـ الشعب، وأورده مسلم فى كتاب فضائل عيسى عليه السلام جـ٤ ص ١٨٧٧ طـ الحلبى تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى.

(٤) استدل به الحافظ بن كثير فى تفسيره جـ١ ص ٥٧٨، ٥٧٩، ورواه البخارى فى باب «واذكر فى الكتاب مريم» جـ٢ صـ ١٧٠ على حاشية السندى.

ابن مريم فى الدنيا والآخرة، الأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد»[١].

كما أخرج الإمام أحمد فى مسنده عن طريق أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «كل مولود من بنى آدم يمسّه الشيطان بأصبعه، إلا مريم ابنة عمران، وابنها عيسى عليهما السلام»[٢].

فهل بعد شهادة القرآن لعيسى ـ عليه السلام ـ، وحديث رسول الله ﷺ قول لقائل؟ أو مكان لحاقد يصف المسلمين بأنهم أعداء المسيحية، إنه لا مبرر لمتحمل بعد شهادة القرآن والسنة لعيسى ـ عليه السلام ـ، وأمه.

أين هى عداوة المسلمين للنصارى فى دستور الإسلام؟

إن الإسلام حارب المسيحية كدولة، ولم يحاربها كدين، وهو لم يحمل السلاح إلا مضطرا، ولو وجدت دعوة الإسلام المناخ الملائم لها لما حمل المسلمون رمحا، ولا سلوا على أحد سيفا، لقد وجدوا الأعداء محيطين بهم الفرس على مشارف اليمن والرومان فى الشام، والكل يريد استئصالهم فماذا يفعلون؟

لقد نفذوا قول الله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[٣].

إن الإسلام لم يحارب الحبشة؛ لأنها لم تقف فى طريق دعوته، ولم تؤلب عليه الأعداء كما فعل اليهود فى المدينة، نعم، إن الإسلام يحمل على العقائد المنحرفة، ليوضح لأتباعه الطريق الخطأ من الصواب، كما ينبه المنحرفين أن مسلكهم يضرهم، وأن ما يعبدون من دون الله لا ينفعهم شيئا ولا يضرهم.

ويكتفى مع ذلك كله بالقول المجرد الذى لا تصحبه قوة المخالفين على ترك باطلهم، والدخول فيه؛ لأنه يؤمن أن من اهتدى فلنفسه، ومن ضل فضلاله على نفسه .

---

(١) استدل به الحافظ الحجة ابن كثير فى تفسيره جـ١ ص ٥٧٨، ٥٧٩ ورواه البخارى فى باب واذكر فى الكتاب مريم جـ٢ ص ١٧٠ على حاشية السندى.
(٢) المسند جـ١٤ رقم ٧٨٦٦ طـ دار المعارف ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م.
(٣) سورة البقرة:آية ١٩٤ .

﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ (١).

لقد أنصف الإسلام حتى المخالفين له إذ قال:﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (٢).

لكن بعض كتاب الغرب ومنهم بتلر لا تسرهم صفحة الإسلام البيضاء فأرادوها حمراء قانية أمام مواطنيهم وأمام العالم، ليتخذوها ذريعة يهاجمون بها العالم الإسلامى بين الحين والحين بدعوى أن الإسلام عدو للمسيحية، ولابد للقضاء عليه، أو على الأقل تشويه تاريخه، وإلا فما السر فى أن دول الغرب، ترسل الحملات بين الحين والحين إلى دول الشرق؟ إن بتلر ينطبق عليه وعلى أمثاله «رمتنى بدائها وانسلت» (٣).

**شهادة المنصفين من الغربيين للإسلام:**

فى الوقت الذى يحاول بعض المستشرقين إنكار سماحة الإسلام تجاه المسيح والمسيحية نجد المنصفين من الغربيين يعترفون بهذه السماحة مثل المستشرق الألمانى ماكس مولر الذى قال:

«سوف يعلم النصارى والدهشة آخذة منهم أن محمداً من أنصار المسيح، وإن الديانة المحمدية هى من فروع النصرانية، وإذ ذاك يدهش المسلمون والنصارى على السواء بما جاء فى تاريخهما من الخصام والشقاق، والعداء بسبب الدين»(٤).

ومع التجاوز عن هذا التعبير بأن الديانة المحمدية، من فروع النصرانية الخ لكن قوله الذى يتهم المسلمين فى تاريخهم بالخصام والشقاق، والعداء الخ لم يذكر من المتسبب فى هذا الخصام والشقاق، والعداء؟ أهم المسلمون؟ أم النصارى الذين لا يريدون أن يساكنهم على ظهر الأرض غيرهم، إلا أن يكون عبدا وتابعا لهم؟.

وقد أيد ماكس مولر فيما قاله كثير من علماء الشرقيات فى أوربا، كما عضد رأيهم كثير من الروس العقلاء أرباب الأفكار السياسية أمثال:فلاديمير سولوفيف، وبيتروف وغيرهما.

ويقول برنارد شو من كبار كتاب الإنجليز المعاصرين:

---

(١) سورة الإسراء:آية ١٥ .

(٢) سورة الكافرون:آية ٦ .

(٣) راجع لأبى هلال العسكرى:جمهرة الأمثال جـ١ ص ٤٧٥ تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش.

(٤) أحمد آجايف:حقوق المرأة فى الإسلام نقلا عن محمد كرد على:الإسلام والحضارة العربية ص ٦٨ .

«لايمضى مائة عام حتى تكون أوربا لاسيما إنجلترا قد أيقنت بملاءمة الإسلام للحضارة الصحيحة» هذه نظرة فى الإسلام من بعض علماء الغرب [١] .فماذا يقول بعض من فى الشرق؟

لما أعطى عمر بن الخطاب عهداً لبطريرك القدس أرسل إلى زميله فى القسطنطينية يقول له:إنه لم يصبنا من المسلمين أقل أذى، أو إهانة، أو عنف، وهذه فقرة من كتاب أرسله البطريرك النسطورى إيشوياب الثالث إلى البطريرك سمعان زميله فى بلاد العجم بعد مرور بضع سنين على الفتح الإسلامى يقول له:

«ها،إنّ العرب الذين منحهم الرب سلطة العالم وقيادة الأرض عندنا..ومع ذلك تراهم لا يعرضون للنصرانية بسوء، فهم يساعدوننا، ويشجعوننا على الاحتفاظ بمعتقاداتنا، وإنهم لَيُجلّون الرهبان والقديسين، ويعاونون بالمال الكنائس والأديرة» [٢] .

أرأيت هذه الكلمات التى تفوه بها أصحابها؟

فهل تدل على بغض المسلمين للمسيحيين كما يقول بتلر؟ أم أنها تحترم الإنسان مهما كانت عقيدته ومهما كان مذهبه؟ إن ربعى بن عامر عندما دخل على صاحب الفرس لم يناقشه فى عقيدته، وإنما شرح له دعوة الإسلام وأبعادها . فهل المسلمون بهذا يعتبرون أعداء؟ المسيحيين على حد تعبير بتلر؟

وبهذه الكلمات أكتفى فى الرد على بتلر ثم أعود لأواصل الحديث عن موقف قيرس[٣] مع الامبراطور.

### مقابلة عاصفة بين الامبراطور، وقيرس:

ثارت ثائرة الامبراطور لما حدث فى مصر «فقد دهاه من أمر جنده، وعظم غيظه أن ينهزم منهم مائة ألف ليس أمامهم من العرب إلا اثنا عشر ألفا فاتهم المقوقس...بأنه خان الدولة، وتخلى للعرب عنها.ثم حكم عليه بأنه مرتكب مجرم ـ كذا ـ وما كان دونه إلا الموت

---

(١) محمد كرد على:الإسلام والحضارة العربية ص ٦٨ .

(٢) نفس المصدر السابق ص ١٥١ هامش.

(٣) يصر بتلر على تسمية المقوقس باسم (قيرس) فى كتابه فتح العرب لمصر ـ راجع الملحق آخر الرسالة.

جزاء ذنبه، ثم شرع يقرعه ويؤنبه على ما كان منه قائلا:

إنه لم يكن أكثر غناء من بعض فلاحى مصر، ونعته بالجبن والكفر، وأسلمه إلى حاكم المدينة، فشهره، وأوقع به المهانة، ثم نفاه من بلاده طريدا [١].

ومما يدعو إلى العجب موقف بتلر، لقد علم أن جنود الامبراطور، التقوا بالمسلمين فى أكثر من موقعة، وفى كل واحدة منها يولون الأدبار منهزمين كما حدث فى:الفرما، وأم دنين، وبلبيس وعين شمس، ما ثبتوا فى واحدة منها فمن الملوم هنا؟ الجند أم قيرس؟ إذا كان ولابد من كلمة إنصاف فإن المقوقس قد خبر الموقف، وفهم أن الذين أخرجوا الروم من دمشق، وبيت المقدس، والشام، لابد وأنهم بالغون هدفهم فى مصر ومخرجون الروم منها.

**مصير عهد الصلح:**

علم المسلمون بنفى قيرس، وأن مصير عهد الصلح قد انهار، والهدنة انتهت، وعاد القتال..ومرت أيام وإذا بالزبير بن العوام قد وهب نفسه لله، وأقبل معه جماعة يقودهم لفتح الحصن بعد أن أعد للأمر عدته، ولما جاءت ساعة الهجوم أقبل المسلمون سراعا تحت جنح الليل، ووضع الزبير سلما على السور بعدما طمسوا مكاناً فى الخندق المحيط بالحصن، ولم يفطن إليه أحد، فما شعروا إلا والبطل المسلم على رأس الحصن يكبر وسيفه فى يده.وتحامل الناس إليه من داخل الحصن غير أن السهام أمطرتهم من العرب فى خارجه، واستطاع بذلك أصحاب الزبير أن يصلوا إليه فوق السلم، ويطأوا الأسوار بأقدامهم [٢]..وانطلق الزبير يكبر وسيفه فى يده فتبعه أصحابه، وصعدوا السلم، وساروا إلى جانبه وكبروا جنبه، وأجاب المسلمون من خارج الحصن تكبيرهم، فلم يشك الروم أن العرب قد اقتحموا الحصن فهربوا وعمد الزبير إلى باب الحصن ففتحه ودخل المسلمون واستولوا على ما فيه [٣].

**انتقام الروم من القبط:**

خرج جند الروم من الحصن فى شهر إبريل سنة إحدى وأربعين وستمائة من الميلاد،

---

(١) انظر بتلر:١٩٥، والفاروق عمر جـ٢ ص ١٠٩ .
(٢) انظر بتلر:١٩٩ .
(٣) الفاروق عمر جـ٢ ص ١١١ .

الموافق إحدى وعشرين من الهجرة [١] .لكنهم أبو..إلا أن يجعلوا منه للمصريين يوم نُواح وحسرة فقد سحبوا القبط الذين سجنوهم داخل الحصن فى أثناء الحصار، وقطعوا أيديهم، ونكلوا بهم تنكيلا أثار حفيظة الأسقف المصرى حنا النقيوسى مؤرخ ذلك العهد فسبهم فى ديوانه وسمّاهم:

«أعداء المسيح الذين دنسوا الدين برجس بدعهم، وفتنوا الناس عن إيمانهم فتنة شديدة لم يأت بمثلها عبدة الأوثان، ولا الهمج، وعصوا المسيح، وأذلوا أتباعه، فلم يكن فى الناس من أتى بمثل سيئاتهم، ولو كانوا من عبدة الأوثان» [٢].

فما هى الدوافع لارتكاب الرومان ما ارتكبوه؟ هل لأن المصريين ساعدوا المسلمين؟ أم لأن المصريين لم يقفوا معهم ويشدوا أزرهم؟ هل شعروا بالبغض فى أعين القبط والشماتة لانهزامهم، وفرارهم أمام الفاتح الجديد؟ كل هذا محتمل خصوصا إذا علمنا الأضرار التى لحقت المصريين منذ احتلال الرومان لبلادهم ونهبهم لخيراتها، وتسخيرهم لمصالح الامبراطورية.

**انتهاء مرحلة الفتح الأولى:**

انتهت المرحلة الأولى بخروج الرومان من حصن بابليون فخلص الحصن للمسلمين، وكانت هذه المرحلة من أخطر مراحل الفتح التى قابلها المسلمون فى أرض الكنانة، ونستخلص الأسباب التى ساعدت المسلمين اجتياز هذه المرحلة فيما يلى:

**أولا:** عزْم المسلمين الأكيد على النصر مهما كانت التضحيات.

**ثانيا:** رفض المسلمين العروض التى قدمت إليهم ليأخذوها، ويعودوا من حيث أتوا.

**ثالثا:** عدم مقدرة الروم - رغم كثرة عددهم وعدتهم - على لقاء العرب فى أرض مكشوفة، واكتفوا بتسديد النبل إليهم، وتسليط المجانيق عليهم.

**رابعا:** المرض الذى فتك بأهل الحصن، ولم يجدوا من يسعفهم.

**خامسا:** لم يرسل الامبراطور المدد اللازم برياسة قائد ماهر، ولو فعل لتغير الموقف.

(١) د / حسن إبراهيم حسن وآخرين سيرة القاهرة.مترجم عن الإنجليزية صـ ٢٦١ طـ النهضة المصرية ١٩٥٠ .
(٢) بتلر:ص ٢٠١،٢٠٢ ، والفاروق عمر جـ٢ ص ١١١ .

**سادسا:** موت هرقل الذى أدى إلى خور فى العزيمة، فاضطرب الجند لموته أيما اضطراب، ومع ذلك ظل الحصن يقاوم.

**سابعا:** نفاد صبر المسلمين بالحصار الطويل حول الحصن الذى استمر سبعة شهور، حتى قام الزبير ﷺ وقال: «إنى أهب نفسى لله، وأرجو أن يفتح بذلك على المسلمين».

وقد صدق الله فصدقه، وفتح على يديه [١].

**موقف عمرو في المرحلة الأولى:**

استطاع عمرو بن العاص ﷺ بحسن سياسته، وتنظيمه أن يعطى صورة حسنة مع جنده أمام المصريين حتى قالت القبط: لقد رمتكم العرب برجلهم، وقال آخرون: إن العرب قوم لا يغلبون وقد وطئونا تحت أقدامهم، ولما بلغ عمر ﷺ ما صنع عمرو قال لجلسائه:

«إن عمرا يقاتل بالقول، وغيره يقاتل بالسيف، وقال: والله إن حربة للينة مالها سطوة، ولا ثورة كثورات الحروب من غيره» [٢].

**نتائج فتح حصن بابليون:**

ظهر من فتح حصن بابليون النتائج التالية:

**أولا:** ارتفعت روح المسلمين المعنوية، وثبت فى نفوسهم، وفى نفس قائدهم من اليقين بأن الله معهم، وبهذه الروح كانوا يجوسون خلال الديار دون خوف أو وجل.

**ثانيا:** خشع القبط لبأس المسلمين، حتى دان بعضهم بالإسلام، وأعفوا من الجزية، وساعدوا إخوانهم المسلمين.

**ثالثا:** أصبح فى مقدور المسلمين السير إلى الإسكندرية، وفتحها متى أذن لهم بذلك أمير المؤمنين.

**رابعا:** شاهدت أرض مصر ألوانا متعددة من العبادات لمخلوقات مختلفة، ثم أتتها المسيحية فلفتت أنظار أهلها إلى عبادة جديدة هى عبادة الله الواحد، ثم تدخلت القوانين الأرضية، وفرضت قانون التثليث، وأخذ دورا من القبول والرفض حتى إذا اشتد النزاع، لم

---

(١) الفاروق عمر جـ٢ ص ١٠٩، ١١٢ بتصرف.
(٢) نفس المصدر السابق جـ٢ ص١١٢، ١١٣ .

يسعفها إلا الإسلام بدخوله فحقن الدماء وخف حدة النزاع، وها هو الإسلام تسير جنده فى أرض الكنانة تخفق أعلامه فوق ربوعها ويقرر فيها دين الوحدانية الصافى الذى نادى به المسيح، ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

**خامسا:** لم تجذب منف بجمالها ورونقها جنود الإسلام، وإنما كانوا ينظرون إلى الإسكندرية عاصمة مصر آنذاك فهل هم بالغوها؟

**سادسا:** لم يتأخر الإذن على عمرو بفتح الإسكندرية فما لبث حين إذن عمر، إلا أن خلف حصن بابليون وعليه مسلحة من المسلمين يقودهم:خارجة بن حذافة السهمي ثم انطلق عمرو بجنوده صوب الإسكندرية [١]، ليعلن بداية المرحلة الثانية من الفتوح.

وقبل متابعة صحابة رسول الله ﷺ فى فتوحهم الإسكندرية، أود إلقاء نظرة على حصن بابليون، ودور دعوة الإسلام فيه وفى مَنْ حوله من البلدان.

**المبحث السادس:مصر السفلى، وهي المرحلة الثانية:**

تمكن المسلمون من الانسياح فى مصر السفلى بعد سقوط حصن بابليون، فقد كان هو مفتاح مصر السفلى، والعليا على حد سواء، إذ كان على مجمع النهرين، كما انفرد بقيمته المعنوية، فقد أقيم مكان العاصمة الأولى ممفيس، ومن ثم كان الاستيلاء عليه بداية الطريق لتمكن المسلمين من مصر، وبعد نجاح المسلمين فى فتحه أخذوا ينساحون فى ريف مصر فى حركة متصلة، يحد من سرعتها واتصالها أن الأرض تملؤها القنوات وتكثر فيها الترع، ويعلو فيها ماء النيل فترات من كل عام، وما أكثر ما يفيض الماء على جانبيها، وما أكثر ما تعوق استفاضة الماء حركة الجيش، ولهذا لم تنته هذه المرحلة إلا مع فتح الإسكندرية، ولهذا أيضا اضطر المسلمون أن يطلبوا مساعدة سكان البلاد فى كثير من المرات..وكان السكان يستجيبون لهم فى مثل «إصلاح الطرق، وإقامة الجسور والأسواق»[٢] .

ويقيمون لهم الأنزال، والضيافة، والأسواق، والجسور ما بين الفسطاط إلى الإسكندرية، وصارت لهم القبط أعوانا فى مواقف كثيرة [٣] كما سيأتى الحديث عنها فى مكانها إن شاء الله تعالى.

---

(١) الفاروق عمر جـ٢ ص ١١٣، ١١٤ بتصرف.
(٢) ابن عبد الحكم:ص١٠٧ وانظر خريطة مصر السفلى زمن الفتح.
(٣) بتلر:ص١٩٤ .

**منهج المسلمين في نشر الدعوة في أرض الكنانة:**

خلال مدة حصار المسلمين لحصن بابليون كان عمرو بن العاص ﷺ قد غزا إقليم الفيوم على الجانب الغربى من النيل على بعد خمسين ميلا جنوب القاهرة، وإنه لذلك استولى على أم دنين [١]. كما سبق توضيحه، على أن مثل هذه الهجمات كانت «مشغلة للجند وأن الروم عادوا إلى مسلحة أم دنين فتملكوها [٢]، ولكن المسلمين استردوها بعد انتصارهم على بلبيس، فكأن الأمر لم يزد على هجمات تتقدم حركات الجند [٣].ضد فلول الرومان.

كان يتخلل هذه الهجمات أوقات راحة يخلد المسلمون فيها إلى ربهم، يرتلون كتابه ويقيمون الصلاة مجتمعين، كما كان من المألوف لديهم، والحالة هذه أن يتهلوا الفرصة فيعلموا المحيطين بهم من المصريين: أركان الإسلام، وعباداته، ففى حصن بابليون كان خارجة بن حذافة يقوم بتلك المهمة مع قيادته لمسلحة الحصن.

كذلك عندما فتح المسلمون الفيوم، لم ينسوا ــ وهذا أمر بديهى بالنسبة لهم ــ أن يذيعوا بين الناس دعوة الإسلام، فإذا كانوا يحرصون على تبليغها للخصم قبل الحرب مباشرة، والالتحام، معه، فإنهم من باب أولى يحرصون على تبليغها أينما ساروا، وأينما ظعنوا فى وقت الهدنة، أو السلم.

كذلك لم تعترضهم المدن التى دخلوها فى مصر السفلى أو العليا أو ترد عليهم دعوة الإسلام، أو يحولوا بينهم وبين إذاعتها، وقد اعتمد المسلمون فى منهجهم على ما يلى:

**أولاً:** الأذان ليعْلم الناس شعار الإسلام.

**ثانيًا:** استعداد المسلمين للصلاة وتهيؤهم لها فى أوقاتها، وحرصهم الشديد عليها.

**ثالثًا:** رؤية أهل المدن للمسلمين وهم فى صلاتهم، أو وضوئهم، فيتساءلوا فيما بينهم عن سر هذه العبادة.

**رابعًا:** سلوك المسلمين الحسن، ومعاملتهم الطيبة، كانت من العوامل التى جعلت أهل مصر السفلى والعليا على حد سواء لا يتعرضون لهم ولا لدعوتهم بسوء.

**خامسًا:** كانت طريقة تبليغ الدعوة مبسطة جدًا، فالمصريون لا يعرفون اللغة العربية،

---

(١) نفس المصدر ص ١٩٨ .

(٢) د/ شكرى فيصل : حركة الفتح الإسلامى فى القرن الأول الهجرى ص ٨٨ .

وإنما لغتهم القبطية، فمن الواضح والحالة هذه سهولة التخاطب بين الطرفين عن طريق التقليد، أو الترجمة حيث كان بعض المسلمين يعرفون لغة المصريين كما سيأتى وبعض المصريين يعرفون لغة العرب، فما لم يمكن ترجمته، فإن المسلمين يكتفون بإقامة شعائر دينهم دون خوف أو اعتراض من المصريين.

ونستطيع القول مطمئنين أن دعوة الإسلام كانت تذاع فى مصر السفلى والعليا، ولا تجد مقاومة، أو يحول بينها وبين أصحابها خاصة بعد فتح حصن بابليون، وطرد الرومان من تلك الأماكن، والقضاء على سيطرتهم.

**سادسًا:** اتخذ المسلمون قول الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[1]. قاعدة لهم ينطلقون منها إلى أهدافهم، وهى نشر دعوة الإسلام بين المصريين، وعلى غرار إخوانهم فى العراق وسوريا والشام إلخ، فإن ارتضى أهل البلاد الإسلام فبها ونعمت، وإن خلو بين المسلمين ودعوتهم فلا يتعرضون لهم بأذى.

**سابعًا:** حرص المسلمون على إقامة صلاة الجمعة وما يسبق هذه الصلاة من استعداد واهتمام، فيجتمع المسلمون ويقوم القائد - كما كانت العادة - بإلقاء خطبة فيها تذكير بالله، ووعظ وترهيب بالدار الآخرة، إلخ هذه صورة فريدة يراها المصريون لأول مرة فى حياتهم[2].

إنها صورة حية فيها الأمير كواحد بين أصحابه، الصفوف متساوية كالبنيان المرصوص، والمناكب فى وضع متلاصق، إنهم فى صلاتهم لا يعرف القائد من الجندى، ولا الغنى من الفقير، وإنما الكل أمام الله سواء خالقهم واحد متحدون فى ركوعهم وسجودهم يصحبهم خشوع وتواضع فأثرت هذه الصورة وغيرها فى نفوس المصريين، وطبعت فى أذهانهم أنهم مع فاتح يختلف كل الاختلاف عن الرومان، والفرس، فاتح لا تغره نشوة الظفر، ولا ينسيه المال حق ربه، ولا تستهويه الشهرة، ولا حب السيطرة والاستعلاء.

**ثامنًا:** زاد إعجاب المصريين لهذا الفاتح تواضعه الجم، الذى لفت أنظارهم، حتى وصفهم رسل المقوقس قائلين: «رأينا قومًا الموت أحب إلى أحدهم من الحياة، والتواضع أحب إليهم من الرفعة، وليس لأحدهم فى الدنيا رغبة ولانهمة، إنما جلوسهم على التراب، وأكلهم على ركبهم، وأميرهم كواحد منهم، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم، ولا السيد منهم من

---

(١) سورة النحل: من الآية ١٢٥.

(٢) سيأتى نموذج للخطب التى ألقيت فى ذلك العصر.

العبد، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد، يغسلون أطرافهم بالماء ويتخشعون فى صلاتهم»[١].

والذى لا شك فيه أن هذه الأوصاف قد حازت إعجاب المصريين، فَرَنَوا المسلمين بنظرات الإعجاب والتقدير.

**تاسعًا :** شجاعتهم التى أصبحت حديث الركبان، والتى تغلبوا فيها على الرومان ، فى كل المواقع التى التقى فيها الجمعان.

تحدث رجل من لخم.. قال: «كنت أرعى غنمًا لأهلى بالقواصر، فنزل عمرو ومن معه، فدنوت إلى أقرب منازلهم، فإذا بنفر من القبط، كنت قريبًا منهم، فقال بعضهم: ألا تعجبون من هؤلاء القوم؟ يقدمون على جموع الروم، وإنما هم فى قلة من الناس.

فأجابه رجل آخر منهم، فقال: إن هؤلاء القوم لا يتوجهون إلى أحد إلا ظهروا عليه..»[٢]. ومن ثم قال أهل مصر لملكهم : «ما تريد إلى قوم فلوا كسرى، وقيصر، وغلبوهم على بلادهم! صالح القوم، واعتق منهم، ولا تعرض لهم، ولا تعرضنا لهم.. . فاعتقوا . . بعدما أشرفوا على الهلكة».

**عاشرًا :** لم تكن الدعوة فى مصر فى مراحلها الأولى تقوم على الوسائل التقليدية اليوم فى المساجد أو المدارس والمعاهد فتلك مرحلة جاءت فيما بعد، وإنما كانت الدعوة تقوم على :

أ ـ القدوة الحسنة.

ب ـ الكلمة الطيبة .

جـ ـ السلوك الحسن السوي.

د ـ التواضع الجم والاتحاد الحقيقي .

هـ ـ عزوف المسلمين عما في أيدي المصريين.

و ـ شجاعتهم، وتفانيهم من أجل عقيدتهم.

ز ـ طاعتهم لأميرهم، وطاعة أميرهم لخليفة المسلمين، وطاعة خليفتهم لله عز وجل ولرسوله ﷺ.

---

(١) راجع ص ٢٣٠ من هذا البحث .

(٢) ابن عد الحكم . . ص ٨٦ تحقيق عبد المنعم عامر .

كل هذه الصفات جعلت المصريين ينظرون نظرة إعجاب، وتقدير للفاتحين، ترجمت فيما بعد إلى انضواء أهل مصر تحت لواء الإسلام.

واصل المسلمون انسياحهم فى مصر السفلى، فاستولوا على المراكز، والأرياف، بجانب هجرة عريضة كانت تلتجئ إلى الإسكندرية، وتحتمى بها فلم يكن هناك قوى منظمة، ولا مقاومة محكمة، فاتسع الأمر على الروم فى مصر العليا، وفى مصر السفلى فلم يجدوا من عاصم إلا الإسكندرية، ذات الأسوار العالية والحصون المنيعة، كما أن البحرمن ورائها قد يساعد على الهرب أو على وصول الإمدادات، ولهذا رافق انتشار المسلمين فى مصر السفلى هذه الهجرة المتصلة إلى الإسكندرية حيث تدور بعد الموقعة الأخيرة التى تصفى الحساب بين الروم والعرب، وترد لهذا القطر القلق مكانته فى نطاق الأمة الإسلامية مستظلاً بظل دعوة الإسلام[1].

لم تكن الموقعة الأخيرة إلا فتح الإسكندرية، وهى المرحلة الأخيرة أمام المسلمين فى مصر حيث يستتب لهم الأمر فيها، وبنجاحهم فى هذه المرحلة تكون الدعوة الإسلامية قد تمكنت فى مصر، وأصبح لها دور هام. فما خطوات هذه المرحلة؟

**المبحث السابع : المرحلة الثالثة والأخيرة وهي فتح الإسكندرية :**

بفتح الإسكندرية، تنتهى المرحلة الأخيرة من مراحل فتح مصر، ومن ثم يقتضى الأمر فى هذه المرحلة الحديث عن :

١ ـ الحالة السياسية فى القسطنطينية وأثرها على الجنود الرومان فى مصر .

٢ ـ لماذا وقف الأقباط موقف الحياد ؟

٣ ـ انتصار المسلمين المطرد على الرومان فى المواقع التى التقى فيها الجانبان.

**أولاً : الحالة السياسية في القسطنطينية، وأثرها على جنود الرومان في مصر :**

كان لموت هرقل وقع سيىء على شعبه وجنوده، أصاب الامبراطورية بالفوضى والاضطراب، وأصبح العرش مقصد الطامعين، وذوى المآرب والأشراف من رجال القصر، ثم آل الأمر إلى ولديه :

(١) انظر الدكتور شكرى فيصل : حركة الفتح الإسلامى ص ٨٩ بتصرف. وانظر خريطة مصر العليا فى عهد العربى .

قسطنطين الثانى، وهرقليوناس، وهما أخوان لأب، وإلى مرتينا زوج هرقل، التى شاركتهما فى الحكم، تطلع الناس إلى هذا الثالوث الذى جلس على عرش هرقل يرجون منه إنقاذ الامبراطورية مما هوت إليه، وكان أهم ما يشغل رجال القصر انقاذ مصر من المصير الذى ستؤول إليه فإن ضياعها معناه ضياع غلاتها، ونقص الأقوات فى أرجاء الإمبراطورية كلها، لذلك أسرع قسطنطين، وأمر بإحضار قيرس من منفاه، وتجهيز سفن معه مدداً لمصر . . وفوجىء الناس باعتلال صحة قسطنطين وموته بعد مائة يوم بعد وفاة أبيه فشك الناس فى مرتينا وابنها . .

رأى قيرس أن الثورة فى البلاط موشكة، فاستأذن مرتينا وابنها وسافر إلى مصر[١]، فوصلها سنة إحدى وأربعين وستمائة من الميلاد، فاستقبله البطريق الشيخ فى الإسكندرية استقبال البطل الفاتح، الذى جاء من قبل قيصر ينقذ مدينتهم، وينقذ دينهم، وينقذ جنود الإمبراطورية[٢] .

يقول بتلر :

«نعلم حق العلم أن الروم ضعفت قوتهم، وخارت عزيمتهم عندما فتح العرب ذلك الحصن، فى حين أن العرب زادوا قوة وجرأة، وأصبح فى يد عمرو بن العاص ملك الفرما، وبلبيس، وأتريب، وعين شمس. فكان باسطاً سلطانه على الجانب الشرقى كله فى مصر السفلى، فلما دان له الحصن صار سلطانه ثابتاً على مجمع النهرين، وجمع فى يده أزمة وادى النيل الأوسط، وتم له بذلك الشطر من فتح مصر»[٣] .

فكان مجىء قيرس أمل جديد لاستعادة سيطرة روما على مصر، أو على الأقل على الإسكندرية، لكن المسلمين لم تترك لهم الفرصة لينفردوا بمصر مرة أخرى، فحسبهم أن الأقباط لم يتدخلوا فيفسدوا على المسلمين خططهم، بل وقفوا محايدين.

**ثانياً : موقف المصريين من المتحاربين :**

من يتتبع سيّر الأحداث فى تلك الفترة لا يستطيع أن يستنبط منها رأيا متستقلاً للقبط، ومن ثم لم يكن لهم أثر يذكر فى نتيجة المعركة، فهم كانوا يمقتون الروم فى أعماق قلوبهم

(١) اختلف المؤرخون حول سفر المقوقس أو قيرس الأول من مصر، وسنتعرض لهذا الأمر فى موضعه إن شاء الله تعالى.
(٢) الفاروق عمر جـ ٢ ص ١١٥ ، ١١٦ .
(٣) بتلر فتح العرب لمصر ص ٢٠٧ .

أشد المقت. فلم يكونوا يبذلون لهم أى عون إلا مكرهين، وهم كانوا مع ذلك فى ريب من مقاصد المسلمين بإزائهم، وبخاصة أن هؤلاء المسلمين كانوا بحكم الحرب، يأخذون لأنفسهم من أموال المصريين كل ما يحتاجون إليه لميرتهم وذخيرتهم، وكانوا يعاملون من لا يذعنون لهم من أهل البلاد معاملة بطش وقوة.

هذا إلى أن البلاد كانوا قبل مجيء المسلمين فى ثورة دائمة مع الروم، وكانوا يرجون أن تتيح لهم هزائم هرقل بالشام فرصة التخلص من حكمه وحكم عماله ليستقل المصريون بأمر بلادهم، فيرتفع الظلم والعسف عنهم، وتخلص لهم خيرات أرضهم. أترى العرب إذا غلبوا الروم على مصر ألا يحلون محلهم فيها؟ يستأثرون بالسلطان على أهلها؟ ويختصون أنفسهم بما كان الروم يختصون به أنفسهم من خيراتها؟ ألم يفرض هؤلاء المسلمون الجزية عليهم فى صلح بابليون؟ والمسلمون يخالفونهم فى الجنس، واللغة، والعقيدة، والعادات وقد يحاولون غداً أن يحملوهم على تغيير دينهم، كما حاول الرومان من قبل أن يحملوهم على تغيير مذهبهم! لهذا كان المصريون يمقتون حكم الروم، ويخافون حكم العرب، فلم يكونوا يعاونون هؤلاء إلا كارهين، أو يعاونون أولئك إلا مكرهين، قوم ذلك شأنهم لا يخطئ من يستنبط أنهم لم يكن لهم أثر فيما أصاب العرب من نصر، وما أصاب الروم من هزيمة فى موقعة كريون[1] ـ كما ستأتى.

لا ينصرف هذا الرأى إلا إلى فئة قليلة من المصريين انضموا إلى الروم بدافع من مصلحتهم أو حماستهم للمسيحيين أن يحملهم المسلمون على تغييرها، وهو لا ينصرف كذلك إلى فئة قليلة انضمت إلى المسلمين، ودان بعض أفرادها بالإسلام بدافع من مصلحتهم، كذلك أو حقداً منهم على الروم . . فمثل هذه الفئات . . توجد فى كل أمة وعصر، وإنما ينسحب هذا الرأى على كثرة المصريين فى أدنى البلاد، وأقاصيها، فهذه الكثرة التى تصور اتجاه المجموع أصدق تصوير كانت حانقة على الروم غير راغبة فى العرب. وكان أكبر همهم ألا يشارك أبناء مصر مشارك فى حكمها، وفيما تنتجه أذرع بنيها من ثمرات أرضها[2].

لقد كان المسلمون يقفون وجهاً لوجه أمام الرومان فى كل معاركهم التى التقوا فيها،

(١) الفاروق عمر جـ ٢ ص ١٢٤ بتصرف.
(٢) المصدر نفسه.

والفضل يرجع - بعد الله تعالى - إلى عزيمة المسلمين الذين آلوا على أنفسهم أن تتخلص مصر من حكم الرومان، وإلى الأبد.

**ثالثا : انتصارات المسلمين في مصر وآثرها :**

واصل عمرو بن العاص السير بجنوده صوب الإسكندرية بعد أن طالت مدة إقامتهم فى مصر، وأثناء سيره لم يلق أحداً حتى وصل ترنوط[(١)].

وفى ترنوط هذه لقى بها طائفة من الروم فقاتلوه قتالاً خفيفاً فهزمهم الله[(٢)].

واستأنف السير إلى مدينة نقيوس، وهى على الشاطئ الشرقى للنهر على مقربة من الموضع الذى تتصل فيه بالنيل الترعة التى بين أثريب، ومنوف، فانتصر المسلمون على حاميتها بقيادة: دومنتيانوس، وبفتح نقيوس، أصبح الطريق ممهداً أمام المسلمين إلى الإسكندرية[(٣)].

ومضى عمرو بمن معه حتى لقى جميع الروم بعد نقيوس، فى كوم شريك، كان هذا بعد أن عبر عمرو بجيشه النيل إلى الغرب، وكان عمرو قد أرسل أحد رجاله وهو شريك بن سمي. ليتتبع العدو المنهزم فلحقت طلائع المسلمين بالروم عند موضع على ستة عشر ميلاً إلى الشمال من ترنوط، واستطاع الروم أن يردوا المسلمين، فأنفذ شريك رسولاً إلى عمرو يطلب المدد، ولما بلغ العدو مجئ الأمداد فر هارباً، وقد سمى هذا الموضع الذى وقع فيه القتال باسم القائد العربى، وهو معروف إلى اليوم باسم كوم شريك قرية من قرى كوم حمادة[(٤)]. ففيه اقتتل الفريقان ثلاثة أيام ثم فتح الله للمسلمين، وولى الروم أكتفاهم للمسلمين[(٥)].

ثم التقوا بسلطيس[(٦)]، التى يسميها بتلر: سنطيس، وهى على ستة أميال فى جنوب دمنهور، وهى قرية كبيرة فى نحو منتصف المسافة بين كريون وكوم شريك وقد وقع فيها قتال شديد انهزم فيها الروم، وتقهقروا أمام المسلمين، وتدافعوا نحو الشمال إلى الطريق الأعظم المؤدى إلى الإسكندرية[(٧)].

---

(١) ابن عبد الحكم ص ١٠٧، وترنوط، أو طرنوط، أو الطرانة كما يسميها العرب مدينة قديمة، وقد كان عندها معبر يعبر النيل عليه فى الذهاب إلى الإسكندرية، ومنها يبدأ الطريق المؤدية إلى دير القبط فى صحراء ليبيا، وقد وقف الروم عندها يقاتلون العرب، وقد هزمهم عمرو، واستأنف سيره إلى مدينة نقيوس. راجع فتوح مصر والمغرب ص ١٠٧ هامش ٢ .

(٢) ابن عبد الحكم ص ١٠٧ .

(٣) بتلر : ص ٢٠٩ - ٢١١، وابن عبد الحكم ص ١٠٧ هامش ٢ .

(٤) ابن عبد الحكم ص ١١٧ هامش ٣ ، وبتلر : ص ٢١٢هامش ١ .

(٥) ابن عبد الحكم ص ١٠٧ وبتلر ص ٢١١ .

(٦) ابن عبد الحكم ص ١٠٨ ، وبتلر ص ٢١٢ .

(٧) بتلر : ص ٢١٢، وابن عبد الحكم ص ١٠٨ هامش ٢ .

وبعد أن هزمهم الله التقوا مع المسلمين بعد ذلك فى الكريون.

**الكريون، وموقعتها:**

مدينة الكريون زارها ابن حوقل، ذكر أنها كانت فى أيامه عظيمة جميلة على ضفتى ترعة الإسكندرية، وكان التجار يركبون منها القوارب إلى الفسطاط فى وقت الصيف إذا علا النيل، وكان فى المدينة حاكم تحت إمرته مسلحة من الفرسان والمشاة، وكانت مدينة الكريون آخر حصن من سلسلة الحصون الممتدة للروم بين حصن بابليون والإسكندرية، وكان لها شأن عظيم فى تجارة القمح، وخطر كبير فى الحرب، إذ كانت تشرف على الترعة التى تعتمد عليها الإسكندرية فى طعامها وشرابها، ولكن حصونها لم تكن فى المنعة على مثل ما كان عليه حصن بابليون ،أو حصن نقيوس[1].

**عبد الله بن عمرو... يقود موقعة الكريون:**

وقع فى هذه المعركة قتال بين الفريقين استمر بضعة عشر يوماً، وكان عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه على المقدمة، وحامل اللواء يومئذ وردان مولى عمرو بن العاص[2]، ومعنى أن يقود المعركة مُحدّث كعبد الله.. أنها معركة بالغة الأهمية، تعد هذه الموقعة من المواقع الحاسمة بين الفريقين إذ اشتد القتال، وظل كذلك حتى فصل الظلام بينهما، ولم يظفر أى الفريقين بخصمه، بل لعل الروم كانوا أرجح فى اليوم الأول، كذلك الحال فى اليوم التالى، ثم أخذت تتأرجح كفة الطرفين، خاصة كفة الروم التى كانت بقيادة (تيودور) يأتيها المدد من البحر، كما كانت تأتيها الكتائب تترى من سنطيس، ومن مدائن أبعد منها مثل خيس، وسخا[*]، وبلهيب، لم تكن قتال يوم انجلى، بل كان قتالاً شديداً.. حتى أصيب فيه عبد الله بن عمرو ابن العاص فطلب من وردان الرّوح، فقال له وردان: «الروم تريد؟ الروح

(١) ابن عبد الحكم ص ١٠٨ هامش ٣ ، وبتلر : ص ٢١٢، وكريون تقع على الترعة العذبة التى تسقى مدينة الإسكندرية وتبعد عنها حوالى ٣٢كم تقريبا، وفيها حصن هو آخر الحصون الرومانية بين بابليون والإسكندرية .انظر مصر فى الإسلام صـ٨٦ هامش٤ .

(٢) ابن عبد الحكم ص ١٠٩ ، والفاروق عمر جـ ٢ ص ١٢٢ .

(*) سخا من قرى محافظة الغربية الآن صالحها عمرو على الخراج وهو فى طريقه إلى الإسكندرية، ولكن أهلها وأهل سلطيس وسخا أعانوا الروم على المسلمين فلما فتحت الاسكندرية سبى أهل تلك البلاد.أما سخا وقال عنها ياقوت كورة من أعمال الغربية، كان خارجة بن حذافة أثناء حصار حصن بابليون قد فتحها، تبعد ٣٥كم شمال طنطا.انظر مصر فى الإسلام صـ٨٧ هامش:١ ،٢ ابن عبد الحكم ص ١٠٩، وبتلر: ص ٢١٣ ، ٢١٤والفاروق عمر جـ٢ ص ١٢٢ .

أمامك وليس خلفك» ثم أقبلا على القتال. فلما سمع عمرو بما أصاب ولده بعث إليه من يسأل عن حاله فتمثل عبد الله بن عمرو بقول ابن الإطنابة:

أقـول لها إذا جشـأت وجـاشت مكانـك تُحمـدي أو تستريـحي

فلما سمع عمرو بذلك قال: «إنه ابنى حقًا»[١] وحمل المسلمون مرة بعد مرة حملات شديدة ولكن الفتح أبطأ عنهم، وصلى عمرو بالناس صلاة الخوف، بكل طائفة ركعة وسجدتين. . ثم فتح الله للمسلمين، وقتل المسلمون منهم مقتلة عظيمة، وأتبعوهم حتى بلغوا الإسكندرية فتحصن بها الروم، وكانت عليهم مبنية لا ترام، حصن دون حصن، فترك المسلمون ما بين حلوة أى قصر فارس إلى ما وراء ذلك، ومعهم رؤساء القبط يمدونهم بما يحتاجون إليه من الأطعمة والعلوفة[٢].

## جيش عمرو . . . في مصر، وتكوينه :

ولكن من أين للمسلمين هذه الأعداد التى حاربوا بها فى هذه الوقائع وانتصروا؟ ثم إنهم تركوا مسالح لهم على الحصون التى فتحوها، والبلاد التى غنموها، وهذه لاشك تنقص من عددهم؟

كما أن من المعلوم أن عمر ﷺ لم يبعث إلى مصر غير اثنى عشر ألفًا الذى سبق إرسالهم تباعًا، وهؤلاء لا شك خاضوا معارك شتى، كما ترك عمرو منهم مسالح فى البلاد ليحفظوا الأمن والنظام فيها إلى جانب دعوتهم الناس إلى الإسلام فهل استعان بالقبط فى جيشه؟ أم استعان بالبدو الضاربين فى صحارى مصر شرقًا وغربًا؟

أغلب الظن أن أمير المؤمنين أمد عمرًا بمدد جديد بعد ظفره بحصن بابليون، وحين أذن له فى المسير إلى الإسكندرية، كما أن الإمدادات فى ذلك الوقت غير متعذرة، فقد كانت مسالح البصرة، والكوفة هذه التى تمد جيوش المسلمين فى فارس، وأن عمر . . وعد ابن العاص أن يمده إذا دخل فى مصر، ومن ثم فقد أرسل له الجند تلو الجند بعد الذى صادفه من نجاح فى فتح مصر، وأن عمرًا سار إلى الإسكندرية، وفى إمرته ما يزيد على خمسة عشر ألفًا إن لم يزد على عشرين ألفًا[٣].

---

(١) بتلر:٢١٣، ٢١٤، والفاروق عمر جـ٢ :١٢٢ .
(٢) ابن عبد الحكم . . . ص ١٠٩ ، ١١٠ .
(٣) بتلر : . . ص ٢١٤ ، والفاروق عمر ص ١٢١ ، ١٢٢ .

ولعله قد استعان بالمصريين، وبالبدو فى تعبيد الطرق وحراستها، وفى المجئ بالميرة إلى جيشه، بل لعله قد استعان بمن اطمأن إليه منهم، وجعله فى المسالح التى تشرف على الأمن، وتحفظ النظام.

أما الجند المقاتلون الذين كانوا يلقون الروم فى المعارك فكانوا جميعاً من العرب المسلمين[١].

**مكانة الإسكندرية عند الروم:**

عندما فتح المسلمون مصر كانت مدينة الإسكندرية قصبة الديار المصرية، وثانية حواضر الإمبراطورية الرومانية الشرقية. (بعد القسطنطينية) وأول مدينة تجارية فى العالم.

وقد أيقن إمبراطور الروم أن سقوط هذه المدينة فى أيدى المسلمين يؤدى حتماً إلى زوال سلطانهم من مصر، وكان ملك الروم يقول: «لئن ظهرت العرب على الإسكندرية إن ذلك انقطاع ملك الروم وهلاكهم، لأنه ليس للروم كنائس أعظم من كنائس الإسكندرية، ولما كان عيد الروم بالإسكندرية حيث غلبت العرب على الشام قال الملك: لئن غلبونا على الإسكندرية لقد هلكت الروم، وانقطع ملكها فأمر بجهازه، ومسلحته إلى الإسكندرية، حتى يباشر قتالها بنفسه إعظاماً لها وأمر ألا يتخلف عنه أحد من الروم، وقال: ما بقاء الروم بعد الإسكندرية»[٢].

لذلك بادر بإرسال الجيوش إليها، ونشط الروم للدفاع عن المدينة، وأغلقوا أبوابها، وتحصنوا فيها. . ولما سار إليها عمرو بعد أن فتح فى طريقه ـ طرنوط ـ على الشاطئ الغربى لفرع رشيد، وتسمى الآن الطرانة على مقربة من كفر الدوار، على خط المناشى فى جهة الخطاطبة وكوم حمادة، ثم نقيوس، ثم سلطيس، وأخيراً الكريون، وهى آخر حلقة فى سلسلة الحصون الرومانية التى كانت تمتد من بابليون إلى الإسكندرية، وقد تحصن فى حصنها (أى الكريون) قائد الحصن الرومانى، الذى قاتل المسلمين قتالاً شديداً، ولما دارت الدائرة عليه، ولى

---

(١) الفاروق عمر جـ ٢ص ١٢٢، ويذكر العقاد: أن البشرويين العرب كانوا يسكنون المراعى. على تخوم بين البحيرات الشمالية، وأودية الجنوب، وكانوا عرباً منحدرين من سلالة العمالقة الأقدمين، وكانوا يعاونون العرب الفاتحين، كما عاونهم عرب الصحراء فى الشام على اختلاف العقيدة والمقام، وإذا كانت بادية الفيوم يسكنها أناس يتكلمون بلهجة بشمورية، علمنا أن أقسام البادية العربية لم تتغير كثيراً من قديم الزمن وأن عمرو بن العاص قصد الفيوم قبل فتح (منف) على علم بأصول هذه السلالة راجع عمرو بن العاص ص ٩٠ .

(٢) ابن عبد الحكم ص ١١١ ، ١١٢ . تحقيق عبد المنعم عامر .

هو، وفلول جيشه الأدبار حتى وصلوا إلى الإسكندرية، فحالت أسوارها الحصينة بينه، وبين المسلمين فلم يفتحوها إلا بعد أربعة أشهر[١]. في أثنائها استطاع عمرو بن العاص بجنوده أن يجوس خلالها إقليم الغربية حتى بلغ سخا شمال مدينة طنطا الحديثة، ثم سار نحو الجنوب حتى بلغ طوخ، ومن طوخ سار إلى دمسيس، واسمها الآن ميت دمسيس، وتقع شرق طوخ[٢].

**توزيع قواد المسلمين على بقية المدن لفتحها ونشر الدعوة فيها :**

يروى البلاذري عن يزيد بن حبيب عن الجيشا في أنه قال: سمعت جماعة ممن شهدوا فتح مصر يخبرون أن عمرو بن العاص لما فتح الفسطاط وجّه:

**عبدالله بن حذافة السهمي** إلى عين شمس، فغلب على أرضها، وصالح أهل قراها على مثل حكم الفسطاط، ووجه **خارجة بن حذافة العدوي** إلى الفيوم والأشمونين، وأخميم، والبشرودات، وقرى الصعيد ففعل مثل ذلك[٣].

كما وجه **عمير بن وهب الجمحي** إلى تنيس، ودمياط، وتونة، ودميرة، وشطا، ودقهلة وبوصير، ففعل مثل ذلك[٤]. فانتقلت الدعوة أيضاً مع عمير. إلى وسط الدلتا وما حولها.

كما وجه أيضا **عقبة بن عامر الجهني**، ويقال وردان مولاه ـ صاحب سوق وردان بمصر ـ إلى سائر قرى أسفل الأرض ففعل مثل ذلك فاستجمع عمرو بن العاص فتح مصر فصارت أرضها أرض خراج[٥].

فمن ينظر في مثل هذا التصريف المحكم يشعر أنه أمام حركة منظمة جاءت لتنشر الدعوة بين مدن الوجه القبلي ومصر في زمن وجيز، خاصة، وأن الناس لم يجدوا غضاضة في سماعهم لدعوة الإسلام، وكل ما كان يقف أمامها سرعان ما ينتهي في عرصات القتال، ثم تظهر الدعوة في ثوب جديد لم تسمعه الآذان من قبل هذا مع العلم أن الداعين إليها هم جنود الحرب أنفسهم وعلى رأسهم قائدهم في الصلاة وفي الجهاد.

(١) د/ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي جـ ١ ص ٢٤١ ، ٢٤٢
(٢) بتلر . . ص ١١٨ ، ٢١٩ وهامش ١ من ص ٢١٩ .
(٣) البلاذري فتوح البلدان ص ٢٢٤
(٤) البلاذري : ص ٢٢٤ .
(٥) نفس المصدر ، وانظر خريطة الوجه البحري زمن عمرو بن العاص.

حتى صارت دعوة الإسلام تسمع هنا وهناك ويتناقلها الركبان من مكان إلى مكان، فأينما حل المسلمون كانت شعائر الإسلام تقام، ينفذها المسلمون جميعًا ما يتخلف منهم أحد، أميرهم كواحد منهم، وقائدهم كجندى من جنودهم، ليس بينهم سيد ومسود الكل أمام الله سواء رأى أهل مصر هذه الصور المتنقلة النشطة، فقلدوها حتى أصبحوا جنودها.حدث كل هذا، فى الوقت الذى كان فيه عمرو على حصار الإسكندرية مذ سار إليها إلى أن تم فتحها. وعلى ذلك كانت كتائبه تسير فى الدلتا، وفى الصعيد حين كان على هذا الحصار، وإذا صح أن هذه الكتائب لم تفتح البلاد المحصنة إلا بعد فتح الإسكندرية، فالذى لا شبهة فيه أنها حصرت الروم فى هذه البلاد وأنها مدت سلطانها على ما سواها من الأرجاء التى سارت فيها[١].

تسمّع المصريون لدعوة الإسلام، وما ترمى إليه، ورأوا حَمَلَتها يبلغونها بالحكمة والموعظة الحسنة خير بلاغ، فمالت منهم النفوس إلى تعلمها والنطق بألفاظها، لما شاهدوه من سماحة دعاتها، وعدم إكراههم أحدًا على الدخول فيها، بل كان سلوكهم ملفتًا للأنظار، وباعث على التفكير، كما لفت أنظارهم وأسماعهم من قبل، انتصارات المسلمين على الروم وفارس فى الشـام وفلسطين[٢]، فكانوا يتوقعون مصيرًا كمصير جاراتهم فى المشرق القريب، ولم يكد أعوان هرقل يستعيدون بعض الثقة بدولته بعد خروج الفرس من مصر حتى تبين لهم أن قوة أقوى من الفرس والروم معًا قد ظهرت فى ميدان النضال العريق بين الدولتين، وسمعوا بهزيمة الفرس كما سمعوا بهزيمة الروم فى فلسطين.

ومنهم من ذهب إلى فلسطين نجدة لهرقل، فلم يكد يدخل الأرض باحثًا عن العاهل الذى استنجده حتى سمع بفراره وتوديعه البلاد توديع اليائس المفارق إلى غير رجعة، كما تناقل عنه الذين قفلوا من ركابه عند تخوم آسيا الصغرى[٢].

### عهد بيت المقدس يحفظه رجال الدين في مصر:

لم يغب عهد بيت المقدس عن أذهان القساوسة فى مصر، بل أوشك العهد الذى كتبه الخليفة عمر لأهل بيت المقدس أن يصبح من محفوظات الساسة ورجال الدين فى منف والإسكندرية بالرواية المتواترة وعلموا أن الخليفة حضرته الصلاة، وهو فى صحن الكنيسة الكبرى ببيت المقدس فخرج منها وصلى على درجها منفردًا لئلا يطلبها المسلمون ذكرى

(١) الفاروق عمر جـ ٢ ص ١٢٨ .

(٢) انظر العقاد : عمرو بن العاص ص ٩٠ .

لصلاة الخليفة عليها وأنه كتب في عهده أنه أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم[١].

«لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم ومن خرج من الروم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم. . ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيليا أن يسير بنفسه وماله مع الروم، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم»[٢].

كان أهل مصر على معرفة بما يدور في بيت المقدس، وعلى علم تام بانتصارات المسلمين على الفرس والروم في الشام وفلسطين، فليس غريبًا أن يقفوا حيال هؤلاء وهؤلاء على الحياد حتى ينجلي الموقف، وربما حدثوا أنفسهم متمنين أن ينالهم ما نال بيت المقدس من الأمان.

**موقف أهل مصر من المتحاربين على أرضهم :**

ذهب بتلر إلى تهوين الرأي القائل: بأن المصريين رحبوا بالفاتحين من المسلمين ورأوا فيهم جند الخلاص مما هم فيه . . واستبعد من المصريين أن يحدث منهم ذلك[٣]، لكن يرد عليه بأنهم أيضًا لم يثوروا عليهم كما ثاروا مع الرومان ضد الفرس، ومع هرقل ضد فوقاس، ولم يقاموهم. لماذا؟

لأنهم كانوا يخشون أن ينتصر الروم بالإسكندرية، ثم يعود الأمر لهم في مصر، كما أنهم لم يعرفوا ما سيئول إليه أمرهم إذا عقد النصر لواءه للعرب . . لذلك أذعنوا للواقع فلم يقاوموا أحدًا، ولم يثوروا بأحد بل ظلوا على ولائهم الظاهر للروم حيثما بقي الأمر للروم، وأيدوا ولاء ظاهرًا للعرب حيثما آل السلطان للعرب، خاصة وأن معركة الإسكندرية كانت مجهولة النتائج[٤].

ويصف حنا النقيوسي فتح العرب لمصر فيقول: «إن المسلمين عندما رأوا ضعف الروم وعداوة الناس للامبراطور (هرقل) لما أوقعه من الاضطهاد ، والعسف بأهل مصر كلها بتحريض

---

(١) نفس المصدر.
(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٣ ص ٦٠٩ وهذا جزء من العهد المذكور لأهل إيليا.
(٣) بتلر : ص ٢١٩ .
(٤) الفاروق عمر جـ ٢ ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

قيرس البطريق الخلقيدونى زادت جرأتهم، واشتد ساعدهم فى القتال»[١].

**بتلر يعترف بكره المصريين للروم :**

أورد بتلر هذه العبارة الدالة على اعترافه ببغض المصريين للرومان، وحبهم للمسلمين الفاتحين ورضاؤهم بدفع الجزية إليهم فقال: «والحق أن القبط لم يحبوا العرب، ولكنهم فى الصعيد كانوا يحملون فى قلوبهم أشد الضغن على من اضطهدهم وعذبهم حتى أن أهل الفيوم بعد أن استقرت بهم الحال فى حكم العرب، على دفع الجزية، بلغ الأمر بهم أن صاروا يقتلون من وجدوه من جند الروم. وكان أهل البلاد التى فى جنوب الفيوم أقل رغبة من هؤلاء فى نصرة الروم»[٢]. فهم أبغضوا الروم، ولكنهم لم يعترضوا على الجزية التى كانت تفرض على أهل اليسار من الناس دينارين، وثلاثة أرادب من القمح، وقال: ما كان يؤخذ من الجزية بهذه الطريقة بلغ ١٢,٠٠٠,٠٠٠ دينار ما كان يفرض على اليهود من أهل مصر (صفحة ٧٥) ولكنه قال فى ص ٧٤ غير ذلك، وتلك لاشك رواية نقلها عن مصدر آخر[٣].

أما ما كان خاصاً بالإسكندرية، فإن (قيرس) وإن كان قد صالح العرب بالنيابة عن أهل البلاد كلها ما كان ليضمن أن ترضى بما رضى به كل مدينة، وكل طائفة، وما كان العرب ليمتنعوا من قتال من قاتلهم من أهل البلاد، ومن ثم فقد وقع قتال فى مدة الهدنة فى بعض المواضع التى لم ترض بالتسليم ففتحت عنوة[٤].

**المبحث الثامن : أثر فتح الإسكندرية على المسلمين :**

لقد ترك فتح الإسكندرية أثرًا طيبًا فى نفوس المسلمين، وحسبك أن تقرأ كلمة عمرو ابن العاص إلى عمر بن الخطاب بهذا الفتح لتدرك مكانته فيقول: «أما بعد : فإنى فتحت مدينة لا أصف ما فيها غير أنى أصبت فيها أربعة آلاف بناية بأربعة آلاف حمام، وأربعين ألف يهودى عليهم الجزية، وأربعمائة ملهى للملوك»[٥]، فهذا الإيجاز من رجل اشتهر بالإطناب، ودقة التصوير حجة على أن عمرًا رأى كل وصف يقصر عن تصوير ما رآه بالإسكندرية على حقيقته، ومن ثم أرسل عمرو معاوية بن حُديج رسولاً إلى عمر ينبئه بالفتح[٦]، ويصور ابن عبد الحكم وقع الخبر على أمير المؤمنين عمر كما قصه معاوية بن حديج إذ قال: «بعثنى عمرو بن

(١) حنا النقيوسى الفصل الأول ، نقلاً عن : بتلر فتح العرب لمصر ص ٢٣٤ .
(٢) بتلر . . ص ٢٣٤ .  (٣) بتلر ص ٢٣٦ هامش ١ .
(٤) بتلر ص ٢٣٦ .  (٥) ابن عبد الحكم ص ١٢١ تحقيق عامر، والفاروق جـ ٢ ص ١٢١ .
(٦) الفاروق عمر جـ ٢ ص ١٤١ .

العاص إلى عمر بن الخطاب ﷺ بفتح الإسكندرية، فقدمت المدينة فى الظهيرة، فأنخت راحلتى بباب المسجد، فبينا أنا قاعد فيه إذ خرجت جارية من منزل عمر بن الخطاب فرأتنى شاحباً على ثياب السفر فأتتنى، فقالت : من أنت؟ فقلت: أنا معاوية بن حديج رسول عمرو ابن العاص. فانصرفت عنى، ثم أقبلت تشتد . . حتى قربت منى قالت: قم أجب أمير المؤمنين يدعوك. فتبعتها. فلما دخلت فإذا بعمر بن الخطاب يتناول رداءه بإحدى يديه، ويشد إزاره بالأخرى فقال: ما عندك؟ فقلت : خير يا أمير المؤمنين فتح الله الإسكندرية. فخرج معى إلى المسجد فقال للمؤذن: أذن فى الناس الصلاة جامعة. فاجتمع الناس ثم قال لى : قم فأخبر أصحابك .

فقمت فأخبرتهم . ثم صلى، ودخل منزله، واستقبل القبلة فدعا بدعوات ثم جلس، فقال : يا جارية هل من طعام؟ فأتت بخبز وزيت، فقال: كل. فأكلت على حياء، ثم قال يا جارية: هل من تمر؟ قال: قلت أمير المؤمنين قائل. قال: بئس ما قلت، أو بئس ما ظننت، لئن نمت النهار لأضيعن الرعية، ولئن نمت الليل لأضيعن نفسى، فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية؟[(١)] .

### بقاء المقوقس في مصر :

لم يغادر المقوقس الإسكندرية مع الذين جلوا عنها، بل ظل مقيماً بها فى قصره حتى مات، ودفن بها فى مقابرها، ولم يغادرها وهو حى لأنه كان يعلم أنه يخاطر بحريته، بل بحياته إذا نزل بيزنطية، وأن مصيره سيكون النفى أو الموت لا محالة . . لذلك آثر البقاء بمصر مقتنعاً بأن الفاتح العربى سيبقى له من النفوذ ما تطمئن إليه شيخوخته المحطمة[(٢)] .

ولا يشير المؤرخون المسلمون إلى سفر قيرس إلى القسطنطينية، ولا إلى خبر نفيه، كما سبقت الإشارة إليه، بل يذكرون أن هرقل كتب إليه يقبح رأيه ويعجزه ويرد عليه ما فعل، ويأمره بمناهضة العرب، وقتالهم، وألا يكون له رأى غير ذلك، وأنه بعث الجيوش، فأغلقوا باب

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١١٩ ، ١٢٠ ويلاحظ هنا أن عمر بن الخطاب ﷺ لم يسأل هل نشرتم الدعوة أم لا لماذا؟ لأن الهدف إزالة القوة الغاشمة التى تحول بين الناس وبين حريتهم الشخصية والدينية فإذا زالت هذه القوة المتسلطة فإن الناس يمكنهم أن يختاروا أى مذهب يعتنقون وأى الأديان يدينون، وهذا عين ما فعله المسلمون فى مصر ، وفى غيرها .

(٢) الفاروق عمر جـ ٢ ص ١٤٤ ، وكانت وفاة المقوقس فى ١٧ مارس ٦٤٢م راجع مصر فى الإسلام صـ٩٧ .

الإسكندرية وآذنوا المسلمين بالحرب، فخرج المقوقس فقال له : أسألك ثلاثًا :فقال عمرو: وما هى؟ قال: لا تبذل للروم ما بذلت لى، فإنى قد نصحت لهم، واستغشوا نصيحتى ولا تنقض بالقبط فإن النقض لم يأت من قبلهم، وأن تأمر إذا مت فأدفن فى كنيسة أبى يحنس. فقال عمرو: هذه أهونهن علينا»، ومن المؤرخين من ذكروا سفر المقوقس ونفيه ثم عودته إلى مصر، وفصلوا ذلك تفصيلا(١).

ولما مات قيرس، وجلا الروم عن عاصمة مصر، تولى المسلمون أمرها، وأخذوا يديرون شؤونها، وبذلك دالت دولة الروم فيها، وزال سلطانهم عنها، وإن بقيت لهم بها حاميات محصورة، ولكنها لا تشكل خطرًا يذكر، ومن ثم كان سقوط الإسكندرية فى يد عمرو بن العاص إذانًا بأن مصر كلها آلت إلى المسلمين، وأنه ألقى عليهم إصلاح ما فسد من شؤونها، ويطهروا أرضها من آثار الروم، وعليهم أن يبعثوا فى نفوس القبط الأمن والطمأنينة، فإذا ما حاول الروم العودة مرة أخرى ردوا على أعقابهم(٢).

**الروم ينقضون المعاهدة :**

لم يحافظ الروم على المعاهدة التى أبرموها مع المسلمين، وعاودتهم أحلامهم فى الاستيلاء على مصر مرة أخرى وساعدهم على غدرهم :

وجود جماعة من المصريين يتطلعون إلى الروم، فكتبوا إلى قسطنطين بن هرقل قبل موته يبينون له ما هم فيه من مذلة، وما أرغموا عليه من أداء الجزية، ويذكرون له كذلك قلة حامية الإسكندرية . . من العرب، فبعث قسطنطين جيشًا كبيرًا تحت قيادة «مانويل» فقتل من بالإسكندرية من حامية العرب، وسار إلى نقيوس. فسار إليهم عمرو، واشتبك مع الروم فى القتال، فولوا منهزمين إلى الإسكندرية فتبعهم وأعمل السيف فيهم، واسترد الإسكندرية. وقتل مانويل فى هذه الواقعة، وهدم عمرو سور الإسكندرية، وكان قد حلف لهدمنها لو قيض له النصر(٣).

---

(١) راجع ابن عبد الحكم ص ١٠٦ ، ١٠٧ والفاروق عمر ص ١٤٤ هامش ١ .
(٢) الفاروق عمر جـ ٢ ص ١٤٥ .
(٣) د/ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى جـ ١ ص ٢٤١ ، ٢٤٥ ، وراجع كتاب عمرو بن العاص له ص ١١٨ ، ١٢٢ وانظر ابن عبد الحكم ص ١١٨ .

### متى فتحت مصر ؟ وهل فتحت صلحًا أم عنوة :

وقع خلاف حول هاتين النقطتين : متى فتحت مصر ؟ وهل كان فتحها صلحًا أم عنوة؟ أما عن النقطة الأولى فقيل : إنها فتحت سنة عشرين، وأميرها عمرو بن العاص[١] .

### فتح الإسكندرية :

شغل الروم باضطربات بلادهم، وبما نشأ فيها من الانتقاض على ( مرتينا ) وابنها فنسوا الإسكندرية، ونسوا مصر، فلم يرسلوا لها مددًا، ولم يفكر أحد في الدفاع عنها بعد موت هرقل، ومن ثم قال بعض المؤرخين المسلمين: «إن الله كسر بموته شوكة الروم» .

وصلت فلول الروم إلى الإسكندرية، وتحصنوا بها، لمناعة حصونها، فقد اهتم بها الروم، ومن قبلهم البطالسة، وقد كانت حاميتها لا تقل عن خمسين ألف جندى مزودين بالمؤن الوفيرة، والعدد الكثيرة على حين بلغ جند العرب نحو اثنى عشر ألفًا، وأقام عمرو وجنده يردون هجمات الروم نحو أربعة أشهر[٢] .

فأقلق هذا أمير المؤمنين عمر ﷺ فبعث إلى عمرو كتابًا يلومه فيه هو والمسلمين، فقرأ عمرو الكتاب، وعقد لعبادة بن الصامت، وولاه قتال الروم، ففتح الله على يديه الإسكندرية[٣]، وهزم الروم برًا وبحرًا، وتم هذا الفتح عنوة، ولكن عمرو بن العاص جعل أهلها، أهل ذمة، على أن يخرج من يخرج، ويقيم من يقيم باختيارهم، شأن العرب مع أهالى معظم البلاد التى فتحوها[٤] . وربما دفع عمرو إلى هذا المسلك، استجلابًا لمحبة الأهلين، وإرضاء لأصحاب البلاد الذين اضيروا من ظلم الروم، حتى لا يشعروا بوطأة التغيير وبعد انتصار عمرو على الروم أمرهم بإخلاء الاسكندرية فى ١٦ شوال عام ٢١هـ الموافق سبتمبر عام ٦٤٢م وتسلمها منهم بعد أن غادروها بحرا، وبذلك صارت مصر إسلامية، وطويت صفحة من تاريخ الاستعمار فى مصر وانتهى عهد الرومان الذى دام أكثر من ستة قرون، وبعد عام الفتح بعث الخليفة عمر إلى الأمير عمرو بن العاص مرسوما بولاية مصر وكان ذلك فى نوفمبر سنة

---

(١) الطبرى . . . تاريخ . جـ ٤ ص ١٠٤، جاء فتح الاسكندرية بعد أحداث تاريخية كما يلى:
خرج عمرو من حصن بابليون متجها إلى الاسكندرية فى أواخر أبريل سنة ٦٤١م الموافق ربيع الأول سنة٢٠هـ، وعسكر حول الاسكندرية فى يونيو، وحاول فتحها حتى رجع المقوقس من القسطنطينية ومعه عهد الصلح فى ١٤ / ٩ / ٦٤١م الموافق رمضان سنة ٢٠هـ بعدم الموافقة على الصلح انظر مصر فى الإسلام صـ٩٨ .

(٢) ابن عبد الحكم : ص ١١٢ .

(٣) نفس المصدر ص ١١٦ ـ ١١٨ .

(٤) المصدر السابق ص ١٣٢ .

٦٤٢م الموافق ذى الحجة عام ٢١ هـ [١].

**شروط صلح الإسكندرية :**

يقول بتلر معلقاً على طول مدة المفاوضات بين العرب والروم :ولعل المفاوضة والمشاورة قد استطالت مدة أيام كعادة أهل الشرق فى مفاوضتهم، ثم انتهى أمر المفاوضات إلى صلح اتفق فيه الجانبان على شروطه جميعاً، وكتب بها عقد [٢] فى الثامن من شهر نوفمبر عام ٦٤١ للميلاد [٣]، ولنسم هذا الصلح (صلح الإسكندرية) كى نميز بينه وبين الصلح السابق الذى عقد فى بابليون، فإن هذا الصلح الجديد إنما كان خاصاً فى معظم شروطه بالإسكندرية وتسليمها [٤].

ولسنا مع بتلر فى أن سبب التأخير هو عادة أهل الشرق، وإنما هى الكتب المتداولة بين الأمير والخليفة، فإن عمراً لم يرد عندما عرض المقوقس الصلح والجزية، وإنما قال :إن ورائى أميراً لا أستطيع أن أصنع شيئاً دونه، فإن شئت أن أمسك عنك، وتمسك عنى، حتى أكتب إليه بالذى عرضت علىّ، فإن هو قبل ذلك منك قبلت، وإن أمرنى بغير ذلك مضيت لأمره؟

وقبل المقوقس، وكتب عمرو إلى الخليفة وجاءه الرد:

أما بعد فإنه جاءنى كتابك تذكر أن صاحب الإسكندرية عرض أن يعطيك الجزية على أن ترد عليه ما أصيب من سبايا أرضه [٥]، ولعمرى لجزية قائمة تكون لنا ولمن بعدنا أحبّ إلىّ من فىء [٦] يقسم ثم كأنه لم يكن، فاعرض على صاحب الإسكندرية أن يعطيك الجزية على أن تخيروا من فى أيديكم من سبيهم بين الإسلام ودين قومه، فمن اختار منهم الإسلام فهو من المسلمين له مالهم وعليه ما عليهم، ومن اختار دين قومه فضع عليه من الجزية ما يوضع

---

(١) انظر :مصر فى الإسلام صـ ٩٨ .

(٢) بعد تسعة أشهر من الحصار، وقال بعضهم :بل ثلاثة .والأصوب أنها ستة أشهر.

(٣) قال د/ حسين مؤنس فى الأطلس الإسلامى ١٣٤ :وقع عمرو معاهدة الإسكندرية فى ١٦ شوال عام ٢١ للهجرة (الموافق ١٧ سبتمبر عام ٦٤٢ للميلاد).

(٤) فتح العرب ٢٧٦ .

(٥) تشير هذه العبارة إلى أن حرباً قامت، وأخذ المسلمون فيها سبايا، ويبدو أن المسلمين كادوا أن يحكموا قبضتهم على الإسكندرية لولا تدخل المقوقس بالصلح.

(٦) الفىء :الغنيمة تنال بلا قتال والنفل الغنيمة أيضا يأخذه الجيش المنتصر، ويقسم على أفراد الجيش.

عليه من أهل دينه [١].

وعلى أساس كتاب الخليفة صاغ عمرو بن العاص عقد الصلح، وقد أوردت كتب التاريخ نصوص هذا العقد، التى أصر عمرو على عرض بنودها على الخليفة أيضاً وبيان ما اتفق عليه الطرفان فيه، وشروطه هى:

**الشرط الأول:**

أن يدفع الجزية كل من دخل فى العقد.ومعروف أن الجزية ديناران ديناران، على كل ذكر بالغ عاقل، فلا يدفع الطفل ولا المرأة جزية، وإذا دخل قبطى فى الإسلام رفعت عنه الجزية، وصار عليه ما على المسلمين من زكاة، وفى الجزية ضمان للقبط على أموالهم وكنائسهم وأنفسهم ولهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية، فهم أهل ذمة لهم ما للمسلمين من حقوق، وقد تفرغ عن هذا الشرط ستة شروط، هى:

١ ـ لا يخرج القبط من ديارهم. ٢ ـ لا يفرق بينهم وبين أزواجهم.

٣ ـ لا يطردون من قراهم. ٤ ـ لا تؤخذ أرضهم.

٥ ـ لا تزاد قيمة الجزية عن دينارين.

٦ ـ على المسلمين حماية ظهر القبط من عدوهم.

**الشرط الثاني:**

أن تعقد هدنة حوالى أحد عشر شهراً، تنتهى فى أول بابة القبطى الموافق ٢٨ سبتمبر عام ٦٤٢ للميلاد، وقد جاءت مدة الهدنة عند ابن الأثير أقل من ذلك، والهدف منها هو مكاتبة الخليفة فى المدينة عما اتفق عليه الطرفان وانتظار الرد، فهذه سياسة عمرو، لا يقدم على أمر فى حكم مصر، إلا بعد استشارة الخليفة.

**الشرط الثالث:**

ألا يترك العرب ما فتحوه من مدن وقرى، ولا يسعوا إلى قتال، وأن يكف روم الإسكندرية عن قتالهم.

**الشرط الرابع:**

أن يرحل جنود الروم بحراً من الإسكندرية، ومعهم متاعهم.

---

(١) رسائل الخلفاء الراشدين ٣٠٦ د/ محمد سليمان فرج.رسالة دكتوراة الأزهر.

**الشرط الخامس:**

ألا يأخذ المسلمون أى كنيسة من المسيحيين، ولا يتدخلوا فى أمورهم الدينية.

**الشرط السادس:**

السماح لليهود المقيمين فى الإسكندرية باستمرار إقامتهم فيها إذا شاءوا، وكان عددهم ـ كما قالت أغلب الروايات ـ سبعين ألف يهودى، أكثرهم من يهود الشام الذين هربوا إلى الإسكندرية من الغزو الفارسى واليونانى والرومانى.

**الشرط السابع:**

أن يبعث الروم رهائن من قبلهم:مائة وخمسين من جنودهم، وخمسين من غير الجند ضماناً لإنفاذ العقد.

**الشرط الأخير:**

ألا يعود جيش الروم إلى مصر أو يسعى لردها [1].

ولكن هذا الشرط ما لبث أن نقضه الروم مرات محاولين استرجاع الإسكندرية، لكن المسلمين فى كل مرة كانوا لهم بالمرصاد.

هذه هى نصوص العقد المبرم بين الإمبراطورية الرومانية والجيش المسلم.

«ومن الواضح أن حالة من الانفصال كانت تسطير على الموقف بين المقوقس والقوة الرومية، مع أن الروم هم الذين اختاروا المقوقس لحكم مصر، ويبدو أن هذه الحالة من التباعد والانفصال بين الفريقين نتجت عن تخلى الروم عن إمداد المقوقس بما يكفيه من القوة لمواجهة جيش الفاتحين، وإحساسه بأنهم غير صادقين فى صلحهم، وأنهم لابد وأن ينقضوا هذا الصلح، ولذلك فهو يدعو عمراً إلى عدم مصالحتهم مرة أخرى، وهو احتمال يشير إليه قوله: (فلا تصالحهم حتى تجعلهم فيئاً..)، ولا شك أن المقوقس الذى كان يعانى فى أعماقه من

(١) راجع هذه الشروط فى :ـ
ـ ابن عبد الحكم:فتوح مصر والمغرب صـ ١٠٣ ـ ١٠٧، ١١٧ هامش ١ .
ـ البلاذرى:فتوح البلدان صـ ٢٨٨ وما يليها. ـ كتاب الولاة والقضاة صـ٩ وما يليها.
ـ الإمام السيوطى:حسن المحاضرة جـ١ صـ ١٢٨، ١٢٩ ـ الدكتور حسن إبراهيم حسن:تاريخ مصر الإسلامى والسايسى جـ١ صـ ٢٤٢، ٢٤٣ . ـ بتلر:فتح العرب لمصر صـ ٢٣٤ . ـ د/ عبد الصبور شاهين، وإصلاح عبد السلام الرفاعى:مصر فى الإسلام القرن الأول صـ ٩٤ وما بعدها.

خيبة أمله فى قومه كان ينظر إلى جيش المسلمين نظرة استعظام وقدرة على إنزال الهزيمة بالروم وتحويلهم إلى فىء وغنيمة.

ونقطة أخرى هامة هى إحساس المقوقس بأن الأمر مادام قد صار فى يد المسلمين فلابد أن يتقرب إليهم حتى يبقوا على منصبه الدينى على الأقل، وهو ما حدث فعلاً، فقد أبقاه عمرو زعيماً للقبط حتى توفى فى ١٧ مارس عام ٦٤٢ للميلاد» (١).

**نتائج هذه الشروط:**

أ ـ ضمان للقبط فى أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وحريتهم الدينية التى حرموا منها فى حكم قيرس.

ب ـ حق إعطاء الجزية للمسلمين مقابل حمايتهم، والدفاع عنهم، كما أنها تجعل لأهل الذمة حقوقا على الفاتحين منها:ـ

١ ـ ألا يزاد عليهم.

٢ ـ أن يعيشوا آمنين.

٣ ـ عدم اشتراكهم فى الحروب.

جـ ـ أن الجزية خاصة بفئة من السكان وهم القادرون على الكسب، أما غيرهم من النساء والشيوخ والأطفال فهم مستثنون من دفع الجزية.

د ـ بلغت الجزية التى جبابها المسلمون، اثنى عشر ألف ألف دينار، وذلك نحو ستة آلاف ألف من الجنيهات (٢).

**الآراء فى فتح مصر والإسكندرية:**

**قيل:** إن مصر والإسكندرية فتحتا فى سنة ست عشرة، ذكر هذا الطبرى فى تاريخه (٣).

---

(١) مصر فى الإسلام القرن الأول صـ ٩٧ .

(١) راجع فتوح مصر والمغرب ص ١٠٣ ـ ١٠٧ ـ ١١٧ هامش ١، البلاذرى:فتوح البلدان ص ٢٨٨، وما يليها، وكتاب:الولاة والقضاة ص ٩، وما يليها، والسيوطى:حسن المحاضرة جـ١ ص ١٢٨، ١٢٩، والدكتور حسن إبراهيم حسن:تاريخ الإسلام السياسى جـ ١ ص ٢٤٢، ٢٤٣ ، وفتح العرب لمصر.لبتلر صـ ٢٣٤ .

(٢) بتلر....ص ٢٣٦ .

(٣) تاريخ الطبرى.جـ٤ ص ١٠٤ فى أحداث سنة عشرين.

كذلك روى ابن إسحاق عن أسلم أن عمر ﷺ حين فرغ من الشام كلها كتب إلى عمرو ابن العاص أن يسير إلى مصر فى جنده فخرج حتى فتح باب إليون سنة عشرين، أما الخلاف الذى دار حول فتح الإسكندرية فمنهم من زعم أنها فتحت فى سنة خمس وعشرين وعلى سنيتن من خلافة عثمان بن عفان ﷺ وعليها عمرو بن العاص (١).

لكن جاء عن محمد بن إسحاق، عن زياد بن جزء الزبيدى أنه حدثه أنه كان فى جند عمرو بن العاص حين افتتح مصر والإسكندرية، قال:افتتحنا الإسكندرية فى خلافة عمر بن الخطاب ﷺ إحدى وعشرين، أو سنة اثنتين وعشرين (٢).

**والرأي الراجح:** أن مصر فتحت سنة عشرين هجرية، بعد أن أقنع عمرو بن العاص عمر بن الخطاب بفتحها عندما قدم الجابية عام ثمانية عشر هجرية ثم سار بجنده مخترقا سينا، فلم يجد معارضة من أهلها، بل أجابوه إلى دعوته وترك فيهم من يعلمهم أركان الإسلام وعباداته، ثم رحل عنهم إلى العريش فى نفس العام ففتحها بلا مقاومة، فترك فيهم من يعلمهم أركان الإسلام ومن يؤذن للصلاة..ثم يمم وجهه حتى وصل إلى مدينة الفرما فحاصرها أكثر من شهر، وتم له فتحها فى أول المحرم سنة تسع عشرة (منتصف يناير ٦٤٠م) ثم تقدم إلى بلبيس فأم دنين، واستمد عمر ـ فأمده، فحاصر حصن بابليون سنة عشرين، وتم صلح بينه وبين المقوقس، اتجه بعده عمرو إلى استكمال الفتح كما سبق بيانه (٣).

كذلك فإن جمعا من مؤرخى الإسلام القدامى، كابن إسحاق، وأبى معشر، والأتابكى، وابن عبد الحكم يرون الفتح سنة عشرين (٤)، وأن الإسكندرية تم فتحها سنة خمس وعشرين ويذكر ابن عبد الحكم، أنها فتحت صلحا سنة عشرين، وعنوة سنة خمس وعشرين (٥).

**النقطة الأخيرة:** وهى هل فتحت مصر صلحا أم عنوة؟ نقول:كابد المسلمون فى فتح مصر كثيرا من المشقات فلم يفتحوا بلدا إلا بمجابهة الروم، ما عدا مصر العليا، أو الوجه

---

(١، ٢) نفس المصدر ص ١٠٤،١٠٥ وهذه الأقوال ذكرها الطبرى.

(٣) راجع د / حسن إبراهيم حسن:تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى جـ١ ص ٢٣٤ ـ ٢٤٧، ود / على الخطيب:رسالة دكتوراة:فى أدب عمر ص ٣٥٠ كلية اللغة العربية.

(٤) راجع الطبرى جـ ٤ص ١٠٤، وابن عبد الحكم ص ٨٠ طـ لندن، وجمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى:النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة جـ١ ص ٢٠ وراجع ابن عبد الحكم ص ١١٧ هامش ١ ص ١١٨ .

(٥) ابن عبد الحكم ص ١٢٩ تحقيق عبد المنعم عامر.

القبلى، فلم تثبت بينهم مواجهة حربية سوى الفيوم، وعندما أبرم المسلمون عقد الصلح مع المقوقس لم ينفذ حتى يأتى رد القسطنطينية، ولما رفضت، عادت الحرب بين الفريقين ثم انتصر المسلمون فى النهاية على الروم، ونفذ عقد الصلح، ولما كان بعض أجزاء مصر لم يحارب، والبعض الآخر حارب.اختلف المؤرخون حول فتحها صلحا أم عنوة ولكل دليله.

يرى بعض المؤرخين أن مصر فتحت عنوة، وأن الروم لم يسلموها لقمة سائغة للفاتحين إلا بعد معارك ضارية، ويستندون إلى أدلة منها:

أ ـ ما روى عن سفيان بن وهب الخولانى قوله:إنا لما فتحنا مصر بغير عهد قام الزبير بن العوام ﵁ فقال:اقسمها يا عمرو بن العاص، فقال عمرو:والله لا أقسمها، فقال الزبير:والله لتقسمنها كما قسم رسول الله ﷺ، فقال عمرو:والله لا أقسمها حتى أكتب إلى أمير المؤمنين. فكتب إليه عمرو:

أقرها حتى يغزو منها حبل الحبلة [١] أى ولد الولد.

ب ـ ما أضيف إلى عمرو بن العاص قوله:لقد قعدت مقعدى هذا، وما لأحد من قبط مصر على عهد ولا عقد إلا أهل انطابلس [٢] .وهو الإقليم الذى يلى مصر غربا من بلاد الدولة الرومانية، ويشمل مدنا وقرى بين الإسكندرية وبرقة [٣] . فإن لهم عهدا يوفى لهم به، إن شئت قتلت، وإن شئت خمست وإن شئت بعت [٤] .

جـ ـ ما روى عن زيد بن أسلم قال:كان تابوت لعمر بن الخطاب فيه كل عهد كان بينه وبين أحد ممن عاهده، فلم يوجد فيه لأهل مصر عهد.وقد أثبت ابن عبد الحكم روايات عدة فليرجع إليها من شاء [٥] .فى هذا المقام.

**القائلون بفتح مصر صلحا:** يستندون إلى عقد الصلح الذى أورده الطبرى خاصا بأهل مصر كما أنهم يستندون إلى أدلة منها ـ

أ ـ ما كتبه عمرو..إلى عمر..﵁ يعلمه بفتح مصر، وشأنها، وأن المسلمين طلبوا قسمها، فكتب إليه عمر:﵁ لا تقسمها، وذرهم يكون خراجها فيئا للمسلمين، وقوة لهم

(١) ابن عبد الحكم ص ١٢٩ تحقيق عبد المنعم عامر.وانظر كتاب عمر فى عدم تقسيم مصر فى الملاحق.
(٢) ابن عبد الحكم..ص ١٣٠ تحقيق عبد المنعم عامر.
(٣) نفس المصدر هامش ١ وانظر معاهدة انطابلس فى الملاحق.
(٤) نفس المصدر.
(٥) المصدر السابق ص ١٣٢ .

على جهاد عدوهم، فأقرها عمرو رضي الله عنه وأحصى أهلها، وفرض عليهم الخراج، فكانت مصر كلها بفريضة دينارين على كل رجل لا يزاد على أحد منهم فى جزية رأسه أكثر من دينارين إلا أنه يلزم بقدر ما يتوسع فيه من الأرض والزرع إلا الإسكندرية، فإنهم كانوا يؤدون الخراج، والجزية معا على قدر ما يرى من وليهم، لأن الإسكندرية فتحت عنوة بغير عهد، ولم يكن لهم صلح ولا ذمة [١].

**عهد أهل مصر:**

ب ـ وفى رواية لأحد الشيوخ القدماء لما سئل عن فتح مصر، وأن أناسا يذكرون أنه لم يكن لهم عهد فقال:ما يبالى ألا يصلى من قال إنه ليس لهم عهد.فقلت:فهل كان لهم كتاب؟ فقال:نعم ثلاث كتب.

١ ـ كتاب عند طلما صاحب إخنا [٢].

٢ ـ كتاب عند قزمان صاحب رشيد.الواقعة على الضفة الغربية لفرع النيل المسمى بها.

٣ ـ كتاب عند يُحنّس (يوحنا) صاحب البرلس [٣].

قلت فكيف كان صلحهم؟ قال دينارين على كل إنسان جزية وأرزاق المسلمين.قلت: فتعلم ما كان لهم من الشروط؟

قال نعم:

أ ـ لا يخرجون من ديارهم.

ب ـ ألا تنزع نساؤهم.

جـ ـ ولا تؤخذ كفورهم.

د ـ ولا يستولى على أرضهم.

هـ ـ ولا يزاد عليهم.

---

(١) المصدر السابق ص ١٢٤ .

(٢) المصدر السابق ص ١٢٥ ، وإخنا قرية قريبة من البرلس، قال المقريزى:إنها حصن على شاطىء البحر المالح. راجع ابن عبد الحكم ص ١٢٥ هامش.

(٣) تقع على البحر الأبيض على البحيرة المسماة بها، ومؤرخو الفرنجة أنها كانت تسمى (بوط).راجع ابن عبد الحكم ص ١٢٥ هامش ٤ .

و ـ وأن يقاتل عنهم من ورائهم [١].

جـ ـ كتب معاوية بن أبى سفيان إلى وردان أن زد على كل رجل منهم قيراطا.فكتب وردان إلى معاوية كيف نزيد عليهم؟ وفى عهدهم ألا يزاد عليهم شيء [٢].

د ـ ما روى عن يحيى بن ميمون الحضرمى قال:لما فتح عمرو بن العاص مصر، صولح على جميع من فيها من الرجال القبط ممن راهق الحلم إلى فوق ذلك، ليس فيهم امرأة، ولا صبيا، ولا شيخا على دينارين، فأحصوا لذلك فلبغت عدتهم ثمانية آلاف ألف [٣].

## كيف نوفق بين هذه الروايات؟

تعد هذه الروايات من أشهر ما قيل فى هذا المقام، وكلاهما يلتقى عند نتيجة واحدة هى أن مصر فتحت صلحا وعنوة فى نفس الوقت، والذى يرفع اللبس أن الحرب التى وقعت فى أرضها إنما كانت بين المسلمين والروم، ولم تكن بين المسلمين والقبط من أهل البلاد، وقد كان موقف المصريين من الفريقين موقف المحايد، أو هو بالأحرى موقف المغلوب على أمره، لا يملك أن ينضم ظاهرا إلى هذا أو ذلك، فكانوا ينفذون ما يأمرهم الغالب على منطقة من المناطق ومع أنهم كانوا يمقتون الروم، يخافون العرب أن يحلوا بينهم محل الروم، كما سبق، ولا يمكن أن يقال إنهم قاتلوا العرب، أو قاتلوا الروم، إنما كان القتال بين العرب والروم فى أرض مصر، وقد انتصر المسلمون على الروم، فأجلوهم عن مصر، وأدالوا دولتهم فيها، وهم لذلك قد فتحوا مصر عنوة فى وجه الروم الذين قاتلوهم، وانهزموا أمامهم، ولم يفتحوها عنوة فى وجه المصريين الذين لم يقاتلوهم [٤].

إما إخنا، وبلهيب، والبرلس، ودمياط فقد سلمت دون مقاومة، كما عاون المصريون العرب فى قتال تنيس، وفى فتحها.وما كان المصريون ليقاتلوا العرب، أو يحاولوا إجلاءهم عن بلادهم، فقد حرمهم الرومان من هذه القوة، وجردوهم من أسلحتها، فلم ينشئوا فى البلاد جيشا من أبنائها، ولم يتركوا لهم سلاحا يذودون به عن أنفسهم، ولا عن حصونهم، فكان

(١) المصدر السابق ص ١٢٥،١٢٦ .
(٢) المصدر السابق ص ١٢٧ وراجع السيوطى:حسن المحاضرة..جـ١ ص ١٢٥ ـ ١٢٧ .
(٣) راجع ابن عبد الحكم:فتوح مصر والمغرب.
(٤) انظر الفاروق عمر جـ ٢ ص ١٥١ .

طبيعيا أن تذعن للعرب أول ما غلبوا الروم فى أرضها، وأخرجوهم منها، ولهذا وجدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه يحفظها من القسمة، ويقره عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكانت هذه منقبة من مناقب عمرو..لدى المصريين وبذلك تكون مصر قد فتحت عنوة بالنسبة للروم [١]، ويقتضى المقام فى مجال بحثنا لهذه النقطة أن نوضح الفرق بين العهد والصلح لدى فقهاء القانون الوضعى على ضوء العهد الذى أعطاه عمرو بن العاص لأهل مصر، وأورده الطبرى فى تاريخه، والذى جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم:هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم [٢] ....الخ لينجلى لنا موقف المصريين من هذا العهد.يقول الدكتور هيكل:«إن هذا العهد يطابق الصلح الذى عقدت شروطه بين عمرو، والمقوقس، ولم نقل إنه هو فهذا النص الذى اثبته الطبرى ليس عقدا بين طرفين، وإنما هو تصريح من جانب واحد على حد تعبير فقهاء القانون الدولى فى عصرنا الحاضر.صحيح أن أهل مصر قبلوا هذا العهد بعد إعلانه ودخلوا فيه لكن هذا القبول لا يغيّر من طبيعته القانونية، فهو عهد أملاه من فتح أرضا لم يقاومه أهلها، أريد به بعث الطمأنينة إلى نفوس الناس فى هذه الأرض بتحديد تبعاتهم لقاء تأمينهم على حريتهم، وعلى ملتهم وأموالهم.

وقبول مثل هذا العهد إنما هو نزول على حكم الواقع اتقاء ما هو شر منه، وليس أرضاء بالمعنى الفقهى فإنما يقوم هذا الرضا على أساس من حرية صاحبه فى أن يرضى، أو لا يرضى، عهد ذلك شأنه يختلف فى طبيعته القانونية عن الصلح الذى رفضه هرقل، بعد أن عقده عمرو والمقوقس فى أثناء حصار بابليون أشد الاختلاف، فقد كان صلح المقوقس هذا بين طرفين، وكان ينظم أمورا ما كان لعهد الأمان الذى أذاعه عمرو بين المصريين أن يتناولها...»[٣]
ويؤكد ما قاله الدكتور هيكل قول بتلر:

إن هذه «المعاهدة إنما كانت بين رجال الدولة الرومانية بمصر من جانب والعرب من الجانب الآخر، وإن رجال الدولة الرومانية بمصر كانوا يتعاقدون مع العرب عن أهل مصر جميعا سواء فى ذلك القبطى، والرومى، واليهودى، وسوى هؤلاء، إذ كانت المعاهدة بين

---

(١) المصدر السابق نفسه.
(٢) راجع نص العهد ص ٢٣٨ من هذا الفصل، وانظر صورته فى الملاحق أيضا.
(٣) الفاروق عمر جـ٢ ص ١٥٢ ـ ١٥٤ .

طرفين متحاربين وكان الجيش المدافع عن مصر جيش الدولة الرومانية، وأما القبط فلم يكونوا أصحاب الدولة والجيش والحصون»[١].

ونلاحظ من هذه الفقرة أن بتلر يجرد المصريين من الحول والطول، وجعل الرومان هم المباشرون مع العرب، وهذا يوضح أن المصريين كانوا مغلوبين على أمرهم، كما أن فيه رد على من يقول إن المعاهدة كانت بين المسلمين والقبط.

**المبحث التاسع: أثر الفتح الإسلامي على مصر، ونجاح الدعوة فيها:**

شهدت مصر عقب الفتح الإسلامي خطوات على طريق الأمان والحرية، نجد هذا واضحا في :-

**أولا: تخفيف الضرائب:** إذ لم يشتط المسلمون في جمعها، أو تكليف القبط فوق طاقتهم، بل عاملوهم بمنتهى اللين[٢]، فهذا حنا النقيوسي يتحدث بعد الفتح بخمسين عاما، وهو لا يتورع عن أن يصف الإسلام بأشنع الأوصاف، ويتهم من دخلوا فيه، بأقذع أنواع التهم كما قال بتلر في صفحة (٣٢٦) عن عمرو أنه:

«قد تشدد في جباية الضرائب التي وقع الاتفاق عليها، ولكنه لم يضع يده على شيء من ملك الكنائس ولم يرتكب شيئا من النهب، أو الغصب، بل إنه حفظ الكنائس وحماها إلى آخر مدة حياته»[٣].

وبمثل هذه المعاملة الحسنة عرف المصريون أي فاتح نزل بلادهم، فدققوا في سلوكه، وترسموا خطاه.

**ثانيا: الحرية الدينية:** كان حال الكنيسة القبطية قبل الفتح، - كما قد سبق توضيحه من التفسخ والتفرق والتحزب - ما قد علمت في الباب الأول، وموت البطريق الروماني (قيرس) ورحيل جيوش الروم عنها مما أدى إلى حدوث تغيير كبير في أمر:

«الأحزاب الدينية، إذ انقضى بذلك أمد البلاء الأكبر الذي حل طويلا بالناس من جراء الاضطهاد وقد أقيم خَلَف البطريق الروماني في الإسكندرية ليقوم على ولاية أمر المذهب الملكاني، ولكن ولايته كانت لا تتعدى أسوار المدينة وذهب عنه سلطانه، وانفض من حوله كثير من أتباعه.

---

(١) بتلر..ص ٤٢٠، ٤٢١ .

(٢) المصدر السابق ص ٣١٧ .

(٣) نقلا عن بتلر:فتح العرب لمصر ص ٣٢٧ .

ولكن بطريق القبط كان لا يزال على اختفائه طريدا، يضرب فى أنحاء الصعيد، ويهيم على وجهه فيه، فكان يخيل إلى الناس أن مذهبه قد بات صريعا لا تكاد الحياة تدب فيه، مما أصابه من الوطء، والعسف فى محنته التى تطاولت به مدتها نحو عشر سنوات على يد قيرس الذى كان لا يعرف الرحمة، ولا تخطر على قلبه هوادة، وقد أصبحت مصر بعد وليس دينها دين المسيح، إذ وضعت عليها حماية الإسلام تعلو أحزابها جميعا، وأصبح سيفه بينها فيصلا حائلا، فأدى ذلك إلى تنفس الناس فى عباداتهم، واختيار ما يشاءونه فى تدينهم فلم يكن بالمسلمين اهتمام لمنازعات الأحزاب فى شأن مجمع خليقدونية، واختلافها فى صدق ما أقره ذلك المجمع أو كذبه، وأصبح القبط فى مأمن من الخوف الذى كان يلجئهم إلى إنكار عقيدتهم أو اخفائها تقية ومداراة.

فعادت الحياة إلى مذهب القبط فى هذا الجو الجديد جو الحرية الدينية، وما لبث أن صار مذهب الكثرة الذى يحق له أن يكون مذهب الأمة السائدة، وقد قضى عمرو بن العاص ﷺ بأنه كذلك، فأنفذ قضاءه بأن كتب أمانا لبنيامين، وأقر عودته»[1].

من هذا النص نسجل اعتراف بتلر بعدالة المسلمين فى مصر، ونستخلص منه هذه النقاط الهامة:

أ ـ إنهاء أمد البلاء الذى نزل بالأحزاب الدينية القبطية.

ب ـ إضعاف شخصية المذهب الملكانى التى كانت مسيطرة على المذاهب الأخرى.

جـ ـ سريان الحياة فى مذهب بطريق القبط بعد أن ظن الناس اندثاره.

د ـ أصبحت كلمة الإسلام هى الفيصل بين المذاهب المتناحرة فتنفس الناس عبير الحرية الدينية والشخصية.

هـ ـ أصبح القبط فى مأمن من الخوف الذى كان يلجئهم إلى اخفاء عقيدتهم.

و ـ عاد النشاط إلى مذهب الأقباط، وأصبح مذهب الكثرة فى مصر.

ز ـ إعطاء بنيامين الأمان، والإقرار له بالعودة لِيَلِيَ عمله آمنا على نفسه رئيسا على طائفته.

---

(١) بتلر..ص ٣٢٢ .

وهكذا أطلق المسلمون للأقباط الحرية الدينية، التى ذاقوا بسببها الأمرّين، ومن ثم بادر عمرو بن العاص بعد فتحه لحصن بابليون، كتابة عهد القبط، وضمنه حماية كنائسهم، ولعن كل من يجرؤ من المسلمين على إخراجهم منها [١].

**عصر الحرية الدينية فى مصر:**

على ضوء ما سبق دراسته، نستطيع القول بأن المصريين لم يعيشوا حريتهم الدينية إلا فى ظل الإسلام، بعد دخول المسلمين مصر، وحرصهم على ترك الحرية الدينية لأهلها ومن ثم بدأ ظهور فجر الحرية العقدية فيها، فقد أعطى عمرو بن العاص أمانا لرئيس طائفة القبط البطريق بنيامين جاء فيه:

«أينما كان بطريق القبط بنيامين نعده الحماية والأمان، وعهد الله، فليأت البطريق إلى ها هنا فى أمان واطمئنان ليَلِىَ أمر ديانته، ويرعى أهل ملته» [٢].

وجاء الكتاب بتعبير آخر، ولكن المضمون متقارب، وهاك نصه أيضا:

«فليأت الشيخ، والبطريق آمنا على نفسه، وعلى القبط الذين بأرض مصر والذين فى سواها لا ينالهم أذى ولا تخفر لهم ذمة» [٣].

ولما جاء وقت مسير بنيامين إلى الإسكندرية أمر عمرو باستقباله بكل حفاوة، ولما لقى عمرا ألقى على مسامعه خطابا بليغا ضمن له كل ما عنّ له من الاقتراحات التى رآها لازمة لحفظ كيان الكنيسة فتقبلها عمرو ومنحه السلطة التامة على القبط، والسلطان المطلق لإدارة شئون الكنيسة.

**المسلمون يحيون عرش الكنيسة من الضياع:**

لاحظ بتلر أن عودة بنيامين إلى عرش الكنيسة قد كفاها شر الوقوع فى أزمة خطيرة كانت لا محالة مؤدية بها إلى الاضمحلال والدمار.وأن الخطبة البليغة التى ألقاها (باسيلى) أسقف نقيوس بدير مقاريوس لخير شاهد على أن القبط قد أصبحوا بعد فتح الإسلام فى غبطة وسرور بعد تخلصهم من عسف الروم، يدلك على صحة هذا القول رد (بنيامين) على

---

(١) انظر د / حسن إبراهيم حسن تاريخ الإسلام السياسى......جـ١ ص ٢٤٤ . والفاروق عمر جـ٢ ص ٣٢٦، وبتلر ص ٢٤٨، ٣٢٧ هامش ١ .

(٢) بتلر..ص ٣٢٣ .

(٣) ذكره أبو صالح الأرمنى فى كتابه نقلا عن بتلر ص ٣٢٣ هامش ٣ .

(باسيلى) بقوله:

«لقد وجدت فى مدينة الإسكندرية زمن النجاة والطمأنينة اللتين كنت أنشدهما بعد الاضطهادات والمظالم التى قام بتمثيلها الظلمة المارقون».

وهذا أبلغ رد على من ينكر على المسلمين أياديهم البيضاء على قبط مصر، وترد على الذين يصفون المسلمين بأنهم أعداء المسيحية، وعبارة ساويرس فى هذا المقام تدل على فرحة حقيقية :إن القوم كانوا فى ذلك اليوم كالثيرة إذا أطلقت من قيودها (١).

«لقد كان لعودة بنيامين أثر عظيم فى حل عقدة مذهبه، وتفريج كربته، وإن لم تكن عودته قد تداركت تلك الملة قبل الضياع والهلاك، إذ لم يكن قبط مصر فى وقت من الأوقات أشد حاجة منهم فى ذلك الوقت إلى ذى رأى حصيف وخلق متين يقودهم ويلى أمرهم، فقد كان منهم من خرجوا من عقيدتهم وهم ألوف، ورضوا باتباع مذهب خليقدونية خوفا من اضطهاد قيرس، ولا شك أن الخروج من الدين كرها أو خوفا لا يكون فى مبدأ أمره حقيقيا، ولكن لقد مضى على ذلك الأمر عشر سنين، واعتاد الناس السير على ما دخلوا فيه، وما كان بناء عشر سنين ليتهدم فى لحظة ويزول» (٢).

كذلك من الحقائق الثابتة:

«أن كثيرين من أهل الرأى قد كرهوا المسيحية، لما كان منها من عصيان لصاحبها إذ عصت ما أمر به المسيح من حب ورجاء فى الله ونسيت ذلك فى ثوراتها، وحروبها التى كانت تنشب بين شيعها وأحزابها، ومنذ بدا ذلك لهؤلاء العقلاء لجأوا إلى الإسلام فاعتصموا بأمنه، واستظلوا بوداعته وطمأنينته وبساطته» (٣).

ثم يقول بتلر:

«ومهما يكن من الأمر فقد نما أمر القبط وزاد اتباع ملتهم» (٤).

وبدأت زيارات بنيامين الكنائس، والصلاة بالناس، فزار كنيسة مقاريوس.ثم دير

---

(١) انظر د / حسن إبراهيم حسن :تاريخ الإسلام السياسى جـ١ ص ٢٤٤ .

(٢) بتلر:ص ٣٢٥ .

(٣) بتلر ص ٣٢٥ .

(٤) المصدر السابق ص ٣٢٦ .

البرامـوس، ثم ذهب إلى دير مقاريوس، والتقى بالمطارنة، والقيت كلمـات الشكر فى كل مناسبة، بعودة بنيامين واستئناف نشاطه [١].

**وهذه كلمـات البطريق بنيـامين:** نوردها لتكون قذى فى عيون الحاقدين على الإسلام الجاحدين لعدالته المنكرين فضله قال:«كنت فى بلدى، وهو الإسكندرية، فوجدت بها أمنا من الخوف، واطمئنانا بعد البلاء، وقد صرف الله عنا اضطهاد الكفرة وبأسهم» [٢].

كما وصف قومه وبهجتهم فى ظل الإسلام فقال:لقد «فرحوا كما يفرح الأسخال إذا ما حلت لهم قيودهم وأطلقوا ليرتشفوا من ألبان أمهاتهم» [*].

تعليق بتلر:لم يسع بتلر إلا أن يشارك الأقباط فرحتهم الغامرة التى نعموا بها فى حكم الإسلام فاعترف بهذه الحقيقة فقال:

«كان أعظم ابتهاج القبط بخلاصهم مما كانوا فيه، فقد خرجوا من عهد ظلم، وعسف تطاول بهم وهوت بهم إليه حماقة البيزنطيين، وآل أمرهم بعد خروجهم منه إلى عهد من السلام، والاطمئنان، وكانوا من قبل تحت نيرين من ظلم حكام الدنيا، واضطهاد أهل الدين، فأصبحوا، وقد فك قيدهم فى أمور الدنيا، وأرخى من عنانهم.

وأما دينهم فقد صاروا فيه إلى تنفس حر وأمر طليق.وقد يقال إن حكامهم الجدد قد أدخلوا إلى الأرض دينا غريبا غير دين المسيح، وهذا حق، غير أنهم لم يروا فى ذلك إلا عدلاً من الله إذ أجمع الناس على قول واحد فقالوا:«ما خرج الروم من الأرض وانتصر عليهم المسلمون إلا لما ارتكبه هرقل من الكبائر، وما أنزله بالقبط وملتهم على يد قيرس، فقد كان هذا سبب ضياع أمر الروم وفتح المسلمين لبلاد مصر» [١].

ومن ثم تبدأ مصر حياة جديدة مع الإسلام، حياة بعيدة عن الجور والميل إلى الهوى كما فعل الرومان، كما سجله التاريخ عليهم «غير أن التاريخ لن يحكم مثل حكمهم هذا الذى دفعهم إليه الميل إلى ملتهم وحزبهم، ولكنه لن يستطيع إلا أن يحكم بأن العسف وسوء

---

(١) انظر نفس المصدر السابق .

(٢) ساويرس الكتاب الأول ١١١ الأسطر ١٢ ـ ٢٠ نقلا عن بتلر:ص ٣٢٦ .

(*) والسخلة:الذكر والأنثى من ولد الضأن والمعز ساعة يولد (ج) سخلة وسخال وسخلان.المعجم الوسيط مادة (سخل) .

(٣) ساويرس ص ٥٨٤ نقلا عن بتلر:فتح العرب لمصر ص ٣٢٧ .

الحكم هما اللذان هويا بدولة الروم بغير شك إلى الضياع وزوال السلطان»[(١)].

**سبب حب المصريين لحكم المسلمين:**

كان من حسن سياسة المسلمين فى مصر أنهم لم يفرقوا بين مذهبى الملكية، واليعاقبة أو ينحازوا إلى أحدهما، فكانا متساويين أمام القانون، وأظلوا الجميع بعدلهم وحموهما بحسن تدبيرهم، ولم يتبعوا سياسة «فرق تسد» تلك السياسة العقيمة التى ظهر للملأ أنها تؤدى إلى أوخم العواقب.لهذا لا ينكر علينا أحد إذا قلنا إن المسلمين قد نالوا قسطا من السلطان فوق ما كانوا يتمنون، فدانت لهم البلاد قاصيها ودانيها وأجمعت على محبتهم[(٢)].

كما أن من سياسة المسلمين الرشيدة تركهم أرض المصريين لهم يديرونها بمعرفتهم، وأخذوا هم على عاتقهم حمايتهم وأمنوهم على أنفسهم، ونسائهم، وعيالهم، فشعروا براحة كبيرة لم يعهدوها منذ زمن طويل، وهذا كله كان توطئة لنجاح الدعوة الإسلامية فى مصر[(٣)].

**إصلاحات المسلمين:**

لم تقتصر أعمال المسلمين على تخفيف عبء الضرائب، وإطلاق الحرية الدينية، والمساواة بين المصريين فى الحقوق والواجبات، وهى ولا شك هامة وعظيمة، لكنهم أضافوا إليها إعادة الأمن والنظام إلى البلاد بالإضافة إلى الإصلاحات الكبيرة، فنظموا الإدارة، ونصبوا القضاة، ورسموا خطة جباية الخراج، وعنوا عناية كبرى، بالأعمال الخاصة بهندسة الرى:من كرى الخلجان، وبناء مقاييس النيل، وإنشاء الأحواض، والقناطر والجسور[(٤)].

هذه أعمال صحابة رسول الله ﷺ فى مصر.

بقى معرفة من هم هؤلاء الصحابة وما مكانتهم؟ ليزداد رصيد المعرفة لدى أهل مصر اليوم عن الذين فتحوا أرض الكنانة فشرفت بهم، وأصبحت الدرة الغالية فى تاريخ دولة الإسلام، والذين يرجع الفضل بعد الله إليهم فى إسلامنا إلى آخر الزمان، ولهم من الله أجر الدعاة المجاهدين، وأجر من اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين.وقد أوجزت الحديث عنهم فى هذا البحث ثم أفردتهم بدراسة أخرى مطولة بعنوان:الدعاة الأول فى أرض الكنانة فيرجع إليها من شاء المزيد المعرفة عن هؤلاء الصحابة الفاتحين رضى الله عنهم أجمعين.

---

(١) بتلر:ص٣٢٧ .
(٢) راجع للدكتور حسن إبراهيم حسن:تاريخ الإسلام السياسى..جـ ١ ص ٢٤٣ وما بعدها.
(٣) سيأتى مزيد من التوضيح لنجاح الدعوة فى مصر إن شاء الله تعالى.
(٤) سأفرد لأعمال المسلمين فى مصر، وحكمهم فيها فصل خاص إن شاء الله تعالى.

# الفصل الرابع:
# أرض الكنانة، ومن نزل فيها من الصحابة
# رضي الله عنهم أجمعين

من موضوعات هذا الفصل:

أولا: مكانة الصحابة في القرآن والسنة.

ثانيا: هدف دعوة الإسلام.

ثالثا: هدفي من هذه الدراسة:

أ- بيان منهج الصحابة.

ب- أثر الصحابة في مصر.

جـ- ترجمة موجزة لكل صحابي ثبت دخوله مصر مرتبة على حسب حروف المعجم.

**تمهيد:**

كان من حكمة الله العليم الخبير، أنه ربى محمدا ﷺ ليربى به العرب، وربى محمد ﷺ صحابته ليهذبوا الناس جميعا..فهم رضوان الله عليهم ـ خريجو مدرسة النبوة، وأساتذة العالم كله، فهؤلاء الصحابة آمنوا بمحمد ﷺ وناصروه وآزروه، في وقت الشدة، فاستحقوا شرف الصحبة، والتكريم من الله ورسوله.

أخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود رضي الله عنه قال:

إن الله نظر في قلوب العباد فاختار محمدا ﷺ برسالته، وانتخبه بعلمه، ثم نظر في قلوب الناس من بعده، فاختار الله له أصحابه، فجعلهم أنصار دينه، ووزراء نبيه، فما رآه المؤمنون حسنا فهو حسن، وما رآه المؤمنون قبيحا فهو عند الله قبيح [١]، وقد اشتمل هذا الفصل على الموضوعات التالية:ـ

**مكانة الصحابة في القرآن والسنة:**

حفل القرآن بكثير من الآيات تبين مكانة الصحابة عند الله، وأنهم عدول عنده سبحانه حيث قال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [٢].

أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن السدى في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ .قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو شاء الله لقال:أنتم فكنا كلنا، ولكن قال:﴿كُنتُمْ﴾ خاصة في أصحاب محمد ﷺ ومن صنع مثل صنيعهم كانوا خير أمة أخرجت للناس [٣].

وعن ابن جرير عن قتادة رضي الله عنه قال:ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ هذه الآية ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ الآية ثم قال:أيها الناس، إن مَنْ سره أن يكون من تلكم الآية، فليؤد شرط الله منها [٤]. وقوله سبحانه ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [٥] . أي

(١) أخرجه ابن عبد البر الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله المعروف بابن عبد البر النمرى القرطبي:الاستيعاب في معرفة الأصحاب جـ١ ص ٦ ولم يذكر ما رآه المؤمنون حسنا الخ ط الأولى ط مجلس دائرة المعارف النظامية الدكن ١٣١٨هـ، وأبو نعيم في حلية الأولياء:جـ١ ص ٣٧٥، وأخرجه الطيالسي ص ٣٣، وراجع للكاندهلوى:حياة الصحابة جـ١ص ١٨ .

(٢) آل عمران من الآية ١١٠ .

(٣) راجع حياة الصحابة جـ١ ص ١٧ .

(٤) كذا في كنز العمال جـ١ ص ٢٣٨، وحياة الصحابة جـ١ ص ١٧ .

(٥) البقرة من الآية ١٤٣ .

عدولا[١]، وقال: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ [٢] الآية، وقوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [٣]. كما وصفهم الله بالصدق فى قوله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [٤] كما وصفهم الله بالرحمة فى قوله: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ... ﴾ [٥] الآية إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التى تنوه بفضلهم والأحاديث التى تشيد بمكانتهم.

روى الخطيب بسنده إلى أبى زرعة الرازى قال:إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق [*]، وذلك أن الرسول حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدى ذلك كله إلينا الصحابة، وهؤلاء الزنادقة يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة [٦] فلو لحقهم نقص، لم يبق فى الدين ساق قائمة؛ لأنهم النقلة إلينا، فإذا جُرِّح النقلة دخل فى الآيات والأحاديث التى بها ذهاب الأنام وخراب الإسلام، إذ لا وحى بعد المصطفى ﷺ، وعدالة المبلغ شرط لصحة التبليغ [٧] ومن ثم قال المالكية:«بقتل سابهم»[٨] والأحاديث الورادة فى تفضيلهم كثيرة نقتطف منها:

ما رواه عبد الله بن مغفل قال:قال رسول الله ﷺ:«الله الله فى أصحابى، لا تتخذوهم غرضا، فمن أحبهم فبحبى أحبهم، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذانى،

---

(١) انظر الحافظ ابن كثير:تفسير القرآن العظيم ١ / ١٩١ .
(٢) الفتح من الآية ١٨ . (٣) سورة التوبة من الآية ١٠٠ .
(٤) الحشر من الآية ٨ . (٥) الفتح من الآية ٢٩ .
(*) الزنديق:يطلق على كل شاك، أوضال، أو ملحد:المعجم الوسيط.مادة (زندق).
(٦) راجع القاضى أبى بكر العربى:العواصم من القواصم.ص ٣٤ تحقيق وتعليق محب الدين الخطيب، ولأمين سرور:حسن الأثر فى التعريف برجال الأثر ص ٩ طـ الثالثة.القاهرة ١٣٥٧هـ، ولعبد الوهاب عبد اللطيف:المبتكر:الجامع لكتابى المختصر والمعتصر فى علوم الأثر ص ٢٧ ـ ٣٢ دار الكتب الحديثة ١٣٨٦هـ .
(٧) راجع للعلامة المناوى:محمد عبد الرؤف المناوى:شرح الجامع الصغير المسمى فيض القدير جـ٢ ص٩٨ طـ الثانية ١٣٩١ هـ .
(٨) المصدر نفسه.والمعنى:قتل مَن سبهم.

ومن آذانى فقد آذى الله فيوشك أن يأخذه» (١).

كما روى عن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتى على الناس زمان فيغزو فئام (*) من الناس فيقولون: فيكم من صاحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يأتى على الناس زمان فيغزو فئام من الناس، فيقال لهم: هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيتفح لهم، ثم يأتى على الناس زمان، فيغزو فئام من الناس، فيقال لهم: هل فيكم من صاحب، من صاحب، أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم» (٢).

كما روى البخارى ﷺ بسنده أن النبى ﷺ قال: «خير الناس قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجىء، قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته» (٣).

**حملة الهدى والعلم في مصر:**

حمل أصحاب رسول الله ﷺ معهم دعوة الإسلام إلى مصر، والتى تتضح فى هذا الحديث الشريف: ما جاء عن أبى موسى، عن النبى ﷺ قال: «مَثَلُ ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقيا، فأنبتت الكلأ، والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى، إنما هى قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه فى دين الله، ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به» (٤).

والحديث على وجازته يبين أقسام الناس من دعوة الإسلام، وأن ماجاء به إنما القصد منه الهدى، والخير العميم ولقد نالت مصر منه نصيبا عظيما.

---

(١) المصدر نفسه والحديث برقم ١٤٤٢ جـ٢ ص ٩٨.

(*) الفئام: الجماعة. والفئام وطاء يفرش فى الهودج ونحوه. المعجم الوسيط مادة (فأم).

(٢) رواه البخارى فى صحيحه: باب فضائل أصحاب النبى ﷺ جـ٢ ص ١٩١ على حاشية السندى، ومسلم فى صحيحه: باب فضائل الصحابة بروايتين جـ٢ ص ٤١٠ (متن).

(٣) البخارى: باب فضائل الصحابة جـ٢ ص ١٩١، والحديث بعدة روايات هذه إحداها.

(٤) البخارى: باب العلم جـ١ ص١٧، ١٨ (على السندى).

**هدف دعوة الإسلام:**

إنها تحث الناس على العلم، والخلق، وتهذب السلوك، ففى هؤلاء الصحابة، وتحت حكمهم استطاعت الأمم والشعوب ــ حتى المضطهد منها فى القديم ــ أن تنال نصيبها من الدين، والعلم، والتهذيب والحكمة، وتنبغ فى ذلك، واستطاع العرب المسلمون أن يساهموا فى بناء حضارة العالم الجديد [(١)]. حتى قال ابن خلدون:«من الغريب أن حملة العلم فى الملة الإسلامية أكثرهم من العجم، لا من العلوم الشرعية، ولا من العلوم العقلية ــ يعنى سواء فى ذلك العلوم الشرعية والعلوم العقلية ــ إلا فى القليل النادر، وإن كان منهم العربى فى نسبته، فهو عجمى فى لغته، ومرباه، ومشيخته، مع أن الملة عربية، وصاحب شريعتها ﷺ عربى»[(٢)].

**اصطفاء الله الصحابة:**

اختار الله عز وجل لتأييد نبيه، ومساندة رسوله ﷺ رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه، ورجالا اصطفاهم خلفاء لنبيه ولحمل الرسالة عنه، وتبليغها إلى الأمم من بعده، فكانوا حملة الدين، ونقلة العلم، وحفظة القرآن، ورواة السنة، انتشروا فى أقطار الأرض دعاة بالقول والعمل، هداة بالكتاب والسنة، تلقى عنهم التابعون ما حملوا، وبلغوه بأمانة إلى من بعدهم نقيا خالصا كما أراد الله، ورسوله، ونقله أتباع التابعين إلى ما جاء بعدهم من الأجيال فى كل قطر ومصر محوطا بالرعاية مدعما بالإسناد [(٣)] محفوظا بوحى الله جل ثناؤه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [(٤)].

**الرجال السعداء:**

من وراء أربعة عشر قرنا من عمر الدعوة المديد أستشرف وجوه الرجال السعداء، وقلوبهم وهم يتلقون هذا الفيض الإلهى من الرضى والتكريم والوعد العظيم، وهم يرون أنفسهم هكذا فى اعتبار الله، وفى ميزان الله وفى كتاب الله سبحانه [(٥)].

---

(١) راجع لأبى الحسن الندوى:ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٢٨ ط العاشرة سنة ١٣٩٠هـ القاهرة.

(٢) مقدمة ابن خلدون:ص ٤٩٩ .

(٣) راجع للمسعودى:مروج الذهب جـ٢ ص ٤٠ تحقيق محيى الدين عبد الحميد، ففيه وصف للصحابة عامة ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م ود / محمد رشاد:مدرسة الحديث فى مصر ص ٢٦ .

(٤) سورة الحجر:آية ٩ .

(٥) انظر تفسير الظلال جـ٦ ص ٣٣٣٣ .

هؤلاء الصحابة الذين آثروا ما عند الله، وآثروا ما في الآخرة على الدنيا خرجوا في جيوش منظمة لفتح البلاد، وتحرير العباد، ونَشْر دعوة الإسلام، وتعريف الناس بالله خالقهم سبحانه، فعندما توفى رسول الله ﷺ لم تتعد رقعة الإسلام شبه جزيرة العرب، ولكنه ﷺ أرسل إلى الملوك، والرؤساء يدعوهم إلى كلمة الإسلام، ثم حمل الصحابة الكرام أرواحهم على أكفهم، وخرجوا رافعين كلمة التوحيد داعين الناس إلى عبادة الله، ففتحوا بلاد المعمورة، وكان النصر يسير فى ركابهم أينما ساروا، واتسعت الفتوح فى عهد الخلفاء الراشدين ثم فى عهد بنى أمية كما سيأتى الكلام عليه فى الباب الثالث إن شاء الله.

ففتحوا العراق، وبلاد فارس، وفتحوا الشام الذى تداولته الأمم، وتعاقبت عليه المدنيات المختلفة من :فينقيين، وأشوريين، وكنعانيين، كما غزاه فراعنة مصر، واليونان، وعرب غسان، وانتهى به المطاف إلى أن يكون إقليما رومانيا يدين بالنصرانية حتى فتحه المسلمون [١]، ودان بالإسلام.

**مصر مهد الحضارة:**

ثم فتحت مصر، مهد المدنية القديمة، والوارثة لحضارة قدماء المصريين، واليونان، وبها الإسكندرية، مجمع المذاهب الفلسفية، والطوائف الدينية، وملتقى الآراء الشرقية والغربية، وكان يسكنها المصريون، ومزيج من أمم أخرى كاليهود والرومان [٢].

وقد شارك فى فتحها جم غفير من صحابة رسول الله ﷺ، وكان على رأسهم :عمرو ابن العاص، وأصحاب المواقف المشهورة فى تاريخ الإسلام وفتوحه مثل :-

الزبير بن العوام، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن عمر بن الخطاب وغيرهم ممن ستتناوله هذه الدراسة، ومن ثم كان لابد من إعطاء صورة موجزة عن هؤلاء الصحابة الذين شرفت بهم مصر، ودخلها نور الإسلام فاستضاءت به حتى غدت مصر إسلامية، وأصبحت غرة فى جبين أمة التوحيد .

**هدفي من هذه الدراسة:** ما أهْدف إليه بهذه الدراسة الموجزة أن أوضح للقارىء الكريم المنهج الذى سلكه هؤلاء الأخيار فى نشر دعوة الإسلام الحنيف، ولم يكن لهم من

(١) انظر :أحمد أمين :فجر الإسلام ص ٨٤، وانظر خريطة الفتوح حتى سنة ٤٠ هـ.
(٢) انظر فجر الإسلام :ص ٨٥ .

مطلب سواه، ماكانوا يهدفون إلى دنيا، أو إلى ضياع يعمرونها، أو مناطق لاستغلال نفوذهم فيها أبدا. كان منهجهم:

دعوة الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، والقدوة الطيبة، ومن ثَمّ اقتضت دراستهم معرفة الأهداف التالية:ـ

**الهدف الأول:** منهجهم الذى سلكوه فى مصر لإرساء دعوة الإسلام فيها.

**الهدف الثاني:** أثر الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ فى مصر.

**الهدف الثالث:** ترجمة موجزة لكل صحابى أو تابعى ثبت دخوله مصر.

وهأنذا أبدأ فى بسط القول عن:

**الهدف الأول:** منهج الصحابة الذين طبقوه فى مصر.

اتخذ المسلمون منهجا فريدا فى نشر الدعوة فى مصر ينحصر فى العوامل التالية:ـ

**العــامل الأول:** إزاحة القوى الغاشمة التى تحجب عن العقول حرية العقيدة والفكر، وقد كانت هذه القوة متمثلة فى الروم المحتلين لأرض مصر، وقد أفردت لهذا العامل فصلا بعنوان الجهاد، خلاصته:

أ ـ أن الإسلام جاء ليدفع عن المؤمنين الأذى، والفتنة، التى كانوا يسامونها وليكفل لهم الأمن على أنفسهم، وأموالهم، وعقيدتهم. ولأهل الذمة نفس الحقوق.

ب ـ شرع الإسلام الجهاد لتقرير حرية الدعوة، بعد تقرير حرية العقيدة، فقد جاء الإسلام بأكمل تصور للوجود، والحياة الإنسانية، لقد جاء معلنا هذا البلاغ على العالم كله، بعد البيان والتوضيح: ﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (١).

جـ ـ جاهد الإسلام ليقيم فى الأرض نظامه الخاص المتفرد، ويقرره ويحميه، أجل: فإن الإسلام لم يحمل السيف ليكره الناس على اعتناقه، لأن فى دستوره ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (٢)، ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (٣).

---

(١) سورة الكهف :آية ٢٩ .

(٢) سورة البقرة :من الآية ٢٥٦ .

(٣) سورة يونس :من الآية ٩٩ .

**العامل الثاني:** إن قوة الإسلام ضرورية لوجوده، وانتشاره، واطمئنان أهله على عقيدتهم، واطمئنان من يريد اعتناقه على أنفسهم.

**العامل الثالث:** حيث إن الإسلام نظام شامل، فلابد لهذا النظام من: ـ

أ ـ قوة تحرسه وتحميه، وهذه القوة تتمثل فى الجهاد فهذه طبيعة الإسلام التى لا يقوم بدونها فى وسط لا يؤمن بالجوار الآمن، وإنما بمنطق القوة والمادة [١]، ومن ثم قال ربنا سبحانه: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [٢] الآية.

ب ـ عدم الإكراه فى بسط تعاليمه كما فى قوله تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ... ﴾ [٣] الآية، ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ [٤]، ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ ﴾ [٥] وكلها تمنع الإكراه، أو ما يقرب منه كأسلوب الضغط فى الدخول فى الإسلام.

ونفذ المسلمون هذا الأسلوب امتثالا لقول الله تعالى، ولقول رسوله ﷺ، لعلمهم ـ

**أولا:** أن قضية العقيدة، قضية إقناع بعد البيان، والإدراك، وليست قضية إكراه وإجبار، فالإسلام يخاطب القلب والفكر، والوجدان المنفعل، كما يخاطب الكيان البشرى كله.

**آخرا:** إذا كان الإسلام امتنع عن مواجهة الحس البشرى بالخوارق، والآيات التى تلوى عنقه فتخضعه كما حدث للأمم من قبله، وكما هدد ربنا فى قوله: ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ [٦] ولكن لرحمة ربنا بالناس لم ينفذ تهديده بعد رسالة الإسلام، فمن باب أولى لا يواجهه بالقوة، والإكراه ليعتنق هذا الدين تحت تأثير التهديد أو مزاولة الضغط القاهر، والإكراه بلا بيان ولا إقناع [٧].

جـ ـ تعد المسيحية آخر الديانات قبل مجيء الإسلام، وقد فرضت بالحديد والنار، واتخذت وسائل التعذيب، والقمع أساسا على نشرها على إثر دخول الامبراطور قسطنطين فيها.

---

(١) الظلال جـ١ ص ٣٩٤ وما بعدها بتصرف.
(٢) سورة الأنفال: من الآية ٦٠ .
(٣) سورة البقرة: من الآية ٢٥٦ .
(٤) سورة الغاشية: آية ٢٢ .
(٥) سورة الرعد: من الآية ٧ .
(٦) سورة الشعراء: من الآية ٤ .
(٧) تفسير الظلال جـ١ ص ٢٩١ بتصرف.

حتى نال مسيحيو مصر على يديه من الأذى الشيء الكثير، كما مر بيانه...[١].

فلما جاء الإسلام إلى مصر أعلن هذا المبدأ العظيم الذى تسمعه أذان المصريين لأول مرة: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [٢] الآية ففهم المسلمون منها أن حرية الاعتقاد هى أول حقوق الإنسان عليهم، التى تثبت له أنه إنسان، فالذى يسلب إنسانا حرية الاعتقاد إنما يسلبه إنسانيته ابتداء...ومع حرية الاعتقاد حرية الدعوة للعقيدة، والأمن من الأذى والفتنة، وإلا فهى حرية بالاسم لا مدلول لها فى واقع الحياة [٣].

إن الإسلام ينادى بأن لا إكراه فى الدين، وهو الذى يبين لأصحابه قبل سواهم أنهم ممنوعون من إكراه النَّاس على هذا الدين، ومن ثم جاء التعبير فى صورة النفى المطلق:﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ نَفى الجنس أى نفى جنس الإكراه، ففى كونه ابتداء فهو يستبعده من عالم الوجود والوقوع.وليس مجرد نهى عن مزاولته، والنهى فى صورة النفى، والنفى للجنس ــ أعمق إيقاعا وأكد دلالة[٤].

**العـــامل الـرابـع:** من عوامل نشر الدعوة:التمكين لشريعة الله فى الأرض، وأعنى بالتمكين هنا:التطبيق العملى لشرع الله فى الأرض فقد أخذ الصحابة، ــ رضوان الله عليهم ــ على عاتقهم إقامة حكم الله فى الأرض قولا وعملا، خوفا من قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ [٥].

فمنذ اليوم الأول لاجتماع كلمة المسلمين قام مجتمع إيمانى ذو قيادة مطاعة، وذو التزامات جماعية بين أفرادها، وذو كيان يميزه عن سائر الجماعات حوله، وذو آداب تتعلق بضمير الإنسان إن هاتين الآيتين ترسمان الجانب الأصيل فى شخصية المسلم:الصدق.. والاستقامة، وأن يكون باطنه كظاهره، وأن يطابق فعله قوله دائما [٦].

---

(١) راجع فصل (فتح ولاية مصر..).
(٢) سورة البقرة:من الآية ٢٥٦ .
(٣) الظلال جـ١ ص ٢٩١ بتصرف .
(٤) المرجع نفسه.
(٥) سورة الصف:آية ٢، ٣ .
(٦) انظر الظلال جـ٦ ص ٣٥٥٣ .

**ماذا حمل الصحابة معهم إلى أهل مصر؟**

لقد حمل المسلمون الذين فتحوا مصر أعظم معجزة إلى البشرية جمعاء :القرآن الكريم، فأحلوا حلاله وحرموا حرامه، وأقاموا حدوده، وطبقوا شريعته بادئين بأنفسهم، ثم من يليهم، ومن ثم تحولوا فى مصر على عجل إلى دولة تمسك بزمام الأمور، فأحاطوا بالروم حتى ألجأوهم إلى الخروج منها، وعقدوا معاهدة معهم، وتولوا هم توجيه دفة المجتمع المصرى كله،

فساسوه خير سياسة، ونجحوا فيما أخفق فيه الفرس والروم من قبلهم إذ حالفهم النصر، واقنعوا المصريين بصدق دعوتهم فاتجهت الأنظار نحوهم، وتعجب المصريون من صنيعهم، حتى تحول الإعجاب إلى حب وإقناع ثم إعتناق لدين الفاتحين فيما بعد وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ (١).

**الهدف الثاني:** من أهداف دراسة الصحابة :أثرهم رضي الله عنهم فى أهل مصر:

يتجلى هذا الأثر فى سلوك الصحابة الذين ما دخلوا بلدا إلا كانوا لأهلها منارة فى الدين والخلق، وقدوة طيبة فى العمل والسلوك، فلمس الناس فيهم :-

١ ـ أنهم مستمسكون بدينهم أمناء على شريعة ربهم.

٢ ـ دائبين فى دعوة الناس إلى الله بالحق والحكمة.

٣ ـ معلنين عن الإسلام بالأذان، والإقامة خمس مرات فى اليوم والليلة، بانتظام لا يملون، ولا يسأمون.

٤ ـ متقنين للعمل مخلصين فيه.

يقرئون الناس القرآن، ويعلمونهم عبادته وشرائعه، فتأثر الناس بهم، وأخذوا يفعلون مثل فعلهم، ويصنعون مثل صنيعهم.

فأصبحوا للناس أئمة يصلون بهم، وقضاة يفصلون فى قضاياهم بالعدل .أمناء على الأموال، والأعراض، وقوادا على الجيوش يحسنون قيادتها، ويديرون المعارك بحنكة ويقظة، وولاة يديرون شئون البلاد، منفذين لحكم الله، وشريعته فهم أهل الفقه والسياسة، وهم الجامعون للدين كله (٢).

---

(١) القصص :من الآية ٥٦ .

(٢) راجع :لأبى الحسن الندوى :ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ ص ١٤٣ وما بعدها.

فما نراه من فقهاء عاملين، أو علماء فاقهين، أو قُرّاء فاهمين مدركين..إلا وفيهم أثر من آثار صحابة رسول الله ﷺ، لقد اتسعت مداركهم - رضوان الله عليهم - حتى قيل:«ما من مسألة إلا وقد تكلم فيها الصحابة، أو فى نظيرها، فإنه لما فتحت البلاد، وانتشر الإسلام حدثت جميع أجناس الأعمال، فتكلموا فيها بالكتاب والسنة، وإنما تكلم بعضهم بالرأى فى مسائل قليلة، والإجماع لم يكن يحتج به عامتهم، ولا يحتاجون إليه إذ هم أصل الإجماع، فلا إجماع قبلهم»[١].

أما منهجى فى الدراسة فهو كما يلى:-

**أولا:** تتبعت صحابة رسول الله ﷺ الذين فتحوا مصر، أو اتخذوها قاعدة لفتوحاتهم إلى فتح أفريقية، أو الأندلس، أو الذين دخلوها بعد الفتح مستوطنين، أو مرتحلين إلى المغرب وأفريقية، أو الذين مروا بها سريعا لرواية حديث أو مراجعته أو احضار رسالة للوالى..إلخ.

**ثانيا:** ركزت اهتمامى على ذكر أسماء الصحابة، وألقابهم، وكناهم، ووفادتهم على رسول الله ﷺ أو من له إدراك، وأشهر أعمالهم، وحسبى من هذه الدراسة أننى سقت أسماء هؤلاء الصحابة الأجلاء ومحصت كلا منهم، وأبرزت صلته بصاحب الرسالة العظمى ﷺ.

**ثالثا:** اعتمدت فى تقديم الصحابى على كتب الرجال المعتمدة:كالإصابة، والاستيعاب والتاريخ الكبير للبخارى، وتقريب التهذيب، وأسد الغابة، وحسن المحاضرة، وفتوح مصر والمغرب .....الخ.

## حقيقة الإسلام عند الصحابة-رضي الله عنهم:

تتلخص حقيقة الإسلام، فى أنه رباط بمبادىء لا بأشخاص، ومن ثم فقد أعلم الله نبيه، وعلّم المسلمين فى شخصه أن يلتزموا الحق الذى عرفوا، وأن يتشبثوا به مهما غولبوا وحوربوا وهكذا كان ديدن صحابة رسول الله ﷺ أن مع الحق حيث دار [٢].

(١) ابن تيمية:معارج الوصول .

(٢) انظر للشيخ محمد الغزالى:فقه السيرة ص ٣٣ .

**الهدف الثالث:** ترجمة موجزة جدًا لكل صحابى ثبت دخوله مصر، أو مروره بها مرتبة على حسب حروف المعجم وهى كما يلى: -

**حرف الهمزة:**

**أبرهة** بن شرحبيل بن أبرهة بن الصباح...وفد على النبى ﷺ ففرش له رداءه، بعثه عمرو بن العاص إلى الفرما ففتحها بعدما فرغ من أمر الفسطاط [١].

**أبيض** بن حمال بن مَرشد يزيد بن ذى لُحيان، دخل مصر، له وفادة على رسول الله ﷺ «واستقطعه الملح الذى بمأرب فأقطعه فلما ولى قال رجل يا رسول الله:أتدرى ما أقطعت له؟ إنما أقطعت له الماء العدّ [٢]، فانتزعه منه» [٣].

**ابيض:** غير منسوب اسمه أسود فغيره النبى ﷺ بأبيض، له ذكر فيمن دخل مصر[٤].

**ابيض:** بن هنى بن معاوية أبو هبيرة، أدرك النبى ﷺ وشهد فتح مصر[٥].

**أُبي** بن عِمارة: أحد من صلى القبلتين، دخل مصر، ولأهلها عنه حديث واحد، فى المسح على الخفين، مدنى سكن مصر، له صحبة [٦].

**احمد** بن عُجْيان..وفد على النبى ﷺ شهد فتح مصر أيام عمر بن الخطاب ﵁ له خطة معروفة بجيزة مصر [٧].

**الأحب** بن مالك بن سعد الله دخل مصر، وكان ممن أدرك النبى ﷺ فليست له رواية[٨].

---

(١) ابن حجر:الإصابة..جـ١ ص ١٣، وانظر للحافظ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان..الذهبى:تجريد أسماء الصحابة جـ١ ص ٣ دار المعرفة ببروت لبنان، والسيوطى:حسن المحاضرة جـ١ ص١٦٧ وراجع لهؤلاء الصحابة الآتى أسماؤهم بإفاضة فى الدعاة الأول فى أرض الكنانة صـ٧٤وما بعدها للمؤلف.

(٢) والماء العد:الدائم الذى لا ينقطع لمادته، وجمعه أمداد.راجع لابن الأثير:أسد الغابة جـ١ ص ٥٧ هامش.

(٣) الإصابة..جـ١ ص ١٤، وحسن المحاضرة جـ١ ص ١٦٧، وتقريب التهذيب جـ١ ص ٤٩، وابن الأثير:أسد الغابة جـ١ ص ٥٧ .

(٤) الإصابة..جـ١ ص ٣٠، وتجريد أسماء الصحابة جـ١ ص ٣، وحسن المحاضرة جـ١ ص ١٦٨ .

(٥) الإصابة..جـ١ ص ٢٩، وتجريد أسماء الصحابة جـ١ ص ٣، وحسن المحاضرة طـ ص ١٦٨ .

(٦) الإصابة..جـ١ ص ٢٩، وحسن المحاضرة جـ١ ص ١٦٨ .

(٧) الإصابة..جـ١ ص ١٩، وتجريد أسماء الصحابة جـ١ ص ٤، وأسد الغابة جـ١ ص ٦٥ .

(٨) حسن المحاضرة جـ١ ص ١٦٨، أسد الغابة جـ١ ص ٦٥ .

**أحمر** بن قطن الهمداني :شهد فتح مصر، وله صحبة [١].

**ادهم** بن خطرة اللخمي الراشدي، صحابي كان من أهل مصر، وليست له رواية [٢].

**الأرقم** بن حفينة التجيبي..شهد فتح مصر عداده في الصحابة...[٣].

**أسعد** بن عطية بن عبيد القضاعي البلوى، كان ممن بايع تحت الشجرة، وشهد فتح مصر، وليست له رواية [٤].

**الأكدر** بن حمام بن عامر..اللخمي..له إدراك شهد فتح مصر هو وأبوه، وهو صاحب مسألة الأكدرية التي طرحها عبد الملك بن مروان على رجل يقال له الأكدر، كان ينظر في الفرائض، فأخطأ فيها، فإذا قيل :إن الأكدر قتل قبل أن يلي عبد الملك الخلافة، نقول :لعله طرحها على الأكدر قديما، وعبد الملك يطلب العلم بالمدينة [٥].

**أمرىء القيس** بن فاخر بن الطماخ الخولاني..أبو شرحبيل، شهد فتح مصر، وله ذكر في الصحابة لكن لا تعرف له رواية [٦].

**أوس بن عمرو** عبد القاري، نزيل مصر، له صحبة [٧].

**إياس بن** عبد الأسد القاري حليف بني زهرة..شهد فتح مصر، وهو من الصحابة، واختط بها دارا [٨].

**إياس بن** البكير بن عبد ياليل..حليف بني عدى، أخرج له البخاري في تاريخه، وقال بكر بن إسحاق:لا نعلم أربعة إخوة شهدوا بدرا غير إياس وإخوته :عاقل، وخالد، وعامر، وأنهم هاجروا جميعا..شهد إياس فتح مصر، كما شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ولأهل مصر

---

(١) الإصابة..جـ١ ص ٢٠، وتجريد أسماء الصحابة جـ١ ص ١٠، وحسن المحاضرة جـ١ ص ١٦٨ .

(٢) الإصابة..جـ١ ص ٢٤، وحسن المحاضرة جـ١ ص ١٦٩ .

(٣) حسن المحاضرة جـ١ ص ١٦٩ ،والإصابة جـ١ ص ٢٧ .

(٤)حسن المحاضرة ١ / ١٦٩ وتجريد أسماء الصحابة جـ١ ص ١٥، وأسد الغابة جـ١ ص ١٦٩، والإصابة جـ١ ص ٣٥ .

(٥) الإصابة ١ / ١١٥ .

(٦) أسد الغابة جـ١ ص ١٣٧، وحسن المحاضرة ١ / ١٦٩، ١٧٠ وتجريد أسماء الصحابة جـ١ص٢٨ .

(٧) الإصابة ١ / ٨٨، وحسن المحاضرة ١ / ١٧٠ .

(٨) تجريد أسماء الصحابة جـ١ ص ٤٠، وحسن المحاضرة ١ / ١٧٠، وأسد الغابة ١ / ١٨١ .

عنه حديث واحد (١).

**حرف الباء:**

**بُحُر بن ضُبَع** الرعينى، وفد على النبى ﷺ وشهد فتح مصر، واختط بها.. (٢).

**بـدر** بن عامر الهذلى ذكره أبو الفرج الأصبهانى بأنه شاعر مخضرم، أسلم فيمن أسلم فى عهد عمر ونزل هو وابن عمه مصر (٣).

**بـرتـا** بن الأسود بن عبد شمس القضاعى، شهد فتح مصر، وقيل:قتل يوم فتح الإسكندرية، قاله ابن يونس، وقال:له صحبة (٤).

**برح** بن عُسْكُل المهرى..وفد على النبى ﷺ شهد فتح مصر، واختط بها، وسكنها وهو معروف فى أهل مصر، وهو من مَهْرة من اليمن، وشهد فتح مصر مع عمرو بن العاص، قال ابن عبد الحكم:يقال:ابن هسكل والصواب:عسكل (٥).

**بُسْر** بن أبى أرطأة، وربما قالوا:بُسر بن أرطأة العامرى..لم يسمع من النبى ﷺ، لأن رسول الله ﷺ قبض وهو صغير (٦)، ولأهل مصر عنه عن النبى ﷺ حديث واحد وهو:«لا تقطع الأيدى فى الغزو» (٧).

**بشـر الغنوي**..ويقال الخثعمى، قال أبو حاتم:مصرى له صحبة..روى حديثه أحمد، والبخارى فى التاريخ..من طريق الوليد بن المغيرة..وهذا الحديث «لتفتحن القسطنطينية، ولنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذاك الجيش». قال قد دعانى مسلمة بن عبد الملك فسألنى فحدثته بهذا الحديث فغزا القسطنطينية (٨).

---

(١) تجريد أسماء الصحابة جـ١ صـ٤٠ ،وحسن المحاضرة ١ / ١٧٠، وأسد الغابة ١ / ١٨١ .

(٢) أسد الغابة جـ١ ص ١٩٩، وتجريد أسماء الصحابة جـ١ ص ٤٤ والإصابة جـ١ ص ١٤٣،١٤٤، وحسن المحاضرة جـ١ ص ١٧٣ .

(٣) حسن المحاضرة جـ١ ص ١٧٧ .

(٤) الإصابة جـ١ ص ١٤٩، وتجريد أسماء الصحابة جـ١ ص ٤٧، وحسن المحاضرة ١ / ١٧٤ .

(٥) أسد الغابة جـ١ ص ٢٠٨، والإصابة ١ / ١٥٠، وتجريد أسماء الصحابة جـ١ ص ٤٧ .

(٦) ابن عبد البر:الاستيعاب:١ / ٦٤ .

(٧) رواه أبو داود فى سننه كتاب الحدود جـ٤ ص ٥٦٣ برقم ٤٤٠٨ طـ دار الحديث حمص.

(٨) الإصابة جـ١ ص ١٦٢، والذهبى تجريد أسماء الصحابة جـ١ ص ٥١، والاستيعاب جـ١ ص ٦١ .

**بشير** بن جابر بن عُراب..وفد على النبي ﷺ وشهد فتح مصر، ولا تعرف له رواية[١].

**بَصْرة الغفاري** :صحابي كأبيه، معدود فيمن نزل مصر، أخرج حديثه مالك وأصحاب السنن بسند صحيح [٢].

**بكر بن** مصر بن محمد بن حكيم المصري، ثبت، مات سنة ثلاث أو أربع وسبعين، وله نيف وسبعون [٣].

**بلال** بن الحارث بن عصم بن سعيد بن قرة بن خلاوة..من أهل المدينة، أقطعه رسول الله ﷺ العقيق ممن دخل مصر لغزو المغرب وغيره [٤].وقيل شهد فتح مصر، وخرج منها لغزو المغرب [٥].

**حرف التاء:**

**تبيع بن** عامر الحميري ابن امرأة كعب الأحبار..أدرك الجاهلية والإسلام فهو من المخضرمين..كان دليلا للنبي ﷺ ذكره ابن يونس في تاريخ مصر [٦].

**تميم** بن أوس أبو رقية الداري، روى عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول:«ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل» قال ابن الربيع شهد فتح مصر، ولأهلها عنه حديث واحد [٧].

**تميم** بن إياس بن البكير الليثي..شهد فتح مصر، وقتل بها مع من استشهد، سنة عشرين من الهجرة [٨].

---

(١) الإصابة جـ١ ص ١٦٣، والاستيعاب جـ١ ص ٦٣، وتجريد أسماء الصحابة جـ١ ص ٥٢ .
(٢) الإصابة جـ١ ص ١٦٢ .
(٣) ابن حجر:تقريب التهذيب جـ١ ص ١٠٧ .
(٤) الإصابة جـ١ ص ١٧٠، والاستيعاب جـ١ ص ٦٠، وتجريد أسماء الصحابة جـ١ ص ٥٦، وفتوح مصر والمغرب ص ٣٠٩ طـ ليون.
(٥) حسن المحاضرة جـ١ ص ١٧٦ .
(٦) الإصابة جـ١ ص ١٩٥، وحسن المحاضرة جـ١ ص ١٧٨، وتقريب التهذيب جـ١ ص ١١٢ .
(٧) البخاري:التاريخ الكبير جـ١ ص ١٥٠،١٥١، وحسن المحاضرة جـ١ ص ١٧٧، والإصابة جـ١ ص ١٩١ سبق تخريج الحديث في فصل:عموم الدعوة.
(٨) الإصابة جـ١ ص ١٨٧، وحسن المحاضرة جـ١ ص ١٧٨، ومدرسة الحديث ص ٣١ .

**حرف الثاء:**

**ثابت** بن الحارث الأنصارى شهد بدرا يُعد فى المصريين [١].

**ثابت** بن طريف المرادى، ثم العرنى شهد فتح كثير من الأمصار، ومنها مصر، أدرك النبى ﷺ روى عنه أبو سالم الجيشانى له صحبة...[٢].

**ثابت** بن رويفع الأنصارى:له صحبة، نزل مصر..حديثه فى الغلول [٣].

**ثابت** بن النعمان بن أمية ابن امرىء القيس..شهد فتح مصر [٤].

**ثابت** بن الأخنس بن شريق شهد بدرا، وليس له رواية، شهد فتح مصر [٥].

**ثعلبة** الإنصارى، والد عبد الرحمن، نزيل مصر...[٦].

**ثعلبة** بن أبى رقية اللخمى...شهد فتح مصر...[٧].

**ثمامة** الرومانى مولاهم له إدراك شهد فتح مصر...كان فى صحبة عمرو بن العاص[٨].

**ثوبان** بن يَجَدُد، وقيل ابن جحدد، مولى رسول الله ﷺ نزل مصر، وابتنى داراً بها[٩].

**حرف الجيم:**

**جابر** بن أسامة الجهنى، يكنى أبا سعاد، نزل مصر، ومات بها...[١٠].

**جابر** عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصارى السَلَمى من بنى سلمة، شهد العقبة الثانية مع أبيه، وهو صبى صغير، ثم شهد مع رسول الله ﷺ ثمان عشرة غزوة..قدم مصر على عقبة ابن عامر..ولأهل مصر عنه ما يقرب من عشرة أحاديث [١١].

---

(١) أسد الغابة جـ١ ص ٢٦٦، وتجريد أسماء الصحابة جـ١ ص ٦١، والإصابة جـ١ ص ١٩٢.

(٢) أسد الغابة جـ١ ص ٢٧٢، وتجريد أسماء الصحابة جـ١ ص ٦٣.

(٣) الإصابة ١ / ٢٠٠، وتجريد الأسماء للذهبى ١ / ٦٢ .وأسد الغابة جـ١ ص ٢٦٨ وما بعدها.

(٤) الإصابة ١ / ٢٠٤، والتجريد للذهبى ١ / ٦٥.

(٥) الإصابة ١ / ٢٠٥، وحسن المحاضرة ومدرسة الحديث فى مصر ٣٢.

(٦) الإصابة ١ / ٢١٠، وحسن المحاضرة ١ / ١٨٠.

(٧) الإصابة ١ / ٢١٤ ،والتجريد للذهبى ١ / ٦٧، وحسن المحاضرة ١ / ١٨٠.

(٨) الإصابة / ٢١٤، وحسن المحاضرة ١ / ١٨٠.

(٩) أسد الغابة جـ١ ص ٢٩٦.

(١٠) ابن الأثير:أسد الغابة ١ / ٣٠١وما بعدها، والبخارى:كتاب البخارى القسم الثانى ٢٠٢٨، والاستيعاب ١ / ٨٧.

(١١) الإمام البخارى:التراريخ الكبير ٢ جـ١ ص ٢٠٧، والاستيعاب ١ / ٨٦، والتجريد للذهبى ١ / ٧٣، =

**جابر** بن عبد الله بن رئاب..شهد العقبة الأولى..وذكر ابن عبد الحكم أن لأهل مصر عنه أكثر من حديث [(١)].

**جابر** بن ماجد الصدفى، وفد على النبى ﷺ، وشهد فتح مصر..[(٢)].

**جابر** بن ياسر بن عَوِيص..قال ابن منده:له ذكر فى الصحابة، وقال ابن يونس:شهد فتح مصر...[(٣)].

**جابر** بن إسماعيل، قال عنه عقيل:يعد فى المصريين سمع منه ابن وهب[(٤)].

**جاهل** :أبو سليم الصدفى..ذكره محمد بن الربيع الجيزى فى تاريخ الصحابة الذين نزلوا مصر..[(٥)].

**جبِارة** بن زرارة البلوى..شهد فتح مصر، وليست له رواية [(٦)].

**جبر** بن عبد الله القبطى مولى بنى غفار..كان رسول المقوقس بمارية إلى رسول الله ﷺ، والقبط تفتخر بأن منهم من صحب النبى ﷺ [(٧)].

**جبلة** ابن عمرو الأنصارى، شهد صفين مع على رضي الله عنه وسكن مصر، وكان فاضلا من فقهاء الصحابة [(٨)]، شهد فتح مصر..وغزا أفريقية مع معاوية بن خديج سنة خمسين هجرية، وكان من أهل المدينة [(٩)].

**جُدْرة** ابن سبرة العتقى، له صحبة، وشهد فتح مصر..[(١٠)].

**جُديع**..المرادى الكعبى..بطن من مراد، خادم النبى ﷺ له صحبة، ذكره ابن يونس فى

---

=وفتوح مصر والمغرب ص ٢٧٤ طـ ليون .

(١) الإصابة ١ / ٢٢٢، وتجريد الأسماء جـ١ ص ٧٣ .

(٢) الإصابة ١ / ٢٢٥، والاستيعاب ١ / ٨٦ .

(٣) الإصابة ١ / ٢٢٥، وحسن المحاضرة ١ / ١٨٣، وأسد الغابة ١ / ٣١١، والتجريد للذهبى ١ / ٧٤ .

(٤) التاريخ الكبير جـ١ ص ٢٠٢ .

(٥) الإصابة ١ / ٢٢٥،٢٢٦، وحسن المحاضرة جـ١ ص ١٨٤ .

(٦) الإصابة ١ / ٢٣٠، والتجريد للذهبى جـ١ ص ٧٥ .

(٧) الإصابة ١ / ٢٣٠، والاستيعاب ١ / ٨٩ .

(٨) أسد الغابة ١ / ٣٢٠، والتجريد للذهبى جـ١ ص ٧٧ .

(٩) الاستيعاب ١ / ٩٣، وحسن المحاضرة ١ / ٨٥ .

(١٠) الإصابة ١ / ٢٣٩، وحسن المحاضرة ١ / ١٨٧ .

تاريخ مصر [١].

**جـرهد** بن خويلد بن بجرة بن عبد ياليل..الأسلمى..كان من أهل الصفة..كان شريفا قال ابن الربيع:شهد فتح مصر، مات بالمدينة [٢].

**جُعْثل**..الرعينى..المصرى صدوق فقيه..[٣].

**جُعـثم** الخير بن خليبة ابن ساجى الصدفى، بايع تحت الشجرة، وكساه النبى ﷺ قميصه ونعليه..شهد فتح مصر [٤].

**جعفر** بن ربيعة بن شرحبيل ابن حسنة..المصرى الثقة [٥].

**جـمـيل** بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة من جمح القرشى الجمحى..أسلم وشهد فتح مكة، قال ابن يونس:شهد فتح مصر [٦].

**جناب** بن مرثد:أبو هانىء الرعينى..شهد فتح مصر، وأورده ابن حجر فى كتابه فى قسم المخضرمين [٧].

**جنادة** بن أبى أمية الأزدى.. سمع من النبى ﷺ وروى عنه [٨]..قال ابن الأثير:جنادة الأزدى له صحبة مصرى [٩].قال ابن يونس:شهد فتح مصر، قدم مع عبادة بن الصامت ﷺ عندما كان عبادة أميرا على المدد [١٠].

**جنادة** بن مالك الأزدى... سكن مصر، وعقبة بالكوفة [١١].

---

(١) الإصابة ١ / ٢٣٩، والتجريد ١ / ٨٠ .
(٢) حسن المحاضرة ١ / ١٨٦ .
(٣) ابن حجر:تهذيب التهذيب جـ١ ص ١٢٨ حاشية.
(٤) راجع حسن المحاضرة ١ / ١٨٦، ١٨٧ .
(٥) تهذيب التهذيب١ / ١٣٠ ، والطبقات الكبرى ٧ / ٥١٤ .
(٦) تجريد الأسماء للذهبى ١ / ٨٨ .
(٧) الإصابة ١ / ٢٤٨، والاستيعاب ١ / ٩٢ .
(٨) الاستيعاب ١ / ٩٤، والتجريد..للذهبى ١ / ٨٩ .
(٩) الإصابة ١ / ٢٥٦، والاستيعاب ١ / ٩٥
(١٠) ابن عبد البر:الاستيعاب ١ / ٩٤، ٩٥ .
(١١) راجع لابن الأثير:أسد الغابة ١ / ٣٥٥ .

**جنادح** بن ميمون :قال عنه ابن يونس :يعد في الصحابة، وشهد فتح مصر، ولا يعرف له حديث (١).

**حرف الحاء:**

**حابس** بن سعد اليماني ذكر فيمن نزل مصر من الصحابة، كان بحمص ثم ارتحل إلى مصر (٢).

**حابس** بن ربيعة التميمي أبو حية :قال عنه ابن عبد البر يعد في المصريين ..(٣).

**الحارث** بن تبيع الرعيني :وفد على النبي ﷺ وشهد فتح مصر (٤).

**الحارث** بن سعيد ..العتقي مصري مقبول...(٥).

**الحارث** بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي بن عم رسول الله ﷺ غضب عليه أبوه العباس فطرده إلى الشام، فصار إلى الزبير بمصر (٦).

**الحارث** بن حبيب بن خزيمة ..العامري، ذكره ابن خليفه بن خياط فيمن نزل مصر من الصحابة (٧).

**حاطب** بن أبي بلتعة اللخمي .. من أهل اليمن شهد بدرا والحديبية .. كان رسول رسول الله ﷺ قد بعثه إلى المقوقس بمصر، فكان أول من حمل دعوة الإسلام إليها (٨).

**حبان** بن بُحّ الصدائي :كان ممن نزل مصر من الصحابة، ولأهل مصر عنه حديث واحد ..(٩).

---

(١) الإصابة ١ / ٢٥٦، وأسد الغابة ١ / ٣٥٢ .
(٢) الإصابة ١ / ٢٨٦ .
(٣) أسد الغابة ١ / ٣٧٥، والتجريد للذهبي ١ / ٩٤ .
(٤) الاستيعاب ١ / ١١٠، والإصابة ١ / ٢٨٨ .
(٥) تقريب التهذيب ١ / ١٤٠ .
(٦) حسن المحاضرة ١ / ١٨٩، أسد الغابة ١ / ٤٠١ .
(٧) الإصابة ١ / ٢٩٠ .
(٨) ابن هشام :سيرة النبي ﷺ جـ٤ ص ٢١٦ القاهرة ١٣٨٤هـ، وتجريد الأسماء للذهبي ١ / ١١٤ .
(٩) الاستيعاب ١ / ١٤٠، وتجريد الأسماء للذهبي ١ / ١١٦ .

**حبان** بن أبي جيلة :قال ابن يونس :بعثه عمر بن الخطاب إلى أهل مصر يفقههم [١].

**حبيب** بن أوس.. الثقفي.. كان ممن شهد فتح مصر، له إدراك، وكان ممن حضر حجة الوداع [٢].

**الحجاج** بن خلي السلفي :له صحبة، قال ابن يونس :لا أعلم له رواية [٣].

**حذيفة** بن عبيد المرادي :له ذكر في قضاء عمر، شهد فتح مصر، ولا يعرف له رواية[٤].

**حرملة** بن سلمي من بني قرد :له إدراك، وشهد فتح مصر [٥].

**حسان** بن كريب بن المسرح بن عبد كلال..الرعيني.. هاجر في خلافة عمر، وشهد فتح مصر [٦].

**الحكم** بن الصلت بن مخرمة بن المطلب القرشي.. شهد خيبر.. استخلفه محمد بن حذيفة.. على مصر حين خرج إلى معاوية...[٧].

**حمرة** ابن عبد كلال ..الرعيني .. أدرك الجاهلية.. ذكره ابن يونس ممن شهد فتح مصر...[٨].

**حمزة** بن عمرو الأسلمي.. قال الربيع :شهد فتح مصر..[٩].

**حميل** – بالتصغير – ابن بصرة بن أبي بصرة الغفاري.. نزيل مصر، وهو من الصحابة، صحب النبي ﷺ مع أبيه وجده.. حديثه في المصريين، ذكره البخاري في تاريخ الصحابة[١٠].

---

(١) حسن المحاضرة ١ / ١٩٠ والإصابة ١ / ١١٢ .
(٢) الإصابة ١ / ٣١٩ .
(٣) حسن المحاضرة ١ / ١٩٠، والإصابة ١ / ٣٢٦ .
(٤) أسد الغابة ١ / ٤٦٧ وحسن المحاضرة ١ / ١٩٠ .
(٥) الإصابة ٢ / ٦٠ وحسن المحاضرة ١ / ١٩١ .
(٦) الإصابة ٢ / ٦١ .
(٧) الاستيعاب ١ / ١١٩ .
(٨) الإصابة ٢ / ٦٥، وحسن المحاضرة ١ / ١٩١ .
(٩) الاستيعاب ١ / ١٠٥، وابن الأثير ٢ / ٥٦ وحسن المحاضرة ١ / ١٩١ .
(١٠) ابن سعد :الطبقات جـ ٧ ص ٥٠٠، والاستيعاب ١ / ١٥١، والإصابة ٤١١٢ .

**حنظلة** صاحب النبي ﷺ دخل مصر، كذا ذكره ابن الربيع ولم يزد عليه [١].

**حيان** بن كرز البلوى: شهد فتح مصر، وله صحبة، قاله ابن يونس [٢].

**حيويل** بن ناشرة .. بن الحارث الكنفى .. شهد فتح مصر، ..وله رواية عن عمرو بن العاص [٣].

**حيوة** بن مرثد التجيبي.. له إدراك قال ابن يونس: شهد فتح مصر، ولا أعلم له رواية[٤].

**حُيَيي** الليثي: له صحبة، ولأهل مصر عنه حديث واحد عن ابن لهيعة..[٥].

**حرف الخاء:**

**خارجة** بن حذافة ..القرشي العدوي، كان على رأس المدد الذى أرسله عمر بن الخطاب ﷺ إلى مصر مع الزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود [٦] ..شهد فتح مصر، وقيل: كان قاضيا لعمرو بن العاص بها، وقيل بل كان على شرطة عمرو، وهو معدود في المصريين [٧]. ولأهل مصر عنه حديث واحد في الوتر ..[٨].

**خارجة** بن عقال الرعيني الرمادي: له إدراك، شهد فتح مصر [٩].

**خالد** بن ثابت بن طاعن العجلان.. ذكر ابن يونس: أنه شهد فتح مصر، وولي بحر مصر سنة إحدى وخمسين [١٠].

**خالد** بن العنبسي: صحابي دخل مصر، ولا تعرف له رواية.. ممن بايع تحت الشجرة،

(١) أسد الغابة ٢ / ٦١ ـ ٦٢ .
(٢) الإصابة ١ / ٤٩ .
(٣) الإصابة ٢ / ٦٨، ٦٩ .
(٤) الإصابة ٢ / ٦٩، وحسن المحاضرة ١ / ١٩٣ .
(٥) الاستيعاب ١ / ١٥٢ وأسد الغابة ٢ / ٨٠، وفتوح مصر ص ٣١٦ طـ ليون.
(٦) الاستيعاب ١ / ١٦٣، والإصابة ١ / ٨٤ .
(٧) أسد الغابة ٢ / ٨٣، ٨٤، والتجريد للذهبي ١ / ١٤٦ .
(٨) ابن الأثير: أسد الغابة ٢ / ٨٤، والاستيعاب ١ / ١٦٣ .
(٩) الإصابة ١ / ٤٥٣ وحسن المحاضرة ١ / ١٩٥ .
(١٠) الإصابة ٢ / ٢٧ .
(١١) حسن المحاضرة ١ / ١٩٤ والإصابة ١ / ٤١٠، والتجريد للذهبي ١ / ١٥٣ .

شهد فتح مصر..[(١)].

**خرشة** بن الحارث المرادى من بنى زبيد، وفد على النبى ﷺ، وشهد فتح مصر..[(٢)].

**خيار** بن مرثد التجيبى.. له إدراك قال ابن يونس:شهد فتح مصر، وكان رئيسا فيهم[(٣)].

**حرف الدال:**

**دحية** بن خليفة بن فروة .. الكلبى.. صحابى مشهور كان أول مشاهده الخندق.. قال ابن الربيع:شهد فتح مصر، ونزل دمشق..[(٤)].

**ديلم** الحميرى.. صحابى مشهور .. نزل مصر، وروى عنه أهلها.. شهد فتح مصر[(٥)].

**حرف الذال:**

**ذو قربات** .. الحميرى.. ذكره ابن عبد الحكم فيمن دخل مصر من الصحابة، وقيل لا صحبة له[(٦)].

**حرف الراء:**

**رافع** بن مالك:ممن دخل مصر من الصحابة.. شهد العقبة، وكان أحد النقباء[(٧)].

**رافع** بن ثابت:أكل مع النبى ﷺ رطبا.عداده فى أهل مصر[(٨)].

**ربيعة** بن عباد الديلمى:قال ابن الربيع:ذكره الواقدى فيمن دخل مصر من الصحابة لغزو المغرب[(٩)].

**ربيعة** بن الفراس.. يعد من المصريين[(١٠)]، ذكره ابن منده، وزعم أنه من الصحابة.

---

(١) التجريد للذهبى ١ / ١٥٧ وأسد الغابة ٢ / ١٢٧ .
(٢) الإصابة ٢ / ١٥٣ وحسن المحاضرة ١ / ١٩٥ .
(٣) الإصابة٢ / ١٦٢، وأسد الغابة ٢ / ١٥٨ وحسن الحاضرة ١ / ١٩٥ .
(٤) الإصابة ٢ / ١٦٦، وأسد الغابة ١ / ١٦٣، والتجريد للذهبى جـ١ ص ١٦٦ .
(٥) الإصابة ٢ / ١٨٦ .
(٦) الإصابة ٢ / ١٧٧ .
(٧) حسن المحاضرة ١ / ١٩٧ وتجريد الأسماء ١ / ١٧٤ .
(٨) أسد الغابة ١ / ١٨٩ والإصابة ٢ / ١٨٦ .
(٩) الإصابة ١ / ٥٠٩ ومدرسة الحديث فى مصر ص ٤٠ .
(١٠) أسد الغابة ١ / ٢١٥،٢١٦ .

**ربيعة** بن زرعة الحضرمى، من أصحاب رسول الله ﷺ، وشهد فتح مصر، وكان واليا لعمرو بن العاص على المكيين [١].

**ربيعة** بن عبدان الكندى... شهد فتح مصر [٢].

**رشدان المصرى**:قال البخارى:له صحبة [٣].

**رشـــدين** بن مالك أبو عميرة المزنى، قال ابن يونس:له ذكر فى أهل مصر، وله بها حديث رواه ابن لهيعة [٤].

**رشـيـد** بن مالك ركب المصرى له صحبة، قال ابن حبان:له صحبة إلا أن إسناده لا يعتمد عليه[٥].

**رويفع** بن ثابت بن سكن بن عدى.. من بنى النجار:يعد فى المصريين، أمَّرَهُ معاوية بن أبى سفيان، على طرابلس مدينة بالمغرب سنة ست وأربعين، فغزا منها أفريقية [٦].

**حرف الزاي:**

**زبيد** بن عبد الخولانى:له إدراك، شهد فتح مصر [٧].

**الـزبيـــر** بن العوام:بن خويلد بن أسد بن عبد العزى.. يكنى أبا عبد الله، أمه، صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ [٨]، روى عن على بن أبى طالب قال:قال رسول الله ﷺ:«إن لكل نبى حوارياً، وحوارىّ الزبير بن العوام [٩]» من مشاهده أنه:

شهد فتح مصر، وجعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رأس الجيش الموجه مدداً لعمرو بن العاص مع ثلاثة آخرين [١٠].

---

(١) الإصابة:٢ / ١٩٩، والتجريد للذهبى ١ / ١٧٩ .
(٢) التجريد للذهبى ١ / ١٨٠،١٨١ .
(٣) أسد الغابة ١ / ٢١٣، والإصابة ٢ / ٢٠٧ .
(٤) الإصابة ٢ / ٢٠٨، وحسن المحاضرة ١ / ١٩٨ .
(٥) الإصابة ٢ / ٢١٣ وحسن المحاضرة ١ / ١٩٨ .
(٦) أسد الغابة ١ / ٢٣٩ والتجريد للذهبى ١ / ١٨٧ .
(٧) حسن المحاضرة ١ / ٢٠ والإصابة ١ / ٥٥٩ ومدرسة الحديث فى مصر ص ٤٢ .
(٨) أسد الغابة ١ / ٢٤٩،٢٥٠ والتجريد للذهبى جـ١ ص ١٨٨،١٨٩ .
(٩) أسد الغابة ٢ / ٢٥٠ .
(١٠) المصدر نفسه.

**زهير** بن قيس البلوى، قال ابن يونس: له صحبة، يكنى أبا شداد، شهد فتح مصر [(١)].

**زياد** بن الحارث الصدائى.. قال ابن يونس: هو رجل معروف نزل مصر [(٢)] ...روى عنه المصريون، وحديثه ذكره ابن عبد الحكم [(٣)].

**زياد** الغفارى: يعد فى أهل مصر له صحبة، وله حديث فى أهل مصر [(٤)].

**زياد** بن قائد اللخمى: جاء ذكره فى الإصابة فى قسم المخضرمين، شهد فتح مصر [(٥)].

**زياد**، وقيل: زيادة بن جَهْوَر اللخمى .. شهد فتح مصر [(٦)].

**حرف السين:**

**السائب** بن خلاّد بن سويد بن ثعلبة.. الأنصارى.. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر [(٧)].

**السائب** بن هشام بن عمرو.. العامرى..قال ابن ماكولا: شهد فتح مصر..رأى النبى ﷺ وكان على الشرطة بمصر لمسلمة بن مخلد [(٨)] ...

**السائب** الغفارى: ذكره ابن الربيع: وقال: لا يوقف على حضور الفتح، ولأهل مصر عنه حديث واحد من طريق ابن لهيعة [(٩)] ....

**سخدور** بن مالك الحضرمى أبو علقمة، قال فى التجريد: له صحبة، شهد فتح مصر [(١٠)].

**سُرَق** بن أسد الجهنى، ويقال الأنصارى، ويقال: إنه من بنى الدُّئل، سكن الإسكندرية.. له صحبة [(١١)].

---

(١) الإصابة ٣ / ١٧ والتجريد للذهبى ١ / ١٩٣ .
(٢) الإصابة ٢ / ٢٦٧ .
(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب ص ٣١٢ وحسن المحاضرة ١ / ٢٠٠ .
(٤) الإصابة ٣ / ٢١ وأسد الغابة ٢ / ٢٧٣ .
(٥) الإصابة ٣ / ٢٢ وحسن المحاضرة ١ / ٢٠١ .
(٦) أسد الغابة ٢ / ٢٧٥ والإصابة ٣ / ٢٣ وحسن المحاضرة ١ / ٢٠١ .
(٧) أسد الغابة ٢ / ٣١٤ .
(٨) الإصابة ٣ / ١٥٨ وحسن المحاضرة ١ / ٢٠٣ .
(٩) حسن المحاضرة ١ / ٢٠٣ .
(١٠) حسن المحاضرة: ١ / ٢٠٤ ، والتجريد للذهبى ١ / ٢٠٩ .
(١١) حسن المحاضرة ١ / ٣٠٤ .

**سعد** بن أبى وقاص :اسمه مالك..قال ابن الربيع :شهد فتح مصر، وردها رسولا من قبل عثمان، ولأهل مصر عنه حديث واحد [١] .مات رضي الله عنه بالعقيق، وحمل إلى المدينة فدفن بالبقيع سنة خمس وخمسين هجرية [٢].

**سعد** بن سنان الكندى، قال فى التجريد :ذكره ابن يونس [٣] فيمن نزل مصر.

**سعفة** الغافقى..رجل من أصحاب النبى ﷺ، شهد فتح مصر، ذكره ابن يونس [٤].

**سعد** بن مالك بن الأقيصر بن مالك..الأزدى، قال ابن يونس :له وفادة على النبى ﷺ وشهد فتح مصر [٥].

**سعيد** بن يزيد الأزدى :ذكره ابن سعد فيمن نزل مصر من الصحابة ولم يزد عليه[٦].

**سفيان** بن هانىء بن جبر أبو سالم الجيشانى، قال فى التجريد :مصرى وله رواية [٧].. شهد فتح مصر، توفى فى إمرة عبد العزيز بن مروان على مصر [٨].

**سفيان** بن صهبانة المهرى..ذكره ابن يونس ممن شهد فتح مصر [٩]..

**سلكان** بن مالك، ذكره الواقدى، فيمن دخل مصر من صحابة رسول الله ﷺ، وكان دخوله مصر لغزو المغرب [١٠].

**سلمة** بن الأكوع.. من بايع تحت الشجرة مرتين، دخل مصر لغزو المغرب [١١]..

**سهل** بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة.. الأنصارى.. وهو آخر الصحابة رواية عن

---

(١) حسن المحاضرة ١ / ٢٠٥، وفتوح مصر..ص ٣١٨ .
(٢) الإصابة ٢ / ٢٠ ـ ٢٢ وحسن المحاضرة ١ / ٢٠٥ .
(٣) الإصابة ٢ / ٣٩ وحسن المحاضرة ١ / ٢٠٥ .
(٤) الإصابة ٣ / ١٠٤ .
(٥) الإصابة ٢ / ١١٠ وحسن المحاضرة ١ / ٢٠٥، ٢٠٦ .
(٦) الطبقات ٧ / ١٩٤ .
(٧) حسن المحاضرة ١ / ٢٠٥ .
(٨) الإصابة ٢ / ٦١، وحسن المحاضرة ١ / ٢٠٦ وفتوح مصر والمغرب.. ص ٣١٩ .
(٩) الإصابة ٣ / ١٠٥ .
(١٠) أسد الغابة ٢ / ٤٩٧، وحسن المحاضرة ١ / ٢٠٧ والتجريد للذهبى ١ / ٢٥١ .
(١١) فتوح مصر والمغرب ص ٣١٩ .

رسـول الله ﷺ قدم مصر بعد الفتح على مسلمة بن مخلد، ولأهل مصر عنه أحاديث، مات سنة إحدى وتسعين هجرية (١).

**سيف** بن مالك الأسحم.. الرعينى ثم الجيشانى.. شهد فتح مصر (٢).

**حرف الشين:**

**شيث** بن سعد بن مالك البلوى :شهد فتح مصر، وله صحبة (٣)...

**شـرحبيل** بن حسنة :.. شهد فتح مصر، ولأهلها عنه حديث واحد (٤).. توفى بالشام سنة ١٨ هـ (٥).

**شريح** بن أبرهة :ممن بايع النبى ﷺ، وشهد فتح مصر (٦).

**شـرحـبـيل** ابن حجبة المرادى.. أحد الأبطال له إدراك، وشهد فتح مصر، وكان هو والزبير أول من طلع الحصن حين فتحت مصر (٧).

**شريك** بن أبى الأعقل التجيبى..، وفد على رسول الله ﷺ، وشهد فتح مصر (٨).

**شـريك** بن سمى الغطيفى المرادى.. له وفادة، وكان على مقدمة عمرو بن العاص يوم الفتح (٩).

**شهاب** قال فى التجريد :نزل مصر.. ذكره البخارى فى الصحابة.. سكن مصر روى عن النبى ﷺ (١٠).

---

(١) وأسد الغابة ٢ / ٤٧٢ وحسن المحاضرة ١ / ٢٠٧ والإصابة ١ / ٨٧ .
(٢) أسد الغابة ٢ / ٤٩٧، وحسن المحاضرة ١ / ٢٠٧ والتجريد للذهبى ١ / ٢٥١ .
(٣) أسد الغابة ٤ / ٥٠٢ والتجريد للذهبى ١ / ٢٥٢ .
(٤) فتوح مصر والمغرب ص ٣٢٤ وأسد الغابة ٢ / ٥١٣ .
(٥) حسن المحاضرة ١ / ٢٠٨ ، والصحيح أن الذى شهد فتح مصر ولدا شرحبيل أما شرحبيل فقد مات فى طاعون عمواس مع أبى عبيدة بن الجراح سنة ١٨ هـ ولم يشاهد فتح مصر.راجع أسد الغابة ٣ / ٣٣٣، وانظر مصر فى الإسلام..صـ ٣١٤ .
(٦) الإصابة ٢ / ١٤٣، وحسن المحاضرة ١ / ٢٠٨ .
(٧) الإصابة ٣ / ٢٢٣ .
(٨) حسن المحاضرة ١ / ٢٠٨،٢٠٩ والإصابة ٢ / ١٤٨، والتجريد للذهبى ١ / ٢٥٧ .
(٩) حسن المحاضرة ١ / ٢٠٩، والإصابة ٢ / ١٤٨ والتجريد للذهبى ١ / ٢٥٨ .
(١٠) حسن المحاضرة ١ / ٢٠٩، والتجريد للذهبى ١ / ٢٦٠ .

**حرف الصاد:**

**صالح** بن الحارث الغفارى: عداده فى المصريين له صحبة.. قال ابن يونس: ممن شهد فتح مصر [١].

**صالح القبطي**: قال فى التجريد: نزل مصر، ثم صار من مصر إلى المدينة مع مارية القبطية[٢].

**صحار** بن صخر، وقيل ابن عياش.. العبدى، قال ابن الربيع شهد فتح مصر.. كان من الصحابة [٣].

**صلة** بن الحارث الغفارى، مصرى، له صحبة [٤].

**حرف الضاد:**

**ضمرة** بن الحصين بن ثعلبة البلوى، ممن بايع تحت الشجرة، ثم نزل مصر وسكنها[٥].

**حرف العين:**

**عائذ** بن ثعلبة ابن وبرة البلوى، له صحبة، وشهد فتح مصر، قتلته الروم بالبرلس سنة ثلاث وخمسين شهد بيعة الرضوان، وله خطة بمصر [٦].

**عامر** بن الحارث بن ثوبان: له صحبة، شهد فتح مصر، ولا تعرف له رواية [٧].

**عامر** بن عمرو بن حذافة.. التجيبى.. له صحبة، وشهد فتح مصر، ذكره ابن يونس، وابن منده، ولا تعرف له رواية [٨].

**عامر** بن عبد الله بن جهيزة الخولانى: قال فى التجريد: له صحبة، قال ابن يونس: شهد

---

(١) الإصابة ٢ / ١٩٢ ـ ١٩٦ وحسن المحاضرة ١ / ٢١٠ .
(٢) حسن المحاضرة والتجريد للذهبى (القرطبى بدل القبطى) جـ١ ص٢٦٢ .
(٣) حسن المحاضرة ١ / ٢٠٩، والإصابة ٢ / ١٧١ .
(٤) التجريد للذهبى ١ / ٢٦٨ .
(٥) الإصابة ٣ / ٢٧٢ وحسن المحاضرة ١ / ٢١٠ والتجريد للذهبى ١ / ٢٧٢، والخطة المكان الذى يعيش فيه .
(٦) الإصابة ٤ / ٢٠ وحسن المحاضرة ١ / ٢١٠،٢١١ والتجريد للذهبى ١ / ٢٩٠ .
(٧) أسد الغابة ٣ / ١١٩ والإصابة ٤ / ٧ وحسن المحاضرة ١ / ٢١٠ .
(٨) أسد الغابة ٣ / ١٤٣ والتجريد للذهبى ١ / ٢٨٦ .

فتح مصر [١].

**عبادة** بن الصامت بن قيس.. الأنصارى الخزرجي.. شهد العقبتين، وكان نقيبا على القوافل.كان ممن جمع القرآن فى زمن النبى ﷺ، [٢] وكان أول من اعتلى منصب القضاء فى فلسطين [٣].. شهد فتح مصر، ولأهلها عنه أحاديث [٤]... توفى بالرملة سنة أربع وثلاثين [٥].

**عبد** رضا الخُولانى يكنى أبا مكنف.قال فى التجريد:له وفادة، كان ينزل بناحية الإسكندرية، ولا يعرف له رواية [٦].

**عبد أبو** زمعة البَلَوى، وكان ممن بايع بيعة الرضوان تحت الشجرة، سكن مصر [٧].

**عبد الرحمن** بن شرحبيل ابن حسنة:ذكره ابن الربيع.. الجيزى فيمن دخل مصر من الصحابة.. وشهد فتح مصر [٨].

**عبد الرحمن** بن عبد الله بن عثمان أبو محمد..،.. بن أبى بكر بن أبى قحافة القرشى التيمى..قال ابن الربيع:دخل مصر فى سبب أخيه محمد، ولأهل مصر عنه حديث واحد [٩].

**عبد الرحمن** بن عديس البلوى:قال ابن سعد:صحب النبى ﷺ، وشهد فتح مصر.. قتل بالشام سنة ست وثلاثين [١٠]، ولأهل مصر عنه حديث واحد، لم يرو عنه غير أهل مصر [١١]...

---

(١) الإصابة ٢ / ٢٤٥ وحسن المحاضرة ١ / ٢١٠ .
(٢) أسد الغابة ٣ / ١٦٠ .
(٣) المصدر السابق ٣ / ١٦١ .
(٤) فتوح مصر والمغرب ص ٢٧١ .
(٥) أسد الغابة ٣ / ١٦٠،١٦١ .
(٦) حسن المحاضرة ١ / ٢١٧ والتجريد للذهبى ١ / ٣٥٨ .
(٧) أسد الغابة ٣ / ٥١٦ .
(٨) المصدر نفسه ٣ / ٤٦٠ والإصابة ٣ / ٧٠ .
(٩) فتوح مصر .. ص ٢٦٧ .
(١٠) الطبقات ٧ / ١٩٩ .
(١١) فتوح مصر والمغرب.. ص ٣٠٤،٣٠٥ .

**عبد الرحمن** بن عسيلة :أبو عبد الله الصنابحي، نسبة إلى قبيلة باليمن، أسلم في عهد النبي ﷺ وهاجر إليه فلما وصل إلى الجحفة لقيه الخبر بوفاة رسول الله ﷺ..فهو من كبار التابعين، ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى التي نزلت مصر، وكان ثقة قليل الحديث[١].

**عبد الرحمن** بن غنم الأشعري، قال الربيع :له صحبة، دخل مصر زمن مروان . . توفي سنة ثمان وسبعين[٢].

**عبد الله** بن شفي الرعيني، قال في التجريد: له وفادة . . شهد فتح مصر [٣].

**عبد الله** بن شمر الخولاني : له صحبة، وشهد فتح مصر [٤].

**عبد الله** بن عباس بن عبد المطلب، وكنيته : أبو العباس، عم النبي ﷺ كان يسمى البحر لسعة علمه، قال ابن الربيع: دخل مصر في خلافة عثمان، وشهد فتح المغرب، ولأهل مصر عنه أحاديث . . [٥] مات بالطائف سنة ثمان وستين، وهو ابن إحدى وسبعين سنة[٦].

**عبد الله** بن شفي بي زيد . . الرعيني العتكي، وفد على النبي ﷺ . . شهد فتح مصر[٧] .

**عبد الله** بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص . . يكنى أبا محمد[٨] . . كان فاضلاً عالماً قرأ الكتاب، واستأذن النبي ﷺ في أن يكتب حديث، فأذن له[٩] . .شهد مع أبيه : فتح الشام، وكانت معه راية أبيه يوم اليرموك[١٠].

خرج مع والده إلى مصر، لما أمره عمر بن الخطاب رضي الله عنه بفتحها، وعندما حضرت والده

(١) أسد الغابة «٣ / ٤٧٥».، والطبقات «٧ / ١٩».
(٢) الإصابة «٢ / ٤٠٥».
(٣) حسن المحاضرة «١ / ٢١٤»، والإصابة «٢ / ٣١٦».
(٤) أسد الغابة «٣ / ٢٧٧»، والإصابة «٤ / ٨٥».
(٥) تحفة الأحوذي: كتاب المناقب جـ ١٠ ص ٣٢٦ .
(٦) أسد الغابة « ٣ / ٢٩٤».
(٧) المصدر نفسه «٣ / ٢٧٧»، والإصابة «٤ / ٨٥»، وحسن المحاضرة «١ / ٣٤٩»، في أسد الغابة :شفي، وفي الإصابة :شفي بن رقي.
(٨) الاستيعاب «١ / ٣٨٢»، أسد الغابة «٣ / ٣٤٩».
(٩)الاستيعاب «١ / ٣٨٢»، وأسد الغابة «٣ / ٣٤٩»، والإصابة «٤ / ١١١».
(١٠) أسد الغبة «٣ / ٣٥٠».

الوفاة استعمله على مصر، فأقره معاوية، ثم عزله، وكان ابتنى دارًا بمصر، فلم يزل بها حتى مات، فدفن في داره سنة سبع وسبعين، في خلافة عبد الملك بن مروان[١]، وقيل: مات سنة تسع وتسعين، وقيل: سنة خمس وستين بالشام، وقيل: مات بمكة، وقيل: بمصر، ودفن في داره[٢] . . ولأهل مصر عنه ما يقرب من مائة حديث كانت نواة مدرسة السنة في مصر[٣] .

**عبد الله** بن سعد بن أبي سرح بن الحارث القرشي العامري [٤] . .

أسند إليه عثمان بن عفان ولاية مصر سنة خمس وعشرين، ففتح الله على يديه أفريقية[٥]. كان محمودًا في ولايته، غزا ثلاث غزوات: أفريقية، وذوات الصواري، والأساود[٦].

**عبد الله** بن أنيس الجهني، ثم الأنصاري: حليف بني سلمة من الأنصار . نزل مصر، ورحل إليه جابر بن عبد الله في حديث القصاص، مسيرة شهر[٧] . . توفي سنة أربع وسبعين بمصر يوم عاشوراء[٨] .

**عبد الله** بن حوالة، يكنى أبا محمد، وقيل أبا حوالة، قال البخاري: له صحبة[٩]، دخل مصر زمن الفتح، ولأهل مصر عنه حديث واحد[١٠] .

**عبد الله** بن الزبير بن العوام بين خويلد . . أمير المؤمنين

كنيته : أبو بكر ، أمه أسماء بنت أبي بكر . . ذات النطاقين . . وهو أول مولود، ولد في الإسلام، بعد الهجرة[١٠]. غزا أفريقية مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح، ففتحها الله على يديه . . بويع له بالخلافة سنة أربع وستين عقب موت يزيد بن معاوية، وغلب على الحجاز، واليمن، والعراق، ومصر، وأكثر بلاد الشام، وظل خليفة تسع سنين، إلى أن قتله الحجاج سنة ثلاث وسبعين[١٢] .

---

(١) الطبقات جـ ٧ ص ١٩٠ . (٢) الإصابة «٤ / ١١٢».
(٣) راجع عبد الله بن عمرو . . في مسند الإمام أحمد رضي الله عنه .
(٤) أسد الغابة «٣ / ٢٥٩».
(٥) راجع لابن الأثير الكامل في التاريخ «٣ / ٤٥ ، ٤٦».
(٦) الإصابة «٤ / ٧٧». (٧) حسن المحاضرة «١ / ٢١١».
(٨) أسد الغابة «٣ / ١٨٠»هامش . (٩) الإصابة «٤ / ٥٩».
(١٠) أسد الغابة جـ ٣ ص ٢١٩ .
(١١) أسد الغابة «٣ / ٢٤٢»، والإصابة «٤ / ٦٩»، وحسن المحاضرة «١ / ٢١٢».
(١٢) الإصابة «٤ / ٦٩ ـ ٧١».

قال ابن الربيع : قدم مصر فى خلافة عثمان، وشهد فتح أفريقية، ولأهل مصر عنه حديث[١] واحد.

**عبد الله** بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم[٢] . . قال ابن الربيع: هو من الصحابة البدريين الذين دخلوا مصر، ولا رواية لأهل مصر عنه[٣]. توفى بمصر فى خلافة عثمان، ودفن بمقبرتها[٤].

**عبد الله** بن مالك الغافقى أبو موسى : سكن مصر[٥].

**عبد الله** بن عمر بن الخطاب القرشى العدوى[٦] . . شهد اليرموك، وفتح مصر، وأفريقية . . روى عن الإمام مالك أن ابن عمر . . مكث بعد النبى ﷺ ، ستين سنة يفتى الناس فى الموسم، وقال أيضًا : كان ابن عمر من أئمة المسلمين[٧]. توفى سنة ست وثمانين، وقيل : أربع وثمانين[٨]، ودفن بالمحصب وقيل : غير ذلك[٩].

قال ابن الربيع : شهد فتح مصر، واختط بها دار البركة، ولأهل مصر عنه أحاديث[١٠].

**عبد الله** بن عديس البلوى: أخو عبد الرحمن بن عديس، شهد فتح مصر، وله بها خطبة ولا يعرف له رواية[١١].

**عبد الله** بن عنمة المزنى . . قال ابن منده: شهد فتح مصر، وله ذكر فى الصحابة، ولا يعرف له رواية . . كما شهد فتح الإسكندرية[١٢].

---

(١) حسن المحاضرة «١ / ٢١٢» .
(٢) مسند الإمام أحمد «٣ / ١٦١ ، ١٦٢ مسند ابن عباس «١ / ٢٤٣».
(٣) حسن المحاضرة «١ / ٢١٢».، والإصابة «٤ / ٥٥».
(٤) الإصابة «٤ / ٥٦»، وأسد الغبة «٣ / ٢١٣»، وحسن المحاضرة «١ / ٢١٢».
(٥) الإصابة «٤ / ١٢٥».
(٦) كتاب نسب قريش ص ٣٤٨ .
(٧) أسد الغابة «٣ / ٣٤٢»، والإصابة «٤ / ١٠٨».
(٨) أسد الغابة «٣ / ٣٤٠ _ ٣٤٥».
(٩) الإصابة «٤ / ١٠٩»، وحسن المحاضرة «١ / ٢١٤».
(١٠) حسن المحاضرة «١ / ٢١٤»، وفتوح مصر والمغرب ص٢٦٥ ، ومسند الإمام أحمد جـ ٦ ص ٢٠٩ حاشية
(١١) الإصابة «٤ / ١٠٥».
(١٢) الإصابة «٤ / ١١٥»، وحسن المحاضرة «١ / ٢١٥».

**عبيدة** بن محمد المغافرى، يكنى أبا أمية، قال ابن يونس : له صحبة، وشهد فتح مصر، ولا يعرف له رواية[١] ، ويقال : إنه أول من قرأ القرآن بمصر[٢] .

**عبيد** بن مخمر أبو أمية المغافرى. له صحبة قاله أبو سعيد بن يونس وقال: شهد فتح مصر[٣] .

**عتبة** بن صالح الرعينى . . صحابى شهد فتح مصر، قاله ابن ماكولا عن ابن يونس[٤] .

**عتبة** بن أبى سفيان، اسمه: صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس أخو معاوية بن أبى سفيان لأبويه، ولد علي عهد رسول ﷺ ، ولى مصر، وأقام عليها سنة، ثم توفى بها، ودفن فى مقبرتها[٥] .

**عتبة** بن النّدر السملى . . صحابى نزل مصر، قال ابن يونس : لا ندرى متى قدمها. قال محمد بن الربيع : شهد الفتح[٦] . . توفى سنة أربع وثمانين[٧] .

**عثمان** ين القيس بن أبي العاص بن قيس بن عدى السهمى : . . . ممن بايع تحت الشجرة ، وفرض له عمرو بن العاص فى العطاء فى الشرف لشجاعته[٨] . . شهد فتح مصر، وهو أول ممن قضى بمصر، ولى قضاءها فى آخر سنة من خلافة عمر، . . وهو أول من بنى دارًا بمصر للضيافة للناس، ثم صرف عن القضاء فى خلافة معاوية[٩] .

**عجري** بن مانع السكسكي : له صحبة، ولا يعرف له رواية. . شهد فتح مصر، كما ذكره ابن منده، عن ابن يونس[١٠] .

**عدي** بن عميرة بن فروة الكندى يكنى أبا زرارة: قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، ولهم

---

(١) الإصابة «٤ / ٢٠٦، ٢٠٧»، وأسد الغبة «٣ / ٥٤٦».
(٢) حسن المحاضرة «١ / ٢١٨». (٣) أسد الغابة «٣ / ٥٤٦».
(٤) الإصابة «٥ / ١٦٣»، وأسد الغبة «٣ / ٥٦٤».
(٥) أسد الغابة «٣ / ٥٦٠» والاستيعاب برقم ١٧٦٢ جـ ٣ ص ١٠٢٥ .
(٦) الإصابة «٤ / ٢١٧». (٧) الإصابة «٤ / ٢١٧».
(٨) أسد الغابة «٣ / ٥٩٧»، والإصابة «٤ / ٢٢٤».
(٩) الإصابة «٤ / ٢٢٤، ٢٢٥».
(١٠) الإصابة «٤ / ٢٢٦»، وأسد الغبة «٣ / ٦٠٢»، وحسن المعاضرة «١ / ٢١٨».

عنه حديث واحد، مات بالكوفة سنة أربعين هجرية[١].

**عقبة** بن نافع بن عبد القيس . . القرشى الفهرى. ولد على عهد رسول الله ﷺ[٢] لا تصح له صحبة ولاه عمرو بن العاص أفريقية، لما كان على مصر، فافتتح مدناً عدة[٣].

**عقبة** بن الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف القرشى[٤]. شهد فتح مصر[٥].

**عقبة** بن عامر بن سعد بن ذهل بن الأخنس الرعينى، له إدراك، شهد فتح مصا، قاله ابن يونس[٦].

**عقبة** بن عامر بن عبس بن قيس بن جهينة الجهنى، يكنى أبا حماد صحابى مشهور[٧] .. .ولأهل مصر عنه عن رسول الله ﷺ شبيه بمائة حديث[٨].

**عكرمة** بن عبيد الخولانى: ذكر فى الصحابة، ولا تعرف له رواية، شهد فتح مصر[٩].

**العلاء** بن يزيد بن أنيس الفهرى : رأى النبى ﷺ ، وقدم مصر بعد أن فتحت، وعقبة بها قاله أبو سعيد بن يونس[١٠].

**عَلَسة** بن عدى البلوى، ممن بايع بيعة الرضوان . . وشهد فتح مصر . . قاله ابن يونس[١١].

**علقمة** بن سمى الخولانى. قال الذهبى : صحابى شهد فتح مصر، ولا يعرف له رواية[١٢].

---

(١) حسن المحاضرة جـ ١ ص ٩ .

(٢) الإصابة «٣ / ٨٠»، ونسب قريش ص ٤٠٥، وجمهرة أنساب العرب : ٢٧٧ .

(٣) الكامل لابن الأثير «٣ / ٢٠٩».

(٤) الإصابة «٤ / ٢٤٩».

(٥) حسن المحاضرة «١ / ٢٢٠»، وكتاب نسب قريش ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، وأسد الغابة «٤ / ١٦».

(٦) أسد الغابة «٤ / ٧٣»، وحسن المحاضرة «١ / ٢٢١»، والإصابة «٢ / ٤٩٠».

(٧) الإصابة «٥ / ١٠٩».

(٨) الاستيعاب «٣ / ١٠٧٣».

(٩) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢٨٧ ويراجع فصل المساجاد ، ودورها فى نشر الدعوة فى مصر، مبحث ترجمة أصحاب المساجد من الفاتحين.

(١٠) أسد الغابة «٤ / ٧٨»، وحسن المحاضرة «١ / ٢٢١».

(١١) أسد الغابة «٤ / ٨١»، وحسن المحاضرة «١ / ٢٢١».

(١٢) الإصابة «٤ / ٢٦٤»، وحسن المحاضرة «١ / ٢٢٢».

**علقمة** بن يزيد المرادى ثم العطيفى، قال الذهبى : له وفادة، شهد فتح مصر، وولى الإسكندرية زمن معاوية(١).

**علقمة** بن جنادة بن عبد الله بن قيس الأزدى ثم الحجرى. له صحبة: شهد فتح مصر، وولى البحر لمعاوية. . . توفى سنة تسع وخمسين(٢).

**علقمة** بن رمثة البلوى : ممن بايع تحت الشجرة، وشهد فتح مصر . . قال البخارى : حديثه فى المصريين(٣).

**عمرو** بن العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سهم، بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب القرشي السهمى، يكنى أبا عبد الله(٤) . . أول أمير على مصر منذ فتحها.

استعمله رسول الله . على عمان، فلم يزل عليها إلى أن توفى رسول الله ﷺ(٥)، وعمل لأبى بكر فسيره إلى الشام أميرًا ضمن من ساروا إليه فشهد فتوحه، ثم استعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فولى له فلسطين، ثم سيره عمر فى جيش إلى مصر، فافتتحها، ولم يزل واليًا عليها، إلى أن مات عمر، فأمّره عليها عثمان أربع سنين، أو نحوها، ثم عزله عنها. . . ثم سيره معاوية واليًا عليها، فاستنقذها من يد محمد بن أبى بكر، وظل واليًا عليها لمعاوية إلي أن مات سنة ثلاث وأربعين على الأرجح(٦).

**من آثاره في مصر:** أنه ترك جملة من الأحاديث النبوية التى رواها عن رسول الله ﷺ ، والتى تقدر بأكثر من عشرين حديثًا(٧).

**عمرو** بن شفو اليافعى : قال الذهبى : شهد فتح مصر، وعد فى الصحابة(٨).

---

(١) حسن المحاضرة «١ / ٢٢١».
(٢) أسد الغابة «٤ / ٨٢»، والإصابة «٤ / ٢٦٢»، وحسن المحاضرة «١ / ٢٢١».
(٣) حسن المحاضرة «١ / ٢٢١».
(٤) الاستيعاب والترجمة ١٩٣١ ـ ٣ / ١١٨٤ ، والمصعب . . كتاب نسب قريش ص ٤٠٩ ، وجمهرة أنساب العرب ص ٢٧٧ .
(٥) أسد الغابة «٤ / ٢٤٥».
(٦) أسد الغابة «٤ / ٢٤٦»، والإصابة «٥ / ٣»
(٧) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص ٢٤٩ ، وراجع الدعاة الأول فى أرض الكنانة للمؤلف .
(٨) حسن المحاضرة «١ / ٢٢٤».

**عمرو** بن مرة بن عبس بن مالك . . بن جهينة الجهنى: وفد إلى النبى ﷺ . . قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، ولهم عنه حديث واحد، كان قوالاً بالحق، مات فى خلافة عبد الملك[١].

**عمرو** بن الحمق بن الكاهن بن حبيب بن عمرو . . الخزاعى . هاجر إلى النبى ﷺ بعد الحديبية وقيل: بل أسلم عام حجة الوداع . . قدم مصر، . . قتل فى عهد معاوية[٢].

**عمار** بن سعد التجيبى : . . شهد فتح مصر، وله رواية عن عمرو بن العاص، وأبى الدرداء وغيرهما، مات سنة خمس ومائة. قاله ابن يونس[٣].

**عمار** بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحقين العنسى أبو اليقظان[٤] . . دخل مصر أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه وجهه إليها فى بعض أموره، ولأهل مصر عنه حديث واحد[٥].

**عمير** بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح . . يكنى أبا أمية[٦] . . قال ابن عبد الحكم : شهد فتح مصر[٧].

**عنبة** بن ثعلبة البلوى : شهد فتح مصر، قاله ابن يونس . . ولا تعرف له رواية، ممن بايع تحت الشجرة[٨].

**عوف** بن نجوة : له ذكر، شهد فتح مصر، ولا تعرف له رواية[٩].

**عوف** بن مالك بن أبى عوف الأشجعى . . قال ابن الربيع: دخل مصر مع معاوية، ولأهلها عنه حديثان[١٠]، توفى بدمشق سنة ثلاث وسبعين فى خلافة عبد الملك[١١].

---

(١) الإصابة «٥ / ١١٣».
(٢) أسد الغابة «٤ / ١٢٩».
(٣) فتوح مصر والمغرب ص ٩٦ .
(٤) حسن المحاضرة «١ / ٢٢٤»، وأسد الغابة «٤ / ٢٧٠».
(٥) أسد الغابة «٤ / ٢١٨»، والإصابة «٤ / ٢٩٤»، ومسند الإمام أحمد «٥ / ٢٢٣».
(٦) الاستيعاب «٣ / ١٢٢٢١».
(٧) ابن عبد الحكم فتوح مصر ، وحسن المحاضرة «١ / ٢٢٥».
(٨) أسد الغابة «٤ / ٣٠٣»، والإصابة «٢ / ٥٢٧»، وحسن المحاضرة «١ / ٢٢٥».
(٩) حسن المحاضرة «١ / ٢٢٥»، والإصابة «٥ / ١٢٥».
(١٠) حسن المحاضرة «١ / ٢٢٥».
(١١) الإصابة «٥ / ٤٣ ، ٤٤»، وأسد الغابة «٤ / ٢١٨».

**حرف الغين :**

**غرفة** بن الحارث الكنيدى . . يكنى أبا الحارث له صحبة[١] . . شهد فتح مصر كما شهد حجة الوداع ولهم عنه حديث، قال الذهبى : سكن مصر، واختط بها داراً[٢] .

**غني بن عطب :** شهد فتح مصر ، وذكر فى الصحابة، ولا تعرف له رواية، قاله أبو سعيد بن يونس[٣] .

**حرف الفاء :**

**فضالة** بن عبيد بن ناقد بن قيس بن صهيب بن الأصرم . . الأنصارى الأوسى، يكنى أبا محمد . ممن بايع تحت الشجرة، وانتقل إلى الشام، وشهد فتح مصر[٤] . . توفى سنة ثلاث وخمسين فى خلافة معاوية، وقيل: تسع وستين . . ولأهل مصر عنه نحو عشرين حديثاً[٥]

**حرف القاف :**

**قتادة** بن قيس الصدفى: له صحبة، شهد فتح مصر، ولا تعرف له رواية، قال ابن يونس: له بمصر خطة[٦] .

**قدامة** بن مالك بن خارجة بن عمرو . . بن سعد العشيرة . . وفد على رسول الله ﷺ وشهد فتح مصر، وكان فى مائتين من العظماء، وهو والد نعيم الذى كان بدلاص من صعيد مصر[٧] .

**قرة** بن هبيرة بن لمام بن سلمة بن كعب بن ربيعة . . العامرى ، ثم القشيرى . . قال البخارى ، وابن منده : له صحبة، روى عنه حديث مرسل من رواية أهل مصر[٨] .

**قيس** بن سعد بن عبادة بن وليم بن حارثة بن أبى خزيمة بن ثعلبة . . الأنصارى الخزرجى، كان من فضلاء الصحابة، وأحد دهاة العرب وكرائمهم. ومن ذوى الرأى الصائب.

---

(١) أسد الغابة «٤ / ٣٣٧».
(٢) حسن المحاضرة «١ / ٢٢٦»، والإصابة «٥ / ١٨٧»، والتجريد للذهبى جـ ٢ ص ٢ .
(٣) أسد الغابة «٤ / ٣٤٢»، وفى التجريد للذهبى جـ ص ٣ قطيب.
(٤) الاستيعاب . الترجمة ٢٠٨، ٣ / ١٢٦٣ .
(٥) أسد الغابة «٤ / ٣٦٣ ـ ٣٦٤»، وحسن المحاضرة «١ / ٢٢٦».
(٦) الإصابة الترجمة ٧٠٧٥ / ٣ / ٢١٦ .
(٧) أسد الغابة «٤ / ٣٩٤»، وحسن المحاضرة «١ / ٢٧، وابن حجر : الإصابة «٥ / ٢٣٢».
(٨) الإصابة «٥ / ٢٣٨».

وكان من النبى ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير[(١)]. له أحاديث فى أهل مصر . . قال ابن يونس: شهد فتح مصر، كما وليها نائبًا لعلى بن أبى طالب سنة سبع وثلاثين، وعزله فى سنة ثمان[(٢)] وثلاثين، وكان قيس رضي الله عنه قد بنى له دارًا بمصر[(٣)].

. **قيس** بن رافع القيسى الأشجعى، أبو رافع، يكنى أبا عمرو، نزل مصر. ذكره البغوى فى الصحابة[(٤)].

**قيس** بن سمى بن الأزهر بن عمر بن مالك بن مسلمة التجيبى له إدراك، وذكره ابن يونس وقال: شهد فتح مصر، وله رواية عن عمرو بن العاص[(٥)].

**قيس** بن الحرث المرادى . . له إدراك، وقدم من اليمن فى خلافة عمر بن الخطاب، وقدم مع عمرو بن العاص، فشهد فتح مصر، قاله أبو سعيد بن يونس[(٦)].

**قيس** بن كلاب الكلابى قال أبو عمر : له صحبة، وحديث عند أهل مصر[(٨)].

**قيس** بن أبى العاص بن قيس . . القرشى السهمى ذكره ابن سعد فى الصحابة. . وهو أول قاض فى مصر الإسلامية.. فقد كتب عمر إلى عمرو أن يولى قيسًا القضاء على مصر، قال يزيد:فهو أول قاض قضى فى الإسلام بمصر[(٩)]....

**قيس** بن كلثوم بن حباشة:ذكره ابن الربيع فيمن دخل مصر من الصحابة، قال الذهبى:له وفادة، شهد فتح مصر[(١٠)].

---

(١) تحفة الأحوذى : أبواب المناقب : مناقب قيس بن سعد بن عبادة الحديث ٣٩٣٩ / ١٠ / ٣٤٩ .
(٢) ابن عبد الحكم .. ص ٢٧٤ .
(٣) حسن المحاضرة «١ / ٢٢٧ .
(٤) الإصابة «٥ / ٢٧٨».
(٥) الإصابة «٥ / ٢٧٨، ٢٧٩».
(٦) الإصابة «٥ / ٢٧٧».
(٧) الإصابة «٥ / ٢٦٧ ، ٢٦٨».
(٨) الإصابة«٥ / ٢٦٧، ٢٦٨».
(٩) الإصابة «٥ / ٢٥٩، وأسد الغابة ٤ / ٤٣٢».
(١٠) الإصابة «٣ / ٢٦٤، ومدرسة الحديث فى مصر صـ٦١، وفى التجريد للذهبى جـ٢ ص ٢٦ (قية).

**حرف الكاف:**

**كثير** بن أبي كثير الأزدي، قال الذهبي: له صحبة نزل مصر، قال ابن عبد البر: كثير الأزدي رأى النبي ﷺ سكن كثير.. مصر، ويعد في أهلها [١].

**كعب** بن أسقف الحيرة: كان يتدارس أمر محمد ﷺ .... جلس إلى النبي ﷺ فسمع كلامه، كما سمع منه القرآن، أسلم وحسن إسلامه ولما تولى عمر بن الخطاب.. أرسله إلى المقوقس [٢]..

**كعب** بن عدي بن حنظلة التنوخي من أهل الحيرة، قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، ولهم عنه حديث، مَخْرج حديثه عن أهل مصر [٣] ...قدم الإسكندرية سنة خمس عشرة، رسولا من عمر إلى المقوقس، واختط بمصر، وكان ولده بها [٤].

**كعب** بن عاصم الصدفي.. قال ابن يونس: شهد فتح مصر [٥]...

**كعب** بن عاصم الأشعري، كنيته أبو مالك.. قيل: سكن مصر، وكان من أصحاب السقيفة [٦].

**كعب** بن يسار بن ضنة.. المخزومي، شهد فتح مصر، واختط بها، وولى القضاء [٧] ...ولكنه رفض.... ولأهل مصر عنه حديث واحد [٨]....

**كنانة** بن بشر، بن عتاب بن عوف بن حارثة..التجيبي.. قال ابن يونس: شهد فتح مصر، وقتل بفلسطين سنة ست وثلاثين [٩]..

---

(١) الإصابة «٣ / ٢٦٤، ومدرسة الحديث في مصر صـ٦١، وحسن المحاضرة ١ / ٢٢٩».
(٢) أسد الغابة «٤ / ٤٨٢،٤٨٣ والإصابة ٥ / ٣٠٧».
(٣) الإصابة «٥ / ٣٠٥».
(٤) الإصابة «٥ / ٣٠٦».
(٥) الإصابة «٥ / ٣٢٢».
(٦) مسند الإمام أحمد «٥ / ٤٣٤».
(٧) الإستيعاب «٣ / ١٣٢٦».
(٨) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب ص ١٥ .
(٩) الإصابة «٥ / ٣٢٥».

**حرف اللام:**

**لاحـــب** بن مالك بن سعد الله من بنى جميل...ذكره ابن عبد الحكم فى الصحابة الذين نزلوا مصر.وقال ابن يونس:لاحب بن مالك البلوى صحابى شهد فتح مصر، ولا نعلم له رواية، وكان ممن بايع تحت الشجرة (١).

**لبــدة** بن كعب أبو يونس.. عداده من أهل مصر، حج فى الجاهلية، ثم فى الإسلام، وقد بُعثَ النبى ﷺ، وصلى خلف عمر بن الخطاب (٢) رضي الله عنه.

**لبيـد** بن عقبة التجيبى، قال الذهبى:نزل مصر، وشهد فتحها، عداده فى الصحابة، ولم يرو، قاله أبو سعيد بن يونس (٣).

**لصـــيب** بن جشم بن حرملة، قال ابن يونس:شهد فتح مصر، ولا تعرف له رواية، له ذكر فى الصحابة (٤).

**لقـيط** بن عدى جد سويد بن حيان له ذكر فى الصحابة..لا يعرف له مسند، عداده فى أهل مصر (٥).

**لهيـعـة** ابن محمد بن نعيم بن سلامة اليحصبى.. له إدراك، قال ابن يونس:شهد فتح مصر (٦).

**ليشرح** بن لحى أبو محمد الرعينى، قال ابن يونس:شهد فتح مصر، ولا يعرف له رواية، وله ذكر فى الصحابة (٧).

(١) الإصابة «٦ / ٢» والتجريد للذهبى جـ٢ ص ٣٧ .
(٢) الإصابة «٦ / ١١» وحسن المحاضر «١ / ٣٠» وأسد الغابة «٤ / ٥١٢».
(٣) الإصابة «٣ / ٣٠٧»، وحسن المحاضرة «١ / ٢٣١»، والتجريد للذهبى جـ٢ ص ٣٨ .
(٤) أسد الغابة «٤ / ٥٢١»، والإصابة «٣ / ٣١٠»، وحسن المحاضرة «١ / ٢٣١» قال ابن حجر:خيشم وقال ابن الأثير جشم.
(٥) أسد الغابة «٤ / ٥٢٥»، والإصابة «٣ / ٣١٢»، وحسن المحاضرة «١ / ٢٣١»، ومدرسة الحديث فى مصر ص ٦٢، والتجريد للذهبى جـ٢ ص ٤٠ .
(٦) الإصابة «٦ / ١٢».
(٧) الإصابة «٣ / ٣٣٢»، وحسن المحاضرة «١ / ٢٣١»، ومدرسة الحديث فى مصر ص ٦٢، والتجريد للذهبى جـ٢ ص ٤٠ .

**حرف الميم:**

**مالك** بن هبيرة بن خالد بن مسلم..السكونى.. قال البخارى :له صحبة، وقال البغوى: سكن مصر.وحديثه فى سنن أبى داود [١] ...ذكره محمد بن الربيع الجيزى فيمن شهد مصر من الصحابة...، ولأهل مصر عنه حديث واحد [٢] ....

**مالك** بن عتاهية التجيبى :لأهل مصر عنه عن رسول الله ﷺ حديث واحد لم يرو عنه غير أهل مصر [٣].

**مالك** بن زاهر :قيل أزهر ذكره ابن الربيع فيمن دخل مصر من الصحابة، قال :ولهم عنه حديث، وهو من أصحاب النبى ﷺ، قاله بن يونس [٤].

**مالك** بن عبد الله المغافرى السردارى.. قال ابن يونس :ذكر فيمن شهد فتح مصر، وله رواية عن أبى ذر [٥] ....

**مالك** بن عتاهية بن حرب الكندى.. قال البغوى :سكن مصر، وقال ابن يونس :شهد فتح مصر ولأهلها عنه حديثان.. ولم يرو عنه غير أهل مصر [٦].

**مالك** بن قدامه بن مالك بن خارجة، أنصارى، أوسى، له إدراك، شهد فتح مصر، سكن أبوه دلاص من صعيد مصر كما تقدم [٧].

**مالك** بن هدم بن أبى حرب.. التجيبى، أبو عمر، شهد فتح مصر.. له صحبة، فقد أخرج له يعقوب بن سفيان فى تاريخه حديثا [٨] ....

**مالك** بن أبى سلمة الأزدى :قال في التجريد :أحد الأبطال شهد فتح مصر مع عمرو بن

---

(١) الإصابة «٦ / ٣٧».
(٢) ابن عبد الحكم :فتوح مصر والمغرب ص ٣١١ .
(٣) فتوح مصر ص ٣١٧ .
(٤) الإصابة «٣ / ٣٤٥» وحسن المحاضرة «١ / ٢٣١» ومدرسة الحديث فى مصر ص ٦٣، وابن عبد الحكم ص ٣١٧ .
(٥) الإصابة «١ / ٢٧، ٢٨».
(٦) فتوح مصر ص ٣٠٩، والتجريد للذهبى جـ٢ ص ٤٦ .
(٧) الإصابة «٦ / ١٦٤»، وحسن المحاضرة «١ / ٢٣٢».
(٨) الإصابة «٦ / ٣٧، ٣٨»، وحسن المحاضرة «١ / ٢٣٢»، ومدرسة الحديث فى مصر ص ٦٣ .

العاص، فكان أول الناس صعودا للحصن [١].

**مُبَرّح** بن شهاب بن الحرث اليافعي.. ذكره ابن يونس في تاريخ مصر، وقال:وفد على النبي ﷺ في أربعة نفر، ثم شهد فتح مصر، وهو معروف في أهل مصر، وليست له رواية [٢]..

**مجاهد** بن جبر مولى ابنة غزوان، أخت عتبة بن غزوان الصحابي المشهور.. ذكره ابن يونس:في تاريخ مصر، وقال:شهد فتح مصر، واختط بها[٣]....

**محاضر** بن عامر بن سلمة الخولاني.. له إدراك، قال ابن يونس:شهد فتح مصر [٤]...

**محمد** بن مسلمة بن خالد بن عدى الأنصاري الأوسي الحارثي أبو عبد الرحمن... شهد بدرا والمشاهد كلها..وكان من فضلاء الصحابة، قال ابن الربيع:قدم مصر رسولا من عمر إلى عمرو بن العاص ﷺ يقاسمه ماله.. توفي ﷺ بالمدينة سنة ثلاث وأربعين، وله سبع وسبعون سنة [٥]...

**محمد** بن أبي بكر الصديق:تربى في حجر على بن أبي طالب ﷺ وشهد معه موقعة الجمل وصفين، ثم أرسله إلى مصر أميرا، فدخلها في شهر رمضان سنة سبع وثلاثين... ثم قتل فيها أمام الجيش الذي سيره معاوية إلى مصر ولأهلها عنه حديث عند النسائي [٦]....

**محمد** بن عمرو بن العاص بن وائل القرشي السهمي، صحب النبي ﷺ، وهو صغير، وكان له رأى في موقف في اتجاه والده إلى السياسة، مما جعله يرحل إلى معاوية، قال العدوى: له صحبة، وله حديث ذكره في التجريد [٧]....

**محمود** بن ربيعة، رجل من الأنصار..مخرج حديثه عن أهل مصر، ذكره ابن عبد البر[٨]...

(١) الإصابة «٣ / ٤٦٠»، وحسن المحاضرة «١ / ٢٣١»، والتجريد للذهبي جـ٢ ص ٤٤ .
(٢) الإصابة «٦ / ٣٩»، وحسن المحاضرة «١ / ٢٣٢» وما بعدها، والتجريد للذهبي جـ٢ ص ٥٠ .
(٣) الإصابة «٦ / ١٦٥» .
(٤) المصدر نفسه .
(٥) الإصابة «٦ / ٦٣، ٦٤»، وفتوح مصر ص ١٩٨ وما بعدها.
(٦) الإصابة «٦ / ١٥١، ١٥٢»، والخلاصة ص ٢٨٠، وشذرات الذهب «١ / ٤٨»، ومدرسة الحديث في مصر صـ ٦٤٠ .
(٧) حسن المحاضرة «١ / ٢٣٤»، والإصابة «٣ / ٣٦١ ـ ٤٥٥».
(٨) الإصابة «٦ / ٦٦» وحسن المحاضرة «١ / ٢٣٤»، والتجريد للذهبي جـ٢ ص ٦٢ .

**محمية** بن عبد يغوث الزبيدى - بضم أوله.. كان عامل رسول الله ﷺ على الأخماس، قال ابن يونس: شهد فتح مصر، ولا أعلم له رواية [١].

**مرثد** بن أبى يزيد الخولانى، ثم البُقَرى - بضم الموحدة، وفتح القاف..كان من أصحاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، له إدراك، وشهد فتح مصر، وله رواية [٢]...

**مروان** بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الأموى، أبو عبد الملك، وابن عم عثمان وكاتبه فى خلافته..مات النبى ﷺ، وهو ابن ثمان سنين..قرنه البخارى بالمسور بن مخرمة فى روايته عن الزهرى عن عروة عنهما فى قصة صلح الحديبية [٣].توجه إلى مصر، فاستولى عليها، ثم بغته الموت..فى شهر رمضان سنة خمس وستين هجرية [٤]..

**المستورد** بن سلامة بن عمرو بن حسل الفهرى.قال ابن يونس:هو صحابى شهد فتح مصر، واختط بها، توفى بالإسكندرية، روى عنه على بن رباح [٥].

**المستورد** بن شداد بن عمرو القرشى الفهرى له ولأبيه صحبة دخل مصر، وشهد فتحها، وله خطة بها ولأهل مصر عنه أحاديث، لم يرو عنه إلا أهل مصر [٦]...

**المستورد** بن شداد بن عمرو بن حسل الفهرى..قال ابن يونس:هو صحابى شهد فتح مصر واختط بها توفى بالإسكندرية سنة خمس وأربعين، روى عنه على بن رباح، وأبو عبد الرحمن الحبلى، ورقاء بن شرح [٧].

**مسروح** بن سندر الخصى مولى زنباع بن روح الجذامى له صحبة نزل مصر، هو أبو الأسود سماه ابن يونس [٨].

---

(١) الإصابة «٦ / ٦٨»، وحسن المحاضرة «١ / ٢٣٤».
(٢) الإصابة «٦ / ١٦٩».
(٣) الإصابة «٦ / ١٥٦ ، ١٥٧»، وشذرات الذهب «١ / ٧٣».
(٤) الإصابة «٦ / ١٥٧».
(٥) تجريد أسماء الصحابة للذهبى جـ ٢ ص ٧١ .
(٦) الإصابة «٦ / ٨٧»، وحسن المحاضرة «١ / ٢٣٥»، وتجريد أسماء الصحابة جـ ٢ ص ٧١ .
(٧) تجريد أسماء الصحابة جـ ٢ ٧١ .
(٨) المصدر نفسه جـ ٢ ص ٧٢ .

**مسعود** بن أوس بن أحرم الأنصارى، شهد بدرا، وفتح مصر، وله بها حديث [١].

**مسلمة** بن مخلد الأنصارى، ولى مصر، وهو أول من جمعت له مصر والمغرب، ولأهل مصر عنه حديث واحد ليس لهم عنه غيره، لم يرو عنه غير أهل مصر، وأهل البصرة [٢].

ذكر ابن السكن، وأبو نعيم، وغيرهما أنه فى الصحابة، وفاته: توفى بمصر سنة اثنتين وستين [٣].

**المُسوّر** – بضم الميم وتشديد الواو – وهو ابن يزيد الجذامى.. ذكر ابن يونس: أنه شهد فتح مصر [٤].

**مسعود** بن الأسود البلوى.. قال ابن حيان: سكن مصر، وغزا أفريقية، ولأهل مصر عنه حديث [٥]...

**المسور** بن مخرمة بن نوفل بن أهيب القرشى.. له صحبة [٦]... دخل مصر لغزو المغرب [٧]، وغيره.

**المسيب** بن حزن بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران.. المخزومى له ولأبيه حزن صحبة.. دخل مصر لغزو بلاد المغرب، وغيره [٨]....

**مطعم** بن عبيد البلوى، ذكره ابن يونس، وقال: صحابى شهد فتح مصر، وقال الذهبى: مصرى له صحبة [٩].

**معاذ** بن أنس الجهنى حليف الأنصار قال أبو سعيد بن يونس: صحابى سكن مصر، قال المزى: له صحبة ورواية ولأهل مصر عنه ما يقرب من أكثر من أربعين حديثًا [١٠].

---

(١) الإصابة «٦ / ٨٩»، وحسن المحاضرة «١ / ٢٣٥».
(٢) ابن عبد الحكم فتوح مصر ص ٢٧٦، والإصابة «٦ / ٩٧، ٩٨».
(٣) الإصابة «٦ / ٩٧، ٩٨»، وفتوح مصر.. ص ٢٧٦.
(٤) الإصابة «٦ / ١٧٤».
(٥) الإصابة «٦ / ٨٨»، وحسن المحاضرة «١ / ٢٣٥».
(٦) الإصابة «٦ / ١٧٥».
(٧) أسد الغابة «٤ / ١٧٥، ١٧٦»، وفتوح مصر.. ص ٣١٩ ط ليون.
(٨) فتوح مصر.. ص ٣١٩، والإصابة «٦ / ٩٩»، وما بعدها، وحسن المحاضرة «١ / ٢٣٦».
(٩) الإصابة «٦ / ١٠٤»، وحسن المحاضرة «١ / ٢٣٦».
(١٠) الإصابة «٦ / ١٠٦»، وحسن المحاضرة «١ / ٢٣٧»، والطبقات «٧ / ١٩٤، ١٩٥».

**معاوية** بن أبى سفيان رضي الله عنه بن صخر بن حرب بن أمية . . أمير المؤمنين .. ظل والياً عشرين سنة، وعشرين سنة خليفة[١].

**دخوله مصر** : دخل معاوية مصر حتى بلغ سلمنت[٢]، من كور عين شمس، ثم رجع ولأهل مصر عنه حديثان[٣].

**معاوية** بن خديج السكونى التجيبى . . قال الزهرى : يعد فى المصريين، وقال البغوى: كان عامل معاوية على مصر، أمّره على الجيش الذى . . جهزه إلى مصر . . ثم ولى إمرة مصر ليزيد، ذكره ابن سعد فيمن ولى مصر من الصحابة[٤].

وفد على النبى ﷺ ، وشهد فتح مصر[٥]. ولأهلها عنه عن النبى ﷺ أحاديث[٦].

**معبد** بن العباس بن عبد المطلب بن عم النبى ﷺ ذكره ابن عبد الحكم فيمن دخل مصر لغزو المغرب[٧].

**المقداد** بن الأسود بن عبد يغوث . . أحد السابقين فى الإسلام، شهد بدراً، فأحداً، والمشاهد كلها، وهو أول من قاتل على فرس فى سبيل الله، . . قال ابن الربيع: شهد فتح مصر[٨]، ولأهلها عنه أحاديث عن نفسه، وليس عن النبى ﷺ[٩]، توفى سنة ثلاث وثلاثين فى خلافة عثمان عن سبعين سنة رضي الله عنه[١٠].

**المهاجر** مولى أم المؤمنين السيدة أم سلمة رضي الله عنها يكنى أبا حذيفة . . صحب النبى ﷺ وخدمه وشهد فتح مصر، واختط بها. . قال محمد بن الربيع: لم يرو عنه غير أهل مصر[١١].

---

(١) الإصابة «٦ / ١١٣، ١١٤»، وابن عبد الحكم ص ٢٦٧ .
(٢) حسن المحاضرة «١ / ٢٣٧»، والطبقات «٥ / ١٩٥».
(٣) الإصابة «٦ / ١١٤»، وحسن المحاضرة «١ / ٢٣٧» ،وابن عبد الحكم ص ٢٦٧ .
(٤) الطبقات «٥ / ١٩٥».
(٥) الإصابة «٦ / ١١١».
(٦) فتوح مصر والمغرب ص ٣٥٨ .
(٧) حسن المحاضرة «١ / ٢٣٧».
(٨) الإصابة «٦ / ١٣٣».
(٩) ابن عبد الحكم: فتوح مصر . . . ص ٢٦٦ .
(١٠) الإصابة «٦ / ١٣٤»، والشذرات «١ / ٣٩»، وفتوح مصر . . ص ٢٦٦ .
(١١) الإصابة «٦ / ١٤٥»، وفتوح مصر . . ص ٣١١، وحسن المحاضرة «١ / ٢٣٩».

**حرف النون :**

**ناشرة** بن سمى اليزنى المصرى، أدرك زمن النبى ﷺ وصلى خلف معاذ، باليمن . . سكن الشام ثم نزل مصر، قال العجلى : مصرى تابعى ، ثقة [١] .

**نُبيه** بن صُؤاب المهرى : ذكره ابن يونس : فيمن دخل مصر من الصحابة . . كان أحد الأربعة الذين أقاموا قبلة الجامع العتيق بمصر، وشهد فتحها[٢] .

**النعمان** بن جزء بن النعمان . . المرادى، ثم العطيفى . . ذكره ابن يونس، وقال: وفد على النبى ﷺ وشهد فتح مصر، ولا يعلم له رواية[٣] .

**نعيم** بن خباب العامرى، من وفد تجيب، ذكره ابن الربيع فيمن دخل مصر من الصحابة، وقال الذهبى : له وفادة[٤] .

**حرف الهاء :**

**هانئ** بن جزء بن النعمان المرادى العطيفى . . له صحبة قال الذهبى : له وفادة، وشهد فتح مصر[٥] .

**هبيب** بن مغفل الغفارى، شهد فتح مصر، واختط بها، ولهم عنه حديث[٦] .

**هبيرة** بن أسعد بن كهلان السبائى . له إدراك، وشهد فتح مصر، ذكره ابن يونس[٧] .

**هزان** بن الحرب بن الصعب بن محرم الخولانى . . أدرك الجاهلية فالإسلام، شهد فتح مصر، وكان عريفاً على قومه لما دخلوا مصر، ذكره ابن يونس[٨] .

**هودة بن عرفطة الحميري**، وفد على النبى ﷺ مع قومه حمير قال فى التجريد : له وفادة، وشهد فتح مصر[٩] .

---

(١) الإصابة «٦ / ٢٩٩».
(٢) الإصابة «٦ / ٣٠٢».
(٣) حسن المحاضرة «١ / ٤٢١»، وفى التجريد للذهبى جـ ٢ ص ١٢٤ (هوذة) .
(٤) حسن المحاضرة «١ / ٣٤١ .
(٥) الإصابة «٦ / ٣١١»، والتجريد للذهبى جـ ٢ ص ١٢٥ .
(٦) راجع للذهبى : التجريد جـ ٢ ص ١٣٢ .
(٧) الإصابة «٦ / ٣٥٧».
(٨) الإصباة ٦ / ٣٣٣».
(٩) الإصابة «٦ / ٣٦٠».

**حرف الواو :**

**واقـد** بن الحرث الأنصارى، قال الذهبى : له صحبة، عداده فى أهل مصر، روى عنه قيس بن وكيع[١] .

**واقد** بن الحرث أبو الحرث . . قال البغوى : قال محمد بن إسماعيل: له صحبة وقال ابن منده: أنصارى، عداده فى أهل مصر[٢] .

**وهيب بن معقل الغفاري** ، نزل مصر وروى عنه أبو قنبل المغافرى[٣] .

**حرف الياء :**

**ياسر** أبو الربداء البلوى . . قال ابن يونس: شهد فتح مصر وله صحبة[٤] .

**يحيى** بن يعمر الرعينى . . قال ابن يونس : شهد فتح مصر . .[٥] .

**يزيد** بن قيضم البهزى . . له إدراك . . قال ابن يونس : شهد فتح مصر . .[٦] .

**يزيد** بن سويد الصدفى . . له صحبة، وشهد فتح مصر، قاله ابن يونس[٧] .

**يـزيـد** بن عبد الله بن الجراح الفهرى أخو أبى عبيدة، قال الذهبى : له صحبة ورواية تزوج بمصر نصرانية[٨] .

**يزيد** بن أنيس بن عبد الله بن عمرو . . صحابى شهد فتح مصر، واختط بها، وله بها عقب ولا رواية له بمصر[٩] .

**يزيد** بن أبى زياد، أو ابن زياد الأسلمى، صحابى نزل مصر، روى عنه أبو قبيل[١٠] .

---

(١) حسن المحاضرة «١ / ٢٤١».

(٢) الإصابة «٦ / ٣١١»، والتجريد للذهبى جـ ٢ ص ١٢٥ .

(٣) راجع للذهبى : التجريد جـ ٢ ص ١٣٢ .

(٤) الإصابة «٦ / ٣٣٣».

(٥) الإصابة «٦ / ٣٥٧».

(٦) الإصابة «٦ / ٣٦٠».

(٧) الإصابة «٦ / ٣٤٢».

(٨) حسن المحاضرة «١ / ٢٤٢»، والذهبى : تجريد أسماء الصحابة جـ ٢ ص ١٣٥ .

(٩) الإصابة «٦ / ٧٣٣»، وحسن المحاضرة «١ / ٢٤٢».

(١٠) التجريد للذهبى جـ ٢ ص ١٣٧ .

**يعقوب** القبطي مولى بني فهر . . ذكره ابن يونس، وقال: كان ممن بعثه المقوقس مع مارية فيقال له صحبة[١] . أما الصحابة الذين اشتهروا بكناهم ، ونزلوا مصر فهم:

**أصحاب الكنى :**

**ابن حوالة . . الأزدي** : هو عبد الله، ولأهل مصر عنه عن رسول الله ﷺ حديث[٢] .

**أبو الأعور السلمي** : عمرو بن سفيان بن عبد شمس .. له صحبة .. قال ابن الربيع: قدم مصر مع مروان بن الحكم، ولهم عنه حديث، وليست له صحبة[٣] .

**أبو أمامة الباهلي** صُدىّ بن عجلان: من مشاهير الصحابة، قال الذهبي : سكن مصر. . . وقال ابن عيينة: كان آخر من مات بالشام من الصحابة[٤] .

**أبو أيمن بن وهب الخولاني** . . قال أبو حاتم: له صحبة، وفد على النبي ﷺ وشهد فتح مصر[٥] . . توفي سنة ثنتين وثمانية من الهجرة[٦] .

**أبو بردة، الظفري الأنصاري الأوسي** . . . ذكره ابن سعد فيمن نزل مصر[٧] .

**أبو بردة ابن قيس الأشعري**، أخو أبي الأشعري اسمه : عامر بن قيس بن سليم . . له صحبة، ونزل مصر[٨] .

**أبو بصرة الغفاري** : اختلف في اسمه، والصحيح: أنه جميل بن بصرة بن وقاص بن حبيب بن غفار[٩] المحدث. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، واختط بها داراً، ولهم عنه عشرة أحاديث، توفي في مصر، ودفن بالمقطم[١٠] .

---

(١) الإصابة «٦ / ٤٠١».
(٢) ابن حجر : تقريب التهذيب «٢ / ٥٠٢».
(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٣٠٩ط ليون والإصابة «٦ / ٩»، والاستيعاب «٢ / ٦٣٣».
(٤) الإصابة «٢ / ١٨٢»، وحسن المحاضرة «١ / ٢٤٣»، وشذرات الذهب«١ / ٩٦»، ومدرسة الحديث في مصر ص ٧٢ .
(٥) الإصابة «٣ / ١٠٨».
(٦) المصدر نفسه «٣ / ١٠٨».
(٧) المصدر نفسه «٧ / ١٨».
(٨) الاستيعاب «٢ / ٦٤٥»، والطبقات «٧ / ٥٠٠».
(٩) الاستيعاب «٢ / ٦٤٧»، وما بعدها، والإصابة «٧ / ٥٠».
(١٠) حسن المحاضرة «١ / ٢٤٣»، والإصابة «٧ / ٢٠»، والطبقات«٧ / ١٩٣».

**ابو تميم الجيشاني** . . . مشهور بكنيته مصرى . . توفى سنة سبع، أو ثمان وسبعين[١] .

**ابو ثور:** صحابى ، لا يعرف، وحديثه عند أهل مصر. . له صحبة، قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، ولهم عنه حديث[٢] .

**ابو جمعة الأنصاري** . . . مختلف فى اسمه : قيل: إنه جندب بن سبع ذكره محمد ابن الربيع الجيزى فى الصحابة الذين شهدوا فتح مصر[٣] . . . حديثه فى أهل مصر[٤] .

**ابو حماد الأنصاري** . . . له صحبة، وحديثه عند المصريين[٥] .

**ابو خراش الرعيني** . . . ذكره ابن يونس : فى تاريخ مصر[٦] .

**ابو خراش السلمي** . . . ذكره البغوى فى الصحابة . . قال ابن سعد: نزل مصر، ولهم عنه حديث [٧] .

**ابو الخير** مَرْثَد بن عبد الله اليزنى، المصرى .. مات سنة تسعين[٨] .

**ابو الدرداء : عويمر بن عامر، ويقال:** إنه ابن مالك الأنصارى الخزرجى . . قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، ولهم عنه خمسة أحاديث، وكان ممن جمع القرآن فى زمن النبى ﷺ، توفى سنة ثنتين وثلاثين[٩] .

**ابو درة البلوي** :له صحبة، ذكره ابن يونس : فيمن شهد فتح مصر من الصحابة[١٠] .

**ابو ذؤيب** الهذلى الشاعر، خويلد بن خالد بن محرث .. . توفى فى طريق مصر. . زمن عثمان، وقيل فى أرض الروم[١١] .

---

(١) ابن حجر : تقريب التهذيب «٢ / ٤٤٤»، ولاطبقات «٧ / ٢٠٠».
(٢) حسن المحاضرة «١ / ٢٤٣»، والإصابة «٤ / ٣٠».
(٣) الإصابة «٧ / ٣٠٢».
(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٣٠٨ .
(٥) الإصابة «٧ / ٤٥»، حسن المحاضرة «١ / ٢٤٤».
(٦) الإصابة «٧ / ٥٦».
(٧) حسن المحاضرة «١ / ٢٤٤»، والطبقات «١ / ١٩٢، ١٩٣»، وأسد الغابة.
(٨) الطبقات «٧ / ٢٠٠»، وتقريب التهذيب «٢ / ٤١٨».
(٩) الإصابة «٧ / ٥٨»، وحسن المحاضرة «١ / ٢٤٤، ٢٤٥».
(١٠) الإصابة «٧ / ٥٨»، والاستيعاب «٢ / ٦٣٣».
(١١) حسن المحاضرة «١ / ٢٤٥».

**أبو ذر الغفاري** أحد مشاهير الصحابة . . اختلف في اسمه، والمشهور أنه جندب بن جنادة[١] . . . كان من كبار الصحابة اشتهر بالزهد وصدق اللهجة.قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، واختط بها، ولهم عنه عشرون حديثًا، سكن مصر، ثم خرج منها لما وجد اثنين يتنازعان في موضع لبنة[٢] .

**أبو رافع القبطي:** مولى رسول الله ﷺ قال ابن عبد البر: اسمه : أسلم[٣] . . قال ابن الربيع : شهد فتح مصر، واختط بها بجوار عقبة بن نافع، ومسلمة بن مخلد. ولهم عنه حديث[٤] .

**أبو الرمداء البلوي:** اسمه ياسر، قال الذهبي : له صحبة، وقال ابن الربيع، وابن يونس: شهد فتح مصر، ولهم عنه حديث، وكان مولده بمصر[٥] .

**أبو رمثة: البلوي** . . قال الترمذي : له صحبة سكن مصر[٦] .

**أبو ريحانة الأزدي** اسمه شمغون ـ بالغين المعجمة ـ وقيل المهملة . . له صحبة ورواية، شهد فتح مصر، ولهم عنه حديثان، أو ثلاثة[٧] .

**أبو الزعراء** ،وقيل الزهراء ذكره ابن منده، وقال: عداده في أهل مصر . . ذكره محمد ابن الربيع الجيزي في الصحابة الذين دخلوا مصر، ولهم عنه حديث واحد، قال الذهبي : مصري له صحبة[٨] .

**أبو زمعة** البلوي . . قال الذهبي : بايع تحت الشجرة، ونزل مصر، وغزا أفريقية مع معاوية بن خديج وقال ابن الربيع: شهد فتح مصر، ولهم عنه حديث[٩] .

**أبو سجيف** ـ بالجيم ـ ابن قيس بن الحارث بن عباس . . له إدراك، شهد فتح مصر[١٠] .

---

(١) الاستيعاب «١ / ٨٢»، والإصابة «٧ / ٦٠»، وحسن المحاضرة «١ / ٢٤٥».
(٢) الاستيعاب «١ / ٨٢»، وتقريب التهذيب جـ ٢ ص ، والإصابة «٧ / ٦١».
(٣) الإصابة «٧ / ٦٥»، والاستيعاب «٢ / ٦٦٨».
(٤) حسن المحاضرة «١ / ٢٤٥» وسير أعلام النبلاء:«٢ / ١٦».
(٥) الإصابة «٣ / ٦٤٨»، وحسن المحاضرة «١ / ٢٤٦».
(٦) الإصابة «٧ / ٦٨»، والخلاصة ص ٣٧٩ . (٧) الإصابة «٧ / ٧٠»، وحسن المحاضرة «١ / ٤٦».
(٨) الإصابة «٧ / ٧٤»، وحسن المحاضرة «١ / ٢٤٦».
(٩) حسن المحاضرة «١ / ٢٤٦»، والاستيعاب «٢ / ٦٧٢ . (١٠) الإصابة «٧ / ٦٥».

**أبو سعد** الخير الأنماري، ذكره بن سعد ضمن من نزل مصر من أصحاب رسول الله ﷺ قال ابن عبد البر : له صحبة، وله حديث[١] .

**أبو شريح** المصرى . . . حديثه فى أهل مصر . . ذكره بعضهم فى الصحابة[٢] .

**أبو الشموس** البلوى: له صحبة شهد مع رسول الله ﷺ ، غزوة تبوك.. ذكره ابن سعد ضمن من نزل مصر من الصحابة[٣] .

**أبو صرمة** مالك بن أبى قيس الأنصارى المازنى . . اختلف فى اسمه: قال ابن البرقى: هو قيس بن صرمة بن مالك بن عدى بن النجار[٤] . . شهد فتح مصر، قدم على عقبة بن عامر[٥] .

**أبو ضبيس** البلوى . . ذكره محمد بن الربيع ضمن من دخل مصر من الصحابة، وكان دخوله لغزو المغرب[٦] .

**أبو عبد الرحمن** الجهنى : له صحبة، عداده فى أهل مصر. . ذكره البخارى والترمذى والبغوى والدولابى والعسكرى وابن يونس وغيرهم[٧] .

**أبو عبد الرحمن** الحبلى، هو: عبد الله بن يزيد المعافرى ، كان ثقة، مات بأفريقية، ذكره ابن سعد فيمن نزلوا مصر[٨] .

**أبو عبد الرحمن** الفهرى القرشى من بنى فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، له صحبة، ورواية . . شهد حنيناً ثم مصر[٩] ذكره ابن يونس فيمن شهد الفتح بمصر[١٠] .

**أبو عبد الرحمن** القينى ،ذكره الكلبى أنه كان يقال له ذو الشوكة، ذكره ابن الربيع فيمن دخل مصر من الصحابة، ولهم عنه حديث، كما ذكره الطبرانى فى الصحابة[١١] .

---

(١) الطبقات «٧ / ١٩٤»، وتقريب التهذيب «٢ / ٤٢٨».

(٢) الاستيعاب «٢ / ٧١٢»، وتقريب التهذيب «٢ / ٤٢٨»، والطبقات «٧ / ١٩٤».

(٣) الإصابة «٧ / ١٠٣»، وحسن المحاضرة «١ / ٢٤٨»، ومدرسة الحديث فى مصر ص ٧٧ .

(٤) تقريب التهذيب «٢ / ٤٤٥».

(٥) الإصابة «٧ / ١٠٤»، وحسن المحاضرة«١ / ٢٤٨»، والخلاصة ص ٣٨١».

(٦) الإصابة «٧ / ١٠٨»، وحسن المحاضرة «١ / ٢٤٨».

(٧) الإصابة «٧ / ١٢٤».

(٨) ابن حجر : تقريب التهذيب «١ / ٤٦٢»، والطبقات «٧ / ٢٠٠»، وابن عبد الحكم: فتوح مصر ص ٣١٨ .

(٩) تقريب التعذيب «٢ / ٤٤٦»، وابن عبد الحكم . . ص ٣١٨ .

(١٠) الإصابة «٤ / ١٢٨»، والخلاصة ص ٣٨٣، والسيوطى : حسن المحاضرة «١ / ٢٤٨»، وابن عبد الحكم.

(١١) حسن المحاضرة «١ / ٢٤٨».

**أبو عثمان الأصبحي** . . روى عنه أبو قبيل المغافرى نزل مصر[١] .

**أبو فاطمة** الليثى :ويقال الأزدى، ويقال :الدوسى، له صحبة... سكن مصر، واختط بها دارا.. ذكره ابن يونس فى تاريخ مصر، فقال :صحابى، شهد فتح مصر، يؤيده ابن الربيع الجيزى فى هذا الرأى....[٢] .

**أبو فاطمة** الأشعرى :كعب بن عاصم، قال ابن الربيع :شهد فتح مصر، ولهم عنه حديث واحد...[٣] .

**أبو مسلم** الغافقى :ذكره ابن الربيع فيمن دخل مصر من الصحابة، ولهم عنه حديث....[٤] .

**أبو مسلم** المرادى، ذكره ابن يونس فى تاريخه، وقال :سكن مصر، وله صحبة، كان على شرطة مصر لعمرو بن العاص....[٥] .

**أبو مكنف**:له وفادة، وشهد فتح مصر، جاء ذلك فى التجريد...[٦] .

**أبو مليكة** الكندى، ويقال البلوى... ذكره محمد بن الربيع الجيزى فى الصحابة الذين نزلوا مصر...ووافقه الذهبى [٧] وللمصريين عنه حديثان، أو ثلاثة [٨] .

**أبو منصور** الفارسى.. ذكره الدولابى فى الصحابة.. قال عنه الذهبى :كان ممن نزل مصر....[٩] .

**أبو موسى** الغافقى، مالك بن عبادة... ذكره ابن أبى عاصم، وغيره فى الصحابة[١٠] ....قال ابن الربيع :خدم النبى ﷺ، وقال :شهد فتح مصر، ولهم عنه ثلاثة

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) الإصابة «٧ / ١٥٠»، والخلاصة ص ٣٩٣، وتقريب التهذيب «٢ / ٤٦٢».

(٣) الإصابة «٧ / ١٥١».

(٤) حسن المحاضرة «١ / ٢٥٠»، والإصابة «٧ / ١٧٦».

(٥) الإصابة «٤ / ١٨٠»، وحسن المحاضرة «١ / ٢٥٠»، وابن عبد الحكم.. ص ٣١٤ .

(٦) الإصابة «٤ / ١٨٤» ،وحسن المحاضرة «١ / ٢٥٠».

(٧) الاستيعاب «٢ / ٦٨٥»، وحسن المحاضرة «١ / ٢٥٠»، وابن عبد الحكم.. ص ٣١٤ .

(٨) الاستيعاب «٢ / ٦٨٥»، وحسن المحاضرة «١ / ٢٥٠».

(٩) الإصابة «٧ / ١٨٢»، والتجريد للذهبى «٢ / ٢٠٦»، وحسن المحاضرة «١ / ٢٥٠».

(١٠) الاستيعاب «٢ / ٦٧٩».

أحاديث، قال الذهبى فى التجريد: مصرى له صحبة، توفى سنة ثمان وخمسين [١] ...

**أبو هريرة** الدوسى: الصحابى الجليل رضي الله عنه ورد فى اسمه واسم أبيه أقوال كثيرة. قدومه إلى مصر، قال ابن الربيع: قدم مصر على مسلمة ابن مخلد فى خلافة معاوية، ولهم عنه ثلاثة وثلاثون حديثا [٢].

**أبو هند** الدارى من بنى عبد الدار بن هانىء بن حبيب مشهور بكنيته [٣]. قال ابن الربيع: دخل مصر، ولهم عنه حديث [٤].

**أبو الهيثم**: صاحب أبى سعيد الخدرى، اسمه سليمان بن عمرو [٥]... ذكره ابن الربيع فيمن دخل مصر من الصحابة [٦] ...

**أبو وحوح** البلوى: ذكره ابن الربيع فيمن دخل مصر من الصحابة، ولأهلها عنه حديث [٧] ...

**أبو اليقظان** صاحب رسول الله ﷺ.... مذكور فى الصحابة، وفيمن سكن مصر... له حديث فى مسند المصريين [٨] ...

**أبو أيوب الأنصارى** رضي الله عنه خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة، أبو أيوب الأنصارى البخارى من بنى غنم بن مالك.. غلبت عليه كنيته [٩]... دخوله مصر: قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، وغزا بحرها، ولهم عنه نحو عشرين حديثا [١٠]....

---

(١) حسن المحاضرة «١ / ٢٥٠».

(٢) الإصابة «٤ / ٢٠٢»، وحسن المحاضرة «١ / ٢٥٠»، وله من الأحاديث (٥٣٧٤) حديثا كما جاء فى التجريد للذهبى جـ٢ ص ٢٠٩ .

(٣) الإصابة: «٧ / ٢٠٨»، وحسن المحاضرة: «١ / ٢٥٠».

(٤) الإصابة: «٧ / ٢٠٨».

(٥) ابن سعد: الطبقات «٧ / ٢٠٢».

(٦) حسن المحاضرة «١ / ٢٥١»، والتجريد للذهبى «٢ / ٢١٠».

(٧) حسن المحاضرة «١ / ٢٥٢»، وابن عبد الحكم.. ص ٣١٤، والتجريد للذهبى جـ٢ ص ٢١١ .

(٨) الطبقات «٧ / ١٩٥»، والاستيعاب «٢ / ٧٢١»، والتجريد للذهبى «٢ / ٢١٢» والإصابة «٧ / ٢١٨».

(٩) الاستيعاب «١ / ١٥٦»، وأسد الغابة «٤ / ٩٥».

(١٠) حسن المحاضرة «١ / ٢٤٣»، وتقريب التهذيب: «١ / ٢١٣»، وابن عبد الحكم.. ص ٢٦٩.

**أُبـي بـن عُمارة** الأنصـارى ـ بضم العين ـ، والأكـثر يقـولون بكسرها روى أن رسول اللـهﷺ صلى فى بيت أبيه عمارة القبلتين، وله حديث آخر عن النبى ﷺ فى المسح على الخفين [١] ...مدنى سكن مصر، وله صحبة [٢] .ولأهل مصر عنه حديث واحد [٣] .

وبعد الفراغ من هذه الدراسة الموجزة عن هؤلاء الصحبة الأجلاء، أجدنى بحاجة إلى ذكر أهم ما تركوه فى مصر، ومن جليل ما خلدوه (دعوة الإسلام) التى قامت على القرآن الكريم والسنة النبوية قولا وعملا، حتى أصبحت ملء السمع والبصر والفؤاد، وصرفت أهل مصر عن عقيدتهم ولغتهم قرونا، وقرونا وما زالت.

فما هى هذه الدعوة؟ وما هى المجالات التى استقرت فيها؟ وكيف سلكت طريقها لتعيش فى مصر؟ وما هى مكانة مصر بعد دخول الدعوة الإسلامية فيها؟ كل هذه الموضوعات وغيرها مما سيتناوله الباب الثالث، بمشيئة الله، والذى عنوانه:

---

(١) الاستيعاب «١ / ٢٦».

(٢) الاستيعاب «١ / ٢٦ ـ ٢٧»، وتقريب التهذيب «١ / ٤٨».

(٣) ابن عبد الحكم:فتوح مصر والمغرب.. ص ٣١٠ .

# الباب الثالث

## أثر انتشار الدعوة الإسلامية واستقرارها في مصر

وقد اشتمل على فصول ثمانية:

الفصل الأول: الدعوة معناها - تعاريفها - موضوعها.

الفصل الثاني: المساجد، ودورها في نشر الدعوة في مصر.

الفصل الثالث: الأدلة المادية على استقرار الدعوة في مصر وانتشارها في القرى.

الفصل الرابع: الموارد المالية لبيت مال المسلمين في أرض الكنانة، وعلاقتها بالدعوة.

الفصل الخامس: صلة المصريين باللغة العربية قبل الفتح وبعده، وأثر ذلك على الدعوة مع درء بعض الشبه التي قيلت ضد المسلمين الفاتحين زمن البحث.

الفصل السادس: الإصلاحات الداخلية في مصر بعد الفتح، وأثرها في الدعوة.

الفصل السابع: اتخاذ مصر قاعدة للفتوحات الخارجية، وأثر الدعوة العملية في هذا المجال.

الفصل الثامن: عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - وأثره في سير الدعوة في مصر، وسبب ختم الرسالة به.

## الفصل الأول
## « الدعوة معناها، وتعاريفها، وموضوعها »

ويشتمل على تمهيد:

وخمسة مباحث.

المبحث الأول: معنى الدعوة، وتعاريفها.

المبحث الثاني: أقسام الدعوة.

المبحث الثالث: مراتب الدعوة.

المبحث الرابع: أصول الدعوة.

المبحث الخامس: موضوع الدعوة (الإسلام).

تعريفه لغوية، وشرعا، والتعاريف التي وردت بشأنه وترجيح أحدها والسبب.

**تمهيد:**

**الدعوة لغة:** طلب إحضار الشيء [(١)].

والدعوة في مجال البحث الديني إذا أطلقت انصرفت إلى دعوة الإسلام، لشهرتها ومدلولها عليه فأول ما يلفت النظر إلى مدلول الدعوة هذه الآية الكريمة. ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [(٢)].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ (أي اليهود والنصارى) لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ * فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [(٣)].

وقوله سبحانه: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران:آية ١٩].

وقوله عز وجل: ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ * وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحج:آية ٦٧ ـ ٦٨].

فالإسلام منذ بدء ظهوره دين دعوة من الناحية النظرية، أو التطبيقية، وقد كانت حياة محمد ﷺ تمثل هذه التعاليم ذاتها، وكان النبي ﷺ يقوم على رأس طبقات متعاقبة من الدعاة المسلمين، الذين وفقوا إلى إيجاد سبيل إلى قلوب الكفار [(٤)].

**المبحث الأول: من معاني الدعوة:**

تشتمل الدعوة على عدة معان منها: ـ

**الدعاء:** كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ [(٥)]، وقوله تعالى: بعد ذلك ﴿ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ ﴾ [(٥)]. أي «ادعوهم في النوازل التي تنزل بكم

---

(١) المعجم الوسيط مادة: دعوة.

(٢) النحل: «١٢٥».

(٣) الشورى: «١٤، ١٥».

(٤) انظر سير توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام صـ٢٨ مكتبة النهضة المصرية طـ الثالثة ١٩٧٠م.

(٥) الأعراف من الآية «١٩٤».

إن كانوا آلهة كما تقولون يجيبوا دعاءكم، فإن دعوتموهم فلم يجيبوا لكم فأنتم كاذبون أنهم آلهة» (١).

**والدعاء لله يأتي على أوجه ثلاثة:**

أ ـ **توحيده والثناء** عليه كقولك يا ألله لا إله إلا أنت، وكقولك ربنا لك الحمد إذا قلته فقد دعوته بقولك ربنا ثم أتيت بالثناء والتوحيد. ومثله قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (٢) . فهذا ضرب من الدعاء.

ب ـ **في جانب الله:** العفو والرحمة، وما يقرب منه كقولك اللهم: أغفر لنا.

جـ ـ **في جانب الحظ:** من الدنيا كقولك: اللهم أرزقنى مالا وولدا، وإنما سمى هذا جميعه دعاء لأن الإنسان يصدر فى هذه الأشياء بقوله: ياالله، يا رب، يارحمن فذلك سمى دعاء (٣).

وقد جاء فى حديث عرفه: «أكثر دعائى، ودعاء الأنبياء قبلى بعرفات: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير» (٤).

وإنما سمى التهليل والتحميد والتمجيد دعاء لأنه: بمنزلته فى استجابة ثواب الله وجزائه (٥).

**الاستغاثة:** كقوله تعالى: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ... أى استغيثوا بهم كقولك للرجل: إذا لقيت العدو خاليا فادع المسلمين، ومعناه استغث بالمسلمين فالدعاء هاهنا بمعنى الاستغاثة (٦).

**والدعوى:** اسم لما يدعيه، والدعوى تصلح أن تكون فى معنى الدعاء لو قلت: اللهم أشركنا فى صالح دعاء المسلمين (٧).

---

(١) ابن منظور: لسان العرب: مادة دعا. طـ بولاق (مصورة).

(٢) غافر: آية ٦٠ . (٣) لسان العرب.

(٤) الحديث أخرجه الإمام أحمد جـ١١ ص ١٥٩ برقم ٦٩٦١ من المسند شرح الشيخ أحمد محمد شاكر. دار المعارف. ورواه الترمذى (٤ :٢٨٥) بنحو معناه بهذا الاسناد ولفظه: «خير الدعاء يوم عرفه، وخير ما قلت أنا والنبيـون من قبلى: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شىء قدير» .ولمزيد من معرفة درجة الحديث يراجع بقية التخريج فى هامش ص ١٥٩، ١٦٠ من نفس المصدر.

(٥) لسان العرب. مادة: دعا. (٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه.

**وبمعنى العبادة:** فيما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال:«إن الدعاء هو العبادة».
ثم قرأ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [١].

والدعوة:المرة الواحدة من الدعاء، وفى الحديث:«فإن دعوتهم تحيط من ورائهم» [٢].
أى تحوطهم وتكتنفهم وتحفظهم [٣].

**وبمعنى الشهادة:** كما فى قوله تعالى: ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ﴾ [٤] قال الزجاج جاء فى التفسير:أنها شهادة أن لا إله إلا الله.. وفى كتابه ﷺ إلى هرقل «أدعوك بدعاية الإسلام أى بدعوته:وهى كلمة الشهادة التى يدعى إليها أهل الملل الكافرة [٥].

**والاسم الدعوة:** دعوت فلانا أى صحت به واستدعيته.

**أما الدعاة:** فقوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة واحدهم داع [٦]. فمعناها:هنا المعنى العام ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، والهاء فيه للمبالغة، والنبى ﷺ داعى الله تعالى [٧].

**وبمعنى الأذان:** فالمؤذن داعى الله، والنبى ﷺ داعى الأمة إلى توحيد الله وطاعته[٨].وفى القرآن: ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ ﴾ [٩] يعنى محمدا ﷺ، ولم يبعث الله نبيا إلى الجن والإنس قبل محمد ﷺ [١٠].وفى الحديث:«الخلافة فى قريش والحكم فى الأنصار، والدعوة فى الحبشة[١١]، أراد بالدعوة الآذان جعله فيهم تفضيلا لمؤذنه بلال رضي الله عنه.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد، ورواه أصحاب السنن:الترمذى والنسائى، وابن جرير من حديث شعبة عن منصور والأعمش، ورواه ابن حبان والحاكم فى صحيحيهما وقال الحاكم:صحيح الإسناد، وقد استدل به الحافظ ابن كثير فى تفسيره جـ٤ ص ٨٥ طـ الحلبى، والآية من سورة غافر:٦٠ .

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد جـ٣ ص ٢٢٥ طـ.بيروت، وفى مسند زيد بن ثابت جـ٥ ص ١٨٣، وابن ماجه فى كتاب المناسك جـ١ ص ٧٦ .

(٣) لسان العرب مادة دعا.

(٤) سورة الرعد:من الآية:١٤ .

(٥) لسان العرب مادة دعا.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) سورة الأحقاف من الآية ٣١ .

(١٠) انظر تفسير القرطبى سورة الأحقاف طـ الشعب.

(١١) رواه الترمذى مرفوعا، واستدل به صاحب المجموع وقال:والأصح أنه موقوف على أبى هريرة بلفظ=

والدّعوة، والدّعوة، والمدعاة ما دعوت إليه من طعام وشراب ـ بتشديد الدال فى الأولى مع فتحها، وتشديد الدال فى الثانية مع كسرها ـ [١].

**وبمعنى النسب:** كما جاء فى الحديث:«لا دِعوة فى الإسلام» [٢]. الدعوة فى النسب بالكسر وهو أن يتنسب الإنسان إلى غير أبيه وعشيرته وقد كانوا يفعلونه فنهى عنه وجعل الولد للفراش..

**وتأتي بمعنى الحلف:** والدعوة الحلف، وفى التهذيب:الدعوة الحلف، يقال:دعوة بنى فلان فى بنى فلان..وفى الحديث:«تداعت عليكم الأمم» أى اجتمعوا، ودعا بعضهم بعضا، وفى حديث ثوبان.«يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها..» [٣].

**ومن معانى الدعوة لغة أيضا:أنها**

من الدعاء إلى الشىء، بمعنى الحث على قصده، ومنه قوله تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾ [٤] أى من مواتاتها والوقوع فى الفاحشة التى تذهب بخيرى الدنيا والآخرة، ومنه أيضا قول الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ ﴾ [٥] أى السلامة من المكاره والأمن من جميع المخاوف وهى الجنة ومثلها الدعاية [٦].

**وفي العرف:** حث الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ليفوزوا بسعادة الدارين [٧].

---

=«الملك فى قريش، والقضاء فى الأنصار، والآذان فى الحبشة» المجموع شرح المهذب للشيرازى جـ٣ ص ١٠٠ تحقيق الشيخ محمد المطيعى.

(١) لسان العرب مادة دعا.

(٢) الحديث فى المسند برقم ٦٦٨١، ٦٩٣، ورواه أبو داود برقم ٢٢٧٤ جـ٢ ص ٢٥٠ عون المعبود مطولا.والدِّعْوة ـ بكسر الدال وسكون العين ـ:هو أن ينتسب الإنسان إلى غير أبيه وعشيرته.راجع المصدر نفسه جـ١٠ ص ١٦٠ هامش.

(٣) لسان العرب:مادة دعا.والحديث عن ثوبان «راجع للإمام السيوطى:جمع الجوامع جـ١ ص ١٩ .نسخة مصورة عن مخطوطة دار الكتب المصرية برقم ٩٥ .

(٤) سورة يوسف من الآية ٣٣ .

(٥) يونس من الآية ٢٥ .

(٦) راجع للشيخ على محفوظ:هداية المرشدين.. ص ١٢ طـ التاسعة. دار الاعتصام ١٣٩٩ هـ.

(٧) المصدر نفسه.

**المبحث الثاني: أقسام الدعوة:**

تنقسم الدعوة إلى ثلاثة أقسام:ـ

أ ـ دعوة عامة ب ـ دعوة خاصة جـ ـ دعو لنبذ المنكر واجتنابه.

**فالدعوة العامة:** دعوة أمة محمد ﷺ جميع الأمم إلى الإسلام، وأن يشاركوهم فيما هم عليه من الهدى ودين الحق، وهذا واجب هذه الأمة بمقتضى جعلها خير أمة أخرجت للناس، وهذا مقيد بكونها:ـ

١ ـ تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

٢ ـ وتؤمن بالله.

٣ ـ وبحكم وصف الله لهم فى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [١].

فالواجب دعوة الناس إلى الإسلام، فإن أجابوا فالواجب أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر [٢].

ب ـ **الدعوة الخاصة:** هى دعوة المسلمين بعضهم بعضا إلى الخير وتمسكهم به، وتواصيهم بالحق [٣] لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [٤].

مع أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ولا يقوم بهذا الأمر إلا المتخصصون فى أمر الدين لقوله تعالى: ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [٥].

جـ ـ **الدعوة لنبذ المنكر:** أى عدم الرضا به، أو الرضوخ له، بل محاربته والوقوف فى وجهه، ويستوى فى ذلك أفراد الأمة حتى تكتب النجاة للمجتمع كله لقوله تعالى:

(١) سورة الحج:آية «٤١».
(٢) هداية المرشدين... ص «١٧».
(٣) انظر:الشيخ على محفوظ:هداية المرشدين:ص «١٧».
(٤) سورة العصر:آية «٢، ٣».
(٥) سورة التوبة:آية «١٢٢».

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ (١) وحتى ينجوا من اللعنة التى حاقت بغيرهم، كما جاء ذلك صريحا فى قوله تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٢).

**المبحث الثالث: تعريف الدعوة شرعا:**

التعريف الأول، ومناقشته:

«إن الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ حياة الأديان، وأنه ما قام دين من الأديان، ولا انتشر مذهب من المذاهب، ولا ثبت مبدأ من المبادىء إلا بالدعوة» (٣) والإسلام أمر الناس بالدعوة إلى الله ـ تعالى ـ وأول من حمل عبء رسالة الإسلام هو محمد ﷺ إذ أمره الله عز وجل بتبليغ رسالته فى قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ (٤).

فحياة كل دعوة التبليغ والبيان، وقد أفاض القرآن الكريم فى هذا الأمر فقال: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ (٥).

**فالتعريف هنا** يلخص العمل من أجل الدعوة، أى دعوة، وأى دين، وأى مبدأ، ويجوز أن يقوم أصحاب أى دعوة، أو مبدأ بالتعريف به أو الإهمال فيه، بينما لا يتفق هذا مع دعوة الإسلام، فالله يأمر العلماء أن يوضحوها للناس، ويبينوا تعاليم الإسلام وأسسه، ولا يتقاعسوا لقوله تعالى: ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ (٦).

فهم مأمورون بالبيان والتعريف، وعدم الكتمان، وإلا كان حسابهم على الله شديدا لقوله ﷺ: «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم». رواه الترمذى وابن ماجه من حديث عمرو بن أبى عمرو

(١) سورة الأنفال: آية «٢٥».
(٢) سورة المائدة: آية «٧٨».
(٣) الشيخ على محفوظ: هداية المرشدين ص «١٤».
(٤) سورة المائدة: آية «٦٧».
(٥) سورة النحل: من الآية «١٢٥».
(٦) سورة آل عمران: من الآية «١٨٧».

به، وقال الترمذى حسن [١].

ومن ثم كان انتشار دعوة الإسلام متوقفة على دعاة مخلصين يشرحون أحكامها ويبينون للناس أركانها وأهدافها، وقد كان الرعيل الأول من الصحابة رضوان الله عليهم هم الذين وقع عليهم عبء تبليغ هذه الدعوة فقاموا بها خير قيام مخلصين طائعين، فأثمرت جهودهم حتى عرفت دعوة الإسلام فى المشارق والمغارب، وأتت جهودهم بالنتائج المرجوة.

**والدعوة إلى الله في القديم والحديث لها مراتب:**

**الأولى:** مرتبة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى دعوتهم.

**الثانية:** مرتبة العلماء فى دعوتهم.

**الثالثة:** دعوة الملوك.

**أما دعوة الأنبياء** ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وهم فى المرتبة الأولى، فهؤلاء تكون دعوتهم هى الراجحة ـ

أ) لأنهم جمعوا بين الدعوة بالحجة أولا ثم الدعوة بالسيف أى الجهاد ثانيا، حماية للدعوة، ووقوفا فى وجه الطغاة، لا قهرا على دخول الناس فى الدين.فما شرع الجهاد إلا لحماية الدعوة، ومنع الاعتداء على المسلمين، وتأمينهم على دينهم وعقيدتهم، وقلما اتفق لغير المسلمين الجمع بين هذين الطريقتين.

ب) إنهم هم المبتدئون بهذه الدعوة، والعلماء يبنون دعوتهم على دعوة الأنبياء السابقين.

جـ) إن نفوسهم أقوى على تحمل المشقات، والصبر على مخالفات قومهم، فكانت نفوسهم بهذا أكمل....

د) فى نفوس الأنبياء مزيتان:١ ـ التكميل فى الذات. ٢ ـ والتكميل للغير، ومن ثم كانت قوتهم فى الدعوة إلى الله أقوى وأحكم [٢].

**أما المرتبة الثانية فهي دعوة العلماء:**.. فكل واحد من هؤلاء مطلوب منه اتباع الحق والدفاع عنه متى علمه.

(١) وأخرجه الإمام أحمد بسنده عن حذيفة بن اليمان، وقد استدل به الحافظ بن كثير فى تفسيره جـ١ ص ٣٩٠ طـ الحلبى.

(٢) انظر الشيخ على محفوظ :هداية المرشدين ص «١٤، ١٥».

**وأما المرتبة الثالثة فهي دعوة الملوك**؛ والمرتبة الثانية والثالثة مشتركتان ومتلازمتان: فاثنان فى المجتمع إذا صلحا صلح المجتمع: العلماء والأمراء.

فـ «دعوة العلماء والملوك بطريق الخلافة عن أنبياء الله تعالى، وذلك أن للأنبياء عليهم الصلاة والسلام صفتين: العلم والقدرة، والعلماء نواب الأنبياء فى العلم والملوك العادلون نواب الأنبياء في القدرة. والعلم يوجب الاستيلاء على الأرواح، والقدرة توجب الاستيلاء على الأجساد، فالعلماء خلفاء الأنبياء في عالم الروح، والملوك خلفاء الأنبياء في عالم الأجساد[(١)].

وبهذا علم أن أكمل الدرجات فى الدعوة إلى الله عز وجل بعد الأنبياء درجة العلماء. ثم هم على ثلاثة أقسام:-

١ - **العلماء بالله**، وهم الحكماء الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [(٢)].

٢ - **العلماء بصفات الله تعالى**، وهم أصحاب الأصول. أى الأصوليون [(*)].

٣ - **العلماء بأحكام الله تعالى** وهم الفقهاء [(٣)].

«ففى القرن الثانى كان الدين شغل العلماء الشاغل، فقد عكف قوم على مواعظ الدين وحكمه وآدابه وما يحض على مكارم الأخلاق وجلائل الأعمال وهم الزهاد والنساك. وقوم على تعرف أصول الدين ومعرفة وجود الله تعالى وصفاته، وإرسال الرسل، وإمكان المعجزات، وما إلى ذلك، وهم المتكلمون، وقوم على تخريج الفروع ومعرفة الحلال والحرام، واستنباط ذلك من الكتاب والسنة وهم الفقهاء»[(٤)].

**فهل يجوز القول بأن أحد هذه الأقسام أهم من الآخر؟**

**الجـــواب**: كلا، فإن «الكل على جانب عظيم من العلم والعمل والتقوى والورع،

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) سورة البقرة من الآية «٢٦٩».

(٣) هداية المرشدين ص «١٥».

(*) والأصولية تعنى: الدعوة إلى تطبيق شريعة الله سبحانه، والاحتكام إلى كتابه وسنة نبيه ﷺ، والمنـــاداة بوحدة أمته. انظر د/ يوسف القرضاوى: الثقافة العربية والإسلامية بين الأصالة والمعاصرة صـ٥٧ طـ الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م مكتبة وهبة.

(٤) المصدر نفسه ص «١٥».

والكل بحاله هذا كان داعية إلى الله تعالى.

وأما الملوك العادلون ـ وكذلك الرؤساء ـ فهم أيضا يدعون إلى دين الله تعالى بالسيف بوجهين ـ:

١ ـ إما بتحصيله عند عدمه بمحاربة الكفار المعاندين المعتدين على أهله.

٢ ـ وإما بالمحافظة عليه عند وجوده بنحو قتل المرتدين، وقمع العابثين به، والضرب على أيدى المتمردين عليه المفسدين فى الأرض.

وبالجملة فالدعوة إلى طاعة الله وتوحيده، وإرشاد الخلق إلى الصراط السوى وظيفة الأنبياء المرسلين ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ، يخلفهم فيها كبار أتباعهم، والعظماء من أولى العلم وذوى القدرة على ضبط الأمور والتأثير فى الأرواح، وجذب النفوس إلى الخير ممن يسلكون سننهم ويهتدون بهديهم [١].

## الداعي خليفة الله في تبليغ الدعوة في الأرض:

«إن الداعى إلى الله تعالى خليفة الله فى أرضه، وخليفة رسوله، وخليفة كتابه فى تبليغ شرائعه وفى بيان هديه وسننه، وفى بيان عقائده وأحكامه، وأخلاقه الكريمة، وعظاته البالغة، وأسرار التشريع» [٢].

يتضح مما سبق أن الدعوة لابد لها من دعاة مخلصين، وعلماء فاهمين، ولغويين فاقهين، وفقهاء أصوليين يتعاونون فيما بينهم على أمر واحد هو رفعة الإسلام يشرحونه للناس، يوضحون معالمه وآفاقه يساندهم فى عملهم حكام بررة، وأتقياء يشدون أزرهم ويناصرون الحق ويقمعوا صولة الباطل، ويخرسوا ألسنة الكذبة، ويقيموا حدوده وتعاليمه، فينصرهم الله ويعز جانبهم ويصلح بهم أمر الأمة، فاثنان إذا صلحا صلح المجتمع كله.

العلماء والأمراء، وهذا التعريف الذى دار حول الدعوة أقرب إلى الكمال، لاستدلالاته وواقعيته، وهو أن الدعوة إلى الله حياة الأديان......

وثمة تعريف آخر للدعوة للمرحوم الشيخ البهي الخولي صدره بهذا السؤال:

ما هى الدعوة مجردة عن التعريف الفنى والحد الاصطلاحى؟ وأجاب قائلا:

---

(١) الشيخ على محفوظ: هداية المرشدين ص «١٥، ١٦».

(٢) المصدر نفسه ص «١٦».

الدعوة: «هى نقل أمة من محيط إلى محيط» (١).

فكأنه يلخص أمر الدعوة فى كلمة موجزة بعيدة عن الحد والرسم، وأنها لا تنسجم مع قيود المنطق واحترازاته فأطلقها من هذا القيد، لأنها ربانية فى وجهتها ومنهاجها (٢).

ثم علق على هذا التعريف بقوله:

«ومن ظنها غير ذلك فقد جهل نفسه ورسالته» (٣) فهدف الدعوة اذن الأخذ بيد الأمم إلى محيطها فهدفها أن تنشىء أمة، أو تساعد على إنشائها، وأن تبنى دولة أو تساعد على بنائها، وقد استطاعت هذه الدعوة أن تغير وجه الجزيرة العربية، وتنقل أمة من محيط الجهل والتأخر إلى محيط العلم والحضارة.

**مناقشة التعريف:**

ماذا بعد أن تنقل هذه الدعوة الناس من محيط الكفر مثلا إلى محيط الإيمان؟ هل تتخلى عنها بعد ذلك؟ ثم تنفض يدها من أمرها؟ أم ماذا؟

والجواب: لا لكن التعريف لا يعطى هذه المعايشة التى يجب أن تظل مع الأمة التى نقلتها الدعوة التى يجب أن تعيش معها ترسم لها طريق الهداية والرشاد، فإذا خرج أحد من الأمة عن الطريق المرسوم ردته إليه فهى بهذا حارسة على وجدانات أتباعها ومعتنقيها.

ومن ثم فلابد من هذه الإضافة إلى التعريف: مع معايشتها فى قلب هذا المحيط ووجدانه. فيكون التعريف بعد التعديل:

**الدعـــوة:** هى نقل أمة من محيط إلى محيط مع معايشتها فى قلب هذا المحيط ووجدانه.

والأمثلة التى تؤيد هذا التعريف كثيرة منها:

الذى يؤمن بالدعوة وينتقل إليها، ولا يقوم بما تدعوه إليه، كما هو الحال فى المسلم السارق أو الزانى أو شارب الخمر، أو المرابى المهمل لتعاليمها.. الخ إن الدعوة لم تخالط وجدان هؤلاء ولم تعايشه مع أنهم مسلمون بها، وبمن جاء بها ﷺ، كما هو الحال فى كثير من المجتمعات الإسلامية. إنهم مسلمون، ومع ذلك لا تعيش دعوة الإسلام فى وجدانات كثير منهم.

(١) البهى الخولى: تذكرة الدعاة ص «٣٠».
(٢) راجع للدكتور رؤوف شلبى: الدعوة الإسلامية فى عهدها المكى ص «٣١».
(٣) البهى الخولى: تذكرة الدعاة: ص «٣٠».

بل إن جزيرة العرب انتفضت على الإسلام فى أمر الزكاة بعد أن انتقلت من محيط إلى محيط، ولكن الدعوة لم تكن قد خالطت بشاشة قلوبهم بعد، ولهذا فلابد من هذه الضميمة كما سبق ذكره.

**أما التعريف الثالث:** فيقول:«إن الدعوة إلى الله يجب أن تكون علما وعملا بلا انفكاك، ومن أخذها علما دون عمل كان كمن يدخر الأدوية فى مخزن ولا يحسن توزيعها على المرضى الذين يتضررون من حوله ألما.

ومن أخذها عملا بدون علم كان كمن يطبب المرضى بدون معرفة الطب.ومن جمع فى الدعوة بين العلم والعمل كان وارثا للأنبياء والمرسلين داعيا ناجحا»[١].

إن هذا التعريف إنما هو خاصة للآية الكريمة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ❊ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ [٢].

فهذا التعريف خاص بالداعية نصيحة له أكثر منه تعريفا بالدعوة وما تتطلبه.

فأى التعاريف يؤخذ؟ وأيها يترك؟

تتفق هذه التعاريف فيما بينها فى أنها تحاول توضيح وتعريف الدعوة، وتختلف فى الأسلوب والوسيلة.أما أقرب هذه التعاريف إلى الشمول والإحاطة فهو التعريف الثانى:«نقل الأمة من محيط إلى محيط مع ضميمة:«معايشتها فى قلب هذا المحيط ووجدانه».

فأمر الدعوة على وجه الخصوص:هى إخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الشك والتردد إلى اليقين والثبات، ومن الجهل إلى العلم ومن عبادة الإنسان إلى عبادة خالق الإنسان، ومن عبادة الذات إلى عبادة خالق الذات سبحانه فهى باختصار:

إخراج الناس من الكفر إلى الإيمان، ولا يتم ذلك إلا بالإسلام الكافى به الله فقد كل ما عداه.

ومن ثم فإن حق الدعوة على الدعاة أن يبلغوها وينشروها فى الآفاق [٣] داخل البلاد وخارجها.وإلا فما تداعت أركان ملة بعد قيامها.ولا درست رسوم طريقة بعد ارتفاع أعلامها،

---

(١) آدم عبد الله الآلورى:تاريخ الدعوة إلى الله، بين الأمس واليوم ص «٥، ٦» والمؤلف يشغل منصب مدير مركز التعليم العربى الإسلامى.اجيجى ـ نيجيريا.

(٢) سورة الصف:آية «٢، ٣».

(٣) انظر الشيخ على محفوظ، هداية المرشدين ص «١٤».

ولا تلاشت نزعة من النزعات بعد إحكامها إلا بترك الدعوة، فالدعوة حياة كل أمر عام تدعى إليه الأمم والشعوب سواء كان هذا الأمر حقا أم باطلا [١]. فإذا كان أنصار الباطل حريصين على نشره، فما أحرى أنصار الحق أن يحرصوا على إحيائه، وذيوع أمره بين العامة والخاصة.

**التعريف المختار:** الثاني، مع المحترزات أو الضميمة التى ذكرتها معه.فهو أقرب إلى الشمول والإحاطة، ومع ذلك لابد للدعوة من أصول تعتمد عليها وتعرف بها.

**المبحث الرابع:أصول الدعوة:**

ترتكز الدعوة على أصول أربعة:

١ ـ الإسلام وهو موضوعها.

٢ ـ الرسول ﷺ وهو الداعى الأول، وكل من دعا بدعوته فهو داعية.

٣ ـ المدعو

٤ ـ الوسائل والأساليب، أو الطرق والمناهج.

**موضوع الدعوة:**

أما موضوع الدعوة إلى الله سبحانه فدليلها: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [٢] والمقصود بالدعوة إلى الله الدعوة إلى دينه وهو الإسلام ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [٣] الذى جاء به الأنبياء جميعا عليهم الصلاة والسلام، وفى مقدمتهم محمد ﷺ .

**فالإسلام إذا هو موضوع الدعوة، وحقيقتها، وهذا هو الأصل الأول للدعوة.**

وكان الذي بلغ الإسلام ووضحه بأجل توضيح هو محمد ﷺ لم يدخر وسعا فى دعوة الناس إلى الله منذ أن أكرمه الله بالرسالة إلى حين انتقاله إلى الرفيق الأعلى سبحانه [٤].

---

(١) المصدر نفسه.وسيأتى أن الدعوة لا تعنى القول فقط وإنما تعنى القول والفعل يعنى لابد من الشقين معا:الشق القولى، والشق العملى حتى تؤتى الدعوة نتائجها المرجوة.

(٢) سورة يوسف:آية «١٠٨».

(٣) سورة آل عمران من الآية «١٩».

(٤) دكتور : عبد الكريم زيدان : أصول الدعوة ص ٥ طبعة عمر بن الخطاب الأسكندرة ط / الثالثة سنة ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦ م .

ومن ثم خاطب الله رسوله ﷺ قائلا: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ (١).

فهو ﷺ الداعى الأول إلى الإسلام، فالداعى إذا هو:

**الأصل الثاني للدعوة** (٢).

والذين دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام وبلغهم رسالة الله هم العرب وغيرهم لأن رسالته عامة إلى جميع البشر غير مقصورة على العرب (٣) وحدهم لقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٤).

**فالمدعو إلى الإسلام هم الأصل الثالث للدعوة** (٥):

ومن ثم قام رسول الله ﷺ بالدعوة إلى الإسلام بالوسائل والأساليب والمناهج التى أوحى الله بها إليه والثابتة فى القرآن والسنة، وهذه الوسائل والأساليب وما يتصل بها هى الأصل الرابع للدعوة(٦).

فالدعوة تقوم على ركائز أربعة:

**١ - الإسلام.**

**٢ - الدعاة وعلى رأسهم الداعي الأول وهو محمد ﷺ.**

**٣ - المدعوين إلى الله تعالى من البشر.**

**٤ - الوسائل والأساليب أو الطرق والمناهج.**

ولما كان الإسلام هو موضوع الدعوة وجوهرها، كان لابد من الحديث عنه، لأنه هو ما يهم هذه الدراسة، ولأنه هو الذى حمله الصحابة معهم إلى مصر محل البحث، والتى ستسير الدعوة على هداه، أما الدعاة، فأفردت لهم بحثًا خاصًا بهم، وضحت الأساليب والمناهج التى اتبعها الصحابة فى الفصل الرابع من الباب الثانى، أما الآن فمع الإسلام والتعاريف التى تضمنته.

---

(١) سورة الأحزاب (آية ٤٥، ٤٦).

(٢) د/ عبد الكريم زيدان : أصول الدعوة ص ٥ .

(٣) المصدر نفسه.

(٤) سورة سبأ آية ٢٨ .

(٥) انظر د/ عبد الكريم زيدان : أصول الدعوة ص ٥ .

(٦) المصدر نفسه.

**المبحث الخامس : موضوع الدعوة.. الإسلام :**

**تمهيد :**

مما سبق يتضح أن موضوع الدعوة هو الإسلام، دعوة الله الأخيرة، أو كلمة الله الأخيرة إلى البشر، جاءهم بها رسول الله ﷺ لتكون دستوراً يسيرون عليه فى حياتهم الروحية والمادية فى كل زمان ومكان، لأنها وحى الله الذى أنزله على قلب محمد ﷺ بواسطة جبريل[١] ـ عليه السلام ـ.

ولا يقتصر مفهوم الإسلام على القرآن فحسب، وإنما على الأحاديث النبوية أيضاً لقوله ﷺ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»[٢].

ومن ثم فإننا بحاجة إلى تعريف الإسلام موضوع الدعوة، وما يهدف إليه.

ولما كان الإسلام هو موضوع الدعوة التى تدور فى فلكه كان لابد من تعريفه، وهل هو خاص بمحمد ﷺ أم أنه دين الأنبياء جميعاً عليهم الصلاة والسلام؟ ثم هل ورد له تعريف واحد أم أكثر؟ ثم مناقشة هذه التعاريف، مع اختيار واحد منها، وسببه.

**تعريف الإسلام :**

للإسلام تعريفان : لغوى، وشرعى :

**أما اللغوي :** فالإسلام، والاستسلام : الانقياد.

**وأما الشرعي :** فهو إظهار الخضوع، وإظهار الشريعة والتزام لما أتى به النبى ﷺ وبذلك يحقن الدم ويستدفع المكروه.

والإسلام باللسان، والإيمان بالقلب فالمسلم له حالتان:

**الأولى:** المستسلم لأمر الله تعالى،

**والثانية :** هو المخلص لله العبادة من قولهم: سلم الشىء لفلان أى خلصه وسلم له الشىء أى خلص له[٣].

---

(١) انظر للشيخ البهى الخولى : تذكرة الدعاة ص ١٤ .

(٢) رواه الإمام أحمد فى مسنده جـ ٤ ص ١٣٠ ، ١٣١، وأبو داود فى السنن جـ ٤ ص ٣٢٨ من حديث المقدام بن معديكرب، ورواه الترمذى من حديثه أيضاً جـ ٢ ص ١١١، ولمزيد من البيان راجع لفنسنك : مفتاح كنوز النسة : ترجمة محمد فؤاد عبد الباقى . المقدمة .

(٣) لسان العرب : مادة (سلم) .

فالإسلام إظهار الخضوع والقبول لما يأتى به سيدنا محمد ﷺ وبه يحقن الدم فإن كان مع ذلك الإظهار اعتقاد وتصديق بالقلب فذلك الإيمان الذى هذه صفته فأما من أظهر قبول الشريعة واستسلم لدفع المكروه فهو فى الظاهر مسلم وباطنه غير مصدق فذلك الذى يقول: أسلمت، لأن الإيمان لابد من أن يكون صاحبه صدّيقاً، لأن الإيمان: التصديق، فالمؤمن مبطن من التصديق مثل ما يظهر[1].

والمسلم التام الإسلام : مظهر للطاعة مؤمن بها، والمسلم الذى أظهر الإسلام تعوذاً غير مؤمن فى الحقيقة إلا أن حكمه فى الظاهر حكم المسلم[2].

**وتعريف المؤمن بأنه المصدق، لأن الإيمان مأخوذ من الأمانة،** لأن الله تعالى تولى علم السرائر. وجعل ذلك أمانة إئتمن كل مسلم على تلك الأمانة فمن صدق بقلبه ما أظهر لسانه فقد أدّى الأمانة واستوجب كريم المآب إذا مات عليه، من كان قلبه على خلاف ما أظهر بلسانه فقد حمل وزر الخيانة والله حسبه[3].

وإنما قيل للمصدق مؤمن، وهو قد آمن، لأنه دخل فى حد الأمانة التى ائتمنه الله عليها، وبالنية تنفصل الأعمال الزاكية من الأعمال البائرة، ألا ترى أن النبى ﷺ جعل الصلاة إيماناً والوضوء إيماناً[4]. لقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ [5]، أى صلاتكم فما كان الله ليضيع محمداً ﷺ وانصرافكم معه حيث انصرف[6].

وقوله : ﴿ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ﴾ أنفسهم لله، فليس لهم فى أنفسهم شىء إنما هى كلها لله، فليست لهم مشيئة ولا سلطة، ولا دعوى فى خصيصة من خصائص الألوهية، وهذا هو الإسلام فى معناه الأصيل[7]. فكل نبى بعث بالإسلام، غير أن الشرائع تختلف[8].

فالله سبحانه أنزل التوراة وأنزل فيها قانوناً للأحكام .

﴿ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ ﴾ موسى ومن بعده من أنبياء بنى إسرائيل . . وهم الذين أسلموا وجوههم

(١) المصدر السابق نفسه . (٢) المصدر نفسه .
(٣) المصدر نفسه . (٤) المصدر نفسه .
(٥) سورة البقرة : من الآية ١٤٣ .
(٦) راجع تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٩٢ ط الحلبى .
(٧) انظر تفسير : فى ظلال القرآن جـ ٢ ص ٨٩٦ .
(٨) ابن منظور لسان العرب مادة (سلم) .

لله مخلصين له الدين على ملة إبراهيم ـ عليهم السلام ـ فالإسلام دين الجميع فكل ما استحدث اليهود والنصارى من أسباب التفرق فى الدين فهو باطل وضلال مبين(١).

**هل يجوز تحكيم التوراة فيما وقع بين اليهود؟**

ربما فقد حكم ﷺ بما فى التوراة، حينما احتكم إليه اليهود فى أمر رجل وامرأة زنيا فسألهما ﷺ «ما تجدون في التوراة من شأن الرجم»؟ فقالوا: نفضحهم ويجلدون، قال عبد الله بن سلام : كذبتم إن فيها الرجم، فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام : ارفع يدك، فرفع يده فإذا آية الرجم فقالوا: صدقت يا محمد فيها آية الرجم فأمر بهما فرجما(٢).

وفى رواية أخرى : فى قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ فكان النبى ﷺ منهم(٣).

وقد أخرج الإمام أحمد بسنده : عن البراء بن عازب قال: مر على رسول الله ﷺ يهودى محمم(٤) مجلود فدعاهم فقال: «أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟».

فقالوا : نعم ، فدعا رجلاً من علمائهم فقال: «أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟» فقال: لا، والله لولا أنك نشدتنى بهذا لم أخبرك، نجد حد الزانى فى كتابنا الرجم، ولكنه كثر فى أشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، فقلنا: تعالوا، حتى نجعل شيئًا نقيم على الشريف والوضيع فاجتمعنا على التحميم والجلد. فقال النبى ﷺ : «اللهم إني أول من أحيا أمرك إذا أماتوه»(٥).

قال: فأمر به فرجم(٦). . . أما الحديث الذى جاء فى المسند برقم ٧٧٤٧ وأن النبى ﷺ رجم يهوديًا ويهودية بعد أن احتكم اليهود إليه بشأنهما وجاء حكمه موافقًا لما فى التوراة، ليس معناه أنه ﷺ يحكم بما فى التوراة، بل هو احتجاج به عليهم والحكم بما فى دينهم،

---

(١) انظر رشيد رض : تفسير المنار جـ ٦ ص ٣٢٩ .
(٢) تفير ابن كثير : جـ ٢ ص ٥٨ .
(٣) رواه أحمد وأبو داود، وانظر ابن كثير جـ ٢ ص ٥٩ والآية من سورة المائدة ٤٤ .
(٤) تقول: حممت تحميمًا إذا سودته بالفحم. راجع لأحمد الفيومى: المصباح المنير . مادة حمم.
(٥) الحديث استدل به الحافظ ابن كثير فى تفسيره جـ ٢ ص ٥٨ ، ٥٩ ، وأورد له عدة روايات.

وشريعتهم لا يكون علة للحكم[١].

والقول بأن رسول الله ﷺ حكم فيهم بحكم التوراة، واضح به فى إجازة أن يقضى القاضى فى قضاياهم بأحكامهم خطأ ممن قاله شنيع، وجهل وغفلة!!.

**فأما أولاً:** فإن هذا الحديث ضعيف . . كما قال الخطابى والمنذرى .

**وأما ثانياً:** فإن رسول الله ﷺ ، إنما يحكم بينهم بما يحكم به بين المسلمين، بما شرعه الله له، وأنزله عليه، كما أمره ربه بذلك. ونهاه ربه أن يتبع أهواءهم، أو يرجع إليهم فى شريعتهم، وإنما أرجعهم إلى التوراة فى هذه الواقعة وهى ثابتة بغير هذه الطريق الضعيفة لما يلى:

أ ـ إقامة الحجة عليهم .

ب ـ وفضيحة لهم في تلاعبهم بدينهم وبكل دين.

ونحن إنما أردنا باتباع هذا الرسول ﷺ الذى جاءنا بكتاب مهيمن على ما بين يديه من الكتاب لا تابعاً لهم، ولا آخذاً منهم شيئاً[٢].

واقرأ الآيات من سورة المائدة التى أشار الزهرى ـ راوى هذا الحديث فى آخر روايته إلى بعضها، فاقرأها من أول الآية : ٤١ من سورة المائدة تجد : ﴿ يا أَيُّها الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ إلى آخر الآية : ٥٠ ـ تجد فيها مثلا : ﴿ وَأَنزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فاحْكُم بَيْنَهُم بِما أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ عَمَّا جاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ لِكُلٍّ ثم قوله تعالى : ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِما أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ واحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ ما أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ . أفبعد هذا البيان بيان؟!؟[٣].

«فمن زعم أنه يجوز للمسلم أن يحكم بين أهل الكتاب بشرعهم، وهم ليس لهم شرع يعرف، بل هى أهواء الفرق والطوائف منهم : فقد خالف أمر الله، ولا يقبل عذره إذا اعتذر فإن أصر على ذلك خرج من الإسلام يقيناً. ومن حكم بغير ما أنزل الله عامداً عارفاً بذلك فهوكافر، ومن رضى عن ذلك، وأقره فهو كافر. سواء أحكم بما يسمى «شريعة أهل الكتاب» أم حكم بما يسمى «تشريعاً وضعياً».

---

(١) راجع مسند الإمام أحمد جـ ١٤ ص ١٨٣ هامش ط دار المعارف .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه، وراجع فى المسند الأحاديث رقم : ٤٤٩٨ ، ٢٣٦٨ .

فكله كفر وخروج من الملة. أعاذنا الله من ذلك»[١].

ومن ثم فلا يجوز تحكيم التوراة فيما يقع بين اليهود لما لحقها من تحريف، وتبديل، ولأن القرآن جاء بكل ما يحتاج إليه البشر على اختلاف جنسياتهم.

وقوله: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾[٢] دعاء لإبراهيم وابنه إسماعيل - عليهما السلام. أي أراد مخلصين لك، «فعدا باللام إذ كان فى معناه، وكان فلان كافراً ثم تسلم أى أسلم»[٣].

وقوله: ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾.

عنى به الإسلام، وشرائعه كلها، وقرئ: ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ يذهب بمعناها إلى الإسلام، والسلم الإسلام قال الأحوص:

فذادوا عدو السلم عن عقر دارهم ... وأرسوا عمود الدين بعد التمايل

وقول امرئ القيس بن عابس:

فلست مبدلاً بالله ربا ... ولا مستبدلاً بالسلم دينا[٤]

فمادة الإسلام (سلم) وتأتى على أكثر من معنى:

١ - تكون بمعنى الخلوص والتعرى من الآفات الظاهرة أو الباطنة.

٢ - كما تأتى معنى الصلح والأمان.

٣ - وتأتى كذلك بمعنى الطاعة والإذعان.

فالإسلام، وقد يسمى السلم - بكسر السين أو بفتحها - كما سبق - فهذه الأسماء الثلاثة هى ألفاظ عربية لما معان هى حقائق لغوية، ولما استعمل القرآن هذه الألفاظ فى الدلالة على الدين الإسلامى كان ذلك تصرفا فى المعنى اللغوى الأصلى، وقد جرى عرف العلماء تسمية الألفاظ المستعملة فى المعانى الشرعية (بالأسماء الشرعية) وهذه الأسماء الشرعية متفرعة عن المعانى اللغوية ووثيقة الصلة بها[٥].

---

(١) المصدر نفسه، وراجع تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ١٥٦ .
(٢) سورة البقرة : من الآية ١٢٨ .
(٣) لسان العرب : مادة (سلم).
(٤) المصدر نفسه .
(٥) انظر عفيف طبارة : روح الدين الإسلامى ص ١٣ .

نعود إلى تعريف الإسلام شرعًا:

**أما تعريف الإسلام شرعًا فهو :**

«توحيد الله والانقياد والخضوع، وإخلاص الضمير له والإيمان بالأصول الدينية التي جاءت من عند الله[١] تعالى. على لسان من ؟ وهل يعتبر هذا التعريف عام يشمل كل ما جاء به الأنبياء السابقون ـ عليهم الصلاة والسلام ـ قبل محمد ﷺ ؟ أم يشمل ما جاء به محمد ﷺ أيضاً ؟

إن كان التعريف يعنى هذا كله، فإننا نريد تعريفاً محدداً باسم الإسلام الدين الخاتم، ومن ثم لا نجد هذا التحديد إلا فى حديث جبريل ـ عليه السلام ـ الذى عرف الإسلام بطريق التعليم والإرشاد حينما جاء إلى رسول الله ﷺ على هيئة أعرابى يسأله، والصحابة من حوله يسمعون، ويتعلمون أمور دينهم.

قال جبريل: يا محمد أخبرنى عن الإسلام؟ فقال ﷺ: « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا»[٢].

فهذا التعريف خاص بالإسلام، وشامل للأغراض التى يطلبها الدين، فكل من يدين بدين غير الإسلام ويدعى النجاة ولم يقر بهذا التعريف ويجريه على نفسه، فلا تنفعه عقيدته عند الله حيث ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾[٣] وحيث إن الأمر كذلك ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[٤] وهذا هو التعريف الثانى .

**وهناك تعريف ثالث يقول: إن الإسلام:**

هو الخضوع والاستسلام والانقياد لله رب العالمين، ويشترط فيه أن يكون اختياريًا لا قسريًا، لأن الخضوع القسرى لله رب العالمين. أى لسننه الكونية أمر عام بالنسبة لجميع المخلوقات، ولا ثواب فيه ولا عقاب[٥]. لقوله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي

(١) المصدر نفسه ص ١٣ .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان جـ ١ ص ٢٢ ص/ الحلبى . (متن) كما ورد فى صحيح البخارى باب سؤال جبريل النبى ﷺ فليرجع إليه من شاء .

(٣) سورة آل عمران من الآية ١٩ .

(٤) سورة آل عمران من الآية ٨٥ .

(٥) انظر د/ عبد الكريم زيدان ـ أصول الدعوة ص ٨ .

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾(١).

فكل مخلوق خاظع لله ولسنته فى وجوده وبقائه وفنائه، والإنسان كغيره من المخلوقات فى هذا الخضوع القسرى. أما الخضوع الاختيارى لله رب العالمين فهذا هو جوهر الإسلام المطالب به الإنسان، وعليه يكون الثواب والعقاب ومظهره الانقياد التام لشرع الله بتمام الرضى والقبول، وبلا قيد ولا شرط ولا تعقيب، ومن ثم كان الإسلام بهذا المعنى هو دين الله المرضى عنده وأوحى به إلى رسله الكرام وبلغوه إلى الناس.

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ (٢).

وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ (٣).

وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ (٤).

**الإسلام اختيار الله للبشرية :**

لما كان الإسلام هو اختيار الله للبشرية منذ الخليقة، أقر به كل الأنبياء والمرسلين جميعاً – عليهم الصلاة والسلام – أثبت ذلك القرآن الكريم على ألسنة هؤلاء الأنبياء والمرسلين – عليهم الصلاة والسلام – بأنهم كانوا مسلمين ، فهذا إبراهيم ويعقوب عليهما السلام يقدمان هذه الوصية لبنيهم: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (٥).

والحواريون يطلبون الاشهاد على إسلامهم قائلين: ﴿ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٦).

---

(١) سورة آل عمران (آية ٨٣).
(٢) سورة آل عمران من الآية ١٩ .
(٣) سورة آل عمران من الآية ٨٥ .
(٤) سورة لقمان : آية ٢٢ .
(٥) سورة البقرة : آية ١٣٢ ، ١٣٣ .
(٦) سورة آل عمران من الآية ٥٢ .

وكذلك: ﴿ قالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ ﴾(١).

ونوح عليه السلام يقول لقومه: ﴿ فإن تولَّيتُم فما سألتُكم مِنْ أجرٍ إنْ أجريَ إلاَّ على اللَّهِ وأُمِرْتُ أنْ أكونَ منَ المُسْلمينَ ﴾ (٢).

وموسى عليه السلام يقول لقومه: ﴿ إن كُنتُم آمنتُم بِاللَّهِ فعليه توكَّلُوا إن كُنتُم مُسْلمينَ ﴾(٣).

حتى فرعون ينطق بها قائلا: ﴿ ... آمنتُ أنَّهُ لا إله إلاَّ الَّذي آمنتْ به بَنُو إسْرائيلَ وأنَا منَ المُسْلمينَ ﴾ (٤).

ويوسف عليه السلام يدعو ربه قائلا: ﴿ توفَّني مُسْلمًا وألْحقْني بالصَّالحينَ ﴾ (٥).

حتى ملكة سبأ تخضع للحق وتقول: ﴿ وأسْلمْتُ مع سُلَيْمانَ للَّه رَبِّ الْعَالمينَ ﴾ (٦).

حتى الجن قالوا: ﴿ منَّا الْمُسْلمُونَ ومنَّا القَاسطُونَ فمَنْ أسْلمَ فأُولَئكَ تحرَّوْا رَشَدًا ﴾ (٧).

ولمزية هذه التسمية وأهميتها وشرفها عند الله أطلقها على المسلمين فقال: ﴿ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلمينَ من قَبْلُ ﴾ (٨).

ويأتي خاتم النبيين والمرسلين محمد ﷺ فيقول: ﴿ قُلْ إنِّي أُمرْتُ أنْ أعْبُدَ اللَّهَ مُخْلصًا لَّهُ الدِّينَ * وأُمرْتُ لأنْ أكُونَ أوَّلَ الْمُسْلمينَ ﴾ (٩) ومن ثم فإن «الإسلام فى لغة القرآن ليس اسما لدين خاص وإنما هو اسم للدين المشترك الذى هتف به كل الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وانتسب إليه كل أتباع الأنبياء» (١٠) كما نستخلص من الآيات السابقة ما يلى :ـ

---

(١) سورة المائدة : آية ١١١ .
(٢) سورة يونس اية ٧٢ .
(٣) سورة يونس :آية ٨٤ .
(٤) سورة يونس من الآية ٩٠ .
(٥) سورة يوسف من الآية ١٠١ .
(٦) سورة النمل من الآية ١١،١٢ .
(٧) سورة الجن :آية ١٤ .
(٨) سورة الحج :آية ٧٨ .
(٩) سورة الزمر :آية ١١،١٢ .
(١٠) د .محمد عبد الله دراز:الدين...ص ١٨٣ ، ومابعدها. ط ١٣٨٩ ـ ١٩٦٩ .

أ ـ أن كل نبي كان يعلن عن إسلامه أمام قومه، ويبرأ منهم إن لم يتبعوه، ثم يطلب منهم أن يشهدوا على إسلامه، فالأنبياء جميعا أسلموا مقادهم لله تعالى، وأن أحسن ما **قالوه :إنهم مسلمون فمن لم يدخل في الإسلام فقد شذ عن دين نبيه.**

ومن ثم فإن عيسى ـ عليه السلام ـ أراد اختبار أصحابه ليميز المؤمن من الكافر فيقول القرآن: ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (١).

**سبب حرص أمة الإسلام اليوم على دينها:**

لأنها امتداد لإسلام الأنبياء جميعا، وارثة لدينهم ومحافظة على عقيدتهم، وقد اصطفاها الله عز وجل بخاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ فهم بحرصهم عليه وعلى ما جاء به يكونوا سادة الدنيا والآخرة.

ب ـ إن هذه التسمية من عند الله، وليست من اجتهاد رسول أو ملك لقوله تعالى: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾(٢) .وفي هذه الآية إشارة إلى قول على بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ وهو الإسلاك أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبدا، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبدا، وقد رضيه فلا يسخطه أبدا (٣).

كما تشير الآية أيضا أن الإسلام كل لا يتجزأ، ولولا أن المراد بالدين جملته ومجموعه لما قال: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ .

هذا وأن قول ابن عباس رضي الله عنه السابق:أن الله أكمله فلا ينقصه أبدا أثبت وأظهر (٤).

والسؤال الآن هو:لم خص لفظ «الإسلام» بالدين الذى جاء به محمد ﷺ؟ الجواب ـ

لأنه مبني على الاختيار الشخصي الذي لا قسر فيه، فمن دخل في الإسلام دخل بمحض إرادته وطاعته لا إكراه لأحد عليه، ومن ثم خص لفظ الإسلام بالدين الذي جاء

(١) آل عمران:آية ٥٢ .
(٢) عفيف طبارة:روح الدين الإسلامى ص ١٣، والآية رقم ٣ من سورة المائدة.
(٣) تفسير ابن كثير جـ٢ ص ١٢ .
(٤) تفسير المنار:الشيخ رشيد رضا.جـ٦ ص ١٣٨ طـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ .

به محـمد ﷺ من ربه، كما أن الانقياد التام يكون له بدون قيد ولا شرط، وبهذا الانقياد يظهر خضوع الإنسان لله رب العالمين خضوعا اختياريا، وهذا هو جوهر الإسلام، ولهذا المعنى الخاص للإسلام [(١)] نزل قوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [(٢)].

فالله سبحانه هو الذي اختار الإسلام دينا لأمة محمد ﷺ «فيكون الإسلام بمعناه الخاص هو المطلوب عند اطلاق هذا الاسم، وهو الخضوع الاختياري لله رب العالمين، ومظهره الانقياد لشرع الله الذي أوحاه إلى رسوله محمد ﷺ وأمره بتبليغه إلى الناس»[(٣)] جميعا.

**التعريف الرابع:**

يقول: بأن الإسلام هو:ـ

«النظام العام والقانون الشامل لأمور الحياة ومناهج السلوك للإنسان التى جاء بها محمد ﷺ من ربه وأمره بتبليغها إلى الناس، وما يترتب على اتباعها أو مخالفتها من ثواب أو عقاب»[(٤)] قال تعالى:ـ

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [(٥)].

فالدين هنا يتضمن المعانى التى ذكرتها ويستلزم غيرها، وهى بمجموعها تعنى الإسلام الذى جاء به محمد ﷺ من رب العالمين [(٦)]. وهذا تعريف للخاصة، الذين يعكفون على بحثه وتوضيحه للناس.

**التعريف الخامس:**

يفيد بأن الإسلام هو: «ما أنزل الله تعالى على رسوله محمد ﷺ من أحكام العقيدة

---

(١) د/ عبد الكريم زيدان: أصول الدعوة ص ٥٩ .
(٢) سورة المائدة: آية ٣ .
(٣) أصول الدعوة ص ١٩ .
(٤) المصدر نفسه ٥ .
(٥) سورة آل عمران: آية ٨٥ .
(٦) د/ عبد الكريم زيدان: أصول الدعوة ص ٩ .

والأخلاق والعبادات والمعاملات، والإخبارات فى القرآن الكريم والسنة المطهرة، وقد أمر الله تعالى بتبليغها إلى الناس» [(١)].

وما أنزله الله عليه هو القرآن والسنة وفيهما جميع الأحكام التى ذكرناها وهى دين الله وهى الإسلام» [(٣)].

وهذا تعريف شامل يحتاج إلى أن يستخلص منه النتائج بعد بسطها، لكن بعد ذكر التعريف السادس للإسلام.

**التعريف السادس:**

أما هذا التعريف فيخبرنا بأن الإسلام:«هو الأجوبة الصحيحة الحقة لثلاثة أسئلة شغلت عقول البشر فى القديم، وفى الحديث، وترد على فكر كل إنسان كلما خلد بنفسه وسرح خواطره فى أمور الحياة، أو شيع ميتا أو شاهد قبورا هذه الأسئلة هى:

من أين جئنا؟ ولماذا جئنا؟ وإلى أين المصير؟ والأجوبة الصحيحة لهذه الأسئلة التى أخبر بها رسول الله ﷺ تكون بمجوعها وتفصيلاتها الإسلام» [(٤)] كما يلى:-

**فعن السؤال الأول يقول القرآن:**

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [(٥)]. ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [(٦)].

---

(١) د/ عبد الكريم زيدان:أصول الدعوة ص ١٠ .
(٢) سورة المائدة:آية ٦٧ .
(٣) أصول الدعوة ص ١٠ .
(٤) د/ عبد الكريم زيدان:أصول الدعوة ص ١٠ .
(٥) سورة الحج:آية ٥،٦ .
(٦) سورة المؤمنون:آية ١٢ ـ ١٤ .

﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾[١].

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا * إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [٢].

﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ [٣].

فهذه الآيات الكريمة وأمثالها فى القرآن تبين مراحل خلق الإنسان وأنه فى الأصل لم يكن شيئا مذكورا، بل كان معدوما فخلقه الله من تراب، ثم جعل نسله من ماء مهين على النحو الذى ذكر فى هذه الآيات، فمن جهة خلق الإنسان الأول وهو آدم عليه السلام كان خلقه من طين أو تراب، ومن جهة خلق نسله وذريته كان خلقه من: ﴿ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴾[٤].

أى من الماء الدافق الذى يخرج من بين الصلب والترائب [٥].

**وعن السؤال الثاني:** يقول الله فى كتابه العزيز:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [٦].

والعبادة تتضمن معرفة الله ومحبته، والخضوع له واتباع مناهجه التى وضعها للإنسان لتكميل نفسه ورفعها إلى المستوى اللائق بها والمستعدة له ليظفر بالسعادة الحقيقية هنا وهناك فى الدنيا والآخرة.فالإنسان خلق لعبادة الله بمعناها...[٧] الشامل.

(١) سورة السجدة:آية ٧ ـ ٩ .
(٢) سورة الإنسان:آية ١، ٢ .
(٣) سورة الطارق:آية ٥ ـ ٧ .
(٤) سورة القيامة:آية ٣٧ .
(٥) انظر:د/ عبد الكريم زيدان:أصول الدعوة ص ١١ .
(٦) سورة الذاريات:آية ٥٦ .
(٧) د / عبد الكريم زيدان:أصول الدعوة ص ١١ .

**أما السؤال الثالث فيقول الله تعالى:**

﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ ﴾ [١].

﴿ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [٢].

﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [٣].

﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴾ [٤].

﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴾ [٥].

فهذه الآيات الكريمة تبين مصير الإنسان بعد انقضاء حياته من على هذه الأرض وهو أنه راجع إلى خالقه لمجازاته على أعماله فى الدنيا، وإدخاله الدار التى تلائمه، فإن كان قد زكى نفسه بعبادة الله.وصار من الطيبين فنزله فى دار الطيبين ـ الجنة ـ وإن كان قد دنس نفسه ولوثها أقذار المعصية وأبقى خبثها فنزله فى دار الخبيثين [٦] ـ جهنم.

**أما التعريف السابع والأخير في هذه السلسلة فيقول بأن:**

«الإسلام هو روح الحقيقة للإنسان والنور الهادى له فى دروب الحياة، والشفاء الكافى الوافى لأمراض البشرية، والصراط المستقيم الذى لا يضل من سلكه وسار فيه» [٧].

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [٨].

وقوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٩].

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾ [١٠].

---

(١) سورة الانشقاق:آية «٦» .
(٢) سورة الروم:آية «١١» .
(٣) سورة الزمر:من الآية« ٧ ».
(٤) سورة النجم:«٤٢» .
(٥) سورة العلق:آية «٨».
(٦) انظر د/ زيدان:أصول الدعوة ص «٥١٢».
(٧) المصدر نفسه.
(٨) الشورى:آية «٥٢».
(٩) سورة الإسراء:آية «٨٢».
(١٠) سورة فصلت:آية «٤٤».

«ومن الواضح أن هذا التعريف تعريف للإسلام ببعض صفاته اللاصقة به التى لا تنفك عنه، وعلى هذا يمكن تعريفه بذكر أوصافه الأخرى كأن نقول:الإسلام هو دين الفطرة لقوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

كما يمكن أن نقول فى تعريفه:الإسلام دين التوحيد، أو دين العلم، أو دين العدل، لأن فيه هذه المعانى على أتم الوجوه، ويدعو إليها ويؤكد عليها...» (٢).

**مناقشة هذه التعاريف:**

وعند مناقشة هذه التعاريف التى سبقت الإشارة إليها نراها واضحة لا تحتاج إلى كد الذهن أو إقلاق الفكر، بل هى واضحة وضوح الإسلام فى تعاليمه وأحكامه وعباداته، بيد أن هناك ملاحظتان على هذه التعاريف:ـ

**الأولــــى:** أن هذه التعاريف سيقت للتقريب، والتوضيح، وليست للتقعيد والكمال، بحيث يكون كل منها قاعدة جامعة مانعة والدليل اختلافها وتنوعها، فإن كل تعريف منها يدور فى فلك محيطه محاولا تقريب الإسلام إلى الذهن والفهم.

فهى بمجموعها تشرح مدلول الإسلام وفى النهاية لابد من اختيار إحداها.

**الثانية والأخيرة:** تدل كثرة التعاريف على تعدد الفهم للإسلام وأن قرائح الباحثين لا تكف عن البحث والاجتهاد، ومن ثم فإن كل تعريف يحاول الفوز بالقبول والرضا، ومع ذلك فكلها تكاد تتقارب معانيها، وإن اختلفت ألفاظها وهذا القدر من الاختلاف لا يؤثر فى وحدة مضمون التعاريف ودلالتها على معنى الإسلام (٣).

**فهل من فائدة من تعدد تعاريف الإسلام؟**

والجواب:إن الغرض من إيراد التعاريف المتعددة للإسلام:هو أن يجد ـ الداعى للإسلام والمشتغل به ـ بين يديه جملة من التعاريف يختار منها ما يناسب مقتضى حال المدعو، من جهة، ومدى فهمه، وثقافته وعلمه، وسلامة فطرته من جهة أخرى، ونوع الشبهات التى

(١) سورة الروم:آية «٣٠».
(٢) د/ عبد الكريم زيدان:أصول الدعوة ص «١٣».
(٣) د/ عبد الكريم زيدان:أصول الدعوة ص «١٤».

غشيت قلبه، والمعانى التى هو بحاجة إلى معرفتها عن الإسلام أكثر من غيرها.

فالشخص الحائر الذى قرأ ما يسمى بالفلسفة فاشتبهت عنده الأمور يناسبه إذا سئل عن الإسلام أن يجاب بالتعريف السادس وهو أن الإسلام هو الأجوبة الصحيحة الحقة لما يرد على الذهن من أسئلة.

من أين جئنا؟ ولماذا؟ وإلى أين المصير؟ (١) كما يستصحب معه قول الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (٢).

كما أن المشتغل بالأمور القانونية والعلوم الاجتماعية يناسبه عندما يسأل ما هو الإسلام؟ أن يجيب بالتعريف الرابع.

وغير المسلم إذا دعى إلى الإسلام وسئل عنه يجاب بالتعريف الثانى وهو:أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله الخ (٣).

وعندما يسئل عن تعريف الإسلام الخاص يجيب بالتعريف الرابع حيث أظهر جوهر الإسلام وأنه الانقياد والخضوع لله رب العالمين خضوعا اختياريا.

وإذا أراد أن يجيب عن مدى تبليغ الإسلام جملة وتفصيلا أجاب بالتعريف الخاص حيث إن ما أنزله الله على رسوله من القرآن والسنة فيهما جميع الأحكام التى تفيد العباد والبلاد.

وإذا أحب أن يبين جانبا من جوانب الإسلام المضيئة – وكل جوانب الإسلام مضيئة – أجاب بالتعريف السابع حيث قال فيه:إنه النور الهادى، والصراط المستقيم، الذى لا يضل من سلكه، وقد جاء فى دستور الإسلام:

﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ (٤). وبعد هذه المناقشة الموجزة نخلص منها بالتعريف المختار، وهو التعريف الثانى لأنه أساس بيان أركان الإسلام، وإنه الذى جاء به جبريل عليه السلام، كما أنه يتضمن جميع مافى التعاريف الأخرى من معان (٥). فهو بهذا

---

(١) المصدر السابق ص «١٥» بتصرف.

(٢) سورة المؤمنون:آية «١١٥».

(٣) د/ عبد الكريم زيدان:أصول الدعوة ص «١٥» بتصرف.

(٤) سورة الزمر:من الآية «٢٢».

(٥) انظر:د/ عبد الكريم زيدان:أصول الدعوة ص «١٥».

أشمل وأعم، وهو الأساس وغيره تبع له .

ولما كان المسلمون فى أمس الحاجة إلى معرفة الإسلام معرفة مستمرة وخالصة.

كان لابد من اجتماعهم فى مكان يتلقون فيه هذا النبع الصافى، والقول الشافى، وكان لابد لهم من مسجد، أو أكثر، يتعلمون فيه أمور دينهم، وينشروا منه دعوة الإسلام خاصة فى ربوع مصر، فماذا عن مساجد مصر، ودورها فى نشر دعوة الإسلام؟

## الفصل الثاني
## « المساجد ودورها في نشر الدعوة في مصر »

ويضم تمهيداً:

وأربعة مباحث:

المبحث الأول: بناء المساجد ومكانتها.

المبحث الثاني: تمكن المسلمين من بناء المساجد ... في مصر.

المبحث الثالث: ترجمة لمساجد الصحابة في مصر.

المبحث الرابع: دور حملة القرآن من الصحابة في مصر.

**التمهيد:**

للمسجد فى الإسلام مكانة عظيمة، مستمدة من ثناء الله عز وجل عليه، وحب رسول الله ﷺ له، ومن ثم كان له عند المسلمين قدسية خاصة فاعتنوا بإقامته، وتشييده، وتعميره بالركع السجود، وأى جماعة مسلمة قامت فى مكان ما، وأمكنهم إقامة مسجد، ولم يقيموه، ولم يقم بينهم مؤذن يؤذن للصلاة، أثموا جميعا، لأن وجود المسجد علامة على وجود الجماعة المسلمة التى ارتضت الإسلام دينا.

وهذا الفصل اقتضى تقسيمه إلى أربعة مباحث :ـ

**المبحث الأول: بناء المساجد ومكانتها:**

اهتم المسلمون فى الأقطار التى كانوا يفتحونها، بإقامة المساجد، اقتداء بما فعله رسول الله ﷺ، عندما هاجر من مكة إلى المدينة، فكان أول عمل قام به، هو إقامة بيت لله تقام فيه الصلاة، وقد ورد ذكر ذلك فى القرآن الكريم فقال سبحانه:

﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ (١).

وهو مسجد قباء الذى أسسه ﷺ أول مقدمه المدينة، ونزله على بنى عمرو بن عوف، وقيل مسجد رسول الله ﷺ (٢).

وقد أثنى الله على عمّار بيوته فقال: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٣).

كما شهد الله و رسوله ﷺ لمن يرتاد المساجد بالإيمان.

فقد أخرج الإمام أحمد بسنده عن أبى سعيد الخدرى، أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) سورة التوبة:آية «١٠٨».

(٢) راجع لابن كثير:تفسير القرآن العظيم جـ٢ ص «٣٨٩، ٣٩٠».

(٣) سورة النور:آية «٣٦ ـ ٣٨».

«إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد، فاشهدوا له بالإيمان» [١] فإن الله عز وجل قال: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَىٰ أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ [٢].

وكل عسى في القرآن فهي واجبة، قال محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله: وعسى من الله حق قال الله لنبيه: ﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [٣].

وهي الشفاعة [٤]. من أجل هذه المكانة التي خصها الله لبيوته حرص المسلمون على إقامتها وعمارتها. كذلك اهتمت السُّنة بالمساجد وفضلها، فعن عثمان بن عفان ﷺ أنه قال: عند قول الناس فيه حين بنى مسجد رسول الله ﷺ إنكم أكثرتم عليَّ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من بنى مسجدًا يبتغي به وجه الله. بنى الله له بيتًا في الجنة» وفي رواية: «بنى له مثله في الجنة» [٥].

وعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من بنى لله مسجدًا قدر مفحص قطاة بنى الله له بيتًا في الجنة» [٦].

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من بنى لله مسجدًا يذكر فيه بنى الله له بيتًا في الجنة» [٧].

إلى غير ذلك من الأحاديث التي أشادت بإقامة بيوت الله في الأرض.

فلا غرو والحالة هذه أن يهتم المسلمون بأعز تراث، وأغلى حضارة شادها المسلمون

---

(١) رواه الترمذي، وابن مردويه، والحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن وهب، وقد استدل به الحافظ ابن كثير في تفسيره: جـ٢ ص «٣٤٠».

(٢) سورة التوبة: آية «١٨».

(٣) سورة الإسراء: آية ٧٩، وراجع تفسير ابن كثير: جـ ٢ ص ٣٤١.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) رواه مسلم في صحيحه: باب فضل بناء المساجد جـ ٢ ص ٥٩ (متن).

(٦) رواه البزار، واللفظ له، والطبراني في الصغير، وابن حبان في صحيحه، وفي المسند شرح الشيخ أحمد شاكر جـ ٤ ص ٢٢ رقم ٢١٥٧، ولفظه «من بنى لله مسجدًا ولو كمفحص قطاة لمبيضها بنى الله له بيتًا في الجنة»، ومفحص قطاة: المكان الذي يضع الطائر فيه بيضه، والقطاة: العصفورة ونحوها، راجع للمنذري الحافظ ولي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري: الترغيب والترهيب جـ ١ ص ١٢٩ هامش ط الأوقاف.

(٧) الترغيب والترهيب جـ ١ ص ١٢٩.

وشاركوا فى إقامتها حتى امتد هذا التراث إلى الهند شرقًا، وإلى المحيط الأطلسى غربًا . . وقد ارتبط تراث الإسلام بتشييد المساجد، وعمارتها، فأقبل عليها العلماء والفقهاء، والأئمة والأدباء، يأنس إليها ابن السبيل والمسكين، كما يرفع صوته فيها الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر، والداعى إلى الخير، فالمساجد .رسالتها دين وخلق وهدى ونور، مكان المتهجد، ومدرسة الدارس، وإدراك للعزة الأولى، والفوز العظيم فى الآخرة[١].

### اتخاذ المسلمين المساجد الجامعة :

يرجع سبب اتخاذ المسلمين للمساجد الجامعة، إلى ما كتبه عمر بن الخطاب ﷺ إلى أبى موسى الأشعرى، وهو على البصرة يأمره أن يتخذ مسجدًا للجماعة، ويتخذ للقبائل مساجد، فإذا كان يوم الجمعة انضم المسلمون إلى مسجد الجماعة، كما كتب إلى سعد بن أبى وقاص، وهو على الكوفة بمثل ذلك، كما كتب إلى عمرو بن العاص وهو على مصر بمثل ذلك[٢].

### وظيفة المسجد :

لم تقتصر وظيفة المسجد فى ذلك العصر على إقامة شعائر الإسلام وأداء العبادات، ونشر الدعوة فحسب، وإنما كانت له وظائف أخرى منها:

**أ- الناحية الثقافية :** ففى أروقته، وحول أعمدته تعددت حلقات الدرس من فقه وتفسير، وحديث، ووعظ، وتركزت الحركات العلمية فى كافة الأمصار الإسلامية فى صدر الإسلام فى الناحية الدينية، وكان أكثر العلماء الذين ظهروا إذ ذاك علماء دين. أما العلوم الدينية، والفلسفية فقد كان شأنها ضعيفًا فى ذلك العصر، بل كان ما ينمو منها إنما يحتاج فى نموه إلى الدين يعتمد عليه ويصطبغ به[٣]. وقد تفرق الصحابة ﷺ فى كافة البلدان التى فتحتها الجيوش الإسلامية، بل انضم كثير منهم إلى الجيوش التى فتحت تلك البلدان، وربما تعمد الخلفاء تفريقهم ليعلموا أهلها الدين الإسلامى[٤]، فكان العالمون منهم بأمور الدين

(١) دكتورة سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون جـ ١ ص ١٢ بتصرف شديد.

(٢) راجع المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٢٤٦ ، ومساجد مصر. جـ ١ ص ١٧ .

(٣) انظر أحمد أمين:فجر الإسلام ص ٢٣٣، وسيدة إسماعيل كاشف: مصر فى فجر الإسلام ص ٣١٤ .

(٤) ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص ٩٢، ٩٣ ، والسيوطى فى حسن المحاضرة جـ ١ ص ٧٣ ـ ١٠٠، ومصر فى فجر الإسلام ص ٣١٤ .

يقومون بمهمة تعليم الشعوب التي يختلطون بها، أصول الدين الإسلامي، ومن هؤلاء العلماء من كان سببًا في تأسيس مصر الإسلامية[١].

**مفتي المدينة المنورة، ومصر: عبد الله بن عمرو:**

على أن أشهرَ من علّم بمصر من الصحابة بعد فتحها هو: عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، فيذكر المقريزي أن أهل المدينة كانوا يتبعون في الأكثر فتاوى عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنه، وأن أهل الكوفة كانوا يتبعون في الأكثر فتاوى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وأن أهل مكة يتبعون في الأكثر فتاوى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه[٢]، ومما لا شك فيه أن هذا التعليم، وتلك الفتاوى كان يلقى على المتعلمين في المسجد.

**ب-** اتخاذه بيتًا للمال، كما كان الحال في المسجد الأموي، وجامع عمرو بن العاص.

**جـ- كان يجلس فيه متولي الحسبة[٣] والحسبة:** هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن النكر إذا ظهر فعله[٤]، قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[٥].

**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:**

يعد هذا الأمر جماع الدين، وجميع الولايات هو أمر ونهي، فالأمر الذي بعث الله به رسوله هو: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، قال سبحانه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[٦].

وهذا واجب على كل مسلم قادر وهو فرض على الكفاية، ويصير فرض عين على القادر الذي لم يقم به غيره. والقدرة هو السلطان والولاية فذووا السلطان أقدر من غيرهم وعليهم من الوجوب ما ليس على غيرهم فإن مناط الوجوب هو القدرة فيجب على كل إنسان

---

(١) مصر في فجر الإسلام ص ٣١٥ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) مساجد مصر وأولياؤها الصالحون جـ ١ ص ١٨، والحسبة: منصب كان يتولاه في الدولة الإسلامية رئيس يشرف على الشؤون العامة، من مراقبة الأسعار، ورعاية الآداب. المعجم الوسيط مادة: حسب .

(٤) الماوردي: الأحكام السلطانية ص ٢٤١، وابن تيمية: الحسبة، ومسئولية الحكومات الإسلامية ص ١٥ وما بعدها تحقيق صلاح عزام طبعة دار الإسلام القاهرة.

(٥) سورة آل عمران: آية ١٠٤ .

(٦) سورة التوبة من الآية ٧١ .

بحسب قدرته(١) كما قال تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ (٢).

وجميع الولايات الإسلامية إنما مقصودها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر سواء فى ذلك ولاية الحرب . . أو ولاية الشرطة، أو ولاية الحكم، أو المال وهو ولاية الدواوين المالية، وولاية الحسبة لكن من المتولين، من يكون بمنزلة الشاهد المؤتمن، والمطلوب منه الصدق مثل الشهود عند الحاكم، ومثل صاحب الديوان الذى وظيفته أن يكتب المستخرج والمصروف، والنقيب، والعريف الذى وظيفته إخبار ذوى الأمر بالأحوال. ومنهم من يكون بمنزلة الأمين المطاع، والمطلوب منه العدل من الأمير والحكم والمحتسب(٣).

**مسؤولية المحتسب:**

يختص المحتسب بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، مما ليس من خصائص الولاة والقضاة وأهل الديوان ونحوهم . . فعلى المحتسب أن يأمر العامة بالصلوات الخمس فى مواقيتها، ويعاقب من لم يصل بالضرب والحبس... ويتعاهد الأئمة والمؤذنين، فمن فرط منهم فيما يجب من حقوق الإمامة، أو خرج عن الأذان المشروع ألزمه بذلك، واستعان فيما يعجز عنه بوالى الحرب والحكم، وكل مطاع يعين على ذلك (٤).

**الاهتمام بالصلاة:**

لما كانت الصلاة هى أعرف المعروف من الأعمال وهى عمود الإسلام، وأعظم شرائعه، وهى قرينة الشهادتين فرضها الله ليلة المعراج، وخاطب بها الرسول ﷺ بلا واسطة فلم يبعث بها رسولا من الملائكة.وهى آخر ما وصى به النبى ﷺ أمته (٥).

وهى المخصوصة بالذكر فى القرآن تخصيصا بعد تعميم فى قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾ (٦) وفى قوله: ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾ (٧) ومن ثم كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ يكتب إلى عماله:إن أهم أمر

(١) الحسبة ومسئولية الحكومات الإسلامية ص ١٥ .
(٢) سورة التغابن:من الآية ١٦ .
(٣) الحسبة ص ١٥ ،١٦، والأحكام السلطانية ص ٢٤٠ وما بعدها.
(٤) الحسبة ومسئولية الحكومات الإسلامية ص ٢٠ .
(٥) الأحكام السلطانية ص ٢٤٣ وما بعدها، والحسبة ومسئولية الحكومات الإسلامية ص ٢٠ .
(٦) سورة الأعراف:من الآية ١٧٠ .
(٧) سورة العنكبوت:من الآية ٤٥ .

عندى الصلاة من حفظها، وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيعها كان لما سواها أشد إضَاعَةً[١].

**وصية الرسول ﷺ بالصلاة:**

كما ورد عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال:أوصانى خليلى رسول الله ﷺ، بسبع خصال منها:«لا تشركوا بالله شيئا، وإن قطعتم أو حرقتم، أو سلبتم، ولا تتركوا الصّلاة مُتَعَمِّدين فمن تركها متعمدا فقد خرج من الملة[٢]، ولا تركبوا المعصية، فإنها سخط الله، ولا تشربوا الخمر، فإنها رأس الخطايا كلها....»[٣].

د ـ كذلك من وظيفة المسجد اتخاذه مكانا للقضاء.

هـ ـ تعقد فيه الألوية للجهاد فى سبيل الله عز وجل.

لقد كانت روح المسجد تسيطر على أعمال المسلمين، روح المسجد:هى روح الإسلام كله، هى تلك المعانى السامية التى يدعو إليها الإسلام.إن روح المسجد هى الاقتداء برسول اللهﷺ فى كل أمر من الأمور صغيرها وكبيرها....هى الالتزام بكل ما جاء به[٤].

**روح المسجد تسيطر على قادة الفتوح:**

لقد وصل عدد قادة الفتح فى الإسلام إلى ما يقرب من مائتين وست وخمسين قائدا عربيا مسلما، منهم مائتان وست عشرة من صحابة رسول الله ﷺ أربعون منهم من التابعين رضي الله عنهم وكان كل القادة المنتصرين بعد الفتح الإسلامى ممن كانت تسيطر عليهم روح المسجد[٥].

**تعريف المسجد لغة وشرعا:**

**أما لغة:** فالمسجد بالكسر:اسم لمكان السجود، وبالفتح جبهة الرجل، حيث يصيبه

(١) رواه مالك وغيره، انظر الحسبة ومسئولية الحكومات الإسلامية ص ٢١، والأحكام السلطانية ص ٢٤٥ .

(٢) الملة الدين، كملة الإسلام، وقيل:هو معظم الدين وجملة ما يجىء به الرسل، راجع الترغيب والترهيب جـ١ ص ٢٣٣ حاشية ١ .

(٣) الحديث رواه الطبرانى، ومحمد بن نصر فى كتاب الصلاة بإسنادين لا بأس بهما.راجع الترغيب جـ١ ص٢٣٣ طـ الأوقاف .

(٤) انظر:محمد على قطب:رسالة المسجد ص ٨ .

(٥) انظر اللواء محمود شيث خطاب:الرسالة العسكرية للمسجد ص ٥٥ .

السجود والمسجد :بكسر الميم :الخمرة وهى الحصير الصغير [١].

وهناك أحاديث متواترة عن الحفاظ فى كتب السيرة والفقه، وفى الصحيحين والبيهقى [٢].

تدل على أن النبى ﷺ كان يصلى على الخمرة، وهى حصيرة صغيرة قدر ما يسجد عليه تنسج من السعف، جاء فى الحديث عن أم سلمة رضي الله عنها أن الرسول ﷺ قال لها: «ناولينى الخمرة» [٣].

وجاء فى تاج العروس :يقال :صلى فلان على الخمرة، لأن خيوطها مستورة بسعفها [٣].

ويقول الشهرستانى فى وصف الخمرة :هى مقدار ما يضع الرجل عليه وجهه فى سجوده من حصير، أو نسيجة خوص، ونحوه من النبات، ثم يضيف، ولا تكون الخمرة إلا فى هذا المقدار [٤].

**أما تعريف المسجد شرعا:**

**فهو الموضع الذي يسجد فيه**، قال الزركشى.....:كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد[٦] .لقوله ﷺ :«وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا»[٥].

وهذا من خصائص هذه الأمة كما يقول القاضى عياض [٦]، لأن من كان قبلنا كانوا لا يصلون إلا فى موضع يتيقنون طهارته، ونحن خصصنا بجواز الصلاة فى جميع الأرض إلا ما تيقنا نجاسته.

قال القرطبي: هذا ما خص الله به نبيه ﷺ وكانت الأنبياء قبله إنما أتيحت لهم الصلوات فى مواضع مخصوصة، كالبيع (جمع بيعة) وهو معبد اليهود والنصارىّ، وكان عيسى عليه السلام يسيح فى الأرض، ويصلى حيث أدركته الصلاة، ويعلق الزركشى على

(١) التصحيف للعسكرى ص وراجع المسند جـ٤ ص ١٤٠ هامش، شرح الشيخ أحمد شاكر.
(٢) السنن للبيهقى جـ٣ ص ٤٢١ .
(٣) راجع تاج العروس للزبيدى جـ٣ ص ١٨٨ مادة (خمر) .وفى المسند جـ٤ ص ١٤٠ .كان ﷺ يصلى على الخمرة راجع أرقام هذه الأحاديث ٢٤٢٦، ٢٨١٤، ٢٩٤٢ من المسند طـ دار المعارف.
(٤) الملل والنحل جـ١ ص ٦ .
(٥) إعلام الساجد بأحكام المساجد ص ٢٧ .
(٦) البخارى :جـ١ ص ٦ باب قول النبى ﷺ (جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا).

ذلك فيقول:

فكأنه قال:جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا وجعلت لغيرى مسجدا ولم تجعل له طهورا[١].

**سبب اختيار كلمة مسجد لمكان الصلاة:**

**قال الزركشي:** لما كان السجود أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه اشتق اسم المكان منه فقيل:مسجد، ولم يقولوا مركع، ثم إن العرف خصص المسجد بالمكان المهيأ للصلوات الخمس حتى يخرج المُصلّى المجتمع فيه للأعياد ونحوها، فلا يعطى حكمه، وكذلك الرُّبط، والزوايا والمدارس فإنها هيئت لغير ذلك[٢].

**أهمية وصف المسجد الكبير بالجامع:**

قال هشام بن عمار:لما افتتح عمر بن الخطاب البلدان كتب إلى عامل البصرة أبى موسى الأشعرى أن يتخذ مسجدا للجماعة، وللقبائل مساجد، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة، وكتب بذلك إلى سعد... وإلى عمرو بن العاص... وإلى امراء الأجناد بالشام فكان الناس متمسكين بأمر عمر وعهده[٣].

**والخلاصة:**

إن المسجد[٤] الذى كانت تؤدى فيه الجمعة هو المسجد الجامع، ولما تأسست الدولة الأموية أصبح المسجد الجامع يشكل ظاهرة سياسية على جانب كبير من الأهمية، فقد كان على كل أمير، أو عامل من عمال الأقاليم إقامة مسجد جامع يمثل مسجد الدولة الرسمى، فإذا عرفنا أن ذكر اسم الخليفة فى خطبة الجمعة فى المسجد الجامع يكون شارة من شارات الخلافة، وأن عدم ذكر اسمه يعنى خلعه تبين لنا الدور السياسى للمسجد، بالإضافة إلى الدور الدينى الذى كان يضطلع به المسجد الجامع[٥].

---

(١) انظر لقرطبى :الجامع لأحكام القرآن جـ ص .

(٢) إعلام الساجد بأحكام المساجد ص ٢٧ .

(٣) مساجد مصر ...جـ ١ ص ٣٠، ٣١ .

(٤) ذكرت كلمة مسجد فى القرآن الكريم ما يقرب من ثمان وعشرين مرة فى سورة البقرة، والمائدة، والأعراف، والأنفال، والتوبة، والإسراء، والكهف، والحج، والفتح، والجن.

(٥) مساجد مصر.... جـ١ ص ٣١ .

**المبحث الثاني:تمكن المسلمين من بناء المساجد والجوامع في مصر:**

حظيت مصر ببناء العديد من المساجد، بعد أن مكن الله للفاتحين فى أرض الكنانة، وكان أول الجوامع إقامة هو:

**جامع السادات:** وهو أقدم جوامع مصر، بعكس ما هو معروف لدى الناس أن أقدم الجوامع هو جامع عمرو بن العاص ﷺ، لكن بالبحث تبين أن هذا الجامع من أوائل ما بنى من جوامع مصر.

**قصة بناء هذا الجامع:**

تروى قصة بناء هذا الجامع أنه عندما فتح المسلمون مصر بقيادة عمرو بن العاص، واستولوا على مدينة الفرما، ساروا حتى بلغوا مدينة مجدول جنوب غرب الفرما، ومنها إلى موضع على قناة السويس مكانه الآن (القنطرة) وقد لزم المسلمون جانب الصحراء ولعلهم قصدوا إلى مدينة الصالحية، ثم ساروا من الصالحية أو القصاصين إلى الجنوب فاجتازوا وادى الطميلات (*) ....حتى بلغوا بلبيس، وفيها بدأ الجيش الرومانى المقاومة فالتحم مع الجيش الإسلامى ثم دارت الدائرة على الرومان فهزمت جيوشهم وتمزقت...وقتل خلق كثير من سادات قريش والعرب، ويقال:إن الروم خسروا ألف قتيل، وثلاثة آلاف أسير، ويعلق الطبرى وابن الأثير على ذلك فيقولان:إن القبائل العربية التى استقرت فى بلبيس ولم تتابع سير الجيش الإسلامى إلى حصن بابليون (بمصر القديمة) أقامت فى المكان الذى استشهد فيه سادات قريش، وبنوا جامعا أطلقوا عليه جامع السادات (١).

أما عن سادة قريش الذين استشهدوا فى بلبيس أثناء فتح عمرو بن العاص لمصر فقد كانوا من المهاجرين والأنصار الذين وفدوا مع عمرو..لفتح مصر، وقاتلوا فى جيشه منهم برتا ابن الأسود ابن عبد شمس القضاعى الذى شهد فتح مصر، وقتل يوم فتح الإسكندرية، أو فى معارك بلبيس (٢).

---

(*) سبق التعريف بهذه الأماكن.

(١) انظر مساجد مصر وأولياؤها الصالحون جـ٢ ص ١٣، ١٤ .

(٢) راجع ترجمة هذا الصحابى فى الدعاة الأول فى أرض الكنانة للمؤلف.

كـذلك ثمامـة الروماني شهد مع مولاه خارجه بن عراك فتح مصر، واستشهد في بلبيس [١].

كذلك جعشم الخير بن خليفة..الصدفي.قال ابن الربيع:شهد فتح مصر، واستشهد في بلبيس [٢].

ومن المرجح أن تكون القبـائل العربيـة التى تخلفت فى بلبيس، ولم تذهب مع باقى الجيش لفتح حصن بابليون، قد أقامت على هؤلاء وغيرهم ممن استشهدوا فى المعارك مسجدا، أطلقوا عليه جامع السادات تسمية عمن استشهد فى هذا المكان.

وجاء فى التجريد:أن شريك بن سمي الغطيفي المرادي كان مع عمرو بن العاص يوم فتح مصر، وأنه مات فى بلبيس، فمن المرجح أن يكون الضريح المعروف باسم أمير الجيش هو ضريح (شريك..) على أنه كان أمير الجيش وقائده فى تلك المنطقة [٣]...

**وصف المسجد:**

ومن المرجح أن يكون المسجد الأول الذى أقيم تخليدا لذكرى سادات جيش المسلمين الذين شهدوا فتح مصر بسيطا، وبدائيا على غرار مسجد رسول الله ﷺ فى المدينة المنورة، الذى بنى بالطوب اللبن، وأقيم فيه جهة القبلة صفان من جذوع النخل بدلا من الأعمدة سقف فوقها بالسعف والطمى...وهو عبارة عن مساحة بسيطة من الأرض لا تعدو (٥٠×٣٠) ذراعا، اختط حولها خندقا حتى يعزلها عن الأراضى المحيطة بها، ويضمن لها الطهارة المطلوبة، وعلى ضوء ما سبق يكون مسجد السادات ببلبيس أول مسجد أقيم فى مصر الإسلامية، وأنه أسبق من حيث التاريخ من مسجد الرحمة بالإسكندرية وعمرو..بالفسطاط [٤].

**المسجد الجامع:**

هو مسجد فاتح مصر عمرو بن العاص ﵁، وأول وال عليها من قبل أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ﵁ .بداية التفكير فى بنائه:

(١) راجع ترجمة هذا الصحابى فى الكتاب المشار إليه سابقا.
(٢) راجع ترجمة هذا الصحابى فى الكتاب المشار إليه سابقا.
(٣) انظر مساجد مصر.. جـ٢ ص ١٥، وابن عبد الحكم فتوح مصر.. ص ٨٧، وبتلر:فتح العرب لمصر ص ١٦٠، ١٦١، ٣٩٦ .
(٤) راجع مساجد مصر..جـ٢ ص ١٨، ففيه وصف دقيق لهذا المسجد وهذا هو المسجد الذى توقف عنده عمرو بن العاص عن قتال الروم كما قال ابن عبد الحكم:فتوح مصر صـ١٧٦ .

لما فتح عمرو بن العاص الإسكندرية، ورأى بيوتها وبنائها مفروغا منها همّ أن يسكنها وقال: مساكن قد كفيناها، فكتب إلى عمر بن الخطاب يستأذنه فى ذلك، فسأل عمر الرسول هل يحول بينى وبين المسلمين ماء؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، إذا جرى النيل، فكتب عمر إلى عمرو: إنى لا أحب أن تنزل المسلمين منزلا يحول الماء بينى وبينهم فى شتاء ولا صيف فتحول عمرو من الإسكندرية إلى الفسطاط (١).

**سبب تسميتها بهذا الاسم:**

أن عمرو بن العاص لما أراد التوجه إلى الإسكندرية لقتال من بها من الروم أمر بفسطاطه أن ينزع، ثم عنّ له أن يتركه، فلما فصل المسلمون من الإسكندرية، قالوا: أين ننزل؟ قالوا: الفسطاط لفسطاط عمرو، الذى كان خلفه، وكان مضروبا فى موضع الدار التى تعرف اليوم بدار الحصى (٢).

**مكان المسجد، ووضع القبلة:**

بنى عمرو... المسجد وكان ما حوله حدائق وأعنابا، فنصبوا الحبال حتى استقام لهم، ووضعوا أيديهم، فلم يزل عمرو قائما حتى وضعوا القبلة، وأن عمرا وأصحاب رسول الله ﷺ هم الذين وضعوها.. واتخذ عمرو من صحابة رسول الله ﷺ مؤذنا هو:

**أبو مسلم الغافقي** صاحب رسول الله ﷺ وكان يبخر المسجد (٣).

ومن ثم سميت ديار مصر بالفسطاط نسبة إلى فسطاط عمرو بن العاص، وذلك أنه نصب خيمته وهى الفسطاط موضع مصر اليوم، وبنى الناس حوله، وتركت مصر القديمة من زمان عمرو بن العاص وإلى اليوم، ثم رفع الفسطاط، وبنى موضعه جامعا، وهو المنسوب إليه اليوم (٤).

**بداية الخطط حول مسجد عمرو....**

كانت بداية استيطان المسلمين بمصر بعد الفراغ من بناء عمرو بن العاص لجامعه

---

(١) ابن عبد الحكم ص ١٣٣ تحقيق عبد المنعم عامر، والفسطاط: بيت يتخذ من الشعر، ومدينة مصر العتيقة التى بناها عمرو بن العاص.. ﷺ المعجم الوسيط، مادة الفسطاط، وراجع أيضا الخطط جـ١ ص ٢٨٥ .

(٢) ابن عبد الحكم ص ١٣٣ ، وابن دقماق: الانتصار جـ١ ص ٣٢٢، د/ عبد الرحن زكى: الفسطاط وضاحيتاها: العسكر والقطائع ص ٨، وابن كثير: البداية جـ٧ ص ١٠٠ .

(٣) راجع ابن عبد الحكم ص ١٣٣ ـ ١٠٤ ، والمقريزى: تقى الدين أبى العباس أحمد بن على المقريزى: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية جـ١ ص ٢٨٦ .

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية جـ٧ ص ١٠٠ .

وداره، ومن ثم أصبح لقريش، والأنصار، وأسلم، وغفار، وجهينة، لكل منهم خطة خاصة بهم، ومن كان في الراية ممن لم يكن لعشيرته في الفتح عدد مع عمرو [(١)]...

**معلومات حول المسجد الجامع:**

هو ثاني مسجد بني في مصر بعد مسجد السادات الذى بنى في بلبيس - كما سبق - سمى تاج الجوامع، والمسجد العتيق، ومسجد أهل الراية، الذين وقفوا تحت راية عمرو في فتح مصر، وسموا بذلك؛ لأنهم لم يكونوا بالعدد الكثير فتكون لهم راية، وكرهوا الوقوف تحت راية قبائل أخرى، وكان أكثرهم من قريش والأنصار، وربما يرجح أن أهل الراية هم من الأنصار كما قال الدكتور العدوى [(٢)].

١ - بنى هذا المسجد في الشتاء من سنتي (٢٠ - ٢١هـ و٦٤١ - ٦٤٢م)

٢ - اختار عمرو..لبنائه الموضع الذى كان فيه لواؤه، وصار يعرف باسم مسجد أهل الراية، وكان هذا الموضع بين بساتين وكروم تلي شاطيء النيل.

٣ - كان قد اختط قبل بناء الجامع:أبو عبد الرحمن قيسية بن كلثوم، فلما طلبه عمرو منه نزل عنه صدقة للمسلمين.

٤ - كانت مساحة المسجد ٥٠×٣٠ ذراعا، وسقفه مطأطأ، ولم يجعل له صحن. والمكان الذى لا يختلف عليه المؤرخون هو حول المنبر والمحراب الحاليين.

٥ - زيدت فيه زيادات، كان أولها ما زاده مسلمة بن مخلد في سنة ٤٣هـ -٦١٣م. فإنه مده إلى جهة الشمال، وفرشه بالحصير بدل الحصباء.وجعل فيه منائر.

٦ - في سنة (٧٥هـ - ٦٩٦م) أمر عبد العزيز بن مروان بهدم جزء منه.

٧ - أمر الخليفة الوليد بن عبد الملك واليه قرة بن شريك ٩٠هـ - ٧١١م أن يهدم المسجد كله، ويعيد بناءه، فصار على الصورة التى بقى محتفظا بها إلى اليوم مع ما دخل عليه من التغيير [(٤)].أما حقيقة هذا المسجد فإنه قد بنى بالطين وجذوع النخل، والطوب اللبن،

---

(١) ابن عبد الحكم ص ١٤١ .

(٢) انظر:مصر في الإسلام القرن الأول صـ ١٣٢ هامش١، وعمرو بن العاص صـ٢٣٦ .

(٣) انظر:تاريخ مصر الحديث «١ / ٩٤».نقلا عن مصر في الإسلام القرن الأول صـ ١٣٣ .

(٤) انظر مجلة الجمعية الملكية الآسيوية لسنة ١٨٩٠ الجزء الثاني، وابن دقماق:الانتصار لواسطة عقد الأمصار جـ٤ ص ٥٩ - ٦٧ وابن عبد الحكم ص ٧٣، وسيرة القاهرة ترجمة:د / حسن إبراهيم حسن وآخرين، =

وجدرانه عارية من البياض والزخرف، ولم يدخل فى بنائه أية أعمدة، خلافا لما يدعيه بعض المؤرخين من أن عمرا قد هدم بعض الكنائس وأخذ أعمدتها لبناء مسجده.

كما ادعى جورجى زيدان أن المسجد طلى بالذهب كتابة، قال:وأتى عمرو بحجارة الجامع من بقايا منف العظيمة بينها أعمدة كبيرة من الجرانيت، وقطع هائلة من الرخام أقيمت بها جدرانه، وقد قيل:إن القرآن كله كان منقوشاً عليها بالذهب [١].وما قاله جورجى زيدان جانبه الصواب، وتحامله على فاتح مصر واضح، والإساءة إلى المسلمين هدفه الحقيقى، وتناسى أنه لو حدث فعلا، واستخدم المسلمون الذهب فى بناء المسجد لهدمه عمر بن الخطاب على رءوسهم، وموقف عمر بن الخطاب من إقامة عمرو بن العاص منبرا من الخشب واضح، فقد فكر عمرو فى بناء منبر ليعتلى عليه الخطيب يوم الجمعة، وسمع أمير المؤمنين بخبر بناء المنبر، فبعث إلى عمرو..أعزم عليك أن تكسره، أما بحسبك أن تقوم قائما والمسلمون تحت عقبيك؟ وكسره عمرو بن العاص.

ولكن جورجى حريص على إلحاق تهمة الاختلاس والسرقة بالمسلمين فقد سطوا فيما تصور على الكنائس والمعابد، واستولوا على الرخام والجرانيت والذهب، مع أن ثقافة المسلمين المعمارية كانت متواضعة أشد التواضع.

وفرش المسجد بالحصباء، أما سقفه وكان منخفضا، ومن ثم كان المسلمون يصلون خارجه فى الصيف من جهاته الثلاث [٢].

### المبحث الثالث: ترجمة لمساجد الصحابة في مصر:

وفّق الله عمرا أيما توفيق فى اختيار موقع المدينة سواء من الناحية الجغرافية أو الحربية، فمدينة الفسطاط تقع عند رأس الدلتا، وهو موقع له أهميته من الناحية الحربية والعمرانية، وبذلك تكون الفسطاط فى مأمن من هجمات العدو، وفى نفس الوقت قريبة من الأراضى الزارعية، الأمر الذى يسهل معه وصول المؤن والأقوات.

= فصل جدول تحويل السنين الهجرية إلى ميلادية ص ٢٦١ طـ م النهضة المصرية ١٩٥٠، والخطط جـ٤ ص٤، والنجوم الزاهرة جـ١ ص ٦٧ .

(١) انظر:مصر فى الإسلام..صـ ١٣٣،١٣٤ .

(٢) انظر المرجع نفسه.

ويحمى الفسطاط من جهة الشرق جبل المقطم من العدو، ومن الفيضان، كما راعى اتساعها من الجهة الشمالية الشرقية، ومن ثم فقد ساعد هذا الاختيار الموفق على إقامة مدينة العسكر والقطائع والقاهرة فيما بعد، وما كاد عمرو... ينتهى من تأسيس مدينة الفسطاط حتى أقام فى وسطها جامعه العتيق [١] الذى ظهرت فيه الحركة العلمية بأجل معانيها، وذاعت منه دعوة الإسلام فى مشارق البلاد ومغاربها.

**وضع القبلة:**

ذكر الكندى عن يزيد بن أبى حبيب قال: سمعت أشياخنا ممن حضر مسجد الفتح (جامع عمرو) يقولون: وقف على إقامة قبلة المسجد الجامع: ثمانون رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ منهم:

الزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، وأبو الدرداء، وفضالة بن عبيد، وعقبة بن عامر رضي الله عنهم.

وفى رواية أخرى: أسس مسجدنا هذا أربعة من الصحابة: أبو ذر، وأبو بصيرة، محشية بن جزء الزبيدى، ونبيه بن صواب [٢].

فقال عبد الله بن أبى جعفر: أقام محرابنا هذا: عبادة بن الصامت، ورافع بن مالك، وهما نقيبان، وقيل إن عمرو بن العاص بعث ربيعة بن شرحبيل بن حسنة وعمرو بن لقمة القرشى يقيمان القبلة، وقال لهما: قوما إذا انتصفت الشمس فاجعلوها على جاجبيكما ففعلاه، وكان عمرو بن العاص يمد الحبال حتى أقيمت قبلة المسجد بها، وقد اتخذ عمرو منبرا فكتب إليه عمر بن الخطاب يأمره بكسره قائلا له:

«أما يكفيك أن تقوم قائما والمسلمون جلوس تحت عقبيك» [٣].

أما رسالة هذا المسجد فتتخلص فيما يلى:

١ ـ لم يكن هذا الجامع يقتصر فيه على أداء الصلوات الجامعة فحسب، وإنما كان جامعة ومدرسة تعقد فى أرجائه حلقات الدرس على يد كبار العلماء والفقهاء على مر العصور

(١) انظر: محمود أحمد: جامع عمرو.. ، ومساجد مصر.. جـ٢ ص ٦٢ .
(٢) مساجد مصر... جـ٢ ص ٦٢ .
(٣) ابن عبد الحكم.. ص ١٣٣، ١٣٤ تحقيق عبد المنعم عامر، والقلقشندى: صبح الأعشى جـ٣ ص ٣٤١، ومساجد مصر.. جـ٢ ص ٦٢، ٦٣ .

فقد سبق الجامع الأزهر بأربعة قرون فى وظيفة التعليم والتدريس.

٢ ـ كانت الدروس فى جامع عمرو تعطى تطوعاً وحسبة لوجه الله تعالى، وكانت الدروس بالجامع الأزهر بتكليف من الدولة، ولذلك فهى تؤجر لها العلماء والمدرسين.

٣ ـ أما مكان الدرس فى جامع عمرو فيسمى زاوية، وفى الجامع الأزهر باسم حلقة.

٤ ـ لم يكن دور جامع عمرو مقصورا على تعليم الرجال فقط، وإنما كان للمرأة مكان فى التعليم أيضا، فهذا المقرّى ينقل عن ابن الفرات قوله:إنه أدرك بالجامع حلقات دروس ووعظ للسيدات تصدرتها فى الدولة الفاطمية واعظة زمانها أم الخير الحجازية.

٥ ـ لم يكن جامع عمرو للعبادة والتعليم فحسب، وإنما كان للقضاء أيضا، فقد كان فيه مكان لجلوس القاضى لحل النزاعات، وفض المشاكل، وإعطاء الحقوق لأصحابها، وقد حدد المقريزى مكان انعقاد المحكمة وزمانه، وقال:كان جلوس قاضى القضاة به مرتين كل أسبوع.

٦ ـ كما كان للجامع العتيق وظيفة أخرى هى:احتواؤه على بيت المال، وكان على شكل قبة عليها أبواب من حديد، يأتى إليها الناس من المدن والقرى لدفع خراجهم وزكاتهم ومقدار جزيتهم لمتولى الخراج فى صحن جامع عمرو [١].

**كلمة عن صاحب المسجد الجامع:**

وقبل مغادرة مسجد عمرو بن العاص، لابد من كلمة عن صاحب هذا المسجد تضاف إلى ما تقدم ليزداد رصيد المعرفة بهذا الصحابى الجليل رضي الله عنه .تبين مواقفه الإيمانية:

**إسلامه:** ظهرت دعوة الإسلام وعمرو.. فى الحجاز، لكنه لم يسلم إلا فى السنة الثانية للهجرة على الأرجح، ويؤخره بعضهم إلى ما بعد فتح مكة، ولما لقى النبى ﷺ ليعلن إسلامه، بسط رسول الله ﷺ يده، قبض عمرو...يده، فقال الرسول ﷺ :مالك يا عمرو؟ قلت أبايعك يا رسول الله على أن يغفر لى ما تقدم من ذنبى، فقال:رسول الله ﷺ :«يا عمرو بايع فإن

(١) انظر:أهم مساجد مصر مجموعة علماء مصلحة ـ المساحة ـ المصرية جـ١ :٤، ٧٣ نقلا عن مصر فى الإسلام صـ ١٤٩، ١٥٠ .

الإسلام يجب ما كان قبله، وأن الهجرة تجب ما كان قبلها»[١].

فلما بايعه قال عمرو..والله ما ملأت عينى منه، وما راجعته بما أريد حتى لحق ربه حياء منه [٢].

**مواقفه:** ندبه الرسول ﷺ لغزوة ذات السلاسل[٣]، ولهدم الصنم سواع [٤]، ولدعوة جيفر عباد أميرى عمان [٥] إلى الإسلام، ولا يمكن أن يختاره الرسول ﷺ لمثل تلك الأمور إلا إذا كان أهلا لها.

ولقد التزم عمرو..بكل ما أقره الرسول ﷺ فى حياته وهى: «ألا يحل عقالا عقله الرسول ﷺ ولا يعقل عقالا لم يعقله» [٦].

---

(١) ابن هشام:سيرة النبى ﷺ جـ٣ ص ٢٣٦، وفى رواية أخرى:يحتّ:ومعناها تسقط، ويجبّ يقطع. ابن هشام:سيرة النبى ﷺ جـ٣ ص ٢٣٦ هامش ٣،٤ .

(٢) مساجد مصر جـ١ ص ٥٦ .

(٣) السلاسل اسم ماء بأرض جذام يقال له السلسل وبذلك سميت تلك الغزوة ذات السلاسل لقى عندها أخواله من قضاعة فوجدهم أكبر مما توقع، فطلب المدد من رسول الله ﷺ فأمده بكتيبة على رأسها:أبو عبيدة بن الجراح فى المهاجرين الأولين، وفيها أبو بكر وعمر بن الخطاب، فانتصر فى تلك الغزاة.. راجع ابن هشام سيرة النبى ﷺ جـ٤ ص ٢٣٢، والطبقات جـ٧ ص ٨٨، ومساجد مصر..جـ٢ ص ٥٦ .

(٤) سواع صنم عبدته هذيل فى الجاهلية، وكانوا يقصدونه للحج والعبادة، وقضاء النذور، وكان بنو سهم قد وكلوا به، فذهب عمرو..لتحطيمه بأمر النبى ﷺ فهو زعيم من بنى سهم، فلما جاء سادن الصنم سأل عمرا ماذا يريد أجابه بأن رسول الله ﷺ أمره بتحطيمه فحذره السادن من مغبة هذا العمل، وقال له:إنك لا تقدر على ذلك، فما كان من عمرو إلا أن تقدم من الصنم وكسره، وأمر أصحابه بهدم الخزانة فإذا هى خاوية، ثم أقبل على السادن وسأله كيف رأيت؟ قال:أسلمت لله رب العالمين، الطبقات جـ٧ ص١٨٨، ومساجد مصرجـ٢ ص٥٧، ٥٨ .

(٥) أما مهمة عمان فقد كانت تطلب رسولا تتوفر فيه اللباقة والدهاء والجرأة وحب الرياسة، وقد عرف الرسول ﷺ ذلك فى عمرو.. فاختاره لها، وكتب الرسول ﷺ كتابا إلى جيفر، وعباد ابنى الجلندى أميرى عمان، وقد نجح عمرو فى سفارته تلك أيما نجاح.راجع ابن هشام:سيرة النبى ﷺ جـ٤ ص ٢١٦، والطبقات جـ٧ ص ١٨٨، ومساجد مصر جـ٢ ص ٥٨ .

(٦) مساجد مصر وأولياؤها الصالحون جـ٢ ص ٥٨ .

**حزنه على وفاة رسول الله ﷺ:**

كان حزنه يوم وفاة الرسول ﷺ شديدا لم ير عمرو قط فى حزن كالحزن الذى غمره يوم وفاة الرسول ﷺ [١].

**مواقفه في حروب الردة وغيرها ثم وفاته:**

لما همّ زعيم بنى عامر، قرة بن هبيرة بالردة، وقال يا عمرو:«إن العرب لا تطيب لكم نفسا بالإتاوة فإن أعفيتموها فستسمع لكم وتطيع، وإن أبيتم فلا تجتمع عليكم».

فقال عمرو..ويحك أكفرت يا قرة؟ أتخوفنا بردة العرب؟ فوالله لأوطئن عليك الخيل فى حفش أمك؟ أى فى خبائها [٢].ثم بعثه أبو بكر الصديق أحد أمراء الشام فتولى مع من تولى فتحها، وشهد اليرموك، وولاه عمر بن الخطاب فلسطين، وما والاها، ثم كتب إليه أن يسير إلى مصر ففتحها الله عليه، وولاه عثمان بن عفان مصر ثم عزله، ثم ولاه معاوية مصر وظل بها إلى أن مات بها يوم الفطر سنة ثلاثة وأربعين فى خلافة معاوية، بعد حياة حافلة بالجهاد فى سبيل الله، وقد دفن بالمقطم مقبرة أهل مصر...وفى أواخر حياته قال هذه الكلمات:اللهم إنك أمرت عمرو بن العاص بأشياء فتركها، ونهيته عن أشياء فارتكبها فلا إله إلا أنت لا إله إلا أنت، لا إله إلا أنت ثلاثا جامعا يديه معتصما بها حتى قبض[٣]، رضي الله عنه.

**جامع محمد بن أبي بكر الصديق [٤]:**

جاءت ولايته مصر بعد أن كاد معاوية لقيس بن سعد بن عبادة الأنصاري عند علي ابن أبي طالب، فاستقدمه على، وولى مكانه الأشتر بن مالك، ولكنه مات عند القلزم (السويس) فولى بعده محمد بن أبى بكر الصديق، على مصر، وجمع له صلاتها وخراجها، فدخلها فى نصف رمضان سنة سبع وثلاثين.

**نصيحة قيس.. لمحمد بن أبي بكر:**

عندما لقيه قال له:لا يمنعنى عزله إياى من نصحى لك، ولقد عزلنى عن غير وهن ولا عجز، فاحفظ على ما أوصيك به يدم صلاح حالك.

---

(١) مساجد مصر وأولياؤها الصالحون جـ٢ ص ٥٨ .

(٢) عباس العقاد:عمرو بن العاص ص ٥٩، ومساجد مصر..جـ٢ ص٥٩ .

(٣) ابن سعد:محمد بن سعد:كاتب الواقدى:الطبقات الكبرى جـ٧ ص ١٨٨، وراجع ترجمته فى الدعاة الأول فى أرض الكنانة للمؤلف.

(٤) سبق التعريف به فى فصل:أرض الكنانة، ومن نزل فيها من الصحابة.

دع معاوية بن حديج، ومسلمة بن مخلد، وبسر بن أرطأة ومن ضوى إليهم – وكانوا ممن اعتزلوا في خربتا – فإن أتوك فاقبلهم، وإن تخلفوا عنك فلا تطلبهم، وألن جناحك لهذا الحي من مصر، وقرب عليهم مكانك، وادفع عنهم حجابك، وانظر هذا الحي من مدلج فدعهم وما غلبوا عليه يكفوا عنك شأنهم، وأنزل الناس منازلهم فإن استطعت أن تعود المرضى، وتشهد الجنائز فافعل فإن هذا لا ينقصك، إنك والله ما عملت لتظهر الخيلاء، وتحب الرياسة والله موفقك[١] فماذا فعل محمد بن أبي بكر؟

عمل بعكس ما أوصاه به تماماً، إذ بعث إلى ابن حديج، والخارجة معه يدعوهم إلى بيعته فلم يجيبوه، فبعث إلى دور الخارجة فهدمها، ونهب أموالهم، وسجن ذراريهم فنصبوا له الحرب، فلما أحس أنه لاقبل له بهم صالحهم على أن يسيروا إلى معاوية ففعلوا، ولحقوا بمعاوية فلما أجمع علي ومعاوية على الحكمين أغفل عَلِيٌّ أن يشترط على معاوية ألا يقاتل أهل مصر، فلما انصرف علي إلى العراق، بعث معاوية عمرو بن العاص في جيوش الشام إلى مصر فاقتتلوا قتالاً شديداً، انهزم أهل مصر ودخل عمرو بن العاص الفسطاط، وتغيب محمد ابن أبي بكر، فأقبل معاوية بن حديج في رهط معه لطلب محمد بن أبي بكر، ولما أمسكوا به، قال: احفظوني في أبي بكر، فقال له ابن حديج: قتلت ثمانين رجلا من قومي في عثمان وأتركك؟ وأنت صاحبه؟ فقتله وجعله في جيفة حمار وأحرق بالنار، ودفن في موضع الجامع المعروف باسمه[١].

**الاختلاف حول مكان دفنه :** قيل إن رأس محمد بن أبي بكر في حارة الباطلية بالأزهر عند جامع سودون القصروى المعروف بجامع المدعى . في خلوة، يعرف بضريح محمد ابن أبي بكر، وقيل : مسجده في مصر القديمة بشارع باب الودائع قريب من الباب عن يسرة السالك نحو المشرق إلى باب الودائع، وبجوار قبر متهدم يعرف بالكردى، ويعرف الجامع باسم محمد الصغير[٢]، وقيل موضع الزمام، وقيل غير ذلك[٣]. على أنه مهما قيل، فإن من الثابت أن مشهده موجود مكان المسجد المعروف باسمه بمصر القديمة، فقد جاء في الكواكب

(١) انظر ابن عبد الحكم ص ١٦٨ تحقيق عبد المنعم عامر، ومساجد مصر جـ ٢ ص ٢٣ .
(٢) مساجد مصر جـ ٢ ص ٢٣ ، ٢٤ .
(٣) نفس المصدر السابق، وابن عبد الحكم ص ١٦٦ .

السيارة[١]، أن أكثر قبور أهل مصر فيها الاختلاف، ولم يكن بمصر أصح من خبر مسلمة بن مخلد، ومشهد محمد بن أبى بكر الصديق[٢].

**مسجد ( ضريح ) أبي الدرداء :**

هو الصحابى الجليل عويمر بن عبد الله، على الراجح، وكنيته (أبو الدرداء)[٣]، ويكفيه شرفًا نزول بعض آى القرآن الكريم فيه، سأل النبى ﷺ ربه أن يشد أزر الإسلام والمسلمين بإسلام أبى الدرداء، فأسلم، وكان ﷺ أمّةً فى رجل.

**حلمه :** قال رجل لأبى الدرداء: يا معشر القراء ما بالكم أجبن منا وأبخل إذا سئلتم، وأعظم لقمًا أذا أكلتم؟ فأعرض عنه أبو الدرداء، ولما علم عمر بمقالة الرجل ساقه إلى رسول الله ﷺ فحاول أن يعتذر بأنه كان يمزح، وقال : إنا كنا نخوض ونلعب، فنزلت على النبى ﷺ هذه الآية : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ [٤].

**تفرغه للدعوة :**

كان أبو الدرداء تاجرًا فى الجاهلية فلما أسلم ترك التجارة وتفرغ لنشرالدعوة والعبادة وفى ذلك يقول أبو الدرداء: كنت تاجرًا قبل البعثة فلما جاء الإسلام جمعت التجارة والعبادة فلم يجتمعا فتركت التجارة، وتفرغت للدعوة إلى الله[٥] تعالى.

**من أقواله :**

والذى نفس أبى الدرداء بيده ما أحب أن يكون لى اليوم حانوتًا على باب المسجد، لا تخطئنى فيه الصلاة، أربح فيه كل يوم أربعين دينارًا، وأتصدق بها فى سبيل الله، فقيل له: يا أبا الدرداء وما تكره من ذلك؟ قال: «شدة الحساب»[٦].

وقد آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سلمان الفارسى[٧].

---

(١) ابن الزيات : الكواكب السيارة ص ١٠٣ .
(٢) رجع على مبارك : الخطط التوفيقية جـ ٥ ص ١٠٢ ، ومساجد مصر جـ ٢ ص ٢٤ .
(٣) راجع الدعاة الأول فى أرض الكنانة للمؤلف.
(٤) التوبة آية ٦٥ وراجع تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٦٧ .
(٥) راجع لابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١ ص ٧٦ .
(٦) مساجد مصر جـ ٢ ص ٢٦ ، ٢٧ .
(٧) راجع لابن هشام : سيرة النبى ﷺ جـ ٢ ص ١٢٦ ط سنة١٣٨٢هـ، ومساجد مصر. جـ ٢ ص ٢٧ .

**وهو أحد من جمعوا القرآن :**

فقد كان أبو الدرداء واحداً من خمسة من الأنصار الذين جمعوا القرآن الكريم فى زمن رسـول الله ﷺ وهم : معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وأبى بن كعب، وأبو أيوب الأنصارى، وأبو الدرداء[١] رضي الله عنهم .

**أبو الدرداء يشارك في فتح الإسكندرية :**

لما خرج عمرو بن العاص لفتح مصر سنة عشرين هجرية كان أبو الدرداء من كبار القواد والصحابة الذين شاركوا فى هذا الفتح . . ولما توجه عمرو لفتح الإسكندرية، كان أبو الدرداء معه، ولما فتحت جاء عمرو وعبادة بن الصامت حتى علوا الكوم الذى فيه مسجد عمرو ابن العاص (حدائق الشلالات الآن) ثم نزل معاوية بن حديج، ونزل أبو ذر الغفارى، وضرب عبادة بن الصامت خباء له فلم يزل فيه حتى خرج من الإسكندرية، ويقال: إن أبا الدرداء كان معه[٢] .

والأمر المقطوع به، أن أبا الدرداء غير مدفون بالإسكندرية، وليس ما يمنع أن يكون ضريحه من الأضرحة التى تقام تبركاً لأعماله وسلوكه، وسابقته فى الإخلاص فى الدعوة إلى الله، وإقامة مسجد له، مما يدل على احترام المسلمين لواحد من صحابة رسول الله ﷺ [٣] .

**جامع مسلمة بن مخلد :** الصحابى الأنصارى الخزرجى[٤] :

**حفظه للقـرآن :** جاء فى كتاب ترتيب الزيارة لابن الزيات عن مجاهد قال: كنت أرانى أحفظ الناس للقرآن حتى صليت خلف مسلمة الصبح فقرأ سورة البقرة فما أخطأ فيها[٥] .

وقال الإمام أحمد : إن مسلمة بن مخلد شهد فتح مصر، وسكنها[٦] .

وقد جمع له معاوية الصلاة، أى الإمامة، والخطابة، والخراج أى النواحى المالية، كما أضاف إليه بلاد المغرب، وفى ولايته هجمت أساطيل الدولة البيزنطية على مصر، ونزلت جنودها

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٦ ص ٢٥٦ .
(٢) مساجد مصر جـ ٢ ص ٣٢ ، ص .
(٣) انظر المصدر نفسه جـ ٢ ص ٣٣ ، وابن عبد الحكم ص ١٣٦ .
(٤) النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ١٣٣ ، وراجع الدعاة الأول فى أرض الكنانة للمؤلف.
(٥) مساجد مصر جـ ٢ ص ٣٥ .
(٦) المصدر السابق .

فى البرلس، وذلك فى سنة ثلاث وخمسين هجرية[١]، كما كان على رأس الإمدادات التى أرسلها عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص فى مصر، كما كان ضمن من وقفوا على قبلة مسجد عمرو[٢].

قال ابن عبد البر : إن مسلمة مات بمصر . . وقيل بالمدينة، وقال ابن يونس : بالأسكندرية وقال الحافظ عبد الغنى: مات بمصر، وقال ابن زولاق، وابن الزيات[٣] : مات مسلمة بمصر[٤]، وقبره بمصر بخط مذبح الجمل بمصر القديمة الآن، ويعرف الشارع الذى به مسلمة بشارع مسلمة بن مخلد، أما الآن فقد تغير اسم الشارع المؤدى إلى جامع عمرو بن العاص، والضريح عبارة عن زاوية صغيرة بداخلها غرفة مربعة تقوم عليها فيه قبة صغيرة[٥].

**جامع الشيخ عبد الله الحارث :**

هو عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدى، أورده أبو بكر بن أبى على فى الصحابة[٦]، كان ممن شهد فتح مصر، ولما استتب الأمر للمسلمين فى مصر، وأخذوا بعضها عنوة والبعض الآخر صلحًا بدأ عمرو بن العاص يخط الخطط فى الفسطاط للقبائل العربية التى وفدت معه للفتح، وكان من بينهم صاحب هذا الجامع عبد الله بن الحارث الذى أقطعه إحدى قرى بطن الوادى ـ أى بين فرعى النيل ـ بالغربية، وهى صفط تراب فسكنها، وبنى بها دارًا لسكناه، ومسجدًا لإقامة شعائر الإسلام، والدعوة إليه[٧].

**جامع راشدة :**

كان من أهم خطط الفسطاط عند الفتح خطط الفرس، وكانت قبائل الفرس تشمل بنى وائل، وراشدة. يقول المقريزى عن الفارسيين : كان «من حضر فتح مصر من الفارسيين، وهم بقايا جند باذان عامل كسرى على اليمن قبل الإسلام، وأسلموا بالشام، ورغبوا فى الجهاد، فنفروا مع عمرو بن العاص إلى مصر واختطوا بها»[٨].

(١) مساجد مصر جـ ٢ ص٣٥ . (٢) الخطط جـ ٤ ص ٢٢ .
(٣) ترتيب الزيارة ص ١٩ .
(٤) مساجد مصر جـ ٢ ص ٣٧ الدعاة الأول فى أرض الكنانة للمؤلف .
(٥) مساجد مصر . . جـ ٢ ص ٣٧ .
(٦) الدعاة الأول فى أرض الكنانة للمؤلف .
(٧) مساجد مصر . . جـ ٢ ص ٤٠ ـ ٤٣ وفى هذا المرجع بحث ضاف عن هذا الصحابى ومسجده.
(٨) خطط المقريزى جـ ١ ص ٢٠٨ .

وقد نسب لبنى وائل خليج متصل ببركة الحبش، وكانت بساتين بنى وائل تقوم على شواطىء البركة،وهى المعروفة الآن بالبساتين...ويتكلم ابن المتوج عن جامع راشدة فيقول:

هذا الجامع عمّر فى زمن الفتح عمرته راشدة وهى قبيلة من قبائل تجيب ومهرة..وكان فيه نخل كثير من نخل المقل، ومن جملة ما فيه نخلة من المقل لها سبعة رؤرس مفرعة فذاك الجامع هو المعروف بجامع راشدة، وأما الجامع الموجود الآن فمن عمارة الحاكم.. ويفهم مما ذكره ابن المتوج أن جامع راشدة ليس هو الجامع الذى بناه الخليفة الحاكم وإنما هو جامع قديم أنشأته قبيلة راشدة فى زمن الفتح [١].

## مصحف عقبة بن عامر الجهني وجامعه:

هو عقبة بن عامر الجهنى بن قيس بن جهينة الجهنى أبو حماد الصحابى [٢]..

شهد عقبة فتوح مصر والشام، وكان هو رسول البريد إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى فتح دمشق ووصل المدينة المنورة فى سبعة أيام ورجع منها فى يومين، ونصف [٣]....

**مكانته:** كان عقبة..قارئا للقرآن، عالما بالفرائض، والفقه صحيح اللسان شاعرا، كاتبا وهو آخر من جمع القرآن، كان له مصحف فى مصر غير مصحف عثمان.كتب فى آخره:كتبه عقبة بن عامر بيده.شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص، ثم وليها من قبل معاوية بن أبى سفيان بعد موت أخيه عتبة بن أبى سفيان فى سنة أربع وأربعين من الهجرة [٤].

أقام عقبة فى مصر إلى أن توفى بها، ودفن بالقرافة الكبرى بقرب مسجد الإمام الليث ابن سعد، ويقول ابن تغرى بردى [٥].. ليس فى الجبانة قبر صحابى مقطوع به إلا قبر عقبة[٦] . وأن البقعة التى دفن فيها عقبة بها أيضا عمرو بن العاص [٧]، وقبر أبى بصرة

---

(١) مساجد مصر...جـ٢ ص ٩٤ وعن هذا المسجد بحث واف فى هذا المصدر.
(٢) الدعاة الأول فى أرض الكنانة للمؤلف، ومساجد مصر..جـ٢ ص ٨٤ .
(٣) مساجد مصر جـ٢ ص ٨٥ .
(٤) ابن تغرى بردى:النجوم الزاهرة - جـ١ ص ١٢٧، والمقريزى:خطط جـ١ ص ٢٠٨، وراجع فصل أرض الكنانة...
(٥) النجوم الزاهرة جـ١ ص ١٢٧ .
(٦) مساجد مصر جـ٢ ص ٨٧ .
(٧) المرشد للشيخ موفق بن عثمان..نقلا عن المصدر السابق.

الغفارى الصحابى، وكان قبره موضع رعاية وعناية المصريين [١]...بل لقد حرص كثير من العلماء والفقهاء على أن يدفنوا جواره حتى عرفت بمقبرة العظماء [٢]...

**جامع فاتح بدمياط:**

دمياط من ثغور مصر القديمة، على الشاطىء الشرقي لفرع النيل المعروف بفرع دمياط، وقد خضعت للحكم الإسلامى منذ فتح المسلمون مصر [٣].

يقول البلاذرى: لما فتح عمرو بن العاص الفسطاط وجه: عمير بن وهب الجمحي إلى تنيس، ودمياط، وتونة، ودميرة، وشطا، [٤]...فغلب على أرضها، وصالح أهل قراها على مثل حكم الفسطاط، ومنذ أن دخل العرب مصر أخذت بعض القبائل العربية تنزح إليها لاستيطانها، وكان بعضهم قد قدم مع عمرو بن العاص، وجاء البعض الآخر بعد ذلك، فكانت لهم إقطاعية، فى جميع الولايات والأعمال، فانتقلت بطون من قريش، ومنهم قوم من..هوزان ومنذ سنة ستمائة واثنتين، وأربعين للهجرة بدأت دمياط تتعرف على العرب المهاجرين إليها من شبه الجزيرة العربية، وإلى المرابطين من رجال الجيش الفاتح، كما بدأت إقامة المساجد بها ولايزال يوجد بدمياط اليوم مسجد قديم يسمى جامع فاتح، يقال: إنه يرجع إلى عهد عمرو بن العاص، جدد عدة مرات فاندثرت معالمه الأثرية الأصلية [٥]...

ولما كان على عادة المسلمين الفاتحين، أن يُخْلوا بين أهل البلاد وحرفهم وعقيدتهم، ويتولوا هم الإشراف والحرب فقد ظلت أكثرية أهل دمياط حتى القرن العاشر الميلادى من القبط [٦]. وهذا من سماحة المسلمين وعدالتهم فلم يجبروا أهل هذا البلد على تغيير عقيدته بالقوة والإكراه وتركوا أهل دمياط قرابة قرنين من الزمان ونصف لم يمسوهم بسوء ليظهر لكل ذى عينين مدى احترام المسلمين لأهل الذمة.

---

(١) السخاوى: المزارات ص ٥٩ . (٢) مساجد مصر...جـ٢ ص ٨٧ .

(٣) المصدر السابق جـ ١ ص ٢٤٤

(٤) راجع من الباب الثانى فصل: فتح مصر. وقيل : المقداد بن الأسود فحاصر أهلها بمن معه من العسكر حتي فتحها، وكان ملكها خال المقوقس اسمه «الهاموك» وكان لهذا الملك ابن اسمه (شطا) رأي رسول الله ﷺ فى المنام، وفى الصباح أعلن إسلامه، وحارب فى صفوف المسلمين حتي استشهد، ودفنه المقداد خارج حدود دمياط. قال ابن إياس: وكان قتله فى ليلة نصف شعبان، وتجتمع إليه الناس من سائر النواحى، ويقصدون زيارة شطا رحمة الله عليه إلي يومنا هذا. «بدائع الزهور» (٢١ / ٢٥). نقلاً عن : «مصر فى الإسلام ص ١٠٣، ١٠٤»، وانظر بتلر : فتح العرب لمصر ص ٣١٥ .

(٥) مساجد مصر جـ ١ ص ٤٤ . (٦) مساجد مصر جـ ١ ص ٢٤٥ .

**مسجد الفتح ببوصير** (١) :

الجيزة من المدن القديمة التى أنشئت وقت الفتح العربى(٢)، والجيزة بالكسر في لغة العـــرب: أفضل موضع . . . وهى بلدة فى غربى فسطاط مصر، وقبالتها على الضفة الغربية لنهر النيل، ولها كورة كبيرة واسعة، وهى من أفضل كور مصر، وفى الخطط للمقريزى(٣): الجيـزة الناصـية والجانب، والجيزة جانب الوادى، ثم قال: والجيزة: اسم لقرية كبيرة جميلة البنيان على النيل من جانبه الغربى وتجاه مدينة الفسطاط، ويقول ابن دمقماق(٤): الجيزة مدينة إسلامية بنيت سنة إحدى وعشرين للهجرة.

**سبب بناء الجيزة:** بعد رجوع عمرو . . من فتح الإسكندرية، ونزل الفسطاط كانت طائفة من جيشه نزلت بالجيزة فدعاهم أن ينضموا إليه فى الفسطاط خوفًا عليهم، ولكنهم كرهوا ذلك، وقالوا: هذا مقدم قدمناه فى سبيل الله وأقمنا به، ما كنا بالذى نرغب عنه، ونحن به منذ شهر، فكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب يخبره بذلك فرد عليه عمر: رضيت أن تفرق بينك وبين أعوانك وأصحابك؟ وتجعل بينك وبينهم بحرا؟ لا تدرى ما يفاجئهم فلعلك لا تقدر على غيائهم، فاجمعهم إليك ولا تفرقهم، فإن أبوا وأعجبهم مكانهم فابن عليهم حصنًا من فىء المسلمين.

جمعهم عمرو . . . وأخبرهم بما جاء فى كتاب عمر بن الخطاب، فامتنعوا عن الخروج من الجيزة، ما دام أمير المؤمنين قد ترك لهم الخيار. عند ذلك أمر عمرو . . ببناء الحصن عليهم فكرهو ا ذلك، وقالوا: لا حصن أحصن لنا من سيوفنا. وأصر عمرو . . على تنفيذ أمر عمر بن الخطاب فأقرع بين قبيلة همدان، ويافع، وهم القبيلتان اللتان كرهتا بناء الحصن. فوقعت القرعة على يافع فقامت ببناء الحصن سنة إحدى وعشرين، وفرغت من بنائه سنة ثلاث وعشرين، ولما تم بناء الحصن أمرهم عمرو . . بالخطط، فاختطت كل قبيلة خطة لها، ومع الخطط كانت المساجد(٥).

---

(١) مركز الصف محافظة الجيزة اليوم.
(٢) راجع ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٣ ص ٢٠٠ .
(٣) جـ ١ ص ٢٠٥ وما بعدها . (٤) الانتصار لواسطة عقد الأمصار جـ ٤ ص ١١ .
(٥) انظر ابن عبد الحكم : فتوح مصر . . ص ١٧٥ وما بعدها، ومساجد مصر . . جـ ١ ص ٢٤٩ .

**مسجد الفارسيين :**

دخل مصر مع عمرو . . قوم من العجم يقال لهم الحمراء، والفارسيون، فأما الحمراء فقوم من الروم، فيهم بنويَنّه، وبنو الأزرق، وبنو روبيل، والفارسيون، قوم من الفرس الذين كانوا بصنعاء، وكان حامل لوائهم ابن ينّه، وإليه تنسب سقيفة ابن ينه التي بفسطاط مصر بالحمراء(١).

فلما فتحت مصر ونزلت القبائل . . نزلت الروم الحمراء التي بالقنطرة، ونزلت الفرس بناحية بني وائل، فمسجد الفارسيين هنالك مشهور معروف، قال ابن عبد الحكم: حدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا ابن لهيعة عن شيخ من موالي فهم عن علي بن رباح قال: قدم عمرو ابن العاص بالحمراء والفارسيين من الشام، قال ابن لهيعة: سماهم الحمراء، لأنهم من العجم(٢).

**مسجد العيثم :** بناه الحكم بن أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان، فهو من الاصطبل، وكان الاصطبل للأزد، فاشتراه منهم الحكم فبناه، وكان يجرى على الذى يقرأ القرآن في المصحف الذى وضعوه في المسجد . . من كراه في كل شهر ثلاثة دنانير. وكان سبب وجود هذا المصحف أن الحجاج بن يوسف كتب مصاحف وبعث بها إلى الأمصار، ووجه بمصحف إلى مصر، فغضب عبد العزيز بن مروان من ذلك، وقال: يبعث إلى جند أنابه بمصحف؟ فأمر فكتب له هذا المصحف الذى في المسجد الجامع اليوم، فلما فرغ منه قال: من وجد فيه حرفًا خطأً فله رأس أحمر(٣)، وثلاثون دينارًا، فتداوله القراء، فأتى رجل من أهل الحمراء فنظر فيه ثم جاء إلى عبد العزيز، فقال: قد وجدت في المصحف حرفًا خطأً. قال: مصحفي؟ قال: نعم، فنظروا فإذا فيه: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ فإذا هي مكتوبة (نجعة) فأمر بالمصحف فأصلح ما كان فيه ثم أمر له بالجائزة(٤).

**مسجد لخم وغافق :**

موقعه على يمين الذاهب إلى المسجد الجامع في الطريق إلى دور الوردانيين من مسجد عبد الله فهو للخم، وما كان على يسارك فهو مسجد غافق(٥).

**مسجد حاءَ :**

الذى عند دار إسحاق بن متوكل ذو المنارة، والمسجد الذى على الطريق وأنت تريد إلى

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر . . . ص ١٧٦ .
(٢) انظر ابن عبد الحكم : ص ١٧٦ ، وما بعدها .
(٣) عبد حبشي راجع ابن عبد الحكم : ص ١٦٣ هامش ١ .
(٤) ابن عبد الحكم : ص ١٦٣ . (٥) المصدر السابق ص ١٦٥ .

مَحْرَس بن أبي حبيب مجلس كان لهم يجلسون فيه فإذا أقيمت الصلاة خرجوا من خَوْخَاتٍ لهم ثلاث شوارع إلى الطريق، فإذا صلوا رجعوا إلى مجلسهم[١].

**مسجد العتقاء :**

وهو هنالك مشهور، وللعتقاء من دار زياد الحاجب حتى تهبط إلى بيطار إلى السوق، وكان زهير بن الحارث الحجْرى . . عداده في العتقاء وكان عريفهم . . كما كان عبد الرحمن بن القاسم يتولى العتقاء[٢].

**مسجد بني شبابة وهذيل ، وهنة :** في خطة بني شبابة، والذى له المنارة التى تخرجك إلى سقيفة تزْكى، ولهم أيضاً المسجد الذى في رحبة السوسى، وإذا هبطت من درب حُوَىّ البحرىّ وقعت في هذيل، فما كان عن يمينك، وأنت تريد الخندق فلهذيل ،وما كان عن يسارك فلدهنَة من الأزد حتى تلقى يشكر من لخم في جبل يشكر[٣].

**مسجد غافق :**

كانت غافق ثلث الناس مذ دخل عمرو بن العاص مصر، ولغافق من درب السراجين إلى دور بني وردان، فما كان عن يمينك فلغافق حتى تنتهى إلى مسجد فَهم الجَمَرات[٤].

**مسجد حذّران :**

وحذران بطن من غافق، ومنها إلى مسجد أُحْدُب، وإلى مسجد الزِمام في موضع مسجد الزمام مكان دفن محمد بن أبي بكر فيما يزعمون[٥].

**مسجد أبي موسى :**

عند زقاق حَمْد من غافق الذى قبالة حمام سهل الذى للنساء، وفيه مسجد أبى موسى الغافقى ليس في الزقاق مسجد غيره، ولأبى موسى صحبة برسول الله ﷺ ولأهل مصر عن رسول الله ﷺ حديثان[٦].

**أحدهما :** «من افترى عليَّ كذبًا فليتبوأ بيتًا ـ أو مقعداً من النار»[٧].

---

(١) نفس المصدر .
(٢) نفس المصدر.
(٣) المصدر السابق ص ١٦٦ .
(٤) نفس المصدر .
(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص ١٦٦ ، تحقيق عبد المنعم عامر.
(٦) نفس المصدر السابق .
(٧) الحديث في المسند بلفظ « . . ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» جـ ٥ ص ٢٥٧ رقم ٣٦٩٤ ط . المعارف .

**والآخر :** «إذا توضأت وأنا جنب أكلت وشربت، ولا أصلي، ولا أقرأ حتى أغتسل»[١].

**مسجد سيبان :**

وهو المسجد ذى القبة الذى عند دار خالد بن عبد السلام الصدفى، وسيبان من مهرة فما كان عن يسارك وأنت تريد الذهاب إلى سقيفة حواء فلغافق، وما كان عن يمينك فلصدف، إلى مسجد أحد إلى ما فوق ذلك إلى الدرب الذى يخرجك إلى الصحراء[٢].

**مسجد عبد الله بن عبد الملك :**

هو عبد الله بن عبد الملك بن مروان، وكان عبد الملك ولاه مصر بعد موت عبد العزيز ابن مروان، وكانت ولايته فى جمادى سنة ست وثمانين، وكان حدثاً، وكان أهل مصر يسمونه مكيِّساً، وهو أول من نقل الدواوين إلى العربية، وإنما كانت بالعجمية، وهو أول من نهى الناس عن لباس البرانس[٣].

**مسجد غافق والقراط :**

ولغافق من مسجد بادى إى دار إبراهيم بن صالح إلى مسجد القرَّاط. وتلك دهنة غافق. ولغافق من الخطة أكثر مما ذكرنا غير أن هذه جملها[٤].

**مسجد كنانة :**

فى خطة كنانة بن بشر بن سلمان الأيْدَعِيّ دار هبيرة، وثَم مسجده ثم صارت بعد ذلك لعثمان بن يونس[٥].

**مسجد سبأ :**

ولسبأ خطة وهو فهد به كثير بن فهد، وكان ولى برقة أيام أسامة بن زيد الأولى، وكان قد ولى جزيزة الصناعة، وهو القصر الذى عند مسجد الزينة[٦].

**مسجد عمرو في الإسكندرية :**

لما فتح عمرو . . الإسكندرية أقبل هو وعبادة بن الصامت حتى علوا الكوم الذى فيه مسجد عمرو بن العاص، فقال معاوية بن حديج: ننزل فنزل عمرو بن العاص القصر الذى صار

---

(١) الحديث ذكره ابن عبد الحكم عن ابن لهيعة بسنده عن عبد الله بن مالك فى كتابه : فتوح مصر والمغرب ص ١٦٧ ، وابن لهيعة ثقة صحيح الحديث . . راجع سنن الترمذى جـ ١ ص ١٦ هامش ١ تحقيق أحمد شاكر . ص الحلبى . مصر .

(٢) انظر ابن عبد الحكم ص ١٦٧

(٣) نفس المصدر .

(٤) المصدر السابق ص ١٦٨ .

(٥) المصدر السابق ص ١٧١ .

(٦) المصدر السابق ص ١٧٣ .

لعبد الله بن سعد بن أبى سرح . . . ونزل أبو ذر الغفارى منزلاً كان غربى المصلى الذى عند مسجد عمرو . . مما يلى البحر[١].

**مسجد القلعة :**

وهو أول مسجد بنى بفسطاط مصر، وكان فى أصل حصن الروم عند الريحان قبالة الموضع الذى يعرف بالقالوس[٢]، يعرف بمسجد القلعة[٣].

**تعقيـــب :**

أسدى الفاتحون إلى أهل مصر خدمة جليلة بإقامتهم بيوت الله فى الأرض وحرصهم الشديد على عمارتها، ولم تقتصر عمارتهم لبيوت الله بالعبادة فقط، وإنما حرصوا على مذاكرة القرآن ومدارسته فى المساجد وتعليم الناس أحكامه، وتلاوته.

**المبحث الرابع : دور حملة القرآن من الصحابة في مصر :**

كان أهم ما حمله المسلمون الفاتحون إلى مصر القرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة، ودستوره الباقى إلى يوم الدين. عرف طريقه إلى مساجد مصر على يد الدعاة من صحابة رسول الله ﷺ فقد كان منهم القراء الذين يحملونه كلاماً محفوظاً فى الصدور، ومنهم من كان يحمله فى متاعه كتاباً مسجلاً فى القراطيس وبالرغم من أن الكتابة لم تكن شيئاً نادراً بين هؤلاء الفـــاتحين[٤]. «فليس لنا أن نظن أن القرآن المكتوب كله أو بعضه ـ كان مألوفاً، بل علينا أن نقنع فنقدر أن نسبة قليلة من هؤلاء الفاتحين كانت تملك بعض سور الكتاب الكريم مسجلة بالطريقة المألوفة فى جزيرتهم على : الرقاع، والعسب، واللخاف، والأكتاف»[٥].

---

(١) النظر ابن عبد الحكم : ص ١٧٧ .

(٢) القالوس: مكان بالفسطاط، وهذا المكان سمى بالقالوس نسبة إلى جمل كان يتخذ مركباً فى الرهان، وكلمة قالوس كلمة رومية ومعناها بالعربية (مرحباً بك) ولعل الروم كانوا يصفقون لراكب هذا الجمل، ويقولون هذه الكلمة على عادتهم، راجع لابن عبد الحكم : فتوح مصر .. ، ص ١٨١ هامش ١ تحقيق عبد المنعم عامر .

(٣) ابن عبد الحكم : ص ١٨١ .

(٤) من الكاتبين فى جيش الفتح : عبد الله بن سعد بن أبي سرح (البلاذرى: فتوح البلدان : ص ٥٨٠ ، ٥٨٢ ، وعقبة بن عامر (ابن دقماق : الانتصار . جـ ٤ ص ١١ ، وابن حجر العسقلانى : تهذيب التهذيب جـ ٨ ص ٢٤٥). ووردان مولى عمرو بن العاص (ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة : جـ ١ ص ٢٢٥ وانظر د/ عبد الله خورشيد البرى القرآن وعلومه فى مصر ص ١٤ دار المعارف القاهرة ١٩٦٩ .

(٥) أبو بكر السجستانى : كتاب المصاحف : ٧ ، ٨ ، د/ عبد الله خورشيد : القرآن وعلومه فى مصر ص=

من هؤلاء القراء : الصحابى المشهور **أبو ذر الغفاري**، الذى توفى سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة[١] .

**وعبد الله بن عمرو**[٢] ؛

**وعقبة بن عامر الجهني** صاحب رسول الله ﷺ كان فقيهاً علامة، قارئاً لكتاب الله، بصيراً بالفرائض، ولى إمرة مصر، وكان له مصحف. بخطه، توفى سنة ثمان وخمسين للهجرة[٣] .

**وأبو تميم الجيشاني** : كان ثقة، روى عن عمر وعلى، ومات سنة سبع أو ثمان وسبعين فى خلافة عبد الملك بن مروان[٤] .

**وعبد الله بن عمرو بن العاص :** صاحب الشخصية الفكرية، المتميزة فقد كان يعرف السريانية، ويقرأ بها كتب أهل الكتاب، كما كان يكتب عن النبى ﷺ حتى كاد الاجتهاد فى العبادة وتلاوة القرآن يصرفانه عن واجبه نحو نفسه وأهله[٥] .

وقد حرص عبد الله أن يكون له مصحفاً خاصاً به يسجل فيه ما يتلقاه من القرآن الكريم عن النبى ﷺ مباشرة[٦] ، وكان مما يتمشى مع منطق الأوضاع فى مصر أن يتبع أهلها مصحف عقبة، أو مصحف عبد الله بن عمرو أو كليهما معاً[٧] .

**وعبد الرحمن بن ملجم**، الذى اشتهر بعد اغتياله على بن أبى طالب، وقد قتل سنة أربعين من الهجرة[٨] وكان ابن **ملجم** من العباد . الذين يعكفون على عبادة الله[٩] . وكان

---

=١٥ . **والرقاع:** قطعة من الورق، أو الجلد يكتب علها . **والعسب:** جريدة النخل المستقيمة مادة (عسبه) **واللخاف:** حجر رقيق محدد. **والاكتاف:** ج كتف وهو عظم عريض خلف المنكب يكون للإنسان والحيوان. المعجم الوسيط مواده رقع، والخف، وكتف.

(١) ابن عبد الحكم ص ٩٤ .

(٢) السيوطى : حسن المحاضرة جـ ١ ص ٩٢ والقرآن وعلومه فى مصر ص ٩٥ .

(٣) الذهبى : تذكرة الحفظ جـ ١ ص ٤٠، وحسن المحاضرة جـ ١ ص ٤٨٥، والطبقات جـ ٧ ق ٢ ص ١٩١، والقرآن وعلومه فى مصر .

(٤) ابن سعد الطبقات جـ ٧ ص ٥١٠، وحسن المحاضرة جـ ١ ص ٤٨٥ .

(٥) الطبقات جـ ٢ ق ٢ ص ١٢٥، جـ ٧ ق ٢ ص ١٨٩، وابن عبد الحكم . . ص ٩٧، ٢٥٤، وابن عبد ربه: العقد الفريد جـ ٢ ص ٢٧٥، وأبو نعيم : الحلية جـ ١ ص ٢٨٦، والذهبى : تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٣٦ ، وابن تغرى بردى : النجوم جـ ١ ص ١٧١، والسيوطى : الإتقان جـ ١ ص ٧٠ .

(٦) انظر : القرآن وعلومه فى مصر ص ١٦ (٧) المصدر السابق ص ١٧ .

(٨) السمعانى : الأنساب ص ٤ . (٩) جولد تسيهر : العقيدة والشريعة ص ١٤٦ .

في جبهته مثله مثل سائر أصحاب الجباه السود[١]. وابتنى لنفسه في الفسطاط مسجداً خاصاً يتعبد فيه[٢]، وكان ابن ملجم قد تتلمذ على معاذ بن جبل في اليمن، ولم يلبث حتى أصبح من القراء وأهل الفقه[٣]. وقد كان الخليفة عمر رضي الله عنه كلفه رسمياً بإقراء المصريين القرآن، وأمر له تسهيلاً لمهمته بمنزل قريب من المسجد الجامع[٤].

هؤلاء الصحابة اشتركوا مع غيرهم في جيش الفتح ومع أنهم من قراء القرآن، لم يمنعهم أن يكونوا أصحاب سيف يمتطون صهوة الجياد، ويمتشقون الحسام، فيقتلون، ويقتلون، يظفرون بالجنة إذا استشهدوا أو بالغنيمة إن فاتهم كرم الاستشهاد.

**فعقبة بن عامر** من الرماة البارعين بالسهام، شهد فتوح الشام ومصر، وقد تأثر بقول النبي ﷺ وهو على المنبر يفسر القوة في الآية: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[٥] بأنها الرمي[٦] ويقول النبي ﷺ: «من علم الرمي ثم تركه فليس منا»[٧].

**وأبو ذر** رضي الله عنه صاحب القوة، والذي كان يقطع الطريق وحده، ويغير على الحي وحده.. فلما قذف الله الإسلام في قلبه تحول إلى فارس مغوار وهو من فرسان الإسلام[٨].

**عبد الله بن عمرو بن العاص:** فقد كان على مقدمة جيش الفتح، وفي مقدمة معركة الكريون التي دارت بين المسلمين والروم قبل فتح الإسكندرية، وقد أصابته جراح كثيرة في هذه المعركة، فالتفت إلى وردان الرومي مولى أبيه - وكان حامل اللواء - فقال له يا وردان: لو تقهقرت قليلاً نصيب الروح، فقال وردان الروح تريد؟ الروح أمامك، وليس هو خلفك! وفهم عبد الله تذكير العبد **اليوناني** له إياه بنعيم الجنة الذي ينتظر الشهداء فتقدم[٩]، وفي

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ ١ ص ٣٣٢، فلهوزن: الخوارج والشيعة ص ٢٠ حيث يذكرون باسم أصحاب الجباه المصفرة من أثر السجود. ابن سعد الطبقات جـ ٣ ص ٢٧، وابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة جـ ١ ص ١٢٠.

(٢) السمعاني: الأنساب ص ١٠٤، والقرآن وعلومه في مصر ص ١٠٢.

(٣) السمعاني: الأنساب ص ١٠٤، وابن دقماق: الانتصار جـ ٤ ص ٦، والقرآن وعلومه في مصر ص ١٠٥.

(٤) المسعودي: مروج الذهب جـ ٢ ص ٤٠، والسمعاني: الأنساب ص ١٠٤ وابن دقماق: الانتصار جـ ٤ ص ٦، وابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة جـ ١ ص ١١٤، ١١٤.

(٥) سورة الأنفال: آية ٦٠. (٦) السيوطي: الإتقان جـ ٢ ص ١٩٥.

(٧) ابن عبد الحكم: فتوح مصر: ص ٢٩٢ ط ليون.

(٨) ابن سعد: الطبقات جـ ٤ ق ١ ص ١٦٣، ١٦٤، وابن عبد الحكم: فتوح مصر ص ١٧٣.

(٩) ابن عبد الحكم ص ٢٦٩، الطبري: ٦ / ٧٣، ٧٤.

سنة سبع وعشرين من الهجرة اشترك مع ابن أبى سرح فى غزوة أفريقية[١].

**مكانة القراء الاجتماعية:** كانوا يمتازون بهذه المكانة لحملهم كتاب الله، دستور دعوة الإسلام، ومن ثم تعد طبقة القراء من الفئات التى كانت تتقاضى رواتب مجزية فقد قسم عمر العطاء على فئات ثلاث:

١ - **فئة ممتازة:** تتقاضى أعلى درجات العطاء، وتتكون من أقارب النبى ﷺ وأزواجه، وأهل بدر والمهاجرين والأنصار.

٢ - **فئة وسطى:** تتكون من أفراد يتمتعون بمزايا شخصية: مثل المكانة الاجتماعية، أو البلاء فى الجهاد، أو قراءة القرآن.

٣ - **الفئة الثالثة:** تشمل سائر الناس[٢].

**والخلاصة:** أن القارئ لم يكن يحصل على العطاء لمجرد كونه قارئًا، بمعنى أن حفظ القرآن فى ذاته لم يكن يعطى صاحبه الحق فى الحصول على راتب ثابت من الدولة، وإنما كان فقط يحدد الفئة التى يوضع فيها، وأيما كان الأمر فالذى لا شك فيه هو أن العطاء كان يشكل موردًا ثابتًا لدخل القارئ فى مصر حينذاك[٣].

وبعد: فهذا هو القارئ الذى دخل مصر فى جيش الفتح سنة عشرين هجرية محاربًا عابدًا، داعيًا إلى الله، ولما كان القارئ الفاتح قد قدم مصر بشخصيته المكتملة فقد يكون من المفيد أن نرجع قليلاً إلى الوراء لنلقى نظرة سريعة على هذه الشخصية فى بدايتها الأولى[٤]. لنعرف طريقة مَن ينضم إلى دعوة الإسلام.

**الدافع إلى تعلم القرآن:**

كان الفرد إذا أسلم، وجد نفسه فى حاجة إلى تعلم قدر من القرآن يؤدى به الصلاة المفروضة ويتبين منه شيئًا من تعاليم دينه الجديد، ويكون علامة على إسلامه، وكان النبى ﷺ - نفسه - أو بعض الصحابة مثل أبى بكر[٥]، وأبى بن كعب[٦]. يتولى إقراء المسلم الجديد

---

(١) البلاذرى: فتوح البلدان.

(٢) ابن سعد: الطبقات جـ ٣ ق ١ ص ٢١٣، ٢١٤، والبلاذرى: فتوح البلدان: ص ٥٥٠، ٥٥١، والقرآن وعلومه فى مصر ص ٩٩.

(٣) انظر القرآن وعلومه فى مصر ص ١٠٠.

(٤) المصدر السابق ص ١٠٥.

(٥) ابن سعد: الطبقات جـ ٥ ص ٣٧٢.

(٦) المصدر السابق جـ ٥ ص ٣٧٢، ٤٠٦.

هذا القدر المطلوب: سورة الحمد وسورة اقرأ باسم ربك الذى خلق[١] . أو سورة مريم. أو سورة البقرة[٢] .

ولما كان القرآن هو المصدر النظرى الأول للعقيدة والشريعة والدعوة والسلوك، فقد كان النبى ﷺ يحب لكل مسلم أن يعى أكبر قدر منه، فكان يحضهم على تلاوته، وحبب إليهم حفظه[٣] . غير أن ذلك لم يكن عملاً سهلاً، بسبب طبيعة القرآن المتأبية على الحفظ الدائم[٤] . وامتداداً لهذا المنهج النبوى الشريف طبّقه الصحابة على أهل مصر بعد فتحها، فأثمر وأدى الغرض المطلوب.

**والخلاصة :** أن بناء المساجد فى مصر كان له دلالة هامة فى تمكن المسلمين من أرض الكنانة، وبداية وضع منهج الدعوة موضع الاهتمام والرعاية، والتنفيذ، ومن ثم ظهر أثر المسجد فى :

**أولاً :** الأذان، وهو شعار دعوة الإسلام .

**ثانياً :** إقامة الصلاة، وهى أشد ما يحرص عليه المسلمون لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾[٥] .

**ثالثاً:** حلقات الدرس، والعلم، والفتيا .

**رابعاً :** متولى الحسبة . الذى كان يتخذ من المسجد مقرّاً له .

**خامساً :** معرفة البلدان التى كانوا يفتحونها عن طريق اجتماعهم فيه وتشاورهم فيما بينهم.

---

(١) المصدر السابق جـ ٥ ص ٤١١ .

(٢) المصدر السابق جـ ٤ ق ١ ص ١٧٨ (١٠) المصدر السابق جـ ٧ ق ١ ص ٤٨٠ .

(٣) راجع صحيح البخارى : كتاب فضائل القرآن حيث شبه الحديث رقم ٣٩ ص ٣٢٧ من يقرأ القرآن بالأترجة طعمها طيب، وريحها طيب، فى حين يقرر الحديثان ٤٥، ٤٦ ص ٣٢٩أن حفظ القرآن وتلاوته ميزة يحسد عليها صاحبها، كما ينص الحديثان : ٤٦ ، ٤٧ ص ٣٢٩، ٣٣٠ على أن خير المسلمين هو من تعلم القرآن وعلمه. ويعرض السيوطى الموضوع نفسه، فى النوع الخامس والثلاثين من الإتقان جـ ١ ص ١٠٤ . فليرجع إليه من شاء.

(٤) راجع صحيح البخارى : جـ ٦ ص ٣٣١ ـ ٣٣٢ الأحاديث : ٥٠، ٥١، ٥٢ ، ٥٣، وفيها يشبه النبى ﷺ ميل القرآن إلى التسرب من الحافظ بميل الإبل إلى التفلت من العقل. وراجع: القرآن وعلومه فى مصر ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٥) النساء من الآية ١٠٣ .

**سـادسًا :** تعلق الناس بالمسجد خاصة الذين يدخلون فى الإسلام حديثًا، فقد كانت الصحابة تتلقفهم فرحين مهللين مكبرين، ولا يوجد مكان مناسب لتعليمهم إلا فى المسجد.

**سـابعًا :** القضاء الذى ظهر على الساحة المصرية لأول مرة، والذى رفع شعار ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾[1]، فكان صورة طيبة حببت المصريين فى المسلمين لعدلهم، وإنصافهم.

**ثامنًا :** وضح دور المسجد فى مصر، وأثره فى سرعة انتشار الإسلام مما أدى إلى استقرار المسلمين فى مصر، وبداية دخولها فى حوزة الإسلام شيئًا فشيئًا، وإن كانت إقامة المساجد تدل على استقرار المسلمين فى مصر، فهناك أدلة مادية على استقرارهم ونشر دعوتهم فى القرى، والمدن على السواء أيضًا . فما هى هذه الأدلة؟

(١) النساء من الآية ٥٨ .

## الفصل الثالث

## الأدلة المادية على استقرار الدعوة في مصر ، وانتشارها في القرى

ويشتمل علي : تمهيد ،

وستة مباحث :

المبحث الأول : الخطط .

المبحث الثاني : الأخائذ .

المبحث الثالث : القطائع .

المبحث الرابع : خروج القبائل إلي الريف واختلاطها بالمصريين وأثر ذلك على الدعوة.

المبحث الخامس : مكانة مصر عند الصحابة الفاتحين .

المبحث السادس : متى كان نزول المسلمين الريف، وما هي القرى التي كانوا يقصدونها؟

النتائج :

**التمهيد :**

أذن عمرو بن العاص للقبائل أن تختط لها دوراً حول المسجد الجامع، وأمر معاوية بن خديج التجيبى، وآخرين[*] ليشرفوا على هذا العمل، وكانت كل قبيلة منفصلة عن غيرها، وقد امتدت الخطط من النيل غرباً حتى عين الصيرة فى الشرق، ومن جبل يشكر من الشمال حتى الشرق، وجبل الرصد المعروف باصطبل عنتر فى الجنوب، والتصقت الخطط القريبة من الجامع، ومن قصر الشمع[١].

وقد قسمت هذا الفصل إلى ستة مباحث كما يلى :

## المبحث الأول : الخطط وتقسيمها :

**تنقسم الخطط إلي قسمين : خطط أفراد، وخطط[٢] قبائل أو جماعات.**

**التفكير في السكنى** : لما فتح عمرو . . الإسكندرية، ورأى بيوتها وبناءها مفروغا منها هَمّ أن يسكنها وقال: مساكن قد كفيناها، لكنه آثر أن يستشير عمر بن الخطاب فى ذلك. . . فكتب إليه عمر: إنى لا أحب أن تنزل المسلمين منزلاً يحول الماء بينى وبينهم فى شتاء ولا صيف[٣].

فتحول عمرو من الإسكندرية إلى الفسطاط وأمر ببناء مسجده[٤]، واختط الناس من حوله حتى أن عمرو بن العاص كتب إلى عمر بن الخطاب: إنا قد اختططنا لك داراً عند المسجد الجامع، فكتب إليه عمر: أنّى لرجل بالحجاز تكون له داراً بمصر؟ وأمر أن يجعلها سوقاً للمسلمين[٥].

**خطط الأفـــراد** : كان ممن حضر الفتح واختط لنفسه داراً عبد الله بن عمر بن

---

(*) وهم : شريك بن سمى الغطيفى، وعمرو بن قحزم الخولانى، وحيويل بن ناشرة المغافرى وكانوا هم الذين أنزلوا الناس، وفصلوا بين القبائل سنة إحدى وعشرين هجرية. راجع للمقريزى: تقى الدين أبى العباس أحمد بن على المقريزى، المتوفى سنة خمس وأربعين وثمانمائة من الهجرة: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. المعروف بالخطط المقريزية جـ ١ ص ٢٩٧ .

(١) راجع للدكتور عبد الرحمن زكى : الفسطاط وضاحيتاها: العسكر والقطائع ص ١٦، ١٧ . القاهرة ١٩٦٦ .

(٢) جمع خطة بمعنى محلة أو بلد. يشبه القطائع راجع المعجم الوسيط مادة (خط) وابن عبد الحكم هامش ١ ص ١٣٢

(٣) ابن عبد الحكم ص ١٣٢

(٤) المرجع السابق ص ١٣٣ .

(٥) المرجع السابق ص ١٣٤ .

الخطاب، وكانت تسمى دار البركة، بركة الرقيق، كما اختط عمرًا داره التى هى اليوم عند باب المسجد بينها الطريق، وداره الأخرى الملاصقة إلى جنبها، وفيها دفن عبد الله بن عمرو بن العاص . . لحدث كان يومئذ فى البلد، واختط عبد الله بن عمرو داره الكبرى عند المسجد الجامع، وبنى فيها قصرًا على تربيع الكعبة الأولى[١] اختط مسلمة بن مخلد دار الرمل، واختط معه أبو رافع مولى رسول الله ﷺ واختط معهما عقبة بن عامر الجهنى[٢]، واختط قيس بن أبى العاص السهمى داره التى عند دار ابن رمانة، وكانت دار ابن رمانة بينها وبين المسجد، وإلى جانب قيس: اختط عبد الله بن جزء الزبيدى[٣].

كما اختط عبد الله بن الحارث داره، وبجواره ثوبان مولى رسول الله ﷺ[٤].

واختط عبادة بن الصامت إلى جنب ابن رمانة، وأنت تريد إلى سوق الحمّام، وهى الدار التى كان يسكنها جوجو المؤذن[٥].

واختط خارجة بن حذافة غربى المسجد بينه وبين دار ثوبان قبالة الميضأة القديمة[٦].

واختط عبد الله بن عويس أخو عبد الرحمن بن عويس عند القبة، دار المعافري[٧].

واختط ابن الحويرث السهمي إلى جانب دار بنى جمح، وقبلى دار زكرياء بن الجهم العبدرى، واختط زكرّياء بن جهم العبدري داره التى فى زقاق القناديل، وهى دار عياش بن شرحبيل اليوم[٨].

واختط عبد الرحمن، وربيعة ابنا شرحبيل ابن حسنة دار عباس بن شرحبيل الأخرى التى إلى جانبها، ودار سلمة بن عبد الملك الطحاوى[٩].

واختط أبو ذر الغفاري، دار العُمُد ذات الحمّام التى أخذ بركة بن منصور الكاتب بيّرها[١٠].

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٩ .
(٢) المرجع السابق ص ١٤٣ .
(٣) وكانت الخطط بمدينة فسطاط مصر بمنزلة الحارات التى هى اليوم بالقاهرة، فقيل لتلك فى مصر خطة . راجع المقريزى الخطط جـ ١ ص ٢٩٦ .
(٣) انظر ابن عبد الحكم . . ص ١٤٧ .
(٤) المرجع السابق ص ١٤٨ .
(٥) نفس المرجع .
(٦) المرجع السابق ص ١٥٢ .
(٧) المرجع السابق ص ١٥٣ .
(٩) نفس المرجع .
(١٠) نفس المرجع .

واختط إياس بن عبد الله القارئ غربى دار شرحبيل بن حسنة، كما اختط رويفع ابن ثابت، وعقبة بن كريم الأنصاري مع ربيعة، وعبد الرحمن بن شرحبيل بن مسلمة، واختط رويفع بن ثابت الأنصاري أيضاً الدار التى صارت لبنى الصّمة[١]، واختط أبو فاطمة الأزدي دار الدوسى، والدار التى فيها أصحاب الحمائل اليوم[٢]، واختط عبد الله بن سعد ابن أبي سرح داره الملاصقة بقصر الروم[٣].

واختط كعب بن ضنة . . الدار التى فى طرف زقاق القناد يل مما يلى سوق بربر، وتعرف بدار النخلة[٤].

واختط كعب بن عدي العبادي فى القيسارية، فلما أراد عبد العزيز بناءها اشتراها منهم، وخط لهم دارهم فى بنى وائل[٥].

واختط الزبير بن العوام داره التى بسوق وردان اليوم[*] وفيها السلم التى كان الزبير نصبه، وصعد عليه الحصن، واختط أبو بصرة الغفارى عند دار الزبير بن العوام[٦]. كانت هذه خطط الأفراد، ويليها . .

**خطط القبائل :**

اختطت أسلم مما يلي دار أبى ذر، ومن خططها : دار الصباح، والزقاق الذى فيه دار ابن بُلادة،، واختط الليثيون الذين كانوا مع عمرو بن العاص وهم : آل عروة بن شبيم، واختطت بلي خلف خارجة بن حذافة ثم اختطت بنو بحر مما يلي بليّ وهم قوم من الأزد فى لخم، ثم شرعوا إلى البحر[٧].

**خطة أهل الراية :** وهم جماعة من قريش، والأنصار، وخزاعة، وأسلم وغفار، ومزينة، وأشجع، وجهينة وثقيف ودوس، وعبس بن بغيض، وحرش من بنى كنانة، وليث بن بكر، وسموا أهل الراية، لأنهم لم يكن لهم بطن منهم من العدد ما ينفرد بدعوة من الديوان، فكره كل بطن منهم أن يدعى باسم قبيلة غير قبيلته. فجعل لهم عمرو بن العاص راية، ولم ينسبها

---

(١) المرجع السابق ص ١٥٤ .
(٢) نفس المرجع .
(٣) المرجع السابق ص ١٥٥ .
(٤) المرجع السابق ص ١٥٦ .
(٥) المرجع السابق ص ١٥٨ .
(*) بالنسبة لزمن ابن عبد الحكم .
(٦) ابن عبد الحُكم . . ص ١٥٩ .
(٧) المرجع السابق ص ١٦١ وراجع لمحمد غزة دورزة: عروبة مصر قبل الإسلام وبعده ص ١٢٠ .

إلى أحد، فقال: يكون موقفكم تحتها، فكانت لهم كالنسب الجامع، وكان ديوانهم عليها. . وهذه الخطة محيطة بالجامع من جميع جوانبه. . وابتداء من باب قصر الشمع إلى حمام الفار، ومن النيل غربًا إلى النحاسين، فالجانبان لأهل الراية إلى باب المسجد الجامع(١).

**واختطت مهرة أول** ما دخلت بدار الخيل، وما ولاها على سفح الجبل الذى يقال له جبل يشكر، وكانت منازل مهرة قبل الراية مما يلى منازل ابن سعد بن أبى سرح حوزًا أحازوه، وكانوا إذا أتوا الجمعة ربطوا خيولهم، ثم نقلهم عمرو. بعد ذلك وضمهم إليه، وتنسب مهرة إلى مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن حمير(٢).

**واختطت لخم**، قبلى ثقيف مما يلى السراجين، ولها موضعين: خطة لخم بن عدى ابن مرة بن أدد ومن خالطها من جذام، فابتدأت لخم بخطتها من الذى انتهت إليه خطة الراية، وأصعدت ذات الشمال وفى هذه الخطة سوق بربر وشارعه . . ولهم خطتان أخريان: إحداهما منسوبة إلى بنى ريَّة بن عمرو بن الحارث بن وائل بن راشدة من لخم . . والثانية خطة راشدة ابن أدب بن جزيلة من لخم وفى هذه الخطة جامع راشدة ولهم مواضع مع اللفيف، وخطط الحمراء(٣).

**واختطت الصدف قبلي مهرة**، فمضوا بخطتهم حتى برزوا بطرف منها فلقوا قبيلة حضرموت دون الصحراء، وتنسب هذه الخطة إلى مالك بن سهل بن عمرو بن قيس بن حمير ودعوتهم مع كندة(٤).

**واختطت حضرموت**، وبطن من يحصب فى موضعهم اليوم فى زمن عثمان بن عفان(٥).

**ثم اختطت تجيب**، فأخذت بنو عامر شرقى الحصن قبلى منزل عبد الله بن سعد بن أبى سرح، ثم مضوا بخطتهم حتى لقوا مهرة والصدف من مهب الشمال(٦)، وتنسب هذه الخطة إلى بنى عدى وسعد ابنى الأشرس بن شبيب بن السكن بن الأشرس بن كندة، فمن كان من ولد عدى وسعد يقال لهم تجيب، وتجيب أمهم، وهذه الخطة تلى خطة مهرة(٧).

(١) انظر المقريزى: الخطط جـ ١ ص ٢٩٧، وابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب ص ١٦٢.
(٢) الخطط جـ ١ ص ٢٩٧ وابن عبد الحكم ص ١٦٤.
(٣) ابن عبد الحكم ص ١٦٦، والخطط جـ ١ ص ٢٩٧، وراجع لمحمد عزة دروزة: عروبة مصر قبل الإسلام وبعده ص ١٣٩.
(٤) ابن عبد الحكم ص ١٦٨، والخطط جـ ١ ص ٢٩٧. (٥) ابن عبد الحكم ص ١٦٨.
(٦) المرجع نفسه ص ١٧١. (٧) الخطط جـ ١ ص ٢٩٧.

**واختطت كنانة** بن بشر بن سلمان الأيْدَعِيّ دار هبيرة[١].

**واختطت خولان** الشرق قِبْلى الحصن، ثم مضوا بخطتهم حتى لقوا وائل والفارسيين[٢].

**واختطت مذحج** بن خولان وتجيب وتنسب إلى مالك بن مرة بن أدد بن زيد بن كهلان[٣].

**واختطت وَعْلان** ما يلى القصر[٤]، وتنسب إلى وعلان بن قرن بن ناجية بن مراد، وكلهم من مذحج، ولها خطة بخولان تطل على قبل القاضى بكار[٥].

**واختطت حمير قبلي خَوْلان**، وشرقيها، وشرق بديعة من مذحج، فكانت يحصب قبلى المعافر حتى قطعوا الجبل، واختطت **يافع، ورعين** شرقى خولان، ثم لقوا قبائل **الكلاع**، ثم مضوا بين قبائل **سبأ** والمعافر، وبين اصطبل قرة بن شريك حتى أصحروا[٦].

**واختطت المعافر**، وفيهم الأشعريون، والسكاسك شرقى الكلاع. . . ثم مضوا بخطتهم حتى أصحروا ينازلون حمير وطائفة من خولان، وحمير والمعافر على الجبل موفون على قبائل مصر، وتنسب المعافر إلى يعفر بن مرة بن أدد، وهذه الخطة من الرصد إلى سقاية بن طولون، وهى القناطر التى تطل على عفصة وتفصل بين القرافتين، والقناطر للمعافر ولهم مصلى خولان[٧].

**واختطت بنو وائل** فى مهب الشمال، ثم مضوا بخطتهم شارعين على النيل حتى لقيت راشدة من لخم مما يلى الاصطبل . . ثم انحطت طائفة من لخم خلف بنى وائل وشرعوا فى النيل، ثم مضوا ينازعون يَحْصُب. . . وكان بين القبائل فضاء، ثم كثر البنيان والتأم، وتنسب وائل إلى وائل بن زيد مناة بن أقصى بن إياس بن حرام بن جذام بن عدى وهى من سفح الشرف المعروف بالرصد إلى خطة خولان[٨].

---

(١) راجع لابن عبد الحكم ص ١٧١، وعروبة مصر قبل الإسلام وبعده ص ١٢٦ .
(٢) ابن عد الحكم . . ص ١٧١ .
(٣) لاخطط جـ ١ ص ١٩٧ ، وابن عبد الحكم ص ١٧٢ . (٤) نفس المرجع .
(٥) الخطط جـ ١ ص ٢٩٨ . (٦) ابن عبد الحكم ص ١٧٢ .
(٧) انظر ابن عد الحكم : ص ١٧٣ ، والخطط : جـ ١ ص ٢٩٨ .
(٨) انظر ابن عد الحكم : ص ١٧٥ ، والخطط : جـ ١ ص ٢٩٨ .

**واختطت غافق** بين مهرة ولخم، ثم مضوا بخطتهم حتى برزوا إلى الصحراء مما يلى الموقف، وتنسب غافق إلى غافق بن الحارث بن عك بن عدنان بن عبد الله بن الأزد وهذه الخطة تلى خطة لخم إلى خطة الظاهر بجوار درب الأعلام(١).

**خطط اللفيف:** سموا بذلك لالتفاف بعضهم ببعض وسبب ذلك أن عمرو بن العاص لما فتح الإسكندرية أخبر أن مراكب الروم قد توجهت إلى الإسكندرية لقتال المسلمين، فبعث عمرو . . بعمرو بن جمالة الأزدى الحجرى ليأتيه بالخبر، فمضى، وأسرعت هذه القبائل التى تدعى اللفيف وتعاقدوا على اللحاق به . .، فلما رآهم عمرو بن جمالة استكثرهم وقال: تالله ما رأيت قوماً سدوا الأفق مثلكم . . وكان عامتهم من الأزد من الحجر، ومن غسان ومن شجاعة، والتف بهم نفر من جذام، ولخم، والزحاف وتنوخ من قضاعة، فهم مجتمعون فى المنزل متفرقون فى الديوان(٢).

**خطط أهل الظاهر:**

سميت بهذا الأسم لأن القبائل التى نزلت فيه كانت بالإسكندرة، ثم قفلت بعد قفول عمرو بن العاص، وبعد أن اختط الناس خططهم، فخاصمت إلى عمرو فقال لهم معاوية بن خديج، وكان ممن يتولى الخطط يومئذ: أرى لكم أن تظهروا على أهل هذه القبائل فتتخذوا منزلاً فسمى الظاهر بذلك وكانت القبائل التى نزلت الظاهر، العتقاء، وهم جماعة من القبائل، كانوا يقطعون على أيام النبى ﷺ فبعث إليهم فأتى بهم أسرى، فأعتقهم فقيل لهم العتقاء، وديوانهم مع أهل الراية(٣).

**خطة الفارسيين،** وهم ممن شهد فتح مصر، من الفارسسين، وهم بقايا جند باذان، عامل كسرى على اليمن قبل الإسلام، أسلموا بالشام ورغبوا فى الجهاد، فنفروا مع عمرو بن العاص إلى مصر، فاختطوا بها، وأخذوا فى سفح الجبل الذى يقال له: جبل باب ليون، وهذا الجبل اليوم شرقى خطة جامع ابن طولون(٤).

**خطة غطيف بن مراد (٥):**

---

(١) انظر ابن عد الحكم : ص ١٦٦ ، والخطط : جـ ١ ص ٢٩٨ .
(٢) الخطط : جـ ١ ص ٢٩٧ .
(٣) والخطط : جـ ١ ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ .
(٤) الخطط جـ ١ ص ٢٩٨ .
(٥) نفس المصدر .

**خطة يحصب بن مالك** بن أسلم بن زيد بن غوث، وهذه الخطة موضعها كيمان وهى تتصل بالشرف الذى يعرف اليوم بالرصد المطل على راشدة.

**خطة ذي الكلاع:** بن شرحبيل بن سعد من حمير [١].

**خطة سبأ، وخطة الرحبة : بن زرعة بن كعب**[٢].

**خطة السلف :** بن سعد فيما بين الكوم المطل على القاضى بكّار وبين المعافر[٣].

**خطة القبض :** بالتحريك بن مرثد، وهى بجانب خطة بنى وائل إلى نحو بركة الجيش، وسبب نزول بنى وائل والقبض، ورية، وراشدة، والفارسيين هذه المواضع أنهم كانوا فى طوالع عمرو بن العاص، فنزلوا فى مقدمة الناس وحازوا هذه المواضع قبل الفتح[٤].

**خطط الحمروات الثلاث :**

**قال الكندي :** كانت الحمراء الثلاث: بنوينّة، وروبيل، والأزرق، وكانوا ممن سار مع عمرو بن العاص من الشام إلى مصر، من عجم الشام، ورغبوا فى الإسلام، ومن قبل اليرموك، ومن أهل قيسارية.

**قال القضاعي:** إنما قيل الحمراء لنزول الروم بها، وبها خطط بلى، وفهم، وعدوان، وبعض الأزد، وبنى بحر، وهذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر، وبنى الأزرق وهم من الروم، وبنى روبيل وكان يهودياً فأسلم.

فالحمراء الدنيا خطة بلي . . . والوسطى منها خطة بني ينه . . . والقصوى خطة بني الأزرق وكان رومياً حضر الفتح منهم أربعمائة[٥].

**خطة بني روبيل :**

(سالف الذكر) حضر الفتح منهم ألف رجل وخطة بنى يشكر بن جزيلة بن لخم، وكانت منازل يشكر مفرقة فى الجبل فدثرت قديماً وعادت صحراء حتى جاءت جيوش العباس فعمروها[٦].

**قبائل سكنت الجيزة** ، وهى **همدان** ومَن والاها[٧] ، كما نزلت الجيزة **يافع، وذو**

---

(١) نفس المصدر .
(٢) نفس المصدر .
(٣) نفس المصدر .
(٤) نفس المصدر .، وابن عد الحكم ص ١٦٦ ، ١٦٧ .
(٥) الخطط جـ ١ ص ٢٩٨ .
(٦) نفس المصدر .
(٧) ابن عبر الحكم ص ١٧٥ .

أصبح، وطائفة من الحجْر، منهم علقمة بن جناده، أحد بنى مالك بن الحجر، اختطت طائفة منهم الفسطاط، أسفل من عقبة تنوخ[١]، ومما لا ريب فيه أن هذا الجمع الغفير من القبائل العربية المسلمة التى اتخذت مصر موطناً كان لها تأثير عظيم فى نشر دعوة الإسلام، والتعريف بأحكامه، مما كان له رد فعل مباشر على المصريين فى سرعة تعرفهم على الإسلام.

## المبحث الثاني : الأخائــــذ :

اقتصرت الخطط على الفسطاط والجيزة، أما الإسكندرية[٢]، فكانت بها الأخائذ، من أخذ منزلاً نزل فيه هو وبنو أبيه، ولما فتح عمرو الإسكندرية نزل هو ومعاوية بن خديج فى القصر الذى صار لعبد الله بن سعد بن أبى سرح، ونزل أبو ذر غربى المصلى الذى عند مسجد عمرو مما يلى البحر[٣]، ولما استقامت البلاد للمسلمين قطع عمرو بن العاص من أصحابه لرباط الإسكندرية ربع للناس، وربع فى السواحل، والنصف مقيمون معه، وكان يصيرّ الإسكندرية خاصة الربع فى الصيف بقدر ستة أشهر، ويعقب بعدهم شاتية ستة أشهر، وكان لكل عريف قصر ينزل فيه بمن معه من أصحابه واتخذوا فيه أخائذ[٤].

والأخبار القليلة عن أخائذ الإسكندرية تمثل لنا نزول المسلمين فيها في نطاق من هذه الظواهر أو المراحل الآتية:

**أ- الابتـــدار :** «كان الجند يبتدرون المنازل التى كان يسكن فيها أصحابها من الروم قبل هجرتهم فيسكنونها. . وذلك يعنى أن المنازل لم توزع أول الأمر بين الجند، ولم تقسم عليهم، وإنما يسبق أحدهم إلى بيت فينزله[٥].

**ب- التخصيص :** «لم يطل نظام الابتدار هذا، فإن عمراً خاف على هذه المنازل أن تخرب إذا كانوا يتعاورونها، ولذلك لجأ إلى تخصيص كل جماعة بالمنزل الذى غلبوا عليه، فيكون لهم ولبنى أبيهم. وكان الأساس فى هذا التخصيص السبق كذلك، وكانت علامته أن يركز الرجل رمحه فمن ركز رمحه فى دار فهى له ولبنى أبيه» فأدى ذلك إلى أن يدخل الرجل الدار فيركز رمحه فى منزل منها ثم يأتى الآخر فيركز رمحه فى بعض بيوت الدار، فكانت الدار

(١) المرجع اليابق ص ١٧٦ .
(٢) ما عدا الزبير بن العوام فقد اختط بالإسكندرية . راجع ابن عبد الحكم ص ١٧٧ .
(٣) نفس المرجع . (٤) لامرجع السابق ص ١٧٨ .
(٥) المرجع السابق ص ١٣٠ ، ١٣١ ، د/ شكرى فيصل :المجتمعات الإسلامية فى القرن الأول الهجرى ص ١٤٤، ١٤٥ .

تكون لقبيلتين أو ثلاث»[١].

ولعل هذا النظام على هذه الصورة من الابتدار أو التخصيص.

على طريقة السبق إلى ركز الرمح، إنما كان فى المرحلة الأولى من فتح الإسكندرية خلال الغارات عليها، أو فى أيام الحصار، وفى نطاق من الضواحى فحسب، أما بعد أن استقامت البلاد فما من شك أن الأمر آل إلى التخصيص المنظم، كما ذكر ذلك ابن أبى حبيب وابن هبيرة إذ قالا: «فلما استقامت لهم البلاد قطع عمرو بن العاص من أصحابه لرباط الإسكندرية ربعَ الناس، وربع فى السواحل، والنصف مقيمون معه، وكان يُصَيِّر الإسكندرية الربع بالصيف بقدر ستة أشهر ويعقب بعدهم شاتية ستة أشهر، وكان لكل عريف قصر ينزل فيه بمن معه من أصحابه واتخذوا فيه أخائذ» كما سبق ذكره.

فتكون الأخائذ على هذا الوضع قد مرت بطورين اثنين:

أ – فى طور الفتح وقد كانت لونًا من الابتدار.

ب – وفى طور الاستقرار حيث آلت إلى لون من التخصيص والتحديد[٢].

وأغلب الظن أن نظام الأخائذ لم يقتصر على الإسكندرية وحدها، وربما كنا مضطرين أن نفترض أن هذا النظام قد طبق فى المدن الأخرى، التى لم يختط فيها المسلمون، والتى هاجر الروم منها فسكنها المسلمون.

### المبحث الثالث: القطائـــــع:

تعد القطائع المظهر الثالث من مظاهر استقرار المسلمين فى مصر بعد الخطط والأخائذ، فقد كان المسلمون حين اختطوا مدينة الفسطاط تركوا بينهم وبين البحر والحصن فضاء لتعريق دوابهم وتأديبها، فلم يزل الأمر على ذلك حتى ولى معاوية بن أبى سفيان، فاشترى خطة مسلمة بن مخلد، وأقطعه داره التى بسوق وردان، ثم اشترى خطة عقبة بن عامر، وأقطعه داره التى فى الفضاء عند أصحاب التبن ثم اشترى دار أبى رافع التى صارت للسائب مولاه، وأقطع السائب دارًا بدلها[٣].

---

(١) المصدر السابق ص ١٤٥.

(٢) د/ شكرى فيصل: المجتمعات الإسلامية ص ١٤٥.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب ص ١٨١.

وأقطع عمرو بن العاص حين ولي وردان مولاه الأرض التي خلف القنطرة التي غربيها أبو حميد إلى كنيسة الروم التي هناك.

وكان عمر بن الخطاب قد كتب لابن سندر في مصر، فأقطعه عمرو. منية الأصبغ فحاز لنفسه منها ألف فدان، ولم يقطع عمر أحدًا من الناس شيئًا من أرض مصر إلا ابن سندر.

وسبب إقطاع عمر لابن سندر أنه كان لزنباع الجذامي غلام يقال له: سندر، فوجده يقبّل جارية له، فجبه وجدع أنفه، فأتى سندر إلى رسول الله ﷺ فأرسل إلى زنباع فقال: «لا تحملوهم مالا يطيقون، وأطعموهم مما تأكلون، واكسوهم مما تلبسون، فإن رضيتم فأمسكوا وإن كرهتموهم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله، ومن مثل به أو أحرق بالنار فهو حر، وهو مولى الله ورسوله»[1] فأعتق سندر، فقال: أوصى بي يا رسول الله. قال: «أوصي بك كل مسلم». فلما توفي رسول الله ﷺ أتى سندر أبا بكر، فقال: احفظ في وصية رسول الله ﷺ فَعَالَهُ حتى توفي، ثم أتى عمر، فقال له: احفظ فيَّ وصية رسول الله ﷺ، فقال: إن رضيت أن تقيم عندي أجريت عليك ما كان يجريه عليك أبو بكر، وإلا فانظر أي المواضع اكتب لك؟ فقال سندر: مصر، فإنها أرض ريف. فكتب له إلى عمرو بن العاص، احفظ فيه وصية رسول الله ﷺ فلما قدم على عمرو قطع له أرضًا واسعة، ودارًا فجعل سندر يعيش فيها فلما مات قبضت في مال الله[2]. حرصت على ذكر هذه الرواية لأستدل بها على أن عمر ﷺ لم يعط أحدًا إقطاعية لحاجة في نفسه كلا، وإنما هي وصية رسول الله ﷺ تمتع بها سندر حال حياته فلما قبض آلت إلى بيت مال المسلمين.

**تعقيب:** تميز استقرار المسلمين في مصر بمثل ما تميز به استقرارهم في العراق، من حيث تخطيط المدن وسكناها، وكان هذا توجيهًا من عمر ﷺ إذ لم يرتض للمسلمين سكنى المدائن في العراق، وكذلك الحال في مصر لم يخرج عن الأمر في العراق، فقد حاول المسلمون، وقد ملأت أعينهم الإسكندرية أن يسكنوها بل لعل عمرًا نفسه فيما يحدث به ابن حبيب همَّ أن يسكنها حين رأى بيوتها وبناءها مفروغًا منها وقال: مساكن قد كفيناها[3].

---

(١) المصدر نفسه ص ١٨٧، وراجع لابن الأثير أسد الغابة «٢ / ٤٦٤»، وكنيته أبو الأسود، الإصابة «٣ / ١٣٧»، والطبقات «٧ / ١٩٦ - ١٩٨».

(٢) ابن عبد الحكم ص ١٨٧، والقصة لها رواية أخرى تراجع في نفس المرجع ص ١٨٧ - ١٨٩.

(٣) ابن عبد الحكم ص ٩١.

ولكن عمر ﷺ حفظًا منه على نظام الجند، والإبقاء على قوته أن تتوزعه المدن وتستغرقه المساكن وتخمد جذوته حياة هينة، ومقام لين لم يوافق عمرًا، ومن ثم كتب إلى سعد بن أبى وقاص، وهو على مدائن كسرى، وإلى عامله على البصرة، وإلى عمرو . . وهو بالإسكندرية أن يتحولوا وقال: «لا تجعلوا بينى وبينكم ماء متى أردت أن أركب إليكم راحلتى حتى أقدم عليكم قدمت».

فتحول سعد بن أبى وقاص من مدائن كسرى إلى الكوفة، وتحول صاحب البصرة من المكان الذى كان فيه فنزل البصرة، وتحول عمرو بن العص من الإسكندرية إلى الفسطاط»[١].

**المسجد علامة على استقرار المسلمين :**

ولما تحول عمرو . . إلى الفسطاط ومعه المسلمون «أقاموا أول ما أقاموا هذا المسجد الذى كان يكون دائمًا آية استقرارهم فى الأرض وغلبتهم عليها، وكان تمثيلاً لكل حركتهم فى طابعها الدينى وفى ظواهرها الاجتماعية، ثم مضوا بعد ذلك فى تخطيط الخطط[٢]» وسكنى الأخائذ، والتصرف فى القطائع، التى غالبًا ما تكون أراضى خلاء شاسعة، آلت ملكيتها للدولة، ليس لأحد عليها حق أو ارتفاق، إما لأنها من أرض الروم أو الأقباط الذين لا وارث لهم[٣].

ففى كتاب من عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص . . إذ سأله عن رهبان يترهبون بمصر فيموت أحدهم وليس له وارث: إن من كان له عقب فادفع ميراثه إلى عقبه، ومن لم يكن له عقب فاجعل ماله فى بيت مال المسلمين فإن ولاءه للمسلمين[٤].

**الهدف من القطائع :**

أ- أن تكون عوضًا عن أرض يضطر الخليفة إلى شرائها من صاحبها لتنظيم المدينة، أو تجميلها، أو إقامة بعض الأبنية العامة عليها، كدار للضيافة أو قصر الوالى أو بيت المال، أو الديوان، أو الأسواق ـ القيساريات ـ ومن هذا النوع أن عبد العزيز بن مراون بنى القيساريات: قيسارية العسل، ...والحبال،..والكباش، وهى فى خطة قوم من بلىّ يقال لهم الوحاوحة، والقيسارية التى يباع فيها البز وهى التى تعرف بقيسارية عبد العزيز، وأدخل فيها خطط الراعية،

---

(١) ابن عبد الحكم ص ١٣٣ .
(٢) المعجتمعات الإسلامية ص ١٤٠ .
(٣) المرجع السابق ص ١٤٦ .
(٤) ابن عبد الحكم ص ٨١ ، ٨٢ .

وكان فيها منزل كعب بن عدى العبادى، فعوّضه منها داره التى فى بنى وائل [١].

ب ـ **أو تكريما لبعض رجالات** المسلمين أو حدّا من أطماعهم، أو تنفيذا لوصاة الرسول ﷺ فيهم... كإقطاع سندر، وإقطاع وردان مولى عمرو [٢]...

آية هذا كله أن استقرار المسلمين فى مصر اتخذ هذه المظاهر الثلاثة: **الخطط، والأخائذ، والقطائع**.

وباستقرار المسلمين وجدت الدعوة المجال الذى تتنفس فيه، والمناخ الملائم إلى قلوب المصريين وعقولهم.

وعمّق هذا كله وأكده حثّ عمرو أصحابه على النزول إلى القرى بعد أن خطب فيه، فكان هذا العمل بداية اختلاط المسلمين بالمصريين، ومعرفتهم بدين الفاتحين ـ فما الذى حدث؟

## المبحث الرابع: خروج القبائل إلى الريف، واختلاطها بالمصريين وأثر ذلك على الدعوة:

### الخروج إلى المراعي:

كان الناس يجتمعون بالفسطاط إذا قفلوا من غزوهم، فيقوم عمرو بن العاص خطيبا فيهم قائلا: «إنه قد حضر الرّبيعُ فمن أحب منكم أن يخرج بجواده يربعه فليفعل، ولا أعلمن ما جاء رجل قد أسمن نفسه وأهزل فرسه، فإذا حمض اللبن، وكثر الذباب فارجعوا إلى قيروانكم» [٣].

نموذج لإحدى خطب عمرو بن العاص فى يوم الجمعة [٤].

### وصف عمرو بن العاص وخطبته:

روى ابن عبد الحكم، عن بَجير بن ذاخر المعافرى قال: رجعت أنا ووالدى إلى صلاة

---

(١) ابن عبد الحكم..ص ١٣٦ ومن الأمثلة الأخرى على هذا النوع الأخبار الأولى فى حديث القطائع عند ابن عبد الحكم ص ١٣٢، وبناء دار الأضياف هامش ص ١٤٧.

(٢) انظر المجتمعات الإسلامية ص ١٤٧.

(٣) ابن عبد الحكم..ص ١٨٩، وفى رواية اخرجوا إلى أريافكم، فإذا غنى الذباب، وحمض اللبن ولوى العود فحى على فسطاطكم ص ١٨٩.

(٤) جمعت هذه الخطبة الأركان المطلوبة فى الخطبة الحديثة من الحمد لله والثناء عليه، ثم الدخول فى الموضوع والدليل، ثم الختام.

الجمعة تهجيرا، وذلك آخر الشتاء، ولما قام المؤذنون الصلاة، قام عمرو بن العاص على المنبر، فرأيت رجلا ربعة، قصد القامة، وافر الهامة، أدعج، أبلج عليه ثياب موشية كأن به العقيان [١]. تأتلق عليه حلة وعمامة وجبة، فحمد الله وأثنى عليه حمدا موجزا، وصلى على النبى ﷺ، ووعظ الناس وأمرهم ونهاهم، فسمعته يحض على الزكاة، وصلة الأرحام، ويأمر بالاقتصاد، وينهى عن الفضول... ثم قال: «يا معشر الناس إياى وخلالا أربعا، فإنها تدعو إلى النصب بعد الراحة، وإلى الضيق بعد السعة، وإلى المذلة بعد العزّة، إياى وكثرة العيال، وإخفاض الحال، وتضييع المال، والقيل والقال، فى غير درك ولا نوال، ثم إنه لابد من فراغ يؤول إليه توديع جسمه، والتدبير لشأنه، وتخليته بين نفسه وبين شهواتها، ومن صار إلى ذلك فليأخذ بالقصد، والنصيب الأقل، ولا يضيع المرء فى فراغه نصيب العلم من نفسه فيحور عاطلا، وعن حلال الله وإحرامه غافلا» [٢].

ثم يستطرد فى خطبته ناصحا ومحذرا ومرشدا، قائلا:

«يا معشر الناس، إنه قد تدلت الجوزاء، وذكت الشعرى، وأقلعت السماء، وارتفع الوباء، وقل الندى، وطاب المرعى، ووضعت الحوامل، ودرجت السخائل [٣]، وعلى الراعى بحسن رعيته حسن النظر، فحيّ لكم على بركة الله إلى ريفكم، فنالوا من خيره ولبنه وخرافه، وصيده، وأربعوا خيلكم وأسمنوها وصونوها وأكرموها، فإنها جنتكم من عدوكم، وبها مغانمكم وأثقالكم، واستوصوا بمن جاوزتموهم من القبط خيرا، وإياى والمشمومات والمعسولات، فإنهن يفسدن الدين ويقصرن الهمم [٤]» . ثم يذكرهم بوصية رسول الله ﷺ بقبط مصر مستشهدا على هذا بقوله: «حدثنى عمر أمير المومنين أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن الله سيفتح عليك بعدى مصر، فاستوصوا بقبطها خيرا، فإن لكم منهم صهرا وذمة» [٥] فعفوا أيديكم وفروجكم، وغضوا أبصاركم، ولا أعلمن ما أتى رجل قد أسمن

(١) الربعة: الوسيط القامة، للمذكر والمؤنث. المعجم الوسيط مادة (ربع)، الأدعج: شديد السواد.. المعجم الوسيط مادة (دعج). أبلج: واضح مشرق.. المعجم الوسيط: مادة (بلج) ومختار الصحاح مادة (بلج) قصد القامة: ليس بالجسيم ولا بالنحيف. المعجم الوسيط مادة ٠ (قصد)، العقيان: الذهب الخالص ابن عبد الحكم. هامش ٦ ص ١٩٠ .

(٢) ابن عبد الحكم ص ١٩٠ .

(٣) السخائل: الذكر والأنثى من ولد الضأن، والمعز ساعة يولد. المعجم الوسيط مادة (سخل).

(٤) ابن عبد الحكم.. ص١٩٠، ١٩١ .

(٥) الحديث عزاه فى الجامع الكبير للسيوطى لابن عساكر عن عمر أمير المؤمنين، واقتصار السيوطى على عزوه لابن عساكر أمارة لضعفه.

جسمه وأهزل فرسه، واعلموا أني معترض الخيل كاعتراض الرجال، فمن أهزل فرسه من غير علة حططته من فريضته قدر ذلك، واعلموا أنكم في رباط إلى يوم القيامة لكثرة الأعداء من حولكم وتشوف قلوبهم إليكم وإلى داركم معدن الزرع، والمال، والخير الواسع، والبركة النامية[١].

ثم استهل حديثه بالاستدلال التالي مع ما تقدم فقال:

«وحدثني عمر أمير المؤمنين، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا، فذلك الجند خير أجناد الأرض» فقال له أبو بكر: ولم يا رسول الله؟ قال: «لأنهم وأزواجهم في رباط إلى يوم القيامة»[٢].

«فاحمدوا الله معشر الناس على ما أولاكم، فتمتعوا في ريفكم ما طاب لكم، فإذا يبس العود وسخن العمود... وصوح البقل، وانقطع الورد من الشجر فحيّ على فسطاطكم على بركة الله. ولا يقدمن أحد منكم ذو عيال على عياله إلا ومعه تحفة لعياله على ما أطاق من سعته أو عسرته أقول قولي هذا، واستحفظ الله عليكم»[٣].

**تعقيب حول ما تضمنته الخطبة:**

**أولا:** إنها خطبة منبرية كما أخبر راويها. بدأت بحمد الله، والثناء عليه بما هو أهله، ثم ثنى بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، ثم دخل في الموضوع مباشرة، ولكن الراوي لم يذكر الفصل بين المقدمة والموضوع بالكلمة المشهورة وهي: «أما بعد»، واقتصر على إثبات النداء على المخاطبين مباشرة، إما لأنها معروفة، وإما لأنه أراد الدخول في الموضوع الأساسي، وهو غرض الخطبة.

**ثانيا:** اشتملت الخطبة على الوعظ، كما جاء في الحض على الزكاة وصلة الأرحام.

**ثالثا:** التحذير من تضييع المال، وكثرة القيل والقال.

(١) ابن عبد الحكم.. ص ١٩١ .

(٢) الحديث عزاه السيوطي في الجامع الكبير إلى ابن يونس في تاريخ مصر من حديث عمرو بن العاص، وعزوه إلى ابن يونس وحده أمارة بضعفه.

(٣) ابن عبد الحكم.. ص ١٩١، تحقيق عبد المنعم عامر، والخطبة ذكرها بتمامها د/ الفرد بتلر في كتابه: فتح العرب لمصر، تعريب محمد فريد أبو حديد ص ٣١٨ ـ ٣٢٠ وقد حرص على تأريخها بأنها كانت في سنة ٦٤٤م، في جامع عمرو الذي يسمى باسمه إلى يومنا هذا.

**رابعا:** النصيحة، المتمثلة فى المحافظة على الخيل والعناية بها، وأنه معترضها كاعتراض الرجال.

**خامسا:** الدعوة إلى معاملة المصريين بالحسنى، وهذه لقطة بارعة، فإن الوصية بالجار من أدب الإسلام التى حض المسلمين عليها، ولقد كان لحسن سياسة المسلمين فى مصر ما حبب أهلها فى الإسلام، ثم استشهد بحديث رسول الله ﷺ على صدق هذه الوصية، وقد انصاع المسلمون للهدف النبوى، فأحسنوا جوارهم، ثم ذكرهم بأهمية جند مصر، وأن رسول الله ﷺ اثنى عليهم، فكان لزاما على المسلمين أن يحفظوا فيهم وصية رسولهم ﷺ.

**سادسا:** أمر الناس بحمد الله وشكره على النعم التى ماكانوا يحلمون بها لولا فضل الله، وتوفيقه.

**سابعا:** يؤخذ من الخطبة لفتة أبوية رحيمة، إذ أمرهم بحمل الهدايا إلى عيالهم عند قفولهم إليهم حتى يعمهم السرور.ويأنس الأهل والأولاد بالمقام الجديد فى أرض الكنانة، وهكذا كانت خطبة عمرو..من الحنكة بحيث دعا أصحابه إلى الدعة، والتريض، كما كان يدعوهم إلى الرباط والجهاد إذا دعا الداع.

**ثامنا:** استكملت الخطبة عناصرها، من حمد لله والصلاة على رسوله، ثم بالنداء على المخاطبين بالأسلوب المعهود ولفتهم إلى الغرض منها، حتى إذا انتهى منها ختمها بالاستغفار والدعاء، وبهذا تكون الخطبة متكاملة الشروط التى وضعها أهل الأدب فى الخطبة المنبرية (١).

### المبحث الخامس: مكانة مصر عند الصحابة الفاتحين:

حظيت مصر بمكانة مرموقة لدى صحابة رسول الله ﷺ فقد جاءت أحاديث كثيرة تشيد بها منها:

ما جاء عن عمرو بن الحمق أن رسول الله ﷺ قال: تكون فتنة أسلم الناس فيها، أو خير الناس فيها الجند العربى فلذلك قدمت عليكم مصر، وفى رواية:

---

(١) راجع للجاحظ: البيان والتبيين جـ٢ ص ٣٠،٦، ٣١، ٣٣، ٥٠، ٥٢، ٥٣، وللدكتور حسن جاد وزميليه: الأدب العربى بين الجاهلية والإسلام ص ٢٧٣، وللدكتور على أحمد الخطيب: أدب الخليفة الثانى عمر ص ١٥٥ رسالة دكتوراة فى كلية اللغة العربية: ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

عن تبيع بن عامر الكلاعى قال:أقبلت من الصائفة، فلقيت أبا موسى الأشعرى رضي الله عنه فقال لى:من أين أنت؟ فقلت:من أهل مصر قال من الجند العربى؟ فقلت:نعم، قال الجند الضعيف قال:قلت أهو الضعيف؟ قال:نعم، قال:أما إنه ما كادهم أحد إلا كفاهم الله مؤنته، اذهب إلى معاذ بن جبل حتى يحدثك، قال:فذهبت إلى معاذ بن جبل، فقال لى:ما قال لك الشيخ؟

فأخبرته فقال لى:وأى شىء تذهب به إلى بلادك أحسن من هذا الحديث؟ أكتب فى أسفل ألواحك؟ فلما رجعت إلى معاذ أخبرنى أن بذلك أخبره رسول الله ﷺ [(١)].

فأى شىء أفضل من وصف أهل مصر بالخيرية؟

كما جاء فى رواية ابن وهب قال:أخبرنى حرملة بن عمران التجيبى عن عبد الرحمن ابن شماسة المهرى قال:سمعت أبا ذر رضي الله عنه يقول:سمعت رسول الله ﷺ يقول:«إنكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا، فإن لهم ذمة ورحما، فإذا رأيتم رجلان يقتتلان فى موضع لبنة فاخرجوا منها.قال:فمر بربيعة، وعبد الرحمن ابنى شرحبيل يتنازعان فى موضع لبنة فخرج منها [(٢)].

وفى رواية:ستفتحون مصر، وهى أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها، فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحما، أو قال ذمة وصهرا، الحديث، ورواه مالك والليث، وزاد فاستوصوا بالقبط خيرا، أخرجه مسلم فى الصحيح عن أبى الطاهر عن ابن وهب، وقال ابن شهاب:وكان يقال:إن أم إسماعيل منهم، قال الليث بن سعد:قلت لابن شهاب:ما رحمهم؟ قال:إن أم إسماعيل ابن إبراهيم صلوات الله عليهما منهم، وقال محمد بن إسحاق.

قلت للزهرى:ما الرحم التى ذكر رسول الله ﷺ؟ قال:كانت هاجر أم إسماعيل منهم [(٣)].

---

(١) الحديث عزاه فى الجامع الكبير إلى الطبرانى والحاكم فى المستدرك، وابن عساكر فى تاريخه دون قوله فلذلك قدمت عليكم مصر.

(٢) صحيح مسلم جـ٢ ص ٤١٥ (متن) باب وصية النبى ﷺ بأهل مصر.

(٣) الحديث عزاه فى الجامع الكبير للسيوطى إلى أحمد فى مسنده، ومسلم فى صحيحه، وأبو عوانه، وابن حيان عن أبى ذر.وفى تخريج الجامع الكبير قال:رواه مسلم فى صحيحه كتاب فضائل أصحاب النبى ﷺ باب فى ذكر مصر وأهلها م٧ ص ١٩٠ مختصر مسلم برقم ١٧٤٩ .

إذن فالمصريون أخوال العرب، فالصلة بينهم صلة الرحم، ومن أولى بصلة الرحم من المسلمين العرب؟

كما ورد في حديث ثالث عن ابن وهب عن موسى بن أيوب الغافقي عن رجل من الرند أن رسول الله ﷺ مرض فأغمي عليه ثم أفاق فقال: استوصوا بالأدم الجعد، ثم أغمي عليه الثانية، ثم أفاق فقال: مثل ذلك، ثم أغمي عليه الثالثة، فقال مثال ذلك، فقال القوم: لو سألنا رسول الله ﷺ من الأدم الجعد؟ فأفاق فسألوه، فقال قبط مصر، فإنهم أخوال وأصهار، وهم أعوانكم على عدوكم، وأعوانكم على دينكم، قالوا: كيف يكونون أعواننا على ديننا يا رسول الله؟

قال: يكفونكم أعمال الدنيا، وتتفرغون للعبادة، فالراضي بما يؤتى إليهم كالفاعل بهم، وانكاره لما يؤتى إليهم من الظلم كالمتنزه عنهم [1]، وعن عمرو بن حريب، وأبي عبد الرحمن الحلبي أن رسول الله ﷺ قال: «إنكم ستقدمون على قوم جعد رؤسهم فاستوصوا بهم خيرا، فإنهم قوة لكم، وبلاغ إلى عدوكم بإذن الله يعني قبط مصر، وعن ابن لهيعة حدثني مولى عفرة أن رسول الله ‹ قال: الله، الله في أهل المدرة السوداء السحم الجعاد، فإن لهم نسبا وصهرا، قال عمرو مولى عفرة:

صهرهم أن رسول الله ﷺ تسرّى فيهم، ونسبهم أن أم إسماعيل عليه السلام منهم [2]. فهذه شهادة تكريم لأهل مصر. ينبغي أن يعتزوا بها.

**المبحث السادس:**

متى كان نزول المسلمين الريف، وما هي القرى التي كانوا يقصدونها؟ لنشر دعوة الإسلام؟

كان انسياح المسلمين في قرى الريف تخطيطا بارعا، ظهرت له نتائج إيجابية في مستقبل الدعوة فقد أدى نزول المسلمين في القرى إلى الاحتكاك بأهلها، التي كان أكثرهم من القبط النصارى، فأدى ذلك التخطيط إلى التعارف، ثم التآلف فالتزاوج، وسرعان ما عرف

---

(١) أخرجه ابن عبد الحكم عن موسى بن أبي أيوب الغافقي...، وراجع للدكتور أحمد عبد الحميد يوسف: مصر في القرآن والسنة ص ١٩٩ وما بعدها. دار المعارف ١٩٧٣ .

(٢) الحديث ذكره في مجمع الزوائد. جـ١٠ ص ٦٤ كتاب المناقب، باب ماجاء في مصر وأهلها باختصار، وقال: رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح.

المصريون..المسلمين، وفهموا عقيدتهم فأدّى ذلك العمل إلى سرعة انتشار الإسلام فى القرى، ومعرفة لغته والتخاطب بها.

**متى انتشرت دعوت الإسلام في قرى مصر؟**

ذكر المقريزى [(١)]، أنه لما فتحت مصر كانت الصحابة لا تسكن الريف وكانت جميع القرى مملوءة بالقبط ولم ينتشر الإسلام في تلك القرى إلا بعد السنة المائة من الهجرة، وكانت عادة الصحابة والتابعين ومن انضم إليهم، إذا جاء وقت الربيع كتب لكل قوم بربيعهم، ولبنهم إلى حيث أحبوا وكانت معظم القرى التى يأخذ فيها معظمهم:منوف، وسمنود، وإهناس، وطحا، وأدى هذا العمل إلى امتزاج المسلمين...بالمصريين ولكن بالتدريج.

**مواقع الأماكن التي كان ينزل فيها المسلمون:**

كان من البلدان التى حظيت بنزول المسلمين فيها:منوف، وهى بلدة قديمة تنسب إليها محافظة المنوفية وعاصمتها شبين الكوم، ومنوف مركز من مراكزها الهامة، وقد نشأ بها جملة من العلماء الأفاضل [(٢)].

**وسـنـدس:** وهى من القرى المصرية القديمة، واسمها الحالى:سندبيس، وهى تابعة لمركز قليوب، من أعمال محافظة القليبوبية [(٣)].

**وإهناس:** اسم لثلاث قرى متجاورة من محافظة بنى سويف فى جنوب اللاهون، واقعة على جسر النويرة [(٤)].

**وطحا:** من البلاد المصرية القديمة تتبع مركز البهنسا من أعمال محافظة المنيا، وكان سكانها فى صدر الإسلام خمسة عشر ألف كلهم نصارى..وكان بها أسقفية [(٥)].

**منف ووسـيـم:** لما كان أهل الراية متفرقين، فقد كان آل عمرو بن العاص، وآل عبد الله بن سعد يأخذون فى منف ووسيم [(٦)] وفى المقريزى [(٧)]:إنها كانت زمن فتح مصر من

---

(١) الخطط جـ١ ص ٨٠ .
(٢) انظر ابن عبد الحكم ص ١٩٣ حاشية ٥ .
(٣) ابن عبد الحكم ص ١٩٣ هامش٣ .
(٤) المرجع السابق هامش٣ .
(٥) المرجع السابق هامش ٤، والأسقفية نسبة إلى الأساقفة، والأسقف لقب دينى لأحبار النصارى، فوق القسيس ودون المطران.المعجم الوسيط:مادة الأسقف .
(٦) وسيم يسميها الافرنج بوشيم، وهى من أعمال محافظة الجيزة قسم أول غربى إمبابة، وشرقى الكوم الأحمر حوض الجسر الأسود، وهى مشهورة فى الزمن القديم والإسلام انظر ابن عبد الحكم ص ١٩٢ هامش٥ .
(٧) الخطط جـ١ ص ١٣٤ .

منازل العرب الذين فتحوا مصر لما أمروا بالتفرق في البلاد لربيع خيولهم، ووكل ذلك لاختيارهم، وكانت وسيم في القديم مدينة عظيمة ويسميها اليونان اقنطوس (١).
أما بنا بوصير (٢)، فكانت تنزل فيها هزيل.وكانت عدوان تأخذ في بوصير، وبنو علىّ التي يأخذ فيها عُظْمهم بوصير (٣).، ومنوف ودسندس.، وأتريب.

وكانت بلى تأخذ في منف وطرابية، إحدى مدن الوجه البحرى، قال مؤرخوا الإفرنج إنها مدينة قبطية (٤) وكانت فهم تأخذ في أتريب وعين شمس – وهي من ضواحي القاهرة من الشمال، وهي إحدى المدن المصرية القديمة وقد اشتهرت بمسلأتها الفرعونية الأثرية (٥).

وكانت مهرة تأخذ في تَتَا (٦)، وتمى (٧).

وكانت الصَّدف تأخذ في الفيوم وترابية والصواب طرابية (٨).وقُرْبَيْط (٩).

وكانت جذام تأخذ في طرابية وقربيط (١٠).

وكانت حضرموت تأخذ في ببا (١١)، وعين شمس وأتريب وكانت مراد تأخذ في

---

(١) ابن عبد الحكم ص ١٩٢ هامش ٥ .

(٢) من أعمال مركز المحلة الكبرى محافظة الغربية على الشط الغربي لفرع دمياط، شرق منية حبيب، وقد جعلها المقريزى رأس خط عدد قراه ثمان وثمانون قرية، وفي تاريخ بطارقة الإسكندرية، أن بنا بوصير كانت مقر أسقفية.راجع ابن عبد الحكم ص ١٩٣ هامش١ .

(٣) هناك أكثر من بلد بهذا الاسم إحداها بكورة السمنودية بالدلتا، والأخرى بوصير الفيوم، وثالثة بوصير الجيزة، ورابعة بوصير البهنسا، ولعل المقصود هنا هي بوصير سمنود حيث تكلم عنها هيرودوت، واسترابون، وذكرها الإدريسي، وأبو الفداء، والمقريزى وغيرهم، وقد حدد أبو الفداء مكانها بمركز سمنود، ويوافقه ما جاء في دفاتر التعداد القديمة أنها غربي سمنود، وقال المقريزى:إنها رأس خط، وكانت مركز أسقفية.راجع ابن عبد الحكم ص ١٩٣ وهامش٢ من نفس الصفحة.

(٤) ابن عبد الحكم ص ١٩٣ وهامش ٣ .

(٥) ابن عبد الحكم وهامش ٤ .

(٦) قرية من أعمال محافظة المنوفية بمركز منوف غربي ترعة الرساوية، راجع ابن عبد الحكم ص ١٨٣ هامش٥ .

(٧) تمى الامدية قرية من أعمال مركز السنبلاوين دقهلية، وبها تل قديم به آثار بناء وبجواره مقام شهيد يعرف بمقام عبد الله بن سلام راجع ابن عبد الحكم..ص١٩٣ وهامش٧ .

(٨) انظر ابن عبد الحكم..ص ١٩٣ هامش ٨ . (٩) جاء في معجم البلدان المجلد الرابع مادة (قربيق) وأنها من كور أسفل الأرض (الدلتا) بمصر...وانظر ابن عبد الحكم ص ١٩٣ هامش٩ .

(١٠) ابن عبد الحكم ص ١٩٤ . (١١) بلدة تتبع محافظة بني سويف تقع على الشاطىء الغربي للنيل وكانت بلدة قديمة يقال:إنها كانت كرسي حكم في الأزمان السالفة...ابن عبد الحكم ص ١٩٤ وهامش١ .

منف والفيوم، ومعهم عَبّس بن زَوْف، وكانت حمير تأخذ فى بوصير، وقرى أهناس.

وكانت خولان تأخذ فى قرى إهناس والبهنسا، وهى بلدة قديمة على الشاطىء الغربى من بحر يوسف من أعمال مركز مغاغة، بمحافظة المنيا، وكانت قاعدة إقليم، ولها شهرة كبيرة فى تاريخ فتوح مصر، وكانت البهنسا وقت فتح بلاد مصر عالية الجدران حصينة الأسوار، والبنيان، وكان لها أربعة أبواب إلى الجهات الأربعة، وكان بها أربعون رباطا، وكنائس وقصور، ولما أخذت بالفتح تغيرت معالمها..، وتجددت بها أثارا إسلامية فكانت من أعظم بلاد مصر[١].

وكما كانت تنزل خولان فى إهناس والبهنسا كانت تنزل أيضا فى القيس [٢]، وآل وعلة يأخذون فى سفط من بوصير، وآل أبرهة يأخذون فى منف، وغفار وأسلم يأخذون مع وائل من جذام، وسعد فى بسطة [٣].

وقربيط وطرابية، وآل يسار بن ضنة فى أتريب، وكانت المعافر تأخذ أتريب وسخا ومنوف، وكانت طائفة من تجيب ومراد يأخذون باليدقون [٤].

وكان بعض هذه القبائل ربما جاوز بعضا فى الربيع، ولا يُوقع من معرفة هذا على أحد، إلا أن عُظم القبائل كانوا يأخذون حيث وصفنا، وكان يكتب لهم الربيع فيربعون، وباللين ما أقاموا.

وكان لغفار وليث أيضا مُرْتبع بأتريب [٥].

وأقامت مدلج بخربْتَا [٦].

وقد ذكر المقريزى [٧]، وابن إياس [٨]، أن خطها كان يشمل اثنين وستين قرية غير

---

(١) المرجع السابق ص هامش٢ .

(٢) قرية بمركز بنى مزار من أعمال محافظة المنيا فى الجنوب الشرقى للبهنسا، وفى غربها تلول البلدة القديمة وكان لها ولأهناس فى الأزمان القديمة حاكم واحد وكانت ذات أسقفية.ابن عبد الحكم ص ١٩٤ وهامش٣ .

(٣) مدينة كانت ذات شهر، وفخامة تقع جنوبى مدينة الزقازيق ، وكانت مقر الأسرة الثانية والعشرين من الفراعنة...ابن عبد الحكم ص ١٩٤ وهامش٤ .

(٤) اليدقون:كورة بمصر من كور الحوف الغربى، ولم يرد لها ذكر إلا فى معجم البلدان بهذا التصريف، راجع ابن عبد الحكم..ص ١٩٤ هامش٥ .

(٥) ابن عبد الحكم ص ١٩٤ .

(٦) قرية من قرى مركز النجيلة محافظة البحيرة غربى فرع رشيد، وغربى كوم حمادة وكانت كرسى خط يعرف باسمها ابن عبد الحكم ص ١٩٤ .

(٧) الخطط جـ١ صـ ٨٠ .

(٨) ابن اياس:بدائع الزهور..جـ١ .

الكفـــور [١] فاتخذوها منزلا، وكان معهم نفر من حمير من ذُبْحان، وغيرهم حالفوهم فيها فهى منازلهم.

ورجعت خُشَيّن وطائفة من لخم وجذام، فنزلوا أكـفـاف صـان، وإبليل وطرابيـة، ولم يحفظوا، ولم تكن قيس بالحوف[٣] الشرقى قديما، وإنما الذى أنزلهم به الحبحاب، وذلك أنه وفد إلى هشام بن عبد الملك، فأمر له بفريضة خمسة آلاف رجل، وثلاثة آلاف رجل شك عبد الرحمن ـ فجعل ابن الحبحاب الفريضة فى قيس،وقدم بهم، فأنزلوا بمصر الحوف الشرقى[٤].

فلما نزل الناس واطمأنت بهم منازلهم كانوا يخرجون فيؤدبون خيلهم فى المضمار[٥]، ومن البقايا التى بأرض مصر من الأعراب التى فتحوها، ثعلبة، وجرم [٦]، وجـــذيمة [٧]، وبنوسنبس ولواته فى ناحية سخا من محافظة الغربية [٨]، وجـــذام [٩].فى جـذام خـمـس سـعـود:[١٠]سعد بن إياس بن حرام بن جذام، وسعد بن مالك بن زيد بن أقصى بن سعد بن إياس ابن حرام بن حذام، وإليه ينسب أكثر السعديين، وسعد بن مالك بن حرام بن حذام، وسعد بن إيامة بن غطفان، وقيل:سعد بن إيامة بن عبيس بن غطفان بن سعد بن مالك بن حرام بن جذام [١١].

وجذام من قدماء عربان مصر قدموا مع عمرو بن العاص، كانت لهم عدة إقطاعات منها:هربيط، وتل بسطة وغير ذلك.

**نزول قبائل العرب المسلمين أرض الصعيد:**

وفى بلاد الصعيد عدة قبائل من العرب فى أسوان، وما تحتها بـنو هـلال، وفى بـلاد إخميم، وما تحتها بلى وفى بلاد منفلوط وسيوط جهينةو فى بلاد الأشمونين قريش، وفى

---

(١) ابن عبد الحكم ص ١٩٤وهامش ٦ . (٢) ابن عبد الحكم ص ١٩٤ ـ ١٩٥ .

(٣) الإقليم الشرقى من الدلتا، وهو الواقع شرقى النيل، وكانت مصر مقسمة أحوافا.ابن عبد الحكم ص ١٩٥ هامش١ .

(٤)ابن عبد الحكم.. ص ١٩٥ .والمقريزى تقى الدين بن أحمد بن على المقريزى:البيان والإعراب عما نزل بأرض مصر من الأعراب ص ٦٥ .

(٥)ابن عبد الحكم ص ١٩٥ .

(٦) المقريزى:البيان والإعراب عما نزل مصر من الأعراب ص ٢١ ، وراجع :عروبة مصر قبل الإسلام وبعده ص ١١٢،١١٣ .

(٧) البيان والاعراب....صـ ٣٣ . (٨) المرجع السابق ص ٢٥ ، وعروبة مصر ص ١١٤ .

(٩) البيان والاعراب ص ٢٦ ، وعروبة مصر ١١٥ .

(١٠) البيان والاعراب.. ص ٣٧ . (١١) المصدر نفسه .

معظم بلاد البهنسا :الواته ، ومنهم :طوائف نزلت بالجيزة، والمنوفية، والبحيرة، والفيوم :بنو هلال، وبنو هلال بطن من بنى عامر، وكانوا أهل بلاد الصعيد إلى عيذاب، وبإخميم منهم بنو قرة، ويتفرع منهم عدة بطون [١] ....

**أنساب القبائل التي نزلت مصر:**

بـلـى: تنسب إلى عمرو بن الحاف بن قضاعة..وبلى قبيل عظيم فيه بالشام بال فبلغ ذلك عمر بن الخطاب ﷺ فكتب إلى عامل الشام أن يسير ثلث قضاعة إلى مصر فنظروا فإذا بلى ثلث قضاعة فسيروا إلى مصر [٢]..

جهينة: إحدى قبائل اليمن، وهى جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف ابن قضاعة، وهى قبيلة عظيمة، وفيها بطون كثيرة، وهى أكثر عرب الصعيد[٣].

**قـريش :** ولد مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس من مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وقيل: هم من ولد فهر بن مالك بن النضر، وقيل: هم ولد النضر بن كنانة وقيل: إنما قريش جماع نسب ليس بأب ولا أم، ولا حاضن ولاحاضنة، والتقرش عند العرب التجمع، ومن بطون قريش :

**الجعافرة**، بنو جعفر الطيار بن أبى طالب، واسمه عبد مناف بن عبد المطلب، واسمه شيبة الحمد بن هاشم. . ومن الجعافرة الزبانية، أولاد على بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب، وأن زينب بنت على بن أبى طالب[٤] ﷺ فيهم عشيرة نزلت بجرجة من أعمال أسيوط يعرفون بطلحة، وجعفر[٥].

وكانت مساكن الجعافرة من بحرى منفلوط إلى سمالوط غربا، وشرقا ولهم بلاد أخرى يسيرة، وبجرجة منفلوط قوم من بنى الحسن بن على بن أبى طالب ﷺ وفى سيوط طائفة من أولاد إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على بن الحسين[٦] ﷺ .

وكان بالصعيد من قريش بنو طلحة، وبنو الزبير، وبنو شيبة، وبنو مخزوم، وبنو أمية، وبنو زهرة وبنو سهم [٧]. فمن ولد عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم[٧].

(١) المقريزى :البيان والاعراب ص ٣٦ وعروبة مصر ص ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٦ .
(٢) البيان والاعراب... ص٣٧، وعروبة مصر...ص١٢٠ .
(٣) البيان والاعراب..ص٣٨، وعروبة مصر...ص١٢٠ .
(٤) البيان والإعراب ص ٣٩ .
(٥) البيان والإعراب ص ٣٦ .
(٦) البيان والإعراب ص ٤٥ .
(٧) البيان والإعراب ص ٤٦ .

وكانوا بفسطاط مصر، وفرق منهم أشتات بالصعيد: لهم حصة، وفي وقف عمرو بن العاص ﷺ على أهله بفسطاط مصر، وكانت دور بنى سهم حول جامع عمرو بن العاص من الفسطاط إلى أن دثرت[١]، وقد ذكر المقريزى فى كتابه البيان والإعراب. . . نسب وأماكن هذه البطون[٢]. فليرجع إليه من أراد المزيد.

**كنانة:** هم بنو كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وهم بنو الليث وبنو ضمرة ابنا بكر بن عبد مناة بن كنانة[٣] وبالصعيد طائفة من الأنصار.

**الأنصار:** ﷺ، قبيل عظيم من قبائل الأزد، وقيل لهم الأنصار، من أجل أنهم نصروا رسول اله ﷺ ، وهم الأوس والخزرج ،ابنا حارثة وهو العتقا بن عمرو وهو مزيقيا بن عامر، وهو ماء السماء بن حارثة بن مازن بن الأزد. . . منهم بأرض مصر: بنو محمد ، وبنو عكرمة، وديارهم بحرى منفلوط[٤].

ويقال : إن سدراته، ومزاته، ولواته من القبط، وفى لواته عدة بطون كبنى بلار، وبنى مجدول، وبنى حديدى، وقطوفة، بركين، ومالوا ومزورة[٥]. أما بنو بلار ففرقتان:

أ ـ فرقة بالبهنساوية .

ب ـ وفرقة بالجيزية، فالتى بالبهنساوية : بنو محمد، وبنو على وبنو نزار، ونصف بنى ثهلان، والتى بالجيزية: بنو مجدول وسقّارة، وبنو أبى كثير، وبنو الجلاس، ونصف بنى ثهلان.

**لواته:** فى المنوفية من لواته : بنو يحيى، والوسوة، وعبدة ومصلة، وبنو مختار، ومعهم أحلاف من مزاتة، وزنارة، وهوّارة، وبنى الشعرية فى أقوام آخرين[٦].

وبصعيد مصر : قبيلة لخم، وبنو سليم وهم من قيس، وكان نزول قبائل من قيس فى أرض مصر سنة تسع ومائة فى عهد أميرها الوليد بن رفاعة بن خالد بن ثابت بن طاعن الفهمى[٧].

---

(١) المصدر نفسه ص ٤٨ .
(٢) المرجع نفسه ص ٣٨ ـ ٤١ .
(٣) المقريزى : والبيان والإعراب ٥١ وعروبة مصر ص ١٢٦ .
(٤) المقريزى : البيان والإعراب ص ٥٦ .
(٥) المرجع السابق ص ٥٦ ، ٥٧ .
(٦) المرجع السابق ص ٥٧ ، ٥٨ ، وعروبة مصر ص ١٢٦ .
(٧) البيان والإعراب ص ٦٠ ـ ٦٤ ، وعروبة مصر ص ١٣١ .

**قبائل تحولوا إلى مصر، وأفريقية مثل :**

قبيلة سليم، وتيماء، وبنو زُغب بن مالك بن بهثة[١] . وتقع جماعة فايد وزنارة، ومزاته، وخفاجه وهوارة إلخ فيما بين الإسكندرية، والعقبة الكبرى[٢] .

وبعد سَوْق الأدلة على استقرار المسلمين فى مصر، وانتشار القبائل فى مدنها وقراها، وقاموا بواجبهم نحو نشر الدعوة .. استتبع المسلمون سياسة حكيمة مع أهل مصر إزاء هذا الانتشار السريع وتتجلى هذه السياسة فى المحافظة على الموارد المالية ليسدوا بها حاجة الجند، وللإنفاق منها على مرافق الدولة، فما هى الموارد التى اعتمد عليها المسلمون زمن الفتح وما نتائجها ؟

(١) البيان والإعراب ص ٦٧ .
(٢) المرجع السابق . . وراجع ص ٦٨ ـ ٦٩ .

# الفصل الرابع

## الموارد المالية لبيت مال المسلمين في أرض الكنانة، وعلاقتها بالدعوة

هذا الفصل يشتمل على تمهيد، وخمسة مباحث، وتعقيب وهي كما يلي:

التمهيد.

المبحث الأول: الزكاة.

المبحث الثاني: الجزية.

المبحث الثالث: طريقة جمع الجزية.

المبحث الرابع الخراج.

المبحث الخامس: مكاتبات بشأن الخراج.

تعقيب

**التمهيد :**

كان لابد لاستكمال استقرار المسلمين فى مصر من مورد ثابت يعتمدون عليه، ينفقون منه على حاجياتهم الضرورية، ويدفعون منه نصيب الجند الذين أوقفوا أنفسهم للجهاد، والدعوة فى سبيل الله تعالى.

كما أنهم مطالبون، والحالة هذه، أن يتسلموا زمام الأمور بعد أن أخرجوا الروم من مصر، فيقوموا بإصلاحات المدن، والجسور والترع. . إلخ، كما أن الرعايا فى حاجة إلى من يعطيهم حقوقهم.

ومن ثم كان لابد من إنشاء بيت للمال يكون بمثابة (وزارة المالية اليوم). يعتمد فى موارده على :

الزكاة ، الجزية ، الخراج ، والضرائب الأخرى وبيانها على التوالى :

## المبحث الأول : الزكاة :

والزكاة كما تحدثت عنها كتب الفقه لاتجب إلا على المسلمين دون غيرهم.

وهى واجبة بالكتاب والسنة .

أما الكتاب فقوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[١] .

فالصدقة زكاة، والزكاة صدقة، يفترق الاسم، ويتفق المسمى[٢]، ولا يجب على المسلم فى ماله حق سواها. والزكاة تجب فى الأموال المرصدة للنماء بأنفسها أو بالعمل فيها طهرة لأهلها ومعونة لأهل السهمان[٣].

وهى أحد الأركان الخمسة فى الإسلام، وقرنت بالصلاة فى اثنتين وثمانين آية، وقد فرضها الله تعالى فى كتابه، وبينتها سنة رسوله ﷺ،وأجمع على وجوبها فقهاء الأمة.

ففى قوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾أى خذ أيها الرسول من أموال المؤمنين صدقة معينة كالزكاة المفروضة، أو غير معينة، وهى التطوع «تطهرهم وتزكيهم بها» أى تطهرهم بها من دنس البخل والطمع، والدناءة والقسوة على الفقراء، والبائسين، وما يتصل بذلك من الرذائل وتزكى أنفسهم بها، أى تطهرها وترفعها بالخيرات

---

(١) سورة التوبة : من الآية ١٠٣ .

(٢) الماوردى : الأحكام السلطانية ص ١١٢ ، وما بعدها، وراجع كتب الفقه فى هذا الركن الهام .

(٣) الماوردى :الأحكام السلطانية.

والبركات الخلقية والعلمية حتى تكون بها أهلا للسعادة الدنيوية والأخروية [١].

**وفي السنة:** ما روى الجماعة عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ لما بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن[٢] قال: «إنك تأتي قومًا أهل كتاب، فادعهم إلي شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله عز وجل افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم، فإذا هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم[٣] أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[٤].

كما روى الطبرانى فى الأرسط والصغير عن على ـ كرم الله وجهه ـ أن النبى ﷺ قال: «إن الله فرض علي أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا أو عروا إلا بما يصنع أغنياؤهم[٥]، ألا وإن الله يحاسبهم حسابًا شديدًا، ويعذبهم عذابًا أليمًا»[٦].

ومن ثم كان المسلمون ـ بحمد الله ـ محافظين على أداء فريضة الزكاة، بينما فرضوا على أهل الذمة فى مصر جزية مقابل ما يدفعه المسلمون من الزكاة، ومقابل حمايتهم، ومشاركتهم الدفاع عن بلادهم.

---

(١) راجع للإمام أبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى تفسير الجامع لأحكام القرآن جـ ٤ ص ٣٨٣ وما بعدها، والأحكام السلطانية ص ١٢٠، والشيخ سيد سابق: فقه السنة جـ ٣ ص ٧ ط الرابعة.

(٢) أى والياً، وقاضياً سنة عشر من الهجرة، فقه السنة جـ ٣ ص ٦ حاشية ٢ .

(٣) كرائم أى نفائس أموالهم: المعجم الوسيط. مادة (كرم).

(٤) فقه السنة جـ ٣ ص ٦ والحديث رواه أبو داود جـ ٣ ص ٣٠٣، والترمذى جـ ٣ ص ٦٠٧ .

(٥) أى أن الجهد والمشقة من الجوع والعرى لا يصيب الفقراء إلا ببخل الأغنياء. فقه السنة جـ ٣ ص ٦ هامش ٢ .

(٦) قال الطبرانى : تفرد به ثابت بن محمد الزاهد. قال الحافظ : وثابت ثقة صدوق روى عنه البخارى وغيره، وبقية رواته لا بأسب بهم، راجع فق السنة جـ ٣ ص ٦ ، ومن أراد المزيد فليرجع إلى كتب الفقه فقد بينت بتوسع مقدار الزكاة، وقيمة المستخرج من زكاة الحرث والماشية والأرض، ومصارفها. كما بينت . زكاة النقدين، ومصارفهما بدقة متناهية.

## المبحث الثاني : الجزية :

تعد الجزية من موارد بيت المال، وهي : مبلغ معين من المال يدفعه من توافرت فيه شروط خاصة، وهي تشبه الخراج في أن كلا منهما جزء من الفيء يجيء في أوقات معينة من كل سنة، وإنما وجبت الجزية على أهل الكتاب، كما وجبت الزكاة على المسلمين، فيتكافأ الفريقان في تحمل المسؤولية، كما تكافؤوا في التمتع بالحقوق، وتساويا في الانتفاع بالمرافق العامة للدولة(١).

### على من تجب الجزية ؟

تجب على أهل الذمة من اليهود والنصارى، ويلحق بهم المجوس والصابئين، والسامرة(٢)، ولا تجب على المسكين الذي يتصدق عليه، والأعمى الذي لا حرفة له ولا عمل، ولا المقعد، إلا إذا كان له مال فيؤخذ منه، كما لا تؤخذ الجزية من الزَمِن، إلا إذا كان له مال فتؤخذ منه أيضاً، ولا تؤخذ من الأعمى والمترهب، فإن كان للمترهب مال أخذ منه، وكذلك أصحاب الصوامع يؤخذ منهم إن ذكر أن لهم غنى ويسار(٣).

ولا تؤخذ الجزية من مسلم إلا أن يكون أسلم بعد خروج السنة، فتؤخذ منه، لإنها كانت واجبة، وصارت خراجاً لجميع المسلمين. أما إذا أسلم قبل تمام السنة بيوم أو يومين، أو شهر أو شهرين أو أكثر أو أقل، لم يؤخذ بشيء من الجزية إذا كان أسلم قبل انقضاء السنة(٤).

### هل الجزية دَيْن ؟

إذا مات الذمي، ممن وجبت عليه الجزية فمات قبل أن تؤخذ منه، أو أخذ بعضها وبقي البعض لم يوخذ بذلك ذُرِّيته، كما لا تؤخذ من تركته، لأنها ليست بدين عليه(٥).

---

(١) راجع للدكتور حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي . . . جـ ١ ص ٤٨١ .

(٢) السامرة : إحدى فرق اليهود، أثبتوا نبوة موسى، وهارون ويوشع بن نون ـ عليهم السلام ـ وأنكروا نبوة من بعدهم من الأنبياء إلا نبياً واحداً، وقالوا: التوراة ما بشرت إلا بنبي واحد يأتي من بعد موسى. وهم يسكنون جبال بيت المقدس، راجع للشهرساني : الملل والنحل جـ ١ ص ١٩٩ ، والقلقشندي: صبح الأعشى ج ١٣ ص ٩٨ وما بعدها وأبي يوسف الخراج ص ٢٥٣ هامش ١ تحقيق وتعليق دكتور محمد إبراهيم البنا. ط رار الاعتصام. وسيأتي وشيكاً تعريف المجوس والصابئة.

(٣) راجع لأبي يوسف: الخراج ص ٢٥٤ ، وأهل الذمة في الإسلام ص ٢٥٩ ، والصولي أدب الكتاب ص ٢١٦، وابن عبد الحكم ص ١٥٦ ط ليون .

(٤) الخراج ص ٢٥٤ .

(٥) المصدر نفسه .

كما لو أسلم الذمى وبقى عليه شيء من جزية رأسه لم تؤخذ منه[١].

كذلك لا تؤخذ الجزية من المغلوب على عقله[٢].

**هل في أموال أهل الذمة أو مواشيهم شيء من الجزية ؟**

ورد عن عبد الله بن عباس قال : ليس في أموال أهل الذمة إلا العفو[٣].

قال أبو يوسف: ليس فى شيء من أموال الرجال والنساء زكاة إلا ما اختلفوا به[٤] فى تجاراتهم حتى يبلغ مائتين، أو عشرين مثقالاً من الذهب، أو قيمة ذلك من العروض للتجارة[٥].

كما ليس على أهل الذمة من الإبل والبقر والغنم زكاة، والرجال والنساء فى ذلك سواء[٦].

**هل تؤخذ الجزية بالإكراه ؟**

من وجبت عليهم الجزية ملزمون بدفعها فإن ماطلوا، لا يضربون، ولا يقاموا فى شمس ولا غيرها، ولا يحمل عليهم، فى أبدانهم شيء من المكاره، ولكن يرفق بهم ويحبسون حتى يؤدوا ما عليهم. ولا يخرجون من الحبس حتى يستوفى منهم الجزية ،ولا يدع أحدًا من النصارى واليهود، والمجوس، والصابئين، والسامرة إلا أخذ منه الجزية، ولا يرخص لأحد منهم فى ترك شيء من ذلك. ولا يحل أن يدع واحد وتؤخذ من واحد، ولا يسع ذلك، لأن دماءهم وأموالهم إنما أحرزت بأداء الجزية، والجزية بمنزلة مال الخراج[٧].

أما أصناف البشر الذين تجب عليهم الجزية فهم اليهود النصارى، ويلحق بهم المجوس[٨]، والصابئين[٩]، والسامرة. ولا تعتبر الجزية وسيلة من وسائل الإكراه فى الدين؛ لأنها تؤخذ فى مقابل، ولأن الزكاة التى يأخذها الولاة ينفق منها على مرافق الولاية التى ينتفع بها المسلمون وأهل الكتاب.

(١) المصدر نفسه .

(٢) المصدر نفسه ، وراجع الأحكام السلطانية ص ١٤٤ .

(٣) الخراج ص ٢٥٤ .

(٤) أى ترددوا به وراحوا وجاءوا : راجع الخراج ص ٢٥٥ هامش ١ .

(٥) الخراج ص ٢٥٥ .

(٦) المصدر نفسه .

(٧) أبو يوسف : الخراج ص ٢٥٥ .

(٨) المجوسية من العقائد التى تؤمن بوجود قوتين: الخير والشر وينقسم المجوس إلى فرق ومذاهب متعددة، كما أثبت المجوس أصلين اثنين مدبرين، يقتسمان الخير والشر، والنفع، والضرر، والصلاح والفساد . . ويسمون أحدهما النور، والآخر الظلمة. وبالفارسية (يزدان أهرمن. . )راجع الشهرستاني: الملل والنحل جـ ١ ص ٢١٢ وما بعدها والخراج ص ٢٥٦ وما بعدها، ودكتورة فاطمة مصطفى عامر : مجوس هجر فى عصر النبوة ص ٩ الطبعة الأولى ١٣٩٨ ـ ١٩٧٨ ط دار الاعتصام القاهرة .

(٩) طائفة من مشركى العرب قبل البعثة الذين ساورهم الشك فيما كان عليه قومهم من عبادة الأصنام، =

**هل على المرأة إذا انفردت جزية ؟**

بالإضافة إلى ما سبق الإشارة إليه:

فإن الجزية لا تجب إلا على الرجال الأحرار العقلاء، ومن ثم يخرج الصبى والمجنون والعبد، لأنهم أتباع وذرارى. المرأة لو انفردت لا يؤخذ منها، لأنها تبع لزوجها، وقومها، حتى لو كانت من دار الحرب وأرادت بذل الجزية للمقام فى دار الإسلام، لم يلزمها ما بذلته[١].

ولا تؤخذ الجزية من خنثى مشكل، فإن زال إشكاله، وبان أنه رجل أخذ بها فى مستقبل أمره، وماضيه[٢].

**مقدار الجزية:**

اختلف الفقهاء فى مقدار الجزية، فذهب أبو حنيفة رضي الله عنه إلى تصنيفهم إلى ثلاثة أصناف :

١ـ **أغنياء:** يؤخذ منهم ثمانية وأربعون درهماً[٣]. وهم : الصيرفى، والبزاز[٤]، وصاحب الضيعة[٥]، والتاجر والمعالج والطبيب. وكل من كان بيده منهم صنعة، وتجارة يحترف بها، أخذ من أهل كل صناعة وتجارة على قدر صناعتهم وتجارتهم[٦] : ثمانية وأربعين على الموسر[٦].

٢ـ **أوساط:** يؤخذ منهم أربعة وعشرون درهماً[٧].

٣ـ **فقراء:** يؤخذ منهم اثنا عشر درهماً. وهم طبقة : الخطاطين، والصابغين، والإسكافيين، والخرازين[٨]. ومن أشبههم[٩].

---

=فبحثوا لأنفسهم عن عقيدة يرتضونها، فاهتدوا إلى التوحيد، وقالوا:إنهم يتعبدون على الحنيفية الأولى ملة إبراهيم واعتزلوا عبادة قومهم دون أن تكون لهم دعوة فيهم.
فقال عنهم المشركون إنهم صبأوا أى مالوا عن دين آبائهم، كما كانوا يقولون عن المسلمين بعد ذلك ومن ثم سموا الصابئة وهذا القول أرجح من القول بأنهم عبدة النجوم كما جاء فى بعض التفاسير راجع «الظلال» صـ٧٥ .

(١) انظر الأحكام السلطانية ص ١٤٤ . (٢) نفس المرجع السابق.

(٣) نفس المرجع السابق، وانظر : الخراج ص ٢٥٥ . (٤) البزاز : بائع الثياب. الخراج ص ٢٥٥ هامش ٥ .

(٥) الضيعة فى اللغة: الصنعة والحرفة والعقار والأرض المغلة. راجع : المعجم الوسيط مادة (ضاع) والخراج لأبى يوسف ص ٢٥٥ هامش ٦ .

(٦) الخراج ص ٢٥٥ . (٧) نفس المصدر، وراجع الأحكام السلطانية ص ١٤٤ .

(٨) الخراز : الذى يخيط بالمخرز القرب والنعال ونحوهما يقال لحرفته : الخرازة. راجع المعجم الوسيط مادة (خرز) والخراج ص ٢٥٥ هامش ١ . (٩) الخراج ص ٢٥٦ .

فجعلها أبو حنيفة مقدرة الأقل والأكثر ومنع من اجتهاد الولاة فيها[١].

**وقال مالك** رضي الله عنه : لا يقدر أكثرها، ولا أقلها، وهى موكولة لاجتهاد الولاة فى الطرفين[٢].

**وذهب الشافعي** رضي الله عنه : إلى أنها مقدرة الأقل بدينار، لا يجوز الاقتصار على أقل منه، وعنده غير مقدرة الأكثر، يرجع فيه إلى اجتهاد الولاة، ويجتهد رأيه فى التسوية بين جميعهم، أو التفضيل بحسب أحوالهم[٣]، فمن احتملت صناعته، أويساره ثمانية وأربعين درهماً أخذ منه ذلك، ومن احتملت أربعة وعشرين أخذ منه ذلك، واثنا عشر درهماً على العامل بيده أخذ منه[٤].

وهكذا تظهر معاملة المسلمين الرحيمة لأهل الذمة حتى فيما وجب عليهم دفعه، متأثرين بقول رسول الله ﷺ: «من ظلم معاهداً، أوكلفه فوق طاقته فأنا حجيجه»[٥].

وكان فيما تكلم به عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند وفاته: أوصى الخليفة من بعدى بذمة رسول الله ﷺ أن يوفَى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم[٦].

كذلك منع الرسول ﷺ تعذيب الناس فى الجزية أو غيرها.

فعن عروة، عن هشام بن حكيم بن حزام أنه وجد عياض بن غَنْم قد أقام أهل الذمة فى الشمس في الجزية فقال عروة: ما هذا فإن رسول الله ﷺ قال: «إن الذين يُعذِّبون الناس في الدنيا يُعذَّبون في الآخرة»[٧].

### ما يحل للمسلمين من أهل الذمة :

قال أبو يوسف : وحدثنى وقاء[٨] الأسدى، عن أبى ظبيان، قال: كنا مع سلمان الفارسى فى غزاة، فمر رجل وقد جنى فاكهة[٩]، فجعل يقسمها بين أصحابه فمرّ بسلمان

---

(١) الأحكام السلطانية ص ١٤٤ .
(٢) نفس المرجع .
(٣) نفس المرجع .
(٤) الخراج ص ٢٥٦ .
(٥) أى خصيمه، والحديث أخرجه أبو داود بإسناده إلى عدة من أصحاب رسول الله ﷺ انظر بذل المجهود . كتاب الخراج جـ ١٣ ص ٤٠٠ ، ٤٠١ ، والخراج ص ٢٥٧ هامش ١ .
(٦) انظر طبقات ابن سعد جـ ٣ ص ٢٤٦ ، وانظر بقية الآثار فى هذه النقطة فى كتاب الخراج لأبى يوسف ص ٢٥٧ وما بعدها.
(٧) مسند الإمام أحمد جـ ٣ ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، وبذل المجهود : كتاب الخراج جـ ١٣ ص ٣٩٠ ، ٣٩١ ، وأسد الغابة جـ ٤ ص ٢٢٨ .
(٨) بكسر أوله وقاء: ابن إياس الأسدى، انظر التهذيب جـ ١١ ص ١٢٢ . والخراج لأبى يوسف ص ٢٥٩ هامش ١ .
(٩) أى : من شجر أهل الذمة. راجع الخراج ص ٢٥٩ هامش .

فسبه، فرد على سلمان وهو لا يعرفه، قال: فقيل له: هذا سلمان! قال: فرجع يعتذر إليه. قال له الرجل: ما يحل لنا من أهل الذمة يا أبا عبد الله؟ قال: **ثلاث**: من عماك إلى هداك، ومن فقرك إلى غناك، وإذا صحبت الصاحب منهم تأكل من طعامه، ويأكل من طعامك، ويركب دابتك، وتركب دابته، في[1] أن لا تصرفه عن وجه يريده[2].

**الفرق بين الجزية والزكاة:**

إن الجزية لا تؤخذ من الصبيان والنساء، لأن الجزية تصرف في أهل الفيء[3]، فخالفت الزكاة التي تؤخذ من النساء والصبيان، فإن جمع بينهما وبين الجزية أخذتا معاً، وإن اقتصر عليها وحدها كانت جزية إذا لم تنقص في السنة عن دينار[4].

ولما كان الإسلام لا يأخذ الجزية من المترهبين، ولما كان بعضهم ذا غنى ويسار، رَاجَعَ المسلمون حساباتهم معهم، فؤخذت من بعضهم وترك البعض كما يلي:

**السبب في دفع بعض الرهبان للجزية، وقيمتها:**

كان الإسلام - ولا يزال - رحيماً بأهل الذمة؛ لأنهم في حمايته ومن ثم فرض الجزية على الرجال دون النساء والصبيان والعجزة، أما القسس فقد دفعها البعض، وأعفى منها آخرون[5]، وحالة الدفع هنا حالة فردية، كأن ثبت غناهم، فقد كانت الكنائس لها معاملات تجارية ودخول مالية كبيرة، وليست هناك أي بينة ممكن الاستدلال منها على أن الرهبان كانوا يدفعون الجزية[6].

**تقدير الجزية:** تختلف قيمة الجزية باختلا الشخص، فلم يكن أمرها موحداً بالنسبة للناس جميعاً. فتتراوح بين ثلاثة دنانير، ودينارين ونصف، وأربعة دنانير[7].

ولتيسير دفع الجزية، اعتبر الرجل جزء من شخص فكان كل تسعة رجال يعتبرون ثلث $\frac{1}{3}$ رجل وفي سنة مائة وخمسة وتسعين هجرية دفع أحد الخبازين نصف دينار[8].

وإليك ثبتاً يبين المبالغ المدفوعة فعلاً نقلاً عن أهل الذمة في سنة إحدى وثلاثين

(١) أي: لك أن تركب دابته في الحال التي لا تصرفه فيها عن الطريق التي يقصدها، راجع الخراج لأبي يوسف ص ٢٥٩ هامش ٤ .
(٢) الخراج ص ٢٥٩ .
(٣) الغنيمة : تنال بلاقتال، المعجم الوسيط مادة (فاء).
(٤) الأحكام السلطانية ص ١٤٤ .
(٥) انظر أهل الذمة في الإسلام ص ٢٣٠ .
(٦) المصدر نفسه .
(٧) المصدر نفسه .
(٨) المصدر نفسه .

ومائتين من الهجرة (بالدينار).

٩٥ رجلا يدفعون ٢٣٠ ديناراً

٥ رجال يدفعون ٧ ١/٦ دينار.

٧ رجال يدفعون ١٧ ديناراً.

١٥ رجلاً يدفعون ٣٨ ١/٢ دينار.

٧ رجال يدفعون ٢٠ ١/٢ دينار .

٥ رجال يدفعون ١٣ دينار .

١٢ رجلاً يدفعون ٢٥ ١/٦ دينار.

٤٤ رجلاً يدفعون ١٠٨ ٢/٣ دينار .

وهذا ثبت آخر بقيمة بعض المحصولات :

ففى سنة ثمانين للهجرة، قدر العشرون إردباً من الحنطة بمبلغ دينار واحد.

وفى سنة ثمان وثمانين للهجرة بلغ ثمن الاثنى عشر إدباً منها دينار واحد.

ونرى بعد ذلك أن عشرة أرادب من الحنطة، أو العشر أرادب من الشعير تساوى ديناراً واحداً كما بلغ ثمن الرأس الواحد من الضأن سنة اثنتين وتسعين هـ نصف دينار[١].

وفى سنة ٨٨ هـ كانت ضريبة الغلة تبلغ عل وجه التقريب إردباً مقابل كل دينار من الخراج.

وفى سنة ٩٦ هـ بلغت إردبين عن الدينار[٢].

وفى سنة ٩٨ هـ ، والسنوات الخمس التالية لها ظلت ضريبة أرض أفردويت أشكة ثابتة لم يلحقها شيء من التبديل، فبلغت ستة آلاف وتسعمائة وواحد وخمسين ديناراً، وخمسة عشر قيراطاً. أى أنها بلغت ما يقرب من ١٥/٢٤ من قيمة الزرع، وإن لم يكن هذا أمراً ثابتاً على الدوام[٣].

وفى سنة ٨٠هـ دفعت (بوصير) سبعين ديناراً ، وواحداً وعُشر قيراطاً، ثم دفعت فى سنة ٩٢هـ مبلغ مائة وأربعة دنانير وثلثى دينار[٤].

---

(١) المصدر السابق ص ٢٣٢، ٢٣٣ . (٢) المصدر نفسه .
(٣) أهل الذمة فى الإسلام ص ٢٣٣ . (٤) لامصدر نفسه .

والثبت التالى يبين كيف كان اختلاف الجزية المفروضة على البلاد:

| اسم البلد | من سنة ٨٠-٨٥هـ المدفوع بالدينار | ومن سنة ٩٠-٩١هـ المدفوع بالدينار |
|---|---|---|
| بكانوس | ٣٧١ | ٤٩٨ |
| أمفيتوس | ٣٩٠ | ١٣١ $\frac{1}{3}$ |
| ينون | ٤٠ | ٤٧ $\frac{1}{3}$ |
| كيرانوس | ٥٠ | ٢٥ $\frac{1}{2}$ |
| بويمن | ١٠٢ | ٣٠ $\frac{1}{3}$ |
| دير مريم | ١١٤ | ٩٨ |
| دير فارس | ١١١ | ٥ $\frac{1}{2}$ |
| دير مارى | ٤٨ | ٤٧ $\frac{1}{2}$ |
| ٣ بديادس | ٤٣٦ $\frac{1}{3}$ | ٤٠٠ $\frac{5}{6}$ |
| ٢ بديادس | ٢٣٣ | ٢٥٣ $\frac{1}{6}$ |
| ٥ بديادس | ٤٢١ | ٤٦١ $\frac{1}{2}$ |
| دير بربروس | ١١٠ | ١٠ |
| | **سنة ٨٨هـ** | **سنة ٩٧هـ** |
| دير مارس الصحراوى | ٣٠ $\frac{1}{6}$ | ١١٤ |
| الأبا أرماتوس | ٢٨ $\frac{1}{6}$ | ١٨٩ $\frac{1}{3}$ |

يتضح جلياً مما سبق من هذه الأرقام ما وصلت إليه بعض الأديرة من الثراء البالغ حتى لقد كان لدير مريم الصحراوى ثمانية إقطاعيات فى سنة ٩٨هـ ، ولدير بربروس عشرة إقطاعيات[١] !!.

---

(١) المصدر السابق ص ٢٣٤ ، وفى هذا رد على بعض كتاب المسيحية الذين قالوا: لم يجرؤ أحد على فرض الجزية على العرب النصارى» ، وهذ كذب فقد فرضت الجزية على النصارى ودفعوها لأنها فى مقابل الزكاة . راجع : التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ص ١٥٠ بتصرف .

وكانت الحكومة المركزية[١] الإسلامية تخطر كل إقليم بالقدر الواجب عليه دفعه، وحينذاك يقوم عمالها المحليون بتوزيع المبلغ على دافعي الضرائب.

**إخطار مما كانت الحكومة ترسله إلى البلاد بشأن الجزية:**

«من قرة بن شريك إلى أهل بوصير، إن جزيتكم عام ٨٨ هجرية كانت مائة وأربعة دنانير، وثلث دينار، وخراجكم أحد عشر إردباً وثلث إردب حنطة كتبه رشيد فى صفر سنة إحدى وتسعين هجرية»[٢] (٩١هـ).

وهذه جزية بعض الأديرة، لتعرف مدى قيمة المدفوع منها :

| دير مريم المقدسة | بربروسة | أبا أرماتوس | وجه الصرف |
|---|---|---|---|
| — | — | — | لأمير المؤمنين |
| ٢/٣ | — | ٢/٣ | بضائع للسفن |
| ٥/١١ | ١/١٢ | ٥/١٢ | قماش لخيمة من الشعر |
| ٣٣ ١/١١ | — | ٢٨ ١/٢ | غرامة. |
| ١/٢ | ١/٢ | ١/٢ | نصف بحار للأسطول ومصاريف وقسطان من خل لمهاجرى الأسطول. |
| ٣/٤ | ١/٢ | — | قسطان من خل لمهاجرى الأسطول |
| ١/٦ | ١/٦ | ١/٣ | عربة بضائع عند القلزم |
| ١/٦ | — | — | أكوام للترصف |
| ٥/٦ | ١/٢ | ٥/٦ | مصاريف للوالى |
| ١/٤ | (؟) | ١/٤ | العناية بالأكوام |
| — | ١/٢ | ١/٤ | بضائع إلى القلزم |

(١) بالتعبير الحديث، وإن كانت تتلقى أوامرها من الخليفة مباشرة، وتعمل جاهدة على تنفيذها.

(٢) أهل الذمة ص ٢٣٥ .

تابع جزية الأديرة:

| دير مريم المقدسة | بربروسة | أبا إرماتوس | وجه الصرف |
|---|---|---|---|
| – | ١/٦ | ١/٤ | بضائع إلى القلزم. |
| | | | بحار للأسطول الأناضولى ومصاريف |
| – | – | ١/٤ | أخرى. |
| – | – | ١/٢ | أربعون عاملا لجامع دمشق. |
| ٥٠ | ٢٠ | (؟) | للعناية بالأكوام والسلال. |
| ١١/١٢ ٨٦ | ١/٢ ٢٢ | ٢/٣ ٣١ | المجموع [١] |

وكثيرا ما يرد ذكر الأرزاق، على أنه يمكن الاستدلا من هذه المجموعة على ما يأتى - عشرون إردبا من الشعير، ٣،١٦٤ إردبا من الحنطة، وذلك سنة ٢١ هـ، وثلاث أكلات للرجـــال [٢] ٣٤٢ إردبا من الحنطة، ومائة وواحد وسبعون قسطا من الزيت لإعاشة ثلثمائة واثنين وأربعين جنديا، واثنى عشر صانع أسلحة [٣].

وهذه العبارة الأخيرة تحمل المرء على الدهشة فى التفكير فيما يتعلق بالطريقة التى اتبعها عمر بن الخطاب ليكفل تموين الجند بما يحتاجون إليه.

كذلك أثبتت أوراق البردى طلب المسئولين خمسة وستين رأسا من الغنم، وتسعة وتسعين حصانا [٤]..

«وفى سنة ٩١هـ طلب أولو الأمر سبعين قميصا، كل واحد بربع دينار جزية لأمير المؤمنين» [٥].

(١) المرجع السابق ص ٢٣٦ .
(٢) نقلا عن أهل الذمة.. ص ٢٣٧ .
(٣) نقلا عن أهلا الذمة. ص ٢٣٧ .
(٤) نقلا من المصدر نفسه.
(٥) نقلا عن المصدر نفسه.

وكان الوالى يحتاج إلى مواد مختلفة «لإعالتنا وللعمال الذين معنا من العرب، والنصارى على السواء ولغيرهم»(١).

### الإعفاء من الجزية بالانتظام في سلك الجندية أو الإسلام:

تقرر المعاهدة التى أبرمها سراقة سنة ٢٢ هجرية مع أهل أرمينياء والثغور أن يشتركوا مع الجيوش الإسلامية، وأن تحل الخدمة الحربية محل الجزية، أما الذين لا يشتركون فى الحروب إلى جانب المسلمين فيلتزمون دفع جزية تكافىء ما يدفعه أهل أذربيجان (٢).

أما فى مصر:فإنه لما تم فتحها صولح من فيها من الذكور ممن راهق الحلم إلى ما فوق على دينارين(٣).وإن الجزية كانت دينارين على الرأس، وعلى المصريين أرزاق المسلمين (٤). وفى رواية للبلاذرى أن الطعام قد أضيف أخيرا على أساس دينارين مما جعل الجزية أربعة دنانير(٥) فى العام.

ثم ألزم كل واحد من أهل مصر أن يقدم للجيش جُبّة صوف وبُرنسا، أو عمامة وسراويل وخفين (٦).ويذكر الصولى:نفس الجزية ولكنه لا يشير إلى الملابس، فيتفق مع ابن عبد الحكم (٧).

### ثبوت الجزية على الرؤوس:

يؤكد المقريزى، وتؤيده الروايات..أن الجزية كانت ثابته، وأنها بلغت دينارين على كل رأس، وأنها تسير على أساس النقد، ولكن الخراج لم يكن ثابتا (٨).

لأنه يعتمد على حالة الزرع «العمارة» وعلى حاجة الدولة، وما تذكره الروايات من أشكال مختلفة للخراج، إنما تشير إلى ما فرض فعلا فى سنين مختلفة، كما أنه كان يجبى عادة من الحاصلات بالنوع، وقد يكون جزء منه بالنقد.أما رواية البلاذرى بشأن الملابس فهى حالة خاصة تتعلق بما فرض على أهل حصن بابليون عند أول دخول المسلمين مصر لحاجة الجيش المهاجم إلى كسوة، ولم يتخذ هذه السابقة خطة (٩).وأن يُضيّفُوا من نزل بهم من

---

(١) نقلا عن المصدر نفسه.
(٢) تاريخ الطبرى جـ١ ص ٢٦٦٥، وأهل الذمة.. ص٢٤٥.
(٣) المقريزى الخطط جـ١ ص ٨٦، وابن عبد الحكم ص ١٢٤. (٤) المقريزى:الخطط جـ١ ص ٢٩٤.
(٥) فتوح البلدان ص ٢١٦. (٦) المرجع السابق ص ٢١٤.
(٧) أدب الكتاب ص ٢١٧، وابن عبد الحكم ص ٢٠٤ ـ ٢١١، وأهل الذمة فى الإسلام ص ٢٤٦.
(٨) سيأتى الفرق بين الجزية والخراج.
(٩) راجع الدورى نقلا عن أهل الذمة فى الإسلام ص ٢٤٦ هامش ٣ ترجمة دكتور حسن حبشى.

المسلمين ثلاثة أيام [١].

ويقال: إن عمرو بن العاص فرض ضريبة قدرها ستة وعشرون درهما وثلثى درهم على الجميع، وفرض على الأثرياء منهم دينارين [٢]، وثلاثة أرادب من القمح [٣]، وهذا واضح إذا كانت الضريبة الثانية مضافة إلى الأولى، وفى ذلك يدفع الأغنياء، قرابة ضعف ما يدفعه الفقراء على أنه من المقرر تماما أن الأقباط كانوا يدفعون زمن عمرو بن العاص للمسلمين نفس الضريبة التى كانوا يدفعونها للبيزنطيين [٤].

ومجمل القول أن ما نستفيده من تلك الأخبار هو أن الجانب الأكبر من الضرائب كان يعتمد على الجزية، وإن كانت أوراق البردى تشير إلى أن الجزية كانت أقل من الخراج [٥]. كما أنها كانت مقيدة بعدم الزيادة فقد حاول معاوية بن أبى سفيان أن يزيد الجزية على المصريين، فلم يوفق إذ عارضه وردان مولى عمرو بن العاص، بقوله كيف تزيد عليهم وفى عهدهم ألا يزاد عليهم[٦]..ومع أن مصر فتح بعضها بعهد، وذمة وبعضها عنوة إلا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جعلها جميعا ذمة، وحملهم على ذلك فمضى ذلك فيهم إلى اليوم [٧].

**الهدف العام من الجزية:**

إنها ليست في واقع الأمر سوى ضريبة دفاع، على حد التعبير المعاصر، فهى مقابل مادى لما يتمتع به أهل الذمة من حماية فى ديار الإسلام، وهى ليست ضريبة رأس كتلك التى عرفها العالم القديم والتى كانت الجيوش الفاتحة تفرضها على الشعوب المغلوبة، فثمة اختلافات جوهرية بين (الجزية) وضريبة (الرأس) صحيح أن كلا منهما قد فرضت على الفرد ولكن شروط فرض الجزية ومقاديرها المختلفة تميزت بطابع إنساني إذ راعت عدم أخذها

---

(١) فتوح البلدان :ص١٢٥ ، وخطط المقريزى جـ١ ص٧٧ .
(٢) تاريخ أبى صالح الارمنى ص ٢١ وترجمته ص ٧٥ نقلا من أهل الذمة ص ٢٤٦ .
(٣) كان النقد فى مصر يستند إلى قاعدة الذهب، وتحسب الضرائب بالدنانير وأجزائها، لا بالدراهم الفضية، والظاهر أن أبا صالح..استعمل الدرهم الفضى فى كتابه لأنه كان من أسس العمله فى الشرق، أما قيمة الست عشر درهما، وثلثى الدرهم فتعادل الدينارين، وهذا يوضح كسور الدرهم التى لا نجدها فى فرض الضرائب عادة . أما الدينار فكان ذهبا خالصا من الشوائب ووزنه ٧٥ / ٣٣ قيراطا، وكان الدينار من الذهب والدرهم من الفضة.انظر مصر فى الإسلام..صـ٢١٣ . الدورى..نقلا عن أهل الذمة ص ٢٤٦ هامش٥ .
(٤) المقريزى :الخطط جـ١ ص٧٦، وأهل الذمة ص ٢٤٦ .
(٥) أهل الذمة ص ٢٤٧ .
(٦) انظر البلاذرى: فتوح البلدان ص ٢١٧ ، وابن عبد الحكم ص ١٢٦ تحقيق عبد المنعم عامر، وأهل الذمة ص٢٤٧ .
(٧) ابن عبد الحكم فتوح مصر..ص ١٣٢ ، والخطط جـ١ ص٢٩٥ .

من النساء والأطفال والشيوخ، فضلا عن غير القادرين، كما أن الرهبان قد أعفوا منها بشرط انقطاعهم فى أديرتهم [١].

بالإضافة إلى إمكان تأجيل تحصيلها من المعسر، زد على ذلك أن الجزية جزء من اتفاق عقد الذمة الذى هو التزام متبادل بين طرفين ففى مقابل التزام أهل الذمة بالشروط السابق ذكرها يكون على المسلمين حمايتهم وحماية أموالهم، وتعويضهم عما يتلف منها، كما تكفل لهم حرية كسب العيش وتنظيم جماعتهم داخليا بجانب حرية العقيدة والدفاع عنها طالما بقوا داخل المجتمع الإسلامى [٢] ولقد فهم المقوقس هذه الحقيقة فخاطب الأقباط قائلا: أما يرضى أحدكم أن يكون آمنا فى دهره على نفسه وماله، وولده بدينارين فى السنة؟[٣].

---

(١) ابن قيم الجوزية: أحكام أهل الذمة جـ١ ص ٤٩، ٥٠، وأهل الذمة فى مصر فى العصور الوسطى ص٢٥

(٢) القلقشندى: صبحى الأعشى جـ١٣ ص ٣٦٢ ـ ٣٦٥، وأهل الذمة فى مصر فى العصور الوسطى ص٢٩

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر.. ص ١٠٥، والحقيقة أن الجزية ليست ثمنا لشىء، فإن ألوفا مؤلفة من البشر تمنت أن تدفع هذا الثمن للمسيحية الحاكمة فى روما، والقسطنطينية، وتظفر بحريتها الدينية، ولكن رجال الكنيسة رفضوا، وخيروهم بين الموت أو الدخول فى المسيحية، فالكنيسة لم تخير اليهود والوثنيين إلا بين التنصر أو الفناء. راجع التعصب والتسامح.. ص١٢٩ .

**افتراء رجال الكنيسة:**

كان رجال الكنيسة يطبقون هذه الجملة التى ادعوها على لسان المسيح عليه السلام، وأنه قال لحوارييه: «أجبروهم على اعتناق دينكم» وهذا افتراء على صاحب الإنجيل عليه السلام. انظر المصدر السابق.

أما الإسلام فدعوته قامت وستظل مؤكدة على أنه ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ البقرة من الآية ٢٥٦ .

فالمسلمون كانوا إذا فتحوا بلدا خيروا أهلها بين أمور ثلاثة: الإسلام، أو الجزية، أو المنابذة. وذلك معنى قول عبادة ابن الصامت ﷺ للمقوقس: فإن أبيتم إلا الجزية فأدوها إلينا.. ونقاتل عنكم من ناوأكم، وعرض لكم فى شىء من أرضكم، ودمائكم أو أموالكم، ونقوم بذلك عنكم إذا كنتم فى ذمتنا ـ راجع لابن عبد الحكم: فتوح مصر ص ١٠١ .وقد يثار سؤال: لم لا يترك المسلمون أهل الذمة يُعدُّون القوة لحماية أنفسهم؟

والجواب: أن لهم هذا الحق، وما يتدخل الإسلام فى شئون دولة أخرى إلا فى حالة واحدة هى استغلال قوتها فى الإفساد والاضطهاد، ومصادرة الآراء، وإيقاع المظالم بجيرانها، فهو فى هذه الحالة يقوم بتجريدها من هذا السلاح، لقد كانت مصر، والشام واليمن والعراق ودول أخرى تقع تحت حكم الفرس والروم فكان أسوأ حكم شهدته تلك البلاد فلما جاء الإسلام إلى هذه الأوطان المغلوبة على أمرها رد إليها حريتها، ومالها وكرامتها، فكان رد الجميل أن استقبله أهلها أحسن استقبال، كما اعتنقوا الدعوة التى جاءوا بها راجع التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ص ١٣٠ باختصار وتصرف.

وقد نهى الإسلام عن تكليف أهل الذمة مالا قدرة لهم عليه، أو ضربهم أو تعذيبهم، أو حبسهم على أداء الجزية لقوله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى يعذب يوم القيامة الذين يعذبون الناس في الدنيا»[١].

كما روى عن نافع عن ابن عمر أن آخر ما تكلم به ﷺ: «احفظوني في ذمتي»[٢].

وتتضح سماحة الإسلام أكثر إذا عرفنا أنه إذا امتنع أهل الذمة عن أداء الجزية لا ينقض عهدهم في رأى أبي حنيفة، وإذا نقض عهدهم فإن ذلك لا يبيح قتلهم، ولا غنم أموالهم، ولا سبي ذراريهم مالم يقاتلوا، بل يجب إخراجهم من ديار الإسلام آمنين[٣].

فإذا تم عقد الذمة ينصب الإمام على كل فريق من أهل الذمة عريفا مهمته حصر من أسلم منهم أو مات، ومن بلغ من صبيانهم، ومن قدم عليهم أو سافر منهم، وإحضارهم لأداء الجزية، وقد عرف هذا (العريف) في عصر المماليك باسم (الحاشر)[٤].

**احترام شعور أهل الذمة:**

لم يشأ الإسلام لأهل الذمة أن يكونوا جماعة منبوذة داخل المحيط الإسلامي، ومن ثم فقد أحل تبادل الأطعمة معهم، وهي أكبر علامات العلاقات الاجتماعية الودية، قال الله تعالى: ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾[٥].

وقد اختلفت الرواية بشأن إقامة بقية العلاقات الودية مع أهل الذمة، وإن كان الراجح جواز عيادتهم أثناء المرض، وشهود جنائزهم، وتعزيتهم في مصائبهم، وتهنئتهم في أفراحهم[٦]. كما أجاز الرسول ﷺ معاملتهم في البيع والشراء، ومشاركتهم في التجارة[٧].

أما عن جمع الجزية، وإدخالها بيت المال فإن ذلك يرجع إلى تصرف المسلمين ومعرفتهم بمستحقيها كما يلي:-

(١) ابن قيم الجوزية: أحكام أهل الذمة جـ١ ص ٩٩، وأهل الذمة في مصر في العصور الوسطى ص ٢٩، والحديث أخرجه المناوي في كتاب فيض القدير شرح الجامع الصغير جـ٢ ص ٣٠٤ برقم ١٩١٦.

(٢) النويري: نهاية الأرب جـ٨ ص ٢٣٩، ونهاية الأرب: جـ٨ ص٢٤٠، وأهل الذمة في مصر العصور الوسطى ص ٢٩.

(٣) الأحكام السلطانية ص ١٤٣، ونهاية الأرب: جـ٨ ص٢٤٠، وأهل الذمة في مصر العصور الوسطى ص٢٩.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى جـ١٣ ص٣٦٢، ٣٩٥، وأهل الذمة في مصر العصور الوسطى ص١٣٠.

(٥) سورة المائدة: آية ٥.

(٦) ابن قيم الجوزية: أحكام أهل الذمة جـ١ ص٢٠٠، ٢٠٦، وأهل الذمة في مصر في العصور الوسطى ص١٣١.

(٧) أحكام أهل الذمة جـ١ ص٢٤٤، ٢٤٥.

## المبحث الثالث: طريقة جمع الجزية:

لما استوثق الأمر لعمرو بن العاص في مصر أقر قبطها على جباية الروم، إذ كانت جبايتهم بالتعديل، إذا عمرت القرية، وزاد أهلها زيد عليهم، وإن قل أهلها، وخربت نقصت الجباية، فيجتمع عرافو [١] كل قرية، وماروتها [٢]، ورؤساء أهلها فيتناظرون في العمارة والخراب، حتى إذا أقروا من القسم بالزيادة انصرفوا بتلك القسمة إلى الكور فوزعوا ذلك على احتمال القرى وسعة المزارع، ثم يجتمع أهل كل قرية بقيّمهم فيجمعون قسمهم، وخراج القرية وما فيها من الأرض العامرة، ويخرجون من الأراضي فدانين لكنائسهم وحماماتهم، ومعدياتهم من جملة الأرض، ثم يخرجون منها عدد الضيافة للمسلمين، فإذا فرغوا من ذلك نظروا إلى ما في كل قرية من الصناع والأجراء، قسموا عليهم بقدر احتمالهم، فإن كانت فيها جالية قسموا عليها بقدر احتمالها، وقلّ ما كانت تكون إلا للرجل الشاب أو المتزوج ثم ينظرون ما بقي من الخراج، فيقسمونه بينهم على عدد الأرض، ثم يقسمون ذلك بين من يريد الزرع منهم على قدر طاقتهم، فإن عجز أحد أو شكا ضعفا عن زرع أرضه وزعوا ما عجز عنه على الاحتمال وإن كان منهم من يريد الزيادة أعطى ما عجز عنه أهل الضعف فإن تشاحوا قسموا ذلك على عدّتهم، وكانت قسمتهم على قراريط الدينار، أربعة وعشرين قيراطا يقسمون الأرض على ذلك [٣].

وجعل لكل فدان عليهم نصف إردب قمح وويبتان من شعير إلا (القرط) [٤] فلم يكن عليه ضريبة، وكان عمر بن الخطاب يأخذ ممن صالحه من المعاهدين ما سمى على نفسه، لا يضع منه شيئا، ولا يزيد عليه ومن نزل منهم على الجزية ولم يسم شيئا يؤديه نظر عمر في أمره، فإذا احتاجوا خفف عنهم، وإن اغتنوا زاد عليهم بقدر غناهم [٥]، فهل وجدت معاملة في التاريخ أرحم من هذه المعاملة، وإنصاف خير من هذا الإنصاف؟ كلا.

### طبقات دافعي الجزية، وتقديرها:

كان من يدفعون الجزية أنواع ثلاثة:

---

(١، ٢) الماروت: هو كبير الوجهاء، وهي كلمة مأخوذة من اللغة السريانية. والعرفاء جمع عريف، وهو من يتلو على الناس الأدعية ـ ابن عبد الحكم فتوح مصر ص ٢٠٦ هامش ٣ .

(٣) المصدر نفسه، والمقريزي: الخطط جـ١ ص٧٧، وترتون: أهل الذمة ص ٢٥١ وما بعدها.

(٤) شجر السنط. المقريزي: خطط جـ١ ص٧٧

(٥) ترتون: أهل الذمة ص٢٥١، والمقريزي: خطط جـ٧ ص٧٧ .

١ ـ صاحب أرض يعطى جزيته ـ لعل المقصود بها هنا ـ الخراج.
٢ ـ وصانع يخرج جزيته من كسبه [١].
٣ ـ وتاجر يتصرف بماله يعطى جزية من ذلك، وإنما سنتهم واحدة. وهذه الصورة عن عمر بن عبد العزيز، وهى تتفق وما جاء فى أوراق البردى التى تبين أن التجار كانوا يدفعون ضريبة معينة بدلا من الخراج [٢]، وهناك أنواع أخرى مثل:

**جزية الحبوب:**

كانت تؤخذ عن فدان الحبوب فى صعيد مصر ما بين إردبين إلى ثلاثة أرادب بكيل الصعيد، وغالب ما يؤخذ مع كل إردب درهم، أو درهمان أو ثلاثة دراهم، وفى بعض الأحيان كان يكتفى بدفع القدر المطلوب دراهم دون غيرها، أما فى الوجه البحرى فغالب خراج بلادهم دراهم [٣] وظل الحال على ذلك حتى سنة سبعمائة وتسعين هجرية (١٣٨٨م) حيث كانت أجرة الفدان الواحد أربعين درهما [٤].

**فترة الضيافة:**

أما ضيافة المصريين للمسلمين، فكانت منصوص عليها فى عقد الصلح كما يلى:ـ
أ ـ عند أهل الذهب: تكون مدة الضيافة ثلاثة أيام.

---

(١) كان تقدير الجزية فى الإسلام باعتبار ما تبقى فى أيدى الناس من دخلهم بعد نفقاتهم، ومن ثم كانت الجزية تحسب بعد كسب العامل فى سنة وطرح نفقة طعامه وآدمه وأيام أعياده فى السنة كلها، وما يبقي بعد ذلك أربعة دنانير فيلزم بدفعها، فكان احتساب الجزية كالآتى: عدد أيام السنة – عدد أيام الأعياد= عدد أيام التشغيل.
إيراد العامل فى أيام الشغل – نفقته كلها فى أيام الشغل=٤ دنانير، وهو مقدار الجزية. انظر تاريخ التمدن الإسلامى جـ١ ص١٧٠، وهذه هى الطريقة العصرية فى فرض الضرائب على أساس صافى الإيراد انظر الموارد المالية فى الإسلام ص ٢١٦ .
(٢) البلاذرى: فتوح البلدان ص ٢٦٩ ، الصولى: أدب الكتاب ص ٢١٨ .
(٣) لم يكن سعر الدرهم بالنسبة للدينار ثابتا، بل كان متبدلا حسب الأوضاع الاقتصادية العامة، ذلك لأن الدرهم كان أساس العملة فى القسم الشرقى من الامبراطورية، كما كان الدينار أساسها فى القسم الغربى، لذا كان الدينار يساوى اثنى عشر درهما فى زمن عمر رضي الله عنه وكان يساوى عشرة دراهم فى دور الرسالة وفى خلافة الإمام على انظر الدورى نقلا عن أهل الذمة فى الإسلام ص ٢٥٨ هامش١ .
(٤) صبح الأعشى جـ٣ ص٤٥٣ .
(٥) الشافعى: كتاب الأم جـ٤ ص١٠٢، ١٠٤ .

ب ـ عند أهل السواد:يوم وليلة فقط، وكانوا يقدمون إليهم من الطعام:الخبز والثريد والتوابل، والزيت، والخضروات المطبوخة والسمك أو اللحم، وما تيسر وجوده ولا تزيد مدة إقامة المسلمين بينهم على ثلاثة أيام.

وإذا حدث أن أمطرت السماء وعوقت المسافرين وأخرتهم أمدا أطول مما هو مسموح لهم به كان عليهم أن يدفعوا ثمن ما يأكلون [١].

**قال الماوردي:**«وإذا صولحوا على ضيافة مَنْ مر بهم من المسلمين قدرت عليهم ثلاثة أيام، وأخذوا بها لا يزادون عليها كما صالح عمر رضي الله عنه نصارى الشام على ضيافة من مر بهم من المسلمين ثلاثة أيام مما يأكلون، ولا يكلفهم ذبح شاة ولا دجاج، وتبيت دوابهم من غير شعير وجعل ذلك على أهل السواد دون المدن، فإن لم يشترط عليهم الضيافة، ومضاعفة الصدقة فلا صدقة عليهم في زرع ولا ثمرة، ولا يلزمهم إضافة سائل ولا سابل» [٢].

**أوامر عمر رضي الله عنه بشأن الجزية:**

شكى بعض الذميين إلى عمر أن هؤلاء الضيوف يكلفونهم فوق طاقتهم ويطلبون منهم الدجاج والضأن فقال عمر:«لاتطعموهم إلا ما تأكلون، ولا بما لا يحل لهم»[٣]. فإلى من تدفع أموال الولاية؟

**أبناء الولاية أولا ثم بيت المال:** أي أن أبناء الولاية أحق بالأموال، ثم بيت المال.

ففي زمن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه كانت أرزاق أهل الديوان وأعطياتهم، وأعطيات عيالهم وأرزاقهم، ونوائب البلاد من الجسور، وأرزاق الكنيسة وحملان القمح إلى الحجاز تؤخذ من الضرائب، ثم يرسلون ما تبقى من الأموال إلى دمشق العاصمة.

**جباية الدولة البيزنطية:** كانت الامبراطورية البيزنطية تجبى الضرائب على الأرض، وتجمع الغلة والجزية، وكان عمالها يستضافون أثناء تنقلهم لأداء مهمتهم الرسمية، وقد يبدو عجيبا أن تفرض الضريبة ذات الدرجات الثلاث على أعضاء الشيوخ في الامبراطورية[٤]، وبالطبع لم يكن هناك عهد، ولا صلح بين قواد روما والمصريين، ومن ثم

---

(١) ابن عبد الحكم:فتوح مصر والمغرب ص ١٥٢ .

(٢) الأحكام السلطانية:ص١٤٤، ١٤٥ .

(٣) ابن عساكر:تاريخ دمشق جـ١ ص١٧٥، بعكس ما ثبت في إحدى البرديات من ظلم الرومان، وإجحافهم بأهل مصر، راجع الملاحق.

(٤) المقريزي: الخطط جـ١ ص٧٩، وأهل الذمة ص٢٦٦ .

فإنهم يفرضون عليهم ما شاءوا.

**استخدام الرأفة في جمع الجزية:**

طبق المسلمون فى جمع الجزية روح الإسلام، المتمثلة فى الرحمة والرأفة فقد كانت هناك تعليمات بشأنها منها:-

أ - عدم استعمال العنف، أو الضرب فى جمعها.

ب - ألا يجبر الذمى على بيع ما لديه من الماشية، والحمير، والأغنام لسدادها، وعلى أن يكون واقفا وقت دفعها، أما العامل الذى يأخذها فيكون جالسا.

جـ - يجب أن يشعر الذمى أنه شخص ينبغى أن يخلص نفسه إما بالانضمام إلى المجاهدين أو يبحث عن طريقة تخرجه من هذا الوضع، إلى وضع كريم يساويه بالحكام أنفسهم، وهذا من أسباب اعتناق بعض الذميين للإسلام (١).

وهذا ثبت بما كانت تدفعه مصر بعد دخول المسلمين:

السنة من ١٩ - ٢٥ هجرية مليونا دينار زمن ولاية عمرو بن العاص.

السنة من ٢٦ - ٣٥ هجرية أربعة ملايين دينار زمن ولاية عبد الله بن سعد بن أبى السرح.

السنة من ٤٧ - ٦٢ هجرية أرسل الوالى مسلمة إلى دمشق مبلغا وقدره ستمائة ألف دينار.

حوالى سنة ١٠٧ هجرية بلغ الدخل أربعة ملايين، وكان متولى الخراج:

عبد الله بن الحبحاب والمصاريف ٧٨٣ / ٧٠٠ / ٢، (ويذكر ابن خردازبة أن الخراج بلغ ٢,٧٢٣,٨٧٣) (٢) استطاع المسلمون أن يثبتوا نجاحهم فى تصريف شئون مصر المالية، بقى أن تعرف تصرفهم الإدارى كيف تم؟

---

(١) الصولى :أدب الكتاب ص ٢١٥، وأهل الذمة ص٢٧٢ .

(٢) الخطط :جـ١ ص٧٩،٩٨، وفتوح البلدان ص٢٦٦، ابن خرداذبة: المسالك والممالك ص٨٣، وابن حوقل المسالك والممالك ص١٠٨، وأهل الذمة ص٢٧٠ .

**موقف المسلمين من الجهاز الإداري المصري بعد الفتح:**

لما فتح الله على عمرو بن العاص مصر، أبقى النظام الإدارى كما هو، ولم يعزل أهل الذمة عن مناصبهم مع أن هذا النظام كان من وضع الامبراطور جستنيان [١].

كما أبقى بعض الموظفين البيزنطيين، وأحل الأقباط محل البعض الآخر، ومنذ ذلك الوقت أصبح الأقباط بصفة خاصة طبقة متمرسة فى الشئون المالية والإدارية، فتولوا مناصب عديدة فى السلك الإدارى للدولة، بل إن منهم من تولى مناصب هامة مما يقطع بأن صلاتهم بأصحاب السلطة كانت طيبة، كما أن اليهود من جهة أخرى، مارسوا نشاطهم الاقتصادى، حتى الأعمال الإدارية أسندت إلى بعضهم، ولأول مرة يشعر المصريون على اختلاف طوائفهم بالأمان [٢].

**إحلال المسلمين محل الأقباط في الأعمال الإدارية:**

فلما جاء عهد عمر بن عبد العزيز (٩٩ ـ١٠١هـ) ـ ٧١٧ ـ ٧١٩م)

حدث تغيير فى السلك الإدارى، بإحلال بعض الموظفين المسلمين محل الأقباط، كما حل المسلمون محل رؤساء الكور الأقباط، إلا أن هذا القرار لم يستمر ساريا بدقة مدة طويلة، فقد ظل القبط يلون هذه الوظيفة بعد ذلك [٣].

فقد عثر على اسم موظف قبطى من رؤساء القرى فى بردية يرجع تاريخها إلى سنة ١٧١هـ = ٧٨٧م.

وفى أوراق البردى العربية [٤]: خطابا خاصا بضريبة الطعام من قرة إلى عاملين هما: بقطر بن تيودوسيوس وأبا قيرس أندرياس [٥].

**الفوائد التي عادت على أهل الذمة في أرض الكنانة بعد الفتح:**

من الواضح أن دولة عقيدتها التوحيد، ودستورها الإسلام، على رأسها خليفة النبى ﷺ والقرآن الكريم هو مصدر تشريعها فلا عجب إذا وجدنا، هذا القرآن يحض على معاملة الطوائف

(١) انظر: دينيت: الجزية والإسلام ص١١٢، وأهل الذمة فى مصر القرون الوسطى ص٣٩.
(٢) انظر: ترتون: أهل الذمة ص٢٤، وأهل الذمة فى مصر العصور الوسطى بتصرف ص٣٩، ٤٠.
(٣) سيدة إسماعيل كاشف: مصر فى عصر الولاة ص١١٩.
(٤) جروهمان جـ٣ ص٦٠.
(٥) انظر: أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى ص٤٠.

الأخرى غير المسلمة بالحسنى والبر [١].

كما قال سبحانه: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [٢].

ومن ثم فقد حظيت هذه الطوائف فى الدولة الإسلامية بضمان حرية العقيدة مع حرية كسب العيش، بجانب تأمين الأرواح والأعراض، والأموال، ومن ثم كانت لهم علاقات ودية وصلات طيبة بالمسلمين [٣].

هذا مع العلم بأن المصريين عوملوا علي أساس أن بلادهم فتحت صلحا، وكانت أهم شروط الصلح فرض الجزية بواقع دينارين عن كل رجل أعفى منها الشيوخ، والأطفال والنساء، مقابل تأمين المصريين على حياتهم وأموالهم، وأعراضهم بالإضافة إلى ما يمكن تسميته: «ضريبة الطعام على من يسكنون الريف، ويتضح من شروط الصلح أنه شمل الأقباط فقط، ومن الروم الذين خيروا بين الالتزام بشروط الأقباط، أو الخروج إلى أرض الروم [٤].

**الصلح الثاني لأهل مصر:**

صولح أهل الجزية فى مصر صلحا ثانيا فى خلافة عمر بن الخطاب أيضا، على أن تستبدل ضريبة الطعام والكسوة بدينارين، «..فرضوا بذلك وأحبوه» [٥].

كما فرضت الجزية على اليهود المقيمين فى مصر آنذاك، وقدر عددهم فى الإسكندرية وحدها بأربعين ألف يهودى [٦].

---

(١) انظر المصدر نفسه.
(٢) سورة الممتحنة: آية ٨، ٩ .
(٣) أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى ص ٤٠ .
(٤) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب ص ٧٠، ٧١، ٨٢، ٨٥، والبلاذرى: فتوح البلدان ص ٢١٤، ٢١٥، وتاريخ ابن البطريق ص ٢٢، ٢٤، والمقريزى: الخطط جـ١ ص ٧٧ .
(٥) فتوح البلدان ص ٢١٦، ٢٢٠، وأهل الذمة فى مصر العصور الوسطى ص ٤١ .
(٦) ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٨٢، وتاريخ ابن البطريق ص ٢٦ .

**أول تنظيم إداري للمسلمين في أرض الكنانة:**

ثبت فى نفوس الولاة أنه من أجل استمرار الدعوة إلى الله، ونشرها فى مصر، أنه لابد من تنظيم مالى، يمد الدعاة، بما يحتاجون إليه، حتى يؤدوا رسالتهم على الوجه الأكمل، كما أن الداخل فى الإسلام لابد له من مورد ثابت يعتمد عليه، ومن ثم كان أول تنظيم حدث كان فى عهد عبد الله بن سعد بن أبى سرح (٢٥ ـ ٣٥ هـ=٦٤٥ ـ ٦٥٥م) [١].

ثم تلت ذلك إجراءات تنظيمية أخرى، وتعديلات إدارية شملت فى كثير من الحالات إحصاءات مستقلة للأراضى، والسكان وسرعان، ما اتضح أن المعدل الموحد للجزية.(دينار لكل فرد) كان مجحفا بالفقير، وامتيازا للغنى، ومن ثم أعيد التنظيم الضرائبى على أساس التقييم الخاص لكل فرد، وكل قطعة أرض، وهكذا، وبعد ستين عاما من الفتح كان فى البلاد نظام ضريبى على درجة رائعة من الاتقان والتخصص [٢].

ويؤكد هذه الحقيقة الكشوف التى حفظتها لنا أوراق البردى من القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) والتى دونت فيها أسماء أشخاص مختلفين فى مقادير الجزية التى يدفعونها[٣].

**وجوه إنفاق أموال الجزية والخراج:**

من المؤكد أن نسبة كبيرة من هذه الأموال كانت تنفق محليا لأغراض المشروعات العامة، ولم تكن تسدد للدولة بعلم المسؤلين، كما يتضح من أوراق البردى أيضا أن النساء لم يكن يدفعن الجزية، ودفعها بعض القسس، بينما أعفى منها آخرون، ولا توجد أية دلائل على أن الرهبان دفعوها فى القرنين الأول والثانى للهجرى فى رأى:د / أ.س.ترتون:[٤].

ومع ذلك فقد كانت أول جزية أخذت من الرهبان كانت فى عهد عبد العزيز بن مروان والى مصر (٦٥ ـ ٨٦هـ / ٦٨٤ ـ ٧٠٥م)، كان سببها كثرة اللاجئين إلى الأديرة هربا من الضرائب، وزادت عمليات الهروب بشكل ملحوظ فى سنة (٩٠ ـ ٩٦هـ) (٧٠٨ ـ ٧٢٤م) مما دفع قرة بن شريك إلى إصدار مراسيم يطلب فيها اتباع العدالة فى جباية الضرائب، ولم

---

(١) دينيت:الجزية والإسلام ص ١٤٨، ١٥٢ ،وأهل الذمة فى مصر العصور الوسطى ص ٤٢، ٤٣ .
(٢) سيدة إسماعيل كاشف:مصر فى عصر الولاة ص ٣٣، وأهل الذمة فى مصر العصور الوسطى ص ٤٣ .
(٣) أهل الذمة فى الإسلام:ص ٢١٢ .
(٤) راجع ترتون:أهل الذمة فى الإسلام ص ١٥٤، ١٥٥، وأهل الذمة فى مصر العصور الوسطى ص ٧٣ .

تصل حركة التذمر من الضرائب أكثر من عملية الهروب.

وفى عام ١٠٧هـ تحولت العملية إلى ثورة اشترك فيها المسلمون والذميون على حد سواء، وكان الدافع لها الأعباء المالية المتزايدة [(١)].

**والخلاصة:** أن أهل الذمة قد استفادوا من حكم الإسلام، فائدة كبرى فى:

١ - حرية العقيدة من نحو، وضمان الحريات الإجتماعية من نحو آخر.

٢ - شاركوا فى مجالات الأنشاط المتعددة داخل الدولة.

٣ - وصل بعضهم إلى مناصب عليا فى الترقى فى السلك الإدارى، وإن تعرضوا لمضايقات مالية لم يكن مبعثها الاضطهاد الدينى، وأن أرض الإسلام لم تعرف الاضطهاد الدينى، ومن ثم فإن المصريين مسلمين وأقباط قد عانوا من هذه المضايقات بنفس القدر تقريبا، وكانت الدولة سواء كان مركزها المدينة أو دمشق، أو بغداد تعتبر أن مصر والمصريين يشكلون عاملا هاما فى دفع حركة دعوة الإسلام إلى الأمام، فى آفاق بعيدة، فقد أصبح التنظيم الضرائبى على درجة فائقة من الاتقان والتخصص بعد ستين عاما فقط من الفتح الإسلامى لمصر، ومن ثم استطاعت مصر أن تمد المسلمين بما يحتاجون إليه فى دعوتهم وجهادهم إلى الله [(٢)] تعالى.

**٤ - أوقاف أهل الذمة في مصر والعالم الإسلامي:**

كذلك من الفوائد التى جناها المصريون من الفتح الإسلامى أن أوقافهم لم يمسها المسلمون بسوء، فقد شرط المسلمون على أنفسهم، أن يؤمنوهم على دينهم وأموالهم وأغراضهم.

وهذه شهادة (عيشويابه) المسيحى كتب يقول:

«إن العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة على العالم يعاملوننا، كما تعرفون، إنهم ليسوا بأعداء للنصرانية، بل يمتدحون ملتنا، ويوقرون قسيسينا، ويمدون يد المعونة إلى كنائسنا وأديرتنا» [(٣)].

---

(١) أهل الذمة فى مصر..ص ٤٣، ٤٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٤، ٤٥ بتصرف.

(٣) ترتون:أهل الذمة فى الإسلام ص ١٥٩ .

### ٥- هدايا وعادات أبطلها عمر بن عبد العزيز:

كذلك من الحقوق التى ردت إلى المصريين فى ظل الدعوة: هدايا النيروز والمهرجان[١]، وقدرها عشرة آلاف ألف وهى من العادات الفارسية، كما أبطل السخرة.. ولكنه لم ينقص العطاء فى الشرف ولم يزد فيه.. ورد كتابه على عامله فى مصر بالزيادة فى أعطيات الناس عامة، وأمره بكسر دنان[٢] الخمر، وعطلت حاناتها وقسم للفلاحين بخمسة ألف دينار، ونزعت مواريث القبط عن الكور واستعمل المسلمون عليها[٣].

وهأنذا.بعد أن ذكرت الجزية...وعلى من تجب...وأنواعها..ومصارفها، وما استفاده المصريون...وأنها إحدى موارد بيت المال الإسلامى بعد الزكاة فى مصر.أُعرج بالحديث على المورد الثالث هو الخراج.

## المبحث الرابع: الخراج:

### مقدمة:

يفهم من أمر الخراج المفروض على الذميين فى أراضيهم، أنه يماثل الأرض العشرية لدى المسلمين ومن ثم فإن الخراج لا يسقط بالإسلام، بل يظل ثابتا بعكس الجزية، فالأرض المملوكة لأهل الذمة التى فتحت بلادهم عنوة يفرض عليهم ضريبة الخراج.

والخراج يعد من موارد بيت المال الثابت لدى المسلمين فما حقيقته؟

### الخراج، وعلاقته بالدعوة:

تعريفه – نبذة تاريخية عنه – فيم يكون الخراج؟ تقسيم الأرض – أرض مصر – مقدار الخراج – من يتولى الخراج – منع التعذيب فى الخراج، إصلاح أرض الخراج – وقت الخراج – مكاتبات بين عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص بشأن خراج مصر.

الفرق بين الجزية والخراج – صلة الخراج بسير الدعوة فى أرض الكنانة.

---

(١) النيروز أو النوروز: اسم أول يوم من السنة عند الفرس عند نزول الشمس أول الحول، معرب نوروز أى اليوم الجديد، والمهرجان أول نزول الشمس فى برج الميزان.راجع: لمحمد كرد على: الإدارة الإسلامية فى عز العرب ص ٩٨ هامش ٢ .

(٢) دنان الخمر: الدن: وعاء ضخم للخمر ونحوها.المعجم الوسيط مادة: (دن) .

(٣) راجع لمحمد كرد على: الإدارة الإسلامية فى عز العرب ص ١٠٠ ، وسيأتى إن شاء الله تعالى عند الحديث على عمر بن عبد العزيز، وصاياه لأهل مصر واهتمامه بهم.

**تعريفه: الخراج لغة:** ما يخرج من غلة الأرض (١)، وقيل: اسم للكراء والغلة (٢).

**وشرعا:** هو ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدى عنها، وفيه من نص الكتاب بينة خالفت نص الجزية، فلذلك، وقف على اجتهاد الأئمة قال الله تعالى (٣):

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ (٤).

ففي قوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا﴾ تفسيران: **أحدهما:** أجرا، **والثاني:** نفعا.

**الفرق بين الخرج والخراج:** أن الخرج من الرقاب، والخراج من الأرض (٥).

والخراج غير العشر، فالعشر زكاة المحاصيل الخارجة من الأرض، أما الخراج فيقابل الآن الضريبة العقارية المفروضة على الأراضي الزارعية، وتختلف عن أرض العشر في الملك والحكم (٦).

**نبذة تاريخية عن الخراج:**

الخراج أقدم أنواع الضرائب، والأصل في وضعه أن الناس كانوا يعتبرون الأرض أو محصولاتها ملكا للسلطان، أو الملك وهذا الاعتقاد قديم جدا.

وفي التوراة (٧) أقوال صريحة في كيفية دخول الأرض في **ملك الفراعنة** وردت في حكاية المجاعة الشهيرة، إذ لما جاع المصريون في أثناء القحط باعوا ليوسف ـ عليه السلام ـ كل ما اقتنوه من فضة وذهب وماشية ولم يبق لهم إلا الأرض فباعوه إياها بالخبز، ومن ذلك الحين والأرض في قبضة الحاكم، يملكها ومن عليها من العبيد والأحرار، يتمتعون بريعها وتأخذ الحكومة حصة من ذلك الريع وهو المسمى بالخراج (٨) ومن ثم كانت عادات **التتر** أن الإنسان يستأثر بملك الماشية، وأما الأرض فأنكروا حق تملكها على الأفراد.

**وكان الجرمان القدماء لا يعترفون بملك الأرض إلا لحكامهم أو رؤسائهم** (٩).

وعلى هذا المنوال كان **الرومان** يضعون الضرائب على أراضي مملكتهم وفي جملتها

---

(١) المعجم الوسيط مادة (خرج). (٢) الأحكام السلطانية ص ١٤٦.
(٣) نفس المرجع السابق. (٤) سورة المؤمنون من الآية ٧٢.
(٥) الأحكام السلطانية ص ١٤٦. (٦) انظر للدكتور: إبراهيم فؤاد أحمد علي: الموارد المالية في الإسلام ص ١٧٢، ومن مطبوعات معهد الدراسات الإسلامية. القاهرة ١٩٧٠، والأحكام السلطانية ص ١٤٧.
(٧) سفر التكوين: إصحاح: ٤٧. (٨) جورجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي جـ١ ص ١٧١ ١٩٠٢.
(٩) المرجع السابق.

مصر والشام وغيرهما مما فتحه المسلمون من بلادهم، وكان لهم فى كل ولاية ديوان خاص بالخراج تدون فيه أعماله، ودخله وخرجه وله كُتّاب وجباة وعمال من أهالى البلاد أو من الحكام..فلما ظهر المسلمون وفتحوا الشام ومصر والعراق، وغيرها أقروا الدواوين على ما كانت عليه من قبل، ولم يغيروا فيها شيئا، حتى إذا كان عهد عبد الملك بن مروان أمر بتعريب الدواوين [١] كما سيأتى.

**فيم يكون الخراج؟**

فى كل ما تغله الأرض.وتقسم الأرض إلى أربعة أقسام:

**القسم الأول:** ما استأنف المسلمون إحياءه من الأرض فهو أرض عُشْر، لا يجوز أن يوضع عليها خراج.

**القسم الثاني:** أرض أسلم عليها أصحابها فهم أحق بها، فتكون على مذهب الشافعى – رحمه الله – أرض عشر، ولا يجوز أن يوضع عليها خراج.وقال أبو حنيفة:الإمام مخير بين أن يجعلها خراجا أو عشرا، فإن جعلها خراجا لم يجز أن تنقل إلى العشر، وإن جعلها عشرا جاز أن تنقل إلى الخراج[٢].

**القسم الثالث:** ما ملكه المسلمون من أراضى المشركين عنوة وقهرا، وقد اختلف فى أمرها:

أ – **فالشافعي قال:** تكون غنيمة تقسم بين الغانمين، وتكون أرض عشر لا يجوز أن يوضع عليها خراج.

ب – **أما الإمام مالك:** فجعلها وقفا على المسلمين بخراج يوضع عليها.

جـ – **أما الإمام أبو حنيفة فقال:** الإمام مخير بين الأمرين.

**القسم الرابع:** أرض صولح أهلها عليها بغير قتال فتصير وقفا على مصالح المسلمين، ويضرب عليها الخراج ويكون أجرة تقر على الأبد، ولا تتغير بإسلام أهلها، أو بقائهم فى عهد الذمة [٣].

---

(١) انظر:تاريخ التمدن الإسلامى جـ١ ص ١٧٢ .

(٢) انظر:الأحكام السلطانية ص ١٤٧ ، وأبى عبيد:كتاب الأموال ص ٥٥ .

(٣)الأحكام السلطانية ص ١٤٧ ، وأبى عبيد:كتاب الأموال ص ٥٥ وما بعدها، والموارد المالية فى الإسلام ص ١٧٣،١٧٤ ، وتاريخ التمدن الإسلامى جـ١ ص ١٧٣ .

**أرض مصر:**

أما أرض مصر الخراجية فإنها من النوع الثالث فإنه لما فتح عمرو بن العاص الإسكندرية بقى من الأسارى بها ممن بلغ الخراج، وأحصى يومئذ ستمائة ألف سوى النساء والصبيان، فاختلف الناس على عمرو..فى قسمها، فكان أكثر الناس يريدون قسمها، فقال عمرو:لا أقدر على قسمها حتى أكتب إلى أمير المؤمنين (١).

فكتب إليه يعلمه بفتحها وشأنها، وأن المسلمين طلبوا قسمها.

فكتب إليه عمر:لا تقسمها وذرهم يكون خراجها فيئا للمسلمين، وقوة لهم على جهاد عدوهم.

فأقرها عمرو، وأحصى أهلها، وفرض عليهم الخراج، فكانت مصر كلها صلحا بفريضة، دينارين على كل رجل لا يزاد على أحد منهم فى جزية رأسه أكثر من دينارين..إلا الإسكندرية فإنهم كانوا يؤدون الخراج والجزية على قدر ما يرى من وليهم؛ لأن الإسكندرية فتحت بغير عهد، ولم يكن لهم صلح ولا ذمة (٢).

يفهم مما تقدم أن البلاد التى كان يفتحها المسلمون إما أن تكون صلحا، أو عنوة فإن كانت صلحا فإن الطرفين يلتزمون بما جاء فى عهد الصلح، وإن كانت عنوة فالخليفة مخير فيها بين أمرين:ـ

١ ـ إما وضع أيدى المسلمين على أرضها، وقسمتها بين الغانمين.

٢ ـ أو تركها تحت أيدى أهل البلاد وتوظيف الخراج عليها (٣).

وقد حصل عند فتح مصر ما حصل عند فتح العراق، فقد سأل المسلمون عمرا..بأن يقسم الأرض عليهم فرفض عمرو..وذلك حتى يسأل عمر ـ رضى الله عنه ـ فأبى عمر..وقرر تركها فى أيدى أهلها وفرض عليهم الخراج (٤).

---

(١) ابن عبد الحكم..ص ١٢٣،١٢٤ .

(٢) المصدر السابق ص ١٢٤، وهذا دليل فتحها عنوة، وهناك أدلة على أنها فتحت صلحا، وقد حسمت هذه النقطة فى فصل (فتح مصر).

(٣) راجع الموارد المالية ـ ص ١٧٨ .

(٤) المصدر نفسه ص ١٧٩، وراجع فى هذا المقام ص ١٢٩، ١٣٢ منه.

حدثنا عبد الملك بن سلمة وعثمان بن صالح قالا :ثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عمن سمع عبيد الله بن المغيرة بن أبي بردة يقول :سمعت سفيان بن وهب الخولاني يقول :إنه لما فتحت مصر بغير عهد قام الزبير بن العوام فقال اقسمها يا عمرو بن العاص اقسمها. فقال عمرو:والله لا أقسمها حتى أكتب إلى أمير المؤمنين، فكتب إلى عمر، فكتب إليه عمر أن دعها حتى يغزو منها حبل الحبلة (١) وفي رواية أخرى لعبيد الله بن المغيرة أنه قال:«أراه أن تكون فيئا موقوفا للمسلمين ما تناسلوا يرثه قرن عن قرن فتكون قوة لهم على عدوهم» (٢) وقد أحصى عمرو..من يجب عليه الخراج فبلغ يومئذ ستمائة ألف سوى النساء والصبيان (٣).

**مقدار الخراج:**

كان عمر ـ رضى الله عنه ـ أول من ضرب الخراج على أرض السواد (٤) في بعض نواحيه على كل جريب، قفيزا (٥) ودرهما، وجرى في ذلك على ما استوفقه من رأى كسرى ابن قباذ، فإنه أول من مسح السواد، ووضع الخراج، وحدد الحدود، ووضع الدواوين، وراعى ما تحتمله الأرض من غير حيف بمالك، ولا إجحاف بزارع (٦).

كما وضع عمر ـ رضى الله عنه ـ على ناحية أخرى غيرها غير هذا القدر، فاستعمل عثمان بن حنيف وأمره بالمساحة ووضع ما تحتمله الأرض من خراجها، فمسح ووضع على كل جريب المقادير الآتية:ـ

---

(١) كتاب الأموال صـ٥٨، وراجع لابن عبد الحكم :فتوح مصر...ص١٢٩ فقد أورد أكثر من رواية..

(٢) الأموال :ص ٥٨ .

(٣) ابن عبد الحكم..ص ١١٤، والدكتور هيكل :الفاروق عمر جـ٢ ص ١٦٣، وانظر الملاحق:(كتاب عمر في عدم تقسيم أرض مصر كالغنيمة).

(٤) سمِّي سوادا لخضرته بالنخل والزرع، فيرى للقادم من بعيد أسود اللون، ويحد السواد طولا من حديثة الموصل ـ وهى بلدة صغيرة كانت على دجلة بالجانب الشرقي ـ إلى عبدان ـ وهى جزيرة فى فم دجلة ـ ويحد عرضا من عذيب القادسية ـ وهو ماء عن يمين القادسية ـ إلى حلوان العراق، وقد قدر طوله بمائة وستين فرسخا، وعرضه بثمانين.راجع الأحكام السلطانية..ص ١٧٣، ومراصد الأطلاع جـ٢ص ٧٥٠، والخراج لأبى يوسف ص ٧١ هامش ٤ تحقيق د/ محمد إبراهيم البنا.

(٥) **الجريب**:مساحة من الأرض تقدر بمائة قصبة مربعة، أو ثلاثة آلاف وستمائة ذراع مربع.الموارد المالية ص ١٨٢، **والجريب** بالمقاييس الحديثة ثلث فدان مصرى، والفدان المصرى $\frac{٥}{٦}$ ٤٢٠٠ متر.راجع للدكتور الريس الخراج ص ٣٠٠، والخراج لأبى يوسف ص ٨٧ هامش ١، **والقفيز**:زنته ثمانية أرطال وثمنه ثلاثة دراهم بوزن المثقال.راجع الأحكام السلطانية ص ١٤٨ .

(٦) المصدر نفسه .

| | | | |
|---|---|---|---|
| فكان على كل جريب من الكرم والشجر الملتف | عشرة | ١٠ | دراهم |
| وعلى كل جريب من النخل | ثمانية | ٨ | دارهم |
| وعلى كل جريب من قصب السكر | ستة | ٦ | دراهم |
| وعلى كل جريب من الرطبة [(١)] | خمسة | ٥ | دارهم |
| وعلى كل جريب من البر | أربعة | ٤ | دراهم |
| وعلى كل جريب من الشعير | | | درهمين |

وكتب بذلك عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فأمضاه وعمل فى كل نواحى الشام على غير هذا، فعلم أنه راعى فى كل أرض ما تحتمله [(٢)].

## كيفية تقدير الخراج:

سبق أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ راعى عند فرض الخراج على كل أرض وما تحتمله، وهذا يعد أساسا لما يجب أن يسود عند تقدير الأموال الأميرية على الأراضى الزراعية [(٣)].

وقد أورد الماوردى الاعتبارات التى ينبغى العمل بها عند تقدير الخراج، فذكر منها أربع.، تؤثر فى زيادة الخراج أو نقصانه وهى:ـ

(١) الرطب: المرعى الأخضر من العشب والشجر والقطعة منه رطبة.المعجم الوسيط مادة (رطب)، وقيل:الرطبة بالفتح القصب خاصة مادام رطبا، وجاء فى مختصر الطحاوى ص ٢٩٤ أنه البرسيم ويضم ما جاء فى المعجم إلى ما ورد فى الطحاوى، فيكون:هو المرعى التى تراعاه الماشية .

(٢) الأحكام السلطانية ص ١٤٨، والبلاذرى:فتوح البلدان ص ٢٦٩، وأهل الذمة فى الإسلام ص ٢٥٣ .والخراج لأبى يوسف ص ٩١، **والدرهم** بالموازين الحديثة يبلغ ٢,٩٧٥ جراما.**والمثقال**:وهو الدينار ويبلغ ٤,٢٥ جرام فنسبة وزن الدرهم إلى المثقال $\frac{٢,٩٧٥}{٤,٢٥٠} = \frac{٧}{١٠}$ وبعبارة أخرى:كانت كل عشرة دراهم تزن سبعة

مثاقيل.هذا من حيث الوزن، فأما من حيث القيمة فالمثقال عملة ذهبية، والدرهم عملة فضية، وكان ثمن الذهب سبعة أمثال الفضة، ذلك إذا ضربنا نصاب الدراهم فى وزن الدرهم ٢٠٠×٢٩٧٥=٥٩٥ جراما، ونصاب الذهب فى وزن المثقال٢٠×٢,٢٥=٨٥ جراما، فخمسة وثمانون جراما من الذهب تعدل ٥٩٥ جراما من الفضية أى هى $\frac{١ \times ٧}{١ \times ١٠} = \frac{١}{١٠}$ من المثقال وهذا يفسر لنا أن (٢٠ مثقالا= ٢٠٠ درهم.راجع لأبى

يوسف:الخراج ص ٦٣،٦٤ هامش ٦ تحقيق د/ إبراهيم البنا، والأحكام السلطانية (فى وزن الدرهم واستقراره) ص ١٥٣ وما بعدها.

(٣) انظر:الموارد المالية فى الإسلام ص ١٨٣ .

**الاعتبار الأول:** ما يختص بالأرض من جودة يزكو بها زرعها، أو رداءة يقل بها ريعها.

**الاعتبار الثاني:** ما يختص بالزرع من اختلاف أنواعه من الحبوب والثمار، فمنها ما يكثر ثمنه، ومنها ما يقل ثمنه فيكون الخراج بحسبه.

**الاعتبار الثالث:** ما يختص بالسقى، والشرب لأن ما التزم المؤنة فى سقيه بالنواضح والدوالى لا يحتمل الخراج ما يحتمله سقى السيح والأمطار (١).

**الاعتبار الرابع:** قرب الأرض من البلدان والأسواق أو بعدها لزيادة أثمانها أو نقصانها(٢).

وقد نبه الماوردى متولى الخراج أن يترك فائضا للزراع بعد أخذ الخراج فقال:

«ولا يستقصى فى وضع الخراج غاية ما يحتمله، وليجعل فيه لأرباب الأرض بقية يجبرون بها النوائب والحوائج» (٣).

ولهذا لما كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يستأذنه فى أخذ الفضل من أموال السواد منعه من ذلك وكتب إليه لا تكن على درهمك المأخوذ أحرص منك على درهمك المتروك، وابق لهم لحوما يعقدون بها شحوما (٤).

**وقت جباية الخراج:**

رأى جمهور الأئمة أنه فى مصر يجمع العشر مع الخراج، وعلى من ملك أرض الخراج أن يؤدى خراجها فى آخر السنة، وعند أبى حنيفة فى أول السنة، لكن بشرط بقاء الأرض النامية فى يد صاحبها سنة إما حقيقة، أو اعتبار (٥).

**جاء في المحيط ما نصه:** «وينبغى للوالى أن يأخذ الناس بالخراج كلما خرجت غلة يأخذهم بقدر ذلك حتى يستوفى تمام الخراج فى آخر الغلة» (٦).

**وقال قاضيخان:** «ويؤخذ الخراج عند بلوغ الغلة على اختلاف البلدان»(٧).

وهذا إذا كان الخراج موظفا إذ من البديهى أن العشر، وخراج المقاسمة اللذين هما

---

(١) الماوردى: الأحكام السلطانية ص ١٤٨ .
(٢) الأحكام السلطانية ص ١٤٩ .
(٣) نفس المصدر.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) الموارد المالية فى الإسلام ص ١٨٤ .
(٦) نقلا عن الموارد المالية فى الإسلام ص ١٨٤ .
(٧) نقلا عن المصدر نفسه .

متعلقان بالثمر نفسه لا تجوز المطالبة بهما قبل حصول الغلة ويجبيان بتكرر المحصول فيجوز تحصيلها أكثر من مرة فى السنة الواحدة بعكس خراج الوظيفة [١].

**نظام الجباية:**

كان النظام المتبع فى الجباية فى عهد عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أن أعيان كل قرية يجتمعون كل عام فى لجنة تحدد مقدار ما يجبى منها حسب أحوال الفيضان والغلة. وجعل فى كل قرية قطعة أرض خصص ريعها للمنافع العامة كإصلاح الحمامات والطرق، ومقياس النيل وما إليها [٢].

وكان ما يجبى من الخراج أقل بكثير مما كان الروم يجبونه من الضرائب الكثيرة الفادحة التى ضربوها على المصريين فيما سوى العاصمة من أرجاء البلاد، فكان هذا التخفيف مدعاة لطمأنينة القبط جميعا إلى الحكم الإسلامى، ولإشادتهم به [٣].

**خراج أهل مصر:**

روى أن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «وضع أبى على كل حالم دينارين جزية إلا أن يكون فقيرا، وألزم كل ذوى أرض مع الدينارين ثلاثة أرداب حنطة وقسطى زيت، وقسطى عسل، وقسطى خل، رزقا للمسلمين تجمع فى دار الرزق وتقسم فيهم» [٤].

كما كتب عمرو بن العاص، لما أحصى المسلمين.

«فالزم جميع أهل مصر لكل رجل منهم جبة صوف وبرنسا، أو عمامة، وسراويل وخفين فى كل عام، أو عدل الجبة الصوف ثوبا قبطيا. وكتب عليهم بذلك كتابا، وكتب بذلك إلى عمر بن الخطاب - رضى الله عنهما - فأجازه وصارت الأرض أرض خراج» [٥].

ومما يدل على أن الخراج كان يجبى بعد جمع الغلة أو حصدها ما جاء فى خطط المقريزى: «من أن الضريبة كان قدرها فى الوجه القبلى ثلاثة أرادب برا، وأنها كانت تجبى

---

(١) الموارد المالية فى الإسلام ص ١٨٤ .
(٢) انظر: د/ محمد حسين هيكل: الفاروق عمر جـ٢ ص١٧٨، والموارد المالية فى الإسلام ص ١٨٤، ١٨٥ .
(٣) الموارد المالية .. ص ١٨٥ .
(٤) عمرو طوسون: مالية مصر من عهد الفراعنة إلى الآن ١٩٣١م والبلاذرى فتوح البلدان ص ٢٢٢ .
(٥) فتوح البلدان ص ٢٢٢، والموارد المالية ص ١٨٥، ثم إن أهل مصر صالحوا فى خلافة عمر بعد الصلح الأول مكان الحنطة، والزيت، والعسل، والخل على دينارين دينارين، فالزم كل رجل أربعة دنانير، فرضوا بذلك وأحبوه. راجع البلاذرى: فتوح البلدان ص ٢٢٣، ٢٢٤ .

عينا»[١].

يفهم مما سبق أن جباية الضرائب عينا لا تكون إلا بعد حصد المحصول.

وقد أشار السيوطى أيضا إلى أن المقوقس نصح عمرا بتحصيل الضرائب بعد جنى العنب والبلح وعصرهما فكأنه عين شهرى أغسطس وسبتمبر من كل عام لجباية الخراج، ومن ثم كان يؤخذ فى الوجه البحرى على حاصلات قصب السكر، والعنب، والزعفران وغيرهما ضريبة خاصة بها، وكانت تجبى نقدا[٢].

**منع التعذيب في الخراج:**

قال أبو يوسف:«ولا يضربن رجلا فى دراهم خراج، ولا يقام على رجله، فإنه قد بلغنى أنهم يقيمون أهل الخراج فى الشمس ويضربونهم الضرب الشديد، ويعلقون عليهم الجرار، ويقيدون بما يمنعهم من الصلاة، وهذا عظيم عند الله شنيع فى الإسلام»[٣].

ويفهم من هذا أن التعذيب فى الخراج لم يكن خاصا بأهل الذمة، بل بالمسلمين أيضا بدليل قوله:يقيدون بما يمنعهم من الصلاة...

**توابع الخراج :** تتمثل فى :

١ ـ أخماس المعادن التى كانت تفرض على ما يستخرج من باطن الأرض من الذهب والفضة، والحديد والنحاس، والرصاص، فيأخذ الولاة خمس ما يستخرج لبيت مال المسلمين.

٢ ـ كان بصعيد مصر مناجم الشب، فكان يحمل إلى ساحل النيل بأخميم وأسيوط حيث تحمله السفن أيام الفيضان إلى الإسكندرية، وكان يباع للروم ومقداره أثنا عشر ألفاً من القناطير، وكان النطرون يستخرج من غربى النيل، وبلغت قيمة ضمانه أكثر من خمسة عشر ألفاً من الدنانير، وكان فى النوبة مما يجاذى أسوان منجم مشهور للذهب وكان الزبرجد فى تلك النواحى وكان الولاة يأخذون خمس الناتج من المتعهدين باستخراجه.

٣ ـ أعشار السفن التى تجبى مما تحمله إما عيناً أو نقداً، وقد أخذها أمراء اليمن من السفن المارة ببوغاز باب المندب، وأمراء الأندلس المارة بمضيق جبل طارق.

٤ ـ التجار : فرضت المكوس على التجار عند انتقالهم من بلادهم إلى بلاد أخرى فالتاجر

(١) الخطط المالية ص ١٨٥ ،١٨٦، وأحكام الأراضى صـ ١٣٥ نقلا عن الموارد المالية ص ١٨٥ .
(٢) الموارد المالية ص ١٨٥ ،١٨٦ .
(٣) الخراج لأبى يوسف ص ٢٣١ .

الشامى إذا طاف ببلاد الشام لا يؤخذ منه شىء، فإذا انتقل إلى العراق أو مصر، فإنه يؤخذ المكس وكان على ثلاث درجات :

أ ـ العشر ويفعه التجار الوافدون من بلاد بينها وبين المسلمين معاهدة .

ب ـ نصف العشر ويدفعه التجار الكتابيون من رعايا الدولة الإسلامية.

جـ ـ ربع العشر ويدفعه التجار المسلمون، وليس فيما دون المأتين شىء مفروض.

**مصارف موارد بيت المال :**

كانت الدولة تنفق الموارد المالية على الأوجه التالية:

أ ـ أرزاق الجند

ب ـ مرتبات الموظفين والعمال .

جـ ـ مرافق البلاد المختلفة من كرى الترع القديمة، وشق الترع الجديدة، وإقامة الجسور، وتعبيد الطرق.

د ـ تجهيز الجند والشرطة بما يحتاجون إليه من السلاح، وما كان يتبقى فى الأقاليم من حصيلة تلك الموارد كان يرسل إلى بيت المال فى العاصمة، وقد نقل عن فاتح مصر عمرو بن العاص أنه كان ينفق على مرافق البلاد ما لا يقل عن ثلث حصيلتها من الضرائب، وبلغ من حسن معاملته للمصريين أنه كان يمهل من يطلبون وقتًا يؤدون بعده ما وجب عليهم من الخراج[١] .

**الفرق بين الجزية والخراج:**

لما كان الخراج والجزية كل منهما حقان للمسلمين على المشركين أوصلهما الله إليهم، ومن ثم فإنهما يجتمعان فى ثلاث صور، ويفترقان فى مثلها:

أما صور **اجتماعهما:فأحدهما:**أن كل واحد منهما مأخوذ عن مشرك، صغارا له وذلة.

**ثانيهما:** أنهما مالا فىء، يصرفان فى أهل الفىء.

**ثالثهما:** أنهما يوجبان بحلول الحول، ولا يستحقان قبله [٢] .

أما صور **افتراقهما:فأحدهما:** أن الجزية نص، وأن الخراج اجتهاد.

**ثانيهما:**أن أقل الجزية مقدر بالشرع، وأكثرها مقدر بالاجتهاد.

---

(١) انظر د/ أحمد مجاهد مصباح : «من حضارة المسلمين » ص ٤٥ ـ ٤٧ بتصرف واختصار ط. الثانية ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥ م

(٢) الأحكام السلطانية..ص ١٤٢ .

والخراج أقله وأكثره مقدر بالاجتهاد.

ثالثهما: أن الجزية تؤخذ مع بقاء الكفر، وتسقط بحدوث الإسلام.

والخراج يؤخذ مع الكفر والإسلام (١).

قال الماوردى :فأما الجزية فهي موضوعة على الرؤوس، واسمها مشتق من الجزاء، إما جزاء على كفرهم لأخذها منهم صغارا، وإما جزاء على أماننا لهم لأخذها منهم رفقا (٢) .أما عامل الخراج فله شروط خاصة به.

**شروط في عامل الخراج:**

يشترط في صحة ولاية عامل الخراج شروط منها ـ

١ ـ الحرية ٢ ـ والأمانة ٣ ـ والكفاية (٣)

قال أبو يوسف :إن عمال الخراج ينبغى أن يختاروا من أهل الصلاح والعفاف ممن يوثق بدينه وأمانته، يسألون عن سيرة العمال وما عملوا به في البلاد، وهل جبوا الخراج على ما أمروا به، وعلى ما وظف على أهل الخراج؟ وهل زادوا على ما أمروا به، فإن استقر عليهم أخذوا بما استفضلوا من ذلك أشد الأخذ حتى يردوه بعد العقوبة الموجعة والنكال (٤)...

قال أبو يوسف أيضا :«حدثني إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال :سمعت عدى بن عدى (٥) يقول :سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«من بعثناه على عمل فليبح بقليله وبكثيره، فمن خان خيطا فما سواه فإنما هو غلول يأتي به يوم القيامة» (٦).

---

(١) المصدر نفسه. (٢) المصدر نفسه.ومن الفروق أيضا ـ

١ ـ أن الخراج لا يعفى منه أحد، لأنه ضريبة مفروضة على الأرض بصرف النظر عن المالك، رجلا كان أو امرأة، عبدا كان أو حرا.

٢ ـ أما الجزية فأعفيت منها المرأة، وأعفى منها الفقير، والراهب، والطفل.

٣ ـ الجزية يصحبها أحيانا وسم اليد، أو العنق، كما يفعل البيزنطيون.راجع الدورى :نقلا عن أهل الذمة في الإسلام ص ٢٤٩ هامش ٣، وراجع الملاحق ففيها بحث واف عن (الجزية في أرض الكنانة).

(٣) الأحكام السلطانية ص ١٥٢. (٤) الخراج لأبى يوسف ص ١٣٤.

(٥) لم يثبت «عدى بن عدى» في الصحابة إلا أبو موسى المدينى.انظر أسد الغابة جـ٣ ص ١٣ تحقيق د/ محمد البنا.

(٦) الحديث أخرجه مسلم وأبو داود، والإمام أحمد بإسنادهم إلى إسماعيل، عن قيس بن عدى بن عميرة صحيح مسلم، كتاب الإمارة :باب تحريم هدايا العمال جـ٦ ص ١٠، وبذل المجهود :كتاب القضاء باب في هدايا العمال جـ١٥ ص ٢٥٨، ومسند الإمام أحمد جـ٤ ص ١٩٤، وراجع الخراج ص ٢٣٦.

قال ابن الربيع فى الكتاب الذى وضعه لتهذيب، وإرشاد الخليفة العباسى المستعصم بالله :«على من ولى الخراج أن يكون ذا دراية تامة بالمقاييس والمكاييل المتعارفة بين أهالى البلاد التى ولى خراجها وبفصول السَّنة، وتنقلات الشمس فى الأبراج وبالحساب، وبما يتعلق بالجسور والقناطر، وأن يكون خبيرا بأساليب الإدارة وألا يجهل المطلوب على كل أرضه، وأن يكون عالما بما لبيت المال من الحقوق وما عليه من الواجبات» [(١)].

وقد وضع أبو يوسف بشأن عمال الخراج نصيحة قدمها إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد جاء فيها :-

«رأيت..أن تتخذ قوما من أهل..الدراية والأمانة فتولهم الخراج .ومن وليت منهم فليكن فقيها عالما مشاورا لأهل الرأى عفيفا لا يطلع الناس منه على عورة ولا يخاف فى الله لومة لائم.

ما حفظ من حق وأدى من أمانة احتسب به الجنة، وماطل به من غير ذلك خاف عقوبة الله بعد الموت، تجوز شهادته إن شهد، ولا يخاف منه جور فى حكم إن حكم، فإنك إنما توليه جباية الأموال، وأخذها من حلها وتجنب ما حرم منها يرفع من ذلك ما يشاء ويحتجز منه ما يشاء، فإذا لم يكن عدلا ثقة أمينا فلا يؤتمن على الأموال....؟ [(٢)]

ويستطرد القاضى أبو يوسف كلامه فيقول:«وتقدم إلى من وليت أن لا يكون عسوفا لأهل عمله ولا محتقرا لهم ولا مستخفا بهم، ولكن يلبس لهم جلبابا من اللين يشوبه بطرف من الشدة والاستقصاء من غير أن يظلموا، أو يحملوا مالا يجب عليهم، واللين للمسلم والغلظة على الفاجر والعدل على أهل الذمة وإنصاف المظلوم، والشدة على الظالم والعفو عن الناس فإن ذلك يدعوهم إلى الطاعة»[(٣)].

ويستخلص من هذه النصوص الصفات التالية التى ينبغى توافرها فى عمال الخراج:

١ ـ **الكفاية الأخلاقية**:حتى يؤدوا رسالتهم على الوجه الأمثل، فيرضى الله ورسوله، ويستريح لهم الناس.

٢ ـ **المكانة العلمية** :بما يتعلق بالأرض، ومقاييسها، والمكاييل، والحسابات المختلفة، كما ينبغى أن تتوفر فيهم **الفطنة والذكاء**، وحسن التصرف.

(١) يعقوب أرتين :أحكام الأراضى ص ٢٧ نقلا عن الموارد المالية فى الإسلام ص ١٩١ .
(٢) الخراج ص ١٢٦ الطبعة الثانية ١٣٥٢هـ .
(٣) المصدر نفسه.

٣ ـ **الخبرة المالية:** فيكون لديهم ما يحتاج إليه بيت المال من الخراج، وما عليه من واجبات نحو الناس.

٤ ـ **الخبرة الإدارية:** فلا يظلموا أحدا من الرعية لتظل صورة الإسلام مشرقة فى نفوس العامة والخاصة وأن تكون لهم مشاورات مع أهل الرأى والخبرة، وصولا إلى أفضل النتائج لمصلحة الفرد والمجموع.

٥ ـ **رقابة الولاة على عمال الخراج:**..حتى لا ينفردوا بالرعية، بل ينبغى على الإمام أو من ينوب عنه أن يأخذهم بالشدة حتى لا يظلموا الناس أو يطمعوا فى حق ليس لهم، ومن ثبت عليه انحراف حرم من العمل فى هذا المجال، مع إنزال أقصى العقوبة لديه فيكون نكالا لغيره، وعبرة لسواه .

**اهتمام المسلمين بصلاح الأرض من بيت المال:**

اهتم المسلمون بإصلاح الأراضى والعناية بها، حيث يعود خيرها على الفرد والمجموع... ومن ثم ساق أبو يوسف نصيحته لهارون الرشيد فقال: «ورأيت أن تأمر عمال الخراج إذا أتاهم قوم من أهل خراجهم فذكروا لهم أن فى بلادهم أنهارا عادية قديمة وأرضين كثيرة غامرة، وأنهم إن استخرجوا تلك الأنهار واحتفروها، وأجرى الماء فيها عمرت هذه الأرضون الغامرة، وزاد فى خراجهم، كتب بذلك إليك فأمرت رجلا من أهل الخير والصلاح يوثق بدينه وأمانته من أهل ذلك البلد، ويشاور فيه غير أهل ذلك البلد ممن له بصيرة ومعرفة، ولا يجر نفسه بذلك منفعة ولا يدفع عنها مضرة. فإذا اجتمعوا على أن فى ذلك صلاحا وزيادة فى الخراج أمرت بحفر تلك الأنهار وجعلت النفقة من بيت المال، ولا تحمل النفقة على أهل البلاد فإنهم إن يعمروا خير من أن يعجزوا، وكل ما فيه مصلحة لأهل الخراج من أرضهم وأنهارهم وطلبوا إصلاح ذلك لهم أجيبوا إليه إذا لم يكن فيه ضرر على غيرهم..فإن كان فى ذلك ضرر على غيرهم وذهاب بغلاتهم وكسر للخراج لم يجابوا إليه» (١).

ولقد اهتم عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ بإصلاح الأرض. فاتبع أحسن الوسائل لتظل مثمرة وتعطى من كل شىء بهيج، وكان ضمن ما اهتم به أرض مصر إذ كلف عمرو ابن العاص بعد فتحها أن يسأل أى الطرق أجدى فى إصلاح وزيادة إنتاجها؟.

---

(١) أبو يوسف الخراج ص ٢٣٢ تحقيق د/ محمد إبراهيم البنا.دار الاعتصام.

جاء فى كتاب ابن عبد الحكم ما يأتى :-

«حدثنا هشام ابن إسحاق العمارىّ قال:كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - أن يسأل المقوقس عن مصر من أين يأتى عمارتها وخرابها؟ فسأله عمرو، فقال له المقوقس:تأتى عمارتها وخرابها من خمسة وجوه:

١ - أن يستخرج خراجها فى إبان واحد عند فراغ أهلها من زروعهم.

٢ - ويرفع خراجها فى إبان واحد عند فراغ أهلها من زروعهم.

٣ - وتحفر كل سنة (خلجانها) خلجها.

٤ - وتسدّ ترعها وجسورها..

٥ - ولا يقبل مَحْل أهلها [١].

فإذا فعل هذا فيها عمرت، وإن عمل فيها بخلافه خربت [٢].

### هل يعد الخراج عقوبة؟

من المعلوم أن الأرض من حيث تقسيمها تنقسم إلى قسمين:أرض عشرية وأرض خراجية، ومرد هذا التقسيم إلى صفة البلد الموضوعة على الأرض ابتداء وقت فرض ضريبتها. فإن كانت يد إسلامية كانت الأرض عشرية وإن كانت غير إسلامية كانت الأرض خراجية. وأول إمام اجتهد فى فرض الخراج عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - على أرض السواد، وكان عمله هذا سُنة اتبعت فى كل أرض يظهر عليها المسلمون، ويقرون أهلها عليها [٣].

وقد قرر علماء أصول الفقه أن العشر مؤونة فيها معنى العبادة، والخراج مؤونة فيها معنى العقوبة [٤].لكن علق على هذا الرأى الشيخ عبد الوهاب خلاف بقوله:

«أما كون كل منهما مؤونة الأرض فوجهه واضح، لأن مؤونة الشىء مابه بقاؤه وقوامه، وبقاء الأرض بأيدى أهلها وصلاحها واستثمارها إنما هو بما يؤدى عنها مما يستعان به على دفع العدوان عليها، وتمهيد ريها، وطرق استثمارها من العشر، أو الخراج.

وإما كون العشر فيه معنى العبادة فكذلك وجهه واضح لأنه من أنواع الزكاة وفى أدائه امتثال لما نص عليه فى الكتاب، وما بينته السنة.وأما كون الخراج فيه معنى العقوبة فليس له

---

(١) يريد البغى راجع:فتوح مصر والمغرب..ص٢١٦ تحقيق عبد المنعم عامر .

(٢) المصدر نفسه، وراجع مالية مصر (للأمير) عمر طوسون..ص٢٩ .

(٣) الموارد المالية فى الإسلام ص ١٩٩ . (٤) المصدر نفسه.

وجه ظاهر، لأن أحاديث عمر مع الصحابة فى بدء وضعه، والآراء التى تبودلت فى تلك الشورى صريحة فى أنه إنما وضع ليستعان به على حماية الثغور، وإدارار العطاء على الجند وسائر ما تقتضيه المصالح العامة وليس فيه ذكر العقوبة» [١].

**المبحث الخامس: مكاتبات بين عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص رضي الله عنهما حول خراج مصر:**

تظهر أهمية الخراج لدى المسلمين من أسلوب هذه الرسائل التى تبودلت بين عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ ويتضح منها حرص الطرفين على منفعة المسلمين، ورعاية مصالحهم ، وشدة عمر ـ رضى الله عنه ـ فى معاملة عماله.

لما استبطأ عمر بن الخطاب خراج مصر كتب إلى عمرو بن العاص بما يلى:ـ

«بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص، سلام عليكم، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد:فإنى فكرت فى أمرك والذى أنت عليه، فإذا أرضك أرض واسعة عريضة رفيعة، قد أعطى الله أهلها عَدَدا وَجَلَدا، وقوة فى بر وبحر، وإنها قد عالجتها الفراعنة، وعملوا فيها عملا محكما مع شدة عتّوهم وكفرهم، فعجبت من ذلك، وأعجب مما عجبت أنها لا تؤدى نصف ما كانت تؤديه من الخراج قبل ذلك على غير قحط ولا جدوب، ولقد أكثرت فى مكاتبتك فى الذى على أرضك من الخراج، وظننت أن ذلك سيأتينا على غير نزر، ورجوت أن تفيق فترفع إلى ذلك، فإذا أنت تأتينى بمعاريض تغتالها، لا توافق الذى فى نفسى، ولست قابلا منك دون الذى كانت تؤخذ به قبل ذلك من الخراج، ولست أدرى بعد ذلك ما الذى نفّرك من كتابى، وقبضّك، فلئن كنت مجزئا كافئا صحيحا، إن البراءة لنافعة من أن كنت مضيعا نطفا [٢] إن الأمر لعلَى غير ما تحدث به نفسك، وقد تركت أن ابتلى ذلك منك فى العام الماضى رجاء أن تفيق فترفع إلىّ ذلك» [٣].

ثم يضيف عمر بن الخطاب فيقول:«وقد علمت أنه لم يمنعك من ذلك إلا عمالك عمّال السوء، وما تُوَلَّس عليه وتُلَفِّف، اتخذاك كهفا، وعندى بإذن الله دواء، فيه شفاء عما أسألك عنه؛ فلا تجزع أبا عبد الله أن يؤخذ منك الحق وتعطاه، فإن النهز [٤]، يخرج الدر، والحق أبلج، ودعنى وما عنه تلجلج، فإنه قد برح الخفاء.والسلام» [٥].

---

(١) الشيخ عبد المنعم خلاف:السياسة الشرعية..ص١٢٠، والموارد المالية فى الإسلام..ص ١٩٩ .
(٢) نطف الرجل إذا اتهم بريبة.المعجم الوسيط مادة (نطف).
(٣) فتوح مصر ص ٢١٣ .
(٤) نهز الناقة ضرب ضرّتها لتدر:فتوح مصر ص ٢١٤ هامش.
(٥) المصدر نفسه ص ٢١٤ .

وأسلوب هذا الكتاب يشتمل على اللوم والتهديد، مع الأمن والرجاء، فهل اضطرب عمرو، وهرول يجمع الخراج من هنا وهناك ظلما أو اعتسافا؟ كلا، وإنما عمد إلى الرد برباطة جأش، وحنكة الوالى المسلم فكتب إلى عمر بما يلى:-

«بسم الله الرحمن الرحيم»

لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عمرو بن العاص، سلام عليك، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد:فقد بلغنى كتاب أمير المؤمنين فى الذى استبطأنى فيه من الخراج، والذى ذكر فيها من عمل الفراعنة قبلى، واعجابه من خراجها على أيديهم، ونقص ذلك منها منذ كان الإسلام، ولعمرى للخراج يومئذ أوفر وأكثر، والأرض أعمر، لأنهم كانوا على كفرهم وعتوهم أرغب فى عمارة أرضهم منا منذ كان الإسلام، وذكرت النهز يخرج من الدر، فحلبتها حلبا قطع ذلك درّها، وأكثرت فى كتابك وأنبت وعرّضت وثربت [1]، وعلمت أن ذلك عن شيء تخفيه على غير خُبْر، فجئت لعمرى بالمفظعات المقذعات، ولقد كان لك فيه من الصواب من القول رصين صارم بليغ صادق» [2].

ثم يسوق عمرو..رضي الله عنه الأدلة على نزاهته، وصدق أمانته، ويطلب إعفاءه من منصبه فقال:«وقد عملنا لرسول الله ﷺ ولمن بعده فكنا بحمد الله مؤدين لأمانتنا، حافظين لما عظّم الله من حق أئمتنا، نرى غير ذلك قبيحا، والعمل به سيئا، فيعرف ذلك لنا ويصدق فيه قيلنا، معاذ الله من تلك الطعم، ومن شر الشيم والإجزاء على كل مأثم، فاقبض عملك فإن الله قد نزهنى عن تلك الطعم الدنية والرغبة فيها بعد كتابك الذى لم تستبق فيه عِرْضاً، ولم تكرم فيه أخا، والله يا ابن الخطاب لأنا حين يراد ذلك منى أشد لنفسى غضبا ولها إنزاها وإكراما، وما عملت من عمل أرى علىّ فيه متعلقا، ولكنى حفظت مالم تحفظ، ولوكنت من يهود يثرب مازدتَ، يغفر الله لك ولنا، وسكت عن أشياء كنت بها عالما، وكان اللسان بها ذلولا، ولكن الله عظّم من حقك مالا يجهل، والسلام» [3].

لم ينزعج عمر بن الخطاب من هذا الأسلوب، ورأى أن يأخذ عمرو بن العاص بالشدة حتى يكون عبرة لغيره فكتب إليه يقول:

«من عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص...أما بعد:فقد عجبت من كثرة كتبى إليك

---

(١) التثريب كالتأنيب، والتعبير والاستقصاء فى اللوم، راجع المعجم الوسيط مادة (ثربه).

(٢) ابن عبد الحكم ص ٢١٤ .

(٣) المصدر نفسه.

فى إبطائك بالخراج، وكتابك إلىّ ببنيّات الطرق، وقد علمتَ أنى لست أرضى منك إلا بالحق البين، ولم أقدمك مصر أجعلها لكَ طعمة ولا لقومك.ولكنى وجهتك لما رجوت من توفيرك الخراج وحسن سياستك، فإذا أتاك كتابى هذا فاحمل الخراج، فإنما هو فىء المسلمين، وعندى من قد تعلم قوم محصورون، والسلام» (١).

وجاء رد عمرو على هذا الخطاب أقل عنفا، ولكنه متمسك بموقفه وبسياسته مع أهل مصر فيرد على الفاروق عمر قائلا:

«....أما بعد:فقد أتانى كتاب أمير المؤمنين يستبطئنى فى الخراج، ويزعم أنى أعند على الحق وأنكب عن الطريق، وإنى والله مـــا أرغب من صـــالح مـــا تعلم، ولكن أهل الأرض استنظرونى إلى أن تدرك غلتهم، فنظرت للمسلمين فكان الرفق بهم خيرا من أن يخرق بهم فيصيروا إلى بيع مالا غنى بهم عنه» (٢).

ولم يهدأ عمر...عن ملاحقة عمرو..حتى طلب منه أن ابعث إلىّ رجلا من أهل مصر.

فبعث إليه رجلا قديما من القبط، فاستخبره عمر عن مصر، وخراجها قبل الإسلام، فقال:يا أمير المؤمنين كان لا يؤخذ منها شىء إلا بعد عمارتها، وعاملك لا ينظر إلى العمارة، وإنما يأخذ ما ظهر له، كأنه لا يريدها إلا لعام واحد.فعرف عمر ما قال، وقبل من عمرو ما كان يعتذر به (٣).

يؤخذ من هذا الحوار:

**أولا:** شدة عمر رضي الله عنه فى معاملة عماله، والهدف منها:قطع الطريق أمام العامل حتى لا تسول له نفسه بالإثراء على حساب الرعية، وهو أسلوب إيجابى حبذا لو استعمله ولاة المسلمين اليوم.

**ثانيا:** حرص عمر رضي الله عنه على أخذ الحق، وإعطائه لأصحابه.

**ثالثا:** موقف عمرو..الوالى المحنك، الذى استطاع إقناع خليفة كعمر..بموقفه.

**رابعا:** أهمية الخراج للمسلمين إلى جانب الزكاة.

**خامسا:** تعجب عمر من قلة الخراج عما كان عليه فى عهد الفراعنة، والروم، على غير قحط، أو جائحة، وهذا مما جعله يشتد فى مطالبته لعمرو..خشية أن تكون الدنيا قد استولت

(١) المصدر السابق ص ٢١٥ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر السابق ص ٢١٦ .

عليه، وعلى مساعديه، ومن ثم فإن كل دارس للمكاتبات الرسمية التى تدور بين الرؤساء ومرؤوسيهم لا يجد مثل هذا الحوار القاسى بين حاكم كالفاروق ﷺ، وبين عامله، على بلد يرجع الفضل إليه فى فتحه، ونشر دعوة الإسلام بين ربوعه، لكن عمر، هو عمر ﷺ.

وابن العاص على موقفه، وهو عدم جباية الخراج قبل أن يدرك الزرع ميعاده، ويرى الرفق فى هذا الأمر أولى [1]، لكن عمر تساوره الشكوك من قلة الخراج [2]، حتى إذا ضاق ذرعا بهذه الكتب، ورأى فيها نذيرا إن لم يتداركه كتب إلى عمرو يقوله له:

«إنه قد فشت لك فاشية من متاع ورقيق، وآنية، وحيوان، لم يكن لك حين وليت مصر» [3].

فيجيب عمرو بن العاص: «إن أرضنا أرض مزدرع ومتجر فنحن نصيب فضلا عن ما نحتاج إليه لنفقتنا» [4].

فرد عليه الخليفة ردا حاسما: «إنى قد خبرت من عمال السوء ما كفى، وكتابك إلىّ كتاب من أقلقه الأخذ بالحق. وقد سؤت بك ظنا ووجهت إليك محمد بن مسلمة ليقاسمك مالك فأطلعه طلعة [5] وأخرج إليه ما يطالبك واعفه من الغلظة عليك فإنه برح الخفاء...» [6].

وذهب ابن مسلمة إلى مصر، فقاسم عمرا ماله، وكان هذا خاتمة المطاف [7]، بالنسبة

---

(١) انظر: الموارد المالية فى الإسلام ص ١٨٩، ١٩٠ .

(٢) قيل: إن الروم كانوا يجبون من مصر عشرين ألف ألف دينار وأن الفراعنة كانوا يجبون منها تسعين ألف ألف دينار، وما كان يجبيه عمرو وما يبعث به قيل: كان اثنى عشر ألف ألف دينار فى السنة، وقيل كان فى السنة الأولى دون ذلك بكثير، حتى قدره البلاذرى بألفى ألف دينار وقدره غيره بأربعة آلاف دينار، راجع الموارد المالية فى الإسلام ص ١٩٠ هامش ١، وابن عبد الحكم فتوح مصر والمغرب ص ٢١٥، ولابن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ٢ ص ٥٦٧، والبلاذرى: فتوح البلدان ص ٢٢٥ .

(٣) البلاذرى: فتوح البلدان ص ٢٢٦ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) فى اللسان مادة طلع: اطلعتك طلعة، أى أعلمتك، الطلع ـ بالكسر ـ اسم من اطلع.

(٦) البلاذرى ص ٢٢٧، وللرسالة رواية أخرى مخالفة، وهى مختصرة جدا ذكرها ابن عبد الحكم فى فتوح مصر وأخبارها صـ ١٩٨ تحقيق عبد المنعم عامر قال بسنده إلى عبد الله بن عبد العزيز شيخ ثقة إلى عمرو بن العاص، وكتب إليه: «أما بعد: فإنكم معشر العمال قعدتم على عيون الأموال فجبيتم الحرام، وأكلتم الحرام، وأورثتم الحرام، وقد بعثت إليك محمد بن مسلمة الأنصارى ليقاسمك مالك، فأحضره مالك، والسلام». ورواية ابن عبد الحكم والبلاذرى إذا ضم بعضها إلى بعض توثق كل منهما الأخرى.

(٧) البلاذرى ص ٢٢٧، والموارد المالية فى الإسلام ص ١٩١ .

لهذه المكاتبات الخراجية ولا يذهب بنا الأمر فى مقاسمة عمرو ماله أنه اكتسبه من حرام أو ظلم، وإنما كما قال عمرو....إن أرضنا أرض مزدرع، وأن عمرا كان تاجرا، أى خبيرا بتنمية الثروة، ومقاسمة عمر له، ليتفرغ الولاة لولايتهم، دون أن يشاركوا الناس فى التجارة، أو تكون لهم تجارة مستقلة تشغلهم عن مصالح ولايتهم.

**موقف عمرو...من جمع الخراج، وتصريفه له:**

اتبع عمرو، طريقة مثلى فى جمع الخراج، فعمل جاهدا على تخفيضه حتى يقدر الناس على الوفاء به، مع استعمال جانب الرأفة، فكان ينفق منه على حفر الخلجان، وإقامة الجسور، وبناء القناطر، ثم يرسل ما تبقى إلى أمير المؤمنين، ومن ثم احتاج فى أول الفتح إلى نفقات كثيرة ـ ساعده بها الأقباط، لحفر خليج تراجان، وهو الخليج الذى يصل النيل بالبحر الأحمر واطلق عليه اسم خليج أمير المؤمنين [١].

كما أصلح ما أفسده الروم من مرافق البلاد خلال الحرب، ومن ثم أعفى أهالى القرى التى أصابها الخراب من الجباية، فى الوقت الذى كان فيه الخليفة فى حاجة إلى المال لتنفيذ سياسته الإصلاحية فى شبه جزيرة العرب، ولذلك كان يلح على عمرو..ليبعث إليه الخراج [٢]، وكان موقف الخليفة ووليه، موقف الأمين على مصالح الناس أجمعين، ومن ثم نتج عن هذا الموقف...

هذه الرسائل التى سبق ذكرها والتعليق عليها.

**تعقيب على الزكاة والجزية والخراج:**

**أولا: الجزية وعلاقتها بالدعوة:**

لما كانت الدعوة تحتاج إلى موارد مالية ثابتة كان لابد من إقامة بيت مال للمسلمين توضع فيه أموال الزكاة، والجزية، والخراج فى أرض الكنانة.

وعلاقة الجزية بالدعوة علاقة مؤقتة وليست دائمة، بحيث لو دخل أهل الذمة فى الإسلام تحولوا من دافعى جزية إلى دافعى زكاة.

وعندما قرر الإسلام الجزية على أهل الذمة كان القصد أن يأمن المسلمون جانبهم فى تبليغ دعوتهم وتأمين جانبهم لدى أهل الذمة الآخرين، فإنهم إن دفعوا الجزية، فأصبحوا من رعايا المسلمين، وبهذا يأمن المسلمون شرهم، فإن لم يدفعوا الجزية، فالشر باق، لأنهم سيكونون أمام أمرين ـ

(١) الفاروق عمر: جـ٢ ص ١٩٣ .
(٢) انظر الموارد المالية ص ١٨٦ ـ ١٨٧ .

إما الدخول فى الإسلام، وإما القتال، ولذلك كان فرض الجزية وقبول أهل الذمة لها معناه فتح مجال جديد أمام الدعوة تتحرك فيه دون تردد أو وجل.

كذلك الأمر فى الخراج.

فإن مصر لما فتحت عنوة، أو بعضها صلحا، كما سبق توضيحه، فرض المسلمون على الأرض العنوة ضريبة خراجية، يستعين بها المسلمون على إصلاح المنشآت، والطرقات، فلو أن أهل الأرض الخراجية امتنعوا عن الدفع، لكان معناه إعلان العصيان من جانبهم، ولذلك كان من هدف المسلمين أن يعرفوا نية المصريين ويشعروهم بأنهم يودون:

أ ـ تأمين جانبهم من أصحاب الأرض الخراجية.

ب ـ قيام المسلمين بالإصلاحات الداخلية، التى يعود نفعها على الجميع.

جـ ـ قدرة المسلمين على الحركة فى تبليغ دعوتهم التى من أجلها ركبوا الصعاب حتى نزلوا مصر.

د ـ دفاع المسلمين ضد من يريد بمصر سوءا فى الداخل، أو الخارج .

وقد أثبت المسلمون حسن سياستهم الخراجية، ففى زمن معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنه أرسل مسلمة بن مخلد (٤٧ ـ ٦٢ هـ) ستمائة ألف دينار إلى بيت المال بعد أن دفع عطاء الجند، وانفق على البلاد ما تحتاج إليه، وبعد إرسال القمح إلى الحجاز أيضا [١] .الذى كان يخصم من الجزية والخراج.

كما يذكر ساويرس المؤرخ القبطى :أن ما كان يحمل إلى بيت المال مائتا ألف دينار بعد النفقة على الأجناد وما تحتاج إليه البلاد [٢] .

يتضح مما سبق أن المسلمين أنفقوا الموارد المالية فى مصارفها المحددة لها، حتى لا يظلم أحد فى حكمهم، ومن ثم استخدموا الأساليب الناجحة التى تعود على الجميع بالخير والنفع، فشعر المصريون بالفرق الواضح بينهم وبين الفرس، أو الروم، فلم يسعهم إلا اتباع دعوتهم والدخول فى عقيدتهم، حتى غدت مصر ولاية إسلامية فى فترة زمنية قصيرة.

وربما يرجع هذا كله لعروبة مصر القديمة وصلتها باللغة العربية قبل الفتح، فما صلة مصر بالعرب والعروبة، وما أثر ذلك على الدعوة فيها؟

---

(١) راجع ابن عبد الحكم:فتوح مصر والمغرب ص ١٠٢ ، ومصر فى عصر الولاة ص ٣٨ .

(٢) راجع سير الآباء البطاركة ص ١٨٩ ، ومصر فى عصر الولاة ص ٣٨ .

# الفصل الخامس

## صلة المصريين باللغة العربية قبل الفتح وبعده، وأثر ذلك علي الدعوة مع رد بعض الشبه التي أثيرت ضد المسلمين الفاتحين.

ويشتمل على تمهيد، وعشرة مباحث:

المبحث الأول: معرفة المصريين للغة العربية قبل الفتح، وصلة الجنس المصري بالجنس العربي.

المبحث الثاني: هجرات القبائل العربية إلى وادي النيل، وأثرها على اللغة العربية في مصر.

المبحث الثالث: من أسباب اعتناق المصريين دين الفاتحين.

المبحث الرابع: الفرق بين العروبة الصريحة وغير الصريحة.

المبحث الخامس: سبب انسياح القبائل العربية في مصر قبل الإسلام وأثرها في وادي النيل.

المبحث السادس: الأدلة على عروبة مصر.

المبحث السابع: العلاقات الدينية واللغوية بين مصر والعرب منذ القدم.

المبحث الثامن: تعريب الدواوين، وأثره على لغة المصريين.

المبحث التاسع: أسباب تفوق اللغة العربية الشريفة على اليونانية والقبطية.

المبحث العاشر: رد الشبه عن اللغة وحامليها، وما ألصق بهم زورا:

أ- هل اللغة العربية مأخوذة من اللغة المصرية أو القبطية؟

ب- هل أكره المسلمون القبط على تعلم العربية؟

جـ- هل أحرق المسلمون مكتبة الإسكندرية؟

**تمهيد:**

اللغة العربية إحدى اللغات السامية، وهى لغة أمة العرب القديمة العهد الشائعة الذكر التى كانت تسكن الجزيرة المنسوبة إليها فى الطرف الغربى من آسيا، وهذه الأمة منها القدماء الذين يسكنون تلك الجزيرة وينطلقون باللغة العربية سليقاً وطبعاً،وهم ثلاث طبقات :

**أولاهـا :** العرب البائدة : هؤلاء لم يصل إلينا شيء إلا ما قصه الله علينا فى القرآن الكريم، وإلا ما جاء فى الديث الشريف، ومن أشهر قبائلهم : طسم وجديس، وعاد ، وثمود، وعمليق، وعبْد ضخم.

**ثانيتها :** العرب العاربة وهم بنو قحطان الذين اختاروا اليمن منازل لهم، ومن أمهات قبائلهم : كهلان ، وحمير.

**ثالثتها :** العرب المستعربة : وهم بنو إسماعيل الطارئون على القحطانيين، والممتزجون بهم لغة ونسباً، والمعروفون بعد بالعدنانيين، ومن أمهات قبائلهم : ربيعة ومضر، وإياد، ونزار، ومنهم المُحَدثون، وهم سلائل هؤلاء الأقوام الممتزجون بسلائل غيرهم، والمنتشرون بعد الإسلام فى بقاع الأرض من المحيط الأخضر (الأطلنطى) إلى ما وراء بحر فارس، ودَجْلة، ومن أعالى النهرين إلى ما وراء جاوَه، وسومْطرة[١].

ولما كانت اللغة العربية لغة القرآن الكريم والحديث الشريف وتعتمد الدعوة عليها، كان لابد من التركيز عليها فى موطنها الجديد مصر ومن ثم تتعانق اللغة العربية مع الدعوة فى التعريف بالإسلام، وشرح تعاليمه ، وأحكامه، ولقد كان للغة العربية دور كبير فى إدخال جم غفير من البشر فى الإسلام فى أرض الكنانة، والبحث عن علاقة انتشار اللغة العربية على أثر انتشار الدعوة فى مصر، يقتضينا الرجوع إلى الوراء، لمدى معرفة المصريين باللغة العربية، وعلاقتهم بأهل جزيرة العرب وصلتهم بهم.

**المبحث الأول:**

**معرفة المصريين للغة العربية قبل الفتح وصلة الجنس المصري بالجنس العربي:**

لم تكن اللغة العربية غريبة على المصريين عند مجيء دعوة الإسلام إليهم، فقد عرفها جمع من المصريين قبل ظهور الإسلام، بل وقبل ظهور المسيحية أيضا.فقد كانت وفود القبائل العربية تقصد مصر للتجارة، أو للاستقرار.

---

(١) السيد أحمد الهاشمى مدير مدارس فؤاد الأول : «من جواهر الأدب» جـ ٢ المقدمة ص ٣، ٤ .بتصرف.

فمن ناحية التجارة كانت هناك خطوط برية وبحرية [١] تصل بين مصر وبلاد العرب، وتخبر المصادر اليونانية واللاتينية [٢]، وغيرها أن مدينة غزة كانت فى ذلك الوقت ميناء تجريا هاما ومركزا يلتقى فيه التجار، ورجال الأعمال لعقد الصفقات التجارية وكان التجار العرب يقدمون إليها لبيع ماعندهم من حاصلات اليمن، وجنوب الجزيرة العربية، وشراء مايلزمهم مما يرد على هذه المدينة من البحر من حاصلات اليونان، وإيطاليا، وغيرها، وتشير إحدى الوثائق [٣] التى يرجع تاريخها إلى عام (٢٦٣م) إلى وجود علاقات تجارية بين مصر والعرب فى تلك الفترة.

ثم إن عمرو بن العاص دخل مصر قبل الفتح الإسلامى تاجرا، وذهب إلى الدلتا، ومن بعدها إلى الإسكندرية [٤]، وقد خبر البلاد وطرقها، وأهلها، حتى اقتنع بفتحها عندما سنحت له الفرصة.

## معرفة مصر باللغة العربية:

يرجع سبب معرفة مصر باللغة العربية إلى أن المصريين عرب من قبل مجيء الإسلام إليهم، فإذا كان فى الأذهان فراغ بالنسبة لعروبة مصر، مع أن للعروبة فيها جذورا قديمة تمتد إلى عشرات القرون قبل الإسلام، فمرد ذلك إلى الدعاية المضللة، التى تنكر صلة مصر

---

(١) بالإضافة إلى ما سبق توضيحه عن الطرق التى تربط مصر ببلاد العرب، فإن هناك أيضا الطريق الذى كان يستخدمه التجار وهو الطريق الذى اجتازته جنود قمبيز، وكان يبتدىء من دمشق، ثم يغادر الإقليم السورى الفلسطينى عند غزة، وهى دهليز مصر، ويمر بالعريش والفرما، وبلبيس.وكانت المسافة (٢٣٧ ميلا)، وهى تساوى بالتقريب (٤٦٨ كيلو مترا) كما كان هناك طريق ينتهى إلى بلاد المغرب، وهو الذى يهمنا إذ يمر بالإسكندرية ويسير على حدود الصحراء متبعا خطا يكاد يكون مستقيماً مارا بالطرانة، وقرطسا، ودمنهور.راجع مقال جاستون فييت.مدير دار الآثار العربية ترجمه إلى العربية محمد وهبى:المواصلات فى مصر فى العصور الوسطى ص ٤٣ عن كتاب فى مصر الإسلامية للدكتور زكى محمد حسن ورفيقه.ط المقتطف ١٩٣٧ .

(٢) انظر د/جواد على:تاريخ العرب قبل الإسلام جـ٨ ص ١٣٢ .

(٣) انظر تاريخ العرب قبل الإسلام جـ٨ص٦٧ ،٦٨، وانظر د / أحمد مختار عمر:تاريخ اللغة العربية فى مصر ص ١١ ط الهيئة المصرية العامة للتأليف ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م القاهرة.

(٤) الكندى أبو عمر محمد بن يوسف الكندى المصرى صاحب كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ٦،٧ ط بيروت ١٩٠٨، وهو غير محمد بن ويسف بن يعقوب أبو عمر الكندى المؤرخ المصرى.راجع الإعلام:٨ / ٢١،٢ ، انظر:تاريخ اللغة العربية ص ١١ .

بالعروبة، وتصر على وصفها بالفرعونية [١] .أو بانتمائها إلى حوض البحر الأبيض [٢]، وذلك لأنها أقوى بلاد العرب، وأكثرها سكانا [٣]، وأشدها دويا وتأثيرا، وبعدها عن العرب والإسلام معناه فقدها للغة العربية لسان حال الإسلام سندا فتيا، وساعدا قويا.

لكن وجود الأدلة المادية والآثار الباقية على عروبة مصر قبل الإسلام ظاهرة وقائمة مما يدل على معرفة المصريين باللغة العربية قبل الفتح وبعده.

**الأدلة على عروبة مصر قبل الإسلام:**

تنقسم هذه الأدلة إلى قسمين:ـ

**أحدهما:** حالة مصر قبل العروبة الصريحة، أى قبل أن تصبح اللغة العربية الفصحى لغة العرب.

**ثانيهما:** دور مصر مع العروبة الصريحة، وقبل الإسلام.وقبل مناقشة هذين القسمين لابد من معرفة:ـ

**نشأة الجنس المصري:**

يطلق بعض الكتاب الذين يكتبون تاريخ مصر كلمة حاميين وجنس حامي على العناصر الأولى التي تَكَوّن منها سكان مصر القدماء قبل العصور التاريخية القديمة، وليس لهذا سند علمى أثرى.وإنما هو كتعبير الساميين والجنس السامى استنتجه الباحثون مما جاء فى سفر التكوين من أسفار العهد القديم الذى ورد فيه أن مصرايم الذى هو أبو المصريين أشتق اسم مصر من اسمه وهو ابن حام بن نوح ـ عليه السلام ـ [٤].

والحقيقة أنه لا يعرف على وجه التحديد أصل الذين سكنوا مصر في عصور ما قبل التاريخ، وخلفوا آثارا لهم، وقد ذهب الذين درسوا هذه الآثار أنهم لم يكونوا من جنس واحد لما رأوه من اختلافات بارزة فى طريقة الدفن، والمساكن والأوانى، ثم خمنوا أنهم عناصر أفريقية بيضاء وسوداء لوبية وزنجية كانت تنساح إلى مصر من الجنوب والغرب وقتا بعد آخر...ومن ثم فإن الباحثين متفقون على أن مصر كانت مباءة لعناصر أسيوية من الجنس الأبيض، كانت تطرأ عليها فى عصور ما قبل التاريخ.

---

(١) راجع د/ طه حسين:مستقبل الثقافة فى مصر جـ١ ص ٦ .

(٢) انظر:د/ محمد البهى:الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص ١٨٤ ط. الرابعة سنة ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م .

(٣) انظر:محمد عزة دروزة:عروبة مصر قبل الإسلام وبعده ص ٥ .

(٤) المصدر السابق ص ٨، وراجع ص ٣ من هذا البحث.

ومعظم هذه العناصر من الجنس الذى أطلق عليه تعبير الساميين، الذين كانوا يأتون كموجات إلى وادى النيل من حين لآخر بدون انقطاع من طريق برزخ السويس حينا، ومن طريق باب المندب وشواطىء أفريقية من نحو آخر [١]، وتعبير الساميين يشمل الجنس العربى أيضا.

**الموطن الأصلي للساميين:**

تختلف الآراء حول الموطن الأصلى لتلك الشعوب التى سميت بهذا الاسم.

فمن العلماء من يعتمد على نصوص التوراة التى أشارت إلى أن موطنها هو بعض مقاطعات أرمينيا (تركستان الحالية) وهذا الرأى للعالم الفرنسى (رينان) [٢].

ومن العلماء من ينطق من الناحية الفسيولوجية، بالمقارنة بين بعض الصفات الجسمية لكل من الساميين والحاميين، ويستخلص من وجود تشابه بين كل من الشعبين فى هذه الصفات، وأن الموطن الأصلى للساميين هو أفريقيا [٣].

ومن الباحثين من استنبط من المقارنة اللغوية بين الألفاظ الدالة على أسماء الحيوانات، والنباتات والمعادن، والتقلبات الجوية، والتغيرات الجيولوجية فى اللغات السامية أن إقليم (التركستان) هو أول وطن للساميين، ومن أشهر القائلين بهذا الرأي المستشرق الألماني (فيون كريمير) سنة ١٨٧٥م، والمستشرق الإيطالى:(اجنازيو جويدى سنة ١٨٧٩م) [٤].

وهناك رأى رابع يستند إلى دراسة النقوش والآثار، وتاريخ الهجرات، وطبيعتها ودوافعها، والخصائص الخلقية للشعوب السامية، مستنتجا من كل هذا أن (جزيرة العرب) كانت موطن الساميين الأول، ومن أول المنادين بهذا الرأي العالم الألماني (شريدر) (١٨٧٣م) والباحث الألمانى (شبرنجر) (١٨٧٥م) الذى يقول فى كتاب له أسماه:جغرافية بلاد العرب القديمة:

«إن جميع الشعوب السامية هم - في رأيي - طبقات متوالية من العرب، تكونوا طبقة بعد أخرى فى الجزيرة العربية» [٥]، وقد أيد هذا الرأى كل من الباحثين:العالم الهولندى

---

(١) عروبة مصر قبل الإسلام وبعده ص٨،٩ .

(٢) انظر د/ حسن ظاظا:اللسان والأنساب صـ١٥٩ وما بعدها، وللدكتورين عبد الله ربيع، وعبد العزيز علام: فى فقه اللغة ص ٨٤ طـ الأولى ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م القاهرة المكتبة التوفيقية.

(٣) انظر د/ حامد عبد القادر: محاضرات فى فقه اللغات السامية.كلية اللغة العربية، وفى فقه اللغة ص ٦٤،٦٥ .

(٤) انظر:محاضرات فى فقه اللغات السامية، وفى فقه اللغة ص ٦٥ .

(٥) انظر:فى فقه اللغات السامية ص ٦٥ .

(ديموريه) (سنة ١٨٨٢م)، والعالم الفرنسى (رينان) بعد أن رجع عن رأيه والمستشرق الألمانى (كارل بروكلمان) [١].

وأصحاب هذا الرأى يستندون إلى أدلة قوية منها:

أ ـ أن التاريخ يتحدث دائما عن هجرات للساميين من بلاد العرب، ولم يتحدث مطلقا عن هجرات لهم إليها [٢].

ب ـ إن النقوش التى عثر عليها مدونة باللغة الشومارية، أى بلغة سكان بابل الأصليين السابقين للساميين تبين أن بلادهم كانت دائما فى خطر من إغارة قبائل سامية، تأتى من الجهات الجنوبية، أو الجنوبية الغربية [٣].

جـ ـ ما قاله (كيتاني دويتانو) من أن بلاد العرب كانت فى العصور السابقة للتاريخ كثيفة السكان، خصبة، ذات أنهار عديدة، وأنها فقدت أنهارها وخصوبتها، فهاجر سكانها منها [٤].

د ـ ما كانت تعتمد عليه العقلية السامية القديمة ـ فى أساسها ـ على المشاهدات الحسية المتجسدة، وذلك مما يلائم بلاد العرب ذات الطبيعة الصحراوية [٥].

هـ ـ إن أقرب الشعوب إلى الجنس السامي لغة وخلقا هم العرب الذين لم يختلطوا بغيرهم من الأجناس الأخرى، لقرارهم في جزيرتهم [٦].

مما سبق يتضح أن أقوى الآراء، وأشهرها هو الرأي القائل:بأن موطن الساميين الأصلي كان جزيرة العرب، وأنهم هاجروا منها على مر التاريخ، إلى سائر البلاد التي استوطنوها [٧].

غير أن للدكتور حامد عبد القادر على هذا الرأى تعليق يقول فيه:

« ....إنى لا أرى مانعا من أن نفرض أن سكان الجزيرة العربية الأصليين هم أصول الشعوب السامية، لم يوجد فى هذه الجزيرة بادىء ذى بدء، بل إنهم هاجروا إليها من إقليم آخر هو الإقليم الذى أقاموا به، أيام أن كان بنو الإنسان أسرة أو قبيلة واحدة فى بقعة ما من بقاع الأرض، كانت موطنا لأبناء نوح ـ عليه السلام ـ قبل تفرقهم ولا يبعد أن تكون فى الجهة المجاورة لمنابع (سيحون وجيحون) ويحتمل أن تكون بعض جهات أرمينية كما يؤخذ من

---

(١) المصدر نفسه، وانظر للدكتور على عبد الواحد وافى:فقه اللغة ص ١١ .
(٢) انظر فى فقه اللغة ص ٦٦ .
(٣) المرجع نفسه.
(٤) فى فقه اللغة ص ٦٦ .
(٥) المصدر نفسه.
(٦) المصدر نفسه.
(٧) المصدر نفسه.

رواية التوراة. وربما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ﴾ فقد قيل: إن الجودى جبل من جبال أرمينية، يسمونه أحيانا بجبل «أرارات» ..... واضطر فريق منهم إلى الرحيل عنها، وكان من هذا الفريق «الفصيلة السامية؟ وما زالت تسير حتى وصلت إلى بلاد العرب، التى يؤكد كثير من المؤرخين أنها كانت ـ فى القدم ـ خصبة تجرى فيها الأنهار، صالحة للصيد والقنص، ورعى المواشى، وللزراعة، ولابد أن نفرض أن بلاد العرب، كانت كذلك فى عصور قديمة جدا سابقة لعصور الهجرات السامية، من تلك الجزيرة بقرون كثيرة» [١].

وبعد بسط هذه الآراء نخرج بنتيجة هامة هى :ـ

أن جزيرة العرب، سواء سكنها الجنس السامى أولا لخصبها، كما تقول الآراء السابقة، أو انتقل إليها من بقعة أخرى كما يقول الرأى الآخر منذ القدم ثم هاجر منها... بعد أن أصابها القحط، فالمتفق عليه من هذه الآراء بعدئذ، أن جزيرة العرب كانت المصدر الأول للجنس السامى، ومن ثم تكون تسمية الجنس العربى بالجنس السامى صحيحة، ومع ذلك تحتاج هذه التسمية إلى توضيح أكثر .

**تسمية العرب بالجنس السامي تسمية صحيحة:**

يتضح صواب هذه التسمية فيما يلى :ـ

١ ـ إن هذه التسمية من ابتكار المستشرق النمساوى شلوزر (سنة ١٧٨١) استنادا إلى الأنساب الواردة فى سفر التكوين، وليس لها سند من تاريخ وعلم.. والتسمية الصحيحة التى لها سند هى «الأقوام العربية»، لأن جزيرة العرب مقر هذه الأقوام. كما ذكر الدكتور جواد على [٢].

٢ ـ ذكرت الكتب اليونانية والرومانية القديمة منذ ألفين وخمسمائة سنة اسم العرب الصريح كما تدل النقوش الأشورية، ونصوص أسفار العهد القديم [٣].

٣ ـ منذ ألفين وخمسمائة سنة كانت لغة التكلم بين سكان الجزيرة وخارجها اللغة العربية... على مادل عليه نقوش وأسماء، وأعلام السينيين، والحميريين، والأقباط الذين برزوا فى مجال الحضارة والحكم داخل الجزيرة، وخارجها قبل الميلاد المسيحى، وامتد إلى ما بعده، ومن ثم فإطلاق الأقوام العربية على سكان الجزيرة العربية، والبلاد المجاورة لها أصح علميا

(١) محاضرات فى فقه اللغات السامية بكلية اللغة العربية سنة ١٩٦٣ .
(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام جـ١ ص ١٦٩ .
(٣) المرجع السابق.

وتاريخيا وواقعيا من (الأقوام السامية) [(١)].

**ومن الجدير بالذكر:**

أن المعنيين بلغات الشرق الأولى لاحظوا وجود أوجه شبه ظاهرة بين البابلية، والأشورية، والكنعانية والعبرانية، والآرامية، والعربية، واللهجات العربية الجنوبية والحبشية، وأمثالها من حيث اشتراكها، أو تقاربها في جذور الأفعال وتصاريفها، وزمني الفعل الرئيسيين التام والناقص، أو الماضي والمستقبل، وفي أصول المفردات، والضمائر والأسماء الدالة على القرابة الدموية...وفي تغير الحركات في وسط الكلمات الذي يحدث تغيرا في المعنى، وفي التعابير التي تدل على منظمات الدولة والمجتمع والدين، فقالوا: بوجود وحدة مشتركة تجمع شمل الأقوام التي تتكلم بها وأطلقوا عليها اسم الجنس السامي، وعلى اللغات التي تكلمت بها اسم اللغات السامية، ثم اختلفوا في مهد هذا الجنس فرأى فريق منهم أنه جزيرة العرب [(٢)].

ومن أنصار هذا الرأي ومؤيديه كل من **شبرنكر، وسايس، وشاور، ودي كويه، وهوبرت كومه**، وكارل بركلمان، وكينيك، وجول ماير،...نتيجة استقراآت واستنتاجات اجتماعية، ودينية، **ولغوية وتاريخية** [(٣)].....

ومن ثم نجد أتفاق معظم الباحثين على أن جزيرة العرب هي مصدر الموجات التي خرجت إلى الأقطار المجاورة لها، وعمرتها منذ أقدم الأزمنة...والنتيجة المنطقية أن الجماعة السامية هي الجماعة العربية .وأن مهدها الأصلي ـ كما سبق ـ نَجْد والحجاز، والعروض [(٤)] واليمن، وما إلى هذه البقاع، ومنها كانت الهجرات السامية الأولى إلى شمال الجزيرة ومشارف الشام، والعراق حتى تخوم بلاد إيران ثم بلاد الحبشة، ووادي النيل، وأن الأمة العربية قديما وحديثا هي الجنس السامي بأكمله...

ومنزلة اللهجات السامية من اللغة العربية منزلة الفروع الدانية من الأصل الواحد،

---

(١) راجع دكتور جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام جـ١ ص ١٦٩، وما بعدها، وجرجي زيدان تاريخ العرب قبل الإسلام ص ٤٠ ،٦٦ الطبعة الجديدة، وعطية الأبراشي ورفاقه: الأساس في اللغات السامية ص ١٥ وما بعدها، ومحمد عزة دروزة في كتابيه: الوحدة العربية ص ٢٦ هامش ١، وعروبة مصر قبل الإسلام وبعده ص ٩، ١٠ .

(٢) موافقا بهذا لما سقته آنفا، وهي أدلة يقوي بعضها بعضا.

(٣) د/ جواد علي تاريخ العرب قبل الإسلام جـ١ ص ومحمد عزة دورزة: الوحدة العربية ص ٢٧ .

(٤) العروض: الطريق في عرض الجبل. المعجم الوسيط (مادة) عرض المقصود أنه اسم لمكان...

وبمقارنة اللغات السامية مقارنة لفظية اتضح للباحثين فيها أن أصول كلماتها واحدة مشتركة، وفى بعض الكلمات نرى الاشتراك اللفظى، مع التحوير بالمعنى بأن تكون الكلمة فى اللغة العربية بمعنى، وهى بلفظها فى العبرانية والسريانية بمعنى آخر غير أن العلاقة بينها لا تلبث أن تبدو ببحث يسير [(١)]، ويضاف إلى ما سبق:

**المبحث الثاني:هجرات القبائل..إلى وادي النيل وأثرها على اللغة العربية في مصر:**

تتمثل تلك الهجرات فى هذه الموجات:

**الموجة الأولى:**

عندما ضاق قلب جزيرة العرب، بسكانه، ولم يف بحاجتهم، خرجوا منه فى هجرات متوالية على مر التاريخ...حتى أنه ليشاع.أن هذه الهجرات كانت تحدث كل ألف سنة تقريبا. ففي القرن السادس والثلاثين ق.م خرجت الموجة الأولى من المهاجرين، وذهبت إلى جنوب العراق، حيث تغلبوا على سكانه الأصليين من (الشومريين) وأنشأوا مملكة سامية هى مملكة بابل الشهيرة، ثم واصلوا الزحف بعد ذلك بعشرة قرون إلى شمال العراق، وأسسوا فيه قبل الميلاد، مملكة آشور [(٣)].

**الموجة الثانية:**

تقرر خروجها في القرن السادس والعشرين ق.م تقريبا، وواصلت سيرها حيث ألقت عصا التسيار فى (أرض كنعان)، على ساحل البحر الأبيض المتوسط فيما يعرف اليوم (بفلسطين، وسوريا، ولبنان) وعرف هؤلاء (بالكنعانيين) ومنهم كان الشعب الفينيقى الذى اشتد نفوذه إلى جزر البحر المتوسط، وشمال أفريقيا حيث أسس مستعمرات هامة كان أشهرها (قرطاجة أو قرطاجنة) [(٢)].

**الموجة الثالثة:**

وكانت فى القرن الخامس عشر ق.م تقريبا، واتجهت إلى سوريا، حيث استقر المهاجرون أولا حول (دمشق)، ثم تمكنوا بعد ذلك من احتلال سوريا، كلها، كما تمكنوا بعد ذلك من إقامة ممالك لهم فى شمال العراق، وجنوبه، إلى شرق البادية السورية، وعمت ثقافتهم المنطقة كلها، حتى بعد زوال دولتهم القوية [(٤)].

---

(١) الو[illegible] (بالآراميين) نسبة إلى (آرام) الذى يطلق عليه فى التوراة ـ كما يقول

(٢) راجع للدكتور عبد الله ربيع، والدكتور عبد العزيز علام:فى فقه اللغة ص ١٧ .

(٣) المرجع السابق:ص ٦٨ .

(٤) راجع للعقاد:الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين ص ١٨ .

صاحب كتاب (الأبجدية: مفتاح تاريخ الإنسان) ـ (على سلالة عنصرية، كما يطلق على الإقليم الذى تسكنه تلك السلالة [١].

**الموجة الرابعة:**

من اليمن جنوبى الجزيرة العربية خرجت تلك الموجة، فعبرت بوغاز باب المندب فى تاريخ قديم إلى ما قبل الميلاد بعدة قرون واستقرت ببلاد الحبشة وامتزجت بسكانها [٢].

وهكذا ظلت القبائل العربية تنساح من مختلف أنحاء جزيرة العرب متلاحقة بدون انقطاع من الجنوب عن طريق باب المندب إلى شواطىء أفريقيا الشمالية الشرقية، فأثيوبيا فمصر أحيانا، ومن الجنوب إلى شواطىء بحر الهند والخليج، فالعراق، وبلاد الشام أحيانا، وقد كان هذا قبل دور العروبة الصريحة، أى قبل أن تصبح اللغة العربية اللغة الفصحى، أو ما يقرب منها لغة العرب عَلَماً على العرب، وجزيرة العرب [٣].

وهكذا تفرق الشعب الواحد، وتوزعت جموعه عبر التاريخ الطويل، وتغيرت ظروفه السياسية، والاجتماعية، والدينية [٤].

جاء فى كتاب تاريخ مصر القديمة [٥]:

إن الساميين هم سكان مصر، وأنه كان منهم قبل الأسرة الأولى من الدولة الأولى ستون ملكا، واستمر حكمهم أكثر من ألف عام [٦]، وأن سكان مصر القدماء جاءوا إليها من جزيرة العرب قبل ستة آلاف سنة، وأن الأسر الفرعونية الأولى من هؤلاء القادمين [٧].

وقد أيد هذين الرأيين كل من: هنرى بروخ الألمانى، وهنرى جونسون الإنجليزى فى كتابيهما: تاريخ مصر.

وقد جاءت هذه الأقوال الثلاثة فى بحث تاريخى للبحاثه السورى: منير الشريف [٨].

كما ثبت أن معظم علماء تاريخ مصر يقررون أن المصريين القدماء. قد جاءوا من آسيا الغربية ومنهم من جاء عن طريق باب المندب من الجنوب، ومنهم من جاء عن طريق برزخ

(١) المرجع السابق ص ١٦ .
(٢) راجع: فى فقه اللغة ص ٦٨ .
(٣) انظر: عروبة مصر قبل الإسلام وبعده ص ١١ .
(٤) انظر: فى فقه اللغة ص ٦٨ .
(٥) للعالم الفرنسى (ويجيل) نقلا عن: الوحدة العربية ص ٣٦ .
(٦) انظر العالم الفرنسى (ويجيل) تاريخ مصر القديمة نقلا عن الوحدة العربية ص ٣٦ .
(٧) انظر ما كتبه جوستاف جيكى أستاذ الأثريات المصرية فى كلية نيوشاتل فى كتابه «تاريخ المدينة المصرية» نقلا عن الوحدة العربية ص ٣٦ .
(٨) نقلا عن المصدر السابق.

السويس من الشمال وأن بين لغتهم، واللغات السامية فى مفرداتها وصرفها ونحوها مشابهة كبيرة كما سبق ذكره [١].

**وفي كتاب تاريخ السودان العام [٢]:**

إن أصل اللغة المصرية، واللغة العربية واحد، وأن الاختلاف الظاهر بينهما ليس إلا نتيجة لإسقاط بعض كلمات فى بلاد العرب، وبقائها فى وادى النيل، أو العكس، ثم نتيجة لما يعترى الكلمات من القلب والإبدال، وما يطرأ على اللغات من تغير من معاملة الأجانب [٣].
ولقد قرر العالم الأثرى أحمد كمال على، ما جاء فى كتاب «تاريخ السودان العام» وصدق عليه، ووضع قاموسا أثبت فيه اشتراك أكثر من عشرة آلاف كلمة بين المصرية القديمة والعربية كدليل على ما قرره.

**وقال غوستاف لوبون [٤]:**

«إن كل جذور اللغة المصرية القديمة، ومعظم قاموسها القديم يتركب من عناصر سامية حتى أجروميتها، أى صرفها ونحوها فيما يتصل بتركيب المؤنث والمذكر والجمع، والكلمات الدخيلة على الأصل السامى ترد إلى الجنس الأسود الذى طرأ على مصر فى بعض الأوقات[٥].

**وفي كتاب تاريخ السودان القديم [٦]:**

إن المصريين والسودانيين من أصل واحد، وقد جاء أسلافهم إلى وادى النيل من بلاد العرب عن طريق الصومال على ما دلت عليه البحوث، والإستقراءات [٧].

وفيما جاء عن سكان مصر القدماء أيضا، ما ذكره د/ حسن كمال نقلا عن ديودور الصقلى قوله:«إن سكان مصر القدماء من بلاد العرب الجنوبية نزلوا إلى شواطىء أثيوبيا، ثم تقدموا نحو الشمال حتى دخلوا مصر، وبسبب ذلك يقول الأثيوبيون:إن مصر من مستعمراتنا على اعتبار أن سكانها القدماء جاءوا من ناحيتهم» [١].

---

(١) راجع للمؤرخ التركى أحمد رفيق فى كتابه التاريخ العام جـ١ ص ٢ معزوا إلى إدوارد ماير فى كتابه:تاريخ مصر القديم، وأدولف إرمان فى كتابه: مصر وحياتها فى العصور القديمة، ولويد مان فى تاريخ مصر وراجع الوحدة العربية ص ٣٦ .
(٢) ترجمة الدكتور حسن كمال ص ١٧ .
(٣) فى كتابه : الحضارة المصرية نقلا عن الوحدة العربية ص ٣٧ .
(٤) المرجع نفسه.
(٥) الحضارة المصرية نقلا عن الوحدة العربية ص ٣٧ .
(٦) ترجمة:د/ حسن كمال ص ٥ .
(٧) المرجع نفسه.

ومن يستعرض آلاف أسماء القرى والمدن والأعلام المصرية القديمة فى كتاب: «الخطط التوفيقية» [٢] يلمس اللمحة العربية القديمة على معظمها، ويرى دليلا قويا مازال قائما على الصلة القديمة بين مصر القديمة والعروبة.

**الغرض من هذا الفصل:**

يرجع الغرض من تسطير هذا الفصل إلى هذه الدوافع:

**الدافع الأول:** صدق الصلة بين سكان هذه البلاد بالعروبة القديمة وهذا مما ينبغى التسليم به لأنه مستقر فى أذهان البحاثة، وكان ينبغى العناية به وبنشره [٣].

**الدافع الثاني:** إحباط مكر أعداء دعوة الإسلام والعربية من شعوبيين، ومستعمرين ومبشرين مغرضين، وتلامذتهم، وصنعائهم الذين تتجاوز مكابرتهم كل منطق، فيتجاهلون، ويكابرون حتى فيما سجلته الآثار المصرية القديمة من محاولات التسلل العربي إلى مصر من شمالها وجنوبها، ومن نجاح كثير من هذه المحاولات، على شكل واسع حينا وضيق حينا آخر [٤].

**الدافع الثالث:** إنكارهم للسيل العربى الفصيح الذى أخذ يتدفق على مصر منذ الفتح الإسلامى إلى الآن [٥]، عن طريق الجنوب حينا والشمال حينا آخر، دون انقطاع ويغمر مدنها وقراها وصحاريها، والذى تفوق أعداده سكان مصر قبل الإسلام أضعافا مضاعفة، والذى يتمثل فى كل ناحية من أنحاء مصر، وفى كل مظهر من مظاهر حياتها وتقاليدها، ولغتها تمثلا شاملا قويا.

**الدافع الرابع:** محاولة فصل تاريخ مصر عن تاريخ العرب ليوقروا فى أذهان المصريين وهن الصلة بينهم وبين العروبة، وجعلوهم يعتبرون العرب الذين جاءوا هذه المرة تحت راية الإسلام غزاة كسائر الغزاة الذين طرأوا على مصر، ووطدوا حكمهم فيها بالقوة العسكرية وحسب [٦].

وفى هذا رد على صاحب كتاب: «مستقبل الثقافة فى مصر» الذى يقول:

«إن العقل المصرى منذ عصوره الأولى، عقل إن تأثر بشىء فإنما يتأثر بالبحر الأبيض المتوسط، وأن تبادل المنافع على اختلافها فإنما يتبادلها مع شعوب البحر الأبيض المتوسط» [٧].

أى أنه يريد أن يقول: إن العقلية المصرية عقلية أوربية، أو قريبة قربا شديدا من الأوربية،

---

(١) نقلا عن الوحدة العربية صـ٣٧.
(٢) لعلى مبارك.
(٣) راجع الوحدة العربية ص ٣٧.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) إلى وقت زمن المؤلف. راجع الوحدة العربية ص ٣٧.
(٦) المصدر نفسه بتصرف ص ٣٧.
(٧) الدكتور طه حسين جـ٢ ص ٦ - ١٠، ١١.

ولها اتصال وثيق بالعقلية اليونانية، وبعيدة كل البعد عن العقلية الشرقية، وهى منذ قديم الزمان ـ منذ العهد الفرعونى ـ لم تتأثر بالطارىء عليها فى أى عصر.فلم تتغير بالفرس، ولا بالرومان، ولا بالعرب، أو الإسلام [١].

فهل حقا أن مصر لم تتأثر بالعقلية الشرقية، عقلية الفاتحين المسلمين؟ إن قلنا إن مصر لم تتأثر بالفرس، ولا بالرومان، فهذا هو الصحيح، بدليل أنها لم تتكلم لغتهم ولم تتمذهب بمذهبهم، لكن القول بعدم تأثرها بالعربية لغة الإسلام والمسلمين، فهذا طمس للحقيقة، التى تقول:إن المصريين اعتنقوا الإسلام، وتكلموا العربية، وتركوا لغتهم القبطية، حتى ظهر منهم علماء ومفكرين كبار فى اللغة، ومنهم من الأقباط أنفسهم، والدكتور طه حسين كان مصريا وعميدا للأدب العربى (وليس الرومانى أو الإنجليزى) كما أنه مسلم ومن أسرة مسلمة.

## هل العربية بالنسب؟

علمنا الإسلام أن كل من نطق العربية فهو عربى، وبما أن المصريين يتكلمون العربية فهم عرب بنص الحديث، وكونهم عرب أنهم متأثرون بآداب العرب والمسلمين.

اخرج ابن عساكر فى تاريخه عند ترجمة سلمان الفارسى ﷺ وأسند إلى الإمام مالك عن الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال:جاء قيس بن مطاطية إلى حلقة فيها:سلمان الفارسى، وصهيب الرومى، وبلال الحبشى فقال:هذا الأوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل فمابال هذا؟

فقام إليه معاذ بن جبل فأخذ بتلابيبه، ثم أتى النبى ﷺ فأخبره بمقالته فقام ﷺ قائما يجر رداءه حتى أتى المسجد ثم نودى:إن الصلاة جامعة، وقال:«أيها الناس إن الرب واحد، والأب واحد، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، وإنما هى باللسان، فمن تكلم بالعربية فهو عربى»، فقام معاذ بن جبل وهو آخذ بتلبيبه قال:فما تأمرنا بهذا المنافق يا رسول الله؟ قال:«دعه إلى النار» فكان قيس ممن ارتد فى الردة فقتل [٢].

ولما كان المصريون يتكلمون العربية، فهم بنص الحديث عرب.

---

(١) الدكتور محمد البهى:الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص ١٨٠ .

(٢) ابن عساكر:هو الإمام الحافظ المؤرخ تقى الدين أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله الشافعى المعروف بابن عساكر، وقد خرج الحديث فى تاريخه جـ٦ من المختصر ص ٢٠٠،طـ دار المسيرة بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

**فرق بين فتح وفتح:**

كان فتح المسلمين لمصر فاتحة خير وبركة، فتحوا قلوبهم على معرفة الله وهداه، دخلوا أرض الكنانة فلم يخربوا لها عامرا، ولم يدمروا لها بنيانا، خلصوها من عبودية الروم، وعنجهية الفرس، ووضعوها على قدم المساواة مع الفاتحين، احترموا مذهبها، وعقيدتها، ولم يثيروا في وجهها جدالا، ولا نقاشا، وهذا مالم يحدث في مصر من قبل، فاطمأن المصريون لهم، واعتنقوا دينهم وتعلموا لغتهم، حتى شجعوا المسلمين على نشر العربية لغة الإسلام والمسلمين، حقا لقد فتح المسلمون مصر، فأعطوها دينهم، وهو أعز ما في الوجود، ولغتهم، وهي سر قوتهم وعظمتهم [(١)].

**الدافع الخامس:** محاربة الحاقدين لمظاهر العروبة في مصر، فحاولوا أن يجعلوا النعرة الفرعونية أصلا في الحياة المصرية بزعم أنها تطغى مع الزمن على النعرة العربية الإسلامية، ودعوة إلى نبذ اللغة الفصحى والاكتفاء بالعامية [(٢)]. ذهابا منهم إلى أنها سوف تتطور حتى تبتعد عن أهلها، وتغدو لغة خاصة فتنقطع الصلة بين مصر والعروبة بزعمهم [(٣)].

وهذا من أخطر ما تجابهه الدعوة في مصر، حيث محاولة التغريب قائمة، وضعف اللغة العربية في المؤسسات، ودور التعليم على اختلافها يزداد شيئا فشيئا، ومع استمرار ضعف اللغة سيظهر حتما جيل لا يؤهله مستواه اللغوي إلى فهم دعوة الإسلام، ومن ثم إلى عدم فهم كتاب الله العزيز، وتهاون بعض المسلمين في هذا المجال حسابه على الله وحده.

**المبحث الثالث: من أسباب اعتناق المصريين دين الوافدين:**

**السبب الأول:** حار كثير من المفكرين والباحثين في سبب اندفاع المصريين إلى اعتناق الإسلام وقبول دعوته في الوقت الذي وجدوا فيه:

«اليونانيين، ثم الرومانيين من بعدهم ظلوا أصحاب السلطان في بلاد الشام ومصر نحو ألف عام (٣٣٠ق.م ـ ٦٤٠) بعد الميلاد، وكانوا أصحاب سلطان نافذ، وأصحاب ثقافة وحضارة وعلم» [(٤)] وأن جماعة كبيرة منهم قد استوطنوا البلاد. ونشروا لغتهم، وثقافتهم فيها، ثم جمعهم دين واحد نحو أربعة قرون أي من سنة (٣٠٠ق م ـ ٦٤٠)، وكانت الطقوس تقام في ظروف كثيرة بلغتهم، والكتب المقدسة تكتب بها.

فلم يكن كل هذا يجعلهم مستطيعين أن يبدلوا شيئا مهما من روح سكان البلاد

---

(١) راجع لمحمد عزة دورزة: الوحدة العربية ص ٣٨ بتصرف، وجورجي زيدان: تاريخ العرب قبل الإسلام جـ١ ص ٣١ .

(٢) نادى بذلك سلامة موسى. راجع لمحمد جلال كشك: الغزو الفكري ص ١٣٠ وما يليها ط. المختار الإسلامي ط. الرابعة ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م .

(٣) الوحدة العربية ص ٣٧، ٣٨ .

(٤) المصدر نفسه.

وعاداتهم وتقاليدهم ولغتهم»[١].

**السبب الثاني:** «أن أنسال الموجات العربية، والقديمة غير الصريحة لم يلبثوا أن أخذوا ينسكبون فى بوتقة العروبة الصريحة حتى غدت هذه العروبة طابعهم الشامل بعد بضعة أجيال من قدوم موجة الفتح الكبرى، والذين كانوا فى الشام قد أخذوا ينسكبون فى هذه البوتقة قبل الإسلام حينما أخذت الموجات العربية الصريحة تنساح إليها، مما فيه الدليل الحاسم على وحدة السلالة والمقومات واللغة»[٢].

**السبب الثالث:** أيهما أقرب إلى المصريين، أبناء إسماعيل ـ عليه السلام ـ أم أبناء روما؟ «فالعرب أبناء إسماعيل، وهاجر أقرب من الروم إلى أبناء مصر بالنسب الذى تحفظه الكتب الدينية، وقرابة الأمومة والسلالة، ومثل هذه القرابة لم تكن من المهملات فى ذلك العصر، ولا فى العصور التى لحقت به إلى عهد غير بعيد من عصرنا الحاضر»[٣].

**السبب الرابع:** كان من مقدمات الفتح الإسلامى، تبادل الرسائل بين رسول الله ﷺ وبين المقوقس[٤]، ومحادثة حاطب، مع المقوقس، وخطاب المقوقس وهديته إلى رسول الله ﷺ.

ومثل هذه الأخبار يوجبها فهم التاريخ، كما حدث، ولا ترفضها إلا الحذلقة التى تداخل المؤرخ العصرى فيحسب مثلا أن المقوقس يعيش فى هذا القرن العشرين، ويتلقى دعوة النبوة كما يتلقاها أبناؤه، فلا ينظر فى امتحانها بما كانت تمتحن به النبوات فى القرون الأولى للميلاد، وإنما الخليق بالتحقيق التاريخى أن يوقن المؤرخ من حصول شىء كالذى نقله رواة السير، والأخبار عن تصرف حاطب...وتصرف المقوقس فى جوابه وهديته، فما كان المقوقس ليتلقى رسالة النبى ﷺ، أو ليجيب عنها إلا على ذلك النحو... أما المسلمون، فقد جاءوا مصر، ومنهم من سمع أحاديث الرسول ﷺ ووعاها وهو يوصى فيها بأهل مصر خيرا[٥].

**السبب الخامس:** كذلك كان من أسباب اعتناق المصريين للإسلام.ما كتبه يوحنا النخيوى المشهور فى تاريخه من «أن المسيحيين الملكيين أسرعوا إلى الدخول فى الإسلام لأنهم كرهوا أن يثوبوا فى أحكامهم، ومعاملات زواجهم، وطلاقهم إلى الكنيسة التى يعادونها وتعاديهم»[٦].

كما أن الطائفة المارونية هجرت أرضها جملة واحدة، وانتقلت إلى جبال لبنان كراهة الخضوع لليعقوبيين فى مصر ولعلها لو اضطرت إلى البقاء حيث كانت لدانت بالإسلام[١]،

(١) المصدر نفسه. (٢) المصدر نفسه.
(٣) عباس محمود العقاد:عمرو بن العاص ص ١٤١ . (٤) كما سبق توضيحه فى فصل عموم الدعوة.
(٥) عمرو بن العاص ص ١٤٣ بتصرف. (٦) نقلا عن عمرو بن العاص ص١٤٥ .

ومن ثم فإن الذين فهموا المسلمين فهما حقيقيا بعد انتصارهم على الفرس والروم، علموا أن هذا النصر آية آلهية، وبرهان من السماء على صحة الدين وسلامة الدعوة [٢].

**السبب السادس:** هجرات القبائل الإسلامية إلى الريف واختلاطها بأهله، مما نتج عنه عمليات المصاهرة والتقارب وشرح دعوة الإسلام، ولم تكن الهجرات مقصورة على مصر، فإن المسلمين لما فتحوا البلاد كانوا يتقدمون القبائل لمعاونتهم، وسد العجز الناجم عن الحروب، ومن ثم لم تكن مصر وحدها مقصد الهجرات، وإنما شملت أيضا بلاد المغرب، وهم البربر إذ«من الحقائق التاريخية أن هذه البلاد كانت مهجر موجة عربية الجنس وهى الموجة الكنعانية الفينيقية، التى كانت تطرأ على سواحل بلاد الشام حيث تمرست بالملاحة والتجارة، وكان البحر الأبيض المتوسط مجال نشاطها..ثم تكاثفت فى القرن العاشر (ق.م) وبعده، جماعات فى إقليم تونس بنوع خاص حيث ينطوى فى هذا حقيقة تسرب الأنسال، والدماء العربية إلى هذه الأقاليم قبل الإسلام بقرون عديدة، ثم غدت عرضة لانسياح الموجات العربية الصريحة فى عهد مبكر من ظروف الفتح الإسلامى، حيث سير عمرو بن العاص فاتح مصر، حال ما انتهى من توطيد السلطان العربى فى مصر، حملة عربية نحو ليبية، ثم حذا حذوه عبد الله بن سعد الذى عين مكانه فى زمن عثمان بن عفان فسير حملة عربية نحو تونس، ثم أخذت الحملات أو بالأحرى الموجات العربية تتابع نحو بلاد المغرب فى عهد الأمويين» [٣].

حتى أتمت توطيد حكم الإسلام فى جميع أنحائها قبل انتهاء القرن الهجرى الأول ثم قفزت منها إلى الأندلس، فوطدت فيها هذا السلطان.ولم تنقطع الموجات العربية عن الانسياح فى بقية عهد الدولة الأموية، ثم العباسية، فالفاطمية حيث ظلت تتلاحق وتملأ جنبات بلاد المغرب حتى غدا طابع العروبة بارزا عليها، وحتى صارت العروبة غالبة على البربر [٤].

**السابع من الأسباب:**

سرعة ظهور العروبة في بلاد المغرب، والعراق، والشام، ومصر، واندماج أهلها معها، دليل على الأصل الجنسي العربي لسكان هذه البلاد، وهكذا تكون وحدة الجنسية متوفرة بقوة وشمول في الوطن العربي...منذ أقدم أزمنة التاريخ، وإلى الآن، وقد غدت العروبة الصريحة طابعه الخالد منذ الفتح الإسلامى بنوع خاص بفضل الإسلام العربى [٥].

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ [١].والقرآن العربى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾[٢].

---

(١) انظر المصدر نفسه.
(٢) المصدر نفسه
(٣) محمد عزة دورزة:الوحدة العربية ص ٤٠ .
(٤) انظر المصدر السابق ص ٤٠ .
(٥) المصدر السابق ص ٤٣ .

وهذا سر من أسرار تحول المصريين إلى الإسلام.

**السبب الثامن:** عجز ديانة كالديانة المسيحية، وعدم صلاحيتها للبقاء أكثر من أن تكون راجعة إلى الجهود التى قام بها الفاتحون لجذب الأهلين إلى الإسلام.وأن الأساس اللاهوتى لبقاء اليعقوبيين حزبا منفصلا، والشعائر التى جاهدوا فى سبيل الاحتفاظ بها وقتا طويلا ودفعوا ثمنها غاليا قد اجتمعت فى عقائد كانت صيغتها أشد ما تكون غموضا وإبهاما من الناحية الميتافيزيقية، ولا شك أن كثيرا منهم قد تحول إلى الإسلام، بسبب ما استولى على نفوسهم من حيرة، وضجر وإعياء من ذلك الجدل السقيم الذى احتدم بينهم فرأوا فى الإسلام عقيدة تتلخص فى وحدانية الله البسيطة الواضحة، ورسالة نبيه محمد ﷺ، فازداد عدد الذين دخلوا فى الإسلام [٣].

**السبب التاسع:** من أسباب اعتناق المصريين دين الفاتحين:

إن المسلمين لم يحاولوا إرغام الطوائف المسيحية على قبول الإسلام، أو يقوموا باضطهاد منظم يقصد منه استئصال الدين المسيحى، «ولو اختار الخلفاء تنفيذ إحدى الخطتين لاكتسحوا المسيحية بتلك السهولة التى أقصى بها فرديناند، وايزبلا دين الإسلام من أسبانيا، أو التى جعل بها لويس الرابع عشر المذهب البروتستنتى مذهبا يعاقب عليه متبعوه فى فرنسا.أو بتلك السهولة التى ظل بها اليهود مبعدين عن انجلترا مدة خمسين وثلثمائة سنة»[٤] ولو خُلى بين المسيحيين اليوم، وبين الإسلام، لكانت النتائج مذهلة لصالحه.

## المبحث الرابع: الفرق بين العروبة الصريحة وغير الصريحة:

سبقت الإشارة عن التعبير بالعروبة الصريحة، وغير الصريحة فما مدلول هذا التعبير؟

إن الجنس العربى الذى تكون، واستقر فى جزيرة العرب التى انساحت منها الموجات المتتالية إلى الأقطار المجاورة قد مر بدورين:

**الدور الأول:** هو الذى لم يكن بعد قد عرف فيه باسم «العرب» ولم تكن اللغة العربية الفصحى التى يمثلها القرآن، أو التى كانت فى سبيل التطور نحوها، لغة لهم فيه [٥].

**الدور الثاني والأخير:** هو الذى عرف فيه بهذا الاسم وغدا له علما جنسا، وغدت

---

(١) سورة الرعد:آية ٣٧ .    (٢) سورة طه:آية ١١٣ .

(٣) انظر:توماس أرنولد:الدعوة إلى الإسلام ص ٨٩، ص١٢٥، ١٢٦ طـ الثالثة ١٩٧٠، وعروبة مصر قبل الإسلام وبعده ص ٩٧ .

(٤) أرنولد:الدعوة إلى الإسلام ص ٩٨ .    (٥) محمد عزة دورزة:الوحدة العربية ص ٤٧ بتصرف .

اللغة العربية الفصحى، أو التى كانت بسبيل التطور نحوها لغة له.

**يمثل الدور الأول:** الموجات الأولى التى انساحت من جزيرة العرب إلى وادى النيل، أو أثيوبيا، وبلاد الشام، والعراق، وعمرتها، ومن ثم كان سكان جزيرة العرب القدماء هم أهل هذا الدور.

**الدور الثاني والأخير:** يمثله القبائل، والدول العربية التى كانت تعيش فى جزيرة العرب وأطرافها ثم فى بلاد العراق والشام قبل بضعة قرون، ومن ثم جاء بعدهم مطبوعا بالطابع العربى الصريح [١].

ومن الأدلة المادية على صدق ما سبق عن سرعة ظهور العروبة فى مصر، والمغرب، والعراق والشام..الخ ما يلى: -

١ - **النقوش القديمة التي وجدت:** «فى جنوب جزيرة العرب فى بلاد الشام والعراق تدل دلالة قوية على أن هذه القبائل، والدول العربية كانت تعرف قبل الإسلام بقرون عديدة باسم العرب. وعلى أن اللغة التى كانوا يتكلمون بها لغة عربية فى طريق التطور نحو اللغة الفصحى التى بلغت أوج تطورها قبل البعثة النبوية بنحو قرن أو أكثر قليلا» [٢].

وإذا لم يكن من السهل تحديد الوقت الذى أصبح اسم العرب فيه علما على الجنس العربى كافة، فى دور عروبته الصريحة، فإن المتبادر أن هذا يجب أن يكون قد توطد قبل البعثة النبوية بزمن غير قصير.

فقد استعمل فى القرآن تعبير «أعجمى» لغير اللسان العربى، ولغير الإنسان العربى [٣].

كما ورد فى الآيات التالية:

أ - ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ [٤].

ب - ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ * فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾ [٥].

جـ - ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾ [٦].

والجدير بالملاحظة هنا أن هذه الآيات الكريمة التعبير فيها على إطلاقه.

«والإطلاق يفيد الشمول، بحيث يمكن أن يقال إن اسم عربى كان يطلق على كل

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) الوحدة العربية ص ٤٨ .
(٣) انظر المصدر نفسه.
(٤) سورة النحل :آية ١٠٣ .
(٥) سورة الشعراء:آية ١٩٨، ١٩٩ .
(٦) سورة فصلت :آية:٤٤ .

عربى فى الجزيرة وخارجها فى عصر النبى ﷺ، وأن العربية كانت لغة كل عربى فى الجزيرة وخارجها كذلك، وأن اسم كل ماعداها عند العرب أعجميا، لأن الأمر لو كان غير ذلك لما كان هذا الإطلاق بتقسيم البشر إلى قسمين:

عربى، وأعجمى، وتقسيم لغات البشر إلى قسمين: عربى وأعجمى.

والمتبادر أن هذا أو ذاك كانا مفهومين مستقرين فى الأذهان قبل نزول القرآن بمدة غير قصيرة قبل البعثة، لأن الشمول والشيوع لابد أن يكونا نتيجة تطور، وعوامل متنوعة، مما يقتضى له الزمن المديد الذى يجب أن يكون قرونا عديدة وخاصة فى مثل حالة العرب فى ذلك الوقت»[١].

ويحق القول على «الذين هم فى مختلف أنحاء جزيرة العرب، أم فى مختلف أنحاء مهاجرهم الأخرى حيث كانوا يعيشون فى أبعاد شاسعة، وكثير من الذين فى الجزيرة، وأطرافها، أو أكثرهم كانوا يعيشون عيشة البداوة، والجهالة معا.

وقدر بعض الباحثين هذه المدة بثلاثة قرون غير أن الذى نراه لو سلمنا جدلا بهذا التقدير أنه لا يعنى أن اسم العرب لم يطلق على فريق من العرب قبل هذه القرون الثلاثة بطبيعة الحال.

ففى النقوش الآشورية [٢]، وفى نصوص العهد القديم ما يدل دلالة حاسمة على أن اسم العرب كان يطلق على سكان أطراف الجزيرة العربية منذ القرن التاسع قبل الميلاد [٣]....

**انسياح القبائل منذ القدم في مصر:**

كذلك أثبتت النقوش المصرية والآشورية والبابلية، وأسفار العهد القديم وكتب اليونان والرومان القدماء، ومما تواصلت أحداثه الجديدة فيما عرف يقينا من انسياح القبائل العربية من جزيرة العرب فى دور العروبة الصريحة قبل الإسلام إلى العراق، وبلاد الشام، وأطراف مصر وأثيوبية، ثم انسياح القبائل التى جاءت تحت راية الإسلام، وأخذت تنتشر كذلك فى بلاد الشام والعراق ووداى النيل وشمال أفريقية، ثم انسياح القبائل التى ظلت تأتى موجة بعد موجة

---

(١) محمد عزة دروزة: الوحدة العربية: ٤٨

(٢) راجع نصوص هذه النقوش فى كتب تاريخ كلدا وآشور لادى شير ، ولجميل المدور: تاريخ بابل وآشور، ود/ جواد على: تاريخ العرب قبل الإسلام.

(٣) راجع للأبراشى ورفاقه الأساس فى اللغات السامية ، ود/ جواد على: تاريخ العرب قبل الإسلام، وجرجى زيدان: تاريخ العرب قبل الإسلام جـ١ ص ٣٢ وما بعدها، ولجمس هنرى بريستد: تاريخ مصر من أقدم العصور ، ولأحمد كمال: العقد الثمين ص ١٣٤، ولمحمد عزة دروزة: الوحدة العربية ص ٤٨، ٤٩ .

من جزيرة العرب بعد موجة الفتح وتنتشر فى أنحاء هذه البلاد، ثم من الصورة الحية الماثلة اليوم بالقبائل الغادية الرائحة، والمستقرة التى تملأ جنبات هذه البلاد منها من يمت إلى القبائل القديمة، ومنها من جاء قبل قرن، أو قرون قليلة [١].

**المقصود بالجنس العربي:**

هو المجموعة البشرية التى عاشت داخل جزيرة العرب منذ أقدم العصور التاريخية المعروفة، وتشاركت فى اللغة، والأفكار والتقاليد حتى صارت كذلك جنسا واحدا فلما أخذ ينساح من هذه المجموعة موجات إلى المناطق المجاورة للجزيرة كان هذا التشارك قد تم بينها ثم ظل قائما[٢].

**المبحث الخامس: سبب انسياح القبائل العربية قبل الإسلام وأثرها في وادي النيل:-**

بالإضافة إلى ما سبق بيانه من أسباب انسياح العرب على موجات إلى مصر وغيرها، فإن هناك أيضا:-

«العوامل الطبيعية، والاجتماعية مثل الجفاف، وشح الماء والقحط، وقلة الكلأ والمنازعات القبلية منذ الأحقاب السحيقة فى القدم فتحفّز جماعات من سكانها إلى الانسياح إلى الأقطار المجاورة جنوبا، وشمالا، قبل بروز العروبة الصريحة، ثم ظلت هذه العوامل التى هى ظاهرة طبيعية، واجتماعية من ظواهر الجزيرة تعمل عملها دورا بعد دور، بعد بروز العروبة الصريحة قبل الإسلام وبعده وما تزال، فيكون فى هذا التلاحق المتواصل المتحد فى طبيعته وحوافزه، ومجراه الدليل على وحدة الأصل والجنس والمنشأ بين سكان الجزيرة والأقطار المجاورة لها، ويكون فيه وسيلة مستمرة إلى توثيق الصلات، والروابط والوحدة بين القلب والأطراف وتجديد دم الجنسية العربية وحيويتها وطابعها مما لا يكاد يكون له مثيل فى الدنيا» [٣].

---

(١) انظر د/ جواد على: تاريخ العرب قبل الإسلام جـ١ ص ١٤٨ وما بعدها، جـ٢ ص ٢٨٧ وما بعدها، وجـ٣ ص ٥ ـ ٥٢، ٧١ ـ ١٢٩، ٢١١، ٢٥٢، ٢٧٤، ٤٢٣، جـ٥ ص ٥ ـ ٣٧٩، جـ١ ص ٣١ ـ ٣٦ وللأبراشى ورفاقه: الأساس فى اللغات السامية ص ١٥ وما بعدها، وجرجى زيدان: تاريخ العرب قبل الإسلام جـ١ ص ٣١ ـ ٣٦ .

(٢) عروبة مصر قبل الإسلام وبعده ص ١١ .

(٣) محمد عزة دروزة: الوحدة العربية ص ٣٠ .

**عمارة وادي النيل بالقبائل:**

كان من شأن وادى النيل الممتد من سواحل البحر الأحمر، وبحر الهند شرقا إلى صحراء السودان الغربى غربا، ومن شبه جزيرة سيناء والبحر الأبيض شمالا، إلى منطقة خط الاستواء جنوبا، حيث أخذت هذه المناطق الواسعة تعمر بالموجات، التى كانت تنساح إليها من جزيرة العرب عن طريق سيناء، وبرزخ السويس تارة، وعن طريق باب المندب تارة مستمرة متلاحقة حتى إذا جاءت موجة الفتح الإسلامى الكبرى أخذت انسال الموجات الأولى تنسكب فى بوتقة العروبة الصريحة التى كانت طابع هذه الموجة، فلم يمض بضعة أجيال حتى تكامل الانصهار، وغدت العروبة طابع هذه البلاد الخالد أيضا (١).

ومن ثم أصبح وادى النيل يعج بالقبائل العربية الصريحة العروبة بأسمائها وأصولها، والتى بلغ عددها أكثر من مليون فى مصر..عدا الملايين العديدة التى اندمجت فى حياة القرى والمدن فى وادى النيل، والتى تحتفظ بعاداتها، وتقاليدها، وأحسابها العشائرية (٢).

**لكن من أين نشأ الفراغ بين مصر والعروبة؟**

إذا كان التاريخ القديم لا يمدنا بأسماء معينة للموجات العربية الكبرى التى انساحت إلى وادى النيل قبل الإسلام كما بالنسبة للعراق والشام مثلا فإنه بذلك أوجد فى الأذهان فراغا بالنسبة لصلة مصر بالعروبة وجزيرة العرب منذ الأزمنة القديمة (٣).

فإن هذا يرجع إلى طبيعة التسجيل التاريخى المصرى الذى نحا نحو تعداد الأسر والدول، وليس من شأنه أن ينقض ما «نقرره من كون معظم سكان مصر الأقدمين، وخاصة الذين أنشأوا ممالكها وحضارتها المعروفة تاريخيا من الجنس العربى كسكان العراق والشام، لأن ذلك مؤيدا بالوقائع المستمرة المتلاحقة التى لم تنقطع حتى غدت حقائق تاريخية.

على أن كثيرا من الباحثين يقررون...أن معظم سكان وادي النيل هم موجات جاءت من جزيرة العرب وكان أكثرها ينساح من الجنوب حيث ينزل فى سواحل أثيوبيا فينتشر ويستقر بعضها فى مختلف أنحائها ويتجه بعضها إلى الشرق والشمال....ويطرق منها جماعات أرض مصر فتنتشر وتستقر فيها» (٤).

والدليل المادى بالإضافة على ما سبق ـ على قدم العروبة فى مصر ـ ما سجلته:«النقوش المصرية التى ترجع إلى أربعين قرنا قبل الميلاد، فيما بعد:قيام ملوك مصر بحملات تأديبية

---

(١) انظر المصدر السابق ص ٣٢ .
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المرجع السابق ص ٢٣ .
(٤) المصدر نفسه.

عديدة على حدود الدلتا الشرقية فى الشمال، وحدود النوبة والسودان فى الجنوب لرد عدوان القبائل التى لم تفتأ تنساح إلى مصر من الجهتين، واهتمامهم لتحصين حدودها فى سبيل ذلك كما سجلت تسرب قبائل عديدة من الجهتين قبل الشاسو (أى الهكسوس) واستقرارها فى الإقليم المصرى واستعانة ملوك مصر بها فى حروبهم مما فيه الدلالة الحاسمة على عملية الانسياح من جزيرة العرب إلى وادى النيل منذ الأزمنة القديمة» [١].

ولقد كان انسياح موجة الشاسو أو الهكسوس التى طرأت على مصر من طريق برزخ السويس والتى لا يكاد يختلف أحد فى أصلها العربى حسب الاصطلاح الأصح، واستيلاؤها عليها، وإقامتها فيها كيانا وسلطانا امتدا مئات السنين وتسرب جماعات عديدة من أرومتها إلى مصر وغلبة لغتها وطابعها عليها، وقيام معظم أسر الدولة الأخيرة منها خلال خمسة عشر قرنا أى من نحو (سنة ٢٠٠٠ إلى ٥٠٠ ق .م).على ما قرره المؤرخون والأثريون الذين منهم:

جمس برستيد فى كتابه:تاريخ مصر من أقدم العصور .

وأحمد كمال الأثرى المشهور فى كتابه:«العقد الثمين» .

وشاروييم فى كتابه:الكافى فى تاريخ مصر .وجورجى زيدان [٢].

وغيرهم دليلا حيا من الأدلة على ما كان يجرى قبلها من تسرب الموجات العربية إلى مصر من طريق الشمال من نحو، ومن الجنوب من نحو آخر [٣].

**من الأدلة المادية أيضا:**

أنه «...إذا كانت السحنة المصرية، والمفردات اللغوية المصرية القديمة جعلت الباحثين يرجحون انسياح عناصر أفريقية سوداء إلى وادى النيل منذ الأزمنة القديمة، فإنهم يقررون فى الوقت نفسه أن سحنة الملوك، والكهان والأمراء، والحكام، والطبقات الرفيعة، والطبقات الصناعية التى اكتشفت مومياؤهم، وصورهم وتماثيلهم فى مختلف أنحاء وادى النيل تمت إلى الجنس الأبيض ومنهم من يقرر صراحة أنها تمت إلى الجنس السامى ـ العربى » [٤].

ويؤيد الباحثون تقريراتهم هذه بمقارنة لغوية وفيريولوجية وتاريخية [٥]. ولقد جاء فى

---

(١) الوحدة العربية ص ٣٢ .
(٢) فى كتابه:تاريخ العرب قبل الإسلام جـ١ ص ٥٢ .
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه.

كتاب «الأثر الجليل لسكان وادى النيل» (١) .قوله:

«ومن تأمل فى التماثيل القديمة المصرية المحفوظة بدار المتحف علم يقينا أن هذه الأمة من الجنس الأبيض الأسيوى، وأن كثيرا من لغتهم تشابه اللغة العبرانية والآرامية» (٢).

**وخلاصة القول:أن أصل المصريين من الجنس السامي أتوا إلى هذا الوادي** من برزخ السويس (٣).

**وفي كتاب:تاريخ السودان العام** (٤).

«إن المصريين والسودانيين جاءوا من بلاد العرب عن طريق الصومال» .كما جاء فيه:«إن المصريين لم ينسوا فى وقت من الأوقات بلاد السودان التى كانت طريقهم إلى مصر من بلاد العرب الجنوبية التى ظلت معمورة بأقوام من جنسهم المتحد معهم فى العادات واللغة والقوانين، وكل ما هنالك أنه طرأ على مصر عناصر زنجية امتزجت بالقادمين من تلك البلاد فاكتسبوا سحنتهم من امتزاجهم بها» (٥).

كما ورد...«أن أرجح الآراء أن مؤسس حضارة مصر الأولى التى يرجع إلى ما قبل الأسرة الملكية قوم لوبيو الأصل غير أن حضارتهم ليست هى أساس مدنية المصريين الذين تكونت منهم الأسر المختلفة، والذين وصلوا بمصر إلى أعظم درجات الرقى وقد ثبت أن هؤلاء الأقوام ساميون قدموا إلى مصر من آسيا، ولا يعلم يقينا من أين دخلوا» (٦).

**وهناك رأي هام يقول**:إنهم دخلوا من برزخ السويس، وهناك من يقول:إنهم جاءوا عن طريق الجنوب، وعلى كل حال فالمعلوم يقينا أن الذى نشأ منهم (مينا) أول ملوك الأسرة الأولى للمملكة المصرية القديمة كانوا قبل ظهوره يقطنون الجهة الجنوبية من مصر، وأن مما يدل على أن أجدادهم من الساميين أن أقدم ما وصل من لغتهم يغلب فيه العنصر السامى (٧).

ويستدل على ذلك أحد مشاهير علماء الآثار المصرية والتاريخ المصرى:

فيقول:«إن جماعات من الليبيين، والجالا، والبجا كانوا يطرأون على مصر منذ أقدم الأزمنة، وأن المعروف إلى هذا أن أقواما ساميين من عرب آسيا طرأوا على وادى النيل، وعمموا

---

(١) لأحمد نجيب العالم الأثرى.
(٢) نقلا عن الوحدة العربية ص ٣٤ .
(٣) نقلا عن المصدر نفسه.
(٤) للدكتور حسن كمال.
(٥) نقلا عن الوحدة العربية ص ٣٥ .
(٦) تاريخ مصر قبل الفتح العثمانى:للإسكندرى وسفيدج نقلا عن الوحدة العربية ص ٣٥ .
(٧) نقلا عن نفس المصدر.

لغتهم فيه وصبغوه بصبغتهم، كما هو ظاهر من النقوش المصرية القديمة، وأن لغتهم حافظت على ساميتها مع مرور الزمن بالرغم مما طرأ عليها من تغيير وتحريف باختلاط السكان. وأن تاريخ الهجرات السامية الأولى يرجع بلا مراء إلى ما قبل العصور التاريخية المعروفة، وأن من الثابت أن هذه الهجرات تكررت مرارا فى العصور التالية، وأنه إذا كان من الصعب معرفة الطريق التى سلكوها فالأقرب للذهن أن يكونوا أتوا من برزخ السويس، كما فعل العرب فى بداية الإسلام»[١].

وفى بحث عن سكان مصر دلل فيه صاحبه [٢] على بروز مميزات العنصر السامى فى سحن وصور، ومحنطات ملوك مصر منذ أقدم أزمنة التاريخ المصرى... وأن الذين طرأوا على مصر من شمالها الشرقى، ومن جنوبها الشرقى، أضاف إلى الدم المصرى مزيجا من عناصر سامية، وأفريقية، وأوربية من سكان شواطىء البحر الأبيض [٣].

كما ذكر (ويجيل) فى كتابه [٤]:

«إن الساميين هم أصل سكان مصر، وأنه كان منهم قبل الأسرة الأولى من الدولة الأولى ستون ملكا، واستمر حكمهم أكثر من ألف عام».

يؤيد هذا الرأى ما قاله جوستاف جيكى: من أن: «سكان مصر القدماء جاءوا إليها من جزيرة العرب قبل ستة آلاف سنة وأن الأسر الفرعونية الأولي من هؤلاء القادمين» [٥].

والخلاصة ما أجمع عليه لفيف من العلماء حيث قالوا:

«إن معظم علماء تاريخ مصر يقررون أن المصريين القدماء قد جاءوا من آسيا الغربية، ومنهم من جاء عن طريق باب المندب من الجنوب، ومنهم من جاء عن طريق برزخ السويس من الشمال، وأن بين لغتهم، واللغات السامية فى مفرداتها، وصرفها ونحوها مشابهة كبيرة»[٦].

---

(١) هنرى برستيد فى كتابه تاريخ مصر من أقدم العصور ترجمة الدكتور حسن كمال، وراجع الوحدة العربية ص ٣٥.
(٢) هو جبرائيل هانونو: تاريخ الجنسية المصرية: نقلا عن الوحدة العربية ص ٣٥، ٣٦.
(٣) نقلا عن الوحدة العربية ص ٣٦.
(٤) تاريخ مصر القديمة.
(٥) فى كتابه: تاريخ المدنية المصرية نقلا عن الوحدة العربية ص ٣٦، وقال مثل هذه المقالة كل من: هنرى بروخ الألمانى، وهنرى جونسون الإنجليزى فى كتابيهما تاريخ مصر، وهذه الأقوال الثلاثة جاءت فى بحث تاريخى للبحاثة السورى منير الشريف راجع: الوحدة العربية ص ٣٦.
(٦) راجع ما جاء فى: التاريخ العام. للمؤرخ التركى أحمد رفيق جـ١ استنادا إلى تاريخ مصر القديم: لاداورماير، ومصر وحياتها فى العصور القديمة: لأدولف إرمان، وتاريخ مصر فى حكم=

مما سبق من الحقائق التاريخية، والدلائل المادية على عروبة مصر، وعلاقتها الوطيدة بجزيرة العرب، وأنها ليست علاقة جوار فقط، وإنما علاقة جنس، وهجرة واستيطان، لأكثر رد على القائلين بعزلة مصر عن المنطقة المحيطة بها.

فمع كثرة الأدلة المتضافرة، والتي يأخذ بعضها بحجز بعض ووضوحها التام المدعم بالبراهين عن علاقة مصر الجنسية بجيرانها واتحادها معهم فى الجنس والأرومة.إلا أن هناك من ينكر هذه الحقائق المؤيدة بالدليل والبرهان مما ينكره بعض مفكرى كتاب اليوم، كما جاء فى كتاب: «شخصية مصر» [(١)] .ما يلى:ـ

«إن النظريات التى تصر على استيراد سكان مصر الأول من مصدر خارجى، أثبتت الأبحاث ـ كذا ـ الحديثة، كما يقول الدكتور جمال حمدان جموحها، وأنها بنيت على شبهات، ثم نمت التأويلات حتى سقطت بالفعل علميا، لتظل الحقيقة وحدها قائمة، وهى:

أن المصريين القدماء الأصليين يبدأون كما يقول:«مايرز» وهم جنس متجانس أساسا فى صفاته وتركيبه، وأن أى أثر لاختلاط تضاءل منذ بداية عصر الأسرات حتى ليقول «كون» لابد أن تظل مصر القديمة أبرز مثال معروف فى التاريخ حتى الآن لمنطقة معزولة طبيعيا أتيح فيها للأنواع الجنسية المحلية الأصلية أن تمضى فى طريقها لعدة آلاف من السنين دون أن تتأثر إطلاقا باتصالات أجنبية» [(٢)] .وهذا الرأى مع جموحه وغرابته كان يكفى فى الرد عليه ما سقته من أدلة وبراهين ومع ذلك فأنى اثبت هنا أدلة أخرى بالإضافة إلى ما سبقت الإشارة إليه على عروبة مصر، وتجانسها مع جيرانها، أقدم هذه الأدلة، حتى تتضاءل أمامها أدلة القائلين بعزلة مصر، وعدم تأثر سكانها بالأجناس الأخرى.

**المبحث السادس:الأدلة على عروبة مصر:**

**الدليل الأول:**

إنه منذ أحقاب قديمة لم تكن هناك سدود بين بلاد المنطقة التى تعيش فيها الأمة العربية الآن، وكانت تيارات التاريخ التى تهب عليها واحدة، كما كانت مساهمتها الإيجابية

---

=الفراعنة:لبرغن، وتاريخ الأمم القديمة، لماكس دونكروهم من علماء ومؤرخى الألمان، وراجع:لمحمد عزة دروزة:الوحدة العربية ص ٣٦ .

(١) للدكتورة نعمات أحمد فؤاد ص ٢٥١ . الهيئة المصرية العامة للكتاب:١٩٧٨ .

(٢) انظر:محمد فاوى عسر:مصر عربية ص ٩ . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

في التأثير على هذا التاريخ مشتركة (١).

**الدليل الثاني:**

إن «مصر بالذات لم تعش حياتها في عزلة عن المنطقة المحيطة بها، بل كانت دائما بالوعي وباللاوعي في بعض الأحيان، تؤثر فيما حولها وتتأثر به، كما يتفاعل الجزء مع الكل، وتلك حقيقة ثابتة تظهرها دراسة التاريخ الفرعوني صانع الحضارة المصرية والإنسانية الأولى كما تؤكدها بعد ذلك عصور السيطرة الرومانية، والإغريقية.

وكان الفتح الإسلامي ضوءا أبرز هذه الحقيقة، وأنار معالمها، ووضع لها ثوبا جديدا من الفكر والوجدان الروحي» (٢).

**الدليل الثالث:**

لما كانت بلاد العرب أهم طريق للتجارة بين مستعمرات روما في مصر والشام، وبين بلاد الهند وغيرها كفارس، لم يكن هناك بديل عن بلاد العرب، وأن تكون التجارة التي تجتاز إليها عن طريق مصر، أو عن طريق الخليج العربي عند مدخل الخليج، وكان طبيعيا أن يكون بدو شبه جزيرة العرب هم أمراء الصحراء فكانوا يرسمون طريق القوافل فيما لا يخاف خطره(٣). وكانت شبه جزيرة العرب تموج بطرق القوافل وكان منها طريقان رئيسيان:

أ ـ **طريق الشرق:** يتاخم الخليج العربي إلى قرب حدود العراق وتقتحم بادية الشام إلى فلسطين.

ب ـ **طريق الغرب:** ويتاخم البحر الأحمر.. وعن هذين الطريقين كانت تنقل مصنوعات الغرب إلى الشرق، ومتاجر الشرق إلى الغرب (٤). مما يدل على عمق الصلة بين العرب والمصريين.

**الدليل الرابع: أصل كلمة عرب ومفهومها لدى المصريين:**

من الملائم هنا معرفة أصل كلمة عرب، وكيف أصبحت رمزا لسكان المنطقة من الخليج إلى المحيط فيقول العلماء: إن العراقيين القدماء هم أول من أطلق كلمة عرب، وهي لم تكن تدل على جنس بعينه، إنما كانوا يقصدون بها تحديد اتجاه جغرافي أيا كان ساكنوا هذا

---

(١) انظر د: محمد فادي عَسر: مصر عربية صـ ٩ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بدون تاريخ.
(٢) المصدر نفسه. (٣) انظر المصدر نفسه.
(٤) انظر د/ هيكل: حياة محمد ﷺ ص٧١ طـ الثالثة.

المكان، وهى كانت عندهم بمعنى (غرب) فى اللغة السامية الأولى.وهذا ما تؤديه فى العربية الحديثة كلمة غرب كجهة من الجهات الأصلية.

ومن ثم أطلق العراقيون لفظ عرب على أهل البادية المرابطين غرب الضفة الغربية لوادى الفرات، وتدرج معنى الكلمة فى الاتساع المكانى أو المحلى، حتى أصبح يشمل جميع البادية الفاصلة، بين العراق والشام بما فيها شبه جـزيرة سيناء، ثم أضحى لفظ عربى أو عريبى فى الأصل معناه:البدو الرحل [١].

وأقدم نص ورد فيه لفظ عرب هو نص أشورى يعود إلى الملك شلمنصر ملك آشور (شمال العراق القديم) فيما بين (٨٥٩ حتى ٨٢٤ ق.م).

وبعد حوالى ثلاثة قرون على عهد بابل، ثم دارا الكبير، ثم اتسع مفهوم لفظ عرب لدى المصريين بحيث شمل كل البادية الغربية الكائنة غرب نهر الفرات، والفاصلة بين العراق والشام بما فيها شبه الجزيرة العربية [٢].

كما أن مفهوم هذه المنطقة أيضا عند قدماء المصريين أنها ممتدة من شرق النيل إلى غرب الفرات وأنها بلد واحد بما فيها العراق والشام وشبه جزيرة سيناء، وكانوا يطلقون على سكان هذه المنطقة لفظ «عامو» أو «عمورو» وقد يكون هذا اللفظ مشتقا، أو محرفا من لفظ عرب التى كانت تعطيه اللغة العبرية نفس المعنى.

ثم تقدمت مفاهيم الكلمة فى اللغة العربية، فأصبحت كلمة عربى ذات معنى عام يشمل أهل الأحقاف [٣]، والأمصار معا، وكلمة الأعراب تعني جزءا خاصا هم سكان البادية دون الحضر....

وقد أصبح هذا التعريف والتحديد يقينا متعارفا عليه، وسميت به الموجات السامية الأولى والمتلاحقة التى خرجت من جزيرة العرب، ونزلت فى العراق، والشام، ووادى النيل، وشمال أفريقية، والتى اعتبرت موجات عربية صرف [٤]، ولم يكن العرب فى الجاهلية يهتمون

---

(١) راجع لجورجى زيدان:العرب قبل الإسلام ص ٣٢ ـ ٣٦، ومصر عربية ص ١١،١٢ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٢،١٣ بتصرف. (٣) الأحقاف جمع حقف، وهو رمل مستدير مرتفع فيه إنحناء، من احقوقف الشيء إذا اعوج، وبنو عاد كانوا يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بالشحر واليمن.راجع لمحمد فريد وحمدى:المصحف المفسر ص ٦٦٩ ط الشعب ١٣٧٧ هـ.

(٤) راجع عيادى العبد عيادى:المسيحية والقومية العربية، مصر عربية ص ١٤ .

بالتدوين، أو كتابة الأحداث ـ اعتمادا على ملكة الحفظ عندهم ـ كما فعل الفراعنة، والآشوريون، والبابليون، ومن ثم لم يتمكن الوصول إلى تاريخ محدد لاستعمال العرب لهذا اللفظ،وإن وجد نصوص متفرقة مثل «أعرب ملك حضرموت» «أعرب ملك سبأ» ويقصدون بكلمة عرب:أعراب أو بدو [١].

وأصبحت جزيرة العرب مهد العروبة، وموطن العرب الأولين، وأصبح سكانها يسمون العرب والجنس العربي...وبذلك أصبحت كل الشعوب التي عاشت في شبه الجزيرة شعوبا عربية سواء كانت مستقرة في الجزيرة أو هاجرت منها [٢].

**الدليل الخامس:التجانس العربي المصري:**

مما يدل على تغلغل الجنس العربي في المصريين ما اتفق عليه كثير من المؤرخين والأثريين الثقات على أن شبه الجزيرة العربية هي الموطن الأصلي للمصريين القدماء كما مر، فيذكر العلامة جونستون:في كتاب (استعمار أفريقيا):

إن المصريين القدماء قدموا إلى وادي النيل من شبه جزيرة العرب، ثم اختلطوا بجماعات من الصوماليين والليبيين [٣]..

كما يؤكد (شوين فورت) أن المصريين القدماء قدموا في الأصل من بلاد اليمن، وحضرموت ويعلل ذلك بظواهر نباتية..كالقمح، والشعير، والكتان [٤].

وهذه بعثة أمريكية توفدها جامعة هارفارد، ومتحف بوستون لاجراء بعض البحوث الأثرية على نفقتها في التنقيب عن الآثار في مصر، فقال أحد أعضائها البارزين وهو-

الدكتور (رينر) :«إن المصريين القدماء كانوا خليطا من العرب، والليبيين» [٥].

ولا يمكن استقصاء الآراء التي كتبت في هذا الصدد لكثرتها، ويكفي أن بعض قبائل (قضاعة) مثل تنوخ وسليم، وبلي كانت تسكن شبه جزيرة سيناء، وأن ديارهم كانت تمتد حتى فرع النيل الشرقي، كما كانت بعض قبائل (كهلان) مثل:طيء وجذام، تمتد مساكنها من شبه جزيرة سيناء حتى وادي النيل [٦]..

كذلك جاء في كتاب (المدخل الشرقي لمصر) [٧]:

---

(١) مصر عربية ص ١٤ .
(٢) المصدر السابق ص ١٥ .
(٣) نقلا عن مصر عربية ص ٢٤ .
(٤) نقلا عن نفس المصدر.
(٥) المصدر السابق ص ٢٥ .
(٦) المصدر نفسه.
(٧) للدكتور عباس مصطفى عمار، ومصر عربية ص ٢٦ .

أن سكان مدينتى رفح والعريش، وبعض المدن الأخرى الواقعة شرقى النيل، كانوا من العرب المسيحيين.

**الدليل السادس:أثر العرب في تعريب المصريين:**

جاء فى كتاب:تاريخ مصر تحت حكم الفراعنة [١]:إن أطراف الدلتا الشرقية، ومنطقة المنزلة كان يغلب على سكانها العنصر العربى قبل الفتح الإسلامى، وقديما قال:استرابون بولينوس:إن نصف مدينة قفط (بمحافظة قنا) كان من العرب.

**محافظة بأكملها في مصر تسمى أرابيا:**

كانت توجد منذ القدم محافظة بأكملها على فرع النيل الشرقى تسمى أرابيا أى بلاد العرب، وقد عرفت فيما بعد باسم أرض أويناس، وكان المؤرخ الرحالة هيرودوت يطلق على شرقي مصر (بلاد العرب).

وذلك لكثرة من كان مستقرا فى تلك المنطقة من العرب الذين وفدوا إليها فى جماعات متفرقة ومتتابعة اسهمت على مر العصور فى تعريب المجتمع المصرى [٢].

**اشتراك العرب في الجيوش المصرية القديمة:**

بلغ من اشتراك العرب فى الحياة المصرية العامة فى العصور القديمة، أن اتخذوا منهم جندا دعمّوا بها جيوشهم، ذكر ذلك المؤرخان الألمانيان:أدولف إرمان، وهرمان رانكة [٣]:

إن العرب والليبيين كانوا ممثلين تمثيلا ظاهرا فى الجيش المصرى فى تلك العصور.

ويرى هذان العالمان أيضا أن المصريين القدماء ينتمون إلى أجناس من البدو، والذين عاشوا فى البلاد المتاخمة فى بلاد العرب، ومن ثم كان للغات السامية، ومنها اللغة العربية أثر ظاهر فى اللغة المصرية القديمة [٤].

وسبب هذا الاشتراك:

يرجع إلى صلابة الجنود العرب، وشجاعتهم، وحسن بلائهم، كما اشتركوا مع الجيش الفارسى قديما، حتى أن (شارب) يروى فى كتابه [٥].

(١) للعلامة:بروكس بك نقلا عن مصر عربية ص ٢٦ .
(٢) مصر عربية ص ٢٧ .
(٣) فى كتابهما:مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة.
(٤) مصر عربية ص ٢٨ .
(٥) مصر تحت حكم الرومان.نقلا عن مصر عربية ص ٢٨ .

أن سبب نجاح قمبيز فى غزو مصر، يرجع إلى استعانته بجنود من العرب. كما أن الفلاح المصرى كان يرحب بأولئك الجنود، ويحسن استقبالهم، لأنهم كانوا يمتون إليهم بصلة القربى، والجنس.

ويذكر (مالان) فى كتابه [(١)]: أن كثيرا من أعيان مصر عند الفتح الفارسي، كانوا من أصل عربي، فرحبوا بأقاربهم، ولم يهزم جيش الفرس إلا بسبب تمرد جنود العرب وعصيانهم.

**الدليل العلمي:**

أثبتت الأدلة السابقة مدى ارتباط المصريين بالجنس العربى، والتى تردّ على المنكرين اختلاط المصرى بغيره، وأن مصر ينبغى ألا تتأثر اطلاقا باتصالات أجنبية، نسوق إليهم أيضا هذا الدليل العلمى، ليبطل مزاعمهم، أثبت العلامة «اليوت سميث» وهو من أشهر علماء الأجناس أن التكوين الجسمانى للعرب المحدثين، الذين يسكنون اليمن والحجاز، والبدو الرحل الذين يفدون إلى مصر من آن لآخر لا يختلف عن النماذج الجنسية التى عرفت من البقايا العظمية لسكان مصر فى عهد ما قبل الأسرات، وأنه من الصعب التمييز بين الهياكل البشرية المصرية القديمة، والهياكل البشرية الحالية [(٢)].

## المبحث السابع: العلاقات الدينية واللغوية بين مصر والعرب منذ القدم:

### العلاقات الدينية:

كان من الطبيعى بعد تلك الصلات التاريخية الوثيقة بين سكان شبه الجزيرة العربية، وسكان وادى النيل أن تكون هناك علاقات دينية، والمعروف أن المصريين، كانوا ينظرون إلى شبه جزيرة العرب، كما يقول «اليوت سميث» نظرة احترام وتقديس، ويعتبرونها بلادا مقدسة[(٣)].

وقد ذكر العلامة الأثرى أحمد كمال: أن آلهة العرب القديمة (اللات) و (العزى) و(مناة) كانت من آلهة المصريين. فقد عرفت اللات بنفس الاسم، وكانت آلهة الحصاد والنمو. ولعلها كانت مشتقة من اسم النجم (للت)، أما (العزى) فهى المعبودة المصرية (أزى)

---

(١) الوثائق الأساسية للكنيسة القبطية. نقلا عن مصر عربية ص ٢٨ .

(٢) نقلا عن مصر عربية ص ٢٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٣٠ .

وكانت إحدى الحاتحورات.أى المعبودات السماوية السبع.ولعلها كانت مشتقة من (أوزيت) أى القمر المنير بعد خسوفه [١].

أما (مناة) فقد كانت إحدى الحاتحورات السبع أيضا، وقد وجدت رسومها فى هيكل إسنا.

ويروى العلامة (بروكس) أن (اللات) إن هى إلا الربة المصرية (أوبرت).

ويرجح بعض الباحثين أن الآثار العربية المعروفة بالإرم وهى (أرم ذات العماد) ليست سوى معابد أو أهرامات أقامها بعض المصريين الذين كانوا يقيمون فى شبه جزيرة العرب على نسق الأهرامات المصرية.ولكنها لم تبق طويلا، لأنها لم تشيد بدرجة من الاتقان تماثل تلك التى شيدت بها مصر [٢].

**العلاقات اللغوية:**

تظهر هذه العلاقات فى المحاضرة التى ألقاها أحمد كمال باشا بمدرسة المعلمين فى سنة (١٩١٤م) ذكر فيها أنه خرج من دراسته للغة المصرية القديمة منذ كان فى الثامنة عشرة من عمره حتى بلغ الستين إلى اكتشاف نتيجة هامة وهى:انتماؤها إلى نفس الأصل الذى تنتمى إليه اللغة العربية.

وذلك إن لم تكونا لغة واحدة تفرقتا بما دخلهما من القلب والإبدال كما حصل فى كل اللغات القديمة وقد لفت نظر هذا المحاضر، أنه أثناء دراسته للغة المصرية على الأسلوب الذى تلقاه من أستاذه (بروكس بك) وجد أن للألفاظ العربية مثيل فى اللغة المصرية القديمة، فجعل يدون ملاحظاته هذه حتى جمع آلافا من الكلمات المتشابهة فى اللغتين [٣].

وهذا دليل صدق على قوة الصلة وعراقتها بين سكان شبه الجزيرة العربية، وسكان وادى النيل.

**ملاحظة جديرة بالتسجيل:**

أبدى الدكتور (رينر) صاحب الرأى القائل بانتماء المصريين إلى أصول عربية وليبية هذه الملاحظة التالية:

فقد رأى أن الحروف الخاصة بلغة العرب والتى تعد من سماتها المميزة حروف مثل:

---

(١) العقد الثمين فى محاسن أخبار وبدائع آثار الأقدمين من المصريين ص .

(٢) المصدر نفسه، ومصر عربية ص ٣٠ .

(٣) نقلا عن مصر عربية ص ٣١ .

الحاء، والعين، والقاف، والصاد، والضاد كان لها مثيل فى لغة المصريين القدماء، ومن الكلمات التى أوردها المؤرخ للدلالة على العلاقة بين اللغتين المصرية القديمة والعربية ما يلى:-

| اللغة المصرية | اللغة العربية | اللغة المصرية | اللغة االعربية |
|---|---|---|---|
| موما | ماء | خبازى | خبيز |
| يم | بحر | دب | دباء (قرع) |
| كعك | كعك | ختم | خاتم |
| تتوك | أنت | طمس | دفن ـ طمس |
| أسر | أثل (شجر) | شنط | سنط (شجر) |
| أرهمانى | رمان | القمح | القمح |
| بصل | بصل | زدتو | زيتون |
| باسمون،اسمى | ياسمين | خستاس | خشخاش |

إلى غير ذلك من الكلمات التى ألقاها أحمد كمال باشا [١].

**القبائل المسيحية تناصر المسلمين في حروبهم:**

كذلك فإن القبائل المسيحية فى العراق ناصرت المسلمين فى حروبهم مع الفرس، وفى الشام، وفلسطين حاربت القبائل العربية المسيحية المقيمة بالشام مع جيش المسلمين فى قتالهم ضد الرومان.

وفى مصر انضمت القبائل العربية المقيمة فى شبه جزيرة سيناء إلى عمرو بن العاص عند فتحه لمصر، ولعل هذا يفسر لنا كيف أن عمرو بن العاص فتح مصر واستولى عليها بهذا الجيش القليل العدد وهذا راجع لتضامن السكان المصريين مع المسلمين مما كان له أكبر الأثر فى هذا الانتصار العظيم أمام الدعوة، والذى فتح أرضا خصبة أمام الإسلام، ولغته كما فتح للدعوة أيضا أفريقيا من شمالها حتى أعالى النيل [٢].وفتح الطريق لدخول المسلمين أوربا من جهة الغرب، واستيلائهم على رودس وغيرها من جزر البحر المتوسط وهذا يفسر سرعة دخول دعوة الإسلام إلى مصر وانضوائها تحت رايتها [٣].كما ساعد على تعريب الدواوين.

(١) راجع المحاضرة فى كتاب:مصر عربية ص ٣١ ـ ٣٤ .
(٢) مصر عربية ص ٣٥ بتصرف.
(٣) المصدر نفسه بتصرف أيضا.

**المبحث الثامن: تعريب الدواوين وأثره على لغة المصريين:**

لما كانت لدى المصريين سابق معرفة بالعرب ولغتهم، اطمأن المسلمون لهم فأقدموا على تدوين الدواوين، ويعزو المؤرخون تدوين الدواوين إلى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ حين اتسعت رقعة الدولة الإسلامية فى عهده فكان لابد من ضبط الأموال، وتقرير العطاء المفروض للأجناد وأسراتهم، وما إلى ذلك مما تتطلبه أمور الدولة بعد اتساعها (١).

ومن ثم فإنه لما قدم على عمر بن الخطاب ﷺ جيش العراق من قبَل سعد بن أبى وقاص شاور أصحاب رسول الله ﷺ فى تدوين الدواوين (٢). فوافقوا، فكانَ مقدمة لما حدث فى بقية الولايات ومنها مصر فقد دوّن فيها ديوان للجند تدون فيه أسماؤهم وأسراتهم لتقرير العطاء، والأرزاق اللازمة لهم. وأول من دون ديوان الجند فى مصر هو: عمرو بن العاص، ثم دون عبد العزيز بن مروان (٣).

**أما التدوين الثاني:** فقد دونه قرة بن شريك، **أما التدوين الثالث:** فهو تدوين عبد العزيز بن مروان. **أما التدوين الرابع،** فهو تدوين بشر بن صفوان (١٠١ ـ ١٠٢هـ) (٤).

وكان الجند يثبتون فيه على حسب قبائلهم التى ينتمون إليها (٥).

**متى تم التعريب؟**

لم يكن من الممكن أن يتم التعريب بين يوم وليلة، وإن كانت السنوات الأولى من القرن الثانى الهجرى أو نحوها قد شهدته حينما أصبحت اللغة العربية لغة المصالح الحكومية، إما بالغلبة، أو كلغة أولى فى الوثائق ذات اللغتين. ومع ذلك فقد عثر على وثيقة من وثائق البردى كتبت باللغتين اليونانية والعربية، يرجع تاريخها إلى عام (٢٢هـ) (٦).

أى نحو (٦٥ عاما) قبل المحاولة الرسمية لتعريب الوثائق الرسمية، ومن تلك الوثيقة يمكن القول بأن استعمال اللغة العربية فى الوثائق الرسمية، (ولكن كلغة ثانية) كان قد بدأ إن لم يكن مع الفتح الإسلامى فبعده بقليل. وأول وثيقة كتبت كاملة باللغة العربية، يرجع تاريخها إلى سنة (٩٠هـ ـ ٧٠٩م) (٧).

---

(١) راجع د/ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى.. جـ١ ص ٤٥٥ وما بعدها، ومصر فى فجر الإسلام ص ٧٣.
(٢) كتاب الخراج ص ٦٨، ٦٩.
(٣) فى كتاب الكندى: الولاة والقضاة: يذكر أنه تدوين عمر بن عبد العزيز ولكن المقريزى يذكر أنه تدوين عبد العزيز بن مروان وهو الصحيح.
(٤) الكندى: الولاة.. ص ٧١، والمقريزى: الخطط جـ١ ص ٩٤.
(٥) انظر مصر فى فجر الإسلام ص ٧٣.
(٦) راجع الفصل الخامس من الباب الثالث.
(٧) د/ أحمد مختار عمر: تاريخ اللغة العربية فى مصر ص ٣١.

**رغبة الخلفاء....:**

أظهر الخلفاء رغبة منذ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى أبعاد الأقباط من الوظائف الإدارية، ولكن دراية عمرو السياسية أقنعت عمر بن الخطاب باستبقائهم فى وظائفهم، ولما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز، وجه رسائله إلى حكام الأقاليم يذكرهم فيها بواجبهم، ويحذرهم من استخدام الذميين أولياء، ويهدد بالعزل من يترك فى ولايته عاملا يدين بغير الإسلام، ومما جاء فى رسالته فى هذا الصدد:

«فلا تولين أمور المسلمين أحدا من أهل الذمة فتبسط أيديهم وألسنتهم، وتذل المسلمين بعد أن أعزهم الله» [١].

وتنفيذا لتعليمات الخليفة أصدر حاكم مصر إذ ذاك :أيوب بن شرحبيل فى ولايته سنة (٩٩هـ ـ ٧١٧م إلى ١٠١هـ ـ ٧١٩م) أوامره بإحلال المسلمين محل القبط.

ومن ثم نزعت موازيت [٢] القبط عن الكور، واستعمل المسلمون عليها [٣].

**التحول إلى الإسلام:**

ظلت حركات التحول إلى الإسلام بطيئة حينا وسريعة حينا آخر خلال القرن الأول، وكذلك موجات الدخول فى الإسلام التى قام بها العرب الجاهليون المقيمون بمصر، والذين لم يترددوا فى تأييد إخوانهم الفاتحين وفى تعويض عمرو بن العاص عن خسائره خلال الفترة الأولى من الصراع [٤].

**أثر التعريب وإحلال العربية محل اليونانية والقبطية:**

تَلَفّت المصريون حولهم فرأوا المسلمين قد هزموا الرومان ودحروهم، ومن قبلهم الفرس، ثم تحولوا على عجل إلى إدارة شئون البلاد فقاموا بتعريب الدواوين، وتنظيمها، بحيث وجد المصريون أنفسهم أمام فاتح متواضع منتصر نشط.

«لا تغريه نشوة النصر بالبغى والاستعلاء.بل أمام رجال تحكمهم أخلاق فاضلة، وتضبط سلوكهم شريعة واضحة، وأن البون شاسع بعيد بين كبرياء الرومان، وبساطة المسلمين» [٥].

---

(١) المصدر السابق ص ٣٢ .

(٢) كان القطر المصرى مقسما إلى أجزاء كل جزء منها يسمى «كورة» وعلى رأسها صاحب الكورة، ومساعده يحمل اسما يونانيا هو «جسطل» أى «مازوت» وكلمة مازوت «لاتينية» الأصل، أو يونانية، ومعناها «قاض» راجع حضارة مصر فى العصر القبطى ص ٧١ .

(٣) تاريخ اللغة العربية فى مصر ص ٣٣ .

(٤) انظر المصدر السابق ص ٣٧ .

(٥) الشيخ محمد الغزالى :التعصب والتسامح ص ٢٣٨ .

ومن ثم لم تؤد حركة التعريب إلى أى تذمر أو احتجاج من الأقباط، إذ كان التعريب انتقالا من لغة أجنبية هى اليونانية إلى لغة أخرى هى العربية، التى لهم بها صلة، وكما تعلّم الأقباط اليونانية واستعملوها فى الدواوين على الرغم من أنها ليست لغتهم، فمن السهل عليهم تعلم اللغة العربية واستعمالها فى الدواوين، وهى لغة المنتصرين الذين خلصوهم من ظلم الرومان وصلفهم، واضطهادهم ولم يكتف بعضهم بتعلم اللغة العربية، بل منهم من خطا خطوة أكبر فاعتنق الإسلام، كما حاول البعض الآخر أن ينتسب إلى بعض القبائل (١).

وهكذا حلت اللغة العربية محل اللغة اليونانية والقبطية فى مصر، وأصبحت اللغة العربية الشريفة لغة المسلمين والمصريين على حد سواء (٢).

**الأدلة:**

ومن الأدلة على أثر التعريب ما ذكره القس رنودوا إلى أنه بعد فتح العرب لمصر بنحو قرن تلاشت اللغة القبطية نهائيا من معظم القطر المصرى، ولم تعد تعرف إلا بين العلماء الذيم كانوا يدرسون تلك اللغة دراسة خاصة (٣).

كما يروى الدكتور جاك تاجر أن اضمحلال القبطية حدث بالتدريج، ثم كبتت اللغة العربية، اللغة القبطية رويدا رويدا مثل النبات الذى حرم من الماء والشمس فى ظل شجرة كبيرة، ومع ذلك فقد ازدهرت اللغة القبطية فى الأديرة (٤).وسيأتى سبب ذلك.

**تسيد اللغة العربية في مصر رسميا:**

وما أن جاء القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى) إلا وأصبحت اللغة العربية اللغة الرسمية للدولة بها تكتب الوثائق، وتسجل المكاتبات الرسمية، وتدون بها الدواوين (٥).

**الأدلة:**

أ- مجموعة وثائق البردى (*) المصرية، ومنها التى حققها أدولف جروهمان، وبدأت

---

(١) انظر تاريخ اللغة العربية فى مصر ص ٣٨ . (٢) المصدر السابق ص ٤٨ بتصرف.

(٣) انظر د/ سيدة إسماعيل كاشف:مصر فى عصر الولاة ص ٢٠٠، ومصر فى فجر الإسلام ص ٢٥٩، وتاريخ اللغة العربية فى مصر صـ ٤٩ . (٤) تاريخ اللغة العربية فى مصر ص ٥٠،٥١ .

(٥) المصدر نفسه.

(*) أول ما عثر عليه من هذه الأوراق مكتوبتان باللغة العربية فى مكان قرب سقارة عام ١٨٣٤م، وسلمت الورقتان إلى قنصل فرنسا بالقاهرة، فأرسلها للبارون سلفستر دى ساس المستشرق المتخصص فنشر ما بالورقتين وبذا بدأت دراسات أوراق البردى ترى النور..ثم اكتشفت بعد ذلك مجموعات أخرى، وجدها=

دار الكتب المصرية فى نشرها منذ سنة (١٩٣٤م) نقل فيها الوثائق المكتوبة بغير العربية، أو ذات اللغتين، ومعظمها مكتوب باللغة العربية فقط، والوثائق تشمل فترة تبدأ من القرن الأول الهجرى، وتمتد لعدة قرون (١).

ب ـ الإجراءات التى اتخذتها الدولة منذ نهاية القرن الأول الهجرى لتعريب الدواوين.

جـ ـ فى إحدى المنازعات التى شجرت سنة (١٣٢هـ ـ ٧٥٠م) بين الملكيين واليعاقبة، بشأن ملكية بعض الكنائس كتب البطريرك ميخائيل الأول إلى السلطات التماسا باللغة القبطية ولكنه أرفق به ترجمة عربية عملا بمشورة بعض المطارنة (٢).

د ـ احترام المسلمين للغة القبطية فتعلمها بعضهم، وأجادها البعض الآخر كالقاضى خير بن نعيم الذى كان يتكلم للخصوم الأقباط ويستمع لشهادة شهودهم باللغة القبطية (٣).

هـ ـ وثمة دليل قوى على تسيد اللغة العربية حتى بين يهود مصر فى تلك الفترة، هو أن وثائق الجينيزا كتبت بالعربية فى حروف عبرية، أو على حد تعبير بعض الباحثين:

بالعربية اليهودية، التى كانت لغة يهود مصر (٣).

**المبحث التاسع:**

**أسباب تفوق اللغة العربية الشريفة على اليونانية والقبطية، والأسباب التي ساعدت على انتشارها:**

يرجع تفوق اللغة العربية الشريفة فى مصر إلى :ـ

أ ـ تمتعها بالهيبة.

ب ـ قيمتها الذاتية فاللغة العربية غنية بقيمتها الذاتية العظيمة إلى حد كبير يفوق اللغة القبطية.

---

= الباحثون عن «السباخ» بين تلال أهناس، واخميم، والأشمونين، والبهنساوكوم إشقاو، وميت رهينة، وأدفو..ومنها ما عثر عليه فى خرائب الفسطاط.يقدرها البروفسور جروهمان خبير البرديات العربية بنحو ستة عشر ألف قطعة (١٦,٠٠٠ ألف قطعة) موزعة على مكتبات:فينا، ومصر، وتونس ،وألمانيا، وانجلترا، وفرنسا، وإيطاليا، والنرويج، وروسيا، وتركيا، وأمريكا.راجع :تاريخ اللغة العربية فى مصر ص ٨١ ....

(١) المصدر نفسه.

(٢) راجع للدكتورة نعمات أحمد فؤاد :شخصية مصر ص ١٧٤، وتاريخ اللغة العربية فى مصر ص ٥٥ .

(٣) راجع للدكتور قاسم عبده :أهل الذمة فى مصر فى العصور الوسطى ص ٣٩، وما كتبه الدكتور حسنين ربيع عن وثائق الجينيزا فى كتابه: Financial Sysrem Of Egypt:PP -30 A

جـ ـ إنها لغة النبى ﷺ .

د ـ أنها لغة حضارة عظيمة، وثقافة تفوق أختها القبطية [١].

كما يشير «فندريس» فى كتابه «اللغة» إلى التفوق الذاتى الذى تتمتع به بعض اللغات، ومن بينها العربية بقوله:

«والقدرة على الانتشار التى نشاهدها فى بعض اللغات الهندية الأوربية، أو السامية، كاللغة العربية مثلا ـ ترجع بلا شك إلى أسباب معقدة، ولكن القيمة الذاتية للغة لها فى ذلك نصيب» [٢].

هـ ـ لم يكن الأقباط فى ذلك الوقت غيورين بدرجة كبيرة على لغتهم حتى أنهم تخلوا عن أحرفهم الهجائية فى القرن الرابع أو الخامس الميلادى واختاروا أبجدية جديدة استعير معظمها من الأحرف اليونانية، وأضيف إليها سبعة رموز من الكتابة الديموتيقية، لتعبر عن أصوات لا وجود لها فى اللغة اليونانية [٣].

و ـ استمر استعمال اللغة اليونانية (أو القبطية) بوصفها لغة رسمية حتى عام (٨٧هـ) = (٧٠٦م) عندما أصدر والى مصر إذ ذاك وهو عبد الله بن عبد الملك بن مروان أوامره بإحلال العربية محلها [٤]، وفى التو عزل رئيس الديوان القبطى وكان اسمه (اثناسيوس) وحل محله ابن يربوع الفزاري الحمصي [٥].

ز ـ نشاط المسلمين الذى بذلوه لتعريب مصر، ونشر دعوة الإسلام فيها مما أدى إلى نتائج هامة، كان لها أثرها فى دعم اللغة العربية، ورفع شأنها فى مصر، كما أنها قوّت جانب الدعوة لما يلى :ـ

**أولا:** لأن إحلال اللغة العربية محل اللغة اليونانية، أو القبطية فى الدواوين، وفى المكاتبات الرسمية يعطى صورة التمكين للداعى، فيزداد نشاطه.

**ثانيا:** تهجير عدد من القبائل العربية إلى مصر بقصد الإقامة الدائمة مما أدى إلى انتشار التعريب والتعريف بالإسلام.

---

(١) انظر تاريخ اللغة العربية فى مصر ص ٢٥ .
(٢) نقلا عن تاريخ اللغة العربية فى مصر ص ٢٦ .
(٣) راجع عبد المسيح:الاساس المتين ص ٥،٦، وتاريخ اللغة العربية فى مصر ص٢٧ .
(٤) المقريزى:الخطط جـ١ ص ٩٨، والكندى:الولاة..ص ٥٨،٥٩ .
(٥) نقلا عن تاريخ اللغة العربية فى مصر ص ٣١ .

**ثالثا:** إحلال المسلمين محل الأقباط فى الوظائف الرسمية [١]، مما أدى إلى دخول بعضهم فى دين الفاتحين.

**أما الأسباب التي ساعدت على انتشار اللغة العربية في مصر، وكان لها تأثير على الدعوة لدى المصريين:**

١ ـ أنها «بحكم القرآن متداخلة فى الدين فهى كما يقول الزيات: «جزء من حقيقة الإسلام، فالقرآن ليس قرآنا إلا فيها، والصلاة لا تكون صلاة إلا بها» [٢].

٢ ـ أنه من الأمر «البديهى أنه إذا اعتنق شخص الإسلام تحت حكم عربى فإنه سيحاول أن يحاكى المسلمين فى كل تصرفاتهم: سيذهب إلى المسجد، وسيقرأ القرآن، وسيصلى باللغة العربية، وباختصار سيعيش عيشة إسلامية كاملة» [٣].

٣ ـ إن عامل الإسلام من الناحية اللغوية يعتبر ذا أهمية قصوى، وقد كان من الواضح جدا ارتباط تقدم اللغة العربية، وانتشارها بتقدم دعوة الإسلام، وانتشارها فى كل الأقطار المفتوحة على السواء...وقد كان اكتساب الأقباط الذين أسلموا للغة العربية أسرع من اكتساب أولئك الذين لم يسلموا لها، ويصدق على هذا قول: «دى لاسى أوليرى» الذى نظر لأهمية هذا العامل الكبيرة بقوله: «كان انتشار الإسلام بلا شك عاملا من عوامل إحلال اللغة العربية محل القبطية» [٤].

٤ ـ كانت اللغة الرسمية للحكومة منذ البطالسة حتى الفتح الإسلامى، اللغة اليونانية، ومن ثم لم يسمع أى تذمر عند إحلال اللغة العربية فى الدواوين [٥] المصرية.

٥ ـ اختلاط القبائل العربية بأهل الريف المصرى اختلاطا كبيرا كان له تأثير فى نشر دعوة الإسلام ومعرفة لغتها، ومن ثم تعريب الدواوين [٦] فى هدوء.

هذا على عكس ما فعله اليونان الذين كانوا «ينزلون المدن ويصبغونها بحضارتهم، ولكن نفوذهم الثقافى لم يذهب للريف إلا قليلا، فلم تنتشر اللغة اليونانية إلا فى بيئات خاصة، وعاش اليونان فى مصر كأنهم جزر يونانية فى وسط المحيط المصرى الواسع فى مصر، ولم يستطيعوا جعل لغتهم لغة البلاد الأصلية» [٧].

---

(١) راجع المصدر السابق ص ٢١ .
(٢) نقلا عن د/ نعمات أحمد فؤاد: شخصية مصر ص ٩٤ .
(٣) تاريخ اللغة العربية فى مصر ص ٢١ .
(٤) نقلا عن: تاريخ اللغة العربية فى مصر ص ٢٢ .
(٥) انظر مصر فى فجر الإسلام ص ٣ .
(٦) انظر مصر فى عصر الولاة ص ١٤١ .
(٧) المصدر نفسه.

بينما تحول المسلمون على عجل من فاتحين أشداء إلى قادة اجتماعيين يسوسون المجتمع سياسة حكيمة بالكتاب والسنة، حتى صبغوا المجتمع المصرى فى فترة وجيزة بدعوة الإسلام، ولغتها، وآدابها، فأدى الكثير منهم إلى الدخول فى دينهم، كما حدث «تفاعل واختلاط بينهم وبين المصريين، وبدون هذا التفاعل، والاختلاط لا يمكننا أن نفسر كيف ترك المصرى القديم لغته رغم تمسكه بالقديم وحرصه عليه» (١).

٦ - كان انتشار اللغة العربية تابعا لانتشار الدعوة فأصبحت العربية:

«لغة الكتابة، ولغة التخاطب، على أن انتشار اللغة العربية بمصر كان أبطأ من انتشار الدين فيها، وأن الذين اعتنقوا الدين الإسلامى كانوا يتعلمون اللغة العربية لغة القرآن» (٢).

٧ - تُعَدّ جهود المسلمين فى مصر لنشر لغة الدعوة، لغة القرآن، والسنة ميزة للمسلمين على غيرهم ممن سبقوهم فى حكم مصر، فإن الشعوب التى تعاقبت عليها لم تستطع القضاء على لغتها أو دينها، وهذه خطوة لها أهميتها، فى إمعان النظر، وأعمال الفكر، لأن تنازل شعب عريق فى المدنية كالشعب المصرى عن لغته، واتخاذه لغة شعب لا يوازيه فى الحضارة أمر غير عادى (٣).

٨ - تُعد «مصر إحدى الأمم القليلة التى تخلت نهائيا عن ماضيها الوطنى، وعن لغتها القديمة، ورمت بنفسها فى أحضان الإسلام والمدنية الإسلامية، فلم يقض فتح العرب لإيران، والهند على لغتهما القومية، ولم يقض على العقائد الدينية التى وجدت فيهما قبل الفتح قضاء تاما. ولم يمنع اعتناق الأتراك لدين الإسلام من الاحتفاظ بلغتهم القومية» (٤).

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) مصر فى فجر الإسلام ص ٢٥٩ ويرجع سبب تسيد اللغة العربية إلى ما يلي:

أ - إنها اللغة التى اختارها الله تعالى لينزل بها خاتم كتبه ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف:٢) ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ (الشعراء:١٩٢ - ١٩٥).

ب - إنها لغة رسوله ﷺ التى خاطب بها الناس.

جـ - جعلها الله سبحانه لغة العبادة لخاتم رسالته (١). (انظر د/ يوسف القرضاوى: الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة صـ ٢٣ بتصرف ط ـ الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م مكتبة وهبة القاهرة.

(٣) مصر فى فجر الإسلام ص ٢٦٠، ٢٦١ .

(٤) دكتور: زكى محمد حسن: مصر والحضارة الإسلامية ص ٢٤، ومصر فى فجر الإسلام ص ٢٦٢ .

٩ ـ تألقت مصر فى الفترة ما بين الفتح الإسلامى، والفتح العثمانى، بحيث أنها لا تصبح دولة إسلامية فحسب، بل تتزعم العالم الإسلامى كله فبعد أن كانت مصر خاضعة للخلافة فى عهد الولاة فإنها تصبح مركزا للخلافة الفاطمية (٣٦٢هـ ـ ٥٦٨م) كما تصبح أيضا مركزا للخلافة العباسية بعد زوالها من بغداد، على أيدى المغول سنة (٦٥٦هـ)، وانتقالها إلى مصر فى عهد الظاهر بيبرس سنة (٦٦١هـ) تلك الخلافة التى ظلت قائمة بها إلى الفتح العثمانى (٩٢٣هـ) [(١)].

لقد أضفى الإسلام على مصر ثوب الزعامة بحبها له، وتفانيها فى دعوته حتى قال ابن خلدون: «ولا أوفر اليوم في الحضارة من مصر فهي أم العالم، وإيوان الإسلام، وينبوع العلم والصنائع» [(٢)].

لقد توطدت الصلة بين مصر، واللغة العربية، وقويت صلتها بها، لأنها لغة الدعوة التى آمن بها المصريون، وتأثرت مصر بإسلامها تأثيرا عظيما، فتبوأت مركز الصدارة فى العالم الإسلامى، بعد أن كانت ولاية من ولايات روما، فالدعوة التى رفعت العرب ووضعتهم أمام أقوى دول العالم وجعلتهم أمة يخشى بأسها، هى الدعوة التى رفعت مصر مكانا عليا .

**المبحث العاشر: رد الشبه عن اللغة العربية وحامليها، وما ألصق بهم زورا:**

ما زالت السرعة التى انتشرت بها لغة الدعوة الإسلامية فى مصر لغزا يثير حيرة المفكرين [(٣)].حتى ورد هذا السؤال:

هل اللغة العربية مأخوذة من اللغة المصرية، أو القبطية ؟

**الجواب:** من المحقق علميا أن اللغة العربية بنت اللغة البابلية، وشقيقة العبرية والسريانية، والحبشية، وبين القبطية والعربية تشابه فى المفردات كما سبق، وكانت اللغة القبطية هى لغة الأمة المصرية إلى أن حكم العرب مصر، فتم نقل الدواوين إلى اللغة العربية، على يد واليها: عبد الله بن عبد الملك، وكانت قبله بالقبطية واليونانية [(٤)].

هل أكره المسلمون القبط على تعلم العربية كما يرجف المرجفون ؟

---

(١) انظر مصر فى فجر الإسلام ص ٢٦٢، وراجع فى الملاحق: جدول الولاة فى مصر.

(٢) المقدمة: فصل فى أن حملة العلم فى الإسلام أكثرهم من العجم.

(٣) انظر: مصر عربية ص ١٧ .

(٤) للأثرى المصرى أحمد باشا كمال. نقلا عن دائرة معارف القرن العشرين مادة: قبط.

**الرد على هذا السؤال:** أنه لما فشل المؤرخون من اتيان سبب معقول لنجاح لغة الدعوة الإسلامية في مصر لجأوا إلى أسلوب الاتهام حتى قال أحدهم:

«ولما كانت ميول الأمم الفاتحة متجهة دائما إلى إضعاف لغة الأمة المغلوبة حتى تفصم عرى اتحادها، وتميت جامعتها القومية، أُكره القبط على تعلم اللغة العربية في أيام عبد الله بن عبد الملك والي مصر (٨٥ ـ ٩٠هـ ـ ٧٠٤ ـ ٧١٠م) من قبل أبيه عبد الملك بن مروان من خلفاء الدولة الأموية» (١).

**الـــــرد:** يفهم من هذا الكلام اتهام المسلمين بأنهم أكرهوا القبط على هجر لغتهم والتكلم باللغة العربية.. بقصد إماتة جامعتهم، وفصم عرى وجودهم، وهو خطأ تاريخي محض، فإن العرب لم يكرهوا أمة من الأمم الخاضعة لهم على ذلك، ولو حصل لذكره التاريخ وذكر أدواره، ولأن عملا كهذا من الإكراه يقتضي أحداثا كبيرة، وسفك دماء غزيرة (٢).

ثم إن هذا الإكراه في ذاته يعتبر من الأمور المستحيلة في ذلك الزمان..لماذا؟

**أولا:** لأننا نعلم اليوم أن الدول المستعمرة تسعى في إماتة لغات الأمم المقهورة بواسطة المدارس التي تبثها في المدن والقرى فتعلم العلوم وتدون المعارف بلغاتها فلا تمضي بضعة عقود حتى تكون لغاتها قد سادت تلك اللغات الوطنية.فمن أين للمسلمين في مصر هذه الوسيلة؟.

**ثانيـــا:** لم يكن من وسائل المسلمين نشر المدارس في المدن والقرى، كما لم يرد في التاريخ أنهم أمروا الناس بعدم استعمال لغاتهم في التخاطب والتكاتب (٣).

**ثالثـــا:** كل الذي قام به المسلمون ـ كما ورد ـ أنهم جعلوا اللغة الرسمية للحكومة اللغة العربية فهل هذا العمل وحده يكفي لحمل الفلاح في قريته والمرأة في عقر دارها أن تتكلم باللغة العربية دون لغتها الأصلية؟.

**رابعــا:** لو أن حاكما ظالما أمر الناس بعدم استعمال لغتهم أكان يكفي ذلك في ضياع اللغة ونسخها بلغة أخرى كما حدث للغة القبطية؟ لا.لا يكفي ذلك، ولم يرد في تاريخ مشايع للأمة الإسلامية، أو معارض لها أن المسلمين أصدروا مثل هذا الأمر (٤).

---

(١) سليم أفندي سليمان:مختصر تاريخ الأمة القبطية، نقلا عن دائرة معارف القرن العشرين مادة:قبط.
(٢) راجع المصدر نفسه.
(٣) انظر دائرة معارف القرن العشرين.مادة:قبط.
(٤) المرجع السابق.

**السبب في ضياع اللغة القبطية، ودخول الناس في الإسلام:**

يرجع السبب فى ضياع اللغة القبطية، وحلول اللغة العربية الشريفة محلها.

إلى ما يلى:-

**أولا:** إن المسلمين لما دخلوا مصر رفعوا عن عاتق الأقباط نير الحكم الروماني القاسي، ونشروا فى ربوع البلاد روح الحرية العقدية، والعدل، والمساواة تلك الروح التي سادت بين المسلم الفاتح والقبطى ساكن البلد.

**ثانيا:** انبسطت القلوب لاستشراق هذا النور المنبعث فى سماء مصر، فاندفع ألوف مؤلفة من الأقباط لاعتناق الإسلام حبا فيه وفى أهله، لاهربا من اضطهاد، أو خوفا من عذاب، فإن المسلمين لم يضطهدوا الأمم لأجل دينها، وكانوا يكتفون بأخذ الجزية السنوية وهى لا تبلغ عشر ما كان يؤخذ منهم قبل دخول الإسلام إلى بلادهم [(١)].

**ثالثا:** لم يكن للإسلام دعاة كدعاة المسيحية لنشر الدعوة خلف الجيوش الفاتحة بل كان بعض الولاة يكرهون دخول الناس فيه لما يستتبعه من نقص الإيراد بقلة الجزية [(٢)].

**رابعا:** هذا الاندفاع المصرى نحو الإسلام حدث فى كل أمة من الأمم التي فتحها المسلمون، وكان العامل المساعد لهذا الاندفاع شدة الضغط الذي كان واقعا عليهم من السلطتين المدنية، والدينية لحكوماتهم الوطنية، فكانوا يتنسمون نسيم الخلاص يهب عليهم من أية وجهة، حتى إذا هب عليهم من قبل المسلمين أسرعوا إليه، وقابلوه بأرواحهم، فكان هذا سبب دخول عشرات الملايين من الناس فى الإسلام، فى عشرات من السنين بدون دعوة ولا اكراه.

ومن أنكر هذه الحقيقة فعليه أن يأتى بأثارة من علم التاريخ يعزز بها ما يدعيه وإلا أصبح قوله لا قيمة له فى نظر القارئ البصير [(٣)].

**خامسا:** اعترف (ترتون) [(٤)] أن «المسلمين بمصر منذ البداية، اتجهوا إلى عدم احتلال أى كنيسة، وعدم التدخل فى شئون الأقباط، وبأن عمرو بن العاص نفسه لم يمد يده إلى أى شئ من أملاك الكنائس».

---

(١) نفس المصدر.

(٢) المصدر نفسه.وراجع فى الملاحق:تطبيق الجزية فى أرض الكنانة.

(٣) راجع دائرة معارف القرن العشرين مادة:قبط

(٣) راجع أهل الذمة فى الإسلام، وتاريخ اللغة العربية فى مصر ص ٢٤ .

(٤) راجع مصر فى عصر الولا ص ١١٢ .

**سادساً:** الذى ينبغى أن يُذكر للمسلمين:

أ ـ أنهم أحيوا اللغة القبطية على حساب اللغة اليونانية التى كانت اللغة الرسمية منذ عهد البطالسة، فأصبحت الدروس الدينية فى الكنيسة تقرأ باللغة القبطية بعد أن كانت تقرأ باليونانية، وتشرح بالقبطية (١).وهذا أمر كانت تُحرم منه الكنيسة.

ب ـ أن كل ما كان يحرص عليه الحكام المسلمون فى ذلك الوقت هو أن تترجم لهم دروسهم القبطية، وصلواتهم ليتأكدوا أنها لا تحمل أى هجوم، أو إهانة للإسلام، وقد عرف ذلك بوجه خاص أيام الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان الذى كلف أحد الشمامسة بترجمة الإنجيل إلى اللغة العربية، وكان يبحث عن كتب النصارى ويأمر بترجمتها (٢).

جـ ـ جعل المسلمون البلاد والأقاليم التى سميت، بأسماء يونانية، أيام اليونان والرومان، تعرف بأسمائها القبطية التى ترجع إلى الأسماء المصرية القديمة.

فمثلا نجد اسم إخميم بدلا من بانوبوليس، واهناسيا بدلا من Heradeopdisعلى أن هذا كله كان بعثا لقديم، فإن اللغة القبطية أو الأسماء المصرية كانت قد غلبت على أمرها حينا من الدهر، ثم استعادت مكانتها بعد الفتح الإسلامى (٣).

**سابعاً:** لما كانت اللغة تابعة فى تلك الأعصر للعقائد فقد اعتراها الضعف بكثرة دخول المصريين فى الإسلام وميل الباقين من أهلها على ملتهم للتقرب من المسلمين مصدر طمأنينتهم، وراحتهم، ومازالت تضعف حتى زالت وقس علي ذلك ضياع لغات البربر من شمال أفريقيا، وهم المغاربة، ولغات أهل سورية، ومالطة وغيرهما (٤).

**ثامناً:** إن الرأى القائل: بالاضطهاد أعجز من أن يطمس معالم لغة حية فى أمة حية، ولو كان يكفى لأزال الديانة القبطية، لقد أتى الرومانيون فى مصر بمالم يأته فاتح فى الأرض، فإنهم كانوا يقتلون مئات الألوف منهم، ولا سبب لذلك إلا حملهم على تغيير دينهم.حتى قال صاحب مختصر تاريخ الأمة القبطية (٥) عند ذكره اضطهاد الرومانيين للأقباط.

---

(١) انظر:تاريخ اللغة العربية فى مصر ص ٢٤ .

(٢) انظر:مصر فى عصر الولاة ص ١١٢ .

(٣) انظر دائرة معارف القرن العشرين. مادة:قبط.

(٤) سليم أفندى سليمان.

(٥) راجع أشهر هذه الاضطهادات فى المرجع نفسه عند حوادث القرن الثالث.م.

«لم يتزعزع اعتقادهم لحظة مع دوام الاضطهادات مدة تسع سنين استشهد فيها ما ينيف على الثمانمائة ألف شهيد (٨٠٠,٠٠٠) (أى قريب من المليون) ورد ذكر أشهرهم فى السنكسار القبطى» [(١)].

فإذا كان قتل نحو المليون من الأقباط تعذيبا لم يكف فى زعزعتهم عن اعتقادهم فما هى أنواع الاضطهادات التى استعملها المسلمون لنسخ اللغة القبطية وإدخال بضعة ملايين من الأقباط فى الديانة الإسلامية؟ [(٢)].

الحقيقة التاريخية المنصفة أن المسلمين لما فتحوا مصر عاملوا أهلها معاملة إسلامية قوامها :العدل، والمساواة، اللذين كانا من أخص صفات حكومتهم، فحدث بين اللغتين العربية والقبطية ما يحدث بين الأحياء [(٣)].

وكما أوضحنا الرد على القائلين، بإكراه القبط على تعلم العربية، بالحجة والبرهان.

نوضح الرد على الاتهام التالى وهو:ـ

أن المسلمين في مصر هم أبناء الغزاة، وأنهم دخلاء، وفدوا إليها على كره من أصحابها الأصلاء !!

من يظن هذا الظن الساذج من المصريين بحجة أن هذا يتيح له أن ينفرد بمجد القدماء، أو بشرف الانتساب إلى مصر، فعلى هؤلاء الظانين يأتى الرد التالى:ـ

١ ـ لماذا لم يساعد القبط الرومان على اخراج المسلمين من مصر، كما ساعدوا الرومان ضد الفرس وأخروجوهم منها؟

٢ ـ هل يشرف هؤلاء...أن يكون الدخلاء كما يقولون يشكلون أغلبية، والأصلاء هم الأقلية؟ أما حين يكون المسلمون مصريين مثلهم، فإن كل فضل للأغلبية، أو الأقلية فهو كسب للجميع باعتبارنا كلاً واحدا يكمل بعضه بعضا [(٤)].

٣ ـ كيف يُجَوِّز العقل، والمنطق أن يزيح الفاتحون أهل البلاد، لا سيما إذا كان أهل البلاد أقدم تاريخا وحضارة؟

---

(١) دائرة المعارف القرن العشرين مادة :قبط.

(٢) دائرة المعارف القرن العشرين مادة :قبط.

(٣) انظر الشيخ محمد الغزالى :قذائف الحق ص ٦٠ بتصرف، وشخصية مصر ص ٢٦٧، والتعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ص ١٨٢ .

(٤) انظر :شخصية مصر ص ٢٦٧ .

إن جيش الفتح فى قول كان أربعة آلاف، وفى قول ثمانية آلاف، وفى قول ثالث بعد الإمدادات (١٢ ألفا) ويمتد آخرون بالإمدادات إلى ثلاثين الفا (٣٠,٠٠٠) ألفا، وأهل البلاد فى قول ثمانية ملايين، وفى قول عشرة ملايين، وفى قول اثنى عشر مليونا (١٢ مليونا) فلو أخذنا بأكثر الإمدادات بالنسبة للفاتحين وبأقل الأعداد بالنسبة للأصليين [١] لظهر الآتى:

أ ـ هل من المعقول..أن ثلاثين ألفا يضاف إليهم من لحق بهم من قبائلهم، ولو كانوا أضعافا أن يمسحوا بلدا، وأى بلد، بلدا كمصر، ويصيروا هم أصحابه، أو أغلبيته؟

ب ـ إذا تجاوزنا أن الهجرات والقبائل كانت مقترنة بشخص الوالى تخرج بخروجه، هل من المعقول أن الآلاف تناسلوا فصاروا ملايين، وعقم الملايين، وصاروا آلافا، أو مليونا... وفقا لآخر إحصاء؟ أى منطق هذا؟ ولمصلحة من ؟ [٢].

جـ ـ أيهما أكرم لأخوة الوطن..للأقباط أن نكون دخلاء أم أصلاء؟

فإذا اعتسفنا المنطق نفسه، وقلنا إن المسيحيين المصريين فلسطينيون باعتبار موطن المسيحية الأول «بيت لحم» أين مصر إذن بين المسيحيين، والمسلمين أى بين الفلسطينيين، والعرب نتيجة للمنطق العجيب [٣].

د ـ «لو كان من حق أهل بلد ما أن يطردوا الأفكار الغريبة عن بيئتهم، لأنها ليست أفكار مواطنين أصلاء، لوجب إخراج المسيحية والإسلام معا من مصر، ولوجبت إعادة البلاد على عجل إلى حظيرة الوثنية المحضة التى تعبد فيها الأصنام، وتقدس العجول.

فإن الوثنية هى الديانة التى عرفها تاريخنا آلاف السنين، إنها بضاعتنا العريقة.أما الإسلام فقد جاء به عرب غرباء.وأما المسيحية فقد جاء بها ـ كذلك ـ رومان غرباء [٤]!!»

ومن ثم فليست المسيحية صناعة محلية يجب ـ لتشجيعها ـ أن توضع العوائق أمام ما قد يزاحمها من واردات أخرى!! كلا» [٥].

هـ ـ يجب أن يعرف الكبار قبل الصغار أن الإسلام دين كتابى خاتم، وأن المصريين اعتنقوه عن رضا، وحجة، فقد أصهر إليهم رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن قبله أبو

(١) وانظر العقاد:عمرو بن العاص ص ٨٢ .
(٢) شخصية مصر ص ٢٦٧ .
(٣) المصدر نفسه.
(٤) انظر التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ص ١٨٢ .
(٥) المصدر نفسه.

الأنبياء إبراهيم ـ عليه الصلاة و السلام ـ فأنجب ولده إسماعيل ـ عليه السلام ـ جد العرب من هاجر المصرية، وأنجب محمد ﷺ ولده إبراهيم عليه السلام ـ من مارية القبطية [١] .وهذا كله من فضائل مصر، والمصريين.

و ـ إذا علم المصريون هذه الحقيقة الناصعة فلن تكون ثمت عُقد، ولا استعلاء، ولا تفاضل، ولا تناحر وحتى لا يتسلل إلى المصريين مستعمر، أو دخيل، أو جاهل بالدين والتاريخ يحسب التعصب تدينا، فيضر، ولا ينفع [٢] .

ز ـ يجب أن يفهم المصريون «أن النصرانية قد اتفقت مع اليهودية على ضرب الإسلام في الغرب وأنها تحاول جر النصرانية في الشرق إلى موقف مشابه فهل ستجد لها عونا على هذا العرض الخسيس» [٣] .

ومن ثم كان لابد من مراعاة ما يلي :ـ

١ ـ على نصارى مصر الذين يحيون على ربوعها أن تقر أعينهم بالحرية الدينية المتاحة لهم دون منّ ولا أذى.

٢ ـ عليهم مراعاة حقوق المواطنة، وحرمات الجوار، وقرابة الجنس، واللغة ،وأعباء المشاركة الكريمة في بناء حضارة لا حقد فيها ولا دس، ولا تربص فيها ولا شماته.

٣ ـ وعليهم أن يصمُّوا أذانهم عن نداءات الغدر والتشفي إذا ما ألمت بالمسلمين ملمة[٤] .فإنهم إن بطروا معيشتهم لن يفلتوا من عدالة السماء ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ [٥] .

٤ ـ أن يحذروا العناد حتى إذا رأوا مسجدا يبنى، حاولوا بناء أبراج الكنائس أعلى من مئذنته !! فهذه محاولة منكورة، ومع أن كنيسة واحدة تكفيهم ـ في أكثر من حي ـ لأداء عبادتهم، لكنهم مع ذلك يبنون مثنى وثلاث ورباع، ....

٥ ـ ألا يشاركوا في حرب المنشورات وفتنة السذج فتلك خيانة، ربما كانت تمهيدا لمثل ما فعله المعلم «يعقوب حنا» الذى خان مصر، وانضم إلى الغزاة الفرنسيين، فإذا تعاون التبشير مع الاستعمار العالمي على تضليل المسلمين، وإزاغت قلوبهم، فلا يساعدوهم، وإنما

---

(١) شخصية مصر ص ٢٦٨ باختصار وتصرف.
(٢) المصدر نفسه بتصرف.
(٣) قذائف الحق ص ١٢١ .
(٤) المصدر نفسه.
(٥) سورة القصص:آية ٥٨ .

يخالفوهم [١].

٦ ـ لقد انتهز الفاتيكان فرصة هزيمة ١٩٦٧ فأرسل سماسرته، ليشتروا الأرض من العرب المحرجين فى مدينة القدس، وهذا تصرف محقور [٢].

وفى مصر تكاد تشترى شوارع بأسرها، وقرى، لينكمش الإسلام فوق تربتها، ويتحول المسلمون عليها غرباء، فلم ذلك؟ ولحساب من؟ إن حرب شراء الأراضى، واحتكار المبانى بدأت فعلاً، ولكى يبصر المسلمون نتائجها عليهم أن يتذكروا قصة «قبرص» [٣] وقصة سنغافورة التى كانت فيما مضى (!) مسلمة السكان والحكم، وأمست الآن لا صلة لها بالإسلام [٤].

إن المسلمين كما سبق شرحه ـ لم يدخلوا مصر على كره من أبنائها.

بل إن العلاقات بين مصر، وروما، قد توترت واتسعت الفجوة بين الكاثوليك والأرثوذكس، أو بين اليعاقبة والملكيين، حتى فضل المصريون أن يحكمهم مجوس فارس عن أن يظلوا خاضعين للمسيحيين الرومان!! إنهم كانوا يريدون البقاء على مذهبهم الدينى آمنين، وهذا ما كان الرومان يضنون به...زد على ذلك أثقال الضرائب التى فرضها الحكام المتعسفون.لقد ظلت مصر فى ظل الرومان تنوء بما تحمل حتى خارت قواها[٥]، وتحولت على مر الأيام، إلى فزع وخوف.

ذكر سويرس بن المقفع أمثلة لما عاشت فيه مصر، عن شخص يدعى «أغاتون» قال:

«كان قساً فى الكنيسة، وهو من أهل مريوط. كان فى زمن هرقل يتزى بزى العلمانيين فى مدينة الإسكندرية، ويطوف فى الليل يثبت الأرثوذكسيين المختفين ويقضى حوائجهم .. وإذا كان النهار حمل على كتفه قفة فيها آلات النجارين، ويظهر أنه نجار حتى لا يعترضه المخالفون (كذا)» [٦].

فهل يعد ذلك العصر عصر حرية؟ وهل يصح أن يقال : إن المسلمين دخلوا مصر على كره من أهلها الأصلاء؟ إن هذا لهو البهتان المبين، والكذب الصراح. ولو خلى بين المسيحيين

(١) انظر: الشيخ محمد الغزالى:قذائف الحق ص ١٢٢ . (٢) اانظر المرجع نفسه.
(٣) انظر المرجع نفسه، ومع الله...دراسات فى الدعوة والدعاة صـ ٣٧٠ .
(٤) المصدر نفسه. (٥) انظر التعصب والتسامح صـ ١٩٢ .
(٦) نقلاً عن تاريخ اللغة العربية فى مصر ص ٢٥ .

اليوم وبين الإسلام لكانت النتائج مذهلة لصالحه فى أرض مصر.

**أما الاتهام الثالث فهو حريق مكتبة الإسكندرية؟!!**

من النقد المر الذى طفا على السطح من الكارهين لدعوة الإسلام، وحملتها الذين شرفت بهم مصر هذه التهمة التى وجهت إليهم وهى أنهم قاموا بحريق مكتبة الإسكندرية. فما أمر هذه المكتبة، وما حقيقتها؟ إنها قصة برزت إلى عالم الفكر نحو سنة (٦٢٤هـ – ١٢٢٧م) ألفها ابن القفطى(١) عام ١٢٢٧ م فى كتابه: «أخبار العلماء بأخبار الحكماء» وفى هذا الكتاب دونت تلك الرسالة (القصة) التى وردت فى باب الياء فى ذكره ليحى النحوى، وسأذكر ما دونه عن يحيى هذا للحاجة إليه حتى نهاية رسالته تلك(٢).

قال: «يحى النحوى * : المصرى الإسكندارنى تلميذ شاوارى، كان أسقفاً فى كنيسة الإسكندرية ... ويعتقد مذهب النصاري اليعقوبية، ثم رجع عما يعتقده النصاري من التثليث، لما قرأ كتب الحكمة، واستحال عنده جعل الواحد ثلاثة، والثلاثة واحداً، ولما تحقق الأساقفة بمصر عدم رجوعه عز عليهم ذلك، فاجتمعوا إليه وناظوره، فغلب ، وزيف طريقه، فعز عليهم جهله، واستعطفوه، وسألوه الرجوع عما هو عليه، وترك إظهار ما تحققه، وناظرهم عليه فلم يرجع فأسقطوه عن المنزلة التى هو فيها بعد خطوب جرت»(٣). ثم إن حنا هذا: « عاش إلي أن فتح عمرو بن العاص الإسكندرية، ودخل على عمرو، وقد عرف موضعه من العلم واعتقاده، وما جرى له مع النصارى، فأكرمه عمرو. ورأى له موضعاً، وسمع كلامه أيضاً فى انقضاء الدهر، ففتن به، وشاهد من حججه المنطقية، وسمع من ألفاظه الفلسفية التى لم تكن للعرب

(١) هو على بن يوسف الشيبانى القفطى وزير مؤرخ، ولد بقفط من صعيد مصر محافظة أسيوط، ثم انتقل إلى حلب وسكنها وولاه الملك الظاهر بيبرس القضاء بها ولد القفطى عام ٥٦٨ هـ الموافق ١١٧٢م وتوفى عام ٦٤٦ هـ الموافق ١٢٤٨م ذكر قصته عن حريق مكتبة الإسكندرية فى كتابه «أخبار العلماء بأخبار الحكماء» انظر مصر فى الإسلام القرن الأول صـ ١١٨ هامش ٢ .

(٢) عن تقرير مسيو كازانوفا الذى نشر مع أصله الفرنسى بالمجلة العربية التى تصدر فى المملكة العربية السعودية العدد الثالث ( ١٣٩٦ – ١٣٩٧ ) وهذا الجزء من ص ١٥٦، وأرمز إليه بـ (تقرير كازنوفا) نقلاً عن الدكتور على الخطيب : أدب الخليفة الثانى عمر . رسالة (دكتوراه) بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر ص ٣٥٢، ٣٥٤، لسنة ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧ م ).

(*) يسميه الدكتور محمد حسين هيكل (حنا). راجع الفاروق عمر جـ١ ص ١٧٠، ويسميه بتلر:حنا الأجرومى راجع فتح العرب لمصر ص ٣٥٢ وما بعدها.ويسميه مؤرخو المسلمين (يحى) كما هنا.

(٣) أدب الخليفة الثانى..ص ٣٥٢ .

بها سابق علم ـ وكان عمرو عاقلاً حسن الاستماع صحيح الفكر، فلازمه، وكان لا يكاد يفارقه، ثم قال له يحيى يوماً : إنك قد أحطت بحواصل الإسكندرية، وختمت على كل الأصناف الموجودة بها، فأما مالك به نفع فلا أعارضك فيه، وأما ما لا نفع لكم به فنحن أولى به فأمر بالإفراج عنه، فقال له عمرو: وما الذى تحتاج إليه؟ قال : كتب الحكمة فى الخزائن الملوكية، وقد أوقعت الحوطة عليها، ونحن محتاجون إليها ولا نفع لكم بها. فقال له : ومن جمع هذه الكتب وما قصتها؟

فقال له يحيى : إن بطلوماؤس فيلادليفوس من ملوك الإسكندرية، لما ملك حُبب إليه العلم والعلماء، وفحص عن كتب العلم وأمر بجمعها، وأفرد لها خزائن فجمعت، وولى أمرها رجلاً يعرف بـ (زميرة)[١].

وتقدم إليه بالاجتهاد فى جمعها، وتحصيلها، والمبالغة فى أثمانها، وترغيب تجارها فى نقلها ففعل ذلك فاجتمع من ذلك فى مدة: أربعة وخمسون ألف كتاب، ومائة وعشرون كتاباً، ولما علم الملك باجتماعها، وتحقق عدتها قال لزميرة: أترى ما بقى فى الأرض من كتب العلوم ما لم يكن عندنا؟ فقال له زميرة: قد بقى فى الدنيا شىء كثير فى السند، والهند، وفارس، وجرجان، والأرمان، وبابل، والموصل، وعند الروم فعجب الملك من ذلك، وقال له : دم علي التحصيل، فلم يزل على ذلك إلى أن مات الملك[٢].

وهذه الكتب لم تزل محروسة محفوظة يراعيها كل من يلى الأمر من الملوك وأتباعهم إلى وقتنا هذا . فاستكبر عمرو ما ذكره يحيى، وعجب منه، وقال : لا يمكننى أن آمر فيها بأمر إلا بعد استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وكتب إلي عمر، وعرفه قول يحيى الذى ذكرناه، واستأذنه: ما الذى يصنع فيها؟ فورد عليه كتاب عمر يقول فيه:

« وأما الكتب التى ذكرتها، فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله ففى كتاب الله عنه غنى، وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة إليها، فتقدم بإعدامها» .

فشرع عمرو بن العاص فى تفرقتها على حمامات الإسكندرية، وأحرقها فى مواقدها، وذكرت عدة الحمامات يومئذ وأنسيتها، وذكروا أنها استنفدت فى مدة ستة أشهر، فاسمع ما

---

(١) يسميه جرجى زيدان:ابن مرة. راجع تاريخ التمدن الإسلامى جـ٣ ص ٤٤ لسنة ١٩٢٢، وأدب الخليفة الثانى ص ٣٥٣ .

(٢) المصدر نفسه.

جرى وأعجب!»[١].

هذه هي القصة التي كان لها دوى في مجال الفكر والتأليف، دوى عاصف تنازعته أغراض شتى، لكنها تركت في النفوس شيئًا عن حملة الإسلام ودعاته، ووضعتهم مع أي مستعمر محترف على قدم المساواة، وفي الحق أنه لأمر مؤسف أن تحترق مكتبة الإسكندرية فتلتهم النيران تراثًا إنسانيًا جديرًا بالأسى عليه والسخط على من يحرق هذا التراث النفيس في كل العلوم، والفنون غير مبال بالجهود العلمية للإنسانية في مقامها الرفيع[٢]. ومما تجدر الإشارة إليه أن نذكر المراحل التي مرت بها هذه المكتبة لتظهر الحقيقة :

**المرحلة الأولى :** دور الإنشاء والتكوين للمكتبة الأم التي أمر بها بطليموس... في الحي الملكي قريبًا من أحد شطآن الإسكندرية سنة (٢٩٠ق م) .. ثم قدم إليه ديمتريوس فاليريوس، أحد علماء أثينا، وفلاسفتها. فعهد إليه بطليموس (سوتر) بتأسيسها، فاستقدم لها الكتب النفيسة حتى غدت أعظم مكتبات العالم. ولما جاء بطليموس الثاني ضاعف نشاطه فيها مستعينًا بدمتريوس[٣].

**المرحلة الثانية:** ما فعله بطليموس الثاني من إضافة مكتبة إليها أصغر منها جعل مقرها السرابيوم[٤]. وكانت المكتبة قد استهلكت، ما تحتاج إليه من ترتيب ، وتنظيم وظلت المكتبة الأم، وفرعها في ازدهار حتى هاجم يوليو قيصر الروماني الإسكندرية، وحاصره المصريون، فأشعل النار في سفن الأسطول الراسية على الشاطئ فامتدت إلى الأرصفة ومنها إلى المباني، فأتت على المكتبة ومبانيها سنة ٤٨٠ ق م[٥].

اعتراف قيصر في مذكراته عن حرب الإسكندرية، وأن النار اشتعلت في الأسطول والمكتبة، ولكنه يسكت عمن أشعلها، فذكر أن المصريين لما حاصروه .. اشتعلت النار في سفن الأسطول الراسية في المياه، وامتدت النيران إلى المنازل المجاورة، ومنها إلى المكتبة فأحرقتها[٦].

---

(١) علي بن يوسف القفطي :أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٣٢، وراجع لابن النديم:الفهرست ص ٢٣٩، وأدب الخليفة الثاني عمر..ص ٣٥٢ وما يليها، والفاروق عمر جـ١ ص ١٧٠ .

(٢) انظر أدب الخليفة الثاني عمر..ص ٣٥٤ .    (٣) المصدر نفسه ص ٣٥٥ .

(٤) معبد أقامه بطليموس الأول لعبادة سرابيس الإله الشرقي.راجع د/ السيد عبد العزيز سالم:تاريخ الإسكندرية، وحضارتها في العصر الإسلامي ص ٣٤،٣٥ .

(٥) بتلر:فتح العرب لمصر ص ٢٩٩ .

(٦) راجع تعليق د / حسين مؤنس على ما كتبه جرجي زيدان بتاريخ التمدن الإسلامي جـ٣ ص ٥١ دار الهلال عام ١٩٥٨ .

**قيصر ... هو الذي أحرق المكتبة :**

ولكى يظهر الله الحق، فإن المؤرخ أورسيوس ذكر بأن قيصر هو الذى أحرق المكتبة فيقول: «وفى أثناء النضال أمر قيصر بإحراق الأسطول الملكى، وكان عند ذلك راسياً على الشاطئ فامتدت النيران إلى جزء من المدينة، وأحرقت فيها أربعمائة ألف كتاب، كانت فى بناء قريب من الحريق فضاعت بذلك خزانة أدبية عجيبة مما خلفه أباؤنا الذين جمعوا هذه المجموعة الجليلة من مؤلفات النابغين ويقول ديوكاسيوس: إن النيران امتدت « إلى ما وراء المراسى بالبناء فقضت على أنبار القمح، ومخازن الكتب، وقيل: إن هذه الكتب كانت كثيرة العدد عظيمة القيمة»[١]. وهذه الأقوال وغيرها لا تدع مجالاً فى أن مكتبة البطالسة احترقت قبل فتح المسلمين لمصر بستة قرون.

**المرحلة الثالثة:** وفيها احترق قسم كبير منها عام (٤٨ ق .م) ثم قضى الاضطراب السياسى والدينى فى الإسكندرية فى عصر انتشار المسيحية، على العدد الأعظم مما تبقى من هذه الكتب، وأن مكتبة المتحف بددت سنة (٢٧٢ م) عندما أخمد الإمبراطور أورليانوس الثورة التى أشعلها فيرموس [٢] .ومهما يكن من أمر، فقد انتهت المكتبة الأم تماما إلا من القليل جدا الذى سلم من الحريق، فانتقل إلى المكتبة الفرع، أعنى مكتبة السرابيوم (معبد سرابيس) الذى ورث – من بعد الحريق دور المكتبة والجامعة الملحقة بها – ثم ضم إليها مارك انطونيو مائتى ألف مجلد كانت بدار كتب مدينة برجام، أو برجاموس هدية منه لكليوباترا، وتعويضا لها عما نالته النار من المكتبة الأصلية التى أنشأها أجدادها البطالسة [٣].

**المرحلة الرابعة:** تبدأ فى زمن القيصر ماركويل، والقيصر كومول :إذ«من المؤسف أن الدمار الشامل الذى لحق بهذه المكتبة كان بأمر بطريرك الإسكندرية ثيوفيلوس، كما هو مدون بالخطط الفرنسية وأصابها عام ٣٩١م مما أصاب أصلها عام ٤٨ ق.م [٤].عندما هاجمها الجيش الإمبراطورى يساعده المسيحيون بزعامة ثيوفليوس بطريرك الإسكندرية [٥].

---

(١) د/ هيكل :الفاروق عمر..جـ٢ ص ١٧١، ١٧٢ .
(٢) د / السيد عبد العزيز سالم :تاريخ الإسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى صـ ٣٦ .
(٣) راجع لمحمد فريد وجدى :دائرة معارف القرن الرابع عشر جـ ١ صـ ٣٣١، ٣٣٢ وبتلر صـ ٣٠١، والفاروق عمر:جـ٢ صـ١٧٢ ، وتاريخ الإسكندرية وحضارتها .
(٤) دائرة معارف وجدى جـ١ صـ٣٣٢ .
(٥) تاريخ الإسكندرية وحضارتها صـ ٣٦ ، ودائرة معارف وجدى جـ١ صـ ٣٣٢ ، والفاروق عمر جـ٢ صـ١٧٢ .

حتى قال بتلر مؤيدا ما سبق :وأهوى المسيحيون إلى المعبد العظيم معبد سيرابيس، وعلى رأسهم ثيوفيلوس، وجعلوا يهدمونه ويخربون ما فيه، وكان ذلك عام ٣٩١م، ولا يختلف فيه اثنان، وقد ثبت أن المكتبة كانت فى مجرات متصلة بهذا المعبد، وثبت أن هذا المعبد كله قد هدم، وخرب، فلابد أن تكون المكتبة قد لحقها الخراب نفسه [١] .كما أصاب الدمار مكتبة أخرى بالإسكندرية تسمى مكتبة (البركيون) سنة ٢٦٣م [٢] .وأنه حتى عام (٤١٦م) كانت رفوف المكتبة خالية تماما من الكتب شهد بذلك باولوس أورازيوس، الذى شهدها بنفسه عند زيارته الإسكندرية فى هذا العام، ويؤكد الأستاذ بول جراندور هذه الحقيقة مستدلا عليها بأقوال لأورازيوس هذا، ومارسلينيوس إيبانوس تؤكد أن المكتبة لم تكن موجودة على أيامها [٣] .

وهنا ننتهى إلى حقيقة، هى أن كتب الحكمة.. ـ والمقصود بها كتب التراث الإغريقى وما جمعه هؤلاء الأقدمون لهذه المكتبة ـ لم تكن موجودة بما تبقى من أثر المكتبة، فهل احترقت كلها وتبددت؟ أم بقى منها شيء، وما مصيره؟

يقول رفيق بك العظم:«إن المشهور عن هذه المكتبة طروء الحريق عليها أكثر من مرة قبل الفتح الإسلامى، وأن الذى بقى منها نقل بعضه أمبراطورة الرومان إلى القسطنطينية، وما بقى أحرقه الإمبراطور تيودورس لما أمر بحرق الهياكل الوثنية فى الإسكندرية» [٤] ومن ثم

فـ «قد أكدت الشواهد أن المكتبة قد انتهت، وانتهى دورها تماما بل انتهت معها الجامعة الإغريقية بدورها، فلم نعد نسمع لها بذكر عقب تلك الكارثة، وحتى ينتهى أى أمل فى إنشائها، أقام تيوفيلوس الذى هدم المعبد وخرب المكتبة [٥]، محل السرابيوم كنيسة سميت أركاديوم من اسم القيصر أركاديوس المتولى تخت القيصرية بعد القيصر تيودور الأكبر» [٦] ثم عرفت بعد ذلك بكنيسة يوحنا المعمدان، وظلت قائمة حتى القرن العاشر الميلادى [٦] .

وقد أنشأ بها ثيوفيلوس مكتبة كنسية تماما، وإن كانت الخطط الفرنسية تقول:

«جعل فيها دار كتب جمع فيها ما أبقته النار، وشيئا كثيرا من كتب النصرانية، ومهما

(١) بتلر:فتح العرب لمصر صـ٣٣٣،٣٠٤ .
(٢) الفاروق عمر جـ٢ صـ١٧٢ .
(٣) راجع بتلر:...فتح العرب لمصر ص ٣٠٨ . وتعليق د/ حسين مؤنس على تاريخ التمدن الإسلامى جـ٣ ص ٥١ .
(٤) رفيق بك العظم:أشهر مشاهير الإسلام فى الحرب والسياسة جـ٣ ص ٥٩٤ .
(٥) المصدر السابق جـ٣ ص ٥٩٩، ودائرة معارف القرن الرابع عشر جـ١ ص ٣٣٢ .
(٦) تاريخ الإسكندرية وحضارتها ص ٣٧ ،وأدب الخليفة الثانى عمر:ص٣٥٩ .

يكن من أمر، فإن سلمنا بوجود كتب سلمت من الحريق، والتبديد، فإن قلتها لن تجعل المكتبة إغريقية، بل مكتبة كنيسة تماما، قد ادخرت فى جوفها كتبا لاهوتية، عنى كثير منها بالمجادلات التى حدثت بين أتباع أريوس، وأضدادهم، وإذ تكون هذه المكتبة ـ إذا لازمتها ظروف حسنة هى التى عاشت حتى الفتح العربى، وليست التى حَدّث عنها ابن القفطى»[١] والذى يؤخذ على ابن القفطى أنه لماذا تخطى أحقاب التاريخ ليبقى المكتبة إغريقية حتى عمرو ابن العاص، ثم يقول :على لسان ما سماه يحى النحوى وهذه الكتب لم تزل محروسة محفوظة يراعيها كل من يلى الأمر من الملوك، وأتباعها إلى وقتنا هذا [٢].

## القائلون بتزييف هذا الأمر:

ولنعد إلى حيث انتهى الأمر بالمكتبة الكنسية، وفيها ما فيها مما يعتبره أهل دينها تراثا نفيسا لمساسه بالعقيدة مساسا مباشرا يفصل فى ميزانه بين الكفر ـ عند القوم ـ والإيمان، فهل تقدم لها مسلم بسوء؟ إن مؤرخا نصرانيا هو ـ يوحنا النقيوسى ـ قد عاصر الفتح الإسلامى لمصر وكتب فيه ناشرا حقده كله فيما كتب غير مخفف منه، ولا مستتر فيه، لم يكتب كلمة واحدة تشير إلى إحراق عمرو..للمكتبة، وكان أولى الناس بتدوين ذلك لو كان الأمر قد حدث فعلا، ولاسيما والكتب، لها أهميتها الماسة عند القوم، ولو حاق بها أدنى سوء لتحدثوا عنه بكل نقيصة وغلو، وإغراق» [٣].

كما لا نجد ذكرا ـ أيضا ـ لهذا الأمر بين مؤرخينا الإسلاميين الذين سجلوا هذه الفتوح، ولقد صدع للحق فيها فزيّفها كل من :جبرة، وسديو، ورينان، وجوستاف ليبون، وبتلر، كما زيفتها دوائر المعارف البريطانية والإسلامية [٤].

---

(١) أشهر مشاهير الإسلام جـ٣ ص ٥٩٩، ودائرة معارف القرن الرابع عشر جـ١ ص ٣٣٢ .

(٢) راجع أول الحديث عن المكتبة فى البحث.

(٣) راجع تعليق د/ حسين مؤنس على ما كتبه جرجى زيدان بتاريخ التمدن الإسلامى جـ٣ ص ٥١، والفاروق عمر..جـ٢ ص ١٧٣ .

(٤) الفاروق عمر:جـ٢ ص ١٧١ وتقول دائرة المعارف الفرنسوية (جـ الثالث صـ٣٤٨) أن كثيرين قرروا أن المكتبة الملكية، وكذلك مكتبة السيرابيوم كلتاهما لم تكن تنتظر غزو العرب لقصد إفنائها...، فإن مجموع المؤلفات التى كانت بالسيرابيوم قد أحرقها النصارى فى القرن الرابع الميلادى.وقال د/ حسن إبراهيم إن (أورازيوس) الذى زار الإسكندرية فى أوائل القرن الخامس الميلادى أى قبل دخول العرب الإسكندرية بنحو قرن ونصف. قال:

إنه وجد رفوف مكتبة الإسكندرية خالية من الكتب، وما ذلك إلا لأن المسيحيين كانوا أتلفوها فى نهاية=

**فصل الخطاب:**

كذلك فإن المعاهدة التى تمت بين المسلمين والرومان، فيها فصل الخطاب، ونقلها (ليف بول) عن حنا النيقوسى المؤرخ المعاصر للفتح الإسلامى تقول المعاهدة أنه تم الاتفاق بينهما على: -

أ - أن يدفع أهل الإسكندرية للمسلمين جزية شهرية.

ب - وأن يقدموا لعمرو - (١٥٠) جنديا، و(٥٠) مدنيا بمثابة رهائن.

جـ - وأن يتعهد المسلمون بعدم التدخل فى شئون المسيحيين وكنائسهم، والسماح لليهود بالبقاء فى الإسكندرية.

د - وأن يبقى المسلمون مدة (١١) شهرا خارج المدينة حتى يبحر عنها الروم، ووقعت المعاهدة بين الطرفين فى طليعة نوفمبر (سنة ٦٤١م) وتم إبحار الروم فى (١٧ ديسمبر سنة ٦٤٢م [(١)]) وهذا العام يوافق السنة العشرين من الهجرة.

وكم كان أولى لابن القفطى، وما سار فى فلكه أن يعلم أن المسلمين...مطالبون شرعا بحماية نفوس القوم وكنائسهم، وأموالهم حسبما وقع به العقد، فأين البرهان على أن المسلمين نقضوا هذا العهد أو غيره؟ إن أشد الناس عداوة للإسلام والمسلمين لم يرم المسلمين بخيانة العهد، بل لم يقر لهم - مكبرا إياهم - بتمام الوفاء بل جعل الله - سبحانه وتعالى - خيانة العهد من الكبائر التى لا كفارة لها إلا الغمس فى العذاب الأليم، فقال: ﴿ بلى من أوفى بِعهدِهِ واتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [(٢)].

---

=القرن الرابع الميلادى.تاريخ عمرو صـ ١١١ أما الدكتورة زيجريد هونكة فى كتابها:شمس الله تسطع على العرب، فتقول:عندما دخل العرب الإسكندرية لم يكن هناك منذ زمن طويل مكتبات عامة كبيرة، وأما ما اتهم به قائدهم عمرو بن العاص من إحراقه لمكتبة الإسكندرية، والذى يعبر به اليوم عن صورة مفزعة للبربرية والوحشية، فقد ثبت فى أكثر من مناسبة - وبعد أبحاث مستفيضة - أنه مجرد اختلاق لا أساس له من الصحة، إن عمرا فاتح الإسكندرية هو نفسه عمرو الذى ضرب المثل بتسامحه طوال فتوحاته، وحرم النهب والسلب والتخريب على حد سواء.لقد ضمن صراحة للمغلوبين حرية ممارسة شعائرهم الدينية وهذه الشهادة من مستشرقة ألمانية أملى عليها خلقها وضميرها أن تقول كلمة حق.راجع شمس العرب تسطع على الغرب صـ ٣٦٣ من الترجمة العربية، وانظر مصر فى الإسلام..صـ ١٢٤،١٢٥ .

(١) د/ السيد عبد العزيز سالم:تاريخ الإسكندرية وحضارتها ص ٥٣، وبتلر:....ص ٣١٠ .

(٢) سورة آل عمران:آية ٧٦ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١).

وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ .... ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * وَلا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * وَلا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٣).

إن رواية ابن القفطى لا يتحملها إلا ابن القفطى وحده، فلا التاريخ، ولا مسانيد الناس: مسلمين، وغير مسلمين أمدت ابن القفطى بها، حتى ابن النديم وهو مصدره فى يحى النحوى لم يذكر شيئا عن حريق المكتبة (٤).

ويعلق د/ هيكل على المكتبة بقوله:إنها قد تكون نشأت فى بيئة شيعية، ويرى كازانوفا: أنها صنعت إغراء لصلاح الدين بالقضاء على تراث الشيعة (٥).لكن الأولى ما ذهب إليه هيكل ـ رحمه الله ـ فالشيعة حريصون على تشويه عمر (٦)... رضى الله عنه ـ إنها إذن قصة مختلقة:

ردها البعض بواقع من مضمون فحواها إذ نظر فى أمر الحمامات التى أغفل ابن القفطى عددها فوجدها قد بلغت فى الإسكندرية أربعة آلاف حمام (٧)، وهذا يعنى أن ما حوته المكتبة يزيد على السبعين مليون مجلد لتكون وقودا لأربعة آلاف حمام فى ستة أشهر وهذا مستحيل (٨).

---

(١)آل عمران:آية ٧٧، وراجع تفسير الآيات مقارنة باليمين فى الحالات الفردية فى سورة النساء:آية ٧٦،٧٧ .

(٢) سورة المائدة من الآية:١ . (٣) سورة النحل الآيات:٩١ ـ ٩٥ .

(٤) ابن النديم الفهرست ص ٣٧ طـ الاستقامة بالقاهرة بلا تاريخ، وانظر تقرير كازانوفا. السابق فى أدب الخليفة الثانى عمر ص ٣٦٣ . (٥) الفاروق عمر جـ٢ صـ ١٧٠ . وتقرير كازانوفا .

(٦) أدب الخليفة الثانى عمر ٣٦٣ . (٧) ابن عبد الحكم:فتوح مصر وأخبارها ص ٨٢ طـ ليون .

(٨) راجع تقرير كازانوفا، ورفيق بك العظيم:أشهر مشاهير الإسلام جـ٣ ص ٥٩٣ .

**والسؤال المطروح الآن هو:**

ما مدى ثقة ابن القفطى بما كتب عن يحى النحوى؟ أهو على يقين من حياته معاصرا لعمرو؟ انصرف كثيرون إلى التماس ما كتبه ابن القفطى عن يحى متصلا بالمكتبة فى موضوعه من حرف (الياء) فقط بينما صفحات كتابه «أخبار العلماء بأخبار الحكماء تردد فيها اسم يحى النحوى كثيرا، وهى فيما كتب تدل على اضطراب من تحديد وقت حياته، فعند ذكر حريق المكتبة جعله معاصرا لعمرو بن العاص حواريا له (١).وكتب عنه فقال: «يحى النحوى الإسكندرى الأسقف بها فى أول الملة الإسلامية» (٢). وكتب عنه إريباسيوس فقال:«طبيب إسكندرانى بعد يحى النحوى فى أول الشريعة الإسلامية» (٣).

**تردد ابن القفطي في الحكم:**

نلاحظ تردد ابن القفطى، فى استعمال كلمة (بعد) إذ تعنى انقضاء حياة وزمن ولىّ. وهكذا نجده تارة يقطع بوجوده فى أول الملة الإسلامية بمصر، وتارة يقدمه عليها، وأظهر ما يؤخذ من ذلك مباشرة أنه ليس على دراية وثيقة بوقت حياته كما تشير بذلك تلك النصوص فما كان أحراه أن يراجع أمره قبل أن يقتحم هذا المزلق الخطير (٤).

**شهادة المنصفين على نزاهة الفاتحين المسلمين، وتزييف ما قاله أبو الفرج العبري (٥):**

على كل من احتضن هذه الفرية أو دافع عنها نسوق له هذا الرد بالإضافة إلى الردود السابقة، ليكون قذى فى عين كل من يتطاول على دعاة الإسلام، أو النيل من مكانتهم، ونزاهتهم.

---

(١) أدب الخليفة الثانى عمر.. ص ٣٥٢ .

(٢) ابن القفطى:أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٦٦ نقلا عن أدب الخليفة الثانى عمر:ص ٣٦٥ .

(٣) نقلا عن نفس المصدر.

(٤) د/ على الخطيب:أدب الخليفة الثانى عمر ـ ص ٣٦٥ .

(٥) اسمه جريجوريوس يوحنا بن أهارون بن توما الملطى ولد سنة ٦٢٣هـ الموافق ١٢٢٦م، توفى عام ٦٨٠ هـ الموافق ١٢٧٧م وهو مؤرخ سريانى مستعرب من نصارى اليعاقبة (المارون) فرَّ مع أبيه من مالطة إلى انطاكية، وتعلم العربية، واشتغل بالفلسفة واللاهوت، وتنقل فى البلدان، ثم انقطع فى بعض الأديرة حتى نصب أسقفا فى ملطية سنة ٦٥٣ هـ وارتقى لرتبة جاثليق على كرسى المشرق، ولما مات دفن فى دير مارمرقس فى الموصل، كان عالما باللغات الفارسية واليونانية والسريانية.راجع:مصر فى الإسلام صـ ١١٨ هامش ٣ .

**قال بتلر:** لعلنا لا نكون مخطئين إذا نحن أجملنا فيما يلى أدلة حجتنا لنبين حقيقة أمر مكتبة الإسكندرية، ومقدار نصيب قصة إحراق العرب لها من الصحة أو الكذب، فيما يلى :-

١ ـ إن قصة إحراق العرب لها لم تظهر إلا بعد نيف وخمسمائة عام من وقت الحادثة التى تذكرها.

٢ ـ إننا فحصنا القصة، وحللنا ما جاء فيها، فألقيناه سخافات مستبعدة ينكرها العقل.

٣ ـ إن الرجل الذى تذكر القصة أنه كان أكبر عامل فيها مات قبل غزوة العرب بزمن طويل.

٤ ـ إن القصة قد تشير إلى واحدة من مكتبتين:

**الأولى:** مكتبة المتحف، وهذه ضاعت فى الحريق الكبير الذى أحدثه قيصر، وإن لم تتلف عند ذلك كان ضياعها فيما بعد فى وقت لا يقل عن أربعمائة عام قبل فتح العرب.

**وأما الثانية:** وهى مكتبة السرابيوم، فإما أن تكون قد نقلت من المعبد قبل عام (٣٩١م) وإما أن تكون هلكت أو تفرقت كتبها، وضاعت وتكون على أى حال قد اختفت قبل فتح العرب بقرنين ونصف.

٥ ـ إن كُتّاب القرنين الخامس والسادس لا يذكرون شيئا عن وجودها، وكذلك كتاب أوائل القرن السابع [(١)].

٦ ـ إن هذه المكتبة، لو كانت لا تزال باقية عندما عقد (قيرس) صلحه مع العرب على تسليم الإسكندرية، لكان من المؤكد أن تنتقل كتبها، وقد أبيح ذلك فى شرط الصلح الذى يسمح بنقل المتاع، والأموال فى مدة الهدنة التى بين عقد الصلح، ودخول العرب فى المدينة وقدرت ذلك أحد عشر شهرا [(٢)].

٧ ـ لو صح أن هذه المكتبة قد أتلفها العرب حقيقة لما أغفل ذكر ذلك كاتب من أهل العلم، كان قريب العهد من الفتح (مثل حنا النقيوسى) [(٣)]. ولما مر على ذلك بغير أن يكتب

---

(١) بتلر: فتح العرب لمصر: ص ٣١١ .
(٢) راجع شروط الصلح فى ص من البحث.
(٣) سبق بيانه فى أول الحديث عن المكتبة فى هذا البحث.

حرفا عنه [١].

**والخلاصة:** ما ذهب إليه (رينودو) من الشك فى قصة أبى الفرج، وما ذهب إليه (جيون) من عدم تصديقها، ولابد لنا أن نقول:إن رواية أبى الفرج لا تعدوا أن تكون قصة من أقاصيص الخرافة ليس لها أساس فى التاريخ [٢].

**المسلمون قدوة ينبغي أن يحتذى بهم:**

هل يفهم من كلام بتلر ميلٌ للدفاع عن المسلمين؟ كلا ومن ثم قال:لم نقصد فى هذا الأمر سوى اثبات الحقيقة، ولم نقصد الدفاع عن العرب، وليس الدفاع بضرورى، ولو كان ضروريا لما تعذر أن نجد شيئا يليق الاعتذار به عن ذلك، فمما لا شك فيه أن المسلمين عنوا فيما بعد بجمع كثير من الكتب القديمة وغيرها مما وقع فى أيديهم، وعنوا بحفظها، وترجموا منها فى كثير من الأحوال، وفى الحق أنهم أقاموا مثلا يجدر بفاتحى هذه الأيام أن يحذوا حذوهم [٣].فهم على خلاف ما صنعه دعاة الحضارة فى العصر الحديث.

**ماذا فعل الفرنسيون بالكتب التي وجدوها في حروبهم:**

إن الفرنسيين عندما فتحوا مدينة القسطنطينية فى شمال أفريقيا أحرقوا كل الكتب، والمخطوطات التى وقعت فى أيديهم «كأنهم من صميم الهمج» [٤].

**وماذا فعل الإنجليز عندما فتحوا مدينة مجدلة؟**

عندما فتح الإنجليز مدينة مجدلة، وجدوا مكتبة كبرى من الكتب الحبشية فحملوها معهم ولكن لم يلبثوا أن تركوا أكثرها فى كنيسة على جانب الطريق، إذ وجدوا أن فى حملها عناء لم يقوا على احتماله ولقد كان اختيارهم للكتب التى أبقوا عليها خبطا وسيرا مع الصدفة، ولكن قيمة الكتب التى انجيت وحفظت تدلنا على فداحة الخسارة التى لحقت العلم بضياع ما ترك منها فقد كانت النسخة الخطية من كتاب حنا النقيوسى التى حفظت بالمتحف البريطانى إحدى تلك الكنوز التى أُنجيت بهذه الطريقة الاتفاقية [٥].

**أدلة تؤيد بعضها بعضا:**

وممن شارك بتلر فى إثبات الحقيقة دكتور «حتى» [٦] إذ قال:

---

(١) بتلر:ص ٣١١ باختصار.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) راجع لبتلر:فتح العرب لمصر ص ٣١٢ هامش.

(٤) نفس المصدر.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) فى كتابه:تاريخ العرب جـ١ ص ٢٢٢ .

«أما القصة التى تقول إن عمرا أحرق مكتبة الإسكندرية بإشارة من الخليفة، وأحمى بها حمامات المدينة مدة ستة أشهر، فينكرها البحث العلمى، فلقد أحرق مكتبة البطالسة العظمى: يوليوس قيصر حين غزا البلاد المصرية سنة ٤٨ ق.م، أما المكتبة الصغرى:التى نشأت من بعد فلقد أتلفت بأمر الامبراطور «ثيودوسيوس، حوالى سنة ٣٨٩ .واندثرت مكاتب الإسكندرية من بعد ذلك، فلم يك فى الإسكندرية مكتبة عظمى يوم الفتح زد على هذا أن أحدا من الكتاب المعاصرين لهذه الحوادث لم يتهم الخليفة أو عامله، بإحراق مكتبة ما بالإسكندرية، ولا نعرف أحدا روى هذه القصة قبل عبد اللطيف البغدادى [1]، المتوفى سنة (٦٢٩)= (١٢٣١) ولسنا نفهم الباعث إلى اختلاق هذا النبأ الذى اعتدّ به المؤلفون المتأخرون وزادوا عليه» [2].

**بقى سؤال ختامى:**

لماذا بقيت تلك الأسطورة من وقت ما كتبت؟ فلم يدرس أمرها حتى كان العصر الحديث؟ ويجيب دكتور هيكل ـ رحمه الله ـ بفصل الخطاب قائلا:

«لو أن النقد العلمى عُرف فى تلك العصور لما بقيت هذه الأسطورة أسابيع قبل أن يفندها الناقدون «ثم يقول»:

كيف تسنى لأسطورة تقوم هذه الأدلة الكثيرة على بطلانها أن تبقى قرونا، وألا يرى بعض المؤرخين المسلمين بأسا بروايتها وبتصديقها؟

السبب عندى واضح بيّن، وهو الفرق بين عقلية المسلمين فى القرن الأول، وعقلية

---

(١) فى الإفادة والاعتبار نشره وترجمه (للاتينية) هويت:أكسفورد:سنة ١٨٠٠م ص ١١٤ ويتهم د/ حسن إبراهيم البغدادى على بن القفطى، وأبى الفرج إذا فرض أن عبد اللطيف هو أول من ذكر هذه المسألة.انظر تاريخ الإسلام:١ / ٢٤٢ .

وقد عاش البغدادى ومات فى بغداد وكان مولده سنة ٥٥٧هـ الموافق ١١٦٢م ويعتبر من كبار الفلاسفة والمؤرخين المسلمين له تصانيف كثيرة فى الحكمة وعلم النفس، والتاريخ والطب والأدب من كتبه الإفادة والاعتبار بما فى مصر من أخبار» كتبه عندما زار مصر، وذكر فيه حكاية إحراق مكتبة الإسكندرية.راجع مصر فى الإسلام صـ ١١٨ هامش ١ .

(٢) القفطى:تاريخ الحكماء نشر برت (ليبزع:١٩٠٣ ص ٣٥٥ ـ٦، وأبو الفرج ابن العيرى:تاريخ مختصر الدول، نشر الصالحانى:بيروت ١٨٩٠م ص ١٧٥ ـ ٦، والمقريزى:الخطط جـ٣ ص ١٢٩ ـ ١٣٠، وراجع للعقاد:عمرو بن العاص ص ٧٦ ـ ٧٧ .

المسلمين فى القرن السابع الهجرى والقرون التى تلته» [١].

ثم يسوق فرقا آخر فيذكر أن هذه القصة:

«كتبت فى القرن السادس الإسلامى حين جمد التفكير، والنقد، وأصبح جهد المؤلفين مقصورا على نقل الروايات التى ذكرها من سبقهم دون تمحيصها لمعرفة صحيحها من باطلها» [٢].

إن المسلمين لم يكونوا أبدا أداة تخريب، لقد شهد لهم المؤرخون المنصفون بأنهم كانوا رسل رحمة، وحملة هداية، لقد عم إصلاحهم المشرق والمغرب، ونشروا دعوتهم فى الخافقين،إن مصر لم تعرف الاستقرار والأمان إلا فى ظل الإسلام..أما الصراعات المذهبية بين النصارى، أو بين الغزاة اليونانيين، والرومان والفرس فقد كانت الإسكندرية بابا يدخل.منه الغزاة الذين يستخدمون وسائل التدمير والإرهاب ضد المدافعين عن المدينة، فلا غرابة أن يقدم بعضهم على هذه الفعلة البربرية ضمن مخططه لاحتلال المدينة.

فأما الفتح الإسلامى، فإنه لم يأت عن طريق البحر أو الإسكندرية بل جاء عبر سيناء، مر بالمناطق الشرقية من مصر، وحسم المعركة عند حصن بابليون فيما يعرف الآن بمصر القديمة..، ثم تم الصلح بين المقوقس والفاتح عمرو بن العاص، ولم تكن الإسكندرية طرفا فى النزاع بعد [٣]. وها هى إصلاحاتهم الداخلية فى مصر عصر البحث، خير شاهد على حسن سياستهم، وحجة لهم على شانئيهم.

---

(١) الفاروق عمر....جـ٢ ص ١٧٣ .

(٢) المصدر نفسه..ص ١٧٠ ، والأعجب أن يأتى مؤرخ فى العصر الحديث، فيكذبها ثم يعود إلى تصديقها!!، وراجع :تاريخ التمدن الإسلامى جـ٣ ص ٤١ لترى.

(٣) انظر مصر فى الإسلام القرن الأول صـ ١٢٦ بتصرف.

# الفصل السادس
# الإصلاحات الداخلية في مصر بعد الفتح وأثرها في الدعوة

ويتكون من: تمهيد
وخمسة مباحث:
المبحث الأول: القضاء وصلته بالدعوة
المبحث الثاني: نظام المسلمين الإداري في مصر
المبحث الثالث: أثر هذه الإصلاحات في مصر.
المبحث الرابع: صناعة الورق في مصر
المبحث الخامس: صناعة الخشب، والخزف، والزجاج، والمعادن.

**تمهيد:**

وقر فى نفوس المسلمين أن الدعوة لا يكتب لها البقاء والازدهار إلا إذا كانت مرافق الدولة تقوم بأدائها خير قيام، فلقد رأوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقيم لهم المسجد إثر وصوله إلى المدينة مهاجرا، كما أقام لهم السوق ليبتاعوا منه حاجياتهم، ففى المسجد إقامة العبادات، وفى السوق مطالب الحياة المادية، التى يستعينون بها على أعباء الجهاد، ونشر الدعوة، والذود عن حماها، وانطلاقا من هذه القدوة حرص المسلمون على إقامة المساجد والمحافظة عليها، والعناية بالمدن التى فتحوها، وقاموا على رعايتها، كما عنوا بإصلاحاتها ومرافقها الداخلية التى تعود على المجتمع بالنفع، وعلى الدعوة بسرعة الانتقال وحسن القبول.

فالدعوة تقبل إذا أحسن عرضها، واهتم حاملوها بشأنها، ويزيد من مكانة حامليها اهتمامهم بمصالح المجتمع الذى تعيش فيه الدعوة، ومن أجل ذلك لم يتوان المسلمون بعد فتح مصر، واستقرارهم فيها من سن الأحكام العادلة، والقيام بالإصلاحات الداخلية النافعة، التى تتمثل فى الدعوة العملية فتشمل:ـ

١ ـ القضاء العادل بين المتخاصمين.

٢ ـ النظام الإدارى

٣ ـ الزراعة ويتبعها: ـ

أ ـ مقياس النيل والعناية به.

ب ـ حفر الترع.

جـ ـ اقامة الجسور.

٤ ـ الصناعة.

٥ ـ التجارة.

**المبحث الأول: القضاء.. وصلته بالدعوة:**

**مقدمة:** أدخل المسلمون فى مصر نظاما قضائيا فريدا، يقوم على أساس الشريعة الإسلامية، يخص الفاتحين، ومن ينضمون إليهم من أهل البلاد، أما الذميون فكان لهم قضاؤهم، إلا إذا احتكموا إلى القاضى المسلم، فله أن يحكم بينهم بالعدل [(١)].

لقوله تعالى: ﴿ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ

(١) انظر:د/ سيده إسماعيل كاشف:مصر فى فجر الإسلام ص ٩٩ .

شيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [١].

ولا جدال فى أن القضاء العادل خير دليل على صدق دعوة الإسلام، و الدليل :القاضى **خير بن نعيم الحضرمي** كان يقضى بين المسلمين فى المسجد، ثم يجلس على باب المسجد بعد العصر، فيقضى بين أهل الذمة، وأنه كان يقبل شهادة النصارى، واليهود على اليهود، ويتحقق من عدالة هؤلاء الشهود بين أهل دينهم [٢].

كما أن القاضى محمد بن مسروق الكندى كان يسمح للنصارى المتخاصمين بالدخول فى المسجد الجامع كالمسلمين ليقضى بينهم [٣].

**عناية الإسلام بالقضاء:** عنى الإسلام بالقضاء العادل بين الناس، عناية فائقة، فجاءت الآيات دالة على اتباعه وإلزام العمل به.

كما فى قوله تعالى: ﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [٤].

وفى قوله تعالى: ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [٥].

وفى قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [٦].

وكما جاء فى السنة، ما رواه عمرو بن العاص عن النبى صلى الله عليه وسلم ـ قال: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر» [٧].، ومنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:«القضاة ثلاثة:قاضيان فى النار، وقاض فى الجنة، فالذى فى الجنة، فرجل عرف الحق وقضى به، واللذان فى النار:رجل عرف الحق فجار فى الحكم، ورجل قضى للناس على جهل. .»[٨].

**مشروعية القضاء، وتعريفه:**

اجمع المسلمون على مشروعية القضاء والحكم بين الناس [٩]. ولكنهم اختلفوا فى

---

(١) سورة المائدة:آية ٤٥ . (٢) الكندى:الولاة والقضاة..ص ٣٥١ .
(٣) المصدر السابق ص ٣٩٠ .،والقلقشندى:صبح الأعشى جـ١ ص ٤١٨،٤١٩ .
(٤) سورة المائدة:من الآية ٤٨ . (٥) سورة المائدة:آية ٤٩ .
(٦) سورة المائدة:آية ٤٣ .
(٧) متفق عليه والحديث فى فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوى جـ١ ص ٣٣١ ورقمه ٥٦٥ .
(٨) رواه الأربعة، والحاكم والبيهقى، والحديث فى فيض القدير شرح الجامع الصغير جـ٤ ص ٥٣٧ برقم ٦١٨٩ .
(٩) انظر د/ إبراهيم نجيب محمد عوض:القضاء فى الإسلام ص ٨ .

تعريفه على جملة معان منها:ـ

١ ـ الحكم والحتم: كما جاء فى قوله تعالى: ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ (١) أى حكم وحتم وأمر (٢).

٢ ـ الصنع والتقدير: كما فى قوله تعالى: ﴿ فقضاهن سبع سموات في يومين ﴾ (٣) أى صنعهن، وقدرهن وخلقهن كما يقال:قضى الشئ إذا صنعه وقدره (٤).

٣ ـ المضي: كما قال تعالى: ﴿ ثم اقضوا إلي ولا تنظرون ﴾ أى امضوا (٥).

٤ ـ وقيل إمضاء الشئ وإحكامه، وهو معنى يجمع بجميع ما تقدم من معان يقال: قضى غريمه أى أداه حقه، وقضى عليه أماته، وقضى الشيء فرغ منه، وقضى حكم وفصل. وقيل فى تعريفه معان أخر (٦).

**أما تعريفه في اصطلاح الفقهاء فهو:** «الإخبار عن حكم شرعى على سبيل الإلزام» (٧).

**وعرفه الجمهور بأنه:** «الفصل بين الناس فى الخصومات حسما للتداعى وقطعا للنزاع بالأدلة الشرعية» (٨).

**القضاء دعوة منصفة:**

القضاء أمر لازم لقيام الأمم وسعادتها، وحياتها الطيبة، ونصرة المظلوم وقمع الظالم، وقطع الخصومات، وأداء الحقوق إلى مستحقيها، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وللضرب على أيدى العابثين الظالمين.ولذلك حرص الإسلام أن يكون القضاء عادلا بين الناس حتى يأخذ كل ذى حق حقه، حتى عُرفت دعوة الإسلام بأنها الدعوة المنصفة (٩).

**مكانة القضاء عند الخلفاء في مصر:**

**قال ابن خلدون:** كان القضاء فى الدولة الإسلامية من الأمور الخاصة بالخلافة(١٠)، ولكن لما كان الخليفة لا يمكنه مباشرة كل أمور القضاء بنفسه، ولاسيما بعد أن اتسعت رقعة

---

(١) سورة الإسراء:من الآية ٢٣ . (٢) المصحف المفسر ص ٣٦٧ .
(٣) سورة فصلت من الآية:١٢ .
(٤) القضاء فى الإسلام ص ٥ من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية سنة:١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥م .
(٥) سورة يونس من الآية:٧١ . (٦) القضاء فى الإسلام ص ٥ .
(٧) القضاء فى الإسلام ص ٤،٥ .
(٨) راجع ابن فرحون:تبصرة الحكام ، والإمام علاء الدين أبو الحسن ابن خليل الطرابلسى:معين الحكام ، والقضاء فى الإسلام ص ٨ .
(٩) القرافى:الأحكام، والقضاء فى الإسلام ص ٧ . (١٠) القضاء فى الإسلام ص ٩ بتصرف.

الدولة الإسلامية اتساعا كبيرا منذ أيام الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، نجده يفوض القضاء إلى غيره، كما كان يفوض إلى الولاة حكم الولايات المفتوحة [١] .وهذا يدل على مكانة القضاء وخطورته لدى الخلفاء.

ومن ثم فإن الخليفة عمر ـ رضى الله عنه ـ هو الذى عين أول قاض بمصر وهو:**قيس ابن أبي العاص السهمي** (سنة ٢٣ هـ) [٢] حتى روى عنه قوله:«القضاة ثلاثة:قاض قضى برشوة فهلك، وقاضى اجتهد فأخطأ فود لو أن أمّه لم تلده، وقاضى اجتهد فأصاب فأفلت ولم يكد يفلت» [٣].

كما أن معاوية بن أبى سفيان هو الذى ولى قضاء مصر:**سليم بن عتر التجيبي** (سنة ٤١ ـ ٦٠ هـ) [٤].

وولى الخليفة هشام بن عبد الملك القاضى **يحيي بن ميمون الحضرمي** فى سنة ١٠٥ هـــ [٥]. ولما كان للقضاء مكانة سامية فإن الخلفاء كانوا يباشرونه بأنفسهم ثم فوضوا من قبلهم للقيام به، ثم فوضوا بعض ولاتهم اختيار قضاتهم كما حدث من والى مصر عبد العزيز بن مروان (سنة ٦٥ ـ ٨٦ هـ) أن يفوضه الخليفة الوليد بن عبد الملك أن يولى القضاء **بشَير بن النضر المُدَنِي**.قضاء مصر [٦].

ولما مات ولّى عبد العزيز بن مروان مكانه عبد الرحمن بن حُجّيرة الخولانى [٧] مـــن قبل[٨] الخليفة عبد الملك بن مروان، وكان عبد الرحمن بن حجيرة فقيها من أفقه الناس [٩].

وعندما يبلغ الخليفة هشام بن عبد الملك قاضيه يحيى بن ميمون الحضرمى أنه سيء السيرة يكتب إلى واليه على مصر الوليد بن رفاعه (سنة ١٠٩ ـ ١١٧ هـ) أن يعزله قائلا:

«اصرف يحيى عما يتولاه مذموما مدحورا، وتخير لقضاء جندك رجلا عفيفا، ورعا تقيا سليما من العيوب لا تأخذه فى الله لومة لائم»، وعندئذ عزله الوليد، وولى مكانه:توبة بـن نمر

---

(١) المقدمة ص ١٨٢،١٨٣ . (٢) راجع مصر فى فجر الإسلام ص ٩٩ .

(٣) ابن عبد الحكم:فنوح مصر وأخبارها ص ٢٢٩ طـ ليون:١٩٢٠ مكتبة المثنى بغداد والكندى:الولاة والقضاء ص ٣٠٠،٣٠١، ودكتور حسن إبراهيم:تاريخ الإسلام السياسى والدينى ـ جـ ١ ص ٤٢٨ .
وكان سليم بن عتر قد أدرك عمر بن الخطاب وحضر خطبة الجابية. ابن عبد الحكم ص ٢٣ .

(٤) ابن عبد الحكم ص ٢٢٧ . (٥) ابن عبد الحكم.. ص ٢٣١ .

(٦) الكندى:الولاة..ص٣٤٠، وابن عبد الحكم..ص ٢٤٠ . (٧) انظر ابن عبد الحكم..ص ٢٣٥ طـ ليون.

(٨) الكندى:الولاة ص ٣١٤، وابن عبد الحكم..ص ٢٣٥ . (٩) ابن عبد الحكم..ص ٢٣٥ .

الحضرمي (سنة ١١٥ هـ) [١].

**مكانة القضاة واستقلالهم:**

لما كانت سلطة القضاء مرجعها إلى الخلافة مباشرة كان الخليفة هو رئيس القاضي المباشر ومن ثم كان القضاة أكثر استقرارا في مناصبهم من الولاة، وهذا ما يستدعيه حسن سير العدالة ففي كثير من الأحيان، كان القاضي يشغل منصبه في عهود ولاة مختلفين، أو في عهد خلفاء مختلفين، وكثيرا ما مات القضاة في مصر في مناصبهم [٢].

كما حدث للقاضي سليم بن عتر التجيبي الذى تولى القضاء عشرين سنة (٤٠ ـ ٦٠ هـ) [٣] بينما يتعاقب في حكم مصر في عهده أربعة ولاة هم:عمرو بن العاص، وعتبة بن أبي سفيان، وعقبة بن عامر الجهني، ومسلمة بن مخلد [٤].

وكما حدث لعبد الرحمن بن حجيرة الأكبر الذى ولى القضاء أربعة عشر عاما، وظل يشغل هذا المنصب حتى موته (٦٩ ـ ٨٣ هـ) في ولاية عبد العزيز بن مروان [٥].

كما أن القاضي عياض بن عبيد الله الأزدي، ولى قضاء مصر نيابة عن خليفتين متواليين هما سليمان بن عبد الملك (٩٦ ـ ٩٩ هـ)، وعمر بن عبد العزيز (٩٩ ـ ١٠١ هـ) [٦].

ولم يكن القضاة يرضون بأن يتدخل في أحكامهم أحد إذ كانت وظيفة القضاء من الوظائف السامية التي تحاط بالهيبة، والإجلال، كما كان لصاحبها نفوذ كبيرة يتفق مع خطورة العمل الذى يؤديه، ولا نعرف أن واليا من ولاة مصر جمع إلى سلطته ولاية القضاء، ولم نسمع عن حدوث تصادم بين حكم القاضي وسلطان الوالي في ذلك العصر [٧].

**من الأدلة على استقلال القضاء الإسلامي في مصر:**

من الأمثلة على استقلال القضاء، وعدم قبول أية وساطة أو شفاعة أن **توبة بن نمر الحضرمي** لما ولى القضاء في مصر:

---

(١) الكندي:الولاة..ص ٣١٤ .
(٢) الكندي:الولاة..ص ٣٤٢ ـ ٣٤٧ .
(٣) راجع مصر في فجر الإسلام ص ١٠١ .
(٤) الكندي:الولاة ص ٣٠٣ ـ ٣١١ .
(٥) المصدر السابق ص ٣١٤ ـ ٣٢٠ .
(٦) المصدر السابق ص ٣٣٣،٣٣٤ وراجع في الملاحق جدول القضاة في مصر.
(٦) المصدر السابق ص ٣٥٤،٣٦٧،٤٢٧، وآدم متز:الحضارة الإسلامية.
(٧) الكندي:الولاة والقضاة ص ٣٤٢،٣٤٣ .

«دعا امرأته عفيرة، فقال يا أم محمد.أى صاحب كنت لك؟ قالت خير صاحب وأكرمه قال:فاسمعى لا تعرضى لى فى شىء من القضاء، ولا تذكرينى بخصم، ولا تسألينى عن حكومة فإن فعلت شيئا من هذا فأنت طالق، فإما أن تقيمى مكرمة، وإما أن تذهبى ذميمة، فانتقلت عنه فلم تكن تأتيه إلا فى الشهر والشهرين [(١)] .وفى رواية لابن عبد الحكم:

إنه قال لامرأته:كيف علمت صحبتى لك؟ قالت:جزاك الله من عشير خيرا، قال:قد علمت ما بلينا به من أمر الناس فأنت طالق، فصاحت فقال لها:إن كلمتنى فى خصم أو ذكرتنى به.قال:فإن كانت لترى دواته قد احتاجت إلى الماء فلا تأمر بها أن تمد خوفا من أن يدخل عليه فى يمينه شىء [(٢)].

وكما حدث فى ولاية **خير بن نعيم** على القضاء «أن رجلا من الجند قذف رجلا من الأهالى فخاصمه إليه وثبت عليه شاهد واحد، وأمر بحبس الجندى إلى أن يثبت الرجل شاهدا آخر، فأرسل أبو عون (والى مصر إذ ذاك) فأخرج الجندى من الحبس، فاعتزل خير بن نعيم وجلس فى بيته وترك الحكم، فأرسل إليه أبو عون فقال: لا حتى ترد الجندى إلى مكانه» [(٣)].

وهكذا تظهر صورة القضاء العادل مشرقة تجلو جوهر الدعوة وتبين مكنونها.

**دار القضاء:**

لم يكن للقضاء دار خاصة به، كما هو الحال فى المحاكم اليوم، للفصل فى القضايا، إنما كانت مجالس القضاء تعقد فى جامع عمرو بن العاص بالفسطاط [(٤)].

**ويذكر الكندي:** أن القضاة كانوا يجعلون للقضاء بين النصارى يوما فى منازلهم، إلى أن جاء القاضى **محمد بن مسروق**، فأذن لهم بالدخول فى المسجد [(٥)] ولابد أن ولاية القاضى كانت تمتد على الأراضى التى كانت تدخل تحت سلطة الوالى السياسية كما أن الاختصاص الذى للقاضى غير محدود سواء أكان فى الأمور المدنية أو الجنائية [(٦)].

وكان (**خير بن نعيم**) يقبل شهادة النصارى على النصارى، واليهود على اليهود، ويسأل عن عدالتهم فى أهل دينهم [(٧)].

---

(١) فتوح مصر والمغرب ص ٢٤٠ طـ ليرن .
(٢) ابن عبد الحكم:ص٢٤٠ طـ ليون.
(٣) انظر:مصر فى فجر الإسلام ص ١٠٤ .
(٤) الكندى:الولاة ص ٣٩٧ نقلا عن المصدر السابق.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) المصدر نفسه.
(٧) الكندى:الولاة..ص ٣٥١ .

كما كان يقضي في المسجد بين المسلمين، ثم يجلس على باب المسجد بعد العصر على المعارج فيقضي بين النصارى (١).

**مصادر القضاة، واستمرارية حكم الشريعة حتى أواخر القرن الثامن عشر:**

لما كانت رسالة القضاء رسالة سامية، وأصحابها يتمتعون بمكانة محترمة كان لابد لهم من مصادر موثقة يستمدون منها أحكام القضاء، وكانت مصادر التشريع الإسلامي التى يعتمدون عليها هي :الكتاب، والسنة، والاجماع، والاجتهاد أو القياس.

أما الكتاب والسنة والاجماع فقد سبقت الإشارة إلى أدلة كل منهما .فلا حاجة إلى الإعادة.

أما القياس: فالقصد منه أن القاضى إذا عرضت عليه قضية لم يجد فيها حكما منصوصا عليه فى القرآن الكريم ولا فى سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يكن قد صدر فيها حكم بإجماع من الصحابة، بحث عن مشكلة تشبه المشاكل التى بين يديه يكون قد صدر فيها حكم من القرآن، أو السنة، أو الإجماع وهو اتفاق مجتهدى الأمة فى عصر من العصور على أى حكم من الأحكام بشرط أن يكون له مستند من الكتاب والسنة، وهذا يكفى من غير تعرف المستند (٢).

وفى ذلك يقول الماوردى فى كلامه عن الشروط التى يجب أن تتوافر فى القاضى:

«والرابع عمله بالقياس الموجب لرد الفروع المسكوت عنها إلى الأصول المنطوق بها، والجمع عليها، حتى يجد طريقا إلى العلم بأحكام النوازل وتمييز الحق من الباطل» (٣).

والحقيقة أن أرض الكنانة شرفت بأن تكون قوانين الإسلام، وأحكامه، «هى الشريعة العامة بمصر منذ الفتح الإسلامى سنة ٢٠ هـ = ٦٤١م فجرفت أمامها القوانين الرومانية تدريجيا، واستمرت تضبط علاقات الأفراد الخاصة بأحوالهم الشخصية، كما تضبط معاملاتهم إلى عهد أسرة محمد على (إسماعيل) فلم يخرج عن ولايتها أحد على أرض الدولة المصرية لا أهل الذمة المستوطنون فيها، ولا غيرهم من المستأمنين المقيميين فيها» (٤).

**أول من سجل أحكام القضاء في مصر الإسلامية:**

لم يكن للقاضى كاتب أو سجل تدون فيه الأحكام، لأنها كانت تنفذ على أثر البت

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) د/ حسن إبراهيم حسن :تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى جـ١ ص ٤٩٨ .
(٣) الماوردى :الأحكام السلطانية ص ٦٦ . (٤) القضاء فى الإسلام ص ٢٨٤ .

فيها، وكان القاضى يقوم بتنفيذها بنفسه، كما كان القاضى يجلس للحكم فى منزله أولا ثم أصبح يجلس فى المسجد ليفصل فى الخصومات [(١)].

وفى ذلك العهد ظهرت الحاجة إلى وجود سجلات تدون فيها الأحكام التى يصدرها القضاة، لكن لم يعرف هذا فى عهد الخلفاء الراشدين، إلا أنّ تناكر الخصوم أدى إلى إدخال هذا النظام فوجدت السّجلات، قال الكندى:لما تولى **سليم بن عتر** [(٢)] قضاء مصر، واختصم إليه فى ميراث، فقضى بين الورثة، ولكنهم تناكروا ورجعوا إليه، فقضى، وكتب كتابا بقضائه، وأشهد فيه شيوخ الجند فكان أول القضاة سجل سجلا [(٣)] بقضائه [(٤)]، وتبعه فى ذلك القضاة من بعده [(٥)].

**أرزاق القضاة:**

كان القضاة يأخذون رزقا من بيت المال فكان رزق ابن حُجيرة (٦٩ ـ ٨٣هـ) من القضاء مائتى دينار فى السنة [(٦)]، وكان رزق عبد الرحمن بن سالم الجيشانى (١٣١هـ) عشرين دينارا فى الشهر [(٧)].

**مميزات القضاء في عهد بني أمية:**

امتاز القضاء فى عهد بنى أمية بميزتين اثنتين :ـ

**الأولى:** أن القاضى كان يحكم بما يوحيه إليه اجتهاده إذا لم تكن المذاهب الأربعة التى تقيد بها القضاة قد ظهرت بعد، فكان القاضى فى هذا العصر يستنبط الحكم بنفسه من الكتاب والسنة والإجماع، أو يجتهد برأيه.

**الثانية:** أن القضاء لم يكن متأثرا بالسياسية إذ كان القضاة مستقلين فى أحكامهم لا يتأثرون بميول الدولة الحاكمة، وكانوا مطلقى التصرف، فكلمتهم نافذة حتى على الولاة وعمال الخراج [(٨)].

---

(١) تاريخ الإسلام السياسى...جـ١ ص ٥٠٠ . (٢) التجيبى المصرى أبو سليم قاضى مصر، وناسكها من طبقة التابعين الأولى..وكان يسمى الناسك لكثرة عبادته وفضله، تولى قضاء مصر فى عهد معاوية ومكث قاضيا عشرين عاما، مات بدمياط سنة خمس وستين من الهجرة.القضاء فى الإسلام ص ٥٥ بتصرف.

(٣) السجل:معناه تدوين الأحكام لا التسجيل المعروف اليوم فى مصر.راجع مصر فى فجر الإسلام ص ١٠٧ .

(٤) الكندى:الولاة والقضاة ص ٣٠٩ ـ ٣١٠ . (٥) انظر د:حسن إبراهيم حسن:تاريخ الإسلام السياسى.. جـ١ ص ٥٠١ . (٦) الكندى:...ص ٣١٧ . (٧) المصدر السابق ص ٣٥٤ .

(٨) تاريخ الإسلام السياسى جـ١ ص ٥٠٠ .

كما كان القضاة فى العصر الأموى من خيرة الناس، يخشون الله ويحكمون بين الناس بالعدل، وعلى الرغم من أنهم كانوا مستقلين فى أحكامهم، إلا أن الخلفاء كانوا يراقبونهم، فيعزلون من يشذ عن طريق الحق كما فعل الخليفة هشام بن عبد الملك لما بلغه أن يحيى بن ميمون الحضرمى لم ينصف يتيمًا احتكم إليه بعد بلوغه، فكتب إلى واليه على مصر بعزله(١).

**شروط متولي القضاء:**

وضع فقهاء المسلمين شروطا لمن يتولى القضاء منها:

١ ـ أن يكون رجلا وهذا الشرط يجمع صفتين:أ ـ البلوغ. ب ـ الذكورية.

أما المرأة...فلنقص النساء عن رتب الولايات، وإن تعلق بقولهن أحكام لكن أبا حنيفة قال:يجوز أن تقضى المرأة فيما تصح فيه شهادتها، ولا يجوز أن تقضى فيما لا تصح فيه شهادتها، وشذ ابن جرير الطبرى فجوز قضاءها فى جميع الأحكام، ولا اعتبار بقول يرده الإجماع من قول الله تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ (٢).

يعنى فى العقل والرأى فلم يجز أن يقمن على الرجال (٣).

٢ ـ أن يكون صحيح التمييز: جيد الفطنة بعيدا عن السهو والغفلة يتوصل بذكائه إلى إيضاح ما أشكل، وفصل ما أعضل.

٣ ـ الحرية: ، لأن نقص العبد عن ولاية نفسه يمنع من انعقاد ولايته على غيره.

٤ ـ الإسلام: لكونه شرطا فى جواز الشهادة، ولأن الله تعالى يقول: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾ (٤).

٥ ـ العـدالة: ، وهى معتبرة فى كل ولاية، والعدالة أن يكون صادق اللهجة، ظاهر الأمانة عفيفا عن المحارم متوقيا المآثم بعيدا عن الريب، مأمونا فى الرضا والغضب، مستعملا لمروءة مثله فى دينه ودنياه (٥).

٦ ـ السلامة في السمع، والبصر ليصبح بهما إثبات الحقوق ويفرق بين الطالب والمطلوب (٦).

---

(١) د/ حسن إبراهيم حسن:تاريخ الإسلام السياسى والدينى..ص ٥٠٠ .
(٢) سورة النساء:من الآية ٣٤ .
(٣) الماوردى:الأحكام السلطانية ص ٦٥ .
(٤) سورة النساء:آية ١٤١ .
(٥) الأحكام السلطانية ص ٦٦ .
(٦) المصدر نفسه.

**أصول الأحكام في الشرع أربعة يُعد صاحبها من أهل الاجتهاد في الدين تجوز له الفتيا والقضاء:**

**الأول: علمه بكتاب الله عز وجل** على الوجه الذى تصح به معرفة ما تضمنه من الأحكام ناسخا ومنسوخا، ومحكما، ومتشابها وعموما وخصوصا، ومجملا، ومفسرا.

**الثاني: علمه بسنة رسول الله** ـ صلى الله عليه وسلم ـ الثابتة من أقواله وأفعاله، وطرق مجيئها فى التواتر والآحاد، والصحة والفساد، وما كان عن سبب أو إطلاق.

**الثالث: علمه بتأويل السلف** فيما اجتمعوا عليه، واختلفوا فيه ليتبع الإجماع ويجتهد برأيه فى الاختلاف.

**الرابع: علمه بالقياس** الموجب لرد الفروع المسكوت عنها إلى الأصول المنطوق بها، والمجمع عليها حتى يجد طريقا إلى العلم بأحكام النوازل وتميز الحق من الباطل، فإذا أحاط علمه بهذه الأصول الأربعة فى أحكام الشريعة صار بها من أهل الاجتهاد فى الدين، وجاز له أن يفتى، ويقضى، وجاز له أن يستفتى ويستقضى، وإن أخل بها أو بشىء منها خرج من أن يكون من أهل الاجتهاد، فلم يجز أن يفتى، ولا أن يقضى، فإن قلد القضاء، فحكم بالصواب؛ أو الخطأ، كان تقليده باطلا، وحكمه، وإن وافق الحق والصواب مردودا [١].

وجوز أبو حنيفة تقليد القضاء من ليس من أهل الاجتهاد ليستفتى فى أحكامه وقضاياه[٢]. فقد اختبر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ معاذا حين بعثه إلى اليمن واليا وقال له: «...بم تحكم؟ قال: بكتاب الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: بسنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإن لم تجد؟ قال: اجتهد رأى ـ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسوله» [٣].

**رسالة عمر بن الخطاب ﷺ في القضاء:**

هذه رسالة فى القضاء كتبها عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ إلى أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ تظهر فيها سماحة دعوة الإسلام، وحضها على العدالة، نقتطف منها هذه العبارات:

(١) الماوردى: الأحكام السلطانية ص ٦٦ .
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر السابق ص ٦٧ وراجع للمحلى: بداية المجتهد .

«بسم الله الرحمن الرحيم:

من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، إلى عبد الله بن قيس سلام عليك أما بعد:

فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة، فافهم إذا أدلى إليك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، آس بين الناس فى وجهك ومجلسك وعدلك، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك.

البينة على من ادعى واليمين على من أنكر..» ثم يقدم النصيحة فيقول:

«الفهم الفهم فيما تلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب ولا سنة، ثم اعرف الأشياء وقس الأمور بنظائرها..ثم يزيد الأمر وضوحا فيقول:

«المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلودا فى حد، أو مجربا عليه شهادة زور، أو ظنينا فى نسب أو ولاء....» إلى أن يقول حثا على الحلم الذى نوه القرآن بفضله، ونوهت السنة بمكانته:«إياك والغضب، والقلق، والضجر والتأذى بالناس والتنكر عند الحكومة أو الخصومة...فإن القضاء فى مواطن الحق مما يوجب الله به الأجر ويحسن به الذكر فمن خلصت نيته فى الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين بما ليس فيه شانه الله تعالى فإن الله لا يقبل من العباد إلا ما كان خالصا، فما ظنك بثواب عند الله فى عاجل رزقه، وخزائن رحمته والسلام عليك ورحمة الله» (١).

هذه رسالة جامعة، تعد دستورا للقضاة فى كل عصر وجيل، نبراسا يهتدون بها فى أعمالهم، التى ينبغى أن تكون خالصة لله رب العالمين، ودعوة حارة إلى التمسك بالكتاب والسنة، والاجتهاد.

فإذا كان من خصائص دعوة الإسلام أنها تربط الناس بخالقهم، وتوقظ فيهم حاسة الفكر ببارئهم ومخلوقاته، وتشدهم إلى عظمة الله وآلائه.

---

(١) راجع محمد بن يزيد المعروف بالمبرد:الكامل فى اللغة والأدب جـ١ ص ٩، ولهذه الرسالة روايات فراجعها فى المصدر السابق كاملة، وعند ابن قتيبة:عيون الأخبار جـ١ ص ٦٠، والجاحظ:البيان والتبيين جـ٢ ص ٤٨، وعند أحمد بن عبد ربه:العقد الفريد جـ١ ص ٨٦ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر طبعة ثالثة (١٣٨٤ هـ ١٩٦٥م) وابن الجوزى:سيرة عمر بن الخطاب ص ١١٥،١١٦، وله أعلام الموقعين جـ١ ص ٨٥ ط أولى مطبعة السعادة بمصر ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥م) وقد خرج روايات هذه الرسالة د/ على الخطيب فى رسالة الدكتوراة:أدب الخليفة الثانى عمر ص ٣٧٤ وما بعدها، كلية اللغة العربية (١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م).

فإن القضاء العادل يستمطر الدعوات الصالحات من المظلومين للذين ينصفونهم ولا شيء يستهوى القلوب مثل العدل.

ومن ثم أمر الله رسوله أن يحكم بين الناس بالعدل ليرى الناس فى الدعوة صورة حية مطبقة أمامهم فتزداد قلوبهم لها حبا، وبها تعلقا [١] فقال سبحانه:

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ [٢].

كذلك مدح الله الأمة التى قامت تهدى إلى الحق، وتدعو إليه، وتحكم به فى قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ [٣].

وما كانت البشرية لتستحق التكريم لولم تكن فيها دائما، وفى أحلك الظروف تلك الجماعة التى يسميها الله ﴿ أُمَّةٌ ﴾ وهى المصطلح الإسلامى: للجماعة التى تدين بعقيدة واحدة وتتجمع على آصرتها [٤].

**وصف هذه الأمة والحق الذي جاءت به:**

وقد وصف الله هذه الأمة بأنهم ﴿ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ .

إن صفة هذه الأمة، التى لا تنقطع وجودها من الأرض أيا كان عددها أنهم ﴿ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ ﴾ فهم دعاة إلى الحق لا يسكتون عن الدعوة به وإليه، ولما كانت دعوة الإسلام هى حق، فهم يهدون بها غيرهم [٥].

فيجتازون معرفة الحق والهداية به إلى تحقيق هذا الحق فى حياة الناس، والحكم به بينهم، تحقيقا للعدل الذى لا يقوم إلا بالحكم بهذا الحق..فما جاء هذا الحق ليكون مجرد علم يعرف ويدرس، ولا مجرد وعظ يهدى به ويعرّف! إنما جاء هذا الحق ليحكم أمر الناس كله...وبهذا كله يوجد هذا الحق فى حياة الناس، ويقوم العدل الذى لا يقوم إلا بهذا الحق..وهذا ما تزاوله تلك الأمة بعد التعريف بالحق والهداية به [٦].

والذين حققوا أمر الله وحكموا بين الناس بالعدل استطاعوا بأن يديروا شئون الناس الإدارة الحازمة التى لا تظلم ولا تجور، ولا تسوف، فكيف تسنى للمسلمين أن يديروا مصر؟

---

(١) الباحث .
(٢) سورة النساء من الآية:١٠٥ .
(٣) سورة الأعراف:آية ١٨١ .
(٤) تفسير اظلال جـ٣ ص ١٤٠٢ .
(٥) المصدر السابق جـ٣ ص ١٤٠٣ .
(٦) المصدر نفسه.

**المبحث الثاني: نظام المسلمين الإداري في مصر:**

**تمهيد:**

أثبت المسلمون القادمون من أرض الجزيرة ـ الذين فتحوا مصر ـ مقدرة فائقة في إدارتها وهذا أمر في حد ذاته يعد معجزة لقوم لا عهد لهم بالإدارة، أو الحكم، ولكنهم استطاعوا أن يتعلموا أساليب الحكم من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما عرفوا شيئا عن أحكام الفرس والروم حتى خبروها، في مدة وجيزة، بعد أن وضعوا عليها طابع الإسلام، ومن ثم نجدهم في مصر، كما في الشام، والبصرة، وغيرها يحكمونها بحنكة ودراية، فنظموا أمورها على خير ما يكون.

**موقف المسلمين من إدارة البلاد:**

فتح المسلمون مصر، فوجدوا بها نظما قامت منذ أقدم الأزمنة، ونمت خلال العصور المختلفة فاقتضت الحنكة السياسية منهم، ألا يمسوا تلك النظم، بل أبقوا عليها، واكتفى المسلمون أن يشغلوا المناصب الرئيسية ويشرفوا منها على الإدارة بوجه عام [(١)].

**رسالة في فن الإدارة:**

هذه رسالة عظيمة في فن الإدارة يرسلها عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ إلى عماله في الأقاليم، روى الطبري أن عثمان كتب إلى عماله:

«أما بعد: فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة، ولم يتقدم إليهم أن يكونوا جباة، وإن صدر هذه الأمة خلقوا رعاة ولم يخلقوا جباة، وليوشكن أئمتكم أن يكونوا جباة، ولا يكونوا رعاة، فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء. ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين رفيما عليهم، فتعطوهم مالهم وتأخذوهم بما عليهم، ثم تثنوا بالذمة فتعطوهم الذى لهم، وتأخذوهم بالذى عليهم ثم العدو الذى تنتابون فاستفتحوا عليهم بالوفاء» [(٢)].

**أنواع الإمارة:** قسم المسلمون الإمارة على نوعين:

إمارة عامة، وإمارة خاصة.

**والعامة نوعان:** إدارة استكفاء بعقد عن اختيار، وإدارة استيلاء بعقد عن اضطرار. وتشمل الأدارة من اختيار أمورا سبعة أوردها الماوردى [(٣)]. وهي:

---

(١) راجع للدكتورة سيدة كاشف: مصر في عصر الولاة ص ٢١ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص ٤٤ فى حوادث سنة ٢٤ هـ، وتاريخ الإسلام السياسى. جـ١ ص٤٦٧ .

(٣) الأحكام السلطانية ص ٢٨ وما يليها.

١ ـ النظر فى تدبير الجيوش وترتيبهم فى النواحى، وتقدير أرزاقهم.
٢ ـ النظر فى الأحكام وتقليد القضاة والحكام.
٣ ـ جباية الخراج، وقبض الصدقات، وتقليد العمال فيها وتفريق ما استحق منها.
٤ ـ حماية الدين والذب عن الحريم، ومراعاة الدين من تغيير أو تبديل.
٥ ـ إقامة الحدود فى حق الله، وحقوق الآدميين.
٦ ـ الإمامة فى الجمع والجماعات حتى يؤم بها أو يستخلف عليها.
٧ ـ تسيير الحجيج من عمله، ومن سلكه من غير أهله حتى يتوجهوا معاونين عليه.

«فإن كان هذا الإقليم ثغرا متاخما للعدو اقترن بها ثامن وهو جهاد من يليه من الأعداء، وقسم غنائمهم فى المقاتلة، وأخذ خمسها لأهل الخمس» (١).

**أما الإمارة عن اضطرار فهي** التى يأخذها الوالى ويقرها الخليفة، وفيها يكون الوالى مستبدا بالسياسة والتدبير.ولكن المسائل المتعلقة بالدين تكون من اختصاص الخليفة، ولا يمكنه غض النظر عن بدعة، أو إهمال» (٢).

**وأما عن الإدارة الخاصة**، فيقول الماوردى:«يكون الأمير مقصور الإمارة على تدبير الجيش وسياسة الرعية، وحماية البيضة (٣)، والذب عن الحريم، وليس له أن يتعرض للقضاء والأحكام ولجباية الخراج والصدقات» (٤) وكانت إمارة العمال على إمارتهم عامة فى العهد الأول، ثم رؤى تخصيصها.

فكانت إمرة عمرو بن العاص على مصر عامة، إذ كان يقود الجيوش، ويقضى فى الخصومات، ويجبى الأموال.ثم عين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ عبد الله بن سعد بن أبى سرح على الخراج، وبذلك أصبحت ولاية عمرو خاصة بعد أن كانت عامة، وبعد قليل تقلد قضاء مصر قاض، للفصل فى الخصومات فصارت سلطة الوالى مقصورة على قيادة الجيش، وإمامة الصلاة (٥).

---

(١) راجع تاريخ الإسلام السياسى..جـ١ ص ٤٦٨ . (٢) المصدر نفسه. (٣) راجع المصدر نفسه.
**حماية البيضة**:أى المجتمع، وموضع السلطان، ومستقر الدعوة.المصدر السابق هامش٢ .
(٤) راجع للدكتور حسن إبراهيم حسن:النظم الإسلامية ص ١٥٣ ـ ١٦٢ طـ الثالثة.القاهرة ١٩٦٢، وتاريخ الإسلام السياسى...جـ١ ص ٤٦٨ وما يليها.
(٥) أهل الذمة:اصطلاح عرفه الفقه الإسلامى يطلق على من يجوز عقد الذمة معهم، وهم أهل الكتاب من=

**دور الأقباط في النظام الإداري:**

أبقى المسلمون بعض أهل الذمة [٦] فى الإدارة الإسلامية فى مصر، فسياستهم قامت على «أساس استخدامهم فى الجهاز الإدارى الذى أبقاه عمرو بن العاص على حاله، وهو نفس النظام الذى وضعه الامبراطور جستنيان، والذى بقى موجودا حتى الفتح الإسلامى» [١]، كما أبقوا «بعض الموظفين اليزنطيين، وأحل الأقباط محل البعض الآخر، ومنذ ذلك الوقت أصبح الأقباط بصفة خاصة طبقة متمرسة فى الشئون المالية والإدارية، وتولوا مناصب عديدة فى السلك الإدارى للدولة بل إن منهم من تولى مناصب هامة مما يقطع بأن صلاتهم بأصحاب السطلة كانت طيبة، كما أن اليهود من جهة أخرى منحوا امتياز ممارسة كل الأنشطة الاقتصادية، وغيرها، بما فى ذلك أعمال الإدارة فى الدولة» [٢].

أى أن المسلمين لم ينزعوا الإدارة من أهل الذمة دفعة واحدة بل تركوهم يمارسون عملهم، واكتفوا بالإشراف والتوجيه إلى حين.

**أول تنظيم إداري للمسلمين في مصر:**

يعد أول تنظيم منسق للإدارة..فى مصر ما جاء على يد عبد الله بن سعد (٢٥ ـ ٣٥هـ=٦٤٥ ـ ٦٥٥م) .وتلت تلك الخطوة إجراءات تنظيمية أخرى، وتعديلات شملت فى كثير من الحالات احصاءات مستقلة للأراضى والسكان، وسرعان ما اتضح أن المعدل الموحد للجزية (ديناران لكل فرد) كان مجحفا بالفقير وامتيازا للغنى، ومن ثم أعيد التنظيم الضرائبى على أساس التقييم الخاص لكل فرد، وكل قطعة أرض، وهكذا وبعد ستين سنة من الفتح كان فى مصر نظام ضريبى على درجة رائعة من الإتقان والتخصص [٣].

**إحلال الموظفين المسلمين محل أهل الذمة:**

حدث فى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ـ رضى الله عنه ـ (٩٩ ـ ١٠١هـ =

---

=اليهود والنصارى..ومعنى الذمة:التزام تقرير توطين «أهل الكتاب فى ديار الإسلام وحمايتهم مقابل الجزية كما فى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ فجعلها غاية ما يطلب منهم لقاء ذلك:راجع ابن القيم:أحكام أهل الذمة جـ١ ص ١ ـ ١٠ ، والماوردى:الأحكام السلطانية ص ١٣٧ ، وابن طلحة:العقد الفريد:ص ١٥٩ ،١٦٠ ،والقلقشندى صبح الأعشى جـ١٣ ص ٣٥٦ .

(١) دينيت:الجزية والإسلام ص ١١٢ ، وأهل الذمة فى مصر العصور الوسطى..ص٣٩ .

(٢) ترتون:أهل الذمة ص ٢١ ، وأهل الذمة فى مصر العصور الوسطى ص ٤٠ .

(٣) دينيت:الجزية والإسلام ص ١٤٨ ،١٥٢ .

٧١٧ ـ ٧١٩م) أن جرت محاولة لإحلال الموظفين المسلمين محل أهل الذمة، كذلك حل الموظفون المسلمون محل رؤساء الكور الأقباط إلا أن هذا القرار لم يستمر ساريا مدة طويلة، وظل القبط يلون هذه الوظيفة بعد ذلك.فقد عثر على اسم موظف قبطى من رؤساء القرى فى بردية يرجع تاريخها إلى سنة (١٧١ هـ ـ ٧٨٧م) (١).

**موقف الإدارة الإسلامية في مصر من ملابس أهل الذمة:**

كثرت الأقاويل حول موقف المسلمين من هذا الأمر فما حقيقته؟

كان من المألوف من الوجهة النظرية على الأقل ـ أن يميز أهل الذمة بملابس معينة حتى يمكن التعرف عليهم من بين المسلمين والثابت أن أهل الذمة لم يلزموا الملابس المتميزة، أو ما اصطلحت المصادر على تسميته «بالغيار» فى أيام النبى صلى الله عليه وسلم (٢)، وملابس أهل الذمة، وسائر ما يتعلق بمظاهر حياتهم اليومية ترجع إلى العهد العمرى ـ أى فى عهد عمر ـ رضى الله عنه ـ إلى أهل بيت المقدس، فهو عهد التزم به الطرفان، فلا داعى للمماحكة..إذ من البديهى أن المسلمين فى بداية عصر الفتوح الإسلامية كانوا متمايزين بملابسهم عن أهالى البلاد التى فتحوها، ومن ثم لم تكن هناك ضرورة لفرض القيود الخاصة بالملابس على غير المسلمين..ثم إن بعض البلاد المفتوحة أخذوا يحاكونهم فى مظهرهم شأن كل الشعوب المغلوبة فى محاكاة الفاتحين فى عاداتهم..وهكذا نشأت الحاجة لتمييز المسلمين عن غيرهم (٣).

---

(١) سيدة كاشف:مصر فى عصر الولاة ص ١١٩، وانظر جروهمان:أوراق البردى العربية جـ٣ ص ١٥ حيث أورد بردية عبارة عن وثيقة تاريخها ٩٠ / ٩١هـ يطالب فيها قرة بن شريك «باسيل» بما تبقى من الجزية، كذلك أورد جروهمان:جـ٣ ص ٦٠، خطابا خاصا بضريبة الطعام من قرة إلى عاملين:هما بقطر بن تيودسيوس وأبا قيرس بن اندرياس، راجع أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى ص ٤٠، وراجع الفصل الرابع من هذا الباب.

(٢) ابن قيم الجوزية:أحكام أهل الذمة جـ١ ص ٣٢٦،٣٢٧ .

(٣) أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى صـ ١٥٥، وقد خصص لملابس أهل الذمة ألوان:فاللون الأزرق يرجع إلى بلاد الفرس، بينما كان اللون الأصفر لدى اليونان والرومان والبيزنطيين شارة لتمييز محترفات البغاء من النساء.انظر هامش للدكتور محمد مصطفى زيادة على المقريزى:السلوك لمعرفة دول الملوك جـ٢ ق ٢ ص ٣٧٩ حاشية ١، وكان على النصارى اتخاذ اللون الأزرق فى ملابسهم، فضلا عن الزنار الذى يشدونه حول أوساطهم (وهو خيط غليظ يشبه الحبل اشترط أن يكون من الكتاب فوق الثياب...بينما فرض على اليهود اللون الأصفر لتمييز عمائمهم، وتحدد للسامرة اللون الأحمر، أما نساء أهل الذمة فقد عين عليهن الإلتزام بنفس قيود الألوان فى ملابسهن بينما فرض على المرأة أن تشد الزنار فوق ثيابها =

كذلك فرض على المرأة أن تنتعل خفين من لونين متباينين لتمييزها من المرأة المسلمة(١)، إلا أن طريقة تفصيل وحياكة الملابس كانت واحدة بالنسبة للنساء آنذاك (٢).

كما فرض على أهل الذمة قيود منها:«عدم ركوب الخيل، بينما أجيز لهم ركوب البغال، والحمير، بالأكف عرضا، أى ناحية واحدة، وحرم عليهم دخول الحمامات العامة دون علامة فى أعناقهم مثل صليب، أو نحوه لتمييزهم عن المسلمين، كما منع الذميون من حمل السلاح، بالإضافة إلى ما فرض من عدم تعلية دورهم على دور جيرانهم المسلمين» (٣).

فهل تعد هذه القيود نوعا من الاضطهاد:

حتى يقال:إنها كانت تؤدى إلى اعتناق القبط للإسلام؟ ومع أن هذا القول يجافى الصواب فإن اختلاف الظروف هى التى جعلت أهل الذمة يعتنقون الإسلام من حين لآخر، كما أن حوادث اعتناق الإسلام كانت فردية حينا وجماعية حينا آخر، ومن ثم قيل:«إن حوادث الاضطهاد، وما كان يواكبها من فرض قيود الملابس، ونواحى النشاط اليومى الأخرى مما اعتبره المعاصرون علامة على الذل والمهانة» (٤)، ومن ثم هروب الناس إلى الإسلام!!.

لكن يبدو أن هذا الرأى مبالغ فى تقديره للأمور لدرجة تجعل من هذا السبب سببا غير حقيقى إذ أنه من الصعب على فرد أن يتخلى عن دينه لمثل هذا السبب العارض، خاصة أن فترات سوء التفاهم، والخلاف بين الطرفين كانت محدودة وقصيرة لا تلبث أن تعود العلاقات بعدها كأحسن ما يكون بين أبناء وطن واحد ملك للجميع، ولسنا فى حاجة إلى الإشارة إلى أن أقباط مصر صمدوا فى وجه حكامهم البيزنطيين الذين ساموهم سوء العذاب بسبب العداء المذهبى، وقادهم بطريركهم بنيامين، فى حركة مقاومة، وقدمت الكثير من التضحيات قبيل الفتح الإسلامى دون الرضوخ لأحكامهم، فلم تكن الاضطهادات ــ كما يقال ــ هى السبب الحقيقى وراء اعتناق الذميين للإسلام، وإنما يغلب على أن هناك أسبابا أخرى...أدت إلى ذلك (٥).

---

=ومن تحت الإزار ــ الإزار ملاءة فضفاضة ترتديها المرأة فى عصر المماليك فوق ملابسها ــ وهى بيضاء اللون للمسلمات، زرقاء للمسيحيات، صفراء لليهوديات، وحمراء للسامريات، انظر ماير:الملابس المملوكية ص ١٢٥، وما بعدها، وأهل الذمة فى مصر العصور الوسطى ص ١٥١ حاشية ١ .

(١) ابن الأخوة:معالم القربة ص ٤١، ٥٣، ابن بسام:نهاية الرتبة ص ٢٠٧، ٢٠٨، والقلقشندى:صبح الأعشى جـ١٣ ص ٦٢ ــ ٦٥ وابن طلحة:العقد الفريد ص ١٨١، وأهل الذمة فى مصر العصور الوسطى ص ١٥٦ .

(٢) ماير:الملابس المملوكية ص ١١٦ .

(٣) أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى ص ١٥٦ .

(٤) المصدر السابق ص ١٧٢ .

(٥) أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى ص ١٧٢ .

نذكر بعضها ونحيل إلى البعض الآخر (*) :فمن المعروف تاريخيا أن أهل الذمة قد أفادوا من مفهوم الدولة الإسلامية تجاه حرية العقيدة، وضمان الحريات الاجتماعية بشكل عام، كما أنهم شاركوا فى كافة مجالات النشاط فى الدولة، ووصل بعضهم إلى مناصب عليا فى السلك الإدارى، وإن تعرضوا لمضايقات مالية لم يكن مبعثها الاضطهاد الدينى بدليل أن المصريين المسلمين قد عانوا من هذه المضايقات بنفس القدر تقريبا.وكانت الدولة سواء كان مركزها «المدنية» أو «دمشق» أو «بغداد» تعتبر أن مصر والمصريين موردا للدخل، ولا غرو أن أصبح التنظيم الضرائبى على درجة فائقة من الاتقان والتخصص بعد ستين عاما فقط من الفتح الإسلامى لمصر [١].

**مسلمة القبط، وكيفية دخولهم الإسلام:**

مما لا شك فيه «أن النظريات السياسية للدولة الإسلامية ـ أو حتى تطبيقاتها ـ لم تضع عقبات أمام رعاياها من غير المسلمين، فقد أتاحت الدولة الإسلامية بمفهومها «الثيوقراطى» لرعاياها من اليهود والنصارى قدرا كبيرا من الحرية داخل نطاق الدولة التى كان على رأسها خليفة النبى عليه الصلاة والسلام يحكم بمقتضى الشريعة الإسلامية المستمدة أساسا من القرآن الكريم، والسنة النبوية» [٢].والتى تحض على احترام أهل الذمة وطبقها المسلمون على أهل مصر.

**مسلمة القبط:** فهم القبط موقف المسلمين المعتدل فدخل منهم فى الإسلام من دخل وسمى الداخلون فيه بالمسالمة (الأسالمة) والمسالمة:مفردها (أسلمى) ومسلمانى لفظ كان يطلق على كل من اعتنق الإسلام حديثا من النصارى أو اليهود، وفى بعض الأحيان كان يطلق لقب (المشرف بالإسلام) على من يعتنق الإسلام من أهل الذمة كما يتضح من إحدى الوثائق «وثائق سانت كاترين رقم ٢٦٨ لسنة ٨٦٠ هـ، ورقم ٢٦٦ [٣] لسنة ٨٦٣هـ فكان «إطلاق لفظ القبط أو الأقباط باستمرار على مسالمة النصارى اليعاقبة» [٤].

**كيف كانوا يشهرون إسلامهم؟**

أخبر ابن الحاج عن الطريقة التى كان يتم بها إعلان إسلام أحد أهل الذمة، فقال:
«كان الذمى الذى يريد إعلان إسلامه يذهب إلى الخطيب فى أحد أيام الأسبوع ويشهر

(*) راجع الفصل الثانى من الباب الأول.
(١) أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى ص ٤٤، ٤٥ . (٢) المصدر السابق ص ٦٣ .
(٣) المصدر السابق ص ١٧١ . (٤) المصدر نفسه.

إسلامه على يديه، ثم يعاود المجيء في يوم الجمعة أثناء تأدية الصلاة الجامعة، والخطيب على المنبر، ويكرر إعلان إسلامه على الملاء فيقطع الخطيب الخطبة وتحدث ضجة في المسجد فيما يشبه المظاهرة الدينية» (١).

أرأيت هذه الصورة الإيمانية التي تجعل الذمي يقف على مشهد جامع ليعلن إسلامه إنه الحق الذي يقذفه الله في قلوب محبي الهداية. ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ..﴾ (٢) إنها تذكرنا بمؤمني آل فرعون (٣)...

كذلك من تنظيمات الإدارة الإسلامية.

### عمل الوالي في مصر:

كان الخليفة يعين في مصر واليا يمثله، فيقال، ولاية عمرو بن العاص مثلا، أو ولاية عبد العزيز بن مروان، ويقال للوالي أيضا: «أمير مصر».

وكان الوالي يؤم المسلمين في المسجد الجامع في صلاة الجمع، والأعياد بوصفه نائبا عن الخليفة، ولذا يطلق عليه أمير الصلاة، ويقال عن ولايته: ولاية الصلاة، وكان المسلمون يعتبرون أن إمامة الصلاة مما يختص به الخلفاء (٤). فكانت إمامة الوالي في الصلاة نيابة عن الخليفة تدل على عظم سلطة الوالي... وعلى رئاسته العليا السياسية في الدولة.

### سلطات والي مصر:

أسندت إلى والي مصر سلطات منها: ١ - رئاسة جيش الولاية ٢ - الإشراف على الحامية الموجودة في مصر ٣ - قيادة الحملات التأمينية لمصر، أو لصد أعدائها، أو يرسل من يقود الجيش نيابة عنه كما قاد عمرو بن العاص الحملات لفتح برقة وطرابلس، كما أرسل عبد الله ابن سعد لفتح بلاد النوبة وفتح أفريقية، والروم في غزوة ذي الصواري (٥).

---

(١) ابن الحاج: المدخل جـ٢ ص ٢٧١، وأهل الذمة في مصر العصور الوسطى ص ١٧١، ١٧٢.

(٢) الإسراء: من الآية ٩.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى على لسان سحرة فرعون وهم يقفون أمامه: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ الشعراء: آية ٤٧، ٤٨.

(٤) مصر في عصر الولاة.. ص٢١.

(٥) المصدر نفسه ص ٢١، ٢٢.

**ومن وظائف الإدارة:**

**صاحب الشرطة:**

بدأ عمله فى مصر سنة عشرين هجرية فى مدينة الفسطاط [١]، وهو بمثابة نائب للوالى يؤم الناس فى الصلاة إذا مرض الوالى، ويحكم الولاية إذا خرج الوالى من مقر ولايته، فنرى خارجة بن حذافة صاحب الشرطة يؤم الناس فى الصلاة أثناء مرض عمرو بن العاص [٢]، وكان من مهمة أصحاب الشرطة أيضا اهتمام بنشر الفضيلة، والمحافظة على الأخلاق لتظل دعوة الإسلام مهابة الجانب مرعية فى التطبيق [٣].كذلك وجدت وظيفة جديدة أخرى هى ـ

**وظيفة صاحب البريد:**

من الوظائف الرئيسية الهامة فى تلك الفترة أيضا وظيفة صاحب البريد، ولم تكن تلك الوظيفة قائمة فى عهد الخلفاء الراشدين، إنما بدأتها الدولة الأموية ثم تقدم نظام البريد فى عهد الدولة العباسية،

يقال:إن معاوية بن أبى سفيان هو أول من وضع البريد لوصول الأخبار بسرعة، وتبعه فى ذلك الأمويون ومن بعده العباسيون، ومن ثم كان لزاما عليهم الاهتمام بتعبيد الطرق وعمارتها لتقصير المسافات، ولوصول الأخبار بسرعة [٤].وقد عمم المسلمون هذه الوظيفة فى البلاد التى فتحوها ومنها مصر.

**تقسيم مصر إداريا:**

كانت مصر مقسمة إداريا إلى قسمين رئيسيين مصر العليا، ومصر الوسطى.

فيذكر ابن عبد الحكم [٥]، أن الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ توفى وعلى مصر أميران:عمرو بن العاص بأسفل [٦] الأرض، وعبد الله بن سعد بن أبى سرح على الصعيد.ولسنا نظن أن هذا البعد عن الدقة من ابن عبد الحكم ينقض ما نعرفه من أن عمرو بن

---

(١) دكتور حسن إبراهيم حسن:تاريخ الإسلام السياسى والدينى...جـ١ ص ٤٧١ .

(٢) ابن عبد الحكم:فتوح مصر والمغرب..ص١٠٥ ، والكندى:الولاة والقضاة..ص٣١، ٣٢ .

(٣) انظر مصر فى عصر الولاة..ص٢٣ ، وتاريخ الإسلام السياسى...جـ١ ص ٤٧١ .

(٤) راجع:تاريخ الإسلام السياسى..جـ١ ص ٤٧٠،٤٧١ ، ومصر فى عصر الولاة..ص٢٤ .

(٥) فتوح مصر والمغرب ص ١٧٣

(٦) أسفل الأرض أى مصر السفلى أو الوجه البحرى، وكان مقسما جغرافيا إلى الحوف الشرقى شرقى فرع دمياط والحوف الغربى، غربى فرع رشيد، وبطن الريف بين فرعى رشيد، ودمياط، راجع القلقشندى:صبح الأعشى جـ٣ ص ٣٨٠ ـ ٣٩٠ .

العاص كان الرئيس الأعلى، فكانت له ولاية على مصر كلها (١).

من هذا يتبين أن مصر كانت مقسمة إداريا إلى مصر العليا، والسفلى وهذان القسمان الرئيسيان كانا منقسمين إلى أقسام أو كور (٢)، وهذه كانت مقسمة بدورها إلى قرى، ولفظ كورة مشتق من الاسم اليوناني..كورة التى لم تكن شيئا آخر سوى الأقاليم المعروفة فى العهد البيزنطى باسم (بجارشى) أى أن العرب احتفظوا بالنظم البيزنطية الإدارية وكان على رأس الكورة «صاحب الكورة» وهذا اللقب ترجمة مضبوطة للفظ اليوانى (بجاركوشى) (٣).

ومن الأمثلة أن قرة بن شريك والى مصر زمن الوليد بن عبد الملك (٩٠ ـ ٩٦هـ) يرسل كتابا إلى بسيل صاحب أشقوه (٤) يخبر صاحب الكورة بأن يرسل التعليمات الخاصة بدفع الجزية إلى جسطال كورته، والى موازيت القرى، وهنا مرة أخرى، كلمتين غريبتين على اللغة العربية فكلمة جسطال هنا بمعنى: الموظف المشرف على مالية الكورة أى مندوب ديوان

---

(١) نقلا عن مصر فى فجر الإسلام..ص ٢٨ .

(٢) راجع ابن دقماق:الانتصار لواسطة عقد الأمصار جـ٤ ص ٢، والمقريزى خطط جـ١ ص ٢٦ .

(٣) نقلا عن مصر فى فجر الإسلام ص ٢٨ .

(٤) أشقوه: كانت كورة من كور الصعيد، وهى الآن كوم اشقاو بين أبو تيج وطهطا من مديرية أسيوط، وقد عثر فيها سنة ١٩٠١م، على مجموعة من الأوراق البردية التى ألقت شعاعا من النور على حكم قرة بن شريك فى مصر.راجع مصر فى فجر الإسلام:ص ٢٩ حاشيته،

**حزم الإدارة الإسلامية:**

كان موقف المسلمين الإدارى حازما مع موظفيهم كما ترى فى هذه البردية التى جاء فيها:خطاب توبيخ إلى أحد الموظفين يأمره فيها رئيسه بالحضور إلى الإدارة العامة ومعه كل ملفاته وأوراقه.والخطاب مؤرخ فى شوال عام ٩١ هجرية ـ ٣١ أغسطس ٧١٠م)

وهاك نصه:

١ ـ ما تجمع
٢ ـ هذه الأبواب فانى
٣ ـ ان أجد عندك الذى أريد من إلا
٤ ـ جراوحسن الجلب أحسن إليك
٥ ـ وأصيبك بمعروف وأشد
٦ ـ ذلك آمرك وعملك وأنا أر
٧ ـ جو إن شاء الله أن يكون كذلك
٨ ـ وأن أجد عملك على غير ذلك
٩ ـ فإنما يجزى المرء بعمله ثم لا تلم
١٠ ـ إلا نفسك ولا تتحزن بعد الذى
١١ ـ سميت لك من الأجل ولا أعرفن
١٢ ـ ما عجزت ولا قصرت ولاقد
١٣ ـ مت إلى وخلفك من المال شاى
١٤ ـ فإنه والله لا يفعل ذلك أحد
١٥ ـ إلا عرف حين يقدم على أنه
١٦ ـ بئس ما صنع رئيس ما عمل وإنى لا
١٧ ـ أحب أن يرى أحد فى عملك
١٨ ـ شاى يكرهه من حجز ولا تأخير

=

الخراج والأموال، أما موازيت فمعناها: رؤساء.

أو مشايخ القرى [١].

ويرى الأستاذ جاستون فييت أن كلمة جسطال مقابلة للكلمة البيزنطية أوجستاليوس كلمة يونانية، وأن كلمة مازوت مقابلة للكلمة البيزنطية ميزوتروس [٢].

وهذا يدل على أن المسلمين أبقوا على النظم التى وجدوها فى البلاد، بل أبقوا حتى على الأسماء كما كانت ومع أن مصر كانت مقسمة إداريا إلى هذه الأقسام فقد كانت جميعها تحت سلطة الوالى العليا مباشرة ولم يعط الولاة فرصة لعمال الأقاليم للتمكين لأنفسهم والاستقلال محليا بأمور إقليمهم، فكان الحكم فى مصر مركزيا إلى أقصى حد [٣].

**أوراق البردي تكشف عن أسلوب الإدارة الإسلامية في مصر:**

فتخبر أن اللامركزية كانت معدومة، فكما أن الوالى كان تحت سلطة الخليفة مباشرة نرى الوالى بدوره يضع رؤساء الأقاليم المختلفة تحت سلطانه مباشرة ولقد ألقت أوراق البردى

= ١٩ ـ ولا أبطال فانى قد بعثتك حين
٢٠ ـ بعثتك على عملك وأنا أرجو
٢١ ـ أن تكون عندك أمانة و
٢٢ ـ جرا وتنفيذ للعمل فكن عند
٢٣ ـ أحسن ظنى بك فإنى والله
٢٤ ـ لأن تكون محسنا مجملا أمينا
٢٥ ـ منى قرا أحب إلى وأعجب
٢٦ ـ عندى من أن تكون على غير ذلك
٢٧ ـ لا تعيين نفسك ولا تسيئن عملك
٢٨ ـ واستعن بالك فإنه من ينفذ
٢٩ ـ الإصلاح ويرى الأمانة
٣٠ ـ يعنه الله ويصلح له عمله
٣١ ـ ثم أقدم على بكل كتاب
٣٢ ـ ترى أنى سائل عنه من عمل
٣٣ ـ أوصك وكتابها والسلم (السلام)
٣٤ ـ على من اتبع الهدى وكتب عمير
٣٥ ـ فى شوال من سنة إحدى وتسعين [١].

والخطاب واضح فيه الحث على الأمانة والإخلاص فى العمل، كما فيه من الوعظ والإرشاد مثل ـ ينفذ الإصلاح ويرى الأمانة بعثه الله ويصلح له عمله، وهكذا نجح المسلمون فى إدارة مصر.

(١) مصر فى فجر الإسلام ص ٢٩ ـ ٣٠، مصر فى عصر الولاة ص ٢٥ .
(٢) المصدر نفسه، وراجع أوراق البردى لجروهمان .
(٣) انظر مصر فى فجر الإسلام...ص ٢٩ ـ ٣٠ .

(١) الدكتور مهندس:حسن رجب:البردى ص ١٥٥ ـ ١٥٦ .

التى كشفت فى كوم اشقاوه شعاعا من النور على حكم الولاة فى مصر فى العهد الأموى، وبوجه خاص فى عهد ولاية قرة بن شريك (٩٠ ـ ٩٦هـ) إذ عرفنا من تلك الأوراق إلى أى حد كانت تمتد سلطة الوالى فى الأقاليم، فنراه يرسل كتبا كثيرة إلى عماله يطلب منهم ما تجمع لديهم من الضرائب كما يطلب من صاحب الكورة أن يعدل بين الناس، ولا يفعل شيئا يكرهونه (١).

كما وجد كتابا آخر لقرة يأمر فيه بالقبض على أحد المجرمين، وفى كتاب ثالث، يحدد فيه أجور الصناع الذين يعملون فى بناء السفن، ولا يترك تحديد ذلك لصاحب الكورة التى منها الصناع (٢). ولما كان الولاة فى حاجة إلى من يكتبون لهم الرسائل إلى مختلف إدارتهم كان لابد من إنشاء ديوان للرسائل.

**ديوان رسائل في مصر:**

تغلغلت سلطة الوالى فى شئون البلاد المختلفة، حتى كان الوالى يتدخل أحيانا فى تعيين القضاة. ويصدق الخليفة على هذا التعيين، ثم احتاج الوالى تبعا لذلك إلى كتبة كثيرين ليستعين بهم فى تحرير رسائله إلى مختلف الجهات فى مصر وإلى الخليفة نفسه.

ولذا نرى فى آخر الكتاب أسماء الكتبة الذين كانوا يحررونها، وترسل إلى جهات الولاية(٣). مما يدل على أنه كان بمصر فى ذلك العهد ديوان رسائل، أو ديوان إنشاء.

**نفوذ والي مصر خارج ولايته:**

يشير القلقشندى إلى هذا الأمر قائلا ـ

كان والى مصر بعد الفتح، ومنذ ولاية عمرو بن العاص الأولى عليها يشرف أحيانا على بلاد برقة، وما يليها من شمال أفريقية، إذ نجد إشارات كثيرة. خلال المصادر القديمة تبين سلطة والى مصر وإشرافه على عمال برقة والمغرب، وعلى الجيوش المرسلة إلى هناك، حتى لنرى والى مصر عبد العزيز بن مروان يعين موسى بن نصير أمر المغرب بدلا من حسان بن النعمان (٤).

كما أن الخلافة تظل على عناية تامة بأمر ولاية مصر، فنجد أن مسلمة بن مخلد يتقلد ولاية مصر (٤٧ ـ ٦٢هـ) ثم يسند إليه أمر المغرب أيضا (٥).

---

(١) المصدر نفسه، وأوراق البردى .

(٢) نقلا عن نفس المصدر. (٣) جورهمان: أوراق البردى جـ٥ ص ٢٠ سنة ١٣٢٨ .

(٤) الكندى: الولاة والقضاة ص ٥٢، ٥٣، ومصر فى فجر الإسلام ص ٣١، ٣٢ .

(٥) الكندى: الولاة... ص٣٨ .

كما أن معاوية بن أبى سفيان، يولى عمرو بن العاص على صلاة مصر، وخراجها، وأمره بعطاء جندها ونفقة له على إدارتها فظل عمرو بن العاص من سنة (٣٨ ـ ٤٣هـ) [١] حين وفاته، ونجد مثلا مسلمة بن مخلد يظل واليا على مصر خمس عشرة سنة (٤٧ ـ ٦٢هـ)، وتوفى وهو وال عليها، وكذلك عبد العزيز بن مروان يظل فى ولايته على مصر حوالى إحدى وعشرين سنة (٦٥ ـ ٨٦هـ)، وتوفى وهو وال عليها، وكان عبد العزيز شبه ملك مستقل فى حكم البلاد من مقره فى الفسطاط أولا، ثم فى حلوان التى أمر ببنائها فى سنة ٧٠هـ، واتخذها عاصمة له على أثر وقوع الطاعون [٢]، أو على أثر مرض بالجذام [٣]، ثانيا.

### فرض الجزية:

تخضع الجزية للنظام الإدارى وهى مورد من موارد بيت المال، إذ بعد فتح المسلمين لمصر، وبعد معاهدة بابليون الأولى، فرضت الجزية، وهاك نص ما ذكره المؤرخون:...فاجتمعوا على عهد بينهم، واصطلحوا على أن يفرض على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها، أى الوجه القبلى، والوجه البحرى ـ من القبط دينارين عن كل نفس شريفهم، ووضيعهم، ومن بلغ الحلم منهم، ليس على الشيخ الفانى، ولا على الصغير الذى لم يبلغ منهم الحلم، ولا على النساء شىء..وأحصوا عدد القبط يومئذ خاصة من بلغ الجزية، وفرض عليهم ديناران رفع ذلك عرفاؤهم [٤]، بالأيمان المؤكدة، فكان جميع من أحصى يومئذ بمصر أعلاها وأسفلها من جميع القبط فيما أحصوا وكتبوا، ورفعوا أكثر من ستة آلاف ألف نفس، وكانت فريضتهم يومئذ اثنى عشر ألف ألف دينار فى كل سنة [٥].

**ويذكر البلاذري:** فى رواية له عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه وضع على كل حالم دينارين جزية إلا أن يكون فقيرا.ولا نفهم من هذا النص إذا كان الفقراء قد أعفوا من

---

(١) مصر فى فجر الإسلام ص ٣١، ٣٢ .

(٢) الكندى:ص٤٩ ، وخطط المقريزى:جـ١ ص٢٠٩ ، وأبو المحاسن:النجوم الزاهرة جـ١ ص ١٧٣ .

(٣) أبو صالح الأرمنى:كنائس وأديرة مصر ص ٦٦ ، وسعيد بن بطريق:التاريخ المجموع جـ٢ ص ٤٠ .

(٤) **العريف**:العالم بالشىء ومن يعرف أصحابه، والجمع عرفاء، ويذكر أن العريف معناه كاتب، وهى المقابلة للكلمة اليونانية (جرافس) كلمة يونانية، أى كاتب.راجع مصر فى فجر الإسلام ص ٣٧، ٣٨ .

(٥) ابن عبد الحكم:فتوح مصر والمغرب ص ١٠٣، ١٠٤ ، وخطط المقريزى:جـ١ ص ٢٩٢، ٢٩٣، والسيوطى:حسن المحضرة جـ١ ص ١١٦ ، وانظر:فصل الموارد المالية.

الجزية أم قدرت عليهم جزية أقل من غيرهم أى أنه إذا استثنينا النص الذى ذكره البلاذرى بأن الفقراء لم يدفعوا الدينارين لفهم مما ذكره المؤرخون أن المصريين تساووا فى دفع الجزية، ولكن لو كان العرب قد عاملوا أهل الذمة فى مصر على هذا الأساس لثار عليهم المصريون من أول الفتح، ولكان العرب قد عادوا بذلك إلى تعسف الحكم الرومانى، والبيزنطى الذى كان يعفى ذوى النفوذ والثراء من الأعباء المالية، أو من أغلبها بينما يقع عبؤها على الطبقات الفقيرة من السكان كما أن هذا لايتفق والإسلام الذى يدعو إلى الانصاف والعدل، كما لا يتفق وسياسة المسلمين الحكيمة، التى كانت تهدف إلى التحبب إلى المصريين، وتوطيد سلطانهم بينهم ليس بفرض الضرائب، أو قوة السيف، وإنما بحسن السيرة والسياسة (١).

## هل كان الذميون متساوون في دفع الجزية؟

لم يكن أهل الذمة فى دفع الجزية سواء، فقد أثبتت أوراق البردى فساد الرأى القائل بمساواة الذميين فى دفع الجزية، وأثبتت أن الجزية كانت تتناسب مع ثروة الشخص، ففى كتاب قرة بن شريك إلى صاحب كورة أشقوه، يأمره فيه بأن يرسل كشفا بالأماكن المختلفة لمعرفة عدد الرجال فى كل مكان، والجزية الواجب عليهم أداؤها، وما يملكه كل رجل من الأراضى، وما يقوم به من الأعمال، كما يطلب من صاحب الكورة ألا يوجد أى مجال للشكوى، أو الاستياء منه، ويذكره بأنه مصمم على مكافأة من يسير سيرا حسنا، ومعاقبة من يتنكب عن طريق العدل (٢).

ويؤخذ من هذا الكتاب أنه لو كان كل فرد يدفع جزية مساوية لما يدفعه الآخر لما طلب والى مصر كشفا بما لا يملكه كل شخص، وما يقوم به من عمل، وبالجزية الواجبة عليهم، ولما طلب من صاحب الكورة أن يكون عادلا فى عمله، ولما هدده إذا لم يتبع طريق الحق، أو أوجد أى مجال للشكوى، أو الاستياء من جانب أهل كورته، ويكتفى الوالى بمعرفة عدد رجال كورته وبذلك يعرف الجزية الواجبة عليهم (٣).

وفى كتاب آخر يرسل به قرة بن شريك يطلب فيه من صاحب الكورة أن يعدل فى تقدير الضرائب الواجبة على كل فرد، و أن يسهل عليهم الاتصال به كى يسمع ما

---

(١) انظر مصر فى فجر الإسلام ص ٣٨، ٣٩، والبلاذرى :فتوح البلدان

(٢) انظر أوراق البردى .

(٣) انظر مصر فى فجر الإسلام ص ٣٩ .

يقولون[١].

فيؤخذ من الموسر ثمانية وأربعون درهما، ومن الوسط أربعة وعشرين درهما، ومن دون الوسط اثنا عشر درهما [٢].

وكانت الجزية فى مصر تدفع نقدا بالدنانير وكسور الدنانير، وكان المصريون يعرفون تلك الضريبة، وحسب ماورد فى قطع «الأوستراكا» وفى أوراق البردى المكتوبة باليونانية باسم (دمزكاريونانين) أما فى أوراق البردى العربية فتعرف باسم الجزية [٣].

وهذا إخطار مؤرخ فى (سنة ١١٣هـ = ١٥ مارس ٧٣١م)، ومضمون هذا الإخطار الذى وجد فى الأشمونين يقول:

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم

٢ ـ هنا كتاب من عبد الرحمن بن مد.....عامل

٣ ـ الأمير عبيد الله بن الحجاب على كورة......)

٤ ـ أشمون لجرجه بن لتجين من أهل م (    )

٥ ـ مساكن الفسطاط إن أصابك من جزية

٦ ـ سنة ثلث عشرة ومائة دينرين وسدس

٧ ـ وثمن نصف قيراط منها من جزية راسك

٨ ـ دينرين ومن الثمن سدس (نصف قيراط [٤].

وكما كانت الجزية تجبى من أهل الذمة كان يجبى من المسلمين الزكاة أو الصدقة، يقول المقريزى:إن أول من جبى الزكاة بمصر السطلان صلاح الدين يوسف بن أيوب [٥].

---

(١) جروهمان:أورق البردى كما يذكر جروهمان:أن أوراق البردى العربية ذات الصبغة الأدبية قليلة، تؤيده فى هذا لرأى:السيدة نابية أبوت، فتقول:إن «وثائق البردى التى اكتشفت ونشرت معظمها يتعلق بالإدارة والاقتصاد، أما أوراق البردى الأدبية فنادرة ص ١ راجع أوراق البردى العربية ص ٥، وتاريخ اللغة العربية فى مصر ص ٨١، وهذا مما يدل على اهتمام المسلمين بالإدارة والاقتصاد.

(٢) أبو يوسف:كتاب الخراج ص ٦٩، ويحيى بن آدم القرشى:كتاب الخراج ص ٥١، والماوردى:الأحكام السلطانية ص ١٣٨ .

(٣) راجع مصر فى فجر الإسلام ص ٣٩ .

(٤) راجع للدكتور مهندس:حسن إبراهيم رجب:البردى ص ١٥٦ سلسلة (اقرأ) .

(٥) المقريزى:الخطط جـ١ ص ١٠٨ .

ولكن أوراق البردى أثبتت غير ذلك.إذ تبين منها أن الولاة فى مصر كانوا يقومون بجباية فريضة الزكاة بمقتضى الشريعة الإسلامية، وهناك إيصال يرجع إلى القرن الثانى الهجرى (= ١٤٨هـ) عن زكاة بعض الأشخاص [(١)].

**موقف المسلمين من صلح مصر:**

مهما اختلفت الآراء حول فتح مصر صلحا أم عنوة، فإنها لم تختلف على أن مصر أجريت مجرى البلاد المفتوحة صلحا.وقد ذكرت آنفا صلح بابليون، وما شرط فيه للمصريين [(٢)].

على أن المسلمين رضوا بأن يمنحوا المصريين عقد صلح لأنهم رأوا أنفسهم محاربين للروم لا للمصريين، ومنطوق الصلح يقول:«هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم، وكنائسهم وصُلُبهم وبرهم وبحرهم لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص» [(٣)].

كما ورد أيضا نص من العقد أن الفاتحين شرطوا على أنفسهم أن يكون لأهل مصر: «أرضهم وأموالهم لا يتعرض لهم في شئ منها» [(٤)].

وهكذا تظهر سماحة المسلمين مع المصريين، فأبقوا لهم أرضهم على حالها ولم يتعرضوا لها، بالرغم من أنهم فتحوها عنوة، وذلك حفاظا على العهد الذى أبرم بين الطرفين وهذا مما يجيزه الفقهاء للفاتحين، ويفسرون ذلك بأن «الغنيمة جميع ما أصابوا من شيء قل أو كثر حتى الإبرة إلا الأرضين فإن الأرضين إلى الإمام إن رأى أن يخمسها، ويقسم أربعة أخماسها للذين ظهروا عليها فعل ذلك، وإن رأى أن يدعها فيئا للمسلمين على حالها أبدا فعل بعد أن يشاور فى ذلك ويجتهد رأيه، لأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد وقف بعض ما ظهر عليه من الأرضين [(٥)]، فلم يقسمها، وقد قسم بعض ما ظهر عليه» [(٦)].

---

(١) مصر فى فجر الإسلام...ص ٤١ .
(٢) انظر المصدر السابق ص ٤٣، ٤٤ .
(٣) وقد مر هذا الصلح بتمامه ، وراجع الطبرى:تاريخ..جـ٤ ص ٢٢٩، وابن خلدون:كتاب التاريخ جـ٢ ص ١١٥ ، والقلقشندى:صبح الأعشى جـ١٣ ص ٣٢٤، وأبو المحاسن:النجوم الزاهرة جـ١ ص ٢٤ .
(٤) ابن عبد الحكم:فتوح مصر ص ٦٤، وخطط المقريزى جـ١ ص ٢٩٢، والسيوطى:حسن المحاضرة جـ١ ص ٥١ .
(٥) مصر فى فجر الإسلام ص ٤٦، ٤٧ بتصرف.
(٦) ابن آدم القرشى:كتاب الخراج ص ٤، ٥ .

ولاريب أن عمر بن الخطاب ﷺ أظهر حكمة بالغة باتباعه تلك السياسة وهى: عدم تقسيم الأراضى بين الفاتحين، ونفذ هذا الحكم على مصر، والعراق، والشام، فإنه لم يرد أن يشغل جنده بالزراعة والأراضى بينما الجهاد يناديهم فى كل مكان، كما أن العرب فى جملتهم لم يكونوا أمة زراعية. ومن جهة أخري رأى عمر بن الخطاب، ألا يثير سخط أهالى البلاد المفتوحة حتي يعاونوه على تثبيت سلطان المسلمين، كما أن أهل مصر وغيرها كانوا أعلم بزراعتهم وريهم، كذلك فإن عمر كان يعوض جنده عن امتلاك الأراضى بمنحهم الأموال وجزء من الغنائم.

ولعل أبلغ مثل يرينا سياسة عمر إزاء الأراضى المفتوحة من حيث عدم تقسيمها بين الفاتحين ذلك الكتاب الذى بعث به إلى سعد بى أبى وقاص حيث فتح العراق يقول فيه :

«وأما بعد فقد بلغنى كتابك تذكر فيه أن الناس سألوك أن تقسم بينهم مغانمهم ما أفاء الله عليهم فإذا أتاك كتابى هذا فانظر ما أجلب الناس عليك به إلى العسكر من كراع[١]، ومال فاقسمه بين من حضر من المسلمين، واترك الأرضين والأنهار لعمالها ليكون ذلك فى أعطيات المسلمين فإنك إن قسمتها بين من حضر لم يكن لمن بعدهم شىء»[٢].

هذا السياسة الرشيدة كانت تعم الإدارة الإسلامية فى كل البلاد التى فتحها المسلمون، ومنها مصر، فإن المسلمين لما فتحوا الإسكندرية أرادوا قمستها، فقال عمرو: لا أقدر على قمسها حتى أكتب إلى أمير المؤمنين.

فكتب إليه يعمله بفتحها، وشأنها، ويعلمه أن المسلمين طلبوا قسمها. فكتب إليه عمر: لا تقسمها، وذرهم يكون خراجهم فيئًا للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوّهم، فأقرها عمرو[٣].

**من مستلزمات الإدارة : تنويع الأراضي، وفرض الضرائب :**

كان لابد للمسلمين فى مصر من روافد يعتمدون عليها لاستمرار المشروعات، والإنفاق على أمن وسلامة البلاد، والقيام بأعباء الجند، ودفع رواتب العمال والموظفين، وإنشاء المساجد،

---

(١) الكراع : اسم يطلق على الخيل والبغال والحمير. المعجم الوسيط. مادة كرع.

(٢) أبو يوسف : كتاب الخراج ص ١٣، ١٤، وابن آدم القرش: كتاب الخراج ص ١٣، والبلاذرى : فتوح البلدان ... ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

(٣) ابن عبد الحكم : ... ص ١٢٢ تحقيق عبد المنعم عامر.

وتعبيد الطرقات ... إلخ.

ومن ثم كان فرض ضريبة عقارية على أراضى مصر تعرف بالخراج، ومما ينبغى التنبيه عليه أن الأراضى فى مصر كانت تتنوع إلى ثلاثة أنواع ثلاثة:

النوع الأول : أراضى فى أيدى المصريين.

النوع الثاني : أراضى فى أيدى الرومان.

النوع الثالث : أراضى فى أيدى الحكومة البيزنطية.

أما النوع الأول : فلم تمسسه يد الإدارة الإسلامية بسوء، كل ما فى الأمر أنها فرضت عليه ضريبة خراجية على الأرض، ولم يحدد المسلمون نوع الخراج، فقد كان يجبى نقداً وعيناً كما ورد فى كتاب من قرة بن شريك سنة (٩١هـ) إلى أهل شبرا بسيرو من كورة أشقوه يطلب منهم دفع متأخرات الجزية عليهم بالدنانير، ودفع ضريبة الطعام قمحاً[١].

وفى كتاب آخر من قرة بن شريك إلى صاحب أشقوه، يطلب منه أن يرسل إليه القمح المفروض على أهل كورته، ويخبره أنه إذا وجد الأهالى صعوبة فى دفع الضريبة غلة فلا بأس من دفعها نقداً ويحدد له ما يعادل عددا معيناً من الأرادب نقداً، ولكنه يطلب منه أن يعمل على إرسال القمح لا النقود [٢].

ويذكر البلاذري : فى رواية له عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه جعل كل جريب ديناراً[٣]. وثلاثة أرادب طعاماً[٤]، وفى رواية أخرى للبلاذرى أيضاً: عن يزيد بن أبي حبيب : أن أهل الجزية بمصر صولحوا فى خلافة عمر بعد الصلح الأول مكان الحنطة والزيت والعسل والخل على دينارين دينارين فألزم كل رجل أربعة دنانير فرضوا بذلك وأحبوه[٥].

وذكر اليعقوبي : أن عمرو بن العاص جبى من مصر أربعة عشر ألف دينار من خراج رؤوسهم، ويعنى بخراج الرؤوس هنا الجزية، لكل رأس دينار، وخراج غلاتهم من كل مائة إردب إردبين[٦].

---

(١) جورهمان : أوراق البردى ج ص (٢) الأراق البردى العربى جـ ص

(٣) الجريب : المزرعة، ومكيال قدر أربعة أقفزة. والقفيز يعادل بالتقدير المصرى ١٦ كجم المعجم الوسيط مادة (جرب). ومادة : قفز.

(٣) فتوح البلدان ... ص ٢١٥ . (٤) المصدر السابق .. ص ٣١٦ .

(٦) تاريخ اليعقوبى .. جـ ٢ ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

يتضح من هذا أن الإدارة الإسلامية استخدمت أسلوب الرحمة فى ضريبة الخراج وعاملت المصريين معاملة تقبلوها بقبول حسن.

**المقدار المرسل من الخراج لمقر الخلافة :**

يتضح موقف المسلمين من مصلحة البلاد ما أشارت إليه بعض النصوص إلى مقدار ما كان يرسل نقداً إلى بيت المال، فى مقر الخلافة، فيقال: إنه فى زمن معاوية، أرسل واليه على مصر «مسلمة بن مخلد» (٤٧ ـ ٦٢ هـ) ستمائة ألف دينار[١]، إلى بيت المال بعد أن دفع عطاء الجند وأنفق على البلاد ما تحتاجه، وبعد إرسال القمح إلى الحجاز، ويؤكد هذا الخبر ما ذكره ساويرس : أنه كان يحمل إلى بيت المال مائتا ألف دينار بعد النفقة على الأجناد وما تحتاج إليه البلاد[٢].

أما النوع الثاني من الإراضي فإن أصحابها من الروم كانوا يفرون منها فكانت تؤول ملكيتها إلى المسلمين.

أما النوع الثالث : فكان بيد الحكومة البيزنطية وبحكم إخراجها من مصر آلت ملكيتها إلى الإدارة الإسلامية، وهذه بالطبع كان يفرض عليها ضريبة الزكاة، بجانب ضرائب التجارة.

**ضرائب التجارة الداخلية والخارجية التي فرضت على المصريين :**

فرض المسلمون على المصريين ضرائب، كما كان يفعل البيزنطيون، وهذه الضرائب كانت على التجارة إلا أنها كانت أقل بكثير مما كان يفرضه البيزنطيون، وتعرف هذه الضرائب بالمكوس[٣].

ومما يذكر أن ربيعة بن شرحبيل بن حسنة ﷺ كان ممن شهد فتح مصر من أصحاب رسول الله ﷺ وكان واليًا لعمرو بن العاص على المكس فى مصر [٤].

وأثر عن زريق بن حيان الذى كان على مكس مصر زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز

---

(١) ابن عبد الحكم :مصر والمغرب ص ١٠٢ . (٢) سير الآباء البطاركة ص ١٨٩ .

(٣) يذكر جروهمان أن كلمة مكس مشتقة من اللفظ السرياني ماكسو، ويذكر المقريزى: أن أصل المكس فى اللغة الجباية يقال:مكسه يمكسه مكسا، والمكس :دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع فى الأسواق، فى الجاهلية، والماكس هو العشار، يقال للعاشر صاحب مكس، والمكس أيضا انتقاص الثمن فى البياعة، ومكس درهمه :أى نقص درهم فى بيع ونحوه، وعشر القوم معناه أخذ عشر أموالهم، والعشار هو قابض العشر.الخطط جـ٢ ص ١٢١ .

(٤) المقريزى:خطط جـ٢ ص ١٢٣ ، ومصر فى فجر الإسلام ص ٥٥، ٥٦ وانظر للمؤلف:الدعاة الأول فى أرض الكنانة .

أنه قال: «إن الخليفة كتب إليه أن يراقب من مر عليه من المسلمين فيأخذ مما ظهر من أموالهم، وما ظهر له من التجارات من كل أربعين دينارا دينارا، وما نقص بحسابه حتى تبلغ دينارا، فأن نقص عن ذلك تركها، ولا يؤخذ منها شيئا، وإذا مر عليه أهل الذمة أخذ منهم من كل عشرين دينارا دينارا، وما نقص فبحسابه، ذلك حتى تبلغ تجارتهم عشرة دنانير، فإن نقصت عن ذلك لا يأخذ منها شيئا، وألا يأخذ من التجارة مرة أخرى قبل انقضاء العام، وأن يكتب لهم كتابا بم أخذ منهم [١].

ويظهر أن هذه الضرائب التى تحدث عنها المؤرخون كانت تؤخذ من التجار الذين يتاجرون فى مصر نفسها، أى أنها كانت تؤخذ على التجارة الداخلية، وكان مقر إدارة هذه الضرائب فى الجهة التى عرفت باسم المقس [٢]، التى كانت تقع شمالى الفسطاط، وإنما سميت المقس، لأن العاشر أو صاحب المكس كان مقره هناك فقيل: المكس، وقلب فقيل المقس [٣].

وتثبت أوراق البردى وجود هذه الضرائب التى تفرض على التجارة الداخلية [٤]، وكما اهتمت الإدارة الإسلامية فى مصر بفرض ضرائب على التجارة الداخلية فى البلاد فإنها لم تنس أيضا أن تفرض ضرائب على التجارة الخارجية التى تمر بثغورها، أو التى ترد إليها أو تصدر منها [٥] فيذكر المقريزى: أنه كان يجبى من التجارة فى الثغور المصرية وهى: دمياط، وتنيس، ورشيد، وعيذاب، وأسوان، والإسكندرية، ضرائب مقررة.

فالمكس كان قبل الإسلام، وكان عبارة عن حق فرض الضرائب على الأسواق، وحق فرض الضرائب التى تجبى فى الموانى، والبلاد التى على الحدود المصرية، وقد حافظ المسلمون على هذا الحق وقربوه من نظام الزكاة، أو العشور [٦].

**نظام جباية الضرائب:**

اتبع المسلمون فى جباية الضرائب النظام الذى اتبعه البيزنطيون من قبل، فكانت كل قرية مسئولة بالتضامن عن الضرائب المفروضة عليها.

---

(١) المقريزى: خطط...جـ٢ ص ١٢٢ .
(٢) وهى قرية أم دنين..راجع تعريف الدواوين ص ٥٥، نقلا عن مصر فى فجر الإسلام ص ٥٦ .
(٣) المقريزى: الخطط...جـ٢ ص ١٢٢ .
(٤) نقلا عن: مصر فى فجر الإسلام..ص ٥٦ .
(٥) المصدر نفسه...ص ٥٧ .
(٦) المقريزى: الخطط..جـ١ ص ١٠٩ .

ففي كتاب قرة بن شريك في سنة (٩١هـ) إلى صاحب شبرا بسيرو من كورة أشقوه يذكر فيه أن على قريته من جزية سنة (٨٨هـ) ٢/٣ ١٠٤ دينار، ومن ضريبة الطعام ١/٣ ١١ إردب من القمح [١].

وفي كتاب آخر أرسله سنة (٩١هـ) إلى أهل شبرا أجيه بنوتيه من كورة أشقوه يذكر أنه أصابهم من جزية سنة (٨٨هـ) ٣٧ دينارا [٢].

وفي كتاب ثالث أرسله سنة (٩١هـ) إلى أهل هيروس أبير ميوطس من كورة أشقوه ذكر أنه أصابهم من جزية سنة (٨٨هـ) ١/٦ ٢٨ دينار [٣].

وكما كان الحاكم العام في مصر في عهد الرومان يقدر الضرائب التي تفرض على مختلف نواحي البلاد على أساس المعلومات التي يقدمها إليه الحكام المحليون كذلك نجد المسلمين يتبعون نظاما يشبه النظام السالف فقرة بن شريك يرسل إلى صاحب كورة أشقوه تعليمات خاصة بجباية الضرائب فيأمره بجمع رؤساء كل قرية، وذوي النفوذ فيها، كي يختاروا رجالا أمناء أذكياء ليكلفهم بتقدير على كل قرية من الضرائب بقدر استطاعتهم، وبعد أن يقوموا بمهمتهم هذه تحت إشراف صاحب الكورة، يطلب منه أن يرسل إليه نتيجة عملهم بعد أن يحتفظ بنسخة لنفسه، ويطلب منه أيضا أن يكتب أسماء، وألقاب ومحل إقامة هؤلاء الذين قاموا بتقدير الضرائب، وينذره أنه إذا وجد أن قرية حملت أكثر مما تحتمل من الضرائب أو أقل فإنه سيعاقب هؤلاء الذين قاموا بتقدير الضرائب وصاحب الكورة أيضا أشد عقابا [٤].

وهذا مما يدل على أن عمرو بن العاص لما استوثق له الأمر: «أقر قبطها على جباية الروم وكانت جبايتهم بالتعديل، إذا عمرت القرية وكثر أهلها زيد عليهم، وإن قل أهلها وخربت نقصوا، فيجتمع عرفاء كل قرية ومازوتها، ورؤساء أهلها فيتناظرون في العمارة، والخراب حتى إذا أقروا من أنفسهم بالزيادة انصرفوا بتلك القسمة إلى الكورة، ثم اجتمعوا هم ورؤساء القرى فوزعوا ذلك على احتمال القرى وسعة الزراع» [٥].

يتضح من هذا أن صاحب الكورة هو الذي كان يتصل بالوالي أو عامل الخراج لتأدية الضرائب الواجبة على كورته وعلى القرى التي تدخل في دائرة هذه الكورة، ويشرف على

(١) نقلا عن مصر في فجر الإسلام..ص٥٩ . (٢) نقلا عن المصدر نفسه.
(٣) نقلا عن المصدر نفسه. (٤) نقلا عن المصدر نفسه..ص ٦٠ .
(٥) ابن عبد الحكم..فتوح مصر والمغرب ص ١٥٢، ١٥٣ ، والمقريزي:الخطط جـ١ ص ٢٧٧ ، والسيوطي: حسن المحاضرة جـ١ ص ١٤٥ وما بعدها.

تقدير هذه الضرائب :رؤساء القرى، وذو النفوذ فيها تحت إشراف صاحب الكورة [١].

**تحويل وقت جباية الخراج إلي السنة القمرية:**

رحمة بالمصريين ورأفة بهم حول المسلمون السنة الشمسية إلى السنوات القمرية فاستطاعوا تغيير وقت جباية الخراج من السنة القبطية إلى السنة القمرية، وإن دل هذا العمل على شيء فإنما يدل على حسن فهم المسلمين لتاريخهم كما أنهم يريدون إحساس المصريين بالتاريخ الهجرى، والتخفيف عليهم، ومن ثم حسبوا أنه إذا مضى من الزمان ثلاثون سنة حولوا السنة [٢]، وراكوا البلاد [٣]، وكانت الضرائب بعد الفتح [٤]، تجبى كل سنة قمرية، وكان المصريون قبل الفتح يعتمدون فى الزراعة والحصاد وجباية الخراج، على السنين الشمسية، والشهور القبطية، وقد اضطر العرب إلى تحويل السنة الخراجية القبطية إلى السنة الهلالية العربية، فكانوا يسقطون سنة عند رأس كل اثنتين وثلاثين سنة قمرية وسموا ذلك الأزدلاق، لأن لكل ثلاث وثلاثين سنة قمرية اثنين وثلاثين سنة شمسية بالتقريب [٥].

وكان الأهالى الذين يقومون بدفع ما عليهم من الضرائب يتسلمون إيصالات عرفت فى أوراق البردى العربية باسم براءة [٦].

وكان جابى الضريبة العينية ينتخبه السكان، ويسمى القبال ونسمع عن قبال قرية فى ورقة بردية كتبت سنة (١٣٤هـ) [٧].

أما الضرائب النقدية فكانت ترسل إلى ديوان الخراج والأموال [٨].

**أول من ضرب النقود من الخلفاء:**

كان لابد من استكمال الإدارة الإسلامية من نقود يتعاملون بها، فقد كان العرب فى الجاهلية يتعاملون بالنقود الفارسية، وكانت من الفضة، والدنانير البيزنطية، وكانت من الذهب،

---

(١) مصر فى فجر الإسلام..ص ٦١، ٦٢ .
(٢) تحويل السنة معناه تحويل السنين القمرية إلى شمسية ثلاثا وثلاثين مرة، وهذا ضد طبيعة الأشياء.وعلى هذا تحذف سنة كل (٣٣ سنة) قمرية أى يحذف كل (٣٣ سنة) قمرية خراج سنة وهذا يسمى التحويل: المقريزى خطط جـ١ ص ٧٣ . (٣) راكوا البلاد :الفعل راك، والفعل روك معناهما :تقويم الأراضى ومسحها. مصر فى فجر الإسلام ص ٦٢، ٦٣ . (٤) إذا استثنينا الضرائب غير العادية.
(٥) انظر المقريزى :الخطط جـ١ ص ٢٧٠ ـ ٢٧٣ . (٦) جروهمان :أوراق البردى العربية ص ١٤١، ١٤٢ .
(٧) المصدر السابق ص ١٠٢ ، ومصر فى فجر الإسلام ص ٦٣ .
(٨) ديوان الخراج والأموال بمثابة وزارة المالية وقد وجد العرب فى مصر ذلك الديوان فأبقوه على حاله حتى أنه كان يكتب باليونانية والقبطية إلى أن أمر عبد الله بن عبد الملك بتعريب هذا الديوان سنة (٨٧هـ).

فلما جاء الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أقرهم على ذلك، وكذلك فعل أبو بكر الصديق رضى الله عنه [١].

وتذكر بعض المراجع :أن أول من ضرب النقود من الخلفاء :هو عبد الملك بن مروان [٢].

على أن المقريزى :يذكر أن عمر بن الخطاب، أقر النقود على حالها إلا أنه فى سنة ١٨ هـ ضرب الدراهم على نقش الفارسية وشكلها غير أنه زاد فى بعضها «الحمد لله» وفى بعضها «محمد رسول الله» وفى بعضها «لا إله إلا الله وحده» [٣].

ولما بويع عثمان بن عفان بالخلافة ضرب دراهم ونقش عليها «الله أكبر» [٤].

وقد سلك معاوية فى خلافته أيضا دراهم ودنانير [٥].

روى المؤرخون أن الذى حدا بعبد الملك بن مروان إلى هذا أن القراطيس كانت تدخل بلاد الروم من أرض مصر، ويأتى العرب من قبل الروم الدنانير، فكان عبد الملك بن مروان أول من أحدث الكتاب الذى يكتب فى رؤس الطوامير من ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وغيرها من ذكر الله فكتب إليه ملك الروم إنكم أحدثتم فى قراطيسكم كتابا نكرهه، فإن تركتموه وإلا أتاكم فى الدنانير من ذكر نبيكم ما تكرهون.

قال :فكبر ذلك فى صدر عبد الملك، وكره أن يدع سنة حسنة فأرسل إلى خالد بن يزيد ابن معاوية، فاستشاره فى ذلك، فلم يكن منه إلا أن قال حرم دنانيرهم، فلا يتعامل بها، واضرب للناس سكا، ولا تعف هؤلاء الكفرة مما كرهوا فى الطوامير.

**فقال عبد الملك:** فرّجتها عنّى فرّج الله عنك.وضرب الدنانير [٦].

والذى، يظهر أن عبد الملك ضرب الدنانير والدراهم فى سنة (٦٧هـ) بعد التعديل فى

---

(١) البلاذرى:فتوح البلدان ص ٤٦٥، ٤٦٦، والمقريزى:النقود الإسلامية ص ٢ ـ ٤ .

(٢) الماوردى:الأحكام السلطانية..ص ١٤٨، والقلقشندى:صبح الأعشى جـ١ ص ٤٢٤، وأبو المحاسن:النجوم الزاهرة..جـ١ ص ١٧٦

(٣) المقريزى:النقود الإسلامية ص ٤، ٥، والمقريزى:إغاثة الأمة ص ٥١، ٥٢ .

(٤) المقريزى:النقود الإسلامية ص ٤، والمقريزى:إغاثة الأمة ص ٥٢ .

(٥) المقريزى:النقود الإسلامية ص ٥٠، وإغاثة الأمة ص ٥٢، وراجع مصر فى فجر الإسلام ص ٦٥، ٦٦ .

(٦) البلاذرى:فتوح البلدان ص ٢٤٠ والمقريزى:النقود الإسلامية ص ١، وأبو المحاسن:النجوم الزاهرة جـ١ ص ١٧٦، ١٧٧، ومصر فى فجر الإسلام ص ٦٦، ٧٧ .

أوزانها مما يتفق والزكاة، وقد أرسل إلى الأمصار الإسلامية كلها لتضرب نقودها بمقتضى السكة التى ضربها عبد الملك [١].

وهذه خطوة إسلامية بارعة كسرت احتكار الروم للنقود، فلم يرض المسلمون لأنفسهم أن يكونوا خاضعين للروم بعد أن أعزهم الله بالإسلام.

وقد أكد المؤرخون على القول بأن عبد الملك بن مروان أول من ضرب النقود فى الإسلام فقد نظم سك النقود وجعلها وزنا واحدا، وجعلها تسرى فى جميع أرجاء المملكة الإسلامية لكن هناك من ضرب نقودا قبل عبد الملك، والحقّ أن لعبد الملك الفضل الأول فى إصلاح السكة وتوحيدها فى أنحاء الأمة الإسلامية والاستغناء عن النقود الأجنبية وهذا مما يسهل كثيرا فى انتظام المعاملات إذ أن كثرة ضروب العملة الموجودة فى بلد ما تدعو إلى الاضطراب فى التعامل [٢].

### خضوع السكة المصرية للمعاملات الإسلامية:

على أن المعاملات بين الأهالى فى مصر قبل الفتح كان أساسها العملة الذهبية المعروفة بالدينار [٣] وربما ظلت النقود الأجنبية فى مصر يتعامل بها جنبا إلى جنب مع النقود الإسلامية حتى إصلاح عبد الملك بن مروان للسكة، وتحريمه الدنانير الأجنبية، أى أن السكة

---

(١) انظر المقريزى :شذور العقود ص ٦ ـ ٨، والأب انستاس الكرملى :النقود العربية ص ٣٤، ٣٩، نقلا عن: مصر فى فجر الإسلام ص ٥٢،٥٣ .

(٢) انظر مصر فى فجر الإسلام...ص ٦٧ ولمزيد من التوضيح..كان العرب إلى أيام عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يتعاملون بنقود الفرس والروم، ولما رأى الخليفة الثانى اختلاف الأوزان فى تلك النقود خشى البخس على المسلمين، فأمر فى السنة الثامنة عشرة للهجرة بأن تضرب دراهم عربية وزن كل منها أربعة عشر قيراطا، وكان نقش على الوجه الأول «الحمد لله» وعلى الوجه الآخر «محمد رسول الله» ثم تطور النقد على مراحل

وكان معاوية بن أبى سفيان أول من ضرب الدنانير فى الإسلام، وإلى أيام عبد الملك بن مروان...، وإلى جانب هذه العملات الإسلامية كان التعامل بين الناس كثيرا ما يتم بالدراهم الفارسية، والدنانير الرومانية...ثم أنشأ عبد الملك دارا جديدة لسك النقود، وأمر بسحب النقد المتداول على اختلاف أنواعه من الأسواق تدريجيا، وإصدار عملة جديدة موحدة الأوزان :فضية وذهبية، وأنذر مزيفى النقد ومعاونيهم بأنه سيضرب على أيديهم بيد من حديد، وكان ذلك سنة ٧٧ من الهجرة، وبهذا العمل أصبح للدولة الإسلامية عملة خاصة بعد أن كانت عالة على الروم والفرس فى الدرهم والدينار.انظر:د/ أحمد مجاهد مصباح من حضارة المسلمين صـ٤٩، ٥٠ بتصرف.

(٣) نقلا عن مصر فى فجر الإسلام.. ٦٩ .

فى مصر خضعت للسِّكة الإسلامية، وهذا مظهر من مظاهر التبعية دون شك، ولم تستقل مصر عن السكة المستعملة فى الخلافة إلا بعد أن استقلت عنها كما حدث فى عهد أحمد بن طولون (١).

## المبحث الثالث:

### أثر هذه الإصلاحات في مصر :

لم يتوان المسلمون عن الإصلاحات الداخلية فى مصر فقد ذكر المؤرخون أنه عقب الفتح مباشرة كانت حكومة المسلمين تباشر حفر الترع وإقامة الجسور، وبناء القناطر، وغير ذلك مما يلزم للرى والزراعة، وكان يقوم بذلك العمل صيفا وشتاءا حوالى مائة وعشرين ألف عامل (٢).

ومع ذلك لا توضح كتب التاريخ شيئا مفصلا عن مدى عناية المسلمين، وإشرافهم على الرى والزراعة طوال فترة البحث، ولكن لا يستبعد أن يكون الخلفاء، وولاة مصر قد حذوا حذو عمر بن الخطاب، وعمرو بن العاص، فى هذا الشأن حيث إن العائد الإقتصادى يساعد على أسباب انتشار الدعوة.

### بناء مقاييس النيل:

اهتم المسلمون بعد الفتح ببناء مقاييس للنيل لمعرفة مقدار الزيادة والنقصان فى مياهه، ليكون ذلك معيارا صادقا للزراعة والرى والضرائب فى كل عام، على أن المسلمين لم يكونوا أول من بنى مقاييس للنيل فى مصر، إنما عرفت مقاييس النيل منذ التاريخ القديم، ورغم وجود مقاييس للنيل قبل الفتح العربى نرى الخليفة عمر بن الخطاب، يهتم ببناء مقاييس جديدة، كانت مقسمة على أساس الذراع، وكل ذراع ينقسم إلى أربعة وعشرين أصبعا (٣).

وقد بنى عمرو بن العاص مقاييس بحلوان، وأسوان، ودندرة، ثم بنى فى أيام معاوية بن أبى سفيان، مقياسا بأنصنا (٤).

---

(١) نقلا عن المصدر نفسه.

(٢) راجع ابن عبد الحكم..ص١٥١، وخطط المقريزى..جـ١ ص ٧٦، والسيوطى:حسن المحاضرة جـ١ ص، والنويرى:نهاية الأرب جـ١ ص ٢٦٦ .

(٣) القلقشندى:صبح الأعشى جـ٣ ص ٢٩٩، وخطط المقريزى:جـ١ ص ٥٩،٥٨، وأبو المحاسن:النجوم الزاهرة جـ٢ ص ٣١٣،٣١٢، والسيوطى:حسن المحاضرة جـ٢ ص ١٩٧ .

(٤) أنصنا:مدينة من نواحى الصعيد على شرقى النيل.ياقوت:معجم البلدان جـ١ ص ٣٨١ .

ثم بنى عبد العزيز بن مروان فى ولايته على مصر مقياسا بحلوان التى اتخذها عاصمة للديار المصرية، وفى خلافة سليمان بن عبد الملك بنى أسامة بن زيد التنوخى عامل الخراج مقياساً بجزيرة الروضة سنة (٩٧هـ)..وطبيعى أن المسلمين عملوا على كل ما من شأنه زيادة الانتاج لأن ذلك يكفل لهم وللمصريين كثرة المال، وكثرة القمح، كذلك توضح عقود الإيجار فى ذلك العهد أن المؤجر يشترط على المستأجر شرطا هذا نصه، «ومابورت فعليك خراجه» [1] وتبدو بوادر النشاط فى الإدارة الاسلامية فتطبق القول على العمل فهم يقرأون قول الله تعالى: ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ [2] والأمر بالمشى هنا ليس للنزهة، وإنما للعمل فيها بهمة فقد جعلها الله ذلولا لا تمتنع على أحد [3]. وقوله تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ... ﴾ [4] أى أقدركم على عمارتها [5].

فإذا لم يستنبط المسلمون الأرض ويصلحونها؟ فمن يصلحها؟ لقد كان المسلمون قدوة فى العقيدة واللغة فلابد أن يكونوا قدوة فى العمل والإخلاص فيه أيضا وجملة «وما بورت فعليك خراجه» فيها تحذير من الإهمال الذى تعانى منه اليوم كثير من دول العالم حتى نحن فى مصر نشكو من كثرة الأرض التى جرَّ الإهمال ذيوله عليها خاصة الأراضى الصحراوية.

وعبارة:«وما بورت لعليك خراجه» من أحكم الأقوال الإدارية التى أذاعها المسلمون عند إدارتهم لمصر فإنه يلزم على من يتسبب فى بوار جزء من الأرض أن يدفع الخراج عنها، وطبيعى ألا يرضى المزارع أن يدفع خراجا عن الأراضى البور التى لا يتسفيد منها، ومن ثم كان هذا الشرط يحمل المزارعين على الإنصراف إلى الزراعة، وعدم إهمال الأرض، فيكون العائد راجعا إلى المزارعين، وإلى الحكومة فتهدأ الأمور ويعم الرخاء ويجد الدعاة السند الاقتصادى الذى يساعدهم على نشر الدعوة [6].

**من فضائل مصر:**

ظلت الزراعة فى أيدى المصريين، حتى عهد هشام بن عبد الملك الذى شجع القبائل العربية على النزوح إلى مصر، والاستقلال بالزراعة حتى زادت المحاصيل وعم الرخاء وازدهرت الزراعة بفضل هذه العناصر الجديدة منذ فجر الإسلام فى مصر، والدليل على ذلك ما كتبه

(١) نقلا عن مصر فى فجر الإسلام ص .
(٢) سورة الملك:آية ١٥ .
(٣) انظر القرطبى:جـ٨ ص ٦٦٩٤ .
(٤) سورة هود من الآية:٦١ .
(٥) فريد وجدى:المصحف المفسر ص ٢٩٣ ط دار الشعب.
(٦) مصر فى فجر الإسلام ص ٢٧٠ بتصرف شديد.

النويرى عند الكلام على فضائل مصر حيث قال:«قال سعيد بن عقبة:كنت بحضرة المأمون حتى قال وهو فى قبة الهواء:لعن الله فرعون حين يقول: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ . . .﴾ فلو رأى العراق؟ فقلت يا أمير المؤمنين:لا تقل هذا فإن الله عز وجل قال: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ فما ظنك يا أمير المؤمنين بشىء دمره الله هذا بقيته؟ قال:ثم قلت:لقد بلغنى أن أرضا لم تكن أعظم من مصر وجميع أهل الأرض يحتاجون إليها»(١).

فإن الأنهار كانت بقناطر وجسور وتقدير....

كما كانت البساتين بحافتى النيل من أوله إلى آخره، ما بين أسوان إلى رشيد، إلى الشام متصلة لا تنقطع، ولقد كانت الأمة تضع المكْتَل على رأسها فيمتلىء مما يسقط من الشجر، فكانت المرأة تخرج حاسرة لا تحتاج إلى خمار لكثرة الشجر (٢) !!

**ازدهار الصناعة في مصر الإسلامية:**

على أن المسلمين الذين أتوا إلى مصر لم يكونوا من البدو الذين لاحضارة لهم ولا فن، وإنما معظمهم من العنصر اليمنى الذى اشتهر منذ القدم بحضارته الراقية، وبفنونه الرائعة، وإن كانت هذه الحضارة قد اضمحلت عند قيام الإسلام إلا أنه كان لديهم استعداد فطرى لقبول الحضارة، كما كانت عندهم ملكة واسعة فى التصور والذوق الفنى، نتيجة اتصالهم الدائم بالشعوب الأخرى مثل:

البيزنطيين، والفرس، والأحباش، والمصريين أثناء رحلاتهم للتجارة (٣)...ومن ثم نشأ فى مصر بعد الفتح صناعة إسلامية مصرية، وفن إسلامى مصرى، كان للمصريين نصيب كبير فيه، لكن المسلمين نجحوا فى طبعه بطابع دينهم، واظهار شخصيتهم فيه بحيث تميزت الصناعات والفنون الإسلامية عما كان موجودا فى مصر قبل الفتح (٤).

أما الصناعة، فإنها مازالت مزدهرة تحت حكم الإسلام كما كانت من قبل لم

---

(١) نهاية الأرب..جـ١ ص ٣٥٥ .

(٢) المصدر نفسه، وانظر مصر فى فجر الإسلام ص ٢٧١، ولمزيد من معرفة فضائل مصر:، راجع لابن عبد الحكم:فتوح مصر وأخبارها، وللسيوطى:حسن المحاضرة جـ١ ، وللنويرى:نهاية الأرب جـ١ ، ولابن زولاق: فضائل مصر، وللمقريزى:الخطط جـ١ ، ولابن إياس:بدائع الزهور جـ١ .

(٣) المصدر نفسه.

(٤) انظر:مصر فى فجر الإسلام ص ٢٧٢ .

يمسسها أحد بسوء [١].

**فن البناء المصري وتقدمه في ظل الإدارة الإسلامية:**

عرف عن المصريين ولوعهم بفن العمارة..فلما دخل المسلمون مصر كانت بناياتهم متواضعة بسيطة ثم ما لبثوا أن تذوقوا الحضارة الراقية، وبدا ذلك واضحا جليا فى العمارة الإسلامية فى جميع أنحاء الدولة، حتى لم يمض على الفتوحات قرن من الزمان حتى تقدمت العمارة فى عهدهم تقدما باهرا، وتلك آثارهم الباقية تدل عليهم إلى اليوم كقبة الصخرة التى بناها فى بيت المقدس عبد الملك بن مروان، ومثل الجامع الأموى الذى بناه فى دمشق الوليد ابن عبد الملك وأسرف فى تزيينه [٢]. ومدينة الفسطاط التى دب فيها العمران والحضارة، وبنيت فيها الحمامات والأسواق كما بنيت الدور العالية بعد أن كان البناء فيها بسيطا متواضعا[٣]ولا يغيب عن الذهن مسجد عمرو بن العاص رضي الله عنه.

وفى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه، بنى عبد الله بن سعد قصرا كبيرا عرف باسم قصر الجن [٤].

كذلك أمر عبد العزيز بن مروان ببناء الدار المذهبة (سنة ٦٧هـ) فى غربى المسجد الجامع، وكانت تدعى المدينة [٥].كما بنى عبد العزيز الدور والمساجد فى حلوان التى اتخذها عاصمة له وعمرها أحسن عمارة، وغرس فيها الأشجار والنخيل حتى قيل:إنه أنفق فى بنائها مليون دينار [٦].

وهكذا أخذت العمارة الإسلامية فى التقدم والرقى بفضل نشاط المسلمين وحسن إدارتهم.كذلك نال جامع عمرو بن العاص من التحسينات والزيادات والتزيين ما جعله بحق تاج الجوامع.فتذكر الروايات أن محرابه لم يكن مجوفا، وأن حنية القبلة استحدثت فيه، وكان هذا التجديد فى عهد قرة بن شريك [٧].

ولما اتخذ عمرو فيه منبرا، كتب إليه عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يأمره بكسره،

---

(١) المصدر السابق ص ٢٧٣ باختصار شديد.
(٢) المصدر نفسه بتصرف.
(٣) انظر المصدر السابق ص ٢٧٣، ٢٧٤.
(٤) ابن عبد الحكم...ص ١١٠.
(٥) الكندى:...الولاة..ص٤٩.
(٦) انظر سعيد بن بطريق:التاريخ المجموع جـ٢ ص ٤٠، ومصر فى فجر الإسلام....ص٢٧٤.
(٧) المقريزى:خطط...جـ٢ ص ٢٤٧، وابن عبد الحكم:ص١٣١، والكندى: الولاة..ص٥١.

لأنه لا يرضى أن يكون عمرو..قائما والمسلمون جلوس تحت عقبيه فكسره عمرو...[١].

ثم نصّب منبر جديد فى ولاية قرة بن شريك سنة ٩٤هـ، وقيل إنه من ملك النوبة أهداه إلى عبد العزيز بن مروان، وبعث معه نجاره الذى ركبه، واسمه بقطر من أهل دندرة، وظل هذا المنبر حتى نصّب سواه قرة بن شريك، فكان يخطب عليه، ولم يكن يخطب فى القرى إلا على العصى إلى أن ولى عبد الملك بن مروان، فأمر واليه على مصر باتخاذ المنابر فى القرى فى سنة (١٣٢هـ) [٢].

**صناعات ازدهرت تحت حكم الإدارة الإسلامية:**

من الصناعات التى ازدهرت بمصر عهد البحث صناعة المنسوجات: صوفية كانت أو تيلية أو حريرية، أو قطنية [٣].

وقد عرف المسلمون مكانة الصناعة المصرية فى هذا المجال، حتى أنهم كانوا يطلقون على المنسوجات المصرية اسم قباطى [٤]، وهذه التسمية إلى قبط مصر الذين كان لهم دور رئيسى فى هذا الشأن كما يذكر ياقوت: أن ناسجى الثياب فى تنيس، ودمياط من القبط [٥].

وعلى كل حال فإن المسلمين لم يتسببوا أبدا فى إخفاق صناعة من الصناعات منذ أن فتحوا مصر، وهذا يعطى صورة أن المسلمين لم يفتحوا البلاد ليستغلوها، أو ينقلوا خبراتها أو خيراتها إلى بلادهم، حتى أن الميرة التى كانت ترسل إلى الحجاز، كانت تستقطع من الجزية والخراج، وهما مما اتفق عليها فى عقد الصلح.

**نشاط المسلمين في زيادة انتاج الصوف:**

كانت مصر تنتج من الصوف ما يكفى حاجتها بفضل نشاط المسلمين الذين وفدوا إلى الصعيد بأغنامهم كما ذكر المقريزى.

خاصة وأن أرض الصعيد كثيرة المواشى من الضأن لكثرة نتاجه، وفضلا عن ذلك فإن المسلمين الذين استقروا فى مصر عنوا برعى الإبل والماشية، كما كان الحال فى بلادهم[٦]، كذلك يذكر ابن الفقيه: أن المصريين يقولون: «الصوف والكتان لنا ليس لأحد من أهل البلدان

---

(١) المقريزى: خطط جـ٢ ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨ . (٢) المقريزى: خطط جـ٢ ص ٢٤٨ .

(٣) نقلا عن مصر فى فجر الإسلام ص ٢٧٩ .

(٤) الأزرقى: أخبار مكة جـ١ ص ١٣٧ ـ ١٦٨، والمقدسى أحسن التقاسيم ص ٢٠٣، والمقريزى: خطط جـ١ ص ١٨١، ومصر فى فجر الإسلام ص ٢٨٠ .

(٥) ياقوت: معجم البلدان...جـ٢ ص ٦٠٢ . (٦) المقريزى: خطط جـ١ ص ١٩٠ .

مثلها» (١).

كذلك ازدهرت صناعة نسج الحرير فى مصر فى فجر الإسلام (٢). وقد عثر فى إخميم على لباس من الحرير كتب عليه اسم الخليفة مروان، لكن هل هو مروان بن الحكم أو مروان ابن محمد (٣)؟.

ولم يكن الفضل فى اتساع نطاق صناعة النسيج فى مصر العصور الوسطى يرجع إلى الأهالى وحدهم، وإنما يرجع إلى الإدارة التى كانت تسيطر على مصانع النسيج وتشرف عليها، وهذا النظام كان قائما فى عهد البيزنطيين، ولما جاء المسلمون أبقوا الوضع كما هو لم يغيروا إلا سوء المعاملة، أو يرفعوا الظلم المحرم فى دينهم (٤).

والذى يهمنا بيانه الآن هو أن الخلفاء عنوا بتشجيع صناعة المنسوجات المصرية منذ الفتح لما تدره من عائد على المصريين وعلى المسلمين على حد سواء، كما أن الخلفاء، كانوا يستعملون بعضا من هذه المنسوجات فى ملابسهم، أو يخلعونها على كبار دولتهم (٥).

### المبحث الرابع:

### صناعة الورق في مصر:

اشتهرت مصر منذ القدم بصناعة أوراق البردى، واستخدامه فى كثير من الأشياء لدرجة أن الذى يزور المتحف المصرى بالقاهرة يشاهد فيه المئات من الأشياء التى كانت تصنع من البردى، حتى أن البعض كان يظن أنه لو حدث اختفاء لورق البردى لأى سبب مفاجىء من حياة المصريين لأصيبت حياتهم بما يشبه الشلل (٦).

### استخدام البردي وظهور البديل له:

كان البردى يستخدم فى الأغراض الآتية:ـ

١ ـ لعمل مادة الكتابة: وأن كلمة ورق وصلت من اسم البردى باللغة الإفريقية بابيروس.

---

(١) مختصر كتاب البلدان..ص ٦٩ .
(٢) المقريزى:خطط جـ١ ص ٢٢٦ .
(٣) مصر فى فجر الإسلام..ص ٢٨٥ .
(٤) د/ زكى محمد حسن:الفن الإسلامى فى مصر جـ١ ص ٨٤، ومصر فى فجر الإسلام ص ٣٨٧ .
(٥) المقريزى:خطط.. جـ١ ص ٢٠٢ .
(٦) انظر د/ مهندس حسن رجب:البردى ص ٩،١٠ . دار المعارف ١٩٨١ .

٢ ـ صناعة الورق: فقد ظل المصريون يحتكرون صناعته من البردى وتصديره إلى جميع أرجاء العالم القديم لمدة تربو على ثلاثة ألف عام ثم ظهر خلال تلك الفترة بدائل له أخرى مثل الواح الشمع، وألواح الطين، كما ظهر البارشمان المصنوع من جلود بعض الحيوانات فى محاولة للاستغناء عن البردى عندما حرم المصريون تصديره لبلاد برجام [١].

ولما لم يدون المصريون شيئا عن صناعة ورق البردى، فإن المؤرخ الرومانى (بلينى) ترك وصفا عن صناعة ورق البردى حوالى عام خمسين بعد الميلاد، وبعد قيام بلينى بكتابة وصف صناعة ورق البردى بنصف قرن وبعد عام (١٠٥) بعد الميلاد، تمكن الصينى (تساى لون) من انتاج الورق الخفيف الحمل والتداول [٢].

**إدخال الورق مصر على يد المسلمين:**

كان من أثر المسلمين فى مصر إدخال الورق إليها إذ بعد أن تمكن الصينى (تساى لون) من إنتاج الورق الخفيف الحمل والتداول، ظل استخدام الورق مقتصرا على الصين حتى القرن الثامن من الميلاد ، وبعد ظهور الورق فى العالم، ثم نزوله مصر على يد المسلمين أصبح نبات البردى بدون قيمة اقتصادية [٣].

والواقع أن ورق البردى المؤرخ الذى وصل إلينا ينتهى فى عام (٣٢٣هـ) على حين أن الوثائق المكتوبة على الكاغد [*] يبدأ تاريخها منذ عام (٣٠٠هـ) [٤].

ومن ثم فإن مصر لم تعرف صناعة الورق إلا عن طريق المسلمين الذين كانوا هم همزة الوصل بين الصين والعالم الخارجي، عن طريق قوافل الجمال عبر آسيا الوسطى، وأساطيلهم التجارية عبر البحار الجنوبية، إذ نقلوا المنتجات الصينية إلى الغرب، وعنهم عرف العالم الكثير من هذه المنتجات مثل الحرير، والشاى، والورق [٥].

**قيام أول مصنع إسلامي لصناعة الورق:**

ظل المسلمون على علم بالورق، يستخدمونه ويتجرون فيه دون أن يعلموا شيئا عن صناعته التى ظلت سرا فى الصين إلى أن امتدت الإمبراطورية الإسلامية لتحتل المنطقة المحيطة بسمرقند التى كان يناصرها جنود من الصين.

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) المصدر السابق ..ص ١١ .
(٣) المصدر السابق.. ص ١٢ .
(*) الكاغد:القرطاس:المعجم الوسيط :مادة.كغد.
(٤) آدم ميتز:الحضارة الإسلامية جـ٢ ص ٣٠٨ .
(٥) راجع البردى:ص١١ ،١٢ .

وبسقوط سمرقند سقط بعض الأسرى الصينيين فى أيدى العرب، وعن طريقهم انتقل سر صناعة الورق إلى المسلمين، الذين أقاموا أول مصنع إسلامى لصناعة الورق فى سمرقند التى انتقلت منها صناعة الورق إلى بغداد فى أواخر القرن التاسع، ومنها انتقلت إلى مصر، وكان من أثر دخول الورق إلى مصر، زحزحت البردى عن عرشه الذى تربع عليه لمدة تزيد على أربعة آلاف من الأعوام (١).

وكان من أهم الأسباب التى أدت إلى ذلك رخص تكاليف انتاج الورق بالقياس إلى البردى، وإمكان صناعته من أى مخلفات نباتية أرخص كثيرا من البردى (٢).

وهكذا ظلت مصر منذ فتحها المسلمون تكاد تحتكر صناعة الورق، وكان صناع الورق كغيرهم من الصناع فى مصر من المصريين الذين دربهم المسلمون (٣).

**معرفة النبي ﷺ للقرطاس:**

أورد البيرونى فى كتابه (تاريخ الهند):

«قصب البردى...أو الريش الذى يعمل منه القراطيس «وكان قرطاس البردى معروفا فى زمن النبى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد أشار القرآن إلى ذلك فى قوله تعالى: ﴿ تجعلونه قراطيس تبدونها... ﴾ (٤).

أى طوامير، فإن القرطاس معمول بمصر من لب البردى يبرى من لحمه (٥).

وقوله تعالى: ﴿ ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ﴾ (٦).

كما اشتق منها أيضا كلمة قرطاس، ولقد بقيت حتى يومنا هذا كلمة قرطاس المستخدمة حاليا، وتعنى تلك اللفافة التى تغلف بها الأشياء، أو هى ورقة تلف على هيئة القمع ليوضع فيها الحب ونحوه (٧).

وأيضا القرطاس: الصحيفة يكتب فيها (٨).

كما أن كلمة قرطاسية مازالت مستخدمة حتى الآن فى لبنان وسوريا بعض البلدان العربية لتعنى المكان الذى يباع فيه الورق والأدوات الكتابية (٩).

---

(١) راجع البردى: ص١١، ١٢.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) انظر: مصر فى فجر الإسلام.. ص ٢٩٤.
(٤) سورة الأنعام: آية ٩١.
(٥) نقلا عن البردى ص ٤٠.
(٦) سورة الأنعام: آية ٧.
(٧ ـ ٨) المعجم الوسيط مادة: قرطس.
(٩) البردى ص ٤٠.

أورد السيوطى :«قال :جمع أبو بكر القرآن فى قراطيس، وكان قد سأل زيد بن ثابت فى ذلك فأبى حتى استعان بعمر ففعل [١].

كما أورد السجستانى حديثا مسندا قال:أخبرنا ابن وهب عن ابن شهاب عن سالم وخارجة أن أبا بكر الصديق ﷺ جمع القرآن فى قراطيس، وكان قد سأل زيدا[٢]....

**معرفة الصحابة رضي الله عنهم بالقراطيس:**

فقد «استدعى عمرو بن العاص ﷺ بدواة وقرطاس، وكتب كتابا لأمير المؤمنين عمر ابن الخطاب» [٣].

أورد اليعقوبى قوله :«وأمره أن يكتب لهم صكا من قراطيس، ثم يختم أسافلها، فكان أول من صك وختم أسفل الصكاك» [٤].

ويقال:إن يزيد بن معاوية تلقى رسالة تخبره بأن المرض قد اشتد بوالده فأنشد ذلك البيت الذى أصبح مشهورا:

جاء البريد بقرطاس يخّب به ... فأوجس القلب من قرطاسه فزعا [٥]

كما كان فى بغداد طريق يدعى «درب القراطيس»

يشمل كل أصحاب القراطيس، أى أصحاب أماكن بيع الورق والمواد الكتابية [٦].

**رسالتان على الطوامير:**

هذه إحداهما أوردها البحاثة جورهمان قال:«لقد وجدت رسالة مكتوبة بلغتين:عربية، ويونانية، وعرضها ١٤ سم فيها كلمة أمير المؤمنين ـ ويعتقد الباحثون أنها تعود لعصر، أو زمن عبد الله بن معاوية بن أبى سفيان ٤١ ـ ٦٠» [٧].

كما ذكر جورهمان فى ص ٨٧ نقلا عن السيوطى [٨].

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن جـ١ ص ٢٠٢ وما يليها طـ الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٤ .
(٢) أخرجه ابن أبى داود السجستانى:فى كتاب المصاحف.فصل باب جمع القرآن ص ٩ .
(٣) راجع لمحمد بن محمد المعز:قصة البهناسة، وما فيها من العجائب والغرائب ص ١٨ طـ.القاهرة ١٢٩٠ ـ ١٨٧٣، والبردى..ص٤٠ .
(٤) تاريخ اليعقوبى:جـ١ ص ١٧٧ .
(٥) البردى ص ٤١ .
(٦) المصدر نفسه، وهناك عدة عبارات مستعمل فيها كلمة (القرطاس) أوردها صاحب البردى ص ٤١ فليرجع إليها من شاء.
(٧) فى كتابه :بحوث فى الخطوط الإسلامية ص ٨٢ .
(٨) المصدر نفسه، وحسن المحاضرة جـ٢ ص ٢٣٠ .

بصدد الطومار قوله:«ويعمل طوله ثلاثون ذراعا فى عرض شبر..» مما يساعد على جعله درجا ملفوفا يستوعب كتابة طويلة [١].

وذكر البيضاوى فى تفسيره عند آية ﴿كطي السجل للكتب﴾ قوله:طيا كطى الطومار لأجل الكتابة، أو لما يكتب أو كتب فيه، ومعناه هنا صحيفة أو كتاب أو وثيقة، أو أى ورقة أخرى ملفوفة ومحزومة أو مختومة [٢].

**أماكن عمل الطومار:**

من المدن التى كان يعمل فيها «البابيروس» على ما ذكر صاحب القاموس الجغرافى[٣]: وفى كتاب فضائل مصر [٤]:بنها، وبوصير، وسمنود، ودهقله، وكورتها التى يعمل فيها القرطاس الطومار الذى يحمل إلى أقاصى بلدان الإسلام .

وهناك أسماء أخرى لمدن تعمل القراطيس مثل «وسيمة [٥]، وبورة [٦]، تعمل بها الثياب والقراطيس [٧].

**البرديات العربية:**

استمر انتاج ورق البردى بمصر، بعد فتح المسلمين لها، ولكن أدخلت الكتابة العربية فى الطراز (البروتوكول) المكتوب على اللفافات المصنوعة جنبا إلى جنب مع الكتابة اليونانية إلى أن اقتصرت كتابة الطراز على اللغة العربية وحدها، واستمر انتاج البردى واستخدامه تحت الحكم الإسلامى إلى أن أدخل المسلمون صناعة الورق العادى من ألياف الخرق، والكهنة، وشباك الصيادين القديمة، وبعض النباتات مثل القنب والكتان..وانتهى الأمر بإزاحة البردى عن عرش الكتابة الذى تربع عليه مدة تزيد على ثلاثين قرنا [٨]. وهذا ـ لاشك ـ ساعد على فتح مجالات أوسع أمام دعوة الإسلام، والتخاطب بلغتها الشريفة.

كذلك ازدهرت صناعات أخرى مثل:

---

(١) البردى ص ٤٢ .
(٢) راجع للإمام البيضاوى:أنوار التنزيل، وأسرار التأويل تفسير سورة الأنبياء:آية ١٠٤ .
(٣) محمود رمزى ط القاهرة:١٩٥٨ نقلا عن البردى ص ٤٢ .
(٤) لابن ذولاق .
(٥) على ساحل البحر غرب فرع رشيد.راجع البردى ص ٤٢ .
(٦) وهى حصن على ساحل البحر من دمياط:البردى ص ٤٢ .
(٧) المصدر نفسه.
(٨) انظر:البردى..ص ١٤٧ .

**المبحث الخامس:**

**صناعة الخشب..والخزف والزجاج والمعادن:**

لما فتح المسلمون مصر وجدوا بها صناعة الخشب، فلم يتدخلوا فيها أو يوقفوها لسبب أو لآخر وإنما تركوها بأيدى المصريين [١].

ومما اشتهرت به مصر أيضا :صناعة الخزف، والزجاج، والمعادن، والجدير بالذكر أن هذه الصناعات لم تهمل فى فجر الدولة الإسلامية فى مصر [٢].

بل إن الإدارة الإسلامية شجعت هذه الصناعات، والصناع، فلم يفرضوا عليهم ضرائب تثقل كواهلهم بل تركوها للمصريين يديرونها، وتفرغوا هم للجندية، وتأمين البلاد وسلامتها وهذا عامل من أهم العوامل لازدهار الصناعات وتألقها فى عهدهم حيث تركوها لذوى الخبرة.

**موقع مصر..سبب في تقدم التجارة:**

نشطت التجارة فى مصر نشاطا ملحوظا، ولم يكن ذلك راجعا إلى تقدم الزراعة، والصناعة وإنما يرجع إلى موقعها الجغرافى الممتاز بين قارات أفريقية وأوربا وآسيا، وهذا الموقع قد ظهر منذ الاسكندر المقدونى، فى أواخر القرن الرابع ق.م.

وظلت مصر تتمتع بهذا الموقع الممتاز العالمى، فكانت تصدر منتجات الأسواق الشرقية إلى الأسواق الغربية وبالعكس، ولم يغير الفتح الإسلامى من هذا الدور التجارى الذى قامت به مصر منذ القدم [٣].

**إصلاح الطرق وتأمينها:**

كذلك اهتم المسلمون بإصلاح الطريق الصحراوى الذى تمر فيه القوافل التجارية بين البحر الحمر والنيل، وبإقامة الحاميات فيه، وبحفر الآبار، على طول ذلك الطريق، وبالقضاء على القرصنة فى البحر الأحمر، والمحيط الهندى، وإنشاء الموانىء على الشاطىء الغربى لذلك البحر فى أكثر المواقع صلاحية لرسو المراكب، والاتصال بالنيل، وبشق طرق تجارية جديدة بين البحر الأحمر والنيل، وبالاهتمام بالقناة التى تصل أحدهما بالآخر [٢].

---

(١) انظر:مصر فى فجر الإسلام..ص ٢٩٣ . (٢) المصدر السابق..ص ٢٩٥ .

(٣) مصر فى فجر الإسلام..ص ٢٩٩ بتصرف.

(٤) انظر المصدر السابق ص ٣٠١ .

وقد ازداد نشاط مصر التجارى فى فجر الدعوة نتيجة اهتمام المسلمين بالتجارة على وجه الخصوص، لأن مصر وبلاد المغرب، وسوريا، وفلسطين، وبلاد العرب أصبحت كلها جزء من امبراطورية واحدة، وقد فطن المؤرخون المسلمون إلى ذلك الموقع الممتاز لمصر، فقالوا:إن من فضائل مصر أنها فرصة الدنيا يحمل من خيرها إلى سواحلها [١].

**فتح قناة تراجان [٢]:**

ومن إصلاحات المسلمين فى مصر فتح هذه القناة التى أهملت على مر الأيام حتى أصبحت غير صالحة للملاحة فى بداية القرن السابع الميلادى [٣].ولما فتح المسلمون مصر أوائل ذلك القرن، اهتموا بإعادة حفر هذه القناة ويذكر ابن عبد الحكم، أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أمر بحفر قناة توصل بين النيل والبحر الأحمر وذلك ليسهل حمل الطعام من مصر إلى المدينة ومكة، فأعاد عمرو بن العاص حفر القناة التى كانت توصل النيل بالبحر الأحمر، ولم يمض على ذلك عام حتى جرت السفن فى القناة، وحمل الطعام إلى أهل الحرميين الشريفيين [٤].

وسميت هذه القناة باسم خليج أمير المؤمنين، نسبة إلى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وذكر المقريزى، نقلا عن الكندى فى «كتاب الجند العربى» أن عمرا حفره فى سنة ثلاث وعشرين وفرغ منه فى ستة أشهر، وجرت فيه السفن، ووصلت إلى الحجاز فى الشهر السابع [٥].

**أهمية قناة تراجان على التجارة:**

وبالرغم من أن عمر بن الخطاب إنما كان اهتمامه بحفر قناة تراجان لتسهيل حمل الغلال، والطعام من مصر إلى الحجاز، فقد أفاد ذلك العمل التجارة والتجار فيذكر المقريزى: أن

---

(١) انظر النويرى:نهاية الأرب جـ١ ص ٣٥٤، والمقريزى:خطط..جـ١ ص ٢٨، ومصر فى فجر الإسلام..ص ٣٠١ .
(٢) التى أصلحها الأمبراطور تراجان، وعمقها فى القرن الثانى الميلادى (٩٨ ـ ١١٧م) نقلا عن مصر فى فجر الإسلام ص ٣٠١ .
(٣) نقلا عن نفس المصدر.
(٤) ابن عبد الحكم..ص ١٦٢، ١٦٤، ومن نقل عنه من المؤرخين أمثال:المقريزى:الخطط جـ٢ ص ١٢١، ١٤٢، والسيوطى:حسن المحاضرة جـ١ ص ٦٨ .
(٥) المقريزى:خطط جـ٢ ص ١٤٣ .

هذا الخليج كان مسلكا للتجار وغيرهم، ويذكر أيضا أن السفن كانت تسير فيه إلى البحر الأحمر، وتمر فى البحر إلى الحجاز واليمن والهند [١]، وظل على ذلك حتى قدوم محمد النفس الزكية ثائرا فى الحجاز زمن الخليفة المنصور العباسى، فكتب المنصور إلى عامله على مصر يأمره بطم الخليج حتى لا تحمل الميرة من مصر إلى المدينة، فطمه وانقطع من حينئذ اتصاله ببحر القلزم [٢].

ثم أهمل أمر هذا الخليج بعد عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز فغلب عليه الرمل منتهاه إلى ذنب بحيرة التمساح [٣].

كذلك يقال إن عمرو بن العاص هو الذى فكر فى قناة توصل ما بين البحر الأبيض والبحر الأحمر رأسا، ولكن عمر بن الخطاب لم يوافقه على ذلك [٤]، ولو تمت هذه الفكرة حينذاك لسهلت الطريق التجارى كثيرا بين الشرق والغرب، ويذكر ابن خلدون:أنه مازال الملوك فى الإسلام، وقبله يرمون شق ما بين البحرين إلا أن ذلك لم يتم [٥] وهاك نص، ما كتبه المسعودى، وهو يبين مكانة ذلك الطريق وأثره على التجارة فيقول:إن مصر «هى البرزخ بين البحرين المذكورين فى القرآن ـ يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴾ [٦]. لأن الفرما التى على ساحل بحر الروم إلى القلزم التى هى ساحل بحر الصين مسيرة ليلة يحمل إليها من جميع الممالك المحيطة بهذين البحرين من أنواع الأمتعة والطرائف، والتحف من الطيب والأفاويه، والعقاقير، والجواهر، والرقيق، وغير ذلك من صنوف المآكل والمشارب، والملابس، فجميع البلدان تحمل إليها ويفرغ فيها» [٧].

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) المقريزى:الخطط جـ٢ ص ١٣٩ .
(٣) ابن عبد الحكم ص ١١٨ تحقيق عبد المنعم عامر، والمقريزى:خطط جـ٢ ص ١٤٢ .
(٤) المسعودى:مروج الذهب جـ١ ص ٤٨،٤٩ .
(٥) المقدمة:ص٣٩ (المقدمة الثانية فى قسط العمران من الأرض).
(٦) سورة الرحمن:آية ١٩ ـ ٢٠ .
(٧) المسعودى:التنبيه والإشراف صـ٢٠ ، (الأفاوية:فوّه الطعام أو الشراب:طيّبه بالأفاوية) المعجم الوسيط مادة: (فاه).

ولما فتح المسلمون مصر، لم تقتصر تجارتها مع الشرق وحده، وإنما شملت الغرب أيضا، وأن الإسكندرية لم تفقد مكانتها التجارية العالمية التى كانت لها قبل الفتح، فقد زار الإسكندرية بعد الفتح بنحو ثلاثين سنة (٦٧٠ = ٥٠ ـ ٥١ هـ):

أركولف أحد حجاج بيت المقدس فتكلم عن الإسكندرية باعتبارها ملتقى التجارة العالمية حيث يتبادل البضائع فيها شعوب لا حصر لها [(١)].

كذلك فإن طرق الحج والبريد كانت مسلكاً للتجار فى ذلك العصر، لأن الخلافة كانت تهتم بعمارة هذه الطرق وبالعناية بها، وتوفير الراحة فيها، فعندما كان خليج أمير المؤمنين مستعملاً لملاحة السفن كان بعض الحجاج يتخذون هذا الطريق أيضاً للحج، ويذكر السيوطى : أن حجاج البحر كانوا يسيرون فيه إلى القلزم[(٢)]، ومن القلزم ينتقلون إلى المراكب الكبار، كما أن الطريق الصحراوى بين البحر الأحمر والنيل كان مسلكاً للتجار، والحجاج على أن هناك طريقاً برياً كان يرتاده الحجاج بكثرة، وهو طريق أيلة التى كانت عند موضع العقبة الحالية، فيسير الحجاج من مصر عن طريق البرانى القلزم، فإما أن يركبوا البحر إلى ميناء المدينة، وإما أن يسيروا إلى أيلة، وبعدها إلى الحجاز[(٣)].

**أما طرق البريد :** فأولها: الطريق المعروف الذى أتت منه الجيوش التى دخلت مصر مثل جيوش قمبيز، والإسكندر الأكبر، وعمرو بن العاص، وهو يمر بالرملة بفلسطين، ومدينة غزة، ورفح، والعريش، والفرما، وبلبيس، ثم الفسطاط، إلى برقة، وأفريقية وبلاد المغرب، وآخر يخرج من الفسطاط إلى المغرب دون أن يمر بالإسكندرية، ولكنه يلتقى بالطريق الذى يخرج من الإسكندرية فى ذات الحمام[(٤)].

كذلك مما لاشك فيه أن مصر كانت تتبادل التجارة فى هذا العهد مع : النوبة والسودان، وأواسط أفريقية، فمنذ الفتح الإسلامى، كانت هناك شبه اتفاقية تجارية بين مصر والنوبة تقضى بأن تستورد مصر الرقيق من النوبة، وتصدر إليها القمح والعدس والحبوب[(٥)].

---

(١) نقلاً عن مصر فى فجر الإسلام . ص ٣٠٩ .

(٢) القلزم ـ بضم فسكون فزاى مضمومة وميم. والقلزمة: هى ابتلاع الشىء يقال: قلزمه إذا ابتلعه، وسمى بحر القلزم قلزماً، لالتهامه من يركبه. راجع ياقوت : معجم البلدان: مادة قلزم، والقلزم: البحر الأحمر: اراجع لمحمد عبده الحجاجى: قوص فى التاريخ الإسلامى ص ١٦ .

(٣) حسن المحاضرة جـ ١ ص ٦٩ .

(٤) قدامة بن جعفر : كتاب الخراج ص ٢١٩ ـ ٢٢٥ ، ومصر فى فجر الإسلام ص ٣١١ .

(٥) ابن عبد الحكم .. ص ١٨٨ ، ١٨٩ ، والكندى : الولاة والقضاة.. ص ١٢ ، ١٣ .

ولابد أن مصر كانت لها علاقات تجارية مع الحبشة أيضاً عن طريق النيل عند أسوان[١].

وذكر اليعقوبى[٢]: أن التجارة كانت تأتى إلى ثغر عيذاب[٣]، فيحملون: التبر، والعاج، وغير ذلك فى المراكب، ولاشك أن مصر كان يصيبها شىء من تجارة أواسط أفريقية عن طريق هذا الميناء[٤].

وهكذا نعمت مصر بالإصلاحات الداخلية فى ظل الإدارة الإسلامية، التى أخذت على عاتقها إدارة البلاد إدارة حازمة بالعدل والحكمة، كما حرصت على حرية رعاياها حرصها على نشر دعوة الإسلام بين ربوع مصر، فلم تفقدها شيئاً من مكانتها التجارية، أو الصناعية، أو الزراعية، وإنما ظلت لها هذه المكانة بعد الفتح، بل رأت أمراً جديداً هو عدل الفاتحين، وعقيدتهم السمحة، ودستورهم الذى يحض على احترام البشر ولو كانوا مخالفين لهم فى العقيدة.

ففهموا أن المسلمين قوم يعمرون، ولا يخربون، يصلحون ولا يفسدون، يدعون الناس إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فلا يضيقون عليهم فى رزق، أو معيشة، أو حق، وإنما يضيفون إلى هذا كله شيئاً هاماً هو: معرفة الله واهب الرزق، ومعرفة رسوله ﷺ حامل وحى الله إلى عباد الله، وهذه أجل نعمة هبطت على المصريين[٥] فبددت ظلماتهم نوراً، وحيرتهم استقراراً، وفرقتهم ألفة.

لقد كان من تأثير هذه الإصلاحات على المصريين، أنهم تنبهوا إلى أن أصحابها حملة رسالة يحاولون تليغها، بالقول، والفعل، فلم يبخل المصريون عليهم، بل بادلوهم إحساساً بإحساس، فأقبلوا على دعوتهم فى حماس، ورغبة صادقة، ما زالت حتى اليوم تحير المؤرخين..، عن السبب فى اعتناق المصريين للإسلام، ومقبلين على دعوته؟

ولما اطمأن المسلمون إلى صدق المصريين، وحسن معاملتهم وإقبالهم على دعوتهم، اتخذوا مصر قاعدة لفتوحاتهم الخارجية، فانتقلت مصر بذلك نقلة عظيمة نحو الصدارة، والرفعة وتبوأت مكانتها اللائقة بها فى ظل دعوة الإسلام. فماذا حدث؟

---

(١) القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٣٠٨. (٢) تاريخ البلدان ص ٣٣٥.

(٣) عيذاب./ بالفتح فسكون، وذال معجمة وآخره باء موحدة: بليدة على ضفة بحر القلزم، وهى مرسى المراكب التى تقدم من عدن إلى الصعيد. راجع ياقوت: معجم البلدان. مادة: عيذاب.

(٤) راجع مصر فى فجر الإسلام ص ٣١٢. (٥) مصر فى فجر الإسلام ص ٣١٢ بتصرف.

# الفصل السابع

## اتخاذ مصر قاعدة للفتوحات الخارجية، وأثر الدعوة العملية في هذا المجال

ويشتمل على: تمهيد:
وستة مباحث:
المبحث الأول: فتح برقة
المبحث الثاني: فتح أفريقية
المبحث الثالث: غزو بلاد النوبة
المبحث الرابع: القواد الذين اشتركوا في فتح أفريقية
المبحث الخامس: الدعوة بشقيها: اللفظي والعملي.
المبحث السادس: من أسباب ركوب المسلمين البحر

**تمهيـــد :**

فتح المسلمون مصر، ولكنهم لم يلقوا فيها عصى التسيار[*]، وإنما رنت أبصارهم إلى فتح أقطار أخرى ليضيفوا إلى الدعوة أفاقًا جديدة، وأقطارًا رحبة، يدفعهم إلى ذلك عوامل أربعة:

**العامل الأول :** نشر دعوة الإسلام خارج أرض الكنانة.

**العامل الثاني :** تأمين استقرارهم فى مصر من غارات الرومان.

**العـــامل الثـــالث :** موقع مصر الممتاز الذى ساعدهم على التحرك بحرية تامة، واطمئنانهم للمصريين فى (أنهم لن ينقضوا عليهم من الخلف).

**العـــامل الرابـع :** تهديد مواقع الرومان فى مستعمراتهم، الواقعة على الساحل الغربى للإسكندرية، حتى لا يفكروا فى العودة إلى مصر.

ومن ثم لم يتوان المسلمون بعد أن استقروا فى مصر، بل أسرعوا منطلقين منها، ففتحوا فى طريقهم : برقة[١]، والسوس[٢]، وسبْرت[٣]، وأفريقية، وبلاد المغرب، ثم بلاد الأندلس، وكانوا إذا غزوا وفرغوا من غزوهم يقفلون إلى مدينة الفسطاط، فتبوأت بذلك مكانة جديدة فى عهد الفاتحين الجدد، وأصبحت سياستها فى يد أمينة تحمى الذمار، وتصون العهود، وأهم ما تدل عليه تلك الفتوحات الخارجية أنها ترد ـ بالدليل العملى ـ على القائلين بأن المسلمين فتحوا مصر، طمعا فى قمحها وخيراتها، ولو كان هدف المسلمين عرض الدنيا لحصنوها، وقبعوا داخلها، وما بارحوها، ولو كانوا طلاب مغانم وأسلاب لما تركوا (أرمانوسة المصرية بنت المقوقس) تنجو بما معها من الأموال والجواهر، بعد أن نصرهم الله على الرومان فى موقعة

(*) ألقى عصاه..استقر وترك الأسفار.المعجم الوسيط مادة:عصاه.

(١) برقة:منطقة فى شرقى ليبيا، ومن مدنها بنى غازى، وكانت قد خربت فى حروب بنى هلال...«ذكر الواقدى أنه ملك انطابلس زمان عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ رجل اسمه كيمارس بن زبويل، وأن صاحب أفريقية فى ذلك الوقت هو إقلاعورس بن كيمارس المذكور ببرقة وانطابلس راجع ابن عبد الحكم:فتوح مصر والمغرب ص ٢٢٩ هامش ١ .

(٢) السوس:مدينة على البحر الأبيض فى تونس، أسسها الفينيقيون نحو القرن التاسع ق .م، واسمها الحالى سوسة.راجع المصدر نفسه هامش ٢ .

(٣) سبرت:مدينة فى ساحل طرابلس.نفس المصدر هامش ٣ .

(٤) راجع تاريخ الواقدى:وفتوح مصر والمغرب ص ٨٧ هامش ١ تحقيق عبد المنعم عامر، وعباس العقاد:عمرو ابن العاص ص ١٠٣ .

(بلبيس)، فوقعت ضمن (أسرى الحرب)، ولكن المسلمين لهم غاية أهم وأعظم مما يرميهم به خصومهم ومن يجهلون رسالتهم، إنهم يودون مخلصين أن يتفهم الناس حقيقتهم ليعتنقوا دينهم الحق، الذى ينجيهم من خزى الدنيا وعذاب الآخرة، وهذا منتهى الإخلاص القلبى للناس جميعا.

وإليك مباحث هذا الفصل:

**المبحث الأول: فتح برقة:**

خرجت حملات المسلمين من مصر متوجهة إلى تطهير الجزء الغربى من الرومان، حتى إذا انتهوا إلى لوبية ومراقية، وهما من كور مصر الغربية، وكانت تلك الحملات تضم من القبائل: زناتة ومغيلة اللتان تقدمتا إلى المغرب، وتقدمت لُوَاتة فسكنت انطابلس، وهى برقة، وانتشروا حتى بلغوا السوس، ونزلت هوّارة مدينة كبْدة، ونزلت نفوسة إلى مدينة سبرت بعد أن جلا من كان بها من الروم، وأقام الأفارقة، وكانوا خدما للروم على صلح يؤدونه إلى من غلب على بلادهم [١].

فسار عمرو بن العاص فى النيل حتى بلغ برقة، فصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها إليه جزية [٢].

أخبر ابن عبد الحكم عن ابن لهيعة قوله: «إن انطابلس فتحت بعهد من عمرو بن العـــاص» [٣]. كما جاء عن أيوب بن أبى العالية الحضرمى عن أبيه قال: سمعت عمرو بن العاص على المنبر يقول: «لأهل انطابلس عهد يوفَّى لهم به» [٤] ولقد وفت برقة فى عهدها مع المسلمين حتى لم يكن يدخلها «يومئذ جابى خراج، إنما كانوا يبعثون بالجزية إذا جاء وقتها» [٥].

**اطرابلس:** قال الليث بن سعد: غزا عمرو بن العاص اطرابلس سنة ثلاث وعشرين [٦].

فنزلها عمرو من شرقيها فحاصرها شهرا، حتى إذا فاجأ الروم فروا هاربين إلى سفنهم تاركين المدينة لعمرو... وجيشه [٧].

---

(١) ابن عبد الحكم.. ص ٢٢٩.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب ص ٢٣٠.
(٤) نفس المصدر.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) نفس المصدر.
(٧) المصدر السابق ص ٢٣٠، ٢٣١.

**سبرت** (١)**:** كان المتحصنون بسبرت لما بلغهم محاصرة عمرو..مدينة اطرابلس، وأنه لم يصنع فيهم شيئا، ولا طاقة له بهم أمنوا، ففاجأهم عمرو..بعد ظفره بمدينة اطرابلس، فصبّحت خيله مدينة سبرت، وقد غفلوا، وفتحوا أبوابها لتسرح ماشيتهم فدخلوها، ولم ينج منهم أحد.

**نشر الدعوة:**

لم ينس المسلمون دعوتهم في وسط هذا الخضم المتلاحق من المعارك والفتوحات فكان الجنود أينما ساروا يظهرون شعار الإسلام المتمثل في الآذان، والصلاة، فكان هذا الشعار أول دعوة للإسلام تعلن أمام أهل تلك البلاد، كما لم تخل مجالس المسلمين عن الحديث في أحكام العبادات روى عبد الله بن لهيعة عن الحارث بن يزيد أنه سمع أبا تميم الجيشاني يقول:«غزونا مع عمرو بن العاص غزوة اطرابلس فجمعنا المجلس، ومعنا هبيب بن مغفل فذكرنا قضاء دين رمضان، فقال هبيب بن مغفل:لا يفرّق، وقال عمرو بن العاص:لا بأس أن يفرق إذا أحْصيّت العدد» (٢).

**المبحث الثاني: فتح افريقية:**

**استئذان عمرو...في فتحها:** استأذن عمرو..عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فتح افريقية كما روى عن أبى تميم الجيشانى:«أن الله فتح علينا إطرابلس وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أيام فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل» (٣).

لكن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ رفض طلب عمرو..كما روى عن مرة بن لِيَشْرح المعافرى قال:«سمعت عمر بن الخطاب يقول:«أفريقية المفرقة، ـ ثلاث مرات ـ لا أوجه إليها أحدا ما مقلت (٤) عينى الماء» (٥).

**محاولة فتح أفريقية:** حاول المسلمون فتح أفريقية بعد أن تولى عثمان بن عفان ـ

---

(١) واسمها نبارة، وسبرت السوق القديم.ابن عبد الحكم:ص٣٢١ تحقيق عبد المنعم عامر.

(٢) المصدر نفسه **وابن لهيعة**: أحد مشاهير علماء مصر فى القرن الثانى الهجرى، أسند إليه مؤرخو مصر حتى عصر السيوطى كثيرا من الأخبار عن تاريخ مصر الإسلامية فى عهدها المبكر، وقد وضعه ابن الكندى فى قمة مؤرخى مصر الإسلامية فى القرن الثانى الهجرى انظر ابن الكندى صـ٤ .الكندى:الولاة والقضاة صـ٦، ٢١٣، ٣٣٣، وابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة:١ / ١٩، ٢٠ توفى ابن لهيعة فى سنة ١٧٤هـ.راجع فضائل مصر وأخبارها وخواصها لابن زولاق تحقيق د/ على محمد عمر صـ٢٨ هامش:٥ . الخانجى القاهرة ١٩٩٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٣٢ .

(٤) المقل: هو النظر، والغمس فى الماء وغيره..المعجم الوسيط مادة:مقله.

(٥) ابن عبد الحكم...ص ٢٣٢ .

رضى الله عنه ـ مقاليد الخلافة، فعزل عمرو بن العاص عن مصر لاختلاف وقع بينهما، وأمّر عليها عبد الله بن سعد بن أبى سرح، فكان يبعث المسلمين فى جرائد الخيل، كما كانوا يفعلون فى أيام عمرو..فيصيبون من أطراف أفريقية ويغتنمون فكتب إلى عثمان وأخبره بقربهم من حرْز المسلمين ويستأذنه فى غزوها، فندب عثمان الناس لغزوها، بعد المشورة منه فى ذلك، فلما اجتمع الناس أمّر عليهم عثمان الحارث بن الحكم إلى أن يقدموا على عبد الله بن سعد مصر فيكون إليه الأمر (١).

خرج عبد الله بن سعد لغزو أفريقية، وكان مقر سلطانها بمدينة قرطاجنة (٢)، وكان أول لقاء مع ملك يقال له:جرجير فلقيه عبد الله بن سعد ومعه عبد الله بن الزبير فهزمه الله، فلما رأى ذلك رؤساء أفريقية طلبوا إلى عبد الله بن سعد أن يأخذ منهم مالا على أن يخرج من بلادهم فقبل ذلك منهم ورجع إلى مصر (٣)، بعد أن أعلن فيهم دعوة الإسلام.

**سبب تسمية الأفارقة بهذا الاسم:**

قيل:سموا بالأفارقة، لأنهم من ولد فارق بن بيصر، وكان فارق قد حاز لنفسه من الأرض ما بين برقة إلى أفريقية، فبالأفارقة سميت أفريقية (٤).

**عبد الله بن الزبير ـ رضي الله عنهما ـ يبشر عثمان ـ رضي الله عنه ـ بفتح أفريقيا:**

يُعد فتح أفريقيا ميدانا جديداً أمام المسلمين نشروا فيه دعوة الإسلام، ومن ثم فإن الدعوة تكون قد دخلت إلى أفريقية منذ فجر الدعوة، أى فى أوائل القرن الأول الهجرى.

حدّث الليث بن سعد (٥) قال:بعث عبد الله بن سعد عبد الله بن الزبير، وكان فى

---

(١) ابن عبد الحكم..ص ٢٤٦ .

(٢) يطلق عليها أيضا اسم:قرطاجا، وهى مدينة لاتزال آثارها باقية بالقرب من مدينة تونس، والاسم مكون من جزءين:قرطا بمعنى مدينة، وأضيف إليها جنة، لطيبها ونزهاتها،وكانت قرطاجنة مقر امبرطورية جبارة قاومت روما مدة انظر ابن عبد الحكم..ص ٢٤٦ هامش ١ تحقيق عبد المنعم عامر.

(٣) المصدر نفسه، وانظر ابن الأثير:عز الدين أبى الحسن على الشيبانى المعروف بابن الأثير:الكامل فى التاريخ جـ٣ ص ٨٩ وما بعدها.

(٤) ابن عبد الحكم...ص ٢٤٨ .

(٥) ابن عبد الرحمن الفهمى أبو الحارث المصرى، أحد أعلام الأئمة المجتهدين، قال ابن سعد فى الطبقات كان ثقة كثير الحديث صحيحه، اشتغل بالفتوى فى زمانه بمصر أثنى عليه الإمام الشافعى، وابن خلكان وغيرهما راجع تهذيب التهذيب جـ٥ ص ٣٧٣، والسيوطى:حسن المحاضرة جـ١ ص ٣٠١ وما بعدها. وطبقات ابن سعد جـ٧ ص ٥١٧، وابن خلكان جـ١ ص ٤٣٩ .

الجيش بالفتح فقدم على عثمان بن عفان، فبدأ به قبل أن يأتى أباه الزبير بن العوام، فخرج عثمان إلى المسجد ومعه ابن الزبير فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر الذى أبلى الله المسلمين على يدى عبد الله بن سعد ثم قال:قم يا عبد الله بن الزبير فحدّث الناس بالذى شهدت..فقام فتكلم، فأبلغ وأصاب، فما فرغ حتى ملؤهم عجبا (١)....

**المبحث الثالث:**

**غزو بلاد النوبة:**

ثم غزا عبد الله بن سعد بلاد الأساود، وهى النوبة، كما جاء عن يزيد بن أبى حبيب(٢) قال:كان عبد الله بن سعد بن أبى سرح عامل عثمان على مصر فى سنة إحدى وثلاثين.فقاتلته النوبة (٣) .ـ وبلاد النوبة:وطن ذلك الجيل، ويقع فى الجزء الجنوبى من بلاد مصر (٤) ـ

وقد حدث أن وقعت حوادث مع أهل النوبة، أشدها ما أخبر به ابن لهيعة، قال:حدثنى الحارث بن يزيد قال:اقتتلوا قتالا شديدا، وأصيبت يومئذ عين معاوية بن حُديج، وأبى شمر بن أبرهة، وحيويل بن ناشرة، فيومئذ سموا رُماة الحدق فهادنهم عبد الله بن سعد إذ لم يطقهم(٥) .

**صلح بلاد النوبة ومعاهدتهم:**

تختلف الروايات حول صلح النوبة فرواية تقول:عقد عبد الله بن سعد...هدنة مع أهل النوبة (٦) على أنهم لا يغزونهم، ولا يغزو النوبة المسلمين، وأن النوبة يؤدون كل سنة إلى

---

(١) ابن عبد الحكم ص ٢٤٩،٢٥٢ .

(٢) اسمه : سويد الأزدى، أبو رجاء المصرى، انظر أبو يعلى فى مسنده، فقيه مصر وشيخها ومفتيها، قال ابن سعد: كان كثير الحديث. وهو أحد ثلاثة جعل إليهم عمر بن عبد العزيز الفتيا بمصر، وأثنى عليه ابن سعد، وابن يونس، وقال عنه الليث هو سيدنا وعالمنا. راجع : السيوطى حسن المحاضرة جـ ١ ض ٢٩٩، وطبقات ابن سعد جـ ٧ص ٥١٣ .

(٣) ابن عبد الحكم ص ٢٥٣ .　　(٤) المعجم الوسيط مادة : ناب .

(٥) ابن عبد الحكم ص ٢٥٣ . وراجع الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٤ ص ١١١ .

(٦) رواية أخرى تقول : إن الصلح تم على يد عبيد الله بن الحبحاب، وإن كتابه ورد فيه من الشروط:

أ ـ ثلثمائة بكر فى كل عام ب ـ وأن ينزلوا الريف مجتازين تجار غير مقيمين .

جـ ـ وعلى ألا يقتلوا مسلماً ولا ذمياً، فإن قتلوه فلا عهد لهم .

د ـ ولا يؤوا عبيد المسلمين، وأن يردوا أبّاقهم إذا وقعوا، ويقول راوى هذه الشروط: وقد عهدت هذا فى=

المسلمين كذا وكذا رأسا من السبى وأن المسلمين يؤدون إليهم من القمح كذا وكذا، ومن العدس كذا وكذا فى كل سنة [١].

ورواية ثانية عن ابن أبى حبيب تقول:

«ليس بينهم وبين أهل مصر عهد ولا ميثاق، وإنما هى هدنة أمان بعضنا من بعض» [٢].

ورواية رابعة يوردها ابن عبد الحكم تذكر شروط الصلح فتقول: باشر عقد الصلح عبد الله بن سعد مع أهل النوبة على: ثلاثمائة وستين رأسًا فى كل سنة، ويقال: بل على أربعمائة رأس فى كل سنة منها لفىء المسلمين ثلاثمائة رأس وستون رأسًا ولوالى البلد أربعون رأسًا [٣].

أما الرواية - القريبة من الصواب - فمما ذكره بعض مشايخ مصر المتقدمين أنه نظر فى بعض الدواوين بالفسطاط، وقرأه قبل أن ينحرق فإذا هو يحفظ منه لأهل النوبة :

١ - إنا عاهدناكم وعاقدناكم أن توفونا فى كل سنة ثلثمائة رأس وستين رأسًا.

٢ - وعلى أن تدخلوا بلادنا مجتازين غير مقيمين، وكذا ندخل بلادكم.

٣ - على أنكم إن قتلتم من المسلمين قتيلاً فقد برئت منكم الهدنة.

٤ - وعلى أنكم إن أويتم للمسلمين عبدًا فقد برأت منكم الهدنة.

٥ - وعليكم ردّ أبّاق [٤] المسلمين، ومن لجأ إليكم من أهل الذمة [٥].

وفى هذه الرواية حض على احترام الذمى، وأن نفسه كنفس المسلم، وهذا ما لم تذكره الروايات السابقة ولعل هذا مما يفسر أن عقد الصلح ربما تم مرتين فى ولاية عبد الله بن قيس، ومرة أخرى فى عهد ابن الحبحاب، لاسيما وأن عبيد الله بن الحبحاب كان فى سنة (١٠٥ هجرية) [٦].

---

=أيامهم يؤخذون به، ولكل شاة أخذها بجاوى فعليه أربعة دنانير، وللبقرة عشرة وكان وكيلهم مقيمًا بالريف رهينة بيد المسلمين. راجع ابن عبد الحكم ص ٢٥٥، والمقريزى : كتاب المواعظ والاعتبار جـ ١ ص ١٩٩ طبعة بولاق.

(١) ابن عبد الحكم ص ٢٥٣، وراجع الطبرى : تاريخ جـ ٤ ص ١١١ .

(٢) ابن عبد الحكم ... ص ٢٥٣ .

(٣) المصدر السابق .. ص ٢٥٤ .

(٤) الإباق الهرب : المعجم الوسيط مادة (أبق).

(٥) ابن عبد الحكم .. ص ٢٥٤ .

(٦) راجع مصر فى فجر الإسلام .. ص ٣٦٨ وما بعدها.

وهذه الروايات بينها اختلافات طفيفة، ولكنها فى النهاية روايات تؤكد بعضها بعضاً.

كما يفهم منها موقف المسلمين الحازم وهو أن المبادرة لم تفلت من أيديهم بالرغم من أنهم لم يكسبوا معركتهم مع النوبيين وهذا مما يدل على وعى المسلمين فى مواقفهم الحربية فلم ينجل الموقف مع أهل النوبة إلا بمعاهدة(١)، أو ما يشبهها.

**نتيجة عقد النوبة:**

كان من نتيجة هذا العقد، أن القائد المسلم عبد الله بن سعد بن أبى سرح خطا خطوة أخرى فعقد لأهل مقرة بعدم دخول جيش المسلمين دنقلة عاصمتها سنة ٥٢هـ وتضمن هذا العقد استقلال بلادهم، كما حقق للمسلمين الاطمئنان على حدودهم من ناحية الجنوب، وبفتح النوبة للتجارة المتبادلة والحصول منها على عدد من الرقيق لخدمة الدولة الإسلامية، وقد اختلط العرب بالنوبيين والبجة(٢)، واعتنق كثير منهم الإسلام(٣).

ثم توالت الفتوحات التى كانت تخرج من مصر فكان:

معاوية بن حديج التجيبى، ومعه جماعة من المهاجرين والأنصار يغزون ثلاث غزوات فى أفريقية. الأولى: سنة أربع وثلاثين قبل مقتل عثمان رضي الله عنه وأعطى عثمان مروان الخمس فى تلك الغزوة. الثانية: سنة أربعين. والثالثة: سنة خمسين(٤).

**المبحث الرابع: القواد الذي خرجوا من مصر لفتح أفريقية:**

● **عقبة بن نافع:** من قواد التاريخ الإسلامى المشهورين بفتوحاتهم خرج من مصر سنة ست وأربعين حتى قدم ودّان فافتتحها، وأخذ ملكهم، ثم نزل مدينة فزان العظمى، فلما دنا منها أرسل إليهم فدعاهم إلى الإسلام، فأجابوا فنزل منها على ستة أميال، وفرض عليهم ثلثمائة عبد وستين عبداً(٥). حتى إذا انتهى إلى قصورهم وفتحها، سألهم: هل من ورائكم أحد؟ قالوا: نعم، أهل خاور(٦)، وهو قصر عظيم على رأس المفازة فى وعورة على ظهر

---

(١) الباحث.

(٢) قبائل وبطون سودانية تعيش فيما بين النيل والبحر الأحمر مما يلى النوبة، وكان لهم فى بلدهم ملك منفرد. راجع: اليعقوبى .. جـ ١ ص ١٥٥.

(٣) راجع صلح عبد الله بن سعد مع النوبيين للمقريزى: فى كتاب المواعظ والاعتبار جـ ١ ص ١٩٩.

(٤) انظر ابن عبد الحكم ص ٢٦٠، ٢٦١، وابن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ ٣ ص ٨٨ وما بعدها.

(٥) ابن عبد الحكم. ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣.

(٦) خاور مدينة كبيرة جنوبى فزان بليبيا. انظر: ابن عبد الحكم ص ٢٦٣ هامش ٢.

جبل[١]، حتى إذا أتى على قصور كُوّار افتتحها، وفرض عليهم ثلثمائة عبد وستين عبداً[٢]. ثم انصرف راجعاً فسار حتى نزل بموضع زويلة[٣]. ثم ارتحل حتى قدم على عسكره بعد خمسة أشهر، فسار متوجهاً إلى المغرب وافتتح كل قصر في أرض مزاته، ثم مضى إلى صفر[٤]، ثم بعث خيلاً إلى غدامس، فلما انصرفت إليه خيله سار إلى قفصة[٥] فافتتحها، وافتتح قصطيلية[٦]، ثم انصرف إلى القيروان..حتى أتى موضع القيروان اليوم، وبنى فيها مدينة القيروان [٧]، وبنى بها المسجد الجامع، وبنى الناس مساجدهم ومساكنهم [٨].

**ومن القواد الذين خرجوا من مصر لفتح أفريقيا أيضا:**

**أبو المهاجر**، فإنه لما عزل مسلمة بن مخلد عقبة بن نافع سنة إحدى وخمسين هجرية وكان مسلمة في ذلك الوقت قد جمعت له ولاية مصر والمغرب فعزل نافعا وولى أبا المهاجر دينارا مولى الأنصار مكانه، وكان من عادة المسلمين الذين يغزون أفريقية يقفلون منها إلى الفسطاط [٩]، ومن ثم أصبحت مصر وبمشاركة أبنائها الذين أسلموا نقطة الانطلاق والفتوحات إلى أفريقيا بعد أن كان الفرس، والروم يحرمونهم من الدفاع أو المشاركة في الذود عن بلادهم [١٠].

**حسان بن النعمان**: تولى إمارة المغرب وسار إليها عن طريق مصر بأمر عبد الملك بن مروان سنة ثلاث وسبعين، فمضى في جيش كبير...كان على مقدمته محمد بن أبي بكير، وهلال بن ثروان اللواتي، وزهير بن قيس، ففتح البلاد وأصاب غنائم كثيرة، واستقر به المقام في موضع قيروان أفريقية اليوم، وبنى مسجد جماعتها، ودون الدواوين، ووضع الخراج على عجم أفريقية، وعلى من أقام منهم على النصرانية من البربر وعامتهم من البرانس.....ولما استقامت له

(١) المصدر نفسه (٢) المصدر نفسه .

(٣) زويلة عاصمة فزان من أعمال ليبيا على ملتقى الطرق الصحراوية وكثير من سكانها إباضيون . راجع المصدر السابق ص ٢٦٤ هامش ٢ .

(٤) صفر بكسر الصاد هكذا في الأصل، واسمها الحالي صفرو وهي مدينة في شمال المغرب في قلب جبال أطلس الوسطى، وثلث سكانها من اليهود. نفس المرجع السابق هامش ٣ .

(٥) قفصة : بلدة في تونس كان لها شأن .. في عهد الرومان : ابن عبد الحكم ص ٢٦٤ . هامش ٤ .

(٦) قصطيلية : في معجم البلدان : قسطيلية، وهي إحدى مدن بلاد توزر الواقعة في أقصى بلاد المغرب على حدود الصحراء. راجع ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص ٢٦٤ هامش ٥ .

(٧) ابن عبد الحكم..ص ٢٦٤ . (٨) ابن الأثير:الكامل:جـ٣ ص ٤٦٦ .

(٩) ابن عبد الحكم..ص ٢٦٦ . (١٠) الباحث.

البلاد، توجه بالغنائم إلى عبد الملك فى جمادى الآخرة سنة ست وسبعين [١]. ولما قفل حسان بن النعمان من أفريقية مر بعبد العزيز بن مروان وهو بمصر [٢].

**موسى بن نصير [٣]:**

استطاعت الروم الاستيلاء على انطابلس بعد أن تركها حسان بن النعمان فوفق الله عبد العزيز بن مروان أن يختار للمغرب الرجل المناسب فكان موسى بن نصير، فوجهه إليها لرجاحة عقله، وذكاء لبه، وكان عنده بمصر، وخرج موسى من مصر إلى المغرب سنة ثمان وأربعين، بعد أن قضى بمصر عشر سنوات مصاحبا لواليها عبد العزيز بن مروان [٤].

فافتتح المغرب، وتواتر فتوحه، وكتب بها إلى عبد العزيز بن مروان، وبعث بغنائمه إليه، وأنهاها عبد العزيز إلى عبد الملك [٥]..ولما توفى، واستخلف من بعده الوليد بن عبد الملك تواترت فتوح المغرب على الوليد من قبل موسى بن نصير حتى اشتد عجبه به، وعظمت منزلته عنده [٦].

**فتح بلاد الأندلس:**

ظل النصر يمشى فى ركاب موسى بن نصير من مدينة إلى أخرى حتى وصل إلى مشارف بلاد الأندلس، فأرسل ابنه مروان بن موسى إلى طنجة مرابطا على ساحلها، ثم خلف على جيشه طارق بن عمرو [٧]...

ثم فتح الله الأندلس على المسلمين، ثم عزل موسى من استعمله على طنجة، وولى طارق بن زياد مكانه، وكان ذلك سنة ثنتين وتسعين [٨] من الهجرة.

وتم فتح الأندلس على يد:بسر بن أرطأة، وموسى بن نصير، وغنموا غنائم كثيرة لم يبلغها الحصر، حتى كتب موسى بن نصير إلى الوليد بن عبد الملك حين فتح بلاد الأندلس

(١) ابن عبد الحكم..ص ٢٦٩، ٢٧١ . (٢) المصدر السابق ص ٢٧٢ .

(٣) يمثل موسى بن نصير آخر فرقة تخرجت فى مدرسة القادة العظام، وهى التى تولت فى القرن الأول الهجرى عجلة الفتوح الحربية وتأسيس الدولة الإسلامية المترامية الأطراف من حدود الصين شرقا إلى جبال البرانس غربا، واتيح لموسى بن نصير أن يقف على جميع ما وضعته تلك المدرسة من تقاليد رفيعة، ولما آلت إليه راية الجهاد، انفرد من دون أقرانه جميعا بلقب القائد الذى لم يهزم له جيش قط.راجع د/ إبراهيم أحمد العدوى:موسى بن نصير مؤسس المغرب العربى ص ٥ ط- دار الكتاب العربى للطباعة والنشر.القاهرة سنة١٩٦٧

(٤) المصدر نفسه ص ٢٥ .

(٥) ابن عبد الحكم..ص٢٧٤ . (٦) المصدر السابق..ص٢٧٥ .

(٧) المصدر السابق...ص٢٧٤ . (٨) المصدر السابق..ص ٢٧٦ .

أنه ليس بالفتح، وإنما هو الحشر، ووجدوا فيها مائدة سليمان بن داود - عليهما السلام - وتاجه، كما وجدوا كنوزا كثيرة [١] أخرى...

وهكذا استطاع القائد المظفر موسى بن نصير، أن يتوج انتصاراته بفتح بلاد الأندلس، وافساح المجال أمام دعوة الإسلام فى تلك البلاد، ويصح القول حقيقة، بأن المسلمين لم يتخذوا مصر نهاية لمطافهم، وإنما اتخذوا منها قاعدة برية وبحرية أيضا لفتوحاتهم، والعبور منها لنشر دعوة الإسلام عبر البحار، بعد أن استقروا فى ربوعها.

وعن دور هذه القاعدة، وأهميتها يدور المبحث التالى - الذى تتضح فيه دعوة الإسلام العملية، بالإضافة إلى ما سبق بيانه -

## المبحث الخامس: الدعوة بشقيها: اللفظي والعملي.

### اتخاذ مصر قاعدة بحرية:

لم يدخر المسلمون وسعا فى تطوير قواتهم الحربية وتنويعها، والأخذ بالأساليب الكفيلة بإحرازهم النصر على المتربصين بهم تطبيقا لقول الله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [٢].

فما أن فتح الله عليهم مصر، ووجدوا موقعها البحرى ملائما حتى عملوا جهدهم على جعلها قاعدة بحرية ينطلقون منها، لفتح الولايات التى ترزح تحت نير البيزنطيين، وتخليصها من هذه التبعية الظالمة، ومن ثم اغتنم المسلمون هذه الفرصة، وأنشأوا أسطولهم البحرى، ليمخر عباب البحر الأبيض المتوسط، ويطارد فلول البحرية الرومانية، حتى قيض الله لهم النصر والغلبة مما كان له أثر فى فتح أفريقية.

### أول نصر بحري للمسلمين في مصر:

يرجع اهتمام المسلمين لركوب البحر، تحرك الأسطول البيزنطى بقيادة قنطانز الثانى بن هرقل سنة (٣٤هـ) لغزو الإسكندرية، واستردادها من المسلمين وكان والى مصر حينذاك هو:

---

(١) المصدر نفسه..ص٢٧٥ هامش ١ .، وراجع للدكتور إبراهيم العدوى: موسى بن نصير: مؤسس المغرب العربى..ص٦٣ وما بعدها، وعن فتح افريقية، وبلاد الأندلس راجع: لابن الأثير: الكامل..جـ٣ ص٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٢، ٩٣، والطبرى: تاريخ...جـ٤ ص ٢٥٤، ٣١٧، وغزو النوبة..ص ١١١، وتوجيه عبد الله بن سعد إلى أفريقية...ص٢٥٦ .

(٢) سورة الأنفال: آية ٦٠ .

عبد الله بن سعد بن أبى سرح من قبل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه فخرج الأسطول المصرى بقيادة عبد الله بن سعد لملاقات الروم، وكان معاوية رضي الله عنه واليا على الشام حينذاك، فأرسل أسطولا تحت إمرة بسر بن أرطأة، اشترك مع الأسطول المصرى فى صد هجوم الروم، وقد أسفرت هذه المعركة عن أول انتصار بحرى عظيم للمسلمين فى سنة (٣٤هـ) [١].

**أمير البحر الثاني:** يعد عبد الله بن سعد بن أبى سرح أمير البحر الثانى فى الإسلام، حيث «غزا خمسين غزاة من بين شاتية وصائفة فى البحر، ولم يغرق فيه أحد، ولم ينكب، وكان يدعو الله أن يرزقه العافية فى جنده، وألا يبتليه بمصاب أحد منهم ففعل» [٢].

وكان ابن سعد هذا قد خلف عمرو بن العاص فى حكم مصر [٣].

**أمير البحر الأول:** أما أمير البحر الأول فكان معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنه أثناء ولايته على الشام، وقبل أن تصير له الخلافة [٤]، وكان ذلك فى زمن عثمان.حيث طلب منه معاوية ذلك.ولكن عثمان قال له:«لا تنتخب الناس، ولا تقرع بينهم خيرهم، فمن اختار الغزو طائعا فاحمله وأَعِنْه ففعل [٥].

وقد سميت هذه المعركة البحرية التى قادها عبد الله بن سعد ـ رضى الله عنه ـ باسم:

«ذى الصوارى» وذلك لكثرة صوارى السفن التى التحمت فى القتال، وتبرز براعة المسلمين فيها حيث ربطوا السفن العربية إلى السفن البيزنطية، وقلبوا قتال البحر إلى قتال بر، وقد وصف المؤرخ الإغريقى «ثيوفانس» هذه المعركة بأنها برموكا ثانيا على الروم [٦].

أما الطبرى، فيقول:إن الدم كان غالبا على الماء فى هذه المعركة، وأن الأمواج طرحت جثث القتلى ركاما، وتسمى موقعة ذى الصوارى أيضا باسم موقعة فينكس (فنكى اليوم) وربما تكون قد حدثت بالقرب من ثغر فونيكه غربى الإسكندرية [٧].

**اهتمام الصحابة بمصر[*]:**

يرجع اهتمام الصحابة رضي الله عنهم بمصر، إلى موقعها الجغرافى الهام، فهى تقع فى منطقة

(١) انظر:د/ سيدة كاشف:مصر فى عصر الولاة...ص٥٦ .
(٢) الطبرى:تاريخ..جـ٤ ص ٢٦٠ .
(٣) انظر:مصر فى عصر الولاة..ص٥٥ .
(٤) المصر نفسه.
(٥) الطبرى:تاريخ...جـ٤ ص ٢٦٠ .
(٦) نقلا عن مصر فى عصر الولاة..ص٥٦ .
(٧) نقلا عن المصدر نفسه.
(*) يذكر ابن زولاق أن من دخل مصر من أصحاب رسول الله ﷺ ومن توفى فيها منهم قد بلغ عددهم نحو =

يسهل منها الفتح جنوبا، وغربا، وشرقا بل وشمالا عن طريق البحر المتوسط، ومن ثم جعلوها قاعدة للفتوحات الخارجية، ينطلقون منها لنشر دعوة الإسلام مادامت محتفظة بقوتها، ويقظتها، فإذا تطرق إليها الضعف، فإن العدو يهددها من هذه الجهات، أى أن مركز مصر ـ على مر التاريخ ـ يتطلب من القائمين عليها السهر دائما على شئونها، والعناية بجيشها الذى يحميها .

فليس غريبا إذن، أن تروى أحاديث تحض على العناية بمصر، وتنوه بجندها.فقد روى ابن لهيعة عن حديث لعمرو بن العاص أنه قال:«حدثنى عمر أمير المؤمنين ـ رضى الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول:إذا فتح الله عليكم بعدى مصر، فاتخذوا فيها جندا كثيفا فذلك الجند خير أجناد الأرض.

قال أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ ولم ذلك يا رسول الله؟ قال:«لأنهم فى رباط إلى يوم القيامة» [(١)] .

وقوله ﷺ : «ستفتح عليكم بعدي مصر، فاستوصوا بقبطها خيرًا فإن لكم منهم ذمة ورحمًا» [(٢)] .

وحض عمرو أصحابه قائلا فى إحدى خطبه:«واعلموا أنكم فى رباط إلى يوم القيامة لمكث الأعداء حولكم، ولإشراف قلوبهم إلى داركم معدن الزرع والمال الوفير والبركة النامية» [(٣)] .

---

=ألف: منهم جماعة من أهل بدر، سوي من كان فى عسكر عمرو بن العاص، فكلهم أدرك رسول الله ﷺ، فمنهم من روي عنه، ومنهم من رآه، ومنهم من أدركه ولم يره، أما من توفى من الصحابة المشهورين فى مصر منهم : عمرو بن العاص، وعقبة بن عامر، وأبو بصرة الغفارى، وخارجة بن حذافة، وقيس بن أبى العاص، وعبد الحارث بن جزء سكن مصر وروي عنه المصريون أما آخر من مات من الصحابة فى مصر فهو يزيد بن أبى حديب. راجع ترجمة هؤلاء الصحابة فى «الدعاة الأول فى أرض الكنانة» للمؤلف. وانظر : فضائل مصر وأخبارها وخواصها لابن زولاق. تحقيق د/ على محمد عمر ص ٢٧ .

(١) سبق تخريج هذا الحديث، وراجع أيضا المقريزى:الخطط...جـ١ ص ٢٤ .

(٢) رواه مسلم فى «صحيحه» مع زيادة فى اللفظ: كتاب فضائل الصحابة، باب وصية النبى ﷺ بأهل مصر جـ ٤ ص ١٩٧٠ . ورواه صاحب الكنز برقم (٣٨٢٦٢) من رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع اختلاف فى اللفظ.

(٣) ابن عبد الحكم:فتوح مصر...ص ١٩١ ، والخطط..جـ١ ص ٢٦ .

ولذلك جعل المسلمون الإسكندرية رباطا قويا قوامه: اثنا عشر ألف جندى سنة (٤٣ - ٤٤هـ) ولم يكتف قائد الرباط بهذا العدد، بل كتب إلى عتبة بن أبي سفيان، والى مصر حينذاك يشكو قلة من معه من الجند، وأنه يتخوف على نفسه وعليهم [(١)].

هذا مع العلم بأن هذه الزيادة الكبيرة، إذا تذكرنا أن الجيش الذى قدم مصر لفتحها قبل ذلك بعشرين عاما، كان يتراوح ما بين ١٢ ألفا، ١٥ ألفا من الجنود، وقد ظلت مصر طوال ذلك العهد قاعدة للفتوحات جنوبا وغربا [(٢)].

**اشتراك المصريين مع المسلمين في الأسطول:**

لم يضع المسلمون قيودا مجحفة على المصريين بشأن اشتراكهم فى حماية البلاد، وكل ما فعلوه أنهم طلبوا منهم الدخول فى الإسلام، فمن دخل فى الإسلام فله مالهم وعليه ما عليهم، وهذه من مميزات الإسلام، فإن المصريين كانوا على دين حكام روما، ومع ذلك لم يشركونهم فى الدفاع عن بلادهم.

وكان أول اشتراك فعلى للمصريين بعد اندحار الجيوش الرومانية ما جاء فى أوراق البردى من أن المصريين اشتركوا فى الأسطول الذى ذهب لغزو أفريقية بحرا فى خلافة الوليد ابن عبد الملك [(٣)].

**طاعة أهل برقة لوالي مصر:**

كتب البلاذرى فقال: «كان أهل برقة يبعثون بخراجهم إلى والى مصر من غير أن يأتيهم حاث أو مستحث، فكانوا أخصب قوم بالمغرب» [(٤)]. وكان إخضاع برقة، وطرابلس على يد جنود عمرو بن العاص.

أما فتح شمال أفريقية، فبدأ سنة ٢٧ هـ (٦٤٧م) بقيادة خلف عمرو فى ولاية مصر: عبد الله ابن سعد، ومعه جنود من حامية مصر، وجنود آخرون أمده بهم الخليفة عثمان....وقد نجح الجيش الإسلامى فى الوصول إلى الموضع الذى تقوم فيه الآن مدينة القيروان، ثم انحدر

---

(١) الكندى: الولاة..ص٣٦، ومصر فى عصر الولاة ص ٨٠ .

(٢) انظر ابن عبد الحكم..ص٢٣٢ وما بعدها والبلاذرى: فتوح البلدان ص ٢٢٦، ٢٢٧ والكندى: الولاة والقضاة ص ١٣، ومصر فى عصر الولاة ص ٨٠ - ٨١ .

(٣) نقلا عن د/ سيدة كاشف: مصر فى عصر الولاة..ص٨١ .

(٤) فتوح البلدان ص ٢٣٢ .

إلى الجنوب الغربى وأوقع بجيش البيزنطيين هزيمة منكرة عند سبيطلة، وأصاب غنائم كثيرة، ورجع الجيش إلى مصر مثقلا بالغنائم، بعد حملة دامت نحو عام كامل أدرك فيها ضعف أفريقية وسهولة فتحها، وبذر فيها الفوضى وشجع قبائل البربر على الخروج على طاعة البيزنطيين (١) .

**أفريقية تتبع ولاية مصر:**

ظلت أفريقية ملحقة بولاية مصر، تتبعها فى الإدارة، وتتلقى منها الجيوش الفاتحة الداعية إلى الإسلام، كما كان يحكم مصر وأفريقية وال واحد كما حدث لمسلمة بن مخلد الأنصارى فى عهد معاوية بن أبى سفيان (٢) .

**دور الأسطول المصري، واستقلال أفريقيا عن مصر:**

برز دور الأسطول المصرى مرة أخرى حينما تمكن من طرد الروم من قرطاجنة سنة سبع وسبعين هـ (٦٨٩م) وكان ذلك فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، ولم تستقل أفريقية عن مصر إلا فى سنة ٨٦هـ (٧٠٥م) حين أرسل الخليفة الوليد بن عبد الملك موسى بن نصير واليا على البلاد يحكمها من القيروان، ويتبع الخليفة مباشرة، وهكذا أصبحت أفريقية منذ ذلك الوقت ولاية مستقلة فى حكمها عن مصر (٣) .

**أهمية الإسكندرية عند المسلمين:**

يرجع اهتمام المسلمين بالإسكندرية ارتباطها بالبحر الأبيض الذى يعتبر، باب الروم الذى يسطون منه على مصر، ومن ثم، جعل عمرو بن العاص ربع الخيل لرباط (٤) الإسكندرية صائفة (٥) يقيمون ستة أشهر، ويعقبهم شاتية يقيمون ستة أشهر أيضا.

ويقال:إن عمر بن الخطاب كان يبعث فى كل سنة جندا من أهل المدينة ليرابط بالإسكندرية، وكان يكاتب الولاة قائلا:«لا تغفلها، ولا تكشف رابطتها، ولا تأمن الروم

---

(١) راجع مصر فى عصر الولاة ص ٨١، ٨٢ . (٢) انظر مصر فى عصر الولاة ص ٨٢ .
(٣) المصدر السابق ص ٨٤ .
(٤) الرباط: المكان الذى يرابط فيه الجيش والجمع ربط، والمرابطة المحافظة، وهى الجماعة من الناس، والخيل تلزم الثغر مما يلى العدو..راجع المعجم الوسيط مادة:ربط، ومحمد فريد وجدى:المصحف المفسر ص ٩٦ طبعة الشعب ١٣٧٧ هـ.
(٥) الصائفة:فى الأصل غزو الروم، لأنهم كانوا يغزون صيفا لمكان البرد والثلج:السيوطى:حسن المحاضرة جـ١ ص ١٤٤ هامش١ .

عليها» ، وكذلك اتبع عثمان بن عفان سُنة عمر بن الخطاب، وكاتب عبد الله بن سعد فى هذا الشأن قائلا :قد علمت كيف كان هم أمير المؤمنين بالإسكندرية، وقد نقضت الروم مرتين فالزم الإسكندرية رابطتها ثم أجر عليهم أرزاقهم واعقب بينهم فى كل ستة أشهر»[١] .

**ويظهر الغرض من هذه المكاتبات فيما يلي:**

أ ـ أهمية ثغر الإسكندرية، وأنه موضع المخافة على المسلمين.

ب ـ تجنب الجند الإقامة فى مكان واحد.

جـ ـ ألا يتعود الجند على حياة رتيبة، فيتزاحموا ويكسلوا [٢] .

المبحث السادس:

**من أسباب ركوب المسلمين البحر :**

**أولا:** محاولة الروم دخول مصر بحرا، فى أوائل سنة خمس وعشرين هجرية، أواخر عام ٦٤٥م، ولما يمضى على فتحها أربع سنوات ذلك أن الأمبراطور البيرنطى قنسطانز الثانى هاله ما رآه من فتوحات العرب فى الشام، ومصر وبرقة، فأراد أن يسترد مصر والشام من المسلمين معتمدا على قوته البحرية [٣] .

مستغلاً جهل العرب بأمور البحر، وافتقارهم إلى الأساطيل، وعمد على مفاجأتهم فى الإسكندرية واحتلالها لتكون قاعدة بيزنطية لإخراج المسلمين من مصر[٤] .

**ثانيًا :** أراد قنسطانز أن يشغل المسلمين فى الشام عن الدفاع عن الإسكندرية، ولكن الحملة على الشام لم يكتب لها النجاح إذ تصدى لهم جيش معاوية والى الشام وهزمهم هزيمة نكراء، لم ييأس قنسطانز بل أعد سفنه وأساطيله حتى قيل: إنه أرسل إلى الإسكندرية ثلثمائة مركب مشحونة بالمقاتلة[٥] .

وجعل على رأس هذه الحملة قائده منويل الذى يسميه مؤرخو العرب منويل الخصى، وكان والى مصر إذ ذاك عبد الله بن سعد بن أبى سرح فى خلافة عثمان بن عفان، ولما أرسل

---

(١) انظر الخطط جـ١ ص ١٦٧ ، والسيوطى حسن المحاضرة جـ١ ص ١٦٣ ، ومصر فى عصر الولاة ص ٨٧

(٢) مصر فى عصر الولاة ص ٨٧ بتصرف.

(٣) انظر د/ إبراهيم أحمد العدوى: الدولة الإسلامية وامبراطورية الروم ص ٦١ القاهرة ١٩٥٨م.

(٤) د/ إبراهيم العدوى : الأساطيل العربية فى البحر الأبيض المتوسط ص٥ القاهرة ١٩٥٧ .

(٥) البلاذرى: فتوح البلدان ص ٢٢٩ .

أسطوله انتقض سكان الإسكندرية من الروم على المسلمين، وانضموا إلى بنى جنسهم، وفوجئ المسلمـون بنزول الروم فى الإسكندرية ولكن المسلمين فـوتوا الفـرصـة على الروم ومـؤيديهم، وردوهم على أعقابهم خاسرين(١).

**ثالثاً**: محاولة احتلال الإسكندرية مرة ثانية، وذلك فى سنة أربع وثلاثين من الهجرة، فإن الامبراطور قنسطانز الثانى لم ينس هزيمة جيوشه فى سنة ٢٥هـ ، لكن المسلمين هذه المرة كانوا قد ركبوا البحر، واصطنعوا لأنفسهم فى هذه السنوات العشر سياسة بحرية إذ دفعتهم إلى ذلك الأخطار التى تعرضت لها ثغورهم فى مصر والشام دفعاً(٢).

وفى ذلك يقول ابن خلدون:

«فلما استقر الملك للعرب وشمخ سلطانهم، وصارت أمم العجم خولاً(*) لـهـم وتحت أيديهم، وتقرب كل ذى صنعة إليهم بمبلغ صناعته، واستخدموا من النواتية فى حاجاتهم البحرية أمما وتكررت ممارستهم.. استحدثوا بصراء بها فشرهوا إلى الجهاد فيه وأنشأوا السفن، والشوانى وشحنوا الأساطيل والسلاح»(٣).

وأصبحت الدولة الإسلامية التى كانت تخشى غزو البحر حتى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لها شأن عظيم فيه فمنذ أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه بدأ المسلمو يمتلكون بعض الجزر فى البحر المتوسط، واستطاعت مصر فى خلافته أن تهزم الروم فى موقعة ذى الصوارى البحرية(٤).

ولقد كان للنصر الحاسم للمسلمين فى هذه المعركة دوياً هائلاً...

أصبح أمر الدولة الإسلامية بعدها سيدة البحر الأبيض المتوسط كما أثبت ذلك ابن خلدون إذ قال: «كان المسلمون لعهد الدولة الإسلامية قد غلبوا على هذا البحر من جميع جوانبه وعظمت صولتهم وسلطانهم فيه فلم يكن للأمم النصرانية قِبَل بأساطيلهم بشىء من جوانبه وامتطوا ظهره للفتح سائر أيامهم فكانت لهم المقامات المعلومة من الفتح والغنائم وملكوا

(١) المقريزى : خطط جـ ١ ص ١٦٧، والسيوطى / حسن المحاضرة جـ١ ص ٧٠، والبلاذرى: فتوح البلدان ص ٢٢٩ .

(٢) الأساطيل العربية فى البحر الأبيض.. ص ٤٤ .

(*) خال فلان على أهله خولاً وخيالاً : دبر أمورهم وكفاهم المعجم الوسيط مادة خال.

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٢٧٨ . الشوانى : الشونة: المركب المعد للجهاد فى الحرب والجمع شوانى. المعجم الوسيط مادة : شوّن.

(٤) نقلاً عن دكتورة : سيدة إسماعيل كاشف: مصر فى فجر الإسلام .. ص ٩٤ .

سائر الجزائر المنقطعة عن السواحل فيه مثل ميورقة، ومنورقة، ويابسة، وسردانية، وصقلية، وقوصرة، ومالطة، وأقريطش، وقبرص، وسائر ممالك الروم الإفرنج»(١).

يفهم مما تقدم حرص المسلمين على أن تظل مصر قاعدة ثابتة لفتوحاتهم ولهذه الغاية حاربوا الروم بكل ما أوتوا من قوة، واستطاعوا فى أقل من عشر سنوات أن يكونوا قوة بحرية تجابه أعتى الأساطيل قوة وخبرة، وهذا يعطينا مفتاح نصرهم، وهو أنهم أصحاب دعوة يحمونها بالمهج والأرواح، ومن ثم عملوا على إزالة العقبات من أمامها، حتى تصل إلى الناس بلا قيود تكبلها، فما كان منهم إلا أن ألجموا شراسة الروم وتجبرهم على الولايات الخاضعة لهم، ثم فرضوا حرية الاعتقاد.

## مسجد عمرو بن العاص بالإسكندرية يعرف بمسجد الرحمة :

ولكى تظل الإسكندرية مؤدية رسالتها، فإن المسلمين قاموا ببناء المساجد الجامعة فيها التى كانت تتخذ بالإضافة إلى وظيفتها الأولى كدور للعبادة، ونشر دعوة الإسلام، فإنها جعلت أيضاً مراكز للاجتماعات العلمية، والسياسية، كما يذكر المؤرخون أنه أقيم فى القرن الأول الهجرى مسجد عمرو بن العاص الكبير ويعرف أيضاً بمسجد الرحمة، وسمى كذلك لأنه أقيم فى نفس الموضع الذى توقف فيه عمرو عن القتال عند افتتاح الإسكندرية عنوة سنة ٢٥هـ(٣).

ذكر ياقوت أن مسجد الرحمة يقع عند عمودين يعرفان بالمسلتين(٣). أى عند معبد القيصر يوم(٤).

## نشاط الإسكندرية بعد الفتح :

استأنفت الإسكندرية نشاطها الصناعى المتمثل فى إنتاج السفن(٥) اللازمة لأسطول الخلافة، كما كانت تمد هذا الأسطول بخبرة الملاحين والعمال المصريين. وأصبح اسم «الصناعة» فى مصر يدل على المكان الذى تبنى فيه السفن الحربية(٦).

---

(١) مقدمة ابن خلدون (الفصل الرابع والثلاثون) عن عظمة المسلمين فى هذا البحر.
(٢) ابن عبد الحكم فتوح مصر ص ١٧٧ ، والسيوطى حسن المحاضرة جـ ١ ص ١٦١ .
(٣) معجم البلدان المجلد الأول ص ٢٥٦ .
(٤) راجع د/ السيد عبد العزيز سالم (مدرس التاريخ الإسلامى بجامعة الإسكندرية: تاريخ الإسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى حتى الفتح العثمانى ص ٤٨ ط الأولى ١٩٦١ دار المعارف.
(٥) د/ سيدة كاشف/ مصر فى عصر الولاة ص ١٢٦ .
(٦) المقريزى: الخطط جـ ١ ص ٧١٩ . وقد عقد المقريزى فصلاً فى ذكر المواضع المعروفة بالصناعة. جـ١ ص ٣٠١ .

ويظهر أن بناء السفن فى مصر كان له شأن عظيم فى مجىء دعوة الإسلام، ولا سيما فى العهد الأموى، فقد ألقت أوراق البردى شعاعاً من النور على صناعة السفن بمصر كما أظهرت أوراق البردى التى كشفت فى كوم أشقاو، والتى ترجع إلى عصر الوليد بن عبد الملك أن صناعة السفن كانت زاهرة بوادى النيل فى جزيرة الروضة(١).

**تاريخ البحرية الإسلامية :**

ومع ذلك كله، فإن تاريخ البحرية عند المسلمين ما زال يحتاج إلى بحوث طويلة، لأن أخبار البحر وركوبه كثيرة فى كتب الأدب والتاريخ وتقويم البلدان، فهى تحتاج إلى جمع، وتمحيص ودراسة ليمكن الوصول إلى معرفة أساطيل الحرب والتجارة فى الأمم الإسلامية المختلفة(٢)، وإن كانت هناك بحوث طيبة فى هذا الشأن إلا أنها غير كافية.

من هذه البحوث ما ظهر لمحمد ياسين الحموى: تاريخ الأسطول العربى. دمشق ١٣٦٤هـ ـ ١٩٤٥م، وآخر للسيد سليمان ندوى فى جمعية الدراسات الإسلامية. بمباى عن: البحرية الإسلامية سنة ١٩٣٥م وهناك بحث بالإنجليزية عن تاريخ البحرية الإيرانية للسيد هادى حسن.

كذلك عنى المستشرقون الفرنسيون فى بلاد المغرب بدراسة الملاحة البحرية عند المسلمين فى تلك البلاد، والأمل ما زال معلق على مفكرى وباحثى مصر لاثراء موضوع البحرية فى عهد المسلمين(٣)، ودورها فى مساعدة نشر الدعوة.

**أثر الفتوحات الخارجية على الدعوة في مصر :**

أثرت تلك الفتوحات الخارجية على سير الدعوة تأثيراً مباشراً، فقد ظهر للمصريين عامل جديد فى ميدانين هما: السياسة، والعقيدة. حمل المسلمون تباعتهما.

**أما السياسة :** فقد تحقق لدى المصريين أنها تأخذ عندهم طابع الغلبة، والنصر فى كل الميادين وعلى أعتى قوتين فى الأرض،: الفرس والروم وكانت أحداث الشام والعراق، وغيرهما غير خافية على المصريين، فقد «كانت غزة على أبواب مصر تسرى أنباؤها إلى الديار المصرية

---

(١) أبو عبيد البكرى: المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب ط الجزائر سنة ١٨٥٧م ص ٣٨ـ ٣٩ ، وراجع أيضاً مقال الاستاذ فييت عن المواصلات فى مصر فى العصور الوسطى ص ٣٣ ، ٣٤ . تعريب دكتور زكى محمد حسن، والبكباشى عبد الرحمن زكى.

(٢) د/ سيدة كاشف: مصر فى فجر الإسلام ص ٩٨ بتصرف .

(٣) المصدر نفسه بتصرف.

بين ليلة ونهار، وكان فيها وفيما حولها طائفة من الجنود المصريين، والمتمصرين الذين استنجد بهم هرقل، وقائده عياد بن فلسطين وكانت أنباء العهود التي اتفق عليها المسلمون، ونصارى العراق والشام تتوالى على كل جانب من جوانب الدولة الرومانية»(١).

ومن ثم «فلم يكن فى كل أولئك ما يدعو أبناء البلاد إلى مؤازرة الدولة الرومانية، ودفع الهزيمة عنها. ولم يكن لانتصار المسلمين، وانهزام الدولتين أمامهم ـ دولة الأكاسرة، ودولة القياصرة غير تفسير واحد، وهو قضاء الله، وعدل الله»(٢).

**وأما العقيدة:** فقد وجد الناس فى دعوة الإسلام ضالتهم، ووجدوا فى دين الإسلام مأربهم، وفى القائمين عليها طابع الرحمة والعدل، فلم تع عقولهم أصدق مما جاؤوا به، ولم تر أعينهم أعظم مما شاهدوه فى حربهم وسلمهم، فأسرعوا الخطا نحو الإسلام ملبين دعوته فكانت مصر خير ميدان أثرت فيه الدعوة بشقيها: العملى والنظرى، فانطلق المصريون مع الفاتحين تلهبهم ثورة الحماسة، حتى أنهم تناسوا لغتهم، ومذهبهم، بعد تيقنهم أن الحق مع هؤلاء الفاتحين، ومن ثم خرجوا لنشر دعوة الإسلام خارج أرض الكنانة.

**منهج المسلمين في مصر:**

سار المسلمون بعد فتح مصر على منهج: عدم إكراه الناس على الدخول فى الإسلام، أو إجبارهم على تلبية دعوته. حتى أن مورخى العربية، واللغات الأجنبية دهشوا من «إحجام الفاتحين عن إكراه أبناء البلاد على الدخول فى ملتهم، حتى التمسوا تأويل ذلك بأنهم كانوا يشفقون من نقص الجزية، وأقفار خزانة الحكومة. وانقطاع أرزاق الجند، والعمال، وهو تأويل مخطىء(٣) «فقد نسى هؤلاء، وأولئك أن المسلمين كانوا منفذين لأوامر الله كما فى قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (٤) ولقد وضّحت فيما سبق موقف الإسلام من أهل الذمة، خاصة فى الجزية، والذين فهموا العقيدة، وموقف الإسلام فَهْمًا صحيحًا أسندوا «انتصار المسلمين على الفرس والروم أنه آية إلهية، وبرهان من السماء على صحة الدين وسلامة الدعوة»(٥).

أما فرار الذمى من الجزية.. فإن «الإسلام لا يعفيه من الزكاة، ولا من خراج الأرض بحسب ما يلزم لإصلاحها وريها، ويوجب عليه التجنيد الذى يعفى منه الذميون، وليس فى هذا

(١) العقاد: عمرو بن العاص .. ص ١٤١ (٢) المصدر نفسه.
(٣) عمرو بن العاص .. ص ١٤٤. (٤) البقرة من الآية ٢٥٦.
(٥) عمرو بن العاص .. ص ١٤٥.

تخفيف، ولا إعفاء من وجهة التكاليف التى تناط بالأنفس والأموال»(١).

**ما قبل الختام:** وقبل أن أختم هذه الرسالة التى عاشت مع الدعوة منذ وطئت أرض الكنانة وسايرت خطواتها خطوة خطوة، حتى أصبحت ملء السمع والعين، واستقرت ركائز الدعوة فيها أجدنى بحاجة ملحة، قبل أن أطوى هذه الصفحات على خير أن أنوه بكلمة موجزة غاية فى الإيجاز - فوق ما تقدم - عن فاتح مصر، وكلمة مختصرة عن الخليفة الخامس العادل عمر بن العزيز رضي الله عنه وأثره فى الدعوة الإسلامية عامة، ومصر خاصة، والسبب الذى من أجله ختمت به هذه الرسالة.

**أما فاتح مصر:**

فهو عمرو بن العاص .. رضي الله عنه بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى السهمى، أبا عبد الله وأبا محمد كان إسلامه فى صفر سنة ثمان للهجرة(٢). الذى أشار على عمر بن الخطاب رضي الله عنه بفتحها، وهو الذى تولى فتحها ثم قام «.. بتأمين ذلك الفتح وتمكينه، على نحو لم يسبق إليه سابق من فاتحى وادى النيل فى قديم عصوره، لأنه أبقى لهذا الفتح أثرًا خالدًا فى لغة البلد ودينه، وفنونه، فصنع ما لم يصنعه فاتح قديم، وقل أن يصنعه فاتح حديث.

فلم يغفل عن حدود البلاد، بعد سلمت له الإسكندرية، وتتابع تسليم العواصم الأخرى لأعوانه، ولا سيما الحدود التى يجئ الخطر منها، وهى حدود المغرب والجنوب»(٣).

**سبب خروج عمرو .. من مصر لفتح المغرب:**

يرجع سبب خروج عمرو . . لفتح بلاد المغرب شعوره بالخطر القادم من البحر الأبيض، فى صورة الهجمات التى كانت ترسلها روما بين الحين والحين على الإسكندرية، فقرر أن يتوجه إلى بلاد المغرب لفتحها «حتى وقف عند تونس بأمر الخليفة»(٤).

أما جهة الجنوب، فقد «علم أن أهل مصر يخافون من مساكنة النوبة إياهم فى بلادهم ويسألون حاكمهم أن يقصيهم عنها، ولا يأذن لهم بطول المقام فيها، فوعدهم ألا يأذن بهذا المقام، وسيَّر الكتائب إلى مصر الجنوبية يذود عنها النوبة، ويحرس ما دخل فى حوزته من أرضها»(٥).

(١) المصدر نفسه ص ١٥٣.
(٢) راجع «أسد الغابة» (٤ / ٢٤٤) ط الشعب.
(٣) عمرو بن العاص ص ١٥٧.
(٤) عمرو بن العاص ص ١٥٧.
(٥) عمرو بن العاص ص ١٥٧ وراجع نص معاهدة أهل النوبة من هذا البحث ص ٦٢٩.

**إنصاف الخليفة لعمرو . . .**

أنصف الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ، فى إسناد ولاية مصر لعمرو «بعد فتحها وتنظيم شؤونها على أثر الحروب التى أفسدت فيها كل صالح، وبدلت فيها كل نظام، فحرص عمرو .. جهده على مرضاة الخليفة واستبقاء رأيه فيه، وكان من الولاة القليلين الذى طال عهدهم بالولاية فى خلافة الفاروق»(١).

**محاسبة عمرو على خطأ ابنه :**

كانت لعمرو . . عند عمر ... منزلة طيبة، ومع ذلك حاسبه الخليفة حساباً عسيراً على غلطة ارتكبها ولده محمد، وخلاصة القصة: أن عمراً أجرى الخيل، فأقبلت فرس رجل من المصريين، فحسبها محمد بن عمرو فرسه وصاح: فرسى ورب الكعبة! ثم اقتربت وعرفها صاحبها، فغضب محمد، ووثب على المصرى يضربه بالسوط ويقول له : خذها وأن ابن الأكرمين! وبلغ ذلك أباه، فخشى أن يشكوهما المصرى. فحبسه زمناً حتى أفلت وقدم إلى الخليفة يرفع إليه مظلمته.. فاستقدم الخليفة عمراً وابنه، وقال للمصرى: «دونك الدرّة واضرب بها ابن الأكرمين! ثم قال له : أجلها على صلعة عمرو، فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه.

ففزع عمرو واعتذر المصرى قائلاً: قد ضربت من ضربنى! والتفت الخليفة إلى المصرى يقول له : «أما والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذى تدعه»(٢).

ثم توجه إلى عمرو بن العاص يقول تلك الكلمة التى تعد من جلائل الأعمال، ولا تحصى فى جلائل الأقوال وكفى: «أيا عمرو! متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً»(٣)!

كما حاسب عمر ﷺ عمراً على ماله حتى قاسمه، كما مر بيانه، وحاسبه على أن أقام الحد على ولده فى داره، مع ما يخالف هذا رأى عمر.. والقصة أن ولد عمر . . عبد الرحمن ذهب إلى عمرو ... وأخبره أنه شرب مسكراً، ويطلب إليه أن يقيم الحد عليه، فتغاضى قليلاً، ثم أذن بحده على أن يعفى من حلق رأسه على مشهد من العامة، فجاءه التأنيب من

---

(١) عمرو بن العاص ص ١٥٨ .

(٢) عمرو بن العاص ص ١٥٨ . راجع لابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ص ٢٢٥ وما بعدها تحقيق عبد المنعم عامر.

(٣) عمرو بن العاص ص ١٦٠ وراجع ابن عبد الحكم ٢٢٦ ، وللسيوطى : حسن المحاضرة جـ ١ ص ٥٧٨

الخليفة مع البريد يقول فيه :

«عجبت لك يا ابن العاص ولجرأتك عليّ وخلاف عهدى .. فما أرانى إلا عازلك فمسيء عزلك. تضرب عبد الله فى بيتك، وتحلق رأسه فى بيتك، وقد عرفت أن هذا يخالفنى؟ إنما عبد الرحمن رجل من رعيتك، تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين»[١] .

«إن واليًا ينجو من الفاروق بهذا القسط من الحساب على هذه المسائل وما شابهها لمجدود بين الولاة[٢] .

**بين عمرو .. ومعاوية ..:**

حدّث أبو حاتم أن معاوية : «قدم من الشام، وعمرو بن العاص من مصر، على عمر بن الخطاب، فأقعدهما بين يديه وجعل يسائلهما على أعمالهما. إلى أن اعترض عمرو فى حديث معاوية، فقال له معاوية: «أعملى تعيب وإلىّ تقصد؟ هلم تخبر أمير المؤمنين عن عملى وأخبره عن عملك». قال عمرو : «فعلمت أنه بعملى أبصر منى بعمله، وأن عمر لا يدع أول هذا الحديث حتى يصير إلى آخره !» فأردت أن أفعل شيئًا أشغل به عمر عن ذلك، فرفعت يدى فلطمت معاوية! فقال عمر: «تالله ما رأيت رجلاً أسفه منك». قم يا معاوية فاقتص منه. قال معاوية: «إن أبى أمرنى ألا أقضى أمرًا دونه» فأرسل عمر إلى أبى سفيان، فلما أتاه ألقى له وسادة، وذلك حديث رسول الله ﷺ : «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه»[٣]. «ثم قص عليه ما جرى بين عمرو ومعاوية فقال : «لهذا بعثت إلىّ؟ أخوه وابن عمه وقد أتى غير كبير، وقد وهبت ذلك له»[٤]!.

وتشير هذه الرواية وما أشبهها، أن المنافسة بين الرجلين كانت قائمة ولا غرابة فيها، وهى فى موقعهما من ولاية الشام، وولاية مصر أشبه شيء أن يكون[٥] .

**أعجب الأشياء :**

سأل معاوية عمرو بن العاص، وهو فى حالة من حالات النقمة والطمع: ما أعجب

---

(١) عمرو بن العاص ص ١٦١ ، وراجع لابن حجر: فتح البارى جـ ١٢ ص ٥٥ ، ولابن الجوزى : سيرة عمر بن الخطاب ص ٢٠١ ، وراجع أدب الخليفة الثانى ص ٣٨٧ .

(٢) عمرو بن العاص ص ١٦١ .

(٣) الحديث أخرجه المناوى فى فيض القدير شرح الجامع الصغير جـ ١ ص ٢٤١ برقم ٣٤٥ .

(٤) عمرو بن العاص ص ١٦٦ .

(٥) عمرو بن العاص ص ١٦٦ .

الأشياء؟ فقال : أعجب الأشياء غلبة المبطل ذا الحق على حقه، فما أبطأ معاوية أن ردها عليه قائلاً: بل أعجب من هذا أن تعطى من لاحق له بحق، من غير غلبة[١]!.

**من أقوال عمرو ... رضي الله عنه :**

يستحسن أن نلم بطرف من أقواله، كما ألمحنا بطرف من شجاعته فى الحروب، وبراعته فى المحاورة. قال يوماً لمعاوية بعد توليه الخلافة: «يا أمير المؤمنين: لا تكن بشىء فى أمور رعيتك أشد تعمداً منك لخصاصة الكريم حتى تعمل فى سدها، ولطغيان اللئيم حتى تعمل فى قمعه، واستوحش من الكريم الجائع، ومن اللئيم الشبعان، فإن الكريم يصول إذا جاع، واللئيم يصول إذا شبع»[٢].

**وكان يؤمن بهذا الرأي كثيرا، ولا يزال يعُيده:**

«موت ألف من العلية، أقل ضررا من ارتفاع واحد من السّفلة» [٣].

ويتصل بهذا المعنى، وقد يكون فيه اعتذار من حربه لعلى بن أبى طالب رضي الله عنه قوله لابنه عن الإمامة والحكومة :«يا بنى! إمام عادل خير من مطر وابل، وأسد خطوم خير من أمام ظلوم، وإمام ظلوم غشوم خير من فتنة تدوم، يا بنى! مزاحمة الأحمق خير من مصافحته.يا بنى! زلة الرِّجل عَظْم يجْبر، وزلة اللسان لا تبقى ولا تذر.يا بنى! استراح من لا عقل له» [٤] !.

**وعن وصفه للرجال قال:** «الرجال ثلاثة:فرجل تام، ونصف رجل، ولا شىء.فأما الرجل التام فالذى يكمل دينه وعقله، فإذا أراد أمرا لم يمضه حتى يستشير أهل الرأى فإذا وافقوه حمد الله وأمضى رأيه، فلا يزال مضيه موثّقا.

ونصف الرجل الذى يكمل الله له دينه وعقله، فإذا أراد أمرا لم يستشر فيه، وقال آى الناس كنت أطيعه أو أترك رأيى لرأيه؟ فيصيب ويخطىء، والذى لا شىء من لا دين ولا عقل له ولا يستشير فى الأمر، فلا يزال مخطئا مدبرا!...ووالله أنى لأستشير فى الأمر حتى خدمى..!»[٥].

**ومن أبرع صفاته للطبيعة والناس معا قوله في البحر:** «إنه خلق عظيم يركبه خلق صغير:دود على عود» [٦].

---

(١) عمرو بن العاص ص ١٧٠ .
(٢) عمرو بن العاص ص ١٨١ .
(٣) عمرو بن العاص ص ١٨١ .
(٤) عمرو بن العاص ص ١٨١،١٨٢ .
(٥) عمرو بن العاص ص ١٨٢ .
(٦) عمرو بن العاص ص ١٨٢ .

أما فى أخريات أيامه فكان يضرع إلى الله ويقول: «اللهم أتيت عمرا مالا، فإن كان أحب إليك أن تسلب عمرا ماله ولا تعذبه بالنار، فاسلبه ماله، وإنك أتيت عمرا أولادا، فإن كان أحب إليك أن تثكل عمرا ولده ولا تعذبه بالنار، فأثكله ولده، وإنك آتيت عمرا سلطانا، فإن كان أحب إليك أن تنزع منه سلطانه ولا تعذبه بالنار، فانزع منه سلطانه» (١).

يرحمه الله! لقد دخل الإسلام وهو يشترط أن يضمن له إسلامه سقوط العقاب على آثام ماضيه، وَهَمّ بمفارقة الدنيا، فلم يبال أن يخسر ماله أو ولده، أو سلطانه إذا ضمن شيئا واحدا فى الآخرة: ألا يعذب بالنار (٢) !.

وكان يقول: «اللهم لا قوى فأنتصر، ولا برىء فأعتذر، ولا مستكبر بل مستغفر، لا إله إلا أنت ـ لا إله إلا أنت» (٣). ولم يزل يرددها حتى مات رضي الله عنه.

وكانت وفاته ـ كما سبق ـ ليلة عيد الفطر سنة ثلاث وأربعين للهجرة، ودفن بجوار المقطم عند ضريح الإمام الشافعى القائم الآن، وضم معاوية رضي الله عنه ولاية مصر إلى أخيه عتبة بن أبى سفيان (٤).

من مآثر عمرو...

مما سبق يتبين مآثر عمرو.. الذى قضى حياة حافلة، حياة عاملة، وحياة طائلة، صح فيه على تباين الآراء والأقوال، أنه رجل من عظماء الرجال ونزيد معرفة بمآثره أنه مهما يختلف المختلفون فى نيّاته وحسناته أو سيئاته، فالذى لا خلاف فيه أنه كسب للإسلام قطرين كبيرين هما:

**فلسطين ومصر**، وأن له سهما وافرا فى كل ما نحسبه للدولة الأموية من العظائم (٥) والمآثر، وفى تاريخ الدعوة الإسلامية.

ولم يبق إلا مسك الختام بخامس الراشدين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو لقاؤنا مع الفصل الثامن والأخير إن شاء الله تعالى.

ويليه الملاحق والخرائط، ثم النتائج، فالمقترحات ثم كلمة الختام ثم المراجع والفهارس.

---

(١) عمرو بن العاص ١٨٣، ١٨٤ .
(٢) عمرو بن العاص ص ١٨٤ .
(٣) عمرو بن العاص ص ١٨٤ .
(٤) عمرو بن العاص ص ١٨٠ .
(٥) عمرو بن العاص ص ١٨٠ .

# الفصل الثامن

## عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وأثره في الدعوة..... في مصر وسبب ختم الرسالة به

ويشتمل على تمهيد،

وسبعة مباحث:

المبحث الأول: مكانة عمر بن عبد العزيز قبل الخلافة، وصلته بمصر...

المبحث الثاني: أعماله بعد أن تولى الخلافة.

المبحث الثالث: معاملته أهل الذمة.

المبحث الرابع: سمات عهد عمر....

المبحث الخامس: خطواته الخارجية.

المبحث السادس: أقوال النقاد عنه، والرد عليهم.

المبحث السابع: أثره في السنة، والدعوة، وسبب ختم الرسالة والعنوان به.

**تمهيد:**

يعد عمر بن عبد العزيز ـ رضى الله عنه ـ من أحسن خلفاء بنى أمية سيرة وأتقاهم لله، وأنزههم يدا، وأعفهم لسانا، وأسبقهم إلى نشر دعوة الإسلام، وإعلاء كلمة الدين أصبح حكمه غرة فى جبين ذلك العصر الذى وصم بالاستبداد، والظلم، ومن ثم شبه المؤرخون المسلمون خلافته بخلافة جده عمر بن الخطاب «رضى الله عنه» [١].

**شيوع عدله:**

شاع عدل عمر بن عبد العزيز قبل أن يتولى الخلافة، حتى كان الناس يقولون:الأشج والناقص أعدلا بنى أمية، فالأشج عمر بن عبد العزيز، أما الناقص فهو:يزيد بن الوليد بن عبد الملك....ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة بعد سليمان بن عبد الملك، مدة سنتين ونصف..فملأ الأرض عدلا، وفاض المال حتى كان الرجل يهمه لمن يعطى صدقته [٢].

**نسبه ومولده:**

هو عمر عبد العزيز بن مروان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس، وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب [٣].

ولد عمر...سنة ثلاث وستين من الهجرة [٤]، فى مدينة حلوان التى اتخذها أبوه عبد العزيز بن مروان ـ يوم كان واليا عليها ـ دار الإمارة، ونقل إليها الدواوين وطالت أيامه فى مصر حتى أربت على العشرين سنة (٦٥ ـ ٨٦هـ) [٥] وطالما تغنى الشعراء والمؤرخون بأعمال البر والإحسان التى قام بها عبد العزيز بن مروان، وفى هذه البيئة...ولد عمر....من أبوين كريمين. اشتهر أبوه بالورع والتقوى وعكف على مجالسة الصحابة، ورواة الحديث، والاستماع إلى الشعر والأدب، حتى كان مجلسه ندوة للفقهاء والعلماء والأدباء، وأمه أم عاصم بن عمر بن الخطاب كانت لينة الجانب رضية الخلق على جانب عظيم من الورع، والتقوى [٦].

---

(١) راجع :د/ حسن إبراهيم حسن:تاريخ الإسلام الدينى..جـ١ ص ٣٣١ بتصرف.
(٢) راجع لابن كثير:البداية والنهاية..جـ٦ ص ٢٣٩ .
(٣) ابن سعد:الطبقات الكبرى جـ٥ ص ٢٤٢ .
(٤) المصدر السابق:جـ٥ ص ٢٤٣ .
(٥) الكندى:كتاب الولاة...والقضاة ..ص٤٨ .
(٦) د/ حسن إبراهيم حسن:تاريخ الإسلام السياسى...جـ١ ص ٣٣١ .

**حفظه للقرآن:**

حفظ عمر..القرآن وهو صغير، ثم أرسله أبوه إلى المدينة لطلب العلم، فتفقه فى الدين، وروى الحديث، وعكف على مدارسة الأدب، ونظم الشعر، وبلغ من علو كعبه واستبحاره فى العلم أن قيل:«كانت العلماء مع عمر بن عبد العزيز تلامذة» (١).

**المبحث الأول: مكانته قبل الخلافة:**

كانت له إرهاصات قبل توليه الخلافة منها:

أ ـ توليه إمارة المدينة، وهو ابن خمس وعشرين سنة، ولاها إياه الخليفة الوليد بن عبد الملك، وكانت توليته فى شهر ربيع الأول سنة سبع وثمانين للهجرة، فقام بتولية قضاء المدينة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، العالم الورع (٢) ـ رضى الله عنه.

ب ـ ما قاله عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ:«ليت شعرى من ذو الشين من ولدى الذى يملؤها عدلا كما ملئت جورا» (٣).

كما كان يقول عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ ليت شعرى من هذا الذى من ولد عمر فى وجهه علامة يملأ الأرض عدلا (٤)؟ وكأنهم كانوا يتوقعون ظلما سيحل بالناس ويملأ الأرض جورا، وقد وقع بالفعل من بعض خلفاء بنى أمية، كيزيد بن معاوية (٥).كما ظهرت العصبية القبلية فى عهد مروان بن الحكم (٦).

**صلة عمر....بمصر:**

ترجع هذه الصلة عندما استرد جده لوالده مصر،من عامل ابن الزبير، وكان عبد العزيز مصاحبا لأبيه عند استردادها، فعينه واليا عليها، وكان ابن الزبير يدعو فيها لأهل البيت. فصادفت دعوته نجاحا عظيما فى بلاد العرب والعراق، وفى مصر انضم إليه أنصار العلويين(٧)،

---

(١) المصدر السابق نفسه. (٢) ابن سعد:الطبقات...جـ٥ ص ٢٤٤ .

(٣) المصدر نفسه ص ٢٤٣، وابن كثير:البداية والنهاية جـ٦ ص ٢٣٩ .

(٤) ابن سعد:الطبقات جـ٥ ص ٢٤٣ .

(٥)د/ حسن إبراهيم:تاريخ الإسلام السياسى جـ١ ص ٢٩١،٢٩٢ .

(٦) المصدر السابق جـ١ ص ٢٩٨ .

(٧) المصدر نفسه، وقد وقعت معارك بين ابن الزبير، وبين مروان...، وعبد الملك بن مروان انتهى بقتل ابن الزبير على يد رجل يدعى عبد الرحمن بن يحنس من قبيلة تجيب التى نزلت مصر..راجع الكندى:كتاب الولاة..والقضاة ص ٥١ .

ولما عاد مروان إلى دمشق ولى ابنه عبد العزيز على مصر: صلاتها، وخراجها، ولما كان بعض المصريين فى ذلك الوقت يكنون البغض لمروان ولبنى أمية خاف عبد العزيز أنصار ابن الزبير، وأفضى بذلك إلى أبيه فسكن من روعه، ورسم له الطريق الذى يتألف به قلوب المصريين على اختلافهم، وأن هذا الأمر لا يتم إلا إذا أسرهم بجوده وجذبهم إليه بالمودة، والبشاشة، وأوصاه بأن يظهر لكل زعيم أنه خاصته دون غيره من الزعماء، وبهذا يتفانى الكل فى خدمته، ويجمعون على طاعته [١].

**وصية مروان لابنه عبد العزيز وهو على مصر:**

أوصاه بتقوى الله فى السر والعلانية، والبر بالفقراء، وتنفيذ وعده إذا وعد، ولو حال دون ذلك شوك القتاد، وأن تكون المشورة رائده قبل الفصل فى أمور دولته فتلهج الألسنة بالدعاء له، ويأمن الفتن والقلاقل [٢].

**نجاح سياسة عبد العزيز في مصر:**

استطاع عبد العزيز أن ينجح فى سياسته على أثر تنفيذه لوصايا والده، كما استطاع أن يدخل كثيرا من ضروب الإصلاح:-

أ ـ بنى مقياس النيل.

ب ـ وبنى دور العبادة إيمانا منه بمدى أهميتها على فهم وتعميق دعوة الإسلام، ومن ثم زاد فى جامع عمرو بن العاص من ناحية الغرب، وأدخل فى شماله رحبة فسيحة.

جـ ـ أقام على خليج أمير المؤمنين قنطرة عند الحمراء القصوى بطرف الفسطاط[٣]، ونقش عليها اسمه (سنة ٦٩هـ) [٤].

د ـ اتخذ حلوان عاصمة لمصر (سنة ٧٣هـ)، ونقل إليها بيت المال، وأنشأ بركة كبيرة ساق إليها الماء من العيون القريبة من جبل المقطم، على قناطر معلقة مشيدة على أعمدة تصل عيون الماء بالبركة.... كما غرس عبد العزيز فى حلوان الأشجار والنخيل، وبنى المساجد من

---

(١) الكندى: كتاب الولاة.. والقضاة ص ٤٧ ـ ٤٨ .
(٢) المصدر نفسه، وانظر المقريزى: خطط جـ١ ص ٢٠٩ .
(٣) مكانها الآن على الخليج عند مسجد السيدة زينب. راجع د/ حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسى.. جـ١ ص ٢٩٩ هامش ٢ .
(٤) ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار جـ٤ ص ٦٣، ١٢٠ .

الأبنية الفخمة حتى قيل:إنه بذل فى سبيل ذلك مليون دينار[١].

هـ - يعتبر عبد العزيز بن مروان أول من عمر الصحراء، وحولها إلى جنة خضراء.

## عهد عبد العزيز...في مصر:

كان عهده عهد رخاء ونشاط أدبى ومادى حتى تغنى الشعراء والأدباء، وكما ذكر بعض المؤرخين قال:«كان له ألف جفنة تنصب حول داره، ومائة جفنة تحمل على العجلات، ويطاف بها على قبائل مصر حتى وصف أحد الشعراء أيام عبد العزيز بأنها كأعياد الفطر أو الأضحى[٢].

## حالة الدولة الأموية قبل تولية عمر بن عبد العزيز:

شاع سخط العامة والخاصة على سياسة الأمويين فى العراق من جراء سياسة الحجاج ابن يوسف الثقفى، وما فعله فى أهل الكوفة، ثم ما فعله سليمان . . من نقمته على بعض قواده كمحمد بن القاسم ابن أخت الحجاج وهو فى بلاد الهند، وقتيبة بن مسلم وهو فى بلاد ما وراء الهند، وموسى بن نصير فى الأندلس، وأسرة الحجاج فى العراق، ويرجع كل هذا لعوامل شخصية[٣]. وكذلك زاد من سخط الناس كثرة الترف والبزخ فى البلاط الأموى فى عهد سليمان، فتسرب الفساد والظلم[٤].

فكان لابد من خير بعد هذا الشر، وكان من توفيق الله لدعوة الإسلام أن خط القدر الحكيم لمجئ الخليفة الراشد عمر بن العزيز ﵁ ليرفع مكانتها، ويجدد شبابها.

## المبحث الثاني: أعماله بعد توليه الخلافة:

لما أراد سليمان . . كتابة العهد إلى ابنه أيوب، وهو غلام صغير، لم يبلغ الحلم بعد، قال له رجاء بن حيوة ﵁ : يا أمير المؤمنين إنه مما يحفظ به الخليفة فى قبره أن يستخلف الرجل الصالح، فقال سليمان: كتاب أستخير الله فيه وانظر ولم أعزم عليه. ثم قال : ما ترى فى داود بن سليمان؟ فقلت : هو غائب بقسطنطينية، وأنت لا تدرى أحى هو أم ميت. قال:

---

(١) انظر أبو صالح الأرمنى:كنائس مصر وأديرة مصر ورقة ١٥٣،٥٢، وتاريخ الإسلام السياسى..جـ١ ص ٢٩٩ .

(٢) مروج الذهب جـ٢ ص ١١٣، وتاريخ الإسلام السياسى..جـ١ ص ٢٩٩،٣٠٠ .

(٣) راجع تاريخ الإسلام السياسى .. جـ ١ ص ٣٣٠ .

(٤) المصدر السابق جـ ١ ص٣٣١ ، ولقد خصص عمر بن عبد العزيز ﵁ خمسة رجال كانوا السبب فى الظلم قبل توليته، فقال فى آخر إمارته للمدينة: «الوليد بن عبد الملك بالشام، والحجاج بالعراق ومحمد بن يوسف باليمن، وعثمان بن حيان بالحجاز وقرة بن شريك بمصر . . امتلأت الأرض، والله جوراً !! انظر خامس الراشدين: عمر بن عبد العزيز جـ ٢ ص ١٢٥ . فنراه هنا لم يهمل ذكر مصر حتى وهو بعد وال المدينة، فما زالت مصر عالقة بذهنه،

يا رجاء فمن ترى؟ قال قلت: رأيك يا أمير المؤمنين . . . فقال: كيف ترى فى عمر بن العزيز؟ فقلت: أعلمه والله فاضلاً خياراً مسلماً.

فقال: هو على ذلك، والله لئن وليته ولم أول أحداً من ولد عبد الملك لتكون فتنة ولا يتركونه أبداً يلى عليهم إلا أن أجعل أحدهم بعده، ويزيد بن عبد الملك يومئذ غائب على الموسم. قال: فيزيد بن عبد الملك أجعله بعده، فإن ذلك مما يسكنهم ويرضون به. قلت رأيك قال: فكتب بيده: بسم الله الرحمن الرحيم:

هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز، إنى وليته الخلافة من بعدى ومن بعده يزيد بن عبد الملك[1]، فاسمعوا له وأطيعوا، واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم. وختم الكتاب، فأرسل إليهم كعب بن حامز، صاحب شُرطه أن مر أهل بيتى فليجتمعوا.... فجمعهم .. . ثم أخبرهم رجاء .. بكتاب أمير المؤمنين، وأمرهم بطلب أمير المؤمنين بالمبايعة لمن ولى . . فقالوا: سمعنا وأطعنا لمن فيه، ودخلوا على أمير المؤمنين سليمان.. فبايعوه رجلاً رجلاً على من ولى .. ثم خرج رجاء بالكتاب مختوماً فى يده، فلما تفرقوا جاء عمر بن عبد العزيز.

فقال: يا أبا المقدام إن سليمان كان لى به حرمة، ومودة، وكان بى براً، ملطفاً، فأنا أخشى أن يكون قد أسند إلىّ من هذا الأمر شيئاً، فأنشدك الله وحرمتى، ومودتى إلا أعلمتنى إن كان ذلك حتى أستعفيه الآن قبل أن يأتى حال لا أقدر فيها على ما أقدر الساعة، فقال رجاء : لا والله ما أنا بمخبرك حرفاً واحداً، قال: فذهب عمر غضبان[2].

**خطبة عمر بعد توليته الخلافة :**

لما اجتمع المسلمون فى مسجد دابق قال رجاء : بايعوا قالوا: قد بايعنا مرة، ونبايع أخري؟! قلت: هذا أمير المؤمنين، بايعوا على ما أمر به ومن سمى فى هذا الكتاب المختوم، فبايعوا الثانية رجلاً رجلاً قال رجاء: فلما بايعوا بعد موت سليمان، رأيت أنى قد أحكمت الأمر.. ثم قمت فقرأت عليهم الكتاب، فلما انتهيت إلى عمر بن عبد العزيز نادى هشام: لا نبايعه أبداً، قال: قلت: أضرب والله عنقك، قم فبايع فقام يجر رجليه، قال رجاء : وأخذت بضبعى عمر فأجلسته على المنبر، وهو يسترجع لما وقع فيه، وهشام يسترجع لما أخطأه[3].

---

(١) ابن عبد الحكم: . . . سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٣٤ ، ٣٥ .
(٢) ابن سعد : الطبقات . . جـ ٥ ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ .
(٣) المصدر نفسه

. كان أول ما أنكر من عمر بن عبد العزيز، أنه لما دفن سليمان بن عبد الملك، أتى بدابة سليمان التى كانت له ليركب عليها، فلم يركبها، وركب دابته التى جاء عليها، فدخل القصر، وقد مهدت له فرش سليمان التى كان يجلس عليها فلم يجلس عليها ثم خرج إلى المسجد فصعد المنبر، فحمد الله وأثني عليه ثم قال: «أما بعد: فإنه ليس بعد نبيكم نبى، ولا بعد الكتاب الذى أُنزل عليه كتاب، إلا أن ما أحل الله حلال إلى يوم القيامة، وما حرم الله حرام إلى يوم القيامة، ألا إنى لست بقاض ولكنى منفذ، ألا إنى لست بمبتدع، ولكنى متبع، ألا إنه ليس لأحد أن يطاع فى معصية الله، ألا إنى لست بخيركم، ولكنى رجل منكم غير أن الله جعلنى أثقلكم حملاً»[1] إنها كلمة ممن يقدر المسؤولية حق قدرها، وفيها يبين مدى تمسكه بالكتاب والسنة، واستقامته على دين الله، وتواضعه الجم فى قوله : لست بخيركم ولكنى رجل منكم، ثم إقرار منه بفداحة المسؤولية، وثقل حملها.

**رده للمظالم :**

منذ أن تولى عمر بن العزيز الخلافة لم يتوان فى رد المظالم، فبدأ بأهل بيته، فرد ما كان بأيديهم من المظالم ثم فعل بالناس ما فعل بأهله[2].

**حرصه على تطبيق دعوة الإسلام العملية :**

وقر فى ذهن عمر بن عبد العزيز أن نشر دعوة الإسلام لا تقوم على القول فقط، وإنما لابد مع القول من الفعل العملى، فالدعوة لا يمكن أن تأخذ صورتها الحقيقية إلا إذا نفذت بشقيها: القولى والعملى .

ومن ثم بادر برد المظالم خوف الفتنة لأن الله تعالى قال: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[3] .

وخوفه من قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ﴾ [4].

وخوفه من قوله : ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ [5].

وخوفه من قوله : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ [6].

---

(١) ابن سعد : الطبقات جـ ٥ ص ٢٥٠ ، ٢٥٢ .

(٢) الطبقات : جـ ٥ ص ٢٥١ .

(٣) سورة الأنفال : آية ٢٥ .

(٤) سورة يونس من الآية : ١٣ .

(٥) سورة الكهف من الآية : ٥٩ .

(٦) سورة الزخرف من الآية : ٦٥ . والظلم فى اللغة: مجاوزة الحد، ووضع الشىء فى غير موضعه. وفى الاصطلاح : إيذاء الناس وسلب حقوقهم أو انتقاصهم إياها دون خوف من حساب أو ردع من عقاب.

وخوفه من قوله : ﴿ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾[(١)].

وفي رده للمظالم، رضي الله عنه وإقامته للعدل، وتطبيقه حدود الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحقق الجانب العملي. وما يذيعه من كلمات بين الحين والحين يمثل الجانب اللفظي، ولابد للدعوة ونجاحها من الجانبين القولي والعملي معًا، لأن الله مقت الذين يقولون، ولا يفعلون». بهذا النص: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾[(٢)].

ومن دعوته العملية رضي الله عنه إلى الإسلام تألفه قلوب أهل الذمة، فقد روى أنه أعطى بطريقًا ألف دينار استألفه بها على الإسلام[(٣)]. تحقيقًا لقوله تعالى : ﴿ وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾[(٤)].

كما كتب إلى والي عدن : «أن افتدى الرجل والمرأة، والعبد والذمي[(٥)] «فهو رضي الله عنه يأمر بالحرية لكل من تظله راية الإسلام».

## المبحث الثالث

### معاملته أهل الذمة :

وجد عمر بن العزيز رضي الله عنه أن أقصر طريق يوصل إلى أهل الذمة هو المعاملة الحسنة وإقامة العدل بينهم فهذه هي الوسيلة الصائبة لشرح قلوبهم لدعوة الإسلام.

ومن ثم كتب إلى عماله بشأن الذمي فقال: «إن أسلم، والجزية في كفه فلا تؤخذ منه»[(٦)].

وكتب أيضًا: «في الذمي الذي يسلم قبل السنة بيوم واحد قال: «لا تؤخذ منه الجزية»[(٧)].

كذلك من دعوة عمر... العملية إلى الإسلام أنه كتب إلى ملوك الهند يدعوهم إلى الإسلام والطاعة له على أن تبقى أملاكهم، وإماراتهم بأيديهم، ولهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم، نعم لقد كانت سيرة عمر... ومذهبه في الحكم، والحياة قد بلغت هؤلاء فأسلموا، وتسموا بأسماء العرب[(٨)].

---

(١) سورة الفرقان : من الآية ١٩ .
(٢) سورة الصف : آية ٢ ـ ٣ .
(٣) الطبقات : جـ ٥ ص ٢٥٨ .
(٤) سورة التوبة من الآية : ٦٠ .
(٥) الطبقات : جـ ٥ ص ٢٦٠ .
(٦) ابن سعد : الطبقات جـ ٥ ص ٢٦٠ .
(٧) المصدر السابق ص ٢٦٢ .
(٨) البلاذري : فتوح البلدان ص ٥٤٠، وابن الأثري : الكامل جـ ٥ ص ٥٤ ، ٥٥ .

ولقد شهد عهد عمر بن عبد العزيز حركة تحول نحو الإسلام واسعة النطاق، وقام بحركة حماسية فى نشر الدعوة، وقدم للشعوب كل لون من ألوان الإغراء لقبول الإسلام، فكان لا يبخل على المؤلفة قلوبهم بهبات المال والعطايا(١).

**وفي مصر :**

كتب إليه حيان بن شريح عامله على مصر أن أهل الذمة أسرعوا فى الإسلام وكسروا الجزية، ويستأذنه فى أن يعيد فرض الجزية على من أسلم على الأقل فى ولايته، ويأتيه الرد القاطع:

«... أما بعد فإن الله بعث محمداً ﷺ داعياً ولم يبعثه جابياً، فإذا أتاك كتابى هذا، فإن كل أهل الذمة أسرعوا فى الإسلام، وكسروا الجزية، فاطو كتابك وأقبل»(٢). إنها إجابة حريص على مستقبل الإسلام ودعوته والداخلين فيه.

**كتابه إلى العمال بشأن أمور نهى عنها الشرع :**

وانطلاقاً من حرصه رضي الله عنه على ربط الأمة برباط الشرع وتعاليمه، قال: «بلغنى أن نساءً من أهل السفه يخرجن عند موت الميت منهن ناشرات شعورهن ينحن كفعل أهل الجاهلية، وما رخص للنساء فى وضع خمرهن منذ أمرن أن يضربن بخمرهن على جيوبهن، فتقدموا فى هذا الناحية تقدماً شديداً، وقد كانت هذه الأعاجم تلهو بأشياء زينها الشيطان لهم، فازجر من قبلك من المسلمين عن ذلك فلعمرى لقد حان الوقت أن يتركوا، فإن لم ينتهوا فنكل من أتى ذلك منهم غير متعد فى النكال(٣).

**كتبه في إحياء السنة :**

كان اهتمامه الدائب بإحياء السنة أمرًا من الأمور التى رفعت من مكانة الدعوة، فالسنة هى المصدر الثانى للتشريع، والدعوة لا تتحرك إلا بالقرآن، ـ المصدر الأول لها ـ كما أنها تعتمد على المصدر الثانى للتشريع وهو السنة، ومن هنا كتب الخليفة الراشد كتبه إلى الأمصار يطلب إحياء السنة التى بها تحيا الدعوة، وبها إماتة البدعة(٤). وفى إحياء السنة تذكير للمسلمين بمكانتها و بوصية الرسول ﷺ بأهل الذمة.

---

(١) ابن سعد : الطبقات : جـ ٥ ص ٢٥٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٨٣ ، ودكتور حسن إبراهيم : التاريخ الإسلامى العام ص ٣٠٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٩٠ وانظر للدكتور أحمد الشرباصى : خامس الراشدين جـ ٢ ص ٢٠٧ ط الشعب ١٩٥٩ .

(٤) التاريخ الإسلامى العام ص ٢٧٧ بتصرف . وراجع مسند عمر بن عبد العزيز، **والبدعة** كل ما أحدث بعد النبى ﷺ على أنه دين وشرع بتأويل أو شبهة غير معتد بها، ودليل النهى عن البدعة ما أخرجه الإمام=

**كتابه في التكافل الاجتماعي:**

كتب إلى عماله يقول:

١ ـ من كانت عليه أمانة لا يقدر على أدائها فأعطوه من مال الله.

٢ ـ ومن تزوج امرأة، فلم يقدر أن يسوق إليها صداقها فأعطوه من مال الله[١].

لقد استطاع عمر بن عبد العزيز أن يأخذ الصدقة من حقها، ويعطيها فى حقها، كما أعطى العاملين بقدر عمالتهم عليها مثل ما يعطى مثلهم، وقال: الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أقمت فريضة من فرائض الله[٢] عز وجل.

## المبحث الرابع

### سمات عهد عمر رضي الله عنه:

اتسم عهد عمر بن عبد العزيز بسمتين بارزتين لهما أثر طيب على دعوة الإسلام فى عهده داخل مصر وخارجها، وعلى مستوى أمة الإسلام كلها، هاتان السمتان هما:

**الحق، والعدل:** دعامتان من دعائم الإسلام، بهما قامت السموات والأرض، ومن ثم أشربتهما نفسه، وامتزجتا بروحه ودمه. إذ «بالحق والعدل الأزليين خلق الله السموات والأرض، وبهما فجر الحياة من أعماق التربة، وبعث إلى الوجود حيوات شتى: من نبات، وحيوان، وإنسان، تتحرك كلها وفق مشيئة الله القائمة على الحق والعدل»[٣].

ومن ثم كان انحراف الإنسانية عن النواميس التى يحكم الله بها الأرض والسماء مبعث إرسال الله الرسل والأنبياء إلى الإنسانية ليعيدوها إلى الطريق، وليجعلوا حركتها تنسجم مع حركة الكون القائم على نواميس الحق والعدل[٤].

لكن استجابة الإنسان لدعوة الأنبياء لا تتم أبداً بأن يختار كل منهم أجزاء، وتفاريق من المبادئ والمناهج التى جاء بها رسل الله (عليهم الصلاة والسلام) لأن هذا الاختيار الكيفى، هو

---

= مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أما بعد فإن خيرَ الحديث كتابه الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة». انظر د/ فؤاد مخيمر: «السنة والبدعة» (جـ١ ص ٢٤ ط/ دار الاعتصام ط/ الثانية ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

(١) ابن سعد: الطبقات / جـ ٥ ص ٢٧٦.    (٢) المصدر السابق: جـ ٥ ص ٢٧٧.

(٣) دكتور عماد الدين خليل: ملامح الانقلاب الإسلامى فى خلافة عمر بن عبد العزيز ص ٦١ ط الثانية. الدار العلمية بيروت ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.

(٤) انظر المصدر نفسه.

كالرفض التام، يخلق فوضى غير طبيعية فى حركة الإنسان، ويصده عن الانسجام الكامل مع حركة الكون، والخلائق القائمة على نواميس الحق والعدل، ومن ثم كان من البديهى أن تقوم الدولة الراشدة بالتزام هذا النظام، والحرص عليه من أجل أن تعطى للمسلمين فرصة الانسجام الكامل مع القوانين التى تحكم الأرض والسماء، وكان من البديهى أيضاً أن يحرص كل مسؤول عن هذا النظام الإلهى على أن يبقى محتفظاً بدعامتيه الرئيسيتين : الحق والعدل[١]. وهما من ألزم سلاح دعوة الإسلام.

## متى تؤتي دعوة الإسلام ثمارها ؟

لن تؤتى الدعوة الإسلامية ثمارها المرجوه إلا إذا تمثلت فى نظام واقعى تشرف على تطبيقه وتنفيذه دولة ثابتة الأركان، متكاملة الأجهزة يقف على قمتها حاكم راشد يعرف ـ بتقواه وبصيرته ـ كيف يحيل الشريعة إلى حياة، ويتحمل مسؤولية حماية الحق، والعدل اللذين هما روح الشريعة وغايتها... فكان عمر بن عبد العزيز الذى وقف بإزاء وعى الأمة الإسلامية كلها، إنه واحد من الذين اختارتهم العناية الإلهية ليرشدوا البشرية إلى ما يجب أن يكون عليه المجتمع الذى يؤمن بالله واليوم الأخر[٢]. مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾[٣]. وقوله تعالى : ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾[٤]. وكان من سمات عهد عمر .. أيضاً:

## إلغاء السخرة عن أهل الأرض :

وانطلاقاً من مبدأ الحق والعدل، ألغى عمر بن عبد العزيز السخرة، فهو ينظر مثلاً إلى أهرامات مصر، ويسمع... أن الألوف من العبيد المسخرين أجبروا على إقامتها، وبنائها دون أجر، والسياط التأديبية تلهب ظهورهم لتسوقهم إلى مواقع العمل، وألوف من هؤلاء ماتوا عبر سنين طويلة من الكدح والتعب المرير.. وآخرون فقدوا أيديهم وأرجلهم، فأى ظلم أفظع للأنسان من أن يسخر الإنسان لخدمة ملوكه، وأباطرته؟ وأى ظلم أقسى من أن يموت آلاف الأحياء لكى

(١) المصدر السابق ص ٦١ ، ٦٢ ، ومن أمثلة عمر رضي الله عنه فى العدل ما كتب إليه بعض عماله يقول له : «أما بعد : فإن مدينتنا قد خربت فإن رأى أمير المؤمنين أن يقطع لنا مالاً نرمها به، فعل» فرد عليه عمر : « أما بعد : فقد فهمت كتابك، وما ذكرت أن مدينتك خربت، فإذا قرأت كتابى هذا فحصنها بالعدل، ونق طرقها من الظلم... فإنه مرمّتها والسلام» راجع للدكتور أحمد الشرباصى : خامس الراشدين.. جـ ص ١٣٠ .

(٢) انظر المصدر السابق ص ٦٢ ، ٦٣ .

(٣) سورة البقرة من الآية : ١٤٣ .

(٤) سورة الأعراف : أية ١٨١ .

يدفن جسد ميت فى مكان أمين؟ ويرى عمر ... كذلك تقليداً لهذا الظلم لدى بعض الحكام الذين سبقوه وإن كان بدرجة أخف بكثير، ولكنه يصدر أمره بوضع حد لهذا الظلم(١)، فيقول: «نرى أن توضع السخرة عن أهل الأرض، فإن غايتها أمور يدخل فيها الظلم»(٢).

وضماناً فى إيصال الحق لأهله يقول عمر .. : «ليس لأحد من الأمة إلا وأنا أريد أن أوصل إليه حقه غير كاتب إلىّ فيه، ولا طالبه منى»(٣).

ثم ما يلبث أن يطلق صيحته المدوية فى آذان الأمة وأعصابها كى تفتح أعينها جيداً وتأخذ حذرها من الظلم والظالمين: «إن الرجل الهارب من الإمام الظالم ليس بظالم»(٤).

ويتقدم عمر ... صوب قيم الحق والعدل، فيكتب إلى عماله ألا يهدموا كنيسة، ولا بيعة، ولا بيت نار صولحوا عليه... وألا يجروا الشاة إلى مذبحها، ولا يحدوا الشفرة على رأس الذبيحة(٥). ذلك لأنه مسؤول ... عن الإطاحة بكل ما يومئ بتخويف، أو ظلم لأى من الخلائق، وتحقيق العدل بينهم(٦).

فهو رضي الله عنه ، ما زال يتسمع قول رسول الله ﷺ : «إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتْلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته»(٧).

ومن ثم يصدر أوامره إلى الولايات بمنع استخدام اللجم الثقيلة مع الخيول والبغال، كما منع استخدام المناخس ذات الرؤوس الحديدية، وحدد حمولة البعير بستمائة رطل بعد أن بلغه أن بعضهم يحملونها ما يزيد على الألف رطل مما هو فوق طاقتها(٨). حتى أنه كتب إلى والى مصر يقول: «إنه بلغنى أن بمصر إبلاً نقالات، يحمل على البعير منها ألف رطل.. فإذا أتاك كتابى هذا، فلا أعرفن أنه يحمل على البعير أكثر من ستمائة رطل(٩).

---

(١) انظر ملامح الانقلاب الإسلامى فى خلافة عمر بن عبد العزيز ص ٦٩ ، ٧٠ .
(٢) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز .. ص ٩٧ .
(٣) الندوى : أبو الحسن الندوى : رجال الفكر والدعوة: فصل عمر بن عبد العزيز.
(٤) المصدر نفسه. (٥) الطبرى : تاريخ .. جـ ٦ ص ٥٧٢.
(٦) انظر ملامح الانقلاب الإسلامى فى خلافة عمر بن عبد العزيز ص ٧١ .
(٧) رواه أبو داود، والترمذى والنسائى وابن ماجه، والحديث فى فيض القدير : شرح الجامع الصغير للمناوى جـ ٢ ص ٢٤٥ برقم ١٧٦١ .
(٨) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز .. ص ١٥٩ ـ ١٦٠ .
(٩) دكتور أحمد الشرباصى : خامس الراشدين جـ ١ ص ٥٨ .

ذلك هو مفهوم الحق، والعدل فى شريعة الإسلام ودعوته، وتلك هى آفاق حفيد ابن الخطاب ﷺ البعيدة التى تحتضن كل المخلوقات أحمرها، وأسودها، مسلمها، وذميها، إنسانها الناطق وحيوانها الأعجم[(١)]. إنها دعوة الإسلام في صورتها العملية، وهذا هو الشق الذي تفتقده أمة الإسلام عامة، وأرض الكنانة خاصة في أيامها المعاصرة، بل منذ أن عطلت أحكام الشريعة الإسلامية فيها.

### عمر يتفقد أحوال الرعية :

فى أحد الأيام يخرج بنفسه مع مولاه مزاحم يجوسان خلال القرى، والأرياف يتفقد أخبارها، وهو متخف بزى لا يعرفه فيه أحد كشأنه دائماً عندما يقوم بجولاته تلك، وفى الطريق يلقاهما راكب من أهل المدينة، فيسألانه عن أحوال الناس وما وراءه فيجيب: «إنى تركت المدينة، والظالم بها مقهور، والمظلوم بها منصور» فما يتمالك عمر نفسه من الفرح، والتفت إلى صاحبه قائلاً: «والله لأن تكون البلدان كلها على هذه الصفة أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس»[(٢)].

وما أروع قول القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق وهو يصف عصر عمر بن عبد العزيز : «اليوم ينطق كل من كان لا ينطق»[(٣)].

وتلكم هى قمة سامقة من قمم الحق، والعدل: أن تطلق للكلمة حريتها أن يقول كل إنسان ما يريد قوله، أن يصرخ كل مظلوم بظلامته... أن ينادى كل مغبون بأعلى صوته... أن ينطق كل من كان لا ينطق، ويوم يتاح لكل إنسان فى أمة من الأمم أن يقول ما يشاء فاعلم أنها أمة لا يمكن لأية قوة فى الأرض أن تهزمها، لأن كل فرد فيها يشعر بتوحده الوجدانى والفكرى بين الباطن والظاهر... ويوم تحبس الكلمة فى الصدور، ولا يتاح لها الانطلاق لإحقاق حق أو إشعاعة عدل فى أمة من الأمم فاعلم أنها أمة مهزومة، أمة ستهزم للضربة الأولى التى تأتيها من خارج حدودها، لأن الكلمات، وقد حبست فى الصدور بدأت تحفر وتهدم فى داخل كل إنسان فى فكره وضميره، ووجدانه، وسرعان ما يصيبه التمزق، والازدواج، ويتسع

---

(١) انظر : ملامح الانقلاب الإسلامى فى خلافة عمر بن عبد العزيز ص ٧١ ـ ٧٢ .

(٢) ابن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٣١، وملامح الانقلاب الإسلامى فى خلافة عمر بن عبد العزيز ص ٧١ ـ ٧٢ .

(٣) ابن سعد : الطبقات : جـ ٥ ص ٣٠ .

حتى ليشمل كيان الأمة كلها. فكراً وضميراً، ووجداناً[١].

ما أروع عمر وهو يردد على مسامع الولايات :

«إنما هلك من كان قبلكم بحبسهم الحق حتى يشترى منهم، وبسطهم الظلم حتى يفتدى منهم»[٢] وما أروعه وهو يحض على إعطاء المسلم حقه فيقول: «لم أر شيئاً أعون للمسلم على دينه من إعطائه حقه»[٣].

هنا تتنفس الدعوة، وتنطلق فتعيها الآذان، وتنشرح لها الصدور، وكان من سمات عهده أيضاً :

**تغييره مسار الاقتصاد أمام العالم :**

واستكمالاً لإحقاق الحق والعدل يظهر موقفه من مسار الاقتصاد، لقد فهم أن الله تعالى جعل المال ليكون خادماً للدعوة، والعقيدة، والعبادة وأن المال لا ينبغى أن يطغى الإنسان فيعميه عن الحق والعدل ولكن ليذكره بيوم الدين لقوله تعالى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ ﴾[٤]. فنهى المؤمنين أن تشغلهم الأموال والأولاد بعيداً عن الله لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾[٥].

ومن ثم كان ضياع العقيدة، أو الإهمال فى تبليغ الدعوة يعنى ببساطة أن الإنسان قرر جهلاً وعناداً الانشقاق عن النظام الذى يُسيِّر الكون والعالم.. وما دام اختار العصيان فلابد أن يضل، وأن ينتظر قارعة من العذاب يدمر وجوده، أو تحل قريباً من داره.

كان لهذه الآيات التى يرددها عمر بن عبد العزيز دوى فى كل ما صنعه فى جبهة المال، أو الاقتصاد، هذه الكلمة التى حولها... فى مسارها الصحيح فخدمت الدعوة كما خدمت الناس، فما لنا نجد هذه الكلمة قد أحالها سوء الفهم والوضعية، والانقطاع عن الله إلى عملاق مخيف يجثم على وجود الناس، ويوجههم كما يشاء هو لا كما يشاؤون[٦].

لقد «ظل التقييم الخاطئ للاقتصاد ينمو ويتضخم حتى بلغ الأمر بأصحاب المدرسة المادية إلى القول بأنه الحتمية الوحيدة فى تاريخ البشرية، وأنه هو وحده الذى يتحكم فى صنع

---

(١) انظر ملامح الانقلاب الإسلامى فى خلافة عمر بن عبد العزيز ص ٧٥ .

(٢) ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ... ص ٢٠٧ .

(٣) اليعقوبى : تاريخ جـ ٢ ص ٣٠٦ .

(٤) سورة القصص من الآية : ٧٧ .

(٥) سورة المنافقون من الآية : ٩ .

(٦) انظر ملامح الانقلاب الإسلامى ... ص ١٠٩ +

وجود الناس وتشكيل مصيرهم. أما من يتحكم به (هو) ومن يجعله ينتقل من مرحلة إلى مرحلة، ومن تكوين إلى تكوين، فيقولون: إن (ديناميكية) الذاتية وحركته الجبرية هي التي تنقله عبر هذه المراحل والتكوينات والإنسان ليس إلا سنًا في العجلة الاقتصادية الكبيرة التي تدور وتدور، ومن المحتم أن يدور معها الإنسان سرعة وإبطاء على طبيعة الوجود القائم والروح، والإرادة والتعقل والقيم والأعراف الاجتماعية، والرغبات الشخصية، والطموح السياسي والعرقية أين هي؟ هذه جميعًا ليست سوى نتائج أو صور تعكسها مرآة الاقتصاد التي تحيط بالكون من أقطاره الأربع»[١].

**المناخ الملائم:**

لم تكن خلافة عمر بن عبد العزيز، ودعوته إلا مثلاً من التاريخ المشهود للرد على هذا التقويم الخاطئ، وإنارة الطريق للمتخبطين في الظلمات،المقطوعين عن الله تعالى المتلمسين لزيادة الاقتصاد من المحرمات.. سنتان وخمسة أشهر تمكن من خلالها أن يبين للعالم كيف يتمكن المسؤول الذي يتلقى من الله ويستمد من شريعته، أن يوجه الأشياء والأحداث كما يشاء ، وأن يلوي عنق التاريخ إلى الذي يريد، وأن يضع القيم والموازين لكل الأشياء، والموجودات والفاعليات التي هيأها الله سبحانه للإنسان كي يسعد، ويتطور، وينسجم مع نواميس الكون، لم تكن خلافة عمر... القصيرة سوى صورة حية للإنسان الذي يستمد من الله، فتنفتح رؤاه وتغمر الأنوار طريقه، فيروح ينتقل من مرحلة إلى أخرى[٢].

وإذن فإن عمر كأي حاكم راشد سيعرف الطريق إلى تشكيل النظام الاقتصادي الكفيل بإعادة الحق والعدل إلى نصابهما، وتوزيع الطاقات الكونية المادية على بناء الأمة، بالحق والعدل ونشر السعادة والرفاهية على المجتمع الإسلامي، وفي مثل هذا المناخ تنمو دعوة الإسلام، وتزدهر، وتتفتح أمامها الأبواب الموصدة، فتجد طريقها إلى القلوب[٣].

**بداية التغيير:**

في هذا المجال ـ كما في المجالات الأخرى ـ يبدأ عمر .. من الداخل كأي حاكم راشد:

**أولاً:** من داخل نفسه ووجدانه.

---

(١) المصدر نفسه .. ص ١١٠ ـ ١١١ .
(٢) المصدر نفسه بتصرف.
(٣) راجع: ملامح الانقلاب الإسلامي .. ص ١١٢ بتصرف.

**ثانيًا :** من داخل أهل بيته .

**ثالثًا :** داخل بلاطه.

**بدأ بنفسه،** وأعلن هذا المبدأ «إنه لا ينبغى أن لا أبدأ أبدًا بأول من نفسى»[١] .

فهو القدوة ، ثم يترجم هذا القول إلى فعل وعمل، فلما أراد أهل سليمان بن عبد الملك قسمة مخلفاته فى دار الإمارة قائلين له: هذا لك، وهذا لنا!! فيسألهم عمر ما هذا ؟ وما هذا؟ فيقولون: هذا ما لبس الخليفة السابق من الثياب، ومس من الطيب فهو لولده، وما لم يمس، ولم يلبس فهو للخليفة من بعده، وهو لك، فيجيبهم عمر بن عبد العزيز بالقول الفصل : مـا هذا لى ولا لسليـمـان، ولا لكم، ولكن.. يا مـزاحم ضم هذا كله إلى بيت مـال المسلمين[٢] .

**أمـا أهل بيـتـه،** فكان يقسو على بناته فى المعيشة ويبكى لحالهن ويقول: «يا بناتى ما ينفعكن أن تتعشين الألوان، ويمر بأبيكن إلى النار؟»[٣] .

**أما داخل بلاطه،** فإنه بعد اجتيازه امتحان التجرد الكامل عن الأهواء والاستغلال يشكل الإدارة التى تؤمن بمنهجه، وتنفذ برنامجه الذى استمده من رسول الله ﷺ وصحابته الأجلاء، الذين كانوا يبيتون الليالى الطوال جائعين، ... يشدون الأحجار على بطونهم الخاوية من أجل أن تشبع أمة الإسلام، كانوا فى أيام الضنك والمجاعة لا يأكلون إلا ما يأكله سائر الناس كى يشعروا بشعورهم... ويسرعوا فى إيجاد الحلول لبؤسهم، وضنكهم...

فهذا هو صاحب الدعوة ﷺ يجتاز إحدى طرق المدينة، فتقدم منه بعض الصحابة، مصفرى الوجوه مرهقى الخطوات، وشكوْه الجوع ولكى يؤكدوا له مدى ما فعله بأحشائهم كشفوا له عن بطونهم، فإذا بكل واحد منهم قد شد عليها قطعة من الحجر، يسكت بها جوعة الأحشاء... فيبتسم رسول الله ﷺ ويكشف عن بطنه ، فإذا به قد سبقهم وشد على بطنه قطعتين من الحجارة[٤] .

تنساب هذه الصور فى مخيلة عمر بن عبد العزيز .. فيبدأ التغيير الشامل فى عالم المادة

---

(١) ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١١١ ، وابن سعد : الطبقات جـ ٥ ص ٢٥١ ، ٢٥٢ .

(٢) انظر ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٣٩ ـ ٤٠ .

(٣) انظر : ملامح الانقلاب الإسلامى... ص ٢٩ .

(٤) المصدر السابق ص ١١٣ . . .

من داخل النفس والأهل والبيت والولد، وآنذاك فقط سيتمكن الحاكم المسؤول أن يُعلِّم أجهزة الدولة وإداريها الطريق الذى يجب عليهم أن يسلكوه، لتحقيق العدل، وإلغاء الاضطهاد، والاستغلال إلغاء ومن لم يستجب منهم فإن عمر... سيعرف كيف يفطمه عن الملذات(١) !!

لقد نجح عمر رضي الله عنه فيما فشلت فيه كل المبادئ والنظم التى مشت إلى أهدافها من الخارج، فشلاً ذريعاً، ... وهذا هو الفرق بين النظامين.

النظام الذى ينبثق عن الإسلام، ويستند إلى قيم متغلغلة فى أعماق الوجدان الإنسانى.

وبين النظام الغربى الذى ترسمه عقول وضعية، ونزوات عابرة، ورغبات تافهة فى الظهور والاستعلاء، إن النظام الإسلامى ــ بناء على ذلك ــ سيجد طريقه دائماً إلى الواقع محتفظاً بوحدته، وتفرده دون أن يصاب بالازدواج(٢).

**سياسته العامة:**

هل يكتفى عمر .. باجتياز هذا الامتحان وحده؟ فأين أجهزة الدولة الأخرى فى كل الولايات؟ وماذا سيفعل حزب بنى أمية أو كبار الوظفين ببرنامج عمر؟ إذا لم يجتازوا هم أيضاً طريق التقشف الذى اجتازه عمر؟ إن أجهزة الدولة ستصاب بالتصدع والخلل لو حدث وبقى هؤلاء جميعاً دون أن يجتازوا امتحانهم هذا، وأن برنامج الخليفة سوف لن يجد مجاله الطبيعى ومن ثم كان لابد من التجربة، والذين سيفشلون، سيستبدلون بخامات إيمانية وطاقات مخلصة، فلم يكن عمر إذن ــ كما يقول الندوى «مقتصراً على ذاته، كما يفعل كثير من الزهاد ــ بل كانت سياسته عامة كان يريد أن يطبقها تطبيقاً دقيقاً على الدولة ورجالها(٣).

فكان يطلب من عماله أن يكونوا متورعين فى أموال المسلمين لا ينفقون منها إلا القدر اللازم، وأن يكونوا أشحة على أنفسهم، وكان حريصاً على أن يوفر على المسلمين أموالهم. ويعتقد أن الدرهم دم لا يجوز أن يجرى فى غير عروقهم ، ولا يرى أن يضيع فى (الكماليات) أو (الشكليات)(٤).

«الدرهم دم فلا يجوز أن يجرى فى غير عروقهم»(٥). ذلك هو شعار الخليفة الراشد.

---

(١) المصدر نفسه .
(٢) ملامح الانقلاب ... ص ١١٤ بتصرف.
(٣) أبو الحسن الندوى: رجال الفكر والدعوة فى الإسلام ط الثانية ص ٣٤ .
(٤) نفس المصدر، وملامح الانقلاب الإسلامى .. ص ١١٥ .
(٥) ابن عبد الحكم: .. سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٤٧ .

ومن ثم يبدأ بالأقربين من بنى أمية، أولئك الذين استنزفوا الكثير من أموال الدولة لحسابهم الخاص فيبدأ بهم، ولا تمضى سوى أيام حتى يجد بنو أمية أنفسهم مجردين إلا من حقهم الطبيعى المشروع. فيضجون ضد سياسة عمر هذه ويعلنون معارضتهم الصارمة لها، ويتصدى لهم عمر، ويأتيهم الجواب: «والله لوددت أن لا تبقى فى الأرض مظلمة.. إلا رددتها، على شرط ألا أرد مظلمة إلا سقط لها عضو من أعضائى أجد ألمه!! ثم يعود كما كان حياً!! فإذا لم يبق مظلمة إلا رددتها سالت نفسى عندها»[١] !!

**المبحث الخامس**

**خطواته الخارجية :**

ثم يتوجه عمر ... إلى الجبهة الخارجية إلى عماله وموظفيه والمسؤولين الذين يجب أن يتحملوا مسؤوليتهم كاملة، وألا يستغلوا مناصبهم لحسابهم الشخصى مهما ضؤلت قيمة هذا الاستغلال... ، وأن يتبعوا سياسة التقشف فى إجراءاتهم المختلفة، فيكتب إلى أبى بكر بن عمر واليه على المدينة:

«فإذا جاءك كتابى هذا فأرقّ القلم، واجمع الخط، واجمع الحوائج الكثيرة فى الصحيفة الواحدة، فإنه لا حاجة للمسلمين فى فضل قول أضر بيت مالهم . والسلام عليك»[٢] .

ثم يقول: «لا يحل لعامل تجارة فى سلطانه الذى هو عليه، فإن الأمير متى يتجر ليستأثر ويصيب أموراً فيها عنت، وإن حرص على ألا يفعل»[٣] .

ثم يؤيد ابن خلدون هذه النظرية بعد ثمانية قرون فى مقدمته.. بعد تجارب مستمرة، ودراسة واسعة، ما يصدق فراسة عمر بن عبد العزيز، وكلمته البالغة فيقول: «إن التجارة من السلطان مضرة للرعايا مفسدة للجباية»[٤] .

والبلاد التى يحكمها الأوربيون وهم تجار قبل كل شىء شاهدة بصدق هذه النظرة[٥] .

وبعد أن يخرج إلى عماله بكتاباته، فتجد القبول لديهم، يأمرهم بأمر آخر هو إلغاء

---

(١) ابن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٦٥، وملامح الانقلاب... ص ١٢٠ .

(٢) ابن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٩٩ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة .

(٤) الندوى : رجال الفكر والدعوة .. ص ٣٧ .

السخرة بجميع أنواعها، لأنه ظلم اجتماعي سافر، وطريق للموظفين إلى استغلال كدح أبناء الأمة لحسابهم الخاص[(١)].

**مطاردته للفساد :**

من خلال نظراته المتوثبة ضد الظلم يتلفت حوله فيرى مساحات واسعة من أراضي الدولة ومراعيها قد اغتصبت من قبل أمراء الدولة، وكبار موظفيها فيحطم عمر.. هذا الاحتكار، ويلغي هذا الاغتصاب، ويعيد إلى الأمة حقوقها قائلا:

«ونرى أن الحمى يباح للمسلمين عامة.. وإنما الإمام فيها كرجل من المسلمين، إنما هو الغيث ينزله الله لعباده فهم فيه سواء»[(٢)]!!

إزاء هذه العزمة المخلصة نجد بداية الإصلاح تدب في أوصال الأمة فنراه يعمل: أولاً : على إزالة كل الضرائب المجحفة التي كانت قد فرضت على الأمة الإسلامية من أجل تنمية مواردها دون وجه حق، فيلغي الضرائب اللاشرعية[(٣)].

**أنواع الضرائب الملغاة في عهده :**

**أولاً :** أشار الطبري إلى عدد من هذه الضرائب الملغاة **كالآيين**[(٤)]. **وأجور ضرابي النقود، وهدايا النيروز والمهرجان**[(٥)].

**وأجور الفيوج**[(٦)]. **وأجور البيوت، ودراهم النكاح**[(٧)]. ويصدر في ذلك كله كتاباً توزع نسخه على العمال ليقرؤوه على الناس، مؤكدين إلغاء هذه الضرائب المجحفة.

«من المظالم، والتوابع التي كانت تؤخذ منهم في النيروز، والمهرجان، وثمن الصحف، وأجور الفيوج، وجوائز الرسل... وأرزاق العمال وأنزالهم»[(٨)].

**ثانياً :** إلغاء العشور عن كافة الفئات من غير المزارعين، وحدد دافعي الضرائب من غير

---

(١) انظر ابن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٩٩ .
(٢) المصدر السابق ص ٩٧ وابن سعد : الطبقات/ جـ ٥ ص ٢٨١ .
(٣) ابن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٩٨ .
(٤) الآيين: معناها العادة، والمقصود بها الضرائب على تنوعها.. فلها وزن : الدولة العربية ص ٢٩٣ .
(٥) التي غدت أشبه بالضرائب الإجبارية. الطبري : تاريخ : جـ ٦ ص ٥٦٩ هامش .
(٦) أي رسول السلطان الذي يسعى بالكتب راجع الطبري : تاريخ الرسل والملوك .. جـ ٦ ص ٥٦٩ .
(٧) نفس المصدر .
(٨) ابن عبد الحكم، : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٦٠ .

المسلمين بقطاعات ثلاث: المزارعون، أصحاب الحرث، والتجار، والصناع.

أما المسلمون من التجار والصناع، والحرفيين فليس عليهم أن يؤدوا لبيت المال سوى الزكاة.

أما المزارعون فعليهم أن يدفعوا ـ أيضاً الضريبة العشرية، أو الخراجية، بناء على زمن تملكهم الأرض[١].

**ثالثا :** أسقط المكس :

كذلك وضع عمر المكس عن كل أرض، كما وضع الجزية عن كل مسلم[٢]، وأوضح عمر سبب ذلك بقوله: «أما المكس فإنه البخس الذى نهى الله عنه فقال: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[٣]. غير أنهم أكلوه باسم آخر[٤].

**رابعًا :** أمر برفع الجزية عن أعناق كافة الذين أسلموا حديثاً، والذين لم تشأ السلطات الأموية السابقة أن تسقط عنهم هذه الضريبة حرصاً على الحصول على مزيد من الأموال[٥].

**خامسًا :** أكد على عماله ضرورة اتباع أكثر الأساليب عدلاً فى جباية الضرائب المشروعة، وراح يشدد عليهم فى أن يراعوا ظروف المزارعين، ودافعى الضرائب كيلا يلحقهم أذى أو يصيبهم حيف، وأمرهم بأن يتحلوا بالمرونة الكافية التى تبيح لهم تقليص نسبة الضرائب فى المواسم التى يقل فيها الإنتاج الزراعى بسبب من الأسباب[٦].

ولما كانت مصر ولاية من ولايات الدولة الإسلامية فقد شملها مع غيرها، عدالة عمر ابن عبد العزيز، وذاعت شهرته وحبه للحق وحدبه على توصيله إلى مستحقيه، ففى عام مائة من الهجرة[٧] شكت إليه جارية سوداء تسمى «فرتونة» بأن لها حائطاً قصيراً يقتحم منه عليها فيسرق دجاجها، فأرسل عمر فوراً يخبرها أنه أرسل إلى والى مصر يطلب إليه أن يصلح لها حائطها ويحصّن لها بيتها، وكتب إلى واليه فى مصر أيوب بن شرحبيل : إن فرتونة مولاة ذى أصبح قد كتبت إلىّ تذكر قصر حائطها، وأنه يسرق منه دجاجها وتسأل تحصينه لها. فإذا

---

(١) المصدر السابق ص ٩٨ .
(٢) الطبقات : جـ ٥ ص ٢٥٤ ، ٢٨٣ .
(٣) سورة هود : آية ٨٥ .
(٤) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٩٨، ٩٩، والطبقات جـ ٥ ص ١٨٣ .
(٥) ملامح الانقلاب الإسلامى .. جـ ص ١٢٣ .
(٦) أى منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً.
(٧) دكتور مصطفى السباعى : من روائع حضارتنا ص ٧٢ .

جاءك كتابى هذا فاركب أنت بنفسك إلى الجيزة ليسأل عن فرتونة حتى عثر على محلها فإذا هى سوداء مسكينة فأعلمها بما كتب به أمير المؤمنين وحصن لها بيتها[١]. إن عمر... هنا متأثر بهذه الكلمة التى قالها صاحب الدعوة الأول ﷺ: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»[٢].

**موقفه من الجزية، والخراج:**

لم يقْصر عمر بن عبد العزيز رعايته على المسلمين فحسب، وإنما بلغت رعايته أيضاً أهل الذمة، مما حدا بأحد كتاب النساطرة، بعد أن يضيف كلمات التبجيل إلى اسم الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين كلما عرض لذكرهم، ويستنزل رحمة الله على عمر بن عبد العزيز[٣].

فقد شمل عمر بن عبد العزيز بضمانه الاجتماعى كافة الذميين فرفع الجزية عن الرهبان فى مصر، وألغى الضريبة على أملاك الكنيسة والأساقفة[٤].

وأمر بتوزيع الأموال الفائضة فى بيوت الأموال على الذميين بعد قضاء حاجات المسلمين[٥] فضلاً عن تسليف مزارعيهم لكى يتمكنوا من تنشيط أعمالهم الزراعية[٦].

كما ذكر الليث بن سعد: أن عمر بن عبد العزيز «وضع الجزية عمن أسلم من أهل الذمة من أهل مصر وألحق فى الديوان صلح من أسلم منهم فى عشائر من أسلموا على يديه»[٧]. وكانت تؤخذ قبل ذلك ممن أسلم[٧].

وكان أول من أخذ الجزية ممن أسلم من أهل الذمة... الحجاج بن يوسف، ثم كتب عبد الملك بن مروان إلى عبد العزيز بن مروان ـ والى مصر ـ أن يضع الجزية على من أسلم من أهل الذمة.

فكلمه ابن حجيرة فى ذلك، فقال: أعيذك بالله أيها الأمير أن تكون أول من سن ذلك بمصر فوالله إن أهل الذمة ليتحملون جزية من ترهب منهم فكيف تضعها على من أسلم

---

(١) دكتور مصطفى السباعى: من روائع حضارتنا ص ٧٢.
(٢) كشف الخفاء للعجلونى جـ ٢ ص ٣٨٦ رقم ٢٦١٧.
(٣) انظر توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام.. ص ٤٦٦.
(٤) عبد العزيز الدورى: مقدمة فى التاريخ الاقتصادى العربى ص ٣٣ ـ ٣٤.
(٥) ترتون: أهل الذمة فى الإسلام ص ٢٧٦.
(٦) ابن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٦٨.
(٧) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب ص ٢١٠.

منهم؟ فتركهم عند ذلك[١].

**رفع الجزية:**

**كذلك** جاء عن يزيد بن أبي حبيب كان عمر بن عبد العزيز قد كتب إلى حيان بن شريح أن تضع الجزية عمن أسلم من أهل الذمة، فإن الله تبارك وتعالى قال: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٢]. وقال: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[٣].

**موقفه من الخراج، والمكاييل والموازين:**

أما موقفه من الخراج فقد أصدر أوامره إلى جباته، أن لا يأخذوا من الأهالى من الدراهم ما زاد وزنه على أربعة عشر قيراطاً، وهو ما أمر به من قبل عمر بن الخطاب ﷺ بعد ما رأى عمر بن عبد العزيز أن العمال كانوا يجبون دراهم أثقل وزناً من تلك التى فرضها جده ﷺ مما كان يزيد زيادة فاحشة فى الضرائب المجباة من الأهالى[٤].

ومزيداً من العناية بمراقبة الأسواق أمر بتوحيد المكاييل والموازين، وجعلها موحدة فى أنحاء الدولة الإسلامية[٥].

**الضمان الاجتماعي:**

ثم يتجه عمر إلى تطبيق وتوسيع فكرة الضمان الاجتماعى، بحيث يشمل كافة طبقات الأمة رجالاً ونساءً، أطفالاً وفقراء، عاجزين ومرضى، ومسافرين، مسلمين وغير مسلمين، عرباً وموالى اعتقاداً منه بأن هذا الضمان، الذى شهده عصر الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين أمر ضرورى، إذا ما أريد للعدل الاجتماعى أن يأخذ مجراه، ولذلك فإنه جعل هذا الضمان أكثر عملية، ومن ثم أقر عمر نظام (اللامركزية) فجعل كل ولاية من ولايات الدولة الإسلامية تسعى إلى نوع من الاكتفاء الذاتى فى جمع الضرائب، وتوزيعها على احتياجاتها المحلية[٦]... وتظهر هذه السياسة فى الحوار الذى سجله الطبرى:

---

(١) نفس المصدر.
(٢) سورة التوبة من الآية ٥.
(٣) سورة التوبة من الآية: ٢٩.
(٤) فان فلوتن: السيادة العربية ص ٢٩.
(٥) ابن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز .. ص ٩٨
(٦) انظر: ملامح الانقلاب الإسلامى .. ص ١٢٥.

قال أبو مجلز ـ أحد العمال ـ لعمر: «إنك وضعتنا بمنقطع التراب[١]، فاحمل إلينا الأموال، فقال عمر: يا أبا مجلز قلبت الأمر!! قال يا أمير المؤمنين: أهو لنا أم لك؟ قال: بل هو لكم، إذا قصر خراجكم عن أعطياتكم. قال: فلا أنت تحمله إلينا ولا نحمله إليك، وقد وضعت بعضه على بعض. قال: أحمله إليكم إن شاء الله[٢].

فهو رضي الله عنه لم يلزم أبا مجلز بشيء ما من الضرائب طالما أن أرضه لا تعطى تمراً ولا غلة، وفى الرسالة التالية تتضح هذه السياسة أكثر:

كتب رسالة إلى عقبة بن زرعة الطائى عامله على خراج خراسان يقول له: «إن كان الخراج كفافًا لأعطياتهم فسبيل ذلك، وإلا فاكتب إلى حتى أحمل إليك الأموال فتوفر لهم أعطياتهم». فقام عقبة بإحصاء الخراج فوجده يفضل على أعطياتهم فكتب إلى عمر بذلك، فأجابه عمر: «أن أقسم الفضل فى أهل الحاجة»[٣].

وفى العراق تلقى العمال أمرًا من عمر، برد كافة المظالم إلى أهلها فردوها، وكلف ذلك مالية العراق من أمرها عسرًا، فأسرع عمر يمدهم بالأموال من الشام[٤].

**دعوة الإسلام العملية:**

لقد تحولت الدعوة التى آمن بها عمر.. فى عقله، ولسانه، ويده إلى عمل حقيقى، فكان عمله خير دليل على صدق دعوة الإسلام، ورسالته، وأنها للدين والدنيا معًا.

ومن ثم تشدد عمر... فى جمع أموال الزكاة، باعتبارها الضريبة الأساسية المفروضة على المسلمين وأنها حق الفقراء، والمشردين، والمستبعدين، والمنقطعين، والعاطلين، التى لا يجوز التهاون فيها أبدًا[٥].

واهتم بتوزيعها على مستحقيها، باحثًا عنهم فى كل مكان، موزعًا جباته فى كل الأقاليم، فإذا لم يجدوا فقراء يشترون بهذه الأموال رقاب المستعبدين، ويعتقدونها[٦].

---

(١) أى فى منطقة جرداء قليلة المحصول. راجع الطبرى جـ ٦ ص ٥٧٠.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر السابق جـ ٦ ص ٥٦٨ ـ ٥٦٩.
(٤) ابن سعد: الطبقات.. جـ ٥ ص ٢٥٢.
(٥) ابن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٩٥، ٩٦.
(٦) المصدر السابق ص ٦٩، ١٢٤، ١٢٥، وانظر الطبرى: جـ ٦ ص ٥٦٩.

**مكانة الرجل في عهد عمر :**

كان عمال عمر يقولون له : إنا نجد الرجل له المسكن، والخادم، وله الفرس، وله الأثاث في بيته، فكتب إليهم الخليفة لابد للرجل من المسلمين من مسكن يأوى إليه رأسه، وخادم يكفيه مهنته، وفرس يجاهد عليه عدوه، وأثاث في بيته، ومع ذلك فهو غارم!! فاقضوا عنه ما يمكنه من الدين[١] .

ومع كل هذه الأعمال العظيمة التى تفتخر بها أى أمة من الأمم، التى قام، أو يقوم فيها مثل هذا الخليفة العادل، والذى لم نجد له قريناً فى أمة غير أمة الإسلام، فإنه لم يسلم من النقد!!. كأنما يعز علي البعض أن يروا الحق مطبقاً بين الناس، أو لعل غيظهم من عمر .. انتشار الإسلام فى خلافته فسارعوا إلى نقده.

**المبحث السادس**

**أقوال النقاد عنه والرد عليهم:**

ترى هل ألحقَ عمر بن عبد العزيز.. بسياسته السخية هذه على الجماهير الذين أعطاهم حقوقهم، وخدم دعوة الإسلام خدمة جليلة، ففتح القلوب لها؟ هل أدى عمله هذا أذى ببيت المال؟ أو أصاب خزينة الدولة بعجز مريع، وكسر لا يجبر؟ أم أنه أعاد «المالية» إلى ما يجب أن تكون عليه؟ وأحدث توازناً مكيناً بين موارد الدولة ومصارفها؟ الوضعيون[٢] ، والعلمانيون[٣] ليس بمستطاعهم تصور أن عالمَ الاقتصاد يمكن أن تحكمه القيم والمثاليات، وإلا تعرض للتصدع والانهيار.. إنهم يعتقدون أساساً أن تضحية كهذه بمصالح الخزينة المركزية لصالح جماهير الأمة وإلغاء كهذا لكثير من الضرائب التى كانت تشكل موارد دفاقة تصب فى بيت المال من أجل نشر الدعوة، ورفع شعار (الهداية لا الجباية) لا يمكن إلا أن ينتج اختلالاً فى السياسة المالية وتقلصاً مريعاً فى موارد الدولة، ومن ثم عجز تام إزاء ما يستجد من حاجات[٤] .

وهذا الاعتراض كما يقول الندوى : «هو حجة الثائرين على الدين والمعارضين لتطبيق

(١) ابن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٦٤ .
(٢) الوَضْعِيَّة: مذهب «أجست كونت» وهو ينكر الميتافيزيقا: أى ما وراء الطبيعة ويقيم المعرفة على الوقائع والتجربة. المعجم الوسيط مادة : وضع.
(٣) العَلمَانى : بفتح العين نسبة إلي العَلْم بفتح العين بمعني العالَم بفتح اللام وهو خلاف الدينى أو الكهنوتى. المعجم الوسيط مادة : علمه.
(٤) انظر : ملامح الانقلاب ص ١٣٢ .

الأحكام الإسلامية على النظم والحكومات، والدعاة إلى فصل الدين عن السياسة فى كل مكان»(٥).

مما حدا ببعض المستشرقين أن يعبر بوضوح عن وجهة النظر الوضعية العلمانية هذه فيقول: «لا ريب فى أن سياسة عمر بن عبد العزيز لم توقظ إلا آمالاً لم تستطع الحكومة تحقيقها، فقد كانت الحال تتطلب علاجاً آخر غير تلك السياسة التى سار عليها عمر بن عبد العزيز(!!) ففى العراق أنضبت الأعطيات السنوية بيت المال بعد أن تأثرت موارده تأثراً محسوساً من جراء إلغاء الجزية فى خراسان، وهكذا أعقبت تلك الفوضى فى الشؤون المالية بعد موت عمر بن عبد العزيز سياسة خراجية أقسى ما تكون جوراً وعسفاً»(٢).!!

وفى مكان آخر يقول فان فلوتن أيضا: «لم تكن غلطة عمر بن عبد العزيز سوى رجعيته، ومحافظته الدينية وتمسكه الشديد بالنظام الذى سنه عمر بن الخطاب الذى كان يقتفى أثره لما كان يكنه له فى أعماق نفسه من الاحترام، والإكبار، والذى لم يكن إلا صورة صادقة منه، رغم ما كانت تتطلبه الحالة من العدول عن ذلك النظام عدولا تاما (٣) !!». وهذه الشبهات يضعها الكارهون للإسلام عقبات مثبطة لعزيمة أي حاكم مسلم يريد أن يتجه ببلاده نحو الإسلام، وإحياء دعوته والعمل بشريعته.

والرد على مثل هذه الشبهات يتناول الآتى:

أ ـ صحيح أن عمر بن عبد العزيز رفع شعار الهداية لا الجباية، وسد كثيرا من موارد الدولة غير المشروعة، وأنفق بسخاء على جماهير المسلمين وكتب إلى عامل له، تخوف من سوء عاقبة انتشار الإسلام فى أهل الذمّة «أنه يسره أن يحرث الأرض، ويأكل من عمل يده، إذا أسلم أهل الذمة كلهم، فتنقطع الجزية، وتعجز مالية الدولة عن كفالته» (٤).

ب ـ من يدقق فى سيرة عمر..لا يسعه إلا أن يقول:

«إن الخليفة لم يرتجل أبدا خطوة خطاها فى يوم من الأيام، إنه ـ كمسئول عن دولة فضلا عن كونه مسؤولا عن أمة ـ كان يحسب حسابا لكل خطوة يخطوها، ويضع الضمانات، والممهدات لكل سياسة يعتزم تنفيذها إنه كخليفة راشد ذكى، حاد البصيرة يعرف يقينا أن ارتجالا كهذا سوف يعرض مصالح الدولة، بل وجودها ذاته للخطر» (٤).ومن ثم اتبع

(١) الندوى : رجال الفكر والدعوة ص ٤٩ ، وملامح الانقلاب... ص ١٣٢ .
(٢) فان فلوتن:السياسة العربية..ص ٥٨ . (٣) المصدر السابق..ص ٥٩ .
(٤) الندوى:رجال الفكر والدعوة..ص ٤٩ . (٥) ملامح الانقلاب..ص ١٣٣، ١٣٤ .

الخطوات التالية التي أرسى بها سياسته الرشيدة:

**أولا:** فتح باب التجارة الحرة فى البر والبحر وأعلن «أما البحر فإنا نرى سبيله سبيل البر».

﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ ﴾ (١).

فأذن فيه أن يتجر فيه من شاء، ورأى ألا يحول بين أحد من الناس وبينه، فإن البر والبحر لله جميعا سخرها لعباده يبتغون فيهما من فضله فكيف نحول بين عباد الله وبين معاشهم؟(٢).

فعن طريق حرية التجارة...استطاع أن يفتح مجالا حيويا للتنمية والثروة، والدخل القومى، ورفع مستوى المعيشة، كما وجدت البضائع رخيصة الثمن (٣).

**ثانيا:** على الرغم من الغائه ضرائب المكوس، والتى تجمع الدولة منها دخلا ثابتا، إلا أن الدولة كانت تعتمد على طريق آخر لجنى ثمار هذه السياسة **الزكاة** تلك الضريبة التى لم يتهاون عمر..فى جبايتها وتنظيمها، وتوزيعها، وفق ما أمر الله به ورسوله، وقد جاء فى إحدى تأكيدات عمر عنها:«إن الله فرضها وسمى أهلها..، فتؤخذ، لا يحابى بها قريب، ولا يمنعها أهلها، ثم تجعل إلى مرضيين من أهل الإسلام، فيجعلونها حيث أمرهم الله، يحملهم الإمام من ذلك على ما حمل ...» (٤) ومقدار الـ (٢,٥ ٪) من أصل رأس المال يشكل دخلا لا بأس به فى مجتمع يسوده النشاط التجارى، والتنمية المستمرة للثروة.ولم تكن ضريبة الزكاة هذه تجبى ارتجالا، وإنما كان لها عمالها، وأجهزتها الدقيقة، مما كان له أثر أكيد فى رفع مستوى الطبقات الفقيرة (٥).

**ثالثا:** عمل عمر..على اتباع سياسة زراعية سليمة، فيشير إلى عماله بالاهتمام بالإصلاح والإعمار وإحياء الأراضى، وإقامة المشاريع، التى تسبق فترة الجباية يتضح هذا من كتاب له إلى عامله على الكوفة: «لا تحمل خرابا على عامر، ولا عامرا على خراب، انظر إصلاح الأرض الخراب فخذ منه ما أطاق وأصلحه حتى يعمر، ولا يؤخذ من العامر إلا وظيفة الخراج فى رفق وتسكين لأهل الأرض» (٦).

---

(١) سورة الجاثية من الآية:١٢ . (٢) ابن عبد الحكم:..سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٩١، ٩٤، ٩٨ .

(٣) انظر:ملاح الانقلاب..ص ١٣٥ .

(٤) انظر ابن سعد:الطبقات جـ٥ ص ٢٧٧ ، وملامح الانقلاب ص ٩٦، ٩٧ .

(٥) ملامح الانقلاب..ص ١٣٥ . (٦) الطبرى:جـ١ ص ٥٦٩ .

ثم يرسل كتابا آخر، إلى أحد عماله يطلب منه أن يعتمد على ماليه من فائض فى تقديم سلف نقدية لمزارعى أهل الذمة، كى يتقووا على أعمالهم الزراعية [١].

كما أمر عمر بنى أمية أن يقيموا فى ضياعهم ويعملوا على إصلاحها، ومن ثم فإن حصافة عمر جعلته يلقى ثقلا كبيرا على ضريبة الخراج، ولا يتهاون بأى شكل من الأشكال إزاء أولئك الذين تخلو عن دفع هذه الضريبة من بنى أمية أو المقربين إليهم [٢]، خاصة، ومن العرب عامة وأعلن أن أرض الخراج هى فى الأصل ملك مشترك بين المسلمين، ولكنها تركت بأيدى المغلوبين لقاء مبلغ يدفعونه للأمة الإسلامية وهو الخراج، ولذلك فلا يجوز لأى شخص إبطال هذا الايجار، فإذا أصبحت الأرض الخراجية فى ملك مسلم فعليه أن يؤدى عنها حق الإيجار، وهو الخراج، وإذا أسلم ذمى أعفى من الجزية، وله أمواله المنقولة، أما أرضه فإمّا أن يدفع عنها الخراج، أو يتركها لغيره [٣].

**سَنَةُ التطبيق، ومقدار الجزية:**

اعتبر عمر سنة مائة هجرية نقطة البدء فى تطبيق قراره [٤]. كما جعل حد الجزية الأدنى عشرة دنانير للقادرين [٥].

**رابعا:** هدى عمر – رضى الله عنه – إلى طريقة تحفظ له مالية الدولة من الضياع، كانت الحكومات السابقة تستنفذها فى القضاء على الفتن، والمنازعات الداخلية والحروب، فإن أية حكومة سابقة كانت – على سبيل المثال – ستشهر السيف فى وجه ثورة الخوارج التى قادها بسطام اليشكري (شوذب) وعلى الرغم من أنها ستضمن النصر لتفوق قوتها على قوة الخوارج إلا أن ذلك كان سيكلفها الكثير من نفقات الحرب..الخ ولكن عمر لجأ إلى الأسلوب السلمى تجاه الخوارج وفّر على الدولة مبالغ كبيرة..وبهذا الأسلوب الأمثل استطاع عمر أن يتفرغ لميدان الدعوة والعقيدة واستطاع بهما أن يوحد الأمة الإسلامية بمختلف كتلها وأحزابها، ويبعدها عن استنفاد طاقاتها فى الصراع الداخلى، وأغلب الظن أن إيقاف مصروف

---

(١) ابن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٦٨ . وهوامشها.

(٢) ابن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٦٤، ١٦٥ .

(٣) ملامح الانقلاب الاسلامى..ص١٣٦ .

(٤) عبد العزيز الدورى: دراسات ..ص ٣٣، ٣٤، وابن عبد الحكم سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٩٤، ٩٩ .

(٥) ملامح الانقلاب الإسلامى..ص١٣٧ . (٦) المصدر نفسه .

ضخم كهذا لم يكن ليقل حجمه عن المورد الذى كانت الدولة تستمد منه من عمليات الفتح، والتوسع [١].

**خامسا:** أوقف عمر بشكل جاد كل أعمال الابتزاز التى كان يتعرض لها بيت مال المسلمين ابتداء من الخليفة وحتى صغار الجباة...أما الآن فقد غدا بيت المال سواء فى المركز، أو الولايات، محاطا بأيدى أمينة تحرسه وتسهر عليه، وتقطع الأيدى التى تحاول أن تمتد إليه لتختلس منه بليل، إن هذا الحرص، وهذه الحماية تفسر لنا، فضلا عن العوامل الأخرى ذلك التوازن العجيب بين موارد الدولة ومصارفها الكثيرة [٢].

وقد أشار (فلهاوزن) عن موقف عمر قائلا:«عنى عمر بالحيلولة بين الولاة، وبين أن يكون همهم الأول من مناصبهم جمع الأموال لأنفسهم والأغلب أن ذلك عوّض النفقات التى اقتضتها إصلاحاته ضعفين [٣] !!».

**سادسا:** لم يكتف عمر..بإحاطة بيوت الأموال بهذه الحماية كلها، بل أعاد تنظيمها فنّياً بشكل يتيح للموارد أن تنأى عن الفوضى والاضطراب، والتداخل فجعل لكل من الخمس، والصدقة، والفيء، بيوت أموال خاصة بها منفصلا بعضها عن بعض [٤].

**سابعا:** أوجد عمر بوقفه للفتن والمنازعات والعصبيات القبلية والحروب واجتثاثه كل أنواع الظلم من جذورها مناخا رائعا من الأمن والاستقرار، هيأ لأفراد المجتمع الإسلامى بكافة فئاته العمل المستمر المطمئن النشيط [٥].

**النتيجة:**

أنه لم يمض سوى وقت قصير على تطبيق هذا البرنامج الاقتصادى العادل المتزن، حتى وجد المسلمون أنفسهم فى رفاهية تعم الجميع، وتجد الدولة أن ماليتها قد استندت إلى موارد نامية متطورة مضمونة.

«واطمأن الناس فى كل رقعة من رقع هذه المملكة الواسعة حتى عزّ وجود من يستحق الزكاة، ويقبلها، وأصبحت هذه مشكلة الأغنياء وأصحاب الأموال تتطلب حلا سريعا» [٦].

---

(١) ملامح الانقلاب الاسلامى..ص١٣٨ بتصرف.
(٢) المصدر السابق ص ١٣٩ .
(٣) الدولة العربية...ص٢٩٦ .
(٤) ابن سعد:الطبقات..جـ٥ ص ٢٩٥ .
(٥) ملامح الانقلاب الاسلامى....ص١٣٩ .
(٦) الندوى:رجال الفكر الدعوة ص ٤٤٩ .

وها هو **يحيى بن سعيد** عامل الدولة على صدقات (الزكاة) أفريقية يقول: «بعثني عمر بن عبد العزيز على صدقات أفريقية، فاقتضيتها، وطلبت فقراء نعطيها لهم فلم نجد بها فقيرا، ولم نجد من يأخذها مني فقد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس، فاشتريت بها رقابا فأعتقتهم، وولاؤهم للمسلمين» [١].

وهذا هو أحد أحفاد زيد بن الخطاب يعلن: «إنما ولي عمر بن عبد العزيز سنتين ونصفا، فذلك ثلاثون شهرا، فما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول: اجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء، فما يبرح حتى يرجع بماله يتذكر من يضعه فيهم فما يجده، فيرجع بماله، قد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس» [٢].

وهذه شهادات علماء المسلمين ومؤرخيهم ترد على الشبه الطائشة المغرضة ضد حفيد ابن الخطاب قال **الحافظ بن كثير**: كان منادي عمر ينادي كل يوم: أين الغارمون؟ أين الناكحون؟ أين المساكين؟ أين اليتامى؟ حتى أغنى كلا من هؤلاء [٣].

وقال الإمام السيوطي: قال عمر بن أسيد: والله ما مات عمر حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم، فيقول: اجعلوا هذا حيث ترون فما يبرح حتى يرجع بماله كله قد أغنى عمر الناس[٤].

وقال ابن سعد: أخرج عمر ثلاث أعطيات لأهل المدينة في سنتين وخمسة أشهر[٥].

وقال ابن الجوزي: قدم على عمر بعض أهل المدينة فجعل يسأل: ما فعل المساكين الذين يجلسون في مكان كذا وكذا..فأجابوه: قاموا منه يا أمير المؤمنين، وأغناهم الله، وكان من أولئك المساكين من يبيع الحطب للمسافرين، فالتمس ذلك منهم بعد فقالوا: قد أغناهم الله عن بيعه بما يعطينا عمر بن عبد العزيز [٦].

**شهادة الأجانب لعمر بن عبد العزيز:**

**منهم: فلهاوزن** الذي يقول: أما ما يزعمه البعض (مثل موللر) من أن أموال الدولة في عهد عمر بن عبد العزيز قد تلاشت، كما يزول الشيء بإشارة سحرية، وأن ما يتحصل من

(١) ابن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٦٩ . (٢) المصدر السابق ص ١٢٤، ١٢٥ .
(٣) البداية والنهاية جـ٩ ص ٢٠٠ . (٤) تاريخ الخلفاء ص ١٥٦ .
(٥) ابن سعد: الطبقات جـ٥ ص ٢٢٥ .
(٦) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٧٦، ٧٧، وملامح الانقلاب الاسلامي..ص ١٤١، ١٤٢ .

الخراج، قد انحط دفعة واحدة، فإنى لا أريد هنا أن أتعرض للكلام فيما إذا كان ذلك الزعم أكثر من أن يكون نتيجة خطأ، ولكنه على كل حال زعم لا يمكن أن يكون صحيحا بوجه من الوجوه. وذلك أن الأحوال المالية كانت سيئة فى الأيام المضطربة لعهد كل من عبد الملك، والحجاج أما فى عهد عمر فقد عادت إلى حالة الصحة [١].

ثم أليس من الكذب الذى يخجل منه الأميون ـ فضلا عن العلماء المؤرخين ـ أن يأتى مستشرق متخصص ـ كفان فلوتن ـ فيلقى نظرة جانبية مبتورة، ومتعمدة على بعض وقائع التاريخ، ويصدر حكمه بأن سياسة عمر بن عبد العزيز المالية هذه لم تكن سوى (غلطة)! ارتكبها بدافع من رجعيته، ومحافظته الدينية، وتمسكه الشديد بالنظام الذى سنه عمر بن الخطاب، وأن الحال كانت تحتاج علاجا آخر غير تلك السياسة التى سار عليها عمر بن الخطاب [٣]، ومن ثم فلا يفهم لهذا الكذب، وهذا الالتواء فى فحص النصوص التاريخية إلا الدافع الذى عودنا المستشرقون عليه فى جُل أعمالهم: التعصب ضد الإسلام ومبادئه، وقادته، ودعوته، ودوله، وحضارته، والعمل الدائب ـ على حساب التاريخ والحقيقة ـ لصرف أذهان المسلمين عن أية دعوة ترى فى شد الوقائع واليوميات إلى القيم والأهداف التى طرحها القرآن والسنة.

الطريق الوحيد للخلاص ـ لأن أية دعوة كهذه ستجابه ـ كما يؤكد المستشرقون بالفشل ذاته الذى شهدته محاولة عمر بن عبد العزيز [٤]!!.

يقول: فلهاوزن: كان إصلاح الناحية المالية أول ما اتجهت إليه همة عمر، ولكن ليس من السهل أن نتبين بوضوح نوع إصلاحاته فى ميدان نظام الخراج، والآراء التى جاء بها فى هذا الشأن (الفرد فون كريمر) وتابعه أوجست موللر مشوبة بأخطاء حقيقية [٥].

ما الذى يقوله كريمر، ويتابعه موللر؟

إنهما يقولان: إن ذهن عمر بن عبد العزيز كان «بحكم سلطان الدين عليه بعيدا عن كل إدراك لما تقتضيه الحكمة السياسية، وأنه وإن كان لا يمكن النزاع فى أن بعض ما وضعه من نظم قد أدى إلى تقوية روح الإسلام فى ذاته تقوية كبيرة، فإن كل ما فعله يكاد يكون قد

---

(١) الدولة العربية ص ٢٩٦، وملامح الانقلاب..ص ١٤٣.
(٢) راجع: ملامح الانقلاب...ص١٤٤.
(٣) ملامح الانقلاب الإسلامى..ص ١٤٤،١٤٥.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) الدولة العربية..ص ٢٦٣.

ساعد فى الجملة على إفساد نظام الدولة من أساسه، بعد أن كانت قد أصبحت دولة دنيوية، والرومان وهم أكفأ الشعوب التى عرفها التاريخ فى مسائل السياسة الكبيرة، إنما قرروا المبدأ الذى قرروه عن علم، وهو أنه لا دولة يمكن أن تعيش إلا بالوسائل التى أدت إلى قيامها»[١]!!

ثم يستمر موللر فى نقده، نقلاً عن كريمر فيقول :

«لكن عمر، وهو الخليفة الورع. كان متأثرًا بمبادئ حاشيته الدينية إلى حد أنه لم يقم حتى بمحاولة اصطناع شيء من العقل عند تطبيق ما فى القرآن من مبادئ كبرى على أحوال هذه الدنيا الناقصة، وكان تفكيره الساذج يقول له : إن الله يريد كذا وكذا، وأنه إذا كان الله يريد ذلك فمن الممكن تنفيذه»[٢]!!

ثم يظل موللر فى هجومه قائلاً: «... وإلى جانب هذه الإجراءات التى أضرّت ببيت المال أكبر الضرر، جاء أمر آخر أصدره عمر، وقد أوحى به إليه إحساس إنسانى بالعدالة لكن لم يكن موفقًا من ناحية عملية، وهو يقضى برد جميع الأموال التى ابتزت من الرعايا ظلمًا إلى أصحابها، ولا نعرف إن كان هذا قد وقع مقصورًا على أموال فردية، ولكن أكثر العمال خيانة ما كان يستطيع أن يتمنى فرصة أكثر مواتاة من هذه الفرصة لانتهاب الخزانة من غير أن يناله عقاب»[٢]!!

أهذا معقول؟ حتى أكثر الإجراءات التصاقًا بمفهوم العدل الاجتماعى يفسرها موللر على أنها فرصة مواتية للعمال الخونة فى انتهاب الخزانة دون أن ينالهم عقاب فهل سبق لنا ـ بعد أن رأينا برامج عمر .. الإدارية والاقتصادية ـ دليلاً واحدًا على هذا الانتهاب من قِبل العمال[٣]؟

إن عمر بن عبد العزيز عنى عناية كبرى بالحيلولة بين الولاة وبين أن يكون همهم الأول من مناصبهم جمع الأموال لأنفسهم، والأغلب أن عمر عوّض النفقات التى اقتضتها إصلاحاته ضعفين[٤].

(١) نقلا عن ملامح الانقلاب الإسلامى ... ص ١٤٥ .

(٢) فلهاوزن : الدولة العربية هامش ١ ص ٢٦٣ ، وما بعدها نقلاً عن كتاب موللر: (تاريخ الإسلام فى الشرق والغرب) جـ ١ ص ٤٣٩ ، وما بعدها والذى نقله بتصرف عن كتاب فون كريمر المسمى (تاريخ حضارة المشرق) جـ ١ ص ١٧٤ وما بعدها، نقلاً عن ملامح الانقلاب الإسلامى..ص ١٤٦ .

(٣) انظر ملامح الانقلاب الإسلامى ... ص ١٤٦ ـ ١٤٧ .

(٤) راجع ما سبق لترى رأى موللر .. وموقف عمر من بنى أمية .

ومهما يكن الأمر فإن الاهتمام بالشؤون المالية ليس هو كل ما يعنى الدولة(!!)، ومن ذا الذى يكون عنده من الجرأة ما ينكر على عمر أنه أسقط عن البربر جزية الأبناء ـ فقد كانوا يقدمون أبناءهم على سبيل الجزية ـ وأنه خفف العبء عن نصارى نجران، وأنه عمل على حماية الرعية من العمال، وأنه حرص على أن لا تكون إدارة الأمصار مجرد وسيلة لاستغلالها استغلالاً مالياً[١].

وينضم إلى المهاجمين على سياسة عمر المالية (دوزي) إذ يقول:

«تدهور ـ دخل الخزينة ـ أكثر زمن الخليفة الورع عمر بن عبد العزيز الذى لم يبال بالأمر[٢]!! حتى لقد بعث إليه أحد جباته رسالة يقول له فيها: لو استمر الأمر على هذا المنوال طويلاً فى مصر لجب الذمّيون ديانتهم، ولأسلموا وقل الخراج فى بيت المال، فأجابه عمر: «وددت لو أسلموا، فما بعث الله نبيه ﷺ جابياً ولكن هادياً»[٣].

أما الرد على أن القاعدة التى تمخضت عنها الحكمة الرومانية التى تقول: إن أية دولة لا يمكن أن تعيش إلا بالوسائل التى اعتمدت عليها فى قيامها. هذه القاعدة التى يسوقها موللر فى أخذه على عمر وانحرافه عن سنة سلفه من خلفاء بنى أمية، فهى قاعدة يمكن أيضاً أن تذكر فى معرض النقد لخلفاء بنى أمية أنفسهم.

ذلك أن حكومتهم، لم تكن بأى حال من الأحوال سائرة على سنة حكومة النبى ﷺ وأصحابه وهى وإن كانت قد أرادت أن تتمسك بالإسلام، وما كان يمكنها أن تتنكر له فإن الإسلام لم يكن من شأنه أن يؤيدها، بل أن يقوض الأساس الذى قامت عليه[٤].

ويختم فلهاوزن مناقشته قائلاً: «.. ولا يمكن التكهن بما كان عمر بن عبد العزيز سيحقق من أعمال لأن خلافته لم تدم إلا نحو عامين ونصف..»[٥] وفى مصر نجد مظاهر التغيير متمثلة فيمن ولاهم عمر بن عبد العزيز لتحقيق برنامجه الذى ينشده فى أرض الكنانة،

---

(١) فلهاوزن: الدولة العربية ص ٣٩٦.
(٢) دوزى تاريخ مسلمى أسبانيا جـ ١ ص ١٣٨.
(٣) ملامح الانقلاب الإسلامى .. ص ١٤٩. ثم انظر آراء فان فلوتن فيما سبق لترى اتفاقهما على تشويه الإسلام، المصدر السابق ص ١٤٩ هامش ١٢٢.
(٤) الدولة العربية ص ٢٩٦ ـ ١٩٧.
(٥) المصدر السابق ص ٣٠١، وملامح الانقلاب الإسلامى .. ص ١٥٠.

كالوالي: أيوب بن شرحبيل بن أبرهة بن الصباح[١]، ومن عمال الخراج حيان بن شريح، ومن القضاة عبد الله بن يزيد[٢].

**حرص عمر على حماية المسلمين واعتماده على الكفاءات من غير الحزب الحاكم:**

لم تقف هذه الإجراءات الإدارية عند طبقة الولاة بل تعدتها إلى كافة الطبقات: قضاة، كتابًا، وقادة حرب، وعمال خراج، وصدقات، وقادة شرطة، وحجابًا، وحرس وأصحاب خاتم[٣].

وكان عمر .. يعتمد على أكثر العناصر كفاءة، وعلمًا، وإيمانًا، وقبولاً لدى جماهير المسلمين. ولم يلزم نفسه أبدًا بانتقاء العناصر الإدارية من حزب بني أمية الحاكم، على الرغم من وجود كفاءات إدارية في بعضهم، لكنه رغب في كسر الاحتكار الاداري وتحطيم البيروقراطية الأموية، والانفتاح على الصفوة من أبناء الأمة عربًا وموالي[٤].

وعن تأكيد هذا الالتزام، يدور الحوار بين عمر، وبين أشراف بني أمية، كما يسرده الإمام الأوزاعي[٥]: قال عمر لهؤلاء الأشراف يومًا: أتحبون أن أولي كل رجل منكم جندًا؟ فأجابه أحدهم: لم تعرض علينا ما نفعله؟! فقال عمر: أترون بساطي هذا؟ إني لأعلم أنه يصير إلى بلاء وفناء، وإني أكره أن تدنسوه بأرجلكم، فكيف أوليكم ديني؟ أوليكم أعراض المسلمين وأبشارهم؟ هيهات لكم هيهات!! فقالوا له: لِمَ؟ أما لنا قرابة؟ أما لنا حق؟ أجاب عمر: ما

---

(١) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة من خياط جـ١ ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠، والطبري جـ١ ص ٥٥٤، ٥٥٦.
(٢) انظر: مصر في فجر الإسلام ص ٣٦٨ وما بعدها.
(٣) خليفة بن خياط: تاريخ.. جـ١ ص ٣٣١ ـ ٣٣٢، والطبري جـ٦ ص ٥٥٤، ٥٥٨، ٥٦٠، ٥٦١.
(٤) انظر ملامح انقلاب الإسلام.. ص ١٥٦.
(٥) هو: إمام أهل الشام كان يسكن دمشق، قال أبو زرعة: الرازي عبيد الله بن عبد الكريم أصله من سبي السند في بني أوزاع بن مرثد بطن في اليمن فنسب إليهم قال النووي: قد انعقد الإجماع على إمامته وعلو مرتبته وكمال فضيلته..، وورعه، وكثرة حديثه وفقهه وفصاحته واتباعه للسنة. روى عن كبار التابعين مثل عطاء بن أبي رباح ومحمد بن سيرين، ومكحول الشامي وغيرهم.. قال إسحاق بن راهويه: إذا اجتمع الأوزاعي والثوري ومالك على الأمر فهو سنة.
وقال ابن سعد: كان ثقة مأمونًا فاضلاً خيرًا..، وعلى مذهبه كان أهل الأندلس أولاً ثم انتشر مذهب الإمام مالك بعد المائتين زمن بني أمية، ولد ببعلبك سنة (٨٨) ثمان وثمانين وتوفي سنة (١٥٧) سبع وخمسين ومائة. انظر ترجمة الأوزاعي في «حلية الأولياء» (٦ / ١٣٥)، و«تهذيب الأسماء» للنووي (١ / ٢٩٨)، و«تهذيب التهذيب» (٦ / ٢٣٨). راجع الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي تأليف محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي (جـ ص ٣٦٧) تخريج وتعليق عبد العزيز عبد الفتاح القارىء الناشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة (النمنكاني).

أنتم، وأقصى رجل من المسلمين عندى فى الأمر إلا سواء[١] !!.

لقد أخذ عمر على عاتقه تحقيق أمرين ولو تخطفته الذئاب:

التقوى والكفاءة، حتى أنه - رضى الله عنه - صرف عمال من كان قبله من بنى أمية، واستعمل أصلح من قدر عليه، فسلك عماله طريقته [٢]، فتحقق فعلا برنامج التغيير الشامل الذى أراده.

**إحلال المسلمين في الوظائف محل غيرهم:**

من الخطوات الهامة فى عهده إحلال المسلمين محل غيرهم فى الوظائف ممن ليسوا بمسلمين، فبرنامجه كان مستمدا من القرآن والسنة.

ومن ثم اصدر منشورا لعماله جاء فيه: «إن المسلمين كانوا فيما مضى إذا قدموا بلدة فيها أهل الشرك يستعينون بهم لعلمهم بالجباية والكتابة، والتدبير فكانت لهم فى ذلك مدة. فقد قضاها الله بأمير المؤمنين فلا أعلم كاتباً، ولا عاملا فى شىء من عملك على غير دين الإسلام إلا عزلته واستبدلت مكانه رجلا مسلما.. فافعل ذلك واكتب إلىّ كيف فعلت»[٣].

**إعزازه للمسلمين:**

ويرسل عمر إلى عماله منشورا آخر يقول فيه:

«إن الله عز وجل أكرم بالإسلام أهله، وشرفهم وأعزهم، وضرب الذلة والصغار على من خالفهم، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس، فلا تول أمور المسلمين أحدا من أهل ذمتهم وخراجهم - ربما يقصد بهم موظفى الخراج من الفرس وغيرهم الذين بقوا على دياناتهم القديمة - فتبسط عليهم أيديهم وألسنتهم فتذلهم بعد أن أعزهم الله، وتهينهم بعد أن أكرمهم الله تعالى وتعرضهم لكيدهم والاستطالة عليهم، ومع هذا فلا يؤمن غشهم إياهم[٤] !!».

لأن الله عز وجل يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً ﴾[٥].

وقال: ﴿ لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾[٦].

---

(١) السيوطى تاريخ الخلفاء ص ١٥٦ .

(٢) مروج الذهب جـ٢ ص ١٦٧ ، ودكتور حسن إبراهيم..تاريخ الإسلام السياسى..جـ١ ص ٣٢٩ - ٣٣٠ ، وملامح الانقلاب..ص ١٥٧ .

(٣) ابن عبد الحكم :سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٥٨ - ١٥٩ .

(٤) ابن الأثير:الكامل فى التاريخ..جـ٥ ص ٦٦ .

(٥) آل عمران من الآية ١١٨ ، والخبال:النقصان:راجع المعجم الوسيط مادة. خبل .

(٦) سورة المائدة:من الآية:٥١ .

**ما يؤخذ من هذين المنشورين:**

إن التجانس العقائدى بين جميع المشرفين على مناصب الدولة والعاملين فى أجهزتها الحساسة أمر لازم لتحقيق البرنامج الإدارى الذى ينشده عمر، والذى أقامه على قاعدتى القرآن والسنة ففضلا عن أن هذا الإجراء أمر بديهى فى كثير من الدول التى تسعى إلى تحقيق تغيير شامل وفق عقيدة محددة مستقلة، فإن وجود عناصر غير متشبعة بالمفاهيم الإسلامية يشكل خطرا مباشرا على أهداف التغيير، فكيف بوجود عدد من غير المسلمين؟ الأمر الذى لا شك يؤدى إلى عدد من النتائج العكسية، التى استعرضها عمر فى منشوره التوضيحى الثانى (١).

لم يكتف عمر بعزل الولاة والموظفين السابقين وتولية آخرين يعتمد عليهم فى تنفيذ أهدافه الشاملة، بل وضع هؤلاء جميعا تحت مراقبة شديدة دائبة كى يظلوا يحملون مسئوليتهم إزاء الأقاليم والأعمال التى ولوا عليها (٢).

لم يكن هدف عمر من إحلال المسلمين محل غيرهم محاباة.كلا، وإنما أراد وضع رجل أصلح من رجل وموقفه مع عامل خراسان يوضح ما كان يرمى إليه، فلم يمض على تولية **الجراح بن عبد الله على خرسان** سوى سنة وخمسة أشهر حتى أمر بعزله، وتعيين عبد **الرحمن بن نعيم القشيري**، والسبب أن أحد الموالى شخص إلى أمير المؤمنين فى دمشق، وقال له :أميرنا عصبى جاف يقوم على منبرنا فيقول:أتيتكم حفيا، وأنا اليوم عصبى!، والله لرجل من قومى أحب إلى مائة من غيرهم (٣)، فعزله ووضع مكانه أصلح منه.

**مطاردته للظلم:**

إن أخوف ما كان يخافه عمر ـ وهو يطارد الظلم كى يزيحه من على وجه الأرض، ومن أعماق النفوس ـ هو أن يسلك موظفوه أساليب البطش، والتنكيل والإرهاب الذى يقتل النفوس، ويميت فيها كل معانى الحرية والتطلع إلى الآفاق التى جاءت دعوة الإسلام لترفع لواءها لواء الحرية الشامل..إن الكبت والإذلال اللذين طاردهما عمر بن الخطاب خوفا على الأمة الإسلامية أن تذل، وتتنازل عن أهدافها الكريمة يعود حفيده ـ اليوم ـ كى يستمر فى مطاردتهما لإكمال هدفى جده العظيم، ويغسل ضمائر الناس من كل ما من شأنه أن يحيطها برين من الحس الثقيل، والخوف المميت (٣).

(١) انظر ملامح الانقلاب الاسلامى..ص١٥٨ .　　(٢) المصدر السابق..ص١٥٩ .
(٣) انظر:ملامح الانقلاب..ص١٦٠ .

لقد كان المثل الأعلى للإدارة الصالحة فى نظر عمر هى تلك التى تنشر الأمن فى البلاد، وتزرع المودة والثناء فى قلوب الرعية، ولن يتم هذا إلا باقتلاع كل بذور الخوف والشك من القلوب، وكان يقول إن عيون الحكام لن تقر إلا فى هذا:

«استفاضة الأمن فى البلاد، وظهور مودة الرعية لهم، وحسن ثنائهم عليهم» (١).

وكان يقول:«لعمرى أن تموت نفسى أول نفس أحب إلىّ من أن أحملهم على غير اتباع – دعوة – كتاب ربهم وسنة نبيهم... فإنه ليس بعد الحق إلا الباطل، ولا بعد البصر إلا العمى» (٢).

إنها أمنية صادقة، لحاكم الأرض، وهو يعلن بحماس عميق – عن استعداده لأن تتساقط عنه أعضاؤه، واحدا بعد آخر، إزاء كل عمل ينبثق عن القرآن، وكل تطبيق يستلهم السنة حتى يخرج نفسه!! ترى أكان ذلك مجرد كلام يتغنى به خليفة فى لحظة من لحظات تأمله وإعجابه، كما يفعل الكثيرون من قادة الدول عندما يدبجون أقوالا رائعة، وكلمات طنانة تغزلا بدساتيرهم، ونظرياتهم، وإعجابا؟! حاشا لعمر بن عبد العزيز أن يكون كذلك، وهاهى شهادة معلم الأمة، وإمام دار الهجرة:مالك بن أنس رضي الله عنه تسد الطريق على كل افتراض يقول مالك مؤكدا على عمل عمر... بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

«أعجبنى عزم عمر فى ذلك» (٣).

**عمر يطارد الانحراف، ويقيم حدود الله في الأرض:**

وكما كان عمر رضي الله عنه يطارد الظلم.. فإنه كان يطارد الفجور، فى أبسط صوره كيلا يغدو السيل – يوما – فيضانا جارفا يحطم الحواجز، والسدود، ويغرق المزارع، والقرى، ويطغى على معالم العمران..، ويتحرك عمر من دعوة الإسلام، الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر، فينفخ فى عماله روح الحركة، ويعلن للمنحرفين عن الصراط أن العقاب الصارم سينزل على رؤوس المنحرفين فيقول:

«فإنا من نجده يشرب من الخمر شيئا بعد تقدمنا إليه فيه نوجعه عقوبة فى ماله، ونفسه، ونجعله نكالا لغيره، ومن يستخف بذلك منا فإن الله أشد عقوبة وأشد بأسا وأشد تنكيلا، وقد أردت بالذى نهيت عنه من شرب الخمر.. اتخاذ الحجة عليكم اليوم، وفيما بعد اليوم» (٤).

(١) ابن الجوزى:سيرة عمر بن عبد العزيز..ص ٨٥ .

(٢) ابن عبد الحكم:سيرة عمر بن عبد العزيز ص٨٧ .

(٣) المصدر السابق..ص ٤١ .

(٤) المصدر السالق ص ١٠٢، وملامح الانقلاب..ص ١٦٦ .

كتب إلى عماله: «إقامة الحدود عندى كإقامة الصلاة والزكاة» [١].

كما أصدر أوامره بألا يدخل أهل الذمة بالخمر أمصار المسلمين فكانوا لا يدخلونها[٢]. أوامر صارمة يقوم على تنفيذها رجال صدقوا خليفتهم فكانوا كما أرادهم طوع بنانه.

إن عمال عمر الذى أحسن اختيارهم كانوا كخليفتهم يعملون الليل بالنهار، حتى ليذكر إبراهيم بن جعفر أنه رأى أباه: أبو بكر بن محمد (عامل المدينة) يعمل بالليل كعمله بالنهار لاستحثاث عمر إياه[٣] !! إنه يعطى صورة للأجيال من بعده إذا أرادوا ضرب الروتين أن ينهجوا نهجه ويسيروا بسيرته[٤].

عزل **يزيد بن أبي مسلم** عامله على أفريقية لظلمه وتجبره، مع أنه كان يكثر من الذكر والتسبيح، ولكن هذا الزيف والخداع لم يخفيا على خليفة كعمر، فكان أول الكتب التى أصدرها إثر تسلمه الخلافة أن عزل ذلك العامل[٥].

ومن قبل كان جده العظيم : عمر بن الخطاب يقول: «لست بالخب، ولا الخب يخدعنى»[٦] - الخب المخادع - وإنى لمسؤول مسلم ينظر بنور الله أن يخدع، أو أن يؤخذ عليه الطريق على غرة[٦] ؟!

**الرعية تقتضي سنة حكامها:** روى الطبرى قال: «كان الوليد بن عبد الملك صاحب بناء واتخاذ المصانع والضياع، وكان الناس يلتقون فى زمانه، فإنما يسأل بعضهم بعضاً عن البناء والمصانع، فولي سليمان بن عبد الملك فكان صاحب نكاح وطعام، فكان الناس يسأل بعضهم بعضاً عن التزويج، والجوارى، فلما ولى عمر بن عبد العزيز كانوا يلتقون فيقول الرجل

---

(١) ابن سعد: الطبقات جـ٥ ص ٢٧٨ .إن عمر ﷺ حريص على منفعة أمته منفذا لبشارة رسول الله ﷺ بالخير إذا طبقت حدود الله كما ورد فى الحديث الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه: «لحدّ يقام فى الأرض خير لأهلها من أن يمطروا ثلاثين صباحا» .ويقرب من هذا الحديث، الذى رواه أبو هريرة أيضا: «إقامة حد فى الأرض خير لأهلها من أن يمطروا أربعين ليلة» رواه النسائى .هكذا مرفوعا، وموقوفا، وابن ماجه، ولفظه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حد يعمل به فى الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا أربعين صباحا» .وروى ابن ماجه عن ابن عمر ما يقرب من ذلك فى باب الحدود، والنسائى فى السرقة .وأحمد فى المسند جـ٢ ص ٣٦٢، ٤٠٢ طـ بيروت.

(٢) المصدر السابق جـ٥ ص ٢٥٦ .

(٣) المصدر السابق جـ٥ ص ٢٥٦ .

(٤) ملامح الانقلاب الاسلامى صـ١٧٦ بتصرف.

(٥) ابن عبد الحكم :سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٣٨ .

(٦) ملامح الانقلاب ١٧٦ .

للرجل: ما وراءك الليلة؟ وكم تحفظ من القرآن؟ ومتى تختم؟ ومتى ختمت؟ وما تصوم من الشهر؟!»[١].

**مكانة عمر... العملية:**

لقد هيأت له الظروف - مذ كان طفلاً يرعاه أبوه عبد العزيز بن مروان أمير مصر - أوضاعاً ممتازة للتعليم والتثقيف، وكان هو قد أعرب عن حرصه على العلم، وحبه للأدب منذ تفتح وعيه للحياة[٢].

فعكف - منذ صباه وهو بعد في مصر - على مجالسة الصحابة والتابعين ورواة الحديث، والاستماع إلى الشعر والأدب حتى قيل: إن مجلسه كان ندوة للفقهاء والعلماء والأدباء .. وحفظ القرآن وهو بعد صغير، ثم ما لبث أبوه أن أرسله إلى المدينة لطلب العلم فتفقه في الدين، وروى الحديث ودراسة الأدب ونظم الشعر[٣]، كما قام باتصالات عديدة بشيوخ المدينة تمكن عن طريقها أن يبلغ شأواً بعيداً في ميادين الفقه والحديث[٤].

فمن ثم لم تشغل أعباء الخلافة - على كثرتها - وقت عمر بن عبد العزيز عن الاهتمام بالتربية والتعليم فهو لم يكتف بتوجيه العلماء إلى أداء المهام الأساسية، الملقاة على عاتقهم، وتهيئة الظروف العملية لاتخاذ هذه المهام بل أسهم بنفسه في تقديم معطياته العلمية للأمة الإسلامية، في شتى فئاتها، فكان بحق نعم الداعية المثقف، إذ عقد مجالس الحديث، وروى عن المحدثين الثقات من التابعين:

أبيه، وأنس ، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ويوسف بن عبد الله بن سلام، وعامر ابن سعد، وسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وأبي بكر بن عبد الرحمن، والربيع، وابن قارط وآخرين.

كما نقل عنه الحديث علماء كبار من التابعين أمثال:

الزهري، ومحمد بن المنكدر، ويحيى بن سعيد الأنصاري، ومسلمة بن عبد الملك، ورجاء ين حيوة وآخرون[٥].

---

(١) تاريخ الرسل والملوك جـ٦ ص ٤٦٧ .
(٢) ابن كثير:البداية والنهاية جـ٩ ص ١٩٣ .
(٣) دكتور : حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ... جـ ١ ص ٣٢٥ .
(٤) دكتور على إبراهيم حسن : التاريخ الإسلامي العام ص ٣٠٨ ، نقلاً عن ملامح الانقلاب الإسلامي ... ص ١٨١ .
(٥) انظر : ملامح الانقلاب الإسلامي ... ص ١٨٥ .

## المبحث السابع

### أثره في السنة، والدعوة وسبب ختم الرسالة به :

استطاع عمر بن عبد العزيز ﷺ فى هذه المدة الوجيزة أن يقوم بجمع الأحاديث الموثوقة السند ودونها فى (مسند)[*] يعرف باسمه حتى اليوم، وشرح لهم نظام التعزير الإسلامى[١] . كما كتب رسالة قال فيها:

«إن للإيمان فرائض وشرائع، وحدوداً، وسنناً، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها، وإن مت فما أنا على صحبتكم بحريص»[٢] .

روى أبو داود الطيالس عن داود الواسطى، وكان ثقة عن حبيب بن سالم عن نعمان بن سالم عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ «إنكم في النبوة ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها لكم إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة علي منهاج النبوة» قال: فقدم عمر بن عبد العزيز ومعه يزيد بن النعمان فكتبت إليه أذكره الحديث وكتبته إليه أقول: إنى أرجو أن تكون أمير المؤمنين بعد الخيرية[٣] ، قال : فأخذ يزيد الكتاب، فأدخله على عمر فسر به وأعجبه[٤] .

وفى الحديث : «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها»[٥] .

---

(*) هو مسند عمر بن عبد العزيز ﷺ .

(١) ابن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز ... ص ٨١ ـ ٨٣ .

(٢) صحيح البخارى : كتاب الإيمان :باب قول النبى ﷺ بنى الإسلام على خمس.

(٣) إشارة إلى حديث أبى إدريس الخولانى عن حذيفة قال: سألت رسول الله ﷺ هل بعد هذا الخير شر؟ قال : نعم، قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير قال: «نعم» .. فحمل البيهقى وغيره هذا الخبر الثانى على أيام عمر بن عبد العزيز. راجع الحافظ ابن كثير: البداية والنهاية جـ ٦ ص ٣٣٨، وقد خرّج هذا الحديث فى نفس المصدر السابق.

(٤) الحديث خرجه الحافظ ابن كثير فى نفس المصدر السابق جـ ٦ ص ٢٣٩ ط الثانية بيروت ١٩٧٧ .

(٥) الحديث أخرجه أبو داود عن أبى هريرة قال عنه الحافظ ابن كثير: تفرد به أبو داود وقد ذكر كل طائفة من العلماء فى رأس كل مائة سنة عالماً من علمائهم ينزلون هذا الحديث عليه، وقالت طائفة من العلماء : هل الصحيح أن الحديث يشمل كل فرد فرد من آحاد العلماء من هذه الأعصار ممن يقوم بفرض الكفاية فى أداء العلم عمن أدرك من السلف إلى من لم يدركه من الخلف كما جاء فى الحديث من طرق مرسلة وغير مرسلة: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال=

وقد قال كثير من الأئمة : إنه عمر بن عبد العزيز[١] . وقال الإمام أحمد: إن الله تعالي يقيض للناس في رأس كل مائة سنة من يعلمهم السنن، وينفى عن رسول الله ﷺ الكذب، فنظرنا فإذا رأس المائة عمر بن عبد العزيز وفي رأس المائتين الشافعي[٢] .

**أقوال الفقهاء والمحدثين عنه :**

قال الذهبي : «كان عمر بن عبد العزيز يقرن بالزهري في علمه»[٣] .

وقال مجاهد : «أتيناه لنعلمه فما برحنا حتى تعلمنا منه»[٤] .

وقال ميمون بن مهران : «كان عمر معلم العلماء»[٥] .

وقال رجاء بن حيوة : «ما رأيت أفصح من عمر»[٦] .

وقال عنه الإمام أحمد بن حنبل : مقدراً مكانته: «لا أدرى قول أحد من التابعين حجة إلا قول عمر»[٧] .

ويحكى الليث كيف أن أحد أصحابه رأى سليمان بن يسار خارجاً من عند عمر فسأله: أمن عند عمر خرجت؟ قال: نعم؟ قال: تعلمونه؟ قال: نعم، قال: هو والله أعلمكم[٨] !!.

---

=المبطلين» راجع الحافظ ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٦ ص ٢٥٦ ، وفي الصحيح : «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك» . وفي صحيح البخارى ، «وهم بالشام» وقد قال كثير من علماء السلف : إنهم أهل الحديث، وهذا أيضاً من دلائل النبوة فإن أهل الحديث بالشام، أكثر من سائر أقاليم الإسلام، ولله الحمد، والحديث خرجه الحافظ ابن كثير في نفس المرجع السابق. ولعل هذا يفسر لنا سر الحروب القائمة في بلاد الشام، حتى لا يأخذ أهل الحديث مجالسهم العلمية، وينشروا سنة نبى الله ﷺ . وهذا معناه أن ينشط المسلمون ليدافعوا عن حملة السنة، لأنها المصدر الثاني للدعوة الإسلامية.

(١) الحافظ ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٦ ص ٢٣٩ .

(٢) حسن المحاضرة (١ / ٣٠٤).

(٣) الذهبي : تذكرة الحفاظ ص ١٠٦ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) ابن سعد : الطبقات جـ ٥ ص ٢٧١ .

(٦) الحافظ ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٩ ص ١٨٣ .

(٧) المصدر السابق جـ ٩ ص ١٩٢ .

(٨) المصدر السابق جـ ٩ ص ١٩٤ .

ومن ثم بدأ نشاطاً واسع فى ميدان لا يغشاه إلا العلماء الراسخون فكان جهده فى علم الحديث مشكوراً، فقد عول على جمعه، خوفاً عليه من ضياعه، وبهذا العمل الجليل حفظ للدعوة الإسلامية المصدر الثانى من مصادرها. وهذا من أجل الآثار الطيبة على الدعوة.

فعلم الحديث هو المصدر الثانى من مصادر الدعوة يمثل السند اليقينى الثانى لعقيدة المسلمين وشريعتهم ووجودهم.

**الآثار الخالدة للجد والحفيد :**

يقول الندوى : «وقد أراد الله أن يكون له فضيلة السبق فى هذا الميدان ـ أى جمع الحديث ـ كما كان لجده العظيم عمر بن الخطاب فضيلة السبق لجمع القرآن فإنه ﷺ هو الذى أشار على أبى بكر الصديق ﷺ بجمعه(*) ـ وقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى أحد

---

(*) لما انطلقت جيوش الصديق إلى العراق وإلى الشام، وحدث توالى مصرع القراء هال عمر ما حدث فحض أبا بكر على جمع القران وأشرف على جمعه ريد بن ثابت ﷺ يساعده عمر . (انظر ابن كثير : فضائل القرآن ص ٥٠). قال زيد :

«... أرسل إلى أبو بكر ـ مقتل أهل اليمامة ـ وعنده عمر فقال أبو بكر : إن عمر أتانى فقال: إن القتل قد استحر ـ يوم اليمامة ـ بالناس، وإنى أخشي أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه، وإنى لأرى أن تجمع القرآن.

قال أبو بكر: قلت لعمر: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ، فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل عمر يراجعنى فيه حتى شرح الله لذلك صدرى، ورأيت الذى رأى عمر.

قال زيد بن ثابت: وعمر عنده جالس لا يتكلم فقال أبو بكر:

«إنك رجل شاب عاقل، ولا نتهمك، كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه.

فوالله لو كلفنى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن: قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله النبى ﷺ؟ فقال أبو بكر: هو والله خير، فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدرى للذى شرح الله صدر أبى بكر وعمر، فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب، صدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصارى لم أجدهما مع أحد غيره: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم .. إلى آخرهما﴾.

وكانت الصحف التى جمع فيها القرآن عند أبى بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر...»

راجع : «صحيح البخارى» (٦ / ٨٩)، (٩ / ٨٢)، وراجع لابن حجر «فتح البارى» (٩ / ١٣) نفس المسألة بتمامها.

كبار علماء الحديث، وأوعية العلم فى عصره: أبي بكر محمد بن حزم (انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ «فاكتبه فإنى خفت درس العلم، وذهاب العلماء» وأشار عليه بالعناية الخاصة بمجاميع عمرة ابنة عبد الرحمن الأنصارية، وقاسم بن محمد بن أبى بكر، لأهميتها. ولم يكتف ـ رحمه الله ـ بأبى بكر بن حزم، بل كتب إلى عماله بالأقاليم:

«انظروا إلى حديث رسول الله ﷺ فاجمعوه»(١).

كذلك أصدر عمر منشوراً يأمر فيه أهل العلم أن ينشروا دعوة الإسلام (العلمية) فى مساجدهم «فإن السنة ـ وهى دعامة الدعوة ـ قد أميتت»(٢).

ومن ثم فإن المسلمين سيظلون مدينين لمن أحيا دعوة الإسلام، وسنة نبيه ـ مدينين لعمر فى هذا الميدان العظيم، حيث أقبل الناس على تدوين العلوم الإسلامية المتمثلة بالحديث، بعد أن تعرض للضياع لانصراف الناس إلى السياسة، والإدارة والحروب(٣).

**أثره في الدعوة في مصر:**

يعد عمر بن عبد العزيز تاج بنى أمية، خليفة المسلمين، وإمام دعوتهم، وسلطان العالم، وصانع المعجزات، والعائد بالأمة الإسلامية إلى العدل بعد خضم من الفتن والظلمات إلى المجرى الأصيل، والنبع الصافى، الذى نافح الرسول العظيم ﷺ كى ينتفع به المسلمون فى رحلة حياتهم، ووجودهم وارتباطهم بالله (٤) تعالى.

وقبل أن نطوى االصفحات بعد هذه الرحلة العلمية المباركة، ومع من أيقظ دعوة الإسلام بشقيها:القولى والعملى.وجعلها تعيد مجدها،وبهاءها، وجلالها فى مصر، وفى باقى مملكة الإسلام وترك أثره العملى عليها، أود أن ألفت النظر إلى أن الدعوة التى دخلت مصر وشرفت بها كانت فى عهد جده الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستقرت فيها بين ربوع

(١) أبو الحسن الندوى : رجال الفكر والدعوة ص ٤٢ ـ ٤٣ .

(٢) .المرجع نفسه.

(٣) ابن الجوزى:سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٤٢ ، وانظر اهتمامه بأهل الفقه والعلم الذين فرغهم له وأمر لهم بالعطايا فى كتبه: انظرالبداية والنهاية جـ٩ ص ٢٠٧ ، وابن الجوزى:سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٩٥ ، وما بعدها، وابن عبد الحكم:سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٦٠ ، فهو بذلك أول من أنشأ ما يسمى اليوم (بقانون التفرغ).

(٤) انظر:ملامح الانقلاب..ص ١٩٥ بتصرف.

أهلها تنتقل من نجاح إلى نجاح إلى أن ولى الخلافة الإمام العادل عمر بن عبد العزيز، فازدادات الدعوة فى عهده رسوخا، وكثر الداخلون فى الإسلام بسبب هذه الأمور التى سأذكرها:

**الأمر الأول: الترغيب:**

أ ـ بواسطة المنح التى كان يعطيها لغير المسلمين، كما أعطى أحد البطارقة ألف جنيه ـ كما مر ـ يتألفه على الإسلام، وهو بهذا يطبق البند الرابع فى القرآن وهو ﴿وَالْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهم﴾[1].

ب ـ أعلن أن من يدخل الإسلام تسقط عنه الجزية ، فسارع الناس إلى الدخول فيه والانصياع لدعوته.

جـ ـ أعلن أنه لا ينبغى أن يشارك فى الأعمال الإدارية إلا المسلم، ومن كان يود المحافظة على المكانة الإدارية والاجتماعية فعليه أن يعتنق الإسلام.

د ـ كان يُعلِّم القبطى الذى يدخل فى الإسلام أن له ما للمسلمين وعليه ما عليهم. فكان يعلمه أن على المسلمين: ١ ـ الجهاد ٢ ـ الزكاة ٣ ـ العشور إن كان من المزارعين.

ومن ثم لم يكن الدخول فى الإسلام يعنى: الكسل أو الخمول، أو عيش الفضول والقصور.

**الأمر الثاني:** الترهيب لولاة المسلمين من اتخاذهم بطانة غير مؤمنة. فقال:

فلا أعلم كاتبا، ولا عاملا فى شىء من عملك على غير دين الإسلام إلا عزلته، واستبدلت مكانه رجلا مسلما..فافعل ذلك واكتب إلى كيف فعلت؟[2].

**الأمر الثالث:** اهتمامه بعزة المسلم، وكرامته، وهذا يؤخذ من المنشور الذى أرسله إلى عماله بعدم إذلال المسلمين إذا ولىّ عليهم أحد من أهل ذمتهم، حتى لا يبسطوا أيديهم وألسنتهم على المسلمين فيذلوهم بعد أن أعزهم الله، ويهينوهم بعد أن أكرمهم الله[3]

---

(١) سورة التوبة من الآية:٦٠ .

(٢) راجع البحث ص ٢٦ .

(٣) راجع منشور ص ٦٩٣ من البحث.

والله تعالى يقول:

﴿ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً ﴾ (١).

ويقول سبحانه: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم ﴾ (٢).

وقوله سبحانه: ﴿ لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ﴾ (٣).

**الأمر الرابع:** تدوين عمر بن عبد العزيز للسنة:

ولقد عاشت الدعوة فترة البحث فترة إعزاز وإكرام، وحب واحترام، وبين الجد والحفيد كتب الله للدعوة الإسلامية أن تعيش فى قلوب المصريين، ووجدانهم، وتصبح مصر الدرة المضيئة فى جبين دولة الإسلام، ويكفى مصر فخرا أنها أنجبت من يجدد للأمة الإسلامية قاطبة أمر دينها إنه:

عمر بن عبد العزيز (رضى الله عنه وأرضاه).

الخليفة الصالح أمير المؤمنين الذى ولد بمصر سنة إحدى، وقيل ثلاث وستين وأبوه أمير على مصر، وتفقه حتى بلغ مرتبة الاجتهاد، ومناقبه كثيرة (٤).

**سبب ختم الرسالة به رضي الله عنه:**

يرجع السبب فى ختم الرسالة بعمر بن عبد العزيز، بالإضافة إلى أثره فى الدعوة إلى ما يلى:

**أولا:** لأنه تمكن بهذا التغيير العظيم «من إعادة الانسجام بين الانسان، وبين نواميس الكون، وتحقيق وفاق رائع بين بنى آدم وبين ما يحيط به من أشياء.

وضرب مثلا عمليا مشهودا عن امكانية العودة إلى هذا الانسجام، وذلك الوفاق، فى أية لحظة، أوفى أى عصر يصح العزم فيه وتخلص النية لله..هذا هو مفهوم الإسلام الذى جاء به رسل الله جميعا ووضع محمد – صلى الله عليه وسلم – ملامحه الأخيرة الثابتة، وسماته التى لا تزول» (٥).

---

(١) سورة النساء من الآية:١٤١ .

(٢) سورة آل عمران:من الآية ١١٨ .

(٣) سورة المائدة من الآية:٥١ .

(٤) راجع لأبى يعلى فى مسنده مناقب عمر بن عبد العزيز، وتهذيب التهذيب جـ٧ ص ٤٧٥، والسيوطى:حسن المحاضرة جـ١ ص ٢٩٦ وما بعدها. (٥) د/ عماد الدين خليل: ملامح الانقلاب الإسلامى فى خلافة عمر بن عبد العزيز ص ١٥، ١٦ .

**ثانيا:** إن الإسلام معناه أن يسلم الإنسان نفسه ووجوده كلية لخالق الملكوت ولشريعته، فهو ملة الأنبياء قاطبة، وإن تنوعت شرائعهم، واختلفت مناهجهم كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (١).

وقوله ﷺ: «نحن معشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد» (٢).

**ثالثا:** لقد فهم أن الأشياء والحيوات جميعاً، ما عدا الإنسان مفروض عليها أن تتساوق مع الناموس ومن ثم فهى جميعاً مسلمة أمرها لله، وهى جميعاً تمجده بهذه الطاعة، وتسبح بحمده، وتقدس لقدرته المعجزة الخلاقة، أما الإنسان فلم يفرض عليه هذا التساوق، أو هذا الإسلام فرضاً، بل أعطى العقل والإرادة، وله بهما أن يحقق هذا الانسجام، أو أن يتمرد عليه فيشذ، ويضيع(٣)، ولقد كان حس عمر المرهف وحدبه على أمة الإسلام أن يعيد الأمة إلى واحة الإيمان، بهذه الهمة التى لم تعهد إلا فى حفيد ابن الخطاب.

**رابعًا:** إنه أعطى للمسلمين درساً حياً فى كيفية أن يغدو الإسلام دافعاً حياً ملحاً للنفوس التى تتوق إلى الارتفاع دائماً، إلى فوق، واجتياز المواقع والمنازل... من أولئك الأفذاذ الذين يحركهم الإسلام والإيمان إلى بلوغ منتهاه(٤).

**خامسًا:** أعطى الدرس العملى الخلاق كيف يكون التغيير الداخلى النفسى، منطلقاً لتشكيل التاريخ وصياغة العالم، وإحياء الدعوة. ذلك التغيير الذى سماه الرسول ﷺ (الجهاد الأكبر)، والذى اعتبره القرآن الكريم أساساً لقيام التغييرات الجذرية فى حياة الأمم والشعوب(٥)، كما فى قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾(٦).

**سادسًا:** إن عمر بن عبد العزيز ضرب مثلاً للقدوة الطيبة فى كل مجالات الحياة التى ينبغى أن تسود «إن عمر ... لم يكن فيه شىء من الغلو والإسراف أو الزهد الأعجمى، فقد كان بعيداً عن كل ذلك إنما هى الطبيعة الدينية، ونتيجة الإيمان القوى والشعور بالمسؤولية، ومعرفة قيمة الحياة، واستحضار الآخرة، ونتيجة الحب الذى إذا ملك القلب، واستولى على الشعور ذابت الرغبات وتغيرت القيم والأقدار»(٧).

---

(١) الأنبياء:٢٥ وراجع تفسير ابن كثير جـ١ ص ١٨٦. (٢) سبق تخريج هذا الحديث.
(٣) انظر ملامح الانقلاب .. ١٦. (٤) ملامح الانقلاب .. ص ١٩٩ بتصرف.
(٥) انظر نفس المصدر. (٦) الرعد من الآية : ١١.
(٧) رجال الفكر والدعوة ص ٣٣ ـ ٣٤.

نعم «لولا هذه المؤاخذة الشديدة للنفس ،ولولا هذا الحذر الشديد من ملاذ الحياة والتمتع بالمباحات، لما استطاع مثل عمر.. وهو أكبر ملوك الأرض فى عصره، وهو فى دمشق: عاصمة العالم المتمدن يومئذ ـ أن يحفظ نفسه من الاندفاع إلى الترف، وأن يضرب مثلاً عليا لأمرائه وعمال مملكته فى الورع والزهادة والتحرز من الشبهات، ولما استطاع أن يخفف من غلواء المدنية المترفة، ويحد من شدتها وشرتها»[١].

**سابعًا :** لقد كان اختيارعمر... لختم هذه الرسالة مقدرته التى جعلت الإيمان دافعًا حضاريًا .. يشد القيم المبعثرة، والإرادات مختلفة الاتجاهات.. إلى وحدة حضارية متميزة، ثم يقوم هو بدور المحرك، الذى يدفع الإنسان والجماعات إلى التقدم ... صوب آفاق جديدة ينالون بها ثواب الله تعالى ويخشون عقابه لقد رأيناه وهو واضع نصب عينه مكانة المسلم فى هذا العالم، وكيف يرقى به إلى درجة التكريم التى كرمه الله بها، رأينا كل هذا واضحًا فى مدة خلافة عمر رضي الله عنه القصيرة والتى أنجز فيها منجزات حضارية فى شتى الميادين[٢].

**ثامنًا :** لقد كان أثر عمر .. فى حياة المسلمين عظيمًا، بما أداه من هذا التغيير فى ميادين العمل جميعًا: سياسية وحربية، إدارة واجتماعًا، واقتصادًا، وتربية وتثقيفًا، فى ظروف صعبة معقدة وركام عقود طويلة من السنين انحرفت بكثير من المفاهيم والقيم والمبادئ الإسلامية، وأحدثت فصلاً وثنيًا، بدرجة أو أخرى بين عقيدة الإسلام وشريعته، وبين الواقع الذى يعيشه الناس[٣].

**تاسعًا :** تمكن عمر .. من إعادة التوحد بين الشريعة والواقع، وربط أجهزة الدولة جميعًا بالإطارات التى رسمها القرآن الكريم والسنة، ومعاملة الناس، وتوجيههم وفق ما يرضاه الله ورسوله، وقد نجح برنامجه، لأنه برنامج الإسلام، الذى طبق شرائعه وأحكامه على واقع الحياة.

وفي مقدور أي سلطان يتسلم زمام أمة معه رجال يمتلكون الذكاء والحصافة، والمرونة، إلى جانب الإيمان العميق، والتقوى الدائبة التي تشد أعينهم أبدًا إلى القيم العليا[٤].. أن يصلوا إلي ما وصل إليه هذا الخليفة الداعية العظيم، فالتقوي تقضي على الرغائب الخاصة، والمطامح الشخصية، وتعود بالحياة والأحياء إلى طريق الله.. تلك هى الحقيقة

(١) المصدر نفسه.
(٢) انظر ملامح الانقلاب .. ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ باختصار .
(٣) المصدر نفسه.
(٤) الدكتور أحمد الشرباصي : خامس الراشدين : عمر بن عبد العزيز ص ٣٥ ط الشعب ١٩٥٩ .

الكبرى التى استخلصتها عبر دراسة الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ﷺ .

**عاشراً :** ما تحدث به كثير من الناظرين فى تاريخ الأمة الإسلامية، فيجعلون من عمر ابن عبد العزيز المجدد الأول للإسلام على رأس المائة الأولى من الهجرة.. ويالها من منزلة سامية[١].

حدث محمد بن الحسن بن الجنيد قال:

«سمعت عثمان بن على يقول: سمعت حميد بن زنجويه النسائى يقول: قال أحمد بن حنبل: يروى فى الحديث: «إن الله يبعث على رأس كل مائة عام من يصحح لهذه الأمة دينها». فنظرنا فى المائة الأولى، فإذا هو عمر بن عبد العزيز، ونظرنا فى المائة الثانية فنراه الشافعى»[٢].

وهذا القول من الإمام أحمد بن حنبل يعتمد على حديث صحيح كما جاء فى سنن أبى داود وغيرها، ونصه:

«إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»[٣].

وروى أنه حديث اتفق الحفاظ على تصحيحه، وقالوا: إن هذا المجدد قد يكون حاكماً، أو فقيهاً، أو محدثاً، أو واعظاً أو غيرهم، وعمر بن عبد العزيز قد جمع من هذه الصفات ما جمع[٤].

**حادي عشر :** الفترة القصيرة التى قضاها الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز فى خلافته كانت عودة مباركة، إلى هذا العهد النبوى المشرق الذى استفاضت أنواره على عهد رسول الله ﷺ ، وعلى عهد الخلفاء الراشدين الأربعة ﷺ بعد أن مهد لهم الرسول ﷺ الطريق الذى سلكوه فى أمان واطمئنان[٤].

**ثاني عشر :** كان مجئ عمر بن عبد العزيز من الضروريات التى ساقها القدر لأمة الإسلام لينتشلها من تلك الفترة العصيبة التى ظهرت فيها الطوائف والأحزاب، ونبتت فيها الفتن والمحن، واتسعت الفجوة بين الحاكمين والمحكومين، وتحدث الناس عن المظالم والمآثم ... فإذا عمر يقبل إقبال الفجر الصادق: فيرد المظالم وينصف المظلومين، ويؤدب الخارجين، وينشر

(١) المصدر نفسه .

(٢) وفى رواية أنه قال: «إن الله تعالى يقيض للناس فى رأس كل مائة سنة من يعلمهم السُّنة وينفى عن رسول الله ﷺ الكذب، فنظرنا فإذا فى رأس المائة عمر بن عبد العزيز، وفى رأس المائتين الشافعى! «وكلاهما مصرى ﷺ راجع خامس الراشدين : ص٧ .

(٣) الحديث خرجه المناوى فى فيض القدير شرح الجامع الصغير جـ ٢ ص ٢٨١ برقم ١٨٤٥ ، وقال العلقمى : معنى التجديد : إحياء ما اندرس من العمل من الكتاب والسنة، والأمر بمقتضاهما، واعلم أن المجدد إنما هو بغلبة الظن بقرائن أحواله، والانتفاع بعلمه. المصدر نفسه هامش ٢ .

(٤) خامس الراشدين .. ص ٧ .

السلام والأمان، والإحسان بين جميع الناس... فلا عجب أن يجعله المؤرخون خامس الخلفاء الراشدين[١] رضى الله عنهم أجمعين.

**ثالث عشر:** ما ورد فى مجموعة تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية يتحدث فيها عن غربة الإسلام ويشرح الحديث:

«بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ ... فطوبى للغرباء»[٢].

فيقول: «وكذلك بدأ الإسلام غريبًا، ولم يزل يقوى حتى انتشر، فهكذا يتغرب فى كثير من الأمكنة والأزمنة، ثم يظهر حتى يقيمه الله عز وجل، كما كان عمر بن عبد العزيز لما ولى قد تغرب كثير من الناس، حتى كان منهم من لا يعرف تحريم الخمر، فأظهر الله به فى الإسلام ما كان غريبًا»[٣].

**رابع عشر:** أختتم بهذه الكلمة الآسرة عن الإمام العظيم أحمد بن حنبل رضي الله عنه حيث يقول:

«إذا رأيت الرجل يحب عمر بن عبد العزيز، ويذكر محاسنه، وينشرها.. فاعلم أن من وراء ذلك خيرًا إن شاء الله تعالى»[٤].

**وفاته:** قال عمر بن عبد العزيز يومًا لمولاه مزاحم:

«إن لى نفسًا توّاقة، لم تتق إلى منزلة إلا تاقت إلى ما هى أرفع منها، حتى بلغت اليوم المنزلة التى ليس بعدها منزلة، وإنها اليوم تاقت إلى الجنة»[٥].

وبعد هذه الحياة الحافلة بالجهاد والحيوية - على قصرها - فى خدمة دعوة الإسلام، مات رضي الله عنه سنة إحدى ومائة من الهجرة، ودفن بدير سمعان، وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر[٦].

وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر[٧].

---

(١) انظر خامس الراشدين: عمر بن عبد العزيز .. ص ٣٥ - ٣٦ .

(٢) الحديث أورده الإمام مسلم فى صحيحه: كتاب الإيمان عن أبى هريرة جـ ١ ص ١٣٠ رقم ٢٣٢ ط. الحلبى تحقيق محمد عبد الباقى.

(٣) مجموعة فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية جـ ١٨ ص ٢٩٧ . كتاب الحديث ط. الثانية ١٤٠٠هـ

(٤) نقلاً عن خامس الراشدين : عمر بن عبد العزيز ص ١٠ .

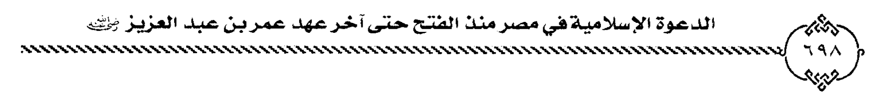
(٥) راجع لعبد الله بن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٦١، وابن سعد جـ ٥ ص ٢٩٦، ورجال الفكر والدعوة فى الإسلام. ص ٦٣ .

(٦) ابن الجزى : صفة الصفوة جـ ٣ ص ١٥٦، وابن سعد : جـ ٥ ص ٢٩٩، وما بعدها، ورجال الفكر والدعوة ص ٦٤ .

(٧) ابن سعد : جـ ٥ ص ٣٠١ .

## ملاحــق الرســـــالــۃ وتضمن ما يلي :

أولا : رسالۃ الرسول ﷺ إلى المقوقس .
ثانيا : رد المقوقس على رسالۃ النبي ﷺ.
ثالثا : صورۃ خطيۃ لرسالۃ الرسول ﷺ للمقوقس.
رابعا : شخصيۃ المقوقس بين الحقيقۃ والإنكار.
خامسا : كتاب عمر إلى عمرو بن العاص حين سار لفتح مصر.
سادسا : كتاب الخيلفۃ إلى عمرو . . . يوصف له مصر ونيلها
جواب عمرو في وصف مصر.
سابعًا : معاهدۃ مع أهل مصر .
ثامنا : معاهدات وقت فتح مصر.
تاسعًا : كتاب عمرو بن العاص في فتح الإسكندريۃ ثانيًا .
عاشرا : كتاب عمر في عدم تقسيم مصر كالغنيمۃ.
حادي عشر : كتاب عمر في إطلاق السبايا.
ثاني عشر : معاهدۃ مع أهل إنطابلس .
ثالث عشر : معاهدۃ مع بربر لواته.
رابع عشر : تعليمات عمر .. لأمراء الجيوش والأجناد والجزيۃ.
خامس عشر : كتاب عمر في معاملۃ أهل الذمة.
سادس عشر : كتاب عمر في قتل الخنازير.
سابع عشر : كتاب عمر في الشرائط على المجوس.
ثامن عشر : كتاب عمر في تعليم الناس القرآن الكريم.
تاسع عشر : معاهدۃ مع أهل النوبۃ .
عشرون : عهود النبي ﷺ لطوائف النصارى بمصر.
واحد وعشرون : عهد النبي ﷺ للنصارى كما في دير الطور بمصر .
ثان وعشرون : تطبيق الجزيۃ في أرض الكنانة.
ثالث وعشرون : إقامۃ الحدود في أرض الكنانة.
رابع وعشرون : غزوات الرسول ﷺ وسراياه .
خامس وعشرون : جدول الولاة والقضاة في مصر عصر البحث.




## رموز الاختصارات المستعملة في أوائل الوثائق

### كما وردت في كتاب مجموعة الوثائق السياسية لعهد النبوة والخلافة الراشدة...ص ٢٢*

ألف.. طريف الوجه من ورقة المخطوطة
ب.. طرف الظهر من ورقة المخطوطة
بآ .. سيرة ابن إسحاق ( ترجمتها الفارسية )
بث .. أسد الغابة لابن الأثير
بح .. الإصابة لابن حجر
بحز .. ابن حزم
بحن .. مسند الإمام أحمد بن حنبل
يد .. سنن أبي داود
يس .. طبقات ابن سعد
يسن .. سيرة ابن سيد الناس
بط .. أعلام السائلين لابن طولون
بع .. أبو عبيد
بعب .. الاستيعاب لابن عبد البر
بعج .. ابن عبد الحكم
بمر .. ابن عبد ربه
بق .. زاد المعاد لابن القيم
بك .. ابن كثير
بلا .. فتوح البلدان للبلاذري
بهـ .. سيرة ابن هشام

بيو .. الخراج لأبي يوسف
ديب .. الديبلي
طب.. تاريخ الطبري
عمخ .. عبد المنعم خان
قس .. القسطلاني
قلقش .. القلقشندي
ج .. الجزء أو المجلد
س .. سطر
ص .. الصفحة
ع .. عدد أو رقم والمراد به عند ذكر طبقات ابن سعد مثلاً ترقيم ويلهاوزن في طبعه نخبًا من هذا الكتاب وأشرنا سوى هذا إلى عدد الجزء والصفحة من الطبعة اللايدنية. أو رقم الفصل في كتاب (الأموال ، أو رقم الحديث في كنز العمال. وغير ذلك.

* للدكتور / محمد حميد الله .

## رسالة الرسول ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط

بعج ص ٤٦ ـ قس ج ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣ ـ عمخ ١٠٠ ـ بط ع ٥ / ١

ـ وقد ذكر نص هذا المكتوب القزويني والمقريزي والسيوطي والزيلعي والقلقشندي والمنفلوطي وفريدون بك والزرقاني والحلبي وغيرهم.

قابل بس ج ١ / ٢ ص ١٦ ـ ١٧ (ع ٤) ـ بع ع ٥٩ .

وانظر كايتاني ٦ : ٤٩ ـ أشير نكرج ٣ ص ٢٦٥ ـ ٢٦٧ ـ وانظر مجلتي «رؤرنال آرياتيك Journal Asiatique» ( باريس سنة ١٨٥٤م) ص ٤٨٢ × ٤٩٨ و«إسلامك ريفيو Islamic Review

كنيسة قرب أخميم في صعيد مصر، وكذلك مجلة الهلال (مصر) ١٩٠٤م أكتوبر ونوفمبر وديسمبر (مقالة لجرجي زيدان) ـ وقد نشرت بحثًا مفصلاً عن صحة أصل هذا المكتوب بعنوان «مكتوبات نبوى كى دو أصول» في «مجلة عثمانية» (حيدر آباد دكن)

ج ٩ ع٣ ـ ٤ ، يونيو ١٩٣٦ م، (ص ١٠٩ ـ ١٢٩) وانظر صورة الأصل الشمسية في مجلات رؤرنال آرياتيك وإسلاميك ريفيو والهلال، ومجلة عثمانية، وانظر أيضًا في هذه المجموعة* .

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الله ورسوله، إلى المقوقس عظيم القبط.

٣ سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين. فإن توليت، فعليك إثم القبط. « يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا

٦ وبينكم، أ لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا، ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون» .

علامة الختم

| الله<br>رسول<br>محمد |
|---|

---

(٢) بعج : محمد رسول الله إلى. (٤) بمج : فأسلم تسلم وأسلم يؤتك (قلقش : أسلم تسلم وأسلم) .

(٥) الحلبي : فإنما عليك ـ ويا أهل الكتاب .

* نقلاً عن د. محمد حيد الله مجموعة الوثائق السياسية .. ص ١٠٥ ـ ١٠٨ .

### جواب المقوقس إلى النبي ﷺ

بمح ص ٤٧ ـ قس ج ٢ ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣ ـ قلقش ج٦ ص ٤٦٧ القزويني ع٨ ـ فريدون ج ١ ص ٣٣ ـ بط ع ٥ / ٢ ـ الزيلعي ١١ / ٢ قابل بع ع ٦٢٢ ـ بس ج ١ / ٢ ص ١٦ ـ ١٧ (ع٤) ـ الزرقاني ٢ / ٣٤٩ .

ـ الأموال لابن زنجويه (خطية) ورقة ٩٦ / ألف.

وانظر كايتاني ٦ : ٤٩ ـ أشپرنكر ج ٣ ص ٢٦٥ ـ ٢٦٧ سيرت النبي لشبلي (بالأردوية) في محله ـ مقالة ورجينيا واكا، كما ذكرنا في مراجع المكتوب ٢٩ .

لمحمد بن عبد الله من المقوقس

سلام، أما بعد : فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت وما تدعو إليه.

وقد علمت أن نبيًا قد بقي، وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام. وقد أكرمت ٣

رسلك، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم، وبكسوة،

وأهديت إليك بغلة لتركبها. والسلام ٦

(١) الزرقاني : بسم الله الرحمن الرحمي ـ

(٢) القزويني : سلام عليك وإني قرأت كتابك وما تدعو ـ

(٤) القزويني : بمح، قس : أكرمت رسولك.

رواية أخرى عن نص المكتوب إلى المقوقس

فتوح مصر للواقدي ص ١٠ ـ قلقش ج٦ ص ٣٧٨ ـ عمخ ١٠٠

(٢) ـ ابن حديدة كلمة «المقوقس» ـ

كتاب ديوان الإنشاء ( مخطوطة باريس رقم ٤٤٣٩) ورقة ٩ ـ ١٠ .

من محمد رسول الله، إلى صاحب مصر والإسكندرية

أما بعد: فإنّ الله تعالى أرسلني رسولا، وأنزل عليّ قرآنا،

٣ وأمرني بالإعذار والإنذار ومقاتلة الكفار، حتى يدينوا بديني،

ويدخل الناس في ملتي، وقد دعوتك إلى الإقرار بوحدانية الله

تعالى، فإن فعلت سعدت، وإن أبيت شقيت.

والسلام.

(١) قلقش: : مصر ..ـ ديوان الإنشاء : إلى المقوقس بمصر.
(٤ ـ ٥) قلقش : بوحدانيته فإن ـ
ى٤٢ ـ ٥) ديوان الإنشاء : سلام على من اتبع الهدى. أما بعد ـ كتاباً مبيناً ـ ملتى فعن إطعت سعدت.

رواية أخرى عن جواب المقوقس

فتوح مصر للواقدى ص ١٦ ـ ١٧ ـ قلقش ج ٤٦٨

انـر «مجلة جمعية المستشرقين الألمان ZDMG» ١٨٦٣، ص ٣٨٥ .

باسمك اللهمّ

من المقوقس إلى محمد .

٣ أما بعد : فقد بلغنى كتابك، وقرأته وفهمت ما فيه. أنت تقول إن الله تعالى أرسلك رسولاً، وفضّلك تفضيلاً، وأنزل عليك قرآناً مبيناً، فكشفنا يا محمد فى علمنا عن خبرك، فوجدناك أقرب

٦ داع دعا إلى الله، وأصدق من تكلم بالصدق. ولولا أنى ملكت ملكاً عظيماً، لكنت أول من سار إليك، لعلمى أنك خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، وإمام المتقين.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته إلى يوم الدين.

(٣ـ ٤) قلقش : كتابك وفهمته أنت تقول إن الله أرسلك.
(٥) قلقش : فكشفنا عن خبرك.
(٦) قلقش : داع... إلى الله.
(٧ـ ٨) قلقش : خاتم النبيين وإمام المرسلين...
(٩) قلقش : عليك منى إلى يوم الدين.

كتابه عليه السلام إلي المقوقس، وثيقة (٤٩).
(بإذن مدير متحف توپ قابي باستانبول).
نقلاً عن كتاب مجموعة الوثائق السياسة
للعهد النبوي والخلافة الراشدة

## شخصية المقوقس بين الحقيقة والإنكار

**تمهيــــد :**

درجنا منذ الصبا على أن هناك رسالة خطية من النبى ﷺ إلى حاكم مصر يسمى (المقـوقس) يدعوه فيها إلى الإسلام، وقرت هذه الرسالة فى أذهاننا إلى أن اشتغلنا فى مجال الدراسة والبحث فوجدنا من يقول:

يندر أن توجد فى تاريخ العالم كله سيرة خلافية حول ما حدث للمقوقس !! وشطر اللوم .. . على المؤرخين النساخين، وشطراً آخر على الذين يدخلون أهواءهم الحديثة فى مسائل التاريخ الخالية ويكتبون بخصومات اليوم، وأغراضه فى شؤون لم يكن فيها محل قط لتلك الخصومات والأغراض.

وقد كان تاريخ المقوقس مبهماً كتواريخ حكام الرومان فى البلاد التى فتحها المسلمون من فلسطين إلى أفريقية الشمالية، لأن أحوال الدولة الرومانية البيزنطية كانت فى ذلك العصر مبهمة متقلبة، يتولاها الامبراطور اليوم فيولى ويعزل، ويقرب ويبعد، ويغير المناصب، وأصحابها[١] .

كان تاريخ المقوقس عرضة للمسخ والإبهام من جانب المؤرخين والنساخين.. من مؤرخى العصور الحديثة الذين نظروا إلى أيام الفتح الإسلامى، كأنهم ينظرون إلى فتح يحدث فى هذه الأيام.. لقد كانت مصر فى حوزة الرومان ثم وقعت فى حوزة الفرس، ثم عادت إلى حوزة الرومان.. لهذا اختلف المؤرخون على كل شىء يتعلق بالمقوقس حتى كادوا أن ينكروه!!! اختلفوا فى اسمه وجنسه، ومنصبه، ومقصده، وغرضه، وظن بعضهم أن المقوقس اسم الرجل على أصله أو مشوباً ببعض التحريف، وظن البعض أنه لقب ووظيفة، ثم اختلفوا هل هو الأجيرج، أو الأعيرج، ومنهم من اعتقد أنه البطرق بنيامين الذى كان على مذهب الكنيسة الوطنية[٢] ... إلخ.

ولم يتفقوا أخيراً إلا فى أمر لقبه باللغة اليونانية، وهذا اللقب مفتاح لبعض الألغاز[٣] .

**تفخيم الألفاظ :**

كان من عادة الدولة الأجنبية المحتلة، تفخيم ألقاب الولاة، إذا كان الغرض مرضاة البلد

(١) عباس محمود العقاد : عمرو بن العاص ... ص ٩٢ . (٢) العقاد : عمرو بن العاص ... ص ٩٣ .
(٣) عمرو بن العاص ... ص ٩٤ .

المحكوم بمظهر السيادة... وتكون مقصورة على الوطنيين ومن فى حكمهم من المنتسبين إلى البلد، لأن هذا اللقب عوض عن التاج حيث لا منازعة عليه، فلا خطر على الامبراطور فى القسطنطينية من رئيس وطنى مفخم فى بلده بين أبناء وطنه، بل فى ذلك دفع لخطر الثورة ... أما الخطر... فهو من تعظيم قائد رومانى ينازع الامبراطور عرشه[(١)].

**فائدة اللقب:**

دان الامبراطور قسطنطين بالمسيحية فى أواخر أيامه، فأصبحت عاصمة الدولة تابعة فى العرف الدينى لكنيسة الإسكندرية، بوصفها أقدم الكنائس وأكبرها فى المشرق والمغرب.

ولما كان البطرق الإسكندرى رأس الدين المسيحى فى العالم كله قبل رؤسائه فى العاصمة الغربية والشرقية حتى كان يقول بعض بطارقتها: «ماذا يعنينى من الامبراطور؟ إننى هنا الامبراطور»[(٢)].

ولما كانت مصر خاضعة سياسياً لروما كان لزاماً عليها والحالة هذه أن تخضع لها دينياً، فعملت روما من جانبها على تعويض منصب البطرق باجتماع لقب سياسى دينى فى كرسى واحد لشخص وطنى واحد هو المقوقس.

ولعل لقب الخديو .. أشبه بلقب المقوقس فى أواخر عهد الدولة الرومانية، فهو وال فى المنزلة السياسية وهو ولى الأمر بالنيابة عن الخليفة، وباسمه تقام الأحكام الشرعية، والإدارية فى ظل شاهنشاه، وخليفة المسلمين[(٢)].

**معنى كلمة المقوقس:**

كانت كلمة المقوقس، أو المقوقس كلمة يونانية بمعنى المفخم، أو الفاخر، كالحضرة الخديوية الفخيمة، أو المفخمة كما صححتها اللغة العربية. وكان إطلاق هذا اللقب على رئيس من المصريين، أو المتمصرين معقولاً مفهوماً فى تلك الفترة على سبيل التعويض والترضية، وهذا أمر مقبول، أما غير المقبول فهو إطلاقه على قائد رومانى، لأنه قد يطمع فى انتزاع العرش[(٢)].

ويستخلص، أن شخصية المقوقس حقيقة يؤكدها:

**أ-** خطاب النبى ﷺ إلى المقوقس، كما أرسل إلى هرقل وكسرى...

**ب-** موقف المقوقس التاريخى مع عمرو بن العاص بشأن صلح مصر، وإتمام هذا الصلح

(١) عمرو بن العاص .. ص ٩٤ .
(٢) المصدر نفسه .. ص ٩٥ .

على يديه، والتزامه به.

جـ- حرصه على مصلحة المصريين، حتى خلصهم من ظلم الرومان وبطشهم غير مبال في يد من تقع.. كل هذه أمور تعطينا اطمئناناً إلى حقيقة شخصية المقوقس المصرى[١].

**موقف بتلر من المقوقس :**

يعد الدكتور الفريد بتلر من أكبر المؤرخين لعصر الفتح الإسلامى، فقد أقام فى مصر زمناً قبل الاحتلال البريطانى وبعده، واجتهد اجتهاده العلمى فى تمحيص الوثائق التى عثر عليها فى القصور الخديوية، والمكتبات العامة تلمح من ثنايا كلامه كأنه يكتب عن خروج مصر من الدولة الرومانية، وهو يتصورها خارجة من الدولة البريطانية فى العصر الحديث، ويحسب أن تدبير هذا الخروج «عمل خائن» فبعد أن أورد الأقوال المتضاربة ليضعها ويفندها، اختار قولاً واحداً على سائرها، إنه القول الذى يدين به المقوقس ويسفه رأيه[٢].

وأشد من بتلر على المقوقس بريطانية تدعى «أ. ل. بتشر» التى كتبت تاريخ الأمة القبطية تأسف أولاً : على أنها انفصلت من الكنائس الغربية وثانيًا : إن خروج مصر من حكم الرومان كان خيانة مصرية لاتضارعها خيانة، وتمثلت هذه الخيانة كأنه عائش فى زمانها، فهالت عليه من السباب المقذع ما يستحقه عندها الخارجون على سلطان بريطانيا العظمى وهى «أى بتشر» على خلاف رأى بتلر فى تحقيق شخصية المقوقس، لأنها تقول: إنه هو جورج، أو جرجس المصرى، وتتوجع لما حدث، كأنه لو لم يحدث كانت سلمت الدولة الرومانية مما أصابها، وبقيت مصر فى حوزتها[٣]:

إن المستشرقين لا يريدون الاستقرار على أمر المقوقس حتى لا يعترفوا صراحة وضمناً بمراسلة النبى ﷺ له، فهم يقولون: إن اسم المقوقس لم يزل غامضاً، هل كان قبطياً؟ هل كان من أصل يونانى؟ هل المقوقس الذى سلم القاهرة هو نفسه الذى أبرم اتفاقية الإسكندرية[٤]؟

حتى قال أحد الأجانب وهو دكتور جاك إننا : «نميل إلى الاعتقاد دون أن نجزم قطعياً بأن المقوقس الذى فاوض فى تسليم بابليون هو شخص آخر غير البطريرك قيرس الذى أبرم

(١) العقاد : عمرو بن العاص .. ص ٩٥ ـ ٩٧ بتصرف، وفتوح مصر والمغرب ص ٦٤، ٩٥ ، ١٠٤ تحقيق عبد المنعم عامر.

(٢) العقاد : عمرو بن العاص ص ٩٧ .

(٣) انظر عمرو بن العاص ص ٩٩ .

(٤) المصدر نفسه ص ١٠٨ .

صلح الإسكندرية، بل إنه حاكم قبطى»[١]. على أن المؤرخ الكاثولوكى «ابن بطريق» يشير إلى أن المقوقس هو يعقوبى مبغض للروم، ولم يكن يتهيأ له أن يظهر مقالة اليعقوبيين لئلا يقتلوه»[٢].

**حاكم بابليون :**

يحملنا الاعتقاد فى أن حاكم بابليون أيام الحملة كان قبطيًا، وهو الفرق الواضح بين اتفاقيتى : القاهرة والإسكندرية، فبينما تعنى اتفاقية الإسكندرية صراحة بمصير اليونانيين، لم تهتم اتفاقية بابليون إلا بمصير الأهلين، وأبا ابن عبد الحكم أن يترك شكًا فى هذا الموضوع، فأضاف بعد أن ذكر الاتفاقية الموقع عليها فى بابليون ما يأتى : «هذا كله على القبط خاصة»[٣] ومن جهة أخرى أراد المقوقس أن يخطر عمرًا قبل دخول الاتفاقية فى دور التنفيذ، فقال له : إنما سلطانى على نفسى ومن أطاعنى، وقد تم صلح القبط فيما بينك وبينهم، ولم يأت من قبلهم نقض، وأما الروم فإنى برىء منهم ليس دينى دينهم، ولا مقالتى مقالتهم، وإنما كنت أخاف منهم القتل، فلذلك كنت استر دينى ومقالتى وأكتم ذلك»[٣].

إذن فالمقوقس حاكم مصر فى ذلك الوقت شخصية مشهورة داخل أرض الكنانة وخارجها، والدليل ما يلى :

أولاً : أنه عرف بهذا اللقب فى بلاد الحجاز قبل فتح مصر بأكثر من عشر سنين، وكتب إليه النبى ﷺ الرسالة المشهورة، وبهذا اللقب، ورد عليه المقوقس، وأن خبر الرسالة النبوية وجوابها من وراء كل شك، وكل تردد وتأويل، وقد وصلت السيدة مارية وأختها مع الجواب، ثم ولد للنبى ﷺ ابنه إبراهيم من مارية القبطية وموته وكسوف الشمس يوم وفاته، حتى قال قائل : كسفت لموت إبراهيم ، فقال : رسول الله ﷺ : «لا تكسف لموت أحد، ولا لمولده»، وفى لفظ : «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده فلا ينكسفان لموت أحد، ولا لمولده»[٤]. حتى حسب العالم الفلكى محمود باشا أن هذا الكسوف حدث فى

---

(١) نقلاً عن عمرو بن العاص ... ص ١٠٨ . (٢) المصدر السابق ... ص ١٠٩ .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب .. ص ١٠٥ وما بعدها تحقيق عبد المنعم عامر، وعمرو بن العاص .. ص ١٠٩ ، ١١٦ وفيها اعتراف صريح للمقوقس بأنه مصرى، كما يلاحظ أهمية الحوار الذى دار بين المقوقس، والأب صمويل. يراجع الفصل الثالث .. من الباب الأول، وعمرو بن العاص ص ١٠٩ وما بعدها .

(٤) راجع صحيح البخارى جـ ٢ ص ٤٨ الحلبى .

المدينة المنورة «عند الساعة الثامنة والدقيقة الثلاثين بعد منتصف الليل من اليوم السابع والعشرين من شهر يناير سنة ستمائة واثنتين وثلاثين ميلادية»[١] ويطابق هذا التاريخ تقدير مؤرخي المسلمين عن وقت ولادة إبراهيم، وقدوم أمه السيدة مارية[٢]...

ثـانـيًا : ليس المهم إذن تصريف اسم المقوقس باليونانية أو الحبشية أو القبطية، وإنما المهم أن عظيمًا فى مصر كان يملك من أمر شعبها ما لم يملكه عاهل القسطنطينية، كاتبه محمد ﷺ،ورد على كتابه[٣].

ثـالـثًا : إن خروج المؤرخ دكتور بتلر، أو غيره من ورطة أوقعوا أنفسهم فيها ليس مبررًا لتغيير مجرى الحوادث والروايات.

رابـعًا : يتضح الموقف أن هناك دورًا لا يقبل الشك، وهو دور زعيم «أهلى» مسؤول له صفة شعبية لا تستطيع دولة الرومان انتزاعها منه، فهو دور لا يؤديه إلا من كان له صفة المقوقس[٤].

خـامسًا : إن الصلح فى مصر كان نسخة مكررة من الصلح فى فلسطين، ففى العهدين معًا أمان للبيع والكنائس واتفاق على خروج من يريد الخروج مع الروم من أهل البلاد. وفى عهد فلسطين أمان من إكراه أهل بيت المقدس على مساكنة اليهود، يقابله فى مصر عهد أمان من إكراه أهلها على مساكنة النوب، لأنهم كانوا معهم قبل ذلك فى قتال على الشؤون الدينية والدنيوية، فلا موضع هنا لخيانة، ابتدعها الزعيم الوطنى فى الديار المصرية، لأنه لم يقبل شيئًا أقل مما قبله أهل فلسطين[٤].

وقد تقبل كلمة خيانة إذا كانت الدولة الرومانية قادرة على حماية مصر عاجزة عن حماية فلسطين لكنه فرض بعيد لا يخطر على بال المعاصرين فى تلك الأيام، فالدفاع عن فلسطين أهون من الدفاع عن مصر بكثير، لأن طريق البر مفتوح بين بلاد الدولة الرومانية فى آسيا الصغرى، وبين ميادين فلسطين من شمالها إلى جنوبها. فإذا كانت الدولة الرومانية لا تستطيع أن تبعث البعوث إلى جيرانها القريبة فهى أعجز عن ذلك فى الميادين المصرية. وإذا كانت السفن لا تسعفها على شواطئ فلسطين فهى لا تسعفها فى الإسكندرية ودمياط[٥].

(١) محمود باشا الفلكى : التقويم العربى قبل الإسلام وتاريخ ميلاد الرسول وهجرته ﷺ . ترجمة السفير محمود صالح الفلكى. ط/ مجمع البحوث الإسلامية مطبعة الأزهر هـ ـ ١٩٦٩ م

(٢) العقاد : عمرو بن العاص ص ١٢٠ . (٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه ص ١٢١ ، ١١٢ وراجع فتوح مصر والمغرب ص ٢٥٣ وما بعدها والبحث ص

(٥) عمرو بن العاص .. ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

**سادسا**: هناك أمر عام وهو حالة فلسطين من الوجهة الدينية، فإن هرقل كان خليقا أن يهتم باستبقائها لما فيها من الأماكن المقدسة التى تقوم عليها صفته فى عاصمة الدولة الشرقية على الخصوص، وأن رعاياه هناك غير ناقمين عليه، ولم تزل ذكرى دخوله بيت المقدس عالقة بالأذهان [١]، ولكنه لم يقدر.

**سابعا**: أما كلمة خيانة فى حق المقوقس فإنها تقبل لو كانت الدولة قادرة على الدفاع عن مصر فثبط عزيمتها فيطلق عليه أنه موظف «رومانى» خذل دولته وسلم البلاد لقوم آخرين، لكن الواقع أن الدولة الرومانية لم تكن لها ذمة تخان فى البلاد المصرية من الوجهة الشرعية، أو الدينية أو العملية الواقعية للآتى:-

أ ـ **فهي من الوجهة الشرعية**: دولة أجنبية غاصبة، حرمت مصر حقها، وأوقعتها فى منازعات لا تنقضى، ساعدها المصريون على طرد الفرس، وساعدوا هرقل على فوقاس فجزاهم على معونتهم شر الجزاء.

ب ـ **ومن الوجهة الدينية**: لم تكن على مذهب المصريين، ولم تسمح لهم أن يختاروا عقيدتهم، وكان النزاع الدينى بين مصر وروما على أشده، وأعنفه عند قدوم عمرو بن العاص وقد سجل ميخائيل السورى فى تاريخه:إن «المنتقم الجبار» أتى بأبناء إسماعيل من الصحراء ليخرجوا الأمم من ربقة الروم، والفرس [٢].

جـ ـ **ومن ناحية الواقع**: لم تكن دولة الروم قادرة على صد الغارات عنها وحفظ الأمن فيها، لقد نزعت سلاح المصريين، وقسمت القيادة العسكرية بين الرؤساء الرومانيين، وتركت للوطنيين أن يدفعوا غارات اللصوص بسلاحهم فتعرضت للسطو من ناحية الصحراء، ومن ناحية الجنوب، وتظهر صورة الاستهتار أن قائد حامية ليبيا الرومانى وهو على مقربة من المعارك الفاصلة بين المسلمين والدولة الرومانية لم يتقدم للاشتراك فيها، لأنها لم تترك فى نفس أحد غيْرة عليها [٣].

**ثامنا**: لقد تصرف المقوقس تصرف ضرورة، فقد وجد الدولة لا تقوى على المقاومة فى فلسطين، وهى بالتالى لن تقوى فى بلاده، لقد نظر المقوقس حوله فلم يجد إلا جرائم البغى

---

(١) عمرو بن العاص..ص١٢٣، وبتلر:فتح العرب لمصر..ص٩٧ وما بعدها.
(٢) عمرو بن العاص..ص١٢٣ .
(٣) المصدر السابق...ص١٢٤، ١٢٥ بتصرف.

والقهر حول العرش شرقا وغربا :ثار فوقاس فقتل الامبراطور موريس، وثار هرقل فقتل الامبراطور فوقاس، والتاث عقل هرقل فلا يكاد يفيق من إحدى لوثاته.

ونظر إلى المشرق فرأى الشاهنشاه ملك الملوك قتيلا، ويرى ابنه كسرى الثانى ناجيا بنفسه إلى حمى بيزنطة، الذى ساعده على العودة إلى العرش..وبينما الامبراطور هرقل يتقدم إلى بيت المقدس لرده من أيدى الفرس إذ برسالة النبى ﷺ تدركه فى الطريق..، وتصل كذلك رسـالة النبى ﷺ إلى المقوقس، فيرد المقوقس بأدب، ولا يبعد أن يكون قد علم برد النجاشى على رسالة النبى ﷺ أيضا [١].

ثم تمضى فترة قصيرة فيتسامع المشرق كله إلى أقصى بلاد الصين بغزوات أتباع النبى ﷺ فى العراق، والشام، وفلسطين، وأنهم قد هزموا دولة الأكاسرة، ودولة القياصرة، ودخل فى ملتهم وكلاء فارس فى اليمن الذين أمرهم الشاهنشاه باعتقال نبى الإسلام لاجترائه على دعوته إلى الله [٢]تعالى.

كـيف يقع كل هذا من نفس المقوقس وهو فى وطنه المهدد المضروب بين الغارات والمطامع والمنازعات وكيف يتصرف، إن المقوقس لينظر يمينا وشمالا بين هذه الزعازع والأعاصير، ثم ينظر فى داخل البلد فلا يرى أحد يريد أن يفدى دولة الرومان بحياته وإن استطاع، لكن المؤرخ الحديث يركبه الغرور فيظن أن الجهل بالوقائع والأسماء أيسر شىء يتهم به أبناء ذلك الزمان، ويكاد يجزم بغرابة الأمر كله، لأنه يتوهم أن هذه الحوادث العالمية كانت مجهولة فى بلاد العرب [٢].

مع أن المسلمين كانوا على علم بما يدور فى العالم، كما أخبرهم القرآن الكريم فى صدر سورة الروم، وفى غيرها، مما وقع وسيقع للأمم [٣].

**تاسعا:** لم يكن فى استطاعة المقوقس أن يخون، لأنه لم ينزل عن شىء كان فى وسعه أن يتشبث به، ولم يترك شيئا فى وسعه أن يبقيه لنفسه، أو لقومه أو للرومان إن كان من همه أن يخدمهم بحال.إن الذين كتبوا عن المقوقس مجمعين على علاقته بتوصيل الخراج، وأنه

---

(١) المصدر نفسه ص ١٢٥ بتصرف، وراجع رد النجاشى على رسالة النبى ﷺ فى الملاحق .

(٢) العقاد:عمرو بن العاص..ص١٢٥ ،١٢٧ بتصرف.

(٣) راجع:صدر سورة الروم. وموقف المسلمين فيها من أهل الكتاب.

كان يظهر مذهب الروم الملكيين، ويبطن مذهب القبط اليعقوبيين، وعلاقة هذه بالخراج ترشح دون غيره للاتفاق مع الفاتحين على ضريبة الرؤوس [١].

أما مذهبه الدينى فربما كان للسياسة دخل فيما يعلنه منه وما يخفيه كعادة الأسرة الكبيرة التى تخشى على مكانتها، وفى مصر طلب الفرنسيون من محمد على الكبير أن يقنع الطائفة القبطية بالانتماء إلى الكنيسة الغربية فدفعه المعلم غالى «مباشر الدواوين» بحيلة موقوته تصرفه عن هذه الخطة...

وقال له:إنه هو وأسرته سيدينون بالكثلكة فيتبعهم أبناء الطائفة بغير حاجة إلى الإكراه أو الاقناع!.

وفى لبنان حدث مثل ذلك بين الأمراء الشهابيين من المسلمين والمسيحيين وبقيت الأسرة كلها على دينها إلى اليوم! وغير بعيد أن يكون المقوقس قد استبقى مكانته بمجاراة الدولة على مذهبها فقنعت الدولة منه بذلك [٢].

ومن ثم يتضح أن المقوقس حقيقة أثبتها التاريخ، وصدقتها رسالة محمد ﷺ التى بعثها إليه مع حاطب بن أبى بلتعة ـ رضى الله عنه ـ ورد المقوقس بالهدية والخطاب.

---

(١) المصدر السابق..ص ١٢٨ .
(٢) المصدر نفسه..ص١٢٨، ١٢٩ بتصرف.

## كتاب عمر إلي عمرو بن العاص حين سار لفتح مصر.

بع ص ٥٨، ومجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة ص ٣٨٤ .

«إن أدركك كتابى قبل أن تدخل مصر، فارجع إلى موضعك.وإن كنت دخلتها فامض لوجهك».

## كتاب الخليفة إلي عمرو بن العاص عامل مصر

«نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر» لشمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى طالب الانصارى الصوفى الدمشقى (طبع بطرسيورك) ص ١٠٩ نقلا عن مجموعة الوثائق..ص٣٨٤

«أما بعد يا عمرو:إذا أتاك كتابى فابعث إلىّ جوابه، تصف لى مصر ونيلها وأوضاعها، وما هى عليه حتى كأننى حاضرها».

## جواب عمرو في وصف مصر

نخبة الدهر لمحمد بن أبى طالب ص ١٠٩ _ ١١٠ (وروايتها مخرومة فى عدة أماكن) _ التراتيب الادارية للكتانى ج ٢ ص ٢٦٦ ،٢٦٧ (عن النجوم الزاهرة لأبى المحاسن ١ ص ٣٢ _ ٣٣)، ومجموعة الوثائق....ص ٣٨٤ _ ٣٨٥ .

فأعاد عليه عمرو بن العاص مكتوبا جواب كتابه:

بسم الله الرحمن الرحيم

٣ أما بعد:يا أمير المؤمنين فإنها تربة غيراء، وحشيشة خضراء، بين جبلين، جبل رمل كأنه بطن أقبّ وظهر أجبّ.ورزقها ما بين أسوان إلى منشا من البر.يخط وسطها نهر مبارك الغدوات، وميمون

٦ الروحات.يجرى بالزيادة والنقصان، كمجارى الشمس والقمر، له أوان تظهر إليه عيون الأرض ومنابعها، مسخّر له بذلك ومأمورة له.حتى إذا اطلخمّ عجاجه وتغطغطت أمواجه، واخلولوت لججه.لم يبق الخلاص إلى القرى بعضها إلى بعض، إلا فى خفاف القوارب، أو صغار المراكب، ٩

التى كأنها فى الحبائل ورق الأبابيل.ثم أعاد بعد انتهاء أجله نكص على عقبيه، كأول ما بدا، فى دربه وطما فى سربه.ثم استان مكنونها ومخزنها.ثم انتشرت بعد ذلك أمة محفورة، وذمة مغفورة لغيرهم ما سعوا به من كدهم ١٢

وما ينالوا بجهدهم، شعثوا بطون الارض وروابيها، ورموا فيها من الحب ما يرجون به من التمام من الرب.حتى إذا أحدق فاستبق وأسبل قنواته سقى الله من فوقه الندى، ورواه من تحته بالثرى وربما كان سحاب ١٥

مكفهـر وربما لم يكن.وفي زمـاننا ذلك، يا أمـيـر المؤمنين، مـا يغنى ذبابه ويدر حلابه.فبينما هى برية غبراء، إذ هى لجة زرقاء، إذ هى سندسية خضراء، إذ هى ديباجة رقشاء، إذ هى درة بيضاء، إذ هى ١٨

حلة سوداء.فتبارك الله أحسن الخالقين.

وفيها ما يصلح أحوال أهلها ثلاثة أشياء:أولها: لا تقبل قول رئيسها على خسيسها. والثاني:يؤخذ ارتفاعها (٠٠٠٠ ؟) يصرف فى ٢١

عمارة ترعها وجسورها.والثالث:لا يستأدى خراج كل صنف إلا منه عند استهلاله. والسلام ٢٤

(٢) الكتاني:......

(٣) الكتاني:..مصر تربة غبراء وشجرة خضراء طولها شهر وعرضها شهر.

(٤ ـ ٥) الكتاني:يكتنفها جبل أغبر ورمل اغفر..يخط وسطها نهر ميمون الغدوات مبارك الرواحات.

(٦ ـ ٧) الكتاني:كمجرى الشمس – تظهر به – ينابيعها

(طـ ـ ٩) الكتاني:.. حتى إذا عج عجيجه وتعظمت أمواجه...لم يكن وصول بعض أهل القرى إلى بعض.

(٩) النخبة:في حقاف العقاب.

(٩ ـ ١٠) الكتاني:المراكب فاذا تكامل فى الزيادة نكص

(١١ ـ ١٩) الكتاني:شدته وطمى فى حدته فعند ذلك يخرج القوم ليحرثوا بطون أوديته وروابيه يبذرون الحب ويرجون الثمار من الرب حتى إذا أشرق وأشرف سقاء من فوقه الندى وغذاء من تحته الثرى فعند ذلك يدر حلابه ويغنى ذبابه فبينما هى يا أمير المؤمنين درة بيضاء إذا هى عنبرة سوداء وإذا هى زبرجدة خضراء فتعالى الله الفعال لما يشاء الذى يصلح هذه البلاد وينميها.

(٢٠ ـ ٢١) الكتانى:.. أن لا يقبل قول خسيسها فى رئيسها.

(٢١ ـ ٢٢) الكتانى:.. وأن لا يستـأدى خراج ثمرة إلا فى أوانها وأن يصرف ثلث ارتفاعها فى عمل جسورها وترعها إذا تقرر الحال مع العمال فى هذه الاحوال تضاعف المال والله تعالى يوفق فى المبتدأ والمآل.

(٢٤) الكتانى:.......

## معاهدة مع أهل مصر

طب ص ٢٥٨٧ ـ ٨٩ قلقس ج ص ٣٢٤

قابل بع ع ٣٨٥، وفتح العرب لمصر،

وانظر لين بول ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ ـ بتلر:Butler Treaty of Misr

ومجموعة الوثائق.....ص ٣٨٦ ـ ٣٨٧ .

لما نزل عمرو بن العاص على القوم بعين شمس، وكان الملك بين القبط والنوب، ناهدوه فقاتلهم، وارتقى الزبير بن العوام سورها

٣ ونزل عليهم عنوة، فاعتقدوا بعدما أشرفوا على الهلكة، فزجروا ما أخذوا عنوة، مجرى ما صالح عليه، فصاروا ذمة وكان صلحهم:

بسم الله الرحمن الرحيم

٦ هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان، على أنفسهم وملتهم وكنائسهم وصلبهم وبرّهم وبحرهم، لا يدخل عليهم شيء من ذلك، ولا ينتقص، ولا يساكنهم النوب.وعلى أهل مصر أن يعطوا

٩ الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح، وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف. وما عليهم ما جنى لصوتهم.فإن أبى أحد منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزاء بقدرهم.وذمتنا ممن أبى بريئه.وإن نقص نهرهم من غايته إذا انتهى، رفع عنهم بقدر ذلك. ١٢

ومن دخل فى صلحهم من الروم والنوب فله مثل مالهم.وعليه مثل ما عليهم.ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن، حتى يبلغ مأمنه، أو

يخرج من سلطاننا.عليهم أثلاثا، فى كل ثلث جباية ثلث ما ١٥

ما عليهم.

على ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمته، وذمة رسوله، وذمة الخليفة أمير المؤمنين، وذمم المؤمنين.

وعلى النوبة الذين استجابوا:أن يعينوا بكذا وكذا رأسا ، وكذا وكذا فرسا، على أن لا يغزوا، ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة ٢٠

شهد الزبير، وعبد الله، ومحمد ابناه، وكتب وردان وحضر.

(٨) قلقش :تساكنهم

(١٠) قلقش: وعليه ممن جنى نصرتهم

(١١) قلقش: الجزى

(١٣ ـ ١٤) قلقش: النوبة فله مالهم وعليه ما عليهم.

معاهدة وقت فتح مصر

الأموال لابن زنجويه (خطيه) ورقة ٤٩ / ألف

ـ الأموال لأبى عبيد، ع ٣٨٥ ، نقلا عن الوثائق السياسية...ص٣٨٧ ـ ٣٨٨ .

وفتوح مصر لابن عبد الحكم ص ١٢٥ تحقيق عبد المنعم عامر.

أبو عبيد ..قال:سألت شيخا من القدماء:هل كان لأهل مصر عهد؟ قال:نعم.قلت:فهل كان لهم كتاب؟ قال:نعم، كتاب عند طلما صاحب اخنا، وكتاب عند فلان، وكتاب عند فلان.قلت:فكيف كان عهدهم؟ قال:عليهم ديناران من الجزية، ورزق المسلمين.

قلت:أتعلم ما كان لهم من الشروط؟ قال:نعم، ستة شروط:أن لا يخرجوا من ديارهم، ولا يفزع نساؤهم ولا أبناؤهم، ولا كنوزهم ولا أرضوهم، ولا يزاد عليهم.

... هم ستة شروط منها أن لا يؤخذ من أرضهم شيء، ولا يزاد عليهم، ولا يكلفوا فوق طاقتهم، ولا تؤخذ ذراريهم، وأن يقاتل عدوهم من ورائهم.

قال أبو عبيدة:فقد اختلفت الأخبار فى أمرهم، وأنا أقول:إن الامرين جميعا قد كانا، وقد صدق الخبران كلاهما.لأنها فتحت مرتين.فكانت المرة الأولى صلحا، ثم انتكست الروم عليهم ففتحت الثانية عنوة.

## كتاب عمرو بن العاص في فتح الاسكندرية ثانيا

الأموال لابى عبيد ع، ٣٨٧ ـ الاموال لابن زنجويه (خطيه) ورقة ٤٩ / ب، نقلا عن مجموعة الوثائق السياسية...ص٣٨٨، وابن عبد الحكم:فتوح مصر ص ١١٨ تحقيق عبد المنعم عامر.

إن المقوقس الذى كان على مصر كان صالح عمرو بن العاص، فلم يرض به هرقل وبعث الجيوش فأغلقوا الإسكندرية وآذنوا عمرو بن العاص بالحرب.فقاتلهم، وكتب إلى عمر ابن الخطاب:

أما بعد:فإن الله تبارك وتعالى فتح علينا الاسكندرية عنوة قسرا، بلا عهد ولا عقد».

كتاب عمر فى عدم تقسيم مصر كالغنيمة

الأموال لابن زنجويه (خطيه) ورقة ٢١ / ب ومجموعة الوثائق...ص٣٨٨ .

وفتوح مصر....ص ١٢٤ .

سفيان بن وهبد الخولانى يقول:فتحنا مصر بغير عهد، فقام الزبير بن العوام فقال: اقسمها يا عمرو بن العاص.فقال عمرو:لا أقسمها..حتى أكتب إلى أمير المؤمنين. فكتب إليه.

ولم يرو نص الكتاب.

وكتب عمر بن الخطاب أن:

أقرها حتى تغزوا منها (ما) حبل الحبلة

## كتاب عمر في اطلاق السبايا

طب ص ٢٥٨١ ـ ٢٥٨٢

ومجموعة الوثائق السياسية...ص٣٨٩ .

وفتوح مصر ..ص ١٢٢ وما بعدها.

عن زيادة بن جزء الزبيدى، أنه كان فى جند عمرو بن العاص حين افتتح مصر.قال: لما انتيهنا إلى بلهيب، وقد بلغت سبايانا المدينة ومكة واليمن، قال : فلما انتهينا إلى بلهيب، أرسل صاحب الاسكندرية ٣

إلى عمرو، وسأله فى ردّ السبايا...وأقمنا ننتظر كتاب عمر حتى جاءنا، فقرأه علينا عمرو بن العاص وفيه: أما بعد فإنه جاءنى كتابك تذكر أن صاحب الإسكندرية عرض ٦

أن يعطيك الجزية، على أن ترد ما أصيب من سبايا أرضه. ولعمرى
لجزية قائمة تكون لنا ولمن بعدنا من المسلمين، أحب ألىّ من فىء يقسم
ثم كأنه لم يكن. فاعرض على صاحب الإسكندرية أن يعطيك الجزية، ٩
على أن تخيروا من فى أيديكم من سبيهم بين الإسلام وبين دين قومه
فمن اختار منهم الإسلام فهو من المسلمين، له ما لهم وعليه ما عليهم.
ومن اختار دين قومه، وضع عليه من الجزية ما يوضع على أهل دينه. ١٢
فأما من يتفرق من سبيهم بأرض العرب، فبلغ مكة والمدينة واليمن،
فإنا لا نقدر على ردّهم ولا نحب أن نصالحهم على أمر لا نفى به.

## معاهدة مع أهل أنطابلس

الخراج لقدامة بن جعفر ورقة ١٦٦ - بع ع ٤٠٥ - اليعقوبى ج ٣ ص ١٧٩، ومجموعة الوثائق السياسية .... ص ٣٩٠ وابن عبد الحكم ص ٢٣٠، تحقيق عبد المنعم عامر.

سار عمرو بن العاص بعد فتحه الإسكندرية فى جنده يريد المغرب، حتى قدم برقة وهى مدينة أنطابلس. فصالح أهلها على الجزية على

٣ ثلاثة عشر ألف دينار، يبيعون فيها من أبنائهم ومن اختاروا بيعه وكتب لهم بذلك كتاباً..

ولم يرد نصه.

(٣) اليعقوبى : من أبنائهم من أحبوا فى جزيتهم.

## معاهدة مع بربر لواته

الأموال لابن زنجويه (خطية) ورقة ٦٥ / ألف بع ع ٤٩٠، نقلاً عن مجموعة الوثائق السياسية... ص ٣٩٠

عن الليث بن سعد أن عمرو بن العاص كان كتب على لواتة من البربر . شرط عليهم:
أن عليكم أنت تبيعوا أبناءكم وبناتكم فيما عليكم من الجزية .
قال الليث: فلو كانوا عبيداً ما حل ذلك لهم منهم.

## تعليمات عمر لأمراء الجيوش والأجناد والجزية

الأموال لابن زنجويه (خطية) روايات عديدة، ورقة ١٤ / ألف ـ ١٥ / ب نقلاً عن مجموعة الوثائق السياسية ..... ص ٣٩٠ ـ ٣٩٠ .

كتب عمر إلى أمراء أهل الجزية : ألا يضربوا الجزية إلا على من جرت عليه المواسى. ولا يضربوا على النساء والصبيان.

إلى أمراء أهل الجزية ألا يضربوا الجزية إلا على من جرت عليه المواسى منهم. وجزيتهم أربعين درهماً، أو أربعة دنانير على أهل الذهب. وعليهم أرزاق المسلمين من الحنطة مدّين أو مديين، وثلاثة أقساط زيت لكل إنسان كل شهر. ومن الودك والعسل والكسوة التى كان أمير المؤمنين يكسوها الناس .. (شيئاً لم يحفظه عبيد الله) . ويضيفون من نزل بهم من أهل الإسلام ثلاثة أيام. وعلى أهل العراق خمسة عشر صاعاً لكل إنسان.

كتب عمر إلى أمراء الجيوش أن: قاتلوا من قاتلكم، ولا تقتلوا النساء ولا الصبيان. ولا تقتلوا إلا من جرت عليه المواسى.

وكتب إلى أمراء الأجناد أن يضعوا الجزية ولا يضعوا على النساء ولا على الصبيان. ولا يضعوا إلا من جرت عليه المواسى. على أهل الورق أربعين درهماً. وعلى أهل الذهب أربعة دنانير. وأمر أن يختم على رقابهم. وعلى أهل الشام وعلى أهل الجزيرة مدين أو مديين من بر وأربعة أقساط من زيت وشيء من الودك ـ (لا أحفظه) ـ وعلى أهل مصر أردب من بر. (قال:) وشيء من العسل ـ (لا أحفظه ) ـ وعليهم كسوة أمير المؤمنين ضريبة مضروبة. وعلى أهل العراق خمسة عشر صاعاً. وعليهم ضيافة المسلمين ثلاثاً، يطعمونه مما يأكلون مما يحلُّ للمسلم طعامهم.

## كتاب عمر في معاملة أهل الذمة

كتاب الأموال لابن زنجويه (خطية) ورقة ٢٠ / ألف ـ ٢٠ / ب نقلاً عن مجموعة الوثائق السياسية ... ص ٣٩١ .

قال عمر: يا يرفأ اكتب إلى أهل الأمصار فى أهل الكتاب أن يجزُّوا نواصيهم، وأن يربطوا الكستيجات ـ يعنى الزنابير ـ فى أوساطهم ليعرف زيهم من زى أهل الإسلام.

## كتاب عمر في قتل الخنازير

الأموال لابن زنجويه (خطية) ورقة ٣٤ / ب، نقلاً عن مجموعة الوثائق الساسية .... ص ٣٩٢ .

كتب عمر إلى أمراء الأمصار يأمر بقتل الخنازير، ونقص أثمانها من الجزية.

## كتاب عمر في الشرائط على المجوس

للتمييز بين من هو من أهل الكتاب منهم ومن ليس بأهل الكتاب.

الأموال لأبى عبيد، ع ٧٧ ـ الأموال لابن زنجويه (خطية) ورقة ١٣ / ألف ـ ب، نقلاً عن مجموعة الوثائق السياسية .... ص ٣٩٢ .

روى ابن زنجويه عن بجالة بن عبدة العصرى قال : كتب إلينا عمر بن الخطاب أن: أعرضوا على من قبلكم من المجوس أن يدعوا نكاح أمهاتهم وبناتهم وأخواتهم، وأن يأكلوا جيمعًا، كيما نلحقهم بأهل الكتاب. واقتلوا كل ساحر وكاهن.

وروى أبو عبيد عنه : أتانا كتاب عمر ﷺ قبل موته بسنة أن : اقتلوا كل ساحر، وفرقوا بين ذى محرم من المجوس، وانهوهم عن الزمزمة(١).

## كتاب عمر في تعليم الناس القرآن الكريم والعطاء له

الأموال لابن زنجويه (خطية) ورقة ٩٣ / ألف ، نقلاً عن مجموعة الوثائق السياسية ... ص ٣٩٢ .

إن عمر بن الخطاب كتب إلى بعض عمّاله أن: أعط الناس على تعلم القرآن.

فكتب إليه: إنك كتبت إلىّ أن أعطى الناس على تعلم القرآن. فتعلمه من ليست له فيه رغبة إلا رغبة الجعل .

فكتب إليه أن: أعط الناس على المروءة والصحابة.

## معاهدة مع أهل النوبة

خطط المقريزى جـ ١ ص ٢٠٠ .

انـظر بمـح ص ١٨٨ ـ ١٨٩ ـ طب ص ٢٥٩٣ ـ بع ع ٤٠١ ـ ٤٠٢ ـ بلاص

(١) الزمزمة : الصوت يديره الشخص فى خيشومه وحلقه بدون تحريك اللسان أو الشفة. انظر المعجم الوسيط مادة: زمزم

٢٣٧ ـ ٢٣٨ ـ الخراج لقدامة ورقة ١٧٢ ـ ١٧٣ يعقوبى ج٢ ص ١٩١ ـ جريدة الفتح (مصر) من ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣٥٥ ـ مجلة «معارف» أعظم كره فى الهند ج٣٨ ع٦ ـ هقتنك ص ٩٦ ـ ٩٧ ـ ميك مائكل ج ١ ص ١٥٧ ـ ١٥٨ ، ومجموعة الوثائق السياسية ..... ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤ . وفتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم ص ٢٥٢ وما بعدها.

بسم الله الرحمن الرحيم

١) عهد من الأمير عبد الله بن سعد بن أبي سرح لعظيم النوبة ولجميع أهل مملكته.

(٢) عهد عقده على الكبير والصغير من أهل النوبة، من حدّ أرض أسوان إلى ٣
حد أرض علوة.

(٣) إن عبد الله بن سعد جعل لهم أمانًا وهدنة، جارية بينهم وبين المسلمين
ممن جاورهم من أهل صعيد مصر، وغيرهم من المسلمين وأهل الذمة. ٩

(٤) إنكم معاشر النوبة، آمنون بأمان الله وأمان رسوله محمد النبى ﷺ ، أن لا
نحاربكم، ولا ننصب لكم حربًا، ولا نغزوكم، ما أقسم على الشرائط التى بيننا
وبينكم ١٢

(٥) على أن تدخلوا بلدنا مجتازين غير مقيمين فيه. وندخل بلدكم مجتازين
غير مقيمين فيه.

(٦) وعليكم حفظ من نزل بلدكم، أن يطرقه من مسلم أو معاهد حتى يخرج
عنكم.

(٧) وأن عليكم رد كل آبق خرج إليكم من عبيد المسلمين، حتى تردوه إلى ١٥
أرض الإسلام، ولا تستولوا عليه، ولا تمنعوا منه، ولا تتعرضوا لمسلم قصده
وحاوره، إلى أن ينصرف عنه.

١٨ (٨) وعليكم حفظ المسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم، ولا تمنعوا منه مصليًا
وعليكم كنسه وإسراجه وتكرمته.

(٩) وعليكم فى كل سنة ثلاثمائة وستون رأسًا تدفعونها إلى إمام المسلمين

٢١ من أوسط رقيق بلادكم، غير المعيب، يكون فيها ذكران وإناث، ليس فيها شيخ
هرم ولا عجوز، ولا طفل لم يبلغ الحلم، تدفعون ذلك إلى والى أسوان.

(١٠) وليس على المسلمين دفع عدو عرض لكم، ولا منعه من حد أرض

٢٤ علوة إلى أرض أسوان.

(١١) فإن أنتم آويتم عبداً لمسلم، أو قتلتم مسلماً أو معاهداً، أو تعرضتم للمسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم بهدم، أو منعتم شيئًا من الثلاثمائة رأس والستين رأساً، فقد برئت منكم هذه الهدنة، والأمان ونحن وأنتم على سواء،

٢٧ حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

(١٢) علينا بذلك عهد الله وميثاقه وذمّته، وذمة رسول الله محمد ﷺ، ولنا عليكم بذلك أعظم ما تدينون به من ذمة المسيح، وذمة الحواريين، وذمة من

٣٠ تعظمونه من أهل دينكم وملّتكم، الله الشاهد بيننا وبينكم على ذلك.

(١٣) كتبه عمرو بن شرحبيل فى رمضان سنة إحدى وثلاثين.

## عهود النبي ﷺ لطوائف النصارى القبط والسريان اليعقوبية بمصر

نقلاً عن مجموعة الوثائق .... ص ٤١٣ ـ ٤٢٠ .

بسم الله الرحمن الرحيم

نسخة العهد الموهوبة من نبى الله محمد، لطوائف النصارى القبط والسريان اليعقوبية بمصر وأقاليمها، وفى كل مكان من أقطار الأرض، هذا عهد منى إلى سكان جميع النواحى من السريان والقبط، حفظاً لميثاقهم ورعاية لأجل الله عزّ وجلّ، لأنهم وديعة الله فى أرضه، ومحافظون لما أنزل عليهم فى الإنجيل والزبور والتوراة، لا يكون لهم الحجة عليهم من قبل الله تعالى، وصية منه وحفظاً عليهم بأمر العزيز الحكيم، إذ أمر معاوية بقوله: «اكتب لهم هذا العهد مني، ليطّلعوا (كذا) عليه سائر المسلمين والمتولين للحكم من الأمراء والوزراء، والسلاطين والعلماء والفقهاء من الملة الإسلامية العاملين بوصيّتي.

ثم يتبع النص كما فى العهود السابقة مع اختلافات عرضية فى العبارة، وبعض إيضاحات وزيادات ـ وأما العهد الذى يقال : إن محمداً عاهد به الأرمن، فإن صورته قريبة من صور العهد اليعقوبى السابق ذكرها، إلا فى بعض قطعها ولا حاجة إلى نقل شيء منها.

## عهد النبي ﷺ للنصارى كما في دير الطور بمصر

أحمد زكى باشا، رسالة صورة العهدة النبوية الطورية، عن خطية دار الكتب المصرية رقم ٨١٤ تاريخ

### صورة النسخة الطورية

سطرًا بسطر وحرفًا بحرف بغاية الدقة والضبط كما هي:

سطر الأصل :

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم وبه العون. ٢ ـ نسخة سجل العهد، كتبه محمد بن عبد الله .

٣ ـ رسول الله ﷺ . ٤ ـ إلى كافة النصاري.

٥ ـ هذا كتاب كتبه محمد بن عبد الله إلى كافة الناس أجمعين .

(١) بشيراً ونذيراً ومؤتمناً على وديعة الله فى خلقه لئلا يكون للناس على الله حجة

بعد الرسل وكان الله عزيزًا حكيمًا. كتبه لأهلي ملته ولجميع من ينتحل دين النصرانية من

١٠ ـ مشارق الأرض ومغاربها، قريبها وبعيدها، فصيحها وعجميها، معروفها ومجهولها: كتابًا جعله لهم عهدًا.
فمن نكث العهد الذى فيه وخالفه إلى غيره وتعدّى ما أمره كان لعهد الله ناكثا، ولميثاقه ناقضا، وبدينه مستهزئا،

١٥ ـ وللعنة مستوجبا، سلطانا كان أم غيره من المسلمين المؤمنين. وإن احتمى راهب أو سائح فى جبل أو واد أو مغارة أو عمران أو سهل أو رمل أو ردنة أو بيعة،

١٨ ـ فأنا أكون من ورائهم ذابّ عنهم من كل عدة لهم بنفسى وأعوانى وأهل ملتى. وأتباعى كأنهم رعيتى وأهل ذمتى. أنا أعزل عنهم الأذى

٢١ ـ فى المؤن التى يحمل أهل العهد من القيام بالخراج إلا ما طابت به نفوسهم. وليس عليهم جبر
ولا اكراه على شىء من ذلك. ولا يغيّر أسقف من أسقفية ولا سائح من سياحته. ولا يهدم بيت من بيوت كنائسهم وبيعهم. ولا يدخل شىء من مال كنائسهم فى بناء

٢٧ ـ مسجد ولا فى منازل المسلمين. فمن فعل شيئا من ذلك فقد نكث عهد الله وخالف رسوله.
ولا يحمل على الرهبان والأساقفة ولا من يتعبد.

٣٠ ـ جزية ولا غرامة. وأنا أحفظ ذمتهم أينما كانوا من برّ أو بحر، فى المشرق والمغرب والشمال والجنوب.
وهم فى ذمتى وميثاقى وأمانى من كل

٣٣ ـ مكروه. وكذلك من ينفرد بالعبادة فى الجبال والمواضيع المباركة.
لا يلزمهم ما يزرعوه لا خراج ولا عشر. ولا يشاطرونه لكونه برسم أفواههم.

٣٧ ـ ويعانوا عند ادراك الغلّة باطلاق قدح واحد من كل أردب برسم أفواههم.
ولا يلزموا بخروج فى حرب، ولا قيام بجزية، ولا من أصحاب

٣٩ - الخراج وذوى الأموال والعقارات والتجارات مما أكثر (من) اثنى عشر
درهم بالحجة فى كل عام.ولا يكلف أحدًا منهم شططا.ولا يجادلوا إلا بالتى
٤٢ - هى أحسن.ويخفض لهم جناح الرحمة. ويكفّ عنهم أدب النصرانية عند
المسلمين فعليه برضاها وتمكينها
٤٥ - من الصلوات فى بيعها.ولا يحيل بينها وبين هوى دينها.
ومن خالف عهد الله واعتمد بالضد من ذلك
فقد عصى ميثاقه ورسوله.ويعانوا على مرمّة بيعهم
٤٨ - ومواضعهم.ويكـ (ذلك معونة لهم على دينهم ومعا (وفقا؟ وفاء)
لهم بالعهد، ولا يلزم أحدا منهم بنقل سلاح.
بل المسلمين يذبّوا عنهم ولا يخالفوا هذا العهد.
٥١ - أبدا إلى حين تقوم الساعة وتنقضى الدنيا.
وشهد بهذا العهد الذى كتبه محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ لجميع النصارى
٥٤ - والوفاء بجميع ما شرط لهم عليه من أثبت اسمه وشهادته آخره.

| | |
|---|---|
| على بن أبى طالب | أبو بكر بن أبى قحافة |
| ٥٧ - عمر بن الخطاب | عثمان بن عفان |
| أبو الدرداء | أبو هريرة |
| عبد الله بن مسعود | العباس بن عبد المطلب |
| ٦٠ - فضيل بن عباس | الزبير بن العوام |
| طلحة بن عبد الله | سعيد بن معاذ |
| ٦٣ - زيد بن ثابت | أبو حنيفة بن عبية |
| هاشم بن عبية | عبد العظيم بن حسن |
| عبد الله بن عمرو بن العاص | عار بن يس وصحته: عمار بن ياسر |

٦٦ - وكتب على بن طالب هذا العهد بخطّه
فى مسجد النبى ﷺ بتاريخ الثالث من المحرم ثانى

٦٩ ـ سى الهجرة .وأودعت نسخة فى خزانة السلطان.

وختم بخاتم النبى وهو مكتوب فى جلد أديم طائفى.

٧٣ ـ فطوبى لمن عمل به وبشروطه، ثم طوباه.

وهو عند الله من الراجين

عفو ربه .والسلام

**تصحيحات أحمد زكي باشا، حسب السطور:**

٥ ـ محمد بن عبد الله («رسول الله «أو» الذى أرسله الله») إلى كافة الناس

١٣ ـ تعدّى ما أمره (بـ) ه

١٤ ـ وللعنة (ه)

١٥ ـ سلطانا كان أو

١٦ ـ لا حاجة إلى «و» فى «وان احتمى»

١٧ ـ ردنة (؟) ـ مكان ـ

١٨ ـ من كل عدو

٢٠ ـ بل المسلمين يذبون عنهم ولا يخالفون

٣٤ ـ ٣٥ مما يزرعون (د) ه خراج

٣٦ ـ يعانون....ولا يلزمون

٤١ ـ ولا يجادلون

٤٢ ـ عنهم أذى

٥٠ ـ بل المسلمون يذبون عنهم ولا يخالفون

٦٠ ـ الفضل بن العباس (؟)

٦١ ـ صلحة بن عبيد الله سعد بن معاذ (؟) لم يذكره أحمد زكى باشا)

٦٢ ـ ثابت بن قيس (؟)

٦٣ ـ أبو حذيفة بن عتبة (؟)

٦٤ - هاشم بن عتبة (؟) (عبد العظيم غير معروف بين الصحابة؟ لم يذكره أحمد زكى باشا).

٦٥ - عمار بن ياسر (؟) .

وقد ذكر المرحوم أحمد زكى باشا رواية الرهبان عن أهل هذه الوثيقة وزاد معلومات أخرى فى مقدمة رسالته نقتبس منها ما يلى:

«وكـان النبى ﷺ يذهب كثيرا (!) قبل زمان رسالته إلى بلاد الشام فى صحبة عمه أبى طالب.واتفق ذات يوم أن القافلة مرّت من طريق الطور بجانب الدير.وكان مقدّم الركب عمّه أبا طالب.ونزلت هناك فى ضيافة الرهبان.ودخل الركب إلى الدير إلا النبى ﷺ فإنه لبث خارجا عنه.لأن حداثة سنه كانت تمنعه العادة المألوفة من الدخول.وكان فى الدير فى ذلك الوقت ناسك يسمى باخوميوس، له معرفة تامة بعلم النجوم تمكنه من الاخبار بالمغيبات والانباء عن مستقبل الأمور... وبسبب علمه الواسع ومهارته التامة واقتداره على اقتباس الغيب بمجرد النظر إلى الشمس والقمر وغيرهما من الكواكب، يقال أنه توصل إلى معرفة مستقبل النبى ﷺ وما سيصير إليه أمره من الاشتهار.ولذلك أخذ يمعن النظر فى ركبان القافلة...الشرف الجليل المعدّ من العناية الربانية لهذا الفتى الذى كان خارج الدير...فخرق الراهب من أجله تلك العادة، وسمح له بالدخول ولاقاه بالاجلال والاعظام.ثم أنبأه بالمجد...الذى سيناله....وقال له:«وماذا تفعل لنا إذا صحّ النبأ وتحقّق الخير؟ «فوعده ﷺ بأن يمنح الدير مـزيد العناية والرعاية. ولما جاءته من ربه الرسالة ذكر الراهب وأنجز له وعده لما كان من اكرام وفادته عند دخوله ﷺ ديره.ثم جعل لرهبان دير الطور خصائص ومننا ضمنها عهدا سطره كاتبه علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه باملائه عليه السلام.ثم انه طبع على العهد صورة يده الشريفة إذ لم يكن لديه خاتم يختم به.

**نسخ العهدة:**

الأولى: الموجودة فى دير الطور وهى فى الحقيقة نقل الأصل فإن السلطان سليم أخذ بالأصل إلى الآستانة وأعطى الرهبان نقلا مصدّقا وهو الموجود هناك الآن.

الثانية: المذكورة فى منشآت السلاطين لفريدون بك

الثالثة: فى كتاب مكتوب بالقلم الكرشونى.واسمه تاريخ لبنان

الرابعة: المطبوعة فى لوندرة (والرد عليه للشيخ محمد عبد القادر فى «الوقائع المصرية» فى ٢٨ شوال سنة ١٢٩٨ هـ / ٢٢ ديسمبر ١٨٨١)

الخامسة: صحيفة بنمرة ٣٣٩٢ مشرقيات فى المتحف البريطانى بلوندرة...هذه الصحيفة منقوش فى أسفلها صورة يد، هى أقرب إلى النساء منها إلى الرجال، ولكنها مع ذلك خلو من التناسب والتناسق ومحاكاة اليد الطبيعية.وهذه النسخة مموهة فى مواضع كثيرة بماء الذهب وأما اليد فهى محلاة بأصباغ باهية وألوان زاهية.

طبع عهد فى باريس سنة ١٦٣٠ باللغة العربية ومعه ترجمة لاتينية بقلم المعلم جبرائيل الصهيونى، مدرس اللغات الشرقية بباريس. وعنوانه:

Testamentum et Pactiones intac inter Mohamedem et Christiane fidei cultores.

ثم أعيد طبعه بالعربى واللاتينى فى مدينة لندن سنة ١٦٥٥ على يد المعلم يوحنا جاروجيوس نسليوس.وعنوانه:

Sive testamentum inter Mohamedem et Christiane religiones populusinitum.

## تطبيق الجزية في أرض الكنانة:

جاء الإسلام فوجد طوائف مختلفة من أهل الكتاب، ومن غيرهم كالمجوس والسامرة، والصابئة فكيف تعامل مع هؤلاء وأولئك؟ (*) نادى عليهم فى أكثر من آية أن يتعانوا مع المسلمين فى توحيد الله، وعدم الاشراك به فقال سبحانه: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ...﴾ (١).

فمنهم من أطاع، ومنهم من عصى: ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (٢).

(*) سبق توضيح هذه الطوائف فليرجع إليها من شاء.

(١) سورة آل عمران:آية ٦٤ .

(٢) سورة آل عمران آية:١١٣ ـ ١١٥ .

وأما الذين انحرفوا عن هدى الله فقال الله فى شأنهم: ﴿ وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (٣).

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٤).

وهكذا كانت تتوالى الآيات والنذر على أهل الكتاب ليثوبوا إلى رشدهم ولكنهم ظلوا على مخالفة الإسلام ومناوأته، فكان لابد من موقف حاسم، لمجابهة هؤلاء، فلما قويت شوكة الإسلام وكثر أتباعه قاموا بفتح البلدان، واعتاق العباد من ذل التبعية العمياء، والعبودية الذليلة، وعرضوا الإسلام على أهل تلك البلدان، وأعلموهم أن من أسلم فله مالهم وعليه ما عليهم، ومن أبى كان معاهداً، أو محاربا، فكان أهل الذمة من المعاهدين الذين رضوا بحكم الإسلام وظلوا على عقيدتهم (٥).

ولذلك نجد أن العلاقة بين المسلمين والذميين منذ بداية دعوة الإسلام قائمة على المودة ثم تطورت فى التاريخ على مراحل عدة (٦). فمن هم أهل الذمة؟

**أهل الذمـــة:** اصطلاح عرفه الفقه الإسلامى يطلق عليه من يجوز عقد الذمة معهم وهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، كما اعتبر المجوس أهل ذمة وأخذت منهم الجزية.

فقد كان عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قد توقف عن أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن الرسول ﷺ أخذها من مجوس هجر، فأخذناها منهم (٧).

---

(١) سورة الجاثية من الآية ١٧ . (٢) سورة البينة: آية ٤٠ .
(٣) سورة آل عمران: آية ٧٣ . (٤) سورة آل عمران: آية ٩٩ .
(٥) انظر الماوردى: الأحكام السلطانية ص ١٤٣ .
(٦) راجع للدكتور ترتون: أهل الذمة فى الإسلام القدمة ص ل.
(٧) راجع لابن قيم الجوزية: أحكام أهل الذمة جـ١ ص ١ ـ ١٠، ولأبى يوسف: الخراج ص ٢٦٦ طـ الاعتصام.

كما اعتبرت السامرة والصابئة أهل ذمة بشرط أن يوافقوا اليهود والنصارى فى أصل معتقدهم، وإن خالفوهم فى فروعه [١].

**معنى الذمة:** تقرير توطين أهل الكتاب فى ديار الإسلام وحمايتهم مقابل الجزية، ففى قوله تعالى: ﴿ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ ﴾ جعلها غاية ما يطلب منهم لقاء ذلك [٢].

وفى هذا تأويلان: أحدهما: حتى يدفعوا الجزية، والآخر: حتى يضمنونها لأن بضمانها يجب الكف عنهم [٣]. وفى الحديث الذى رواه نافع عن ابن عمر قال: كان آخر ما تكلم به النبى ﷺ قوله: «احفظونى فى ذمتى» [٤].

**موقف المسلمين من أهل الذمة:**

وضح موقف الإسلام من أهل الذمة فى مصر، بعد العهد الذى أبرم معهم، فلم يظلمهم، ولم يكلفهم مالا يطيقون بالاضافة إلى تمتعهم بالحرية الدينية، فلم يفتنوا فيها، ولم يكرهوا على تركها، والآيات فى هذا الشأن، واضحة غاية الوضوح قال الله تعالى: ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ ﴾ [٥] وقوله سبحانه: ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [٦].

وقوله: ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [٧].

وقوله: ﴿ وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [٨] وجاء فى تفسير قوله تعالى ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ بأنهم أهل الحرب، ومن امتنع منهم عن أداء

---

(١) الماوردى: الأحكام السلطانية.. ص ١٤٣ .

(٢) المصدر نفسه، وانظر لابن طلحة: العقد الفريد ص ١٥٩ ـ ١٦٠ ، والنويرى: نهاية الأرب جـ٨ ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥ ، والقلقشندى: صبح الأعشى جـ١٣ ص ٣٥٦ ـ ٣٥٧ ، ودكتور قاسم عبده.. أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى ص ١٣ .

(٣) الأحكام السلطانية ص ١٣٤ .

(٤) المصدر نفسه.

(٥) سورة البقرة: آية ٢٥٦ .

(٦) سورة الشورى: آية ١٥ .

(٧) سورة البقرة: آية ١٣٧ .

(٨) سورة العنكبوت: آية ٤٦ .

الجزية...[١] .

**دعوة الإسلام لأهل الكتاب:**

ظهر جليا من هذه النصوص الكريمة دعوة الإسلام لليهود والنصارى، فكان موقفه صريحا وواضحا ومحدداً الغاية فيما يتعلق بالدعوة إلى الإسلام، الموجهة أساسا إلى الناس كافة، وأهل الكتاب خاصة.فقد أمر الله رسوله ﷺ أن تكون دعوة الإسلام رفيقة تحمل بين طياتها، عامل الاقناع فلا إكراه، ولا تهديد، ولا وعد ولا وعيد، وأن يكون حوارهم مع أهل الكتاب هادئا، فلا يجادلونهم «إلا بالتى هى أحسن» فإن آمنوا فقد اهتدوا «و» «إن تولوا» فالأمر متروك لله سبحانه وتعالى، وهو بصير بالعباد [٢].

**اقتداء الصحابة:**

اقتدى الصحابة برسول الله ﷺ فى معاملته لأهل الذمة، فبعد أن جمع حوله أوائل المؤمنين، ثم هجرته إلى المدينة، وتأسيسه لدولة الإسلام الحديثة، عاد إلى مكة فاتحا منتصرا، ولكنه لم يبطش بأعدائه، بل وقف منهم موقف الأخ الرحيم والأب الحنون، ثم بدأ فى إرسال دعاته إلى مجاوريه ورسائله إلى الملوك والحكام المعاصرين [٣]، وبهذا الأسلوب الحضارى تعلن دولة الإسلام عن نفسها مخاطبة ملوك الأرض وحكامها، مترفقة حينا، ومحذرة أو منذرة حينا آخر، وكذلك فعل صحابته - رضى الله عنهم - فى مصر، وفى كل بلد فتحوه الأسلوب نفسه، امتثالا لأمر الله، وتحقيقا لما أخبر به رسول الله ﷺ [٤].

**دعوة الإسلام تعلن أمام أهل مصر وحاكمها:**

لخّص عبادة بن الصامت رضي الله عنه دعوة الإسلام وهو يحاور المقوقس فى كلمات منها «....فإن أجبتم إلى الإسلام الذى هو الدين الذى لا يقبل الله غيره، وهو دين أنبيائه ورسله وملائكته أمرنا الله أن نقاتل من خالفه، ورغب عنه حتى يدخل فيه، فإن فعل كان له مالنا وعليه ما علينا، وكان أخانا فى دين الله، فإن قبلت ذلك أنت وأصحابك فقد سعدتم فى الدنيا والآخرة، ورجعنا عن قتالكم ولم نستحل أذاكم ولا التعرض لكم [٥]. وظل المسلمـــون

(١) ابن كثير:تفسير القرآن العظيم جـ٣ ص ٤١٥ .
(٢) راجع أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى ص ٢٥ ..
(٣) محمد الخضرى :نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين...ص١٩٣ .
(٤) راجع فصل عموم الدعوة من الباب الثانى.
(٥) ابن عبد الحكم:فتوح مصر والمغرب ص ١٠١ . تحقيق عبد المنعم عامر.

متمسكون بموقفهم حتى فتح الله عليهم أرض الكنانة [١]، وفرضوا الجزية التى وضّح أمرها عبادة بن الصامت أمام المقوقس قائلا: «فإن أبيتم إلا الجزية فأدوا إلينا الجزية عن يد وأنتم صاغرون، نعاملكم على شيء نرضى به نحن وأنتم فى كل عام أبدا ما بقينا وبقيتم، ونقاتل عنكم من ناوأكم، وعرض لكم فى شيء من أرضكم، ودمائكم وأموالكم ونقوم بذلك عنكم إذا كنتم فى ذمتنا، وكان لكم به عهد علينا، وإن أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا المحاكمة بالسيف حتى نموت عن آخرنا، أو نصيب ما نريد منكم، هذا ديننا الذى ندين الله به ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره، فانظروا لأنفسكم» [٢].

**أهل مصر يختارون الجزية:**

عرض المقوقس الجزية على أهل مصر بعد مفاوضته عبادة بن الصامت، ولكن المصريين رفضوا ذلك العرض، ومازال بهم يقنعهم، بقوله: تكونون مسلطين فى بلادكم آمنين على أنفسكم، وأموالكم وذراريكم خير لكم.... ولما تبين لهم صدق المقوقس أذعنوا لقوله ومضوا بالجزية على صلح يكون بينهم يعرفونه [٣].

**ملاحظة هامة:**

يعد عقد الصلح هنا منحة من المسلمين، إذ لم يكن بينهم وبين أهل مصر حرب، ومن ثم فقد كانت خطة بارعة من الفاتحين نتج عنها:

١ ـ معرفة مدى قدرة المصريين.

٢ ـ أن يأمنوا جانبهم، ويتفرغوا لحرب الرومان على أرض مصر، ونجحت الخطة، إذ لم يكن هدف المسلمين إلا تحقيق أحد الأمور الثلاثة:

أ ـ الدخول فى الإسلام ب ـ أو الجزية. جـ ـ أو الحرب، وحيث إن المصريين ارتضوا الصلح، فقد أمن المسلمون جانبهم، ووفقوا على الأقل فى تحييدهم .

---

(١) استقرت مصر فى يد المسلمين فى العام العشرين على التحقيق فإن جمعا من مؤرخينا القدامى كابن إسحاق، وأبى معشر والاتابكى، وابن عبد الحكم يرون الفتح عام عشرين، راجع تاريخ الطبرى جـ٤ ص ١٠٤، وابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها ص ٨٠ طـ ليون، ولجمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الاتابكى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة جـ١ ص ٢٠، وراجع للدكتور حسن إبراهيم تاريخ الإسلام السياسى جـ١ ص ٢٣٤ ـ ٢٣٧ .

(٢) ابن عبد الحكم...ص ١٠١ .

(٣) المصدر نفسه..ص ١٠٢ .

**فرض الجزية:**

اجتمع عمرو بن العاص، ومعه لفيف من المسلمين، ومع المقوقس جماعة من القبط، على عهد بينهم، واصطلحوا على :ـ

١ ـ أن يفرض على جميع من بمصر، أعلاها وأسفلها من القبط ديناران عن كل نفس، ممن بلغ منهم الحلم، من القادرين.

٢ ـ لا يفرض على الشيخ الفانى، ولا على الصغير الذى لم يبلغ الحلم، ولا النساء شىء.

٣ ـ وعلى أن للمسلمين عليهم النزل لجماعتهم حيث نزلوا، ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين، أو أكثر من ذلك كانت لهم الضيافة ثلاثة أيام مفترضة عليهم.

«وينبغى ملاحظة أن واجب الضيافة أساساً فى أخلاق العرب قبل الإسلام، ثم هو صلة من أخلاق البر بابن السبيل والمنقطع، فإذا فرض المسلمون هذا الحق على القبط تجاه من يمر بهم من المدافعين عن القرى والنجوع والحدود فإن ذلك يعنى كفالة تموين هذه الحاميات إلى جانب نشر هذا الخلق فى المجتمع الجديد»[١].

٤ ـ وأن لأهل مصر أرضهم وأموالهم لا يعرض لهم فى شىء منها [٢].

فشرط هذا كله على القبط خاصة، وتم حصر القبط الواجب عليهم يومئذ الجزية، وتأكدوا من عرفائهم بالأيمان المغلظة، وكان جميع من أحصى يومئذ بمصر أعلاها وأسفلها من جميع القبط..أكثر من ستة آلاف ألف نفس، فكانت فريضتهم يومئذ اثنى عشر ألف ألف دينار فى كل سنة [٣].

وربما كان شرط الضيافة جديدا على بعض المفاهيم، فيتناولونه بالنقد، ويرون فيه اجحافا بأهل مصر بيد أن نظافة الضمير الإسلامى كان من الصراحة بحيث لم يُخْفِ أمر كهذا، بل أمر بتسجيله فى عهد الصلح، وهذا أمر له فوائد منها:ـ

أ ـ لو وجد فيه المصريون يومئذ إجحافا بهم لاعترضوا عليه، وقد كان فى مقدورهم، فقد اعترض أحد المصريين لدى عمر بن الخطاب لأن ابن عمرو بن العاص ضرب ولده، فأنصفه عمر، ورد له حقه [٤].

---

(١) د. عبد الصبور شاهين : «مصر فى الإسلام القرن الأول» ص ١٧٨ ط/ الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠١م.

(٢) فتوح مصر.. ص ١٠٣ والطبرى:تاريخ:...جـ٤ ص ١٠٧، وراجع عهد أهل مصر فى ص ٢٣٦ من البحث، ولابن كثير:البداية والنهاية جـ٨ ص ٩٨ .

(٣) ابن عبد الحكم:ص ١٠٣ .

(٤) راجع القصة بتمامها فى حسن المحاضرة جـ١ ص ٥٧٨، وفتوح مصر ص ١٦٧ ـ ١٦٨ .

ب ـ لم يخف المسلمون نياتهم، مع أنهم الغالبون، ولهم الكلمة فى أرض الكنانة، وكان فى مقدورهم أن يأخذوا كل ما تناله أيديهم ورماحهم من الحقول، والحدائق والبيوت ولكنهم لم يسمحوا لأنفسهم أن يتشبهوا بالفرس أو الروم، لأنهم جاءوا أساسا ليخلصوا العالم من ظلمهم وبطشهم [١]، ولننظر هذه الصورة لنرى كيف استغل الرومان مصر، وهى صورة (رسالة) من أحد كبار الموظفين بعث بها إلى «هيرونيفوس» أحد عملائه فى الأقاليم المصرية يخطره بحضوره للتفتيش ويطلب منه توفير سبل الراحة لدى وصوله فيقول: «توقع زيارتنا لك فى اليوم الثالث والعشرين، وعلى ذلك ففى اللحظة التى تتسلم فيها خطابى، استوثق من أن الحمام موقد، وقد ألقيت فى ناره كتلا خشبية واجمع من الحطب كل ما تستطيع الحصول عليه كيما نحظى بحمام ساخن فى هذا الجو الشتوى، وذلك لأننا قررنا أن نقيم بمنزلك، وقد صحت عزيمتنا على تحقيق غرضين هما:

التفتيش على بقية الضياع، وتنظيم العمل فى قسمك، ولكن عليك بالإشراف على جميع مطالبنا الأخرى، ومنها بوجه خاص أن تقدم خنزيرا سمينا لجمعنا، ولكن عليك أن تستوثق من أنه سمين وليس بمعروق هزيل مثلما كان فى المرة السالفة، وابعث بإشارة كذلك إلى صيادى السمك كيما يزودونا بالسمك،...واحرص كذلك على إحضار قدر كاف من الحشيش الأخضر، وذلك كيما تجد دوابنا المجهدة كفايتها، من العلف والغذاء...» [٢].

قارن بين ما جاء فى هذه البردية من طلبات وأوامر، وبين شروط المسلمين الظافرين لقوم لم يحاربوهم، أو ينصروهم، ومع ذلك كتبوا لهم معاهدة صلح، ووفوا لهم، والفرق واضح.

جـ ـ اعتراف المقوقس بحبه للمسلمين حيث قال لعمرو بن العاص: إنى كنت أخرج الجزية إلى من هو أبغض إلىّ منكم معشر العرب لفارس والروم، فإن أحببت أن أعطيك الجزية على أن ترد على ما أصبتم من سبايا فعلت [٣]، وهى السبايا التى غنمها المسلمون قبل عقد الصلح [٤]، فكاتب عمرو.....عمر بن الخطاب بشأن طلب المقوقس فى أمر السبايا فكتب إليه

---

(١) الباحث.

(٢) دكتور مهندس حسن رجب: البردى ص ١٤٠ .

(٣) الطبرى: تاريخ..جـ٤ ص ١٠٥ .

(٤) وهم ثلاث من القريات اختلف فيها فقيل: بلهيب، والخيس، وسلطيس، فوقع سباياهم بالمدينة وغيرها فردهم عمر بن الخطاب إلى قراهم وصيّرهم وجماعة القبط أهل ذمة، وقيل: بلهيب، وسلطيس، وقرطسا، وسخا، وقيل: أم دنين، وبلهيب. راجع ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص ١٢٢ ـ ١٢٣ تحقيق عبد المنعم عامر.

عمر أن يعطيك الجزية على أن ترد ما أصبت من سبايا، ولعمرى لجزية قائمة لنا تكون لنا ولمن بعدنا من المسلمين أحب إلىّ من فىء يقسم ثم كأنه لم يكن [١]....

هل الجزية من مستحدثات الإسلام؟

يجيب بتلر : إن ضرائب الروم كانت ـ من غير شك ـ فوق الطاقة، وكانت تجرى بين الناس على غير عدل، وإن وطأة الضرائب خفت بعد فتح العرب، كما أن العرب أزالوا ما كان مقرراً من التفريق بين الناس فى جباية الضرائب[٢].

أما جورجى زيدان فقد قارن بين مقدار الجزية بين العرب والرومان فقال: الجزية ليست من مستحدثات الإسلام فقد فرضها اليونان والرومان من قبل وإن الرومان وضعوا الجزية على الأمم التى أخضعوها، وكانت أكثر كثيراً.

وقال جستاف لوبون : كانت الجزية دينارين أى خمسة عشر فرنكاً[٣].

**أول مجموعة تدخل الإسلام من المصريين:**

جاءت الأوامر إلى عمرو..بشأن السبايا تقول: عليكم«أن تخيروا من فى أيديكم من سبيهم بين الإسلام وبين دين قومه، فمن اختار منهم الإسلام فهو من المسلمين له مالهم وعليه ماعليهم، ومن اختار دين قومه وضع عليه من الجزية ما يوضع على أهل دينه، فأما من تفرق من سبيهم بأرض العرب فبلغ مكة والمدينة واليمن، فإنا لانقدر على ردهم، ولا نحب أن نصالح على أمر لا نفى له به» [٤].

فبعث عمرو إلى المقوقس يعلمه بكتاب أمير المؤمنين عمر..فقال:قد فعلت فجمع المسلمون ما فى أيديهم من السبايا واجتمعت النصارى، فكان المسلمون يأتون بالرجل فى أيديهم ثم يخيرونه بين الإسلام وبين النصرانية، فإذا اختار الإسلام كبرّنا تكبيرة هى أشد من تكبيرنا حين تفتح القرية، ثم نحوزه إلينا، وإذا اختار النصرانية نخرت [٥] النصارى، ثم حازوه إليهم، ووضعنا عليه الجزية، وجزعنا من ذلك جزعا شديدا حتى كأنه رجل خرج منا إليهم، فكان ذلك الدأب حتى فرغنا منهم، وقد أتى فيمن أتينا به بأبى مريم عبد الله بن عبد

(١) الطبرى:..تاريخ جـ٤ ص ١٠٥ . (٢) فتح العرب لمصر ص ٣٩٣ .
(٣) حضارة العرب ص ٢١٢ وراجع مصر فى الإسلام القرن الأول ص ١٨٤ ، ١٨٥ .
(٤) المصدر نفسه ص ١٠٥ ـ ١٠٦ ، وابن كثير:البداية والنهاية جـ٨ ص ٩٩ .
(٥) نخر نخرا ونخيرا:صوت بخياشيمه.المعجم الوسيط مادة (نخر).

الرحمن، وكان عريف بنى زبيد، فوقفناه، فعرضنا عليه الإسلام والنصرانية، وأبوه وأمه، واخوته فى النصارى ـ فاختار الإسلام، فجزناه إلينا، ووثب أبوه وأمه واخوته يجاذبوننا حتى شققوا عليه ثيابه، ثم أصبح عريفا للمسلمين [١] ....وكانت هذه أول مجموعة من المصريين تدخل الإسلام فى وقت واحد.

**مكانة المقوقس من المصريين:**

حاول المقوقس تقييم الموقف فقال للمصريين:أما يرضى أحدكم أن يكون آمنا فى دهره على نفسه وماله، وولده بدينارين فى السنة؟ [٢] ولما رفض امبراطور روما معاهدة الصلح قال المقوقس لعمرو بن العاص:إن الملك قد كره ما فعلت وعجّزنى، وكتب إلىّ وإلى جماعة الروم ألا نرضى بمصالحتك، وأمرهم بقتالك حتى يظفروا بك، أو تظفر بهم، ولم أكن لأخرج مما دخلت فيه، وعاقدتك عليه..وقد تم صلح القبط فيما بينك وبينهم، ولم يأت من قبلهم نقض، وأنا متم لك على نفسى، والقبط متمون لك الصلح، الذى صالحتهم عليه وعاهدتهم [٣].

ثم طلب المقوقس من عمرو.. ثلاث خصال:ـ

**إحداها:** ألا تنقض عهد القبط، وأدخلنى معهم، والزمنى مالزمهم، وقد اجتمعت كلمتى، وكلمتهم على ما عاهدتك عليه، فهم متمون لك على ما تحب.

**ثانيها:** إن سألك الروم بعد اليوم أن تصالحهم فلا تصالحهم حتى تجعلهم فيئا وعبيدا لأنى نصحتهم فاستغشونى، ونظرت لهم فاتهمونى.

**ثالثها:** إذا أنا متّ أن تأمرهم يدفنونى فى أبى يحنّس [٤]، بالإسكندرية، فأجابه عمرو إلى ما طلب على أن يساعدوه فى إقامة الجسور، ويقيموا له الانزال والضيافة والأسواق من الفسطاط حتى الإسكندرية ففعلوا [٥] .... ويفهم مما سبق أن المقوقس كان مصرياً

ولما تمكن المسلمون من الخروج لملاقات الروم فى اتجاه الاسكندرية، ثم فتحها. خرج

---

(١) الطبرى:تاريخ جـ٤ ص ١٠٦، وبتلر:فتح العرب لمصر ص ٢٥٦، ٢٥٧، وهامش ٣ من نفس الصفحة، والبداية والنهاية جـ٨ ص ٩٩ .

(٢) ابن عبد الحكم:فتوح مصر والمغرب ص ١٠٥ تحقيق عبد المنعم عامر.

(٣) ذكر الطبرى فى تاريخه نص العهد فى الجزء الرابع من الصفحة التاسعة بعد المائة، وقد سبق تسجيل هذا العهد وشرح فقراته فى البحث ص ٧٣٤ .

(٤) كنيسة بالثغر:راجع ابن عبد الحكم ص ١٠٧ هامش ١ تحقيق عبد المنعم عامر، وبتلر..ص٣٥٢ .

(٥) ابن عبد الحكم:ص ١٠٥ ـ ١٠٦ .

معه جماعة من رؤساء القبط أشرفوا على إصلاح الطرق، وإقامة الجسور والأسواق وصارت لهم القبط أعوانا على ما أرادوا من قتال الروم [١]، حتى أتم الله على المسلمين فتح الإسكندرية.

**تمتع أهل الذمة بحريتهم الدينية في عهد المسلمين:**

مما لا يتطرق إليه الشك لدى كل باحث منصف أن النظرية السياسية للدولة الإسلامية لم تضع عقبات أمام رعاياها من غير المسلمين، فقد أتاحت الدولة بمفهومها الدينى لرعاياها من اليهود والنصارى قدرا كبيرا من الحرية الدينية داخل نطاق الدولة التى كان على رأسها خليفة النبى ﷺ.يحكم فيها بمقتضى الشريعة المستمدة أساسا من القرآن الكريم والسنة المطهرة[٢]، ولقد ظلّ المسيحيون فى مصر يتمتعون بكامل حريتهم الدينية فى ظل الإسلام، وظل اعتناق المسيحيين للإسلام مستمرا وبنطاق واسع فى الوقت نفسه، والحوادث المتناقضة لذلك كانت شاذة ونادرة، ونتيجة لأسباب متنوعة أخرى ليس من بينها قصد الاكراه على الإسلام، بدليل احتفاظ من أراد من المسيحيين بدينه جيلا بعد جيل فى مصر، وغيرها فى ظل حكم الإسلام المستمر والشامل والقوى [٣].ولقد ظلت دمياط بعد فتحها على عقيدتها أكثر من مائة عام.

**هل الإسلام أكره أحدا من أهل الذمة على ترك دينه؟**

كلا، وإن تعجب فعجب قول المبشرين المغرضين والمستعمرين، وتلامذتهم ممن يتعامون عن الحقائق التى لم تعد تحتمل المراء سواء من ناحية وقائع التاريخ الممتدة إلى اليوم أم من ناحية المبادىء الإسلامية التى ضمنت للموادين المسالمين من غير المسلمين والذميين الحماية والحرية التامة فى دينهم وطقوسهم وشئونهم المتنوعة، ويظلون يكررون أكذوبة اضطهاد الحكام المسلمين للنصارى واجبارهم على الإسلام، وينسون أو يتناسون اضطهاد السلطات الرومانية، ومن كان يعتنق مذهبها لأبناء المذهب اليعقوبى ذلك الاضطهاد الشديد العنيف الذى كان من أسباب إقبال أبناء هذا المذهب على اعتناق الإسلام [٤].

**هل الاعفاء من الجزية يعد رشوة؟** كلا، لأن الإعفاء لا إجبار فيه، لكن

(١) المصدر نفسه، وراجع بتلر:فتح العرب لمصر ص ٣٥٢ مع ملاحظة أنه يقلل من أهمية مثل هذا الخبر.
(٢) راجع أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى ص ٦٣ .
(٣) راجع لمحمد عزة دروزة:عروبة مصر قبل الإسلام وبعده ص ٩٧ .
(٤) راجع لتوماس أرنولد:الدعوة إلى الإسلام:تعريب د/حسن إبراهيم وآخرين ص ٩٢، وعروبة مصر..ص ٩٧

بتلر...له اعتراض على هذا الأمر، فمع أن الجزية قبلها المصريون وأبرم لهم عهد خاص، ومع أنها كانت أقل بكثير مما كان يجبيه الرومان، ومع أن اليهود والنصارى فى مصر قد دخل بعضهم الإسلام طائعا غير مكره إلا أن بتلر ينكر هذه الحقائق ويلغيها ليضع مكانها هذه المقولة:«لقد كان عهد الصلح مع القبط كفيلا من الوجهة النظرية بأن يكونوا آمنين فى دينهم...فلما انتشر الإسلام بين الناس زادت وطأته...على القبط، وأصبح عبء الجزية ثقيلا لا ترضاه النفوس، وأصبح أصحاب الجزية من اليهود والنصارى بعد حين قد صاروا فى قلة ظاهرة بسبب من كان يسلم منهم عاما بعد عام، فكان هذا أمرًا فاسدا، إذ هو بمثابة رشوة لتحريض النصارى على الخروج من ملتهم ......»[1] !! فبتلر هنا يناقض نفسه انظر ص ٧٣٥ من هذا البحث.

ومع أن هذا الأمر أقلق بعض ولاة مصر حتى أن حيان بن شريح الذى كان على خراج مصر أرسل إلى عمر بن عبد العزيز خطابا يقول فيه:إن الإسلام قد أضر بالجزية حتى لقد نقص عشرون ألف دينار من عطاء أهل الديوان، فكتب إليه الخليفة كتابا شديدا قال فيه:

«أما بعد فقد بلغنى كتابك، وقد وليتك جند مصر، وأنا عارف بضعفك، وقد أمرت رسولى بضربك على رأسك عشرين سوطا.فضع الجزية عمن أسلم قَبّح الله رأيك، فإن الله إنما بعث محمدا ﷺ هاديا، ولم يبعثه جابيا، ولعمرى لعمر...أشقى من أن يدخل الناس كلهم الإسلام على يديه» [2]..

وأقصر رد على دكتور بتلر:أن السبب فى دخول النصارى الإسلام وتركهم المسيحية ليس أمر الجزية أو الاعفاء منها، إنما السبب ما ذكره هو بقوله :«وأما الحقيقة المرة فهى أن كثيرين من أهل الرأى قد كرهوا المسيحية لما كان منها من عصيان لصاحبها إذ عصت ما أمر به المسيح من حب ورجاء فى الله ونسيت ذلك فى ثوراتها وحروبها التى كانت تنشب بين شعبها وأحزابها، ومنذ بدا ذلك لهؤلاء العقلاء لجأوا إلى الإسلام فاعتصموا بأمنه، واستظلوا بوداعته، وطمأنينته وبساطته» [3].

هكذا اعترف بتلر بالحقيقة المرة التى كان عليها حال المسيحيين عندما حكم الإسلام أرض الكنانة.ثم إن الإعفاء من الجزية ليس تشريفا، بل هو تكليف، يعرفه الداخل فى الإسلام

---

(١) بتلر...ص ٣٤٠ .

(٢) المقريزى:الخطط جـ ص ، وابن سعد:الطبقات جـ٥ ص ٢٥٨، ودكتور حسن إبراهيم:التاريخ الإسلامى العام ص ٣٠٩، وبتلر..ص٣٤٠ .

(٣) بتلر:....ص ٣٤٠ .

إذ يقابله أمور هو مطالب بها أو ببعضها منها:

١ ـ الزكاة على اختلاف أنواعها (العشر أو نصف العشر).

٢ ـ الصلاة وبقية أركان الإسلام، من صوم وحج.....الخ.

٣ ـ خضوعه لإقامة الحد عليه إذا انحرف، أو ضبط بأى جريمة من جرائم الحدود.

٤ ـ انتظامه فى سلك الجندية، وهذا يعنى أنه يعرض حياته للموت فى أى مكان، وأى ميدان.

٥ ـ مشاركته المسلمين فى كل أعمالهم.

فهل الاعفاء من الجزية بعد هذا كله يعد رشوة كما قال الأستاذ بتلر؟!

**أصل الجزية وحقيقتها:**

**الأصل:** فى الجزية قول الله تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (١).

**أما حقيقتها:** فهى حق أوصل الله سبحانه وتعالى المسلمين إليها من المشركين (٢).

فـ «الذين لا يؤمنون بالله» فهم أهل الكتاب، وإن كانوا معترفين بأن الله سبحانه وتعالى واحد فيحتمل أنهم ـ

أ ـ لا يؤمنون بكتاب الله تعالى وهو القرآن.

ب ـ أولا يؤمنون برسوله ﷺ لأن تصديق الرسل إيمان بالمرسل سبحانه (٣).

وقوله: ﴿ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ ﴾ أى ما فى التوراة والإنجيل من اتباع الرسول ﷺ، أو الدخول فى الإسلام (٤).

وقـــوله: ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ ﴾ أى حتى يدفعوا الجزية، أو حتى يضمنوها، لأن بضمانها يجب الكف عنهم (٥). وفى قوله سبحانه: ﴿ عَن يَدٍ ﴾ أى عن غنى وقدرة، أو أن يعتقدوا أن لنا فى أخذها منهم يدا وقدرة عليهم (٦). وفى قوله سبحانه: ﴿ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ أى أذلاء مستكينين وحتى تجرى عليهم أحكام الإسلام، فيجب على ولى الأمر أن يضع الجزية

---

(١) سورة التوبة:آية ٢٩ .
(٢) الماوردى:الأحكام السلطانية....ص ١٤٢ .
(٣) الأحكام السلطانية... ص ١٤٣ .
(٤) المرجع نفسه.
(٥) المرجع نفسه.
(٦) المرجع السابق.

على رقاب من دخل فى الذمة من أهل الكتاب ليقروا بها فى دار الإسلام (١).

**احترام المسلمين لكنائس أهل الذمة في مصر على عكس ما يذاع وينشر:**

مع تمسك المسلمين بأخذ الجزية من أهل الكتاب والتى تعد فى مقابل الزكاة عند المسلمين فإنهم كانوا يحترمون عقائدهم وكنائسهم، على عكس ما نشرته مسز بتشر فى كتابها (٢) «أن الأقباط منذ الفتح العربى ظلوا يذوقون من العرب مر العذاب، ويسامون أنواع الظلم، والعسف، ويضطهدون اضطهادا لا يذكر بجانبه اضطهاد دقلديانوس ونيرون» !!

والرد عليها من أحد أقباط مصر، فقد ذكر حنا النيقى:

إن المسلمين فى مصر لم يسمحوا لأنفسهم باحتلال أية كنيسة، وعلى ألا يتدخلوا فى شئون الأقباط بأى صورة من الصور، ويشير المؤرخ فى مكان آخر إلى أن عمرو بن العاص جبى الضرائب المفروضة، لكنه لم يمد يده قط إلى شيء من أملاك الكنائس، ولم يأت بعمل من أعمال النهب والتدمير، بل لقد حافظ على البيع حتى آخر أيام حياته (٣).

وهذه الشهادة ترد أيضا على من وصف عمرو بن العاص رضي الله عنه بما لا يليق به كبتلر الذى ساق هذه الجملة على لسان المقوقس:إذ قال:

«إن عمرا لم تكن فى قلبه رحمة بالمصريين، ولم يرع العهد الذى عقده معهم إذ كان رجلا من الهمج» (٤) !!

والسؤال الذى يوجه إلى بتلر نفسه، وأمثاله:

هل إخراج بنيامين من مخبئه ليَلِيَ أمر بطرقته بأمر عمرو بن العاص يعد عملا همجيا جاء من رجل من الهمج؟ وهل صورة الأمان التى وعاها ذهن الزمان وسجلت فى بطون الكتب تدل على تصرف الهمج؟ وهاك صورة الأمان الذى كتبه عمرو بن العاص للبطريق بنيامين، وسطره بتلر فى كتابه:

«أينما كان بطريق القبط بنيامين نعده الحماية، والأمان وعهد الله، فليأت البطريق إلى هاهنا فى أمان واطمئنان ليلى أمر ديانته، ويرعى أهل ملته» (٥).

فهل هذا العمل الكريم يصدر من رجل من الهمج؟ تالله إن هذا لهو العجب الذى لا

(١) نفس المصدر السابق.
(٢) تاريخ الأمة القبطية وكنيستها جـ٢ ص ١٠٤ نقلا عن بتلر:فتح العرب لمصر ص ١٩٨ .
(٣) د/ ترتون:أهل الذمة فى الإسلام ص ٣٧ .  (٤) بتلر:فتح العرب لمصر:ص ٢٦٦ .
(٥) المرجع السابق ص ٣٢٣ .

يسمع إلا من قلوب خلت من الانصاف...

**سبب انفراد النصارى بكثرة العهود فيما بينهم وبين المسلمين:**

حفلت كتب المؤرخين بالعهود التى أبرمت بين المسلمين والنصارى على وجه الخصوص، ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى الاحتكاكات المستمرة بين الأمتين، لامتلاك زمام العالم، إذ بعد أن خمدت الحروب المستعمرة بين الفرس والروم والتى كانت سجالا بينهما قبل مجيء الإسلام، ولما ظهر الإسلام وأصبحت له دولة نازل الدولتين معا فى وقت واحد فى عهد عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فى العام الثالث عشر والرابع عشر من الهجرة فى معركتين من أشهر معارك التاريخ الإسلامى وهما:اليرموك والقادسية، ونصر الله الإسلام فيهما، ثم اعتنق الفرس الإسلام فلم يبق فى الساحة العالمية سوى أمتين:

الإسلامية والرومانية فوجد الروم أنهم أمام قوة فتية استطاعت أن تستقطع أعز ممتلكاتها فى الشام، وأفريقيا، فكانت المواجهة بينهما، ومن ثم كثرت العهود التى أبرمت بين الأمتين منذ عهد رسول ﷺ وعهود الخلفاء من بعده، ليأمن كل منهما جانب الآخر.ومن ثم كان انفراد النصارى بكثرة العهود فيماا بينهم وبين المسلمين .

أما اليهود فقلما تشير إليهم كتب المؤرخين عن العهود التى أبرموها مع المسلمين، باستثناء العهد الذى كتبه رسول الله ﷺ بعد مَقْدمه المدينة، والذى أشرك فيه المهاجرين والانصار واليهود (١) .ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى أمور منها:

أ ـ أنهم ـ أى اليهود ـ فئة ضئيلة مستضعفة ليست بذات خطر، وأن شوكتهم لا تعطيهم المكانة التى يحاربون بها، ومن ثم وجهوا عنايتهم للتجارة (٢) .

ب ـ إنهم كانوا فى حمى البيزنطيين، ولما قامت الهدنة بين المسلمين والبيزنطيين كان هناك شرط يقضى بالإذن لهم بالبقاء فى الإسكندرية (٣) .

جـ ـ انصرف اليهود إلى احتراف التجارة والاشتغال بالصناعة، والانخراط فى سلك الحكومة (٤) .

د ـ اتصل اليهود بالملوك لاشتغالهم بالجوهرات، وهؤلاء هم يهود المشرق.

---

(١) راجع للباحث نص العهد فى مجلة الأزهر. الجزء الرابع:السنة السابعة والخمسون:ربيع الآخرة ١٤٠٥ هـ يناير ١٩٨٥ م بعنوان:من الوثائق الإسلامية الأولى ص ٥٤١ وما بعدها.
(٢) كان هذا فى فترة البحث، أما اليوم فالويل للمسلمين منهم أن لم يستيقظوا.
(٣) حسن المحاضرة جـ١ ص ٤٣ ـ ٧٤، وأهل الذمة فى الإسلام ص ٩٩ .
(٤) راجع:أهل الذمة فى الإسلام..ص ١٠٠ .

هـ ـ كانوا يقومون بخصي الرقيق الصقالبة في بلاد الأندلس [١].

**تجارة اليهود :** أما يهود أوربا، فكانت علاقتهم ببلاد الإسلام قائمة على التجارة فهم يتكلمون: العربية، والفارسية، واليونانية، والأسبانية، فينتقلون من المشرق إلى المغرب، ومن المغرب إلى المشرق برا وبحرا، وكانت تجارتهم :الخدم، والجوارى، والغلمان، والديباج، وجلود الخز، والفراء، والسمور، والسيوف [٢]...، ومن ثم قلّ الكلام عن اليهود، فقد اختاروا مسلكا ماليا بحتا، وهم فى حبهم للمال تسمع عنهم هذه الأقوال:

«اليهودى لا يعطى الجزية حتى يلطم» [٣].

«لا تسافر مع اليهودى لأنه يخدعك» [٤].

وقال موسى الخطيب اليهودى، وهو على فراش الموت للقاضى:

«نحن معاشر اليهود من حَلّلَ السبت استحللنا دمه فى شريعتنا» [٥].

ومن ثم كان المسلمون ينظرون إلى اليهود نظرتهم إلى فئة دونهم مكانة، لا يحق لهم أن يتطاولوا لأكثر من تناول الفتات المتساقط من موائد سادتهم، ولا تزال هذه النظرة سائدة إلى اليوم فى اليمن حيث لا يحمل اليهود السلاح [٦].

فهل ظلم المسلمون هؤلاء وأولئك عندما طبقوا الجزية عليهم؟ كلا فإن بيت مال المسلمين كانت تأتيه الأموال من مصادر أخرى من غير الجزية، ومع ذلك لم تكن الجزية سوط عذاب ألهب ظهور المصريين بدليل أنها لم تفرض إلا على القادرين، ومن ثم كان تطبيقها مناسبا لمقتضى الحال فى أرض الكنانة.

**إقامة الحدود في أرض الكنانة [*]:**

من علامة استقرار المسلمين فى مصر.

إقامتهم لحدود الله فيها.

---

(١) المرجع السابق ص ١٠١، وراجع لابن حوقل :المسالك والممالك ص ٧٥ .

(٢) راجع لابن خرداذبة :المسالك والممالك ص ١٥٣، وأهل الذمة فى الإسلام ص ١٠١ .

(٣) أبو شامة : كتاب الروضتين جـ١ ص ٢٠٣، وأهل الذمة فى الإسلام.. ص ١٠٣ .

(٤) ترتون :أهل الذمة فى الإسلام.. ص ١٠٣ .

(٥) المرجع نفسه. (٦) المرجع نفسه.

(*) الكنانة جعبة صغيرة من أَدَم..: ج كنائن، وأرض مصر على المجاز. المعجم الوسيط :مادة (كنّ).

**حد الشرب:**

كتب عمر بن الخطاب في جلد ولده عبد الرحمن بمصر [١]، لما أقام عليه الحد عمرو ابن العاص ومعه أبا سروعة فى الخمر بصحن داره كان يقيم فيها الحدود، فبلغ ذلك عمر فكتب إليه: «بسم الله الرحمن الرحيم،

عجبت لك، يا ابن العاص، وجراءتك عليّ، وخلافك عهدى فما أرانى إلا عازلك، تضرب عبد الرحمن فى بيتك، وتحلق رأسه فى بيتك، وقد عرفت أن هذا يخالفنى، وإنما عبد الرحمن رجل من رعيتك، تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين ولكن قلت: هو ولد أمير المؤمنين، وعرفت أنه لا هوادة لأحد من الناس عندى فى حق، فإذا جاءك كتابى هذا فابعث به فى عباءة على قتب حتى يعرف سوء ما صنع» [٢].

**حد الكفر (والعياذ بالله):**

كتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب يسأله عن رجل أسلم، ثم كفر...ثم أسلم، حتى فعل ذلك مرارا، أيقبل منه الإسلام؟

فكتب إليه عمر: أن أقبل منه، أعرض عليه الإسلام، فإن قبل فاتركه وإلا فاضرب عنقه [٣].

**حد من شتم الرسول ﷺ:**

فى سنة مائة وستين للهجرة تقريبا، تكلم أحد المسيحيين بمصر فى حق الرسول ﷺ كلاما نال منه فشكى القاضى إلى مالك بن أنس الذى أفتى بضرب عنق النصرانى، فكان ما أفتى [٤].

وفى سنة ثمانمائة وعشرين هجرية، زنى أحد النصارى بامرأة مسلمة واعترف الاثنان بجريمتهما فرجما بظاهر باب الشعرية حتى ماتا، وحينئذ دفنت المرأة، أما الرجل فقد أحرقت حثته [٥].

---

(١) كدت أستبعد هذه الرسالة، واعتبرها منحولة، لولا أن ابن حجر ـ رضى الله عنه ـ علق على عنوان الإمام البخارى (باب من أمر بضرب الحد فى البيت) فساق أمر عبد الرحمن....ولدعمر وحدّ عمرو له، ثم قال: «وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن ابن عمر مطولا» أ هـ فتح البارى: لابن حجر جـ١٢ ص ٥٥، وبالرجوع إلى «المصنف للحافظ الكبير أبى بكر عبد الرزاق بن همام الصنعانى فى طبعته الأولى للمجلس العلمى، ونشر المكتب الإسلامى ببيروت ١٣٩٢هـ وللرسالة أصل فى هذا السند الصحيح جـ٩ ص ٢٣٢، وراجع أدب الخليفة الثانى عمر..رسالة دكتوراة بكلية اللغة العربية ص ٣٨٧ وما بعدها.

(٢) المحب الطبرى: الرياض النضرة جـ٢ ص ٤١ وللرسالة رواية بالمصنف لعبد الرزاق الصنعانى جـ٩ ص ٢٣٢، وأخرى لابن الجوزى: سيرة عمر بن الخطاب ص ٢٠٨، وثالثة لابن أبى الحديد: شرح منهج البلاغة جـ٣ ص ١٢٣ .

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب ص ٢٢٦ .

(٤) الكندى: الولاة والقضاة ص ٣٨٢ . وأهل الذمة فى مصر العصور الوسطى ص ١٤٥، ود/ ترتون: أهل الذمة فى الإسلام. ص ١٤٥ .

(٥) انظر : السيوطى : حسن المحاضرة (جـ٢ / ص ١٨٤)، ود/ ترتون: أهل الذمة فى الإسلام.... ص٢٢٠ .

**النهي عن الخمر:**

ما أثر عم عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه نهي عن استعمال الخمر، وأمر بكسر جرارها وإغلاق الخمارات[١] .. حتى إذا كانت سنة أربع وستين وستمائة هجرية منع بيع الخمر والمزز[٢] في مصر، وأمر بأن تعفى آثاره، وتخرب بيوته، وتكسر مواعينه، ويسقط ارتفاعه من الديوان، ومن كانت له على هذه الجهة شيء يعوض[٣].

فلما كانت سنة ستمائة وتسعة وستين هجرية أهرق الخمر، وعفي بيوت المسكرات وأبطل ضمان الخمور الذى كانت الحكومة تأخذ منه كل سنة ألف دينار[٤].

وهكذا نجد تطبيق الحدود سارية المفعول فى جميع الولايات التى حكمها الإسلام، فلم تشذ ولاية عن أخرى، حتى كان الحد الذى ينفذ فى مكة أو المدينة ينفذ فى باقى ولايات الإسلام، مما يدل على تمكن المسلمين من البلاد التى فتحوها، ومنها أرض مصر.

**يؤخذ من هذه الفتوحات ما يلي:-**

**أولا:** أنها كانت رداً لعدوان، وكبحا لمن أرادوا وأد دعوة الإسلام فى مهدها.

**ثانيا:** لم يكن الهدف منها اجبار الناس على الدخول فى الإسلام.

**ثالثا:** أنها كانت للتخويف والإرهاب، وليست للانتقام والتشفى والدليل أنه ﷺ لما لم يجد جيشا فى تبوك رجع دون أن يريق دما..، وكذلك فعل صحابته رضي الله عنهم.

**رابعا:** مشروعية الجهاد فى الإسلام.

**خامسا:** صبر الرسول ﷺ على الجهاد لإعلاء كلمة الله عز وجل.

**سادسا:** لقد كانت حياة الرسول ﷺ وصحابته فى كفاح دائم وإصرار على النصر منذ أن وطئت قدماه ﷺ وصحابته المدينة.

**سابعا:** إذا أحصينا عزوات الرسول ﷺ وسراياه التى وقعت فى مدة عشر سنوات تقريباً وفتوحات صحابته الكرام من بعده. لا نجدها تساوى عشر معشار، أقل الحروب فى العصر الحديث، وهذا دليل على أن الدعوة جاءت رحمة للناس أجمعين[٥].

---

(١) الكندى: الولاة والقضاة ص ٦٨، وأهل الذمة فى الإسلام ص ٢٢١.

(٢) وهو نبيذ الشعير والحنطة.

(٣) المقريزى: السلوك ... (جـ ١ / ص ٢٢٨).

(٤) المقريزى: الخطط (جـ ١ ص ١٠٦)، وأهل الذمة فى الإسلام.. ص ٢٢٨.

(٥) راجع لابن الأثير: «الكامل فى التاريخ» (جـ ٢ ص ٢٨٠ وما بعدها).

# جدول بأسماء
## الخلفاء، والولاة، وعمال الخراج وأصحاب الشرطة والقضاة والبطاركة عصر البحث (•) وما بعده بقليل

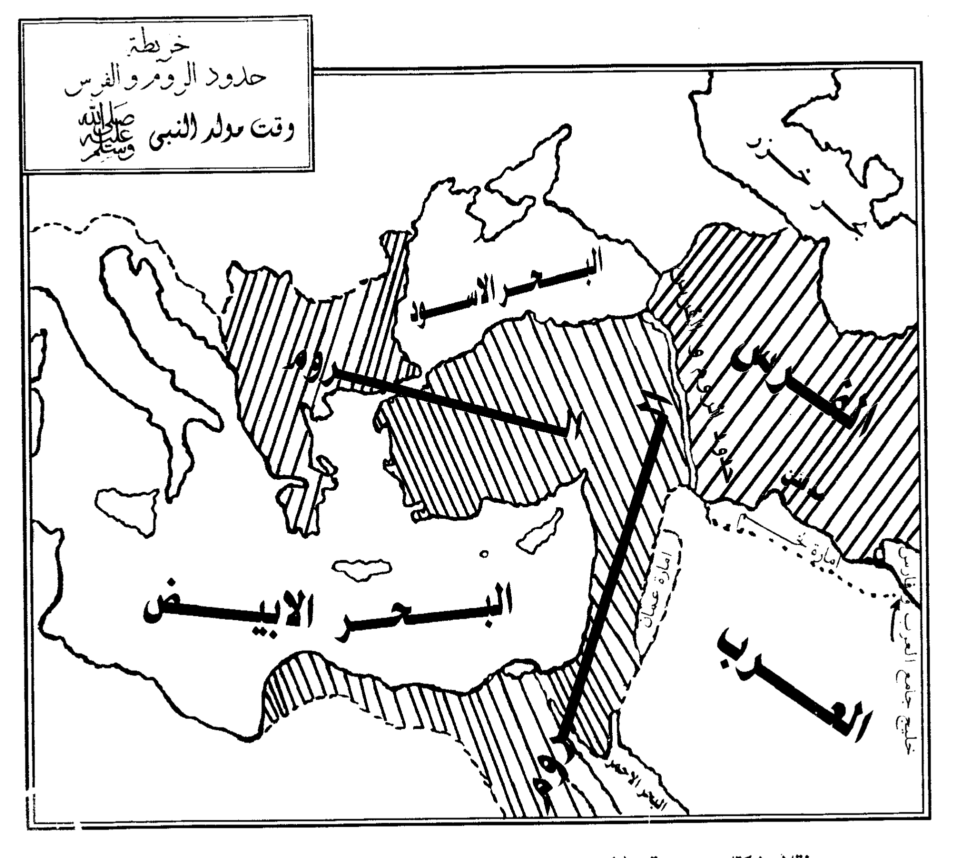
| السنون | الخلفاء | الـــولاة | عمال الخراج | أصحاب الشرطة | القضاة | البطاركة | ملاحظات |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ٢٠هـ.٦٤١م | عمر بن الخطاب | عمرو بن العاص (١) | | خارجة بن حذافة (١) | | بنيامين | |
| ٢٣هـ.٦٤٤م | | | | | قيس بن أبي العاص | | |
| ٢٤هـ.٦٤٥م | عثمان بن عفان | | | هشام بن كنانة | كعب بن يسار<br>عثمان بن قيس | | |
| ٣٥هـ.٦٥٥.٥٦ | | عبد الله بن سعد<br>انتزاء محمد بن أبي حنيفة (أ) | | | | | (أ) لم ينكر الأستاذ فييت انتزاء محمد بن أبي حنيفة |
| ٣٧هـ.٦٥٧م | | قيس بن سعد<br>الأشتر بن مالك<br>محمد بن أبي بكر | | سائب بن هشام | | | راجع مصر في فجر الإسلام ص ٣٦٨ |
| ٣٨هـ.٦٥٨م | | عمرو بن العاص (٢) | | عبد الله بن أبي حرملة<br>خارجة بن حذافة (٢) | | | |
| ٤٠هـ.٦٦٠م | معاوية | | | زكريا بن جهم | سليم بن عتر | | |
| ٤١هـ.٦٦١ | | عتبة بن أبي سفيان | وردان | | | أغاثون (ب) | (ب) ذكر الأستاذ فييت في جدوله أن أغاثون ولي البطركية في سنة ٣٥هـ-٦٥٨م ولكني اعتملت فيما أوردته على ما جاء في كتاب سير الآباء البطاركة |
| ٤٣هـ.٦٦٤ | | | | | | | |
| ٤٤هـ.٦٦٤ | | عقبة بن عامر | | | | | |
| ٤٧هـ.٦٦٧ | | مسلمة بن مخلد | | سائب بن هشام (٢) | | | |
| ٤٩هـ.٦٦٩ | | | | عابس بن سعيد | | | |

• نقلا عن سيدة إسماعيل كاشف : ، مصر في فجر الإسلام ، ص ٣٦٨ - ٣٧٢ . وراجع لابن عبد الحكم : ، فتوح مصر والمغرب ، ص ١٦٧ . ١٦٨ . ١٧٣ ط ليون. وللسيوطي : حسن المحاضرة . جـ ١ ص ٥٧٨ وما بعدها وللدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي جـ ١ ص ٢٨٠ . وللمقريزي : الخطط جـ ١ ص ١٩٩ . ومعجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي للمستشرق زامباور جـ ١ ص ٣٨ - ٣٩ . أخرجه الدكتور أحمد حسن بك، وحسن أحمد محمود وآخرين. ط فؤاد الأول سنة ١٩٥١. وللكندي : الولاة والقضاة.

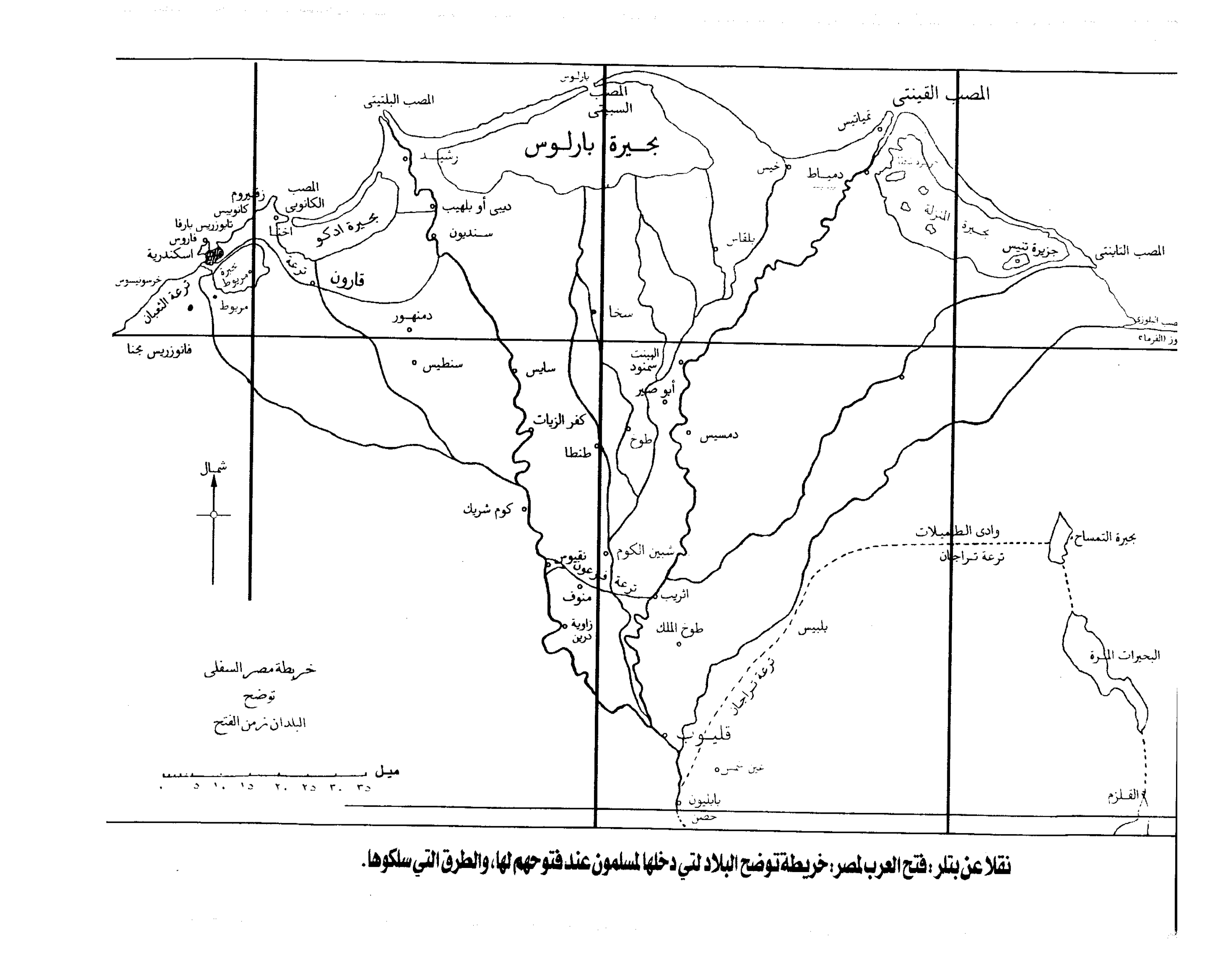
| السنون | الخلفاء | الــولاة | عمال الخراج | أصحاب الشرطة | القضاة | البطاركة | ملاحظات |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ٥٣هـ.٦٧٣م | | | | سائب بن هشام(٣) | | | لساويرس. |
| ٥٧هـ.٦٧٧م | | | | عابس بن سعيد (٢) | | | |
| ٦٠هـ.٦٨٠م | يزيد الأول | | | | عابس بن سعيد | | (جـ) ذكر الأستاذ فييت أن يوحنا |
| ٦٢هـ.٦٨٢م | | سعيد بن يزيد | | | | يوحنا الثالث (جـ) | الثالث ولي البطركية سنة ٦٠هـ. |
| ٦٤هـ.٦٨٤م | (عبد الله بن الزبير) | عبد الرحمن بن عتبة | | | | | ٦٨٠م ولكني اعتمدت على |
| | (مروان الأول) | | | | | | ساويرس. |
| ٦٥هـ.٦٨٥م | عبد الملك بن مروان | عبد العزيز بن مروان | | | | | مصر في فجر الإسلام ص ٣٦٩. |
| ٦٧هـ.٦٨٦ | | | | | | إسحاق | (١) ذكر الأستاذ فييت أن إسحاق |
| ٦٨هـ.٦٨٧،٨٨م | | | | زياد بن حناطة | بشير بن النضر | | ولي البطركية سنة ٧٠هـ.٦٩٠م |
| ٦٩هـ.٦٨٨م | | | | | عبد الرحمن بن حجيرة | | (ب) ذكر فييت أن سيمون ولي سنة |
| ٧٠هـ.٦٨٩م | | | | | | | ٧٣هـ ٦٩٣م |
| ٧٦هـ.٦٩٥م | | | | | عبد الرحمن بن حسان | مالك شراحيل | مصر في فجر الإسلام ص ٣٧١. |
| ٨٣هـ.٧٠٢م | | | | | | | |
| ٨٤هـ.٧٠٣م | | | | يونس بن عطية | يونس بن عطية | الاسكندر روس الثاني | |
| ٨٥هـ.٧٠٥م | | | | عبد الرحمن بن معاوية | أوس بن عبد الله | | |
| | | | | عمران بن عبد الرحمن | عبد الرحمن بن معاوية | | |
| ٨٥هـ.٨٩هـ | | عبد الله بن عبد الملك | | | | | |
| | الوليد بن عبد الملك | | | | عمران بن عبد الرحمن | | |
| ٨٩هـ.٧٠٨م | | | | عبد الأعلى بن خالد | عبد الواحد بن عبد الرحمن | | |
| ٩٠هـ.٧٠٩م | | قرة بن شريك | | عبد الملك بن رفاعة | عبد الله بن عبد الرحمن | | |
| | | | | عبد الرحمن بن معاوية | | | |
| ٩٣هـ.٧١٢م | | | | | عياض بن عبد الله | | |
| ٩٦هـ.٧١٥م | | عبد الملك بن رفاعة | أسامة بن زيد | الوليد بن رفاعة | | | |
| | سليمان بن عبد الملك | | | | | | |

| السنون | الخلفاء | الــولاة | عمال الخراج | أصحاب الشرطة | القضاة | البطاركة | ملاحظات |
| --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- |
| ٩٧هـ.٧١٦م<br>٩٨هـ.٧١٧م<br>٩٩هـ.٧١٨م<br>١٠٠هـ.٧١٨.١٩م<br>١٠١هـ.٧١٩.٢٠م | عمر بن عبد العزيز<br>يزيد بن عبد الملك | أيوب بن شرحبيل<br>بشر بن صفوان | حيان بن شريح | الشيخ بن جرد الحضرمي<br>الحسن بن يزيد الرعيني<br>الحارث بن داخر<br>شعيب بن حميد<br>حنظلة بن صفوان<br>محمد بن مطير البلوي | عبد الله بن عبد الرحمن (٢)<br>عياض بن عبيد الله (٢)<br>عبد الله بن يزيد | | إلى هنا ينتهي عصر البحث أما الباقي فذكرته تتميما للفائدة فقط. |
| ١٠٢هـ.٧٢٠.٢١م<br>١٠٥هـ.٧٢٣م<br>١٠٨هـ.٧٢٦م<br>١٠٩هـ.٧٢٧<br>١١١هـ.٧٢٩م<br>١١٢هـ.٧٢٩م<br>١١٣هـ.٧٣١م<br>١١٤هـ.٧٣٢م<br>إلى | هشام بن عبد الملك | حنظلة بن صفوان<br>محمد بن صفوان<br>محمد بن عبد الملك<br>الحرب بن يوسف<br>حفص بن الوليد<br>عبد الملك بن رفاعة (٢)<br>الوبيد بن رفاعة | عبيد الله بن الحبحاب ص ٣٧٠ | حفص بن الوليد<br>عبد الله بن أبي سمير<br>عبد الرحمن بن خالد | يحيى بن ميمون<br>يزيد بن عبد الله (الخيار بن خالد) | قسما الأول<br>تاودوروس<br>(ولي البطركية حتى سنة ١٢٦هـ.٧٤٣م) | |

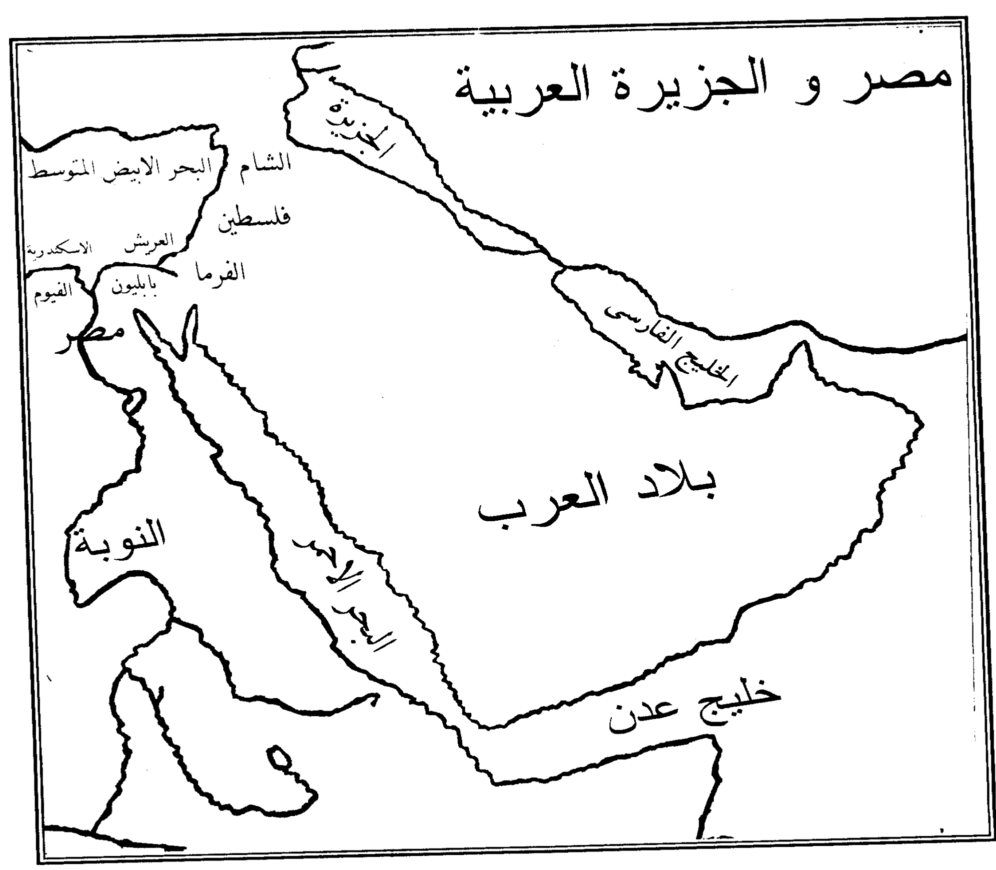
| السنون | الخلفاء | الـــولاة | عمال الخراج | أصحاب الشرطة | القضاة | البطاركة | ملاحظات |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ١١٥هـ ٧٣٣م | | | | | نوبة بن نمر الحضرمي | | |
| ١١٦هـ ٧٣٤م | | | قاسم بن عبيد الله | | | | |
| ١١٧هـ ٧٣٥م | | عبد الرحمن بن خالد | | عبد الله بن يسار | | | |
| ١١٩هـ ٧٣٧م | | حنظلة بن صفوان (٢) | | عياض بن حريبة | | | |
| ١٢٠هـ ٧٣٨م | | | | قيس بن أشعث | | | |
| ١٢٢هـ ٧٤٠م | | | | عقبة بن نعيم | | | |
| ١٢٤هـ ٧٤٢م | | | | | | | |
| ١٢٥هـ ٧٤٣م | | | | | | ميخائيل الأول | |
| ١٢٦هـ ٧٤٤م | يزيد بن الوليد | | | | | | |
| ١٢٧هـ ٧٤٥م | إبراهيم بن الوليد<br>مروان بن محمد | حسان بن عتاهية<br>حفص بن الوليد (٢) | | | | ص ٣٧٣ | |
| ١٢٧هـ ٧٤٥م | | | عيسى بن أبي عطاء | | | | |
| ١٢٨هـ ٧٤٦م | | الحوثرة بن سهيل | | حسان بن عتاهية | عبد الرحمن بن سالم | | |
| ١٣١هـ ٧٤٩م | | المغيرة بن عبيد الله | عبد الملك بن مروان | عبد الله بن مغيرة | | | |
| ١٣٢هـ ٧٥٠م | | عبد الملك بن مروان | | معاوية بن مروان | | | |
| ١٣٣هـ ٧٥١م | السفاح | صالح بن علي | | محصن بن مروان<br>محصن بن هانيء<br>عبد الله بن عبد الرحمن | | | |
| ١٣٥هـ ٧٥٢- ٧٥٣م. | | أبو عون بن عبد الملك | عطاء بن شرحبيل | عكرمة بن عبد الله | خير بن نعيم (٢)<br>غوث بن سليمان | | |



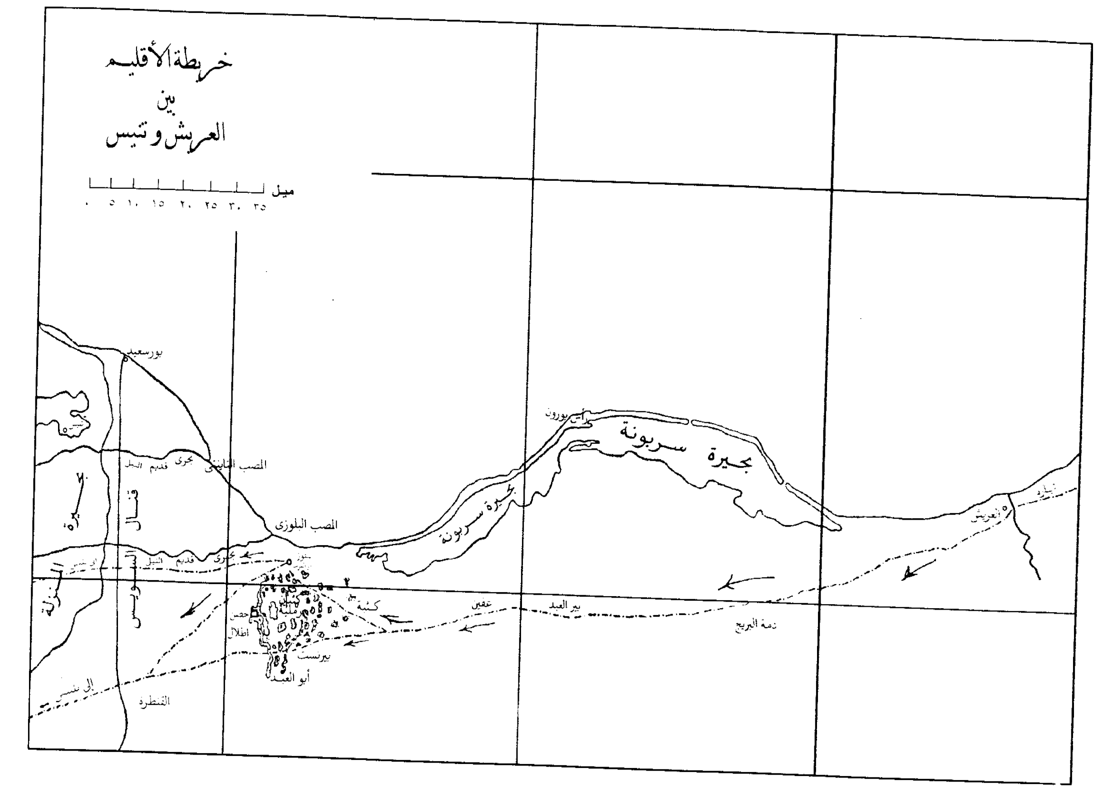

نقلاً عن كتاب مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة للدكتور محمد حميد الله




نقلا عن بتلر: فتح العرب لمصر: خريطة توضح البلاد لتي دخلها المسلمون عند فتوحهم لها، والطرق التي سلكوها.

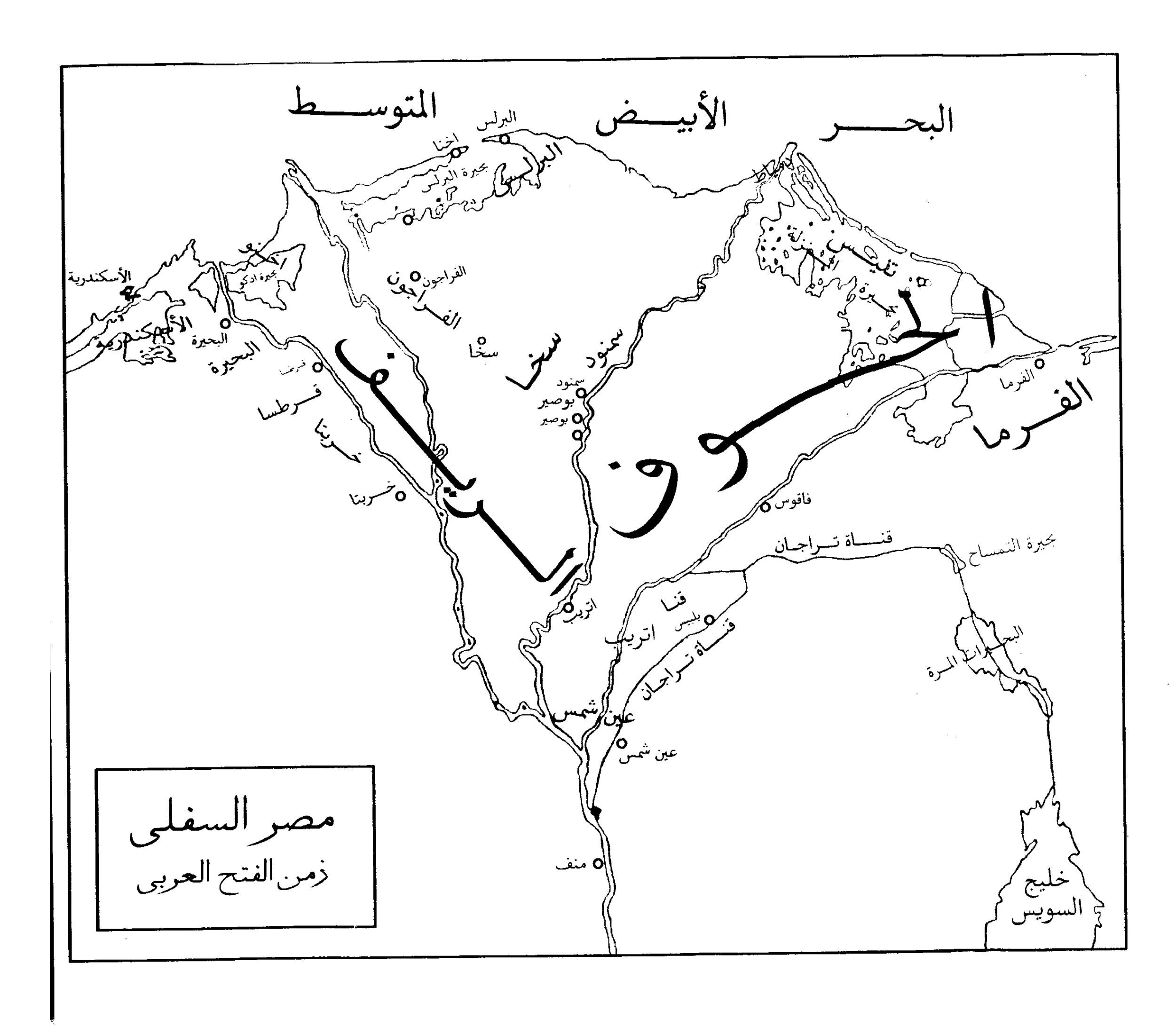



**نقلاً عن كتاب: حركة الفتح في القرن الأول الهجري للدكتور شكري فيصل**



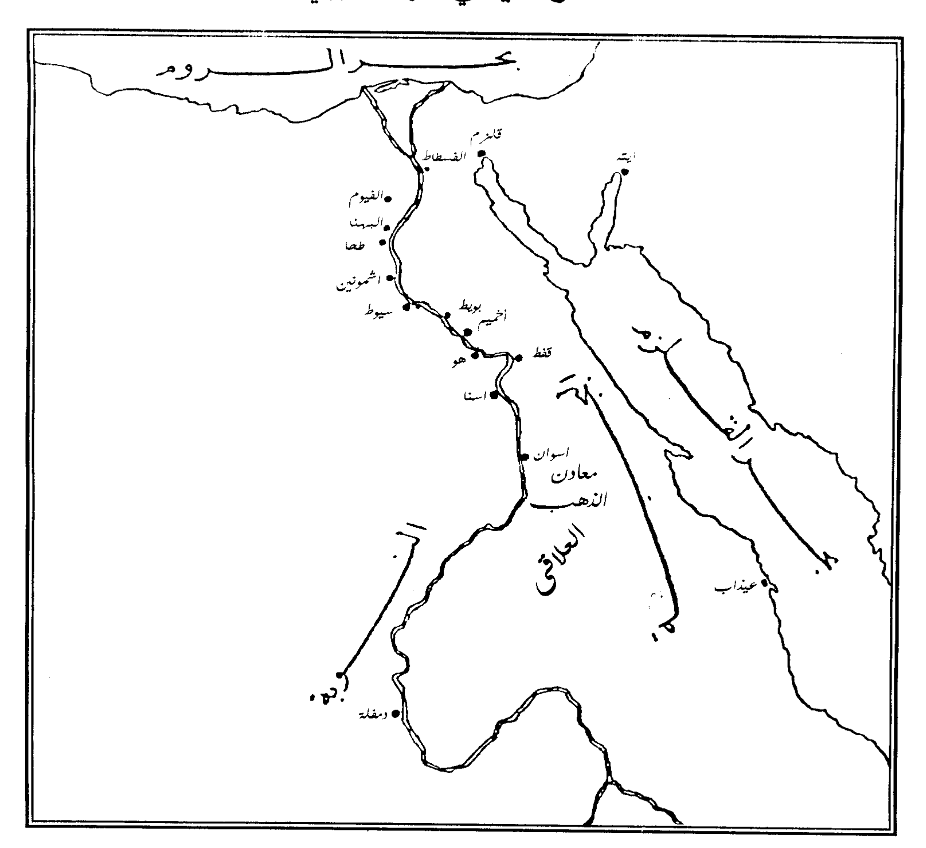

١. كانت تنيس على جزيرة فسيحة وكانت تصل إليها من الجنوب ترعة تسمى بحر الروم ولعلها كانت بقية فرع النيل التنيسي الذي كان يبلغ الصالحية
راجع بتلر: فتح العرب لمصر ص ٢٥٨ ط/ الثالثة ط/ لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٦٥هـ ـ ١٩٤٦م

٢. هذه الخريطة مصورة من المصدر السابق.



مصر السفلى
زمن الفتح العربى
البحر الأبيض المتوسط
الأسكندرية
البحيرة
البرلس
الفراجون
سخا
سمنود
بوصير
تنيس
الفرما
الحوف
فاقوس
قناة تراجان
بحيرة التمساح
اتريب
بلبيس
عين شمس
منف
خليج السويس
قرطسا
خربتا

## مصر العليا في العهد العربي

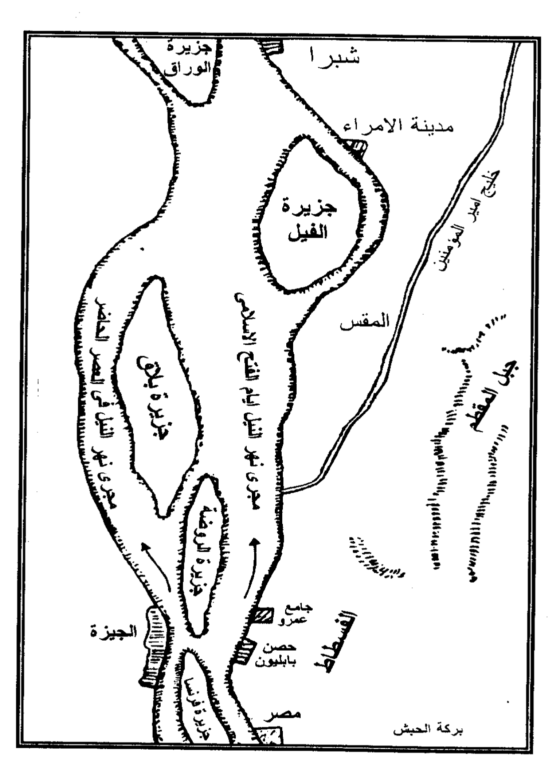



نقلاً عن كتاب مصر في عصر الولاة للدكتورة سيدة إسماعيل كاشف




مع عمرو بن العاص في مصر ـ الوجه البحري

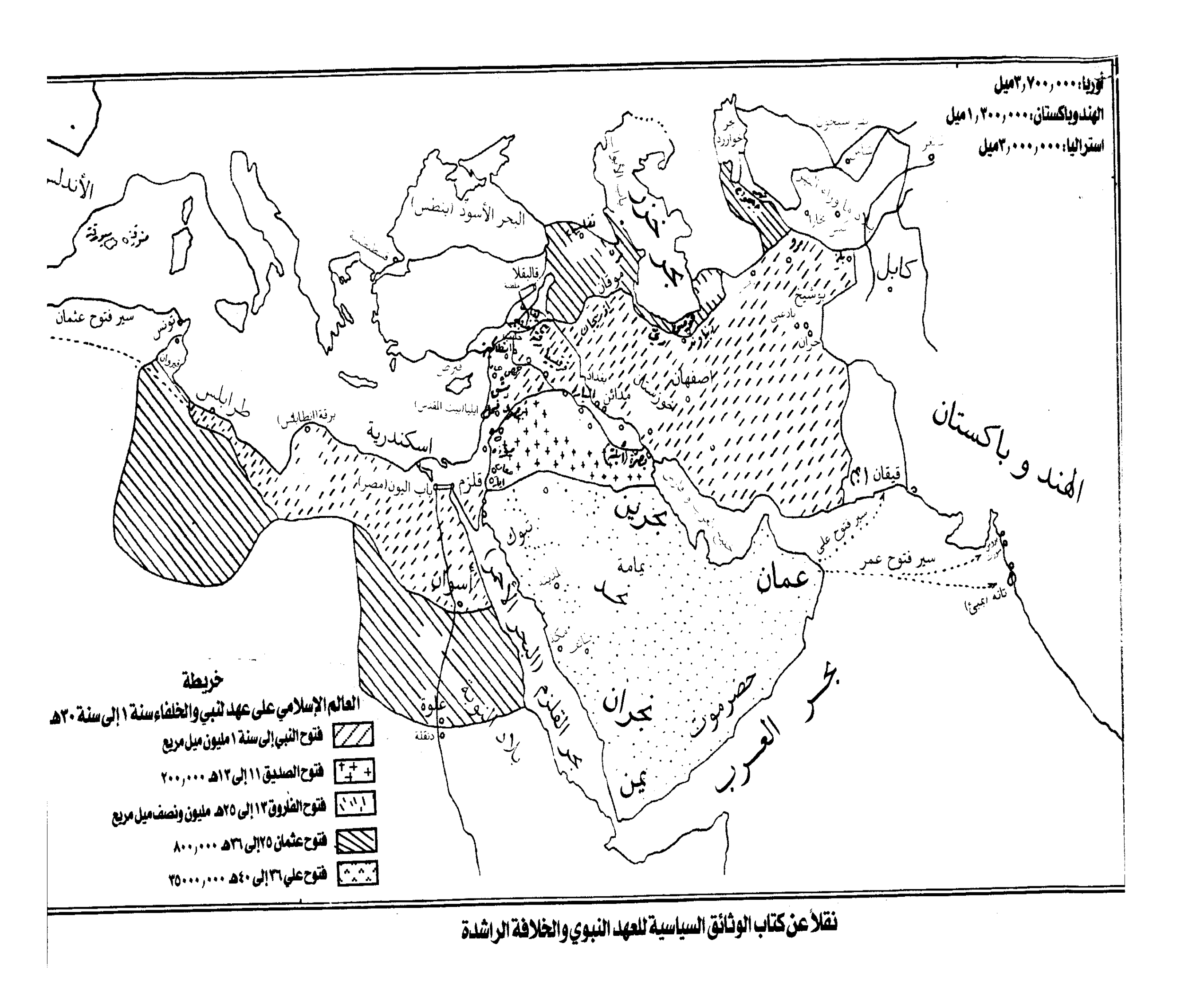
نقلاً عن كتاب فتوح مصر والمغرب: تحقيق عبد المنعم عامر




**خريطة لقطاع مصر عند الفتح العربي**

**نقلاً عن كتاب فتوح مصر والمغرب**

**تحقيق عبد المنعم عامر**




نقلاً عن كتاب الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة

# خاتمة

الدعوة الإسلامية :دعوة رحيمة، ودودة بلغها رسول كريم، وحملها إلى الناس صحابة بررة، وهى دعوة عامة إلى الثقلين، تهدى للتى هلى أقوم، من اتّبعها هدى إلى صراط مستقيم، ومن خالفها ضلّ سواء السبيل، ولقد ظهر أثر هذه الدعوة جليًا فى المجتمعات التى حلّت بها فوجدت ترحيبا هنا، ومعاداة هناك، والذين عادوها لم يلبثوا أن عرفوا أن الحق معها، والذين رحّبوا بها كالمصريين عزوا وسادوا، فأصبحت مصر تحكم قارة أفريقيا بأسرها بعد أن كانت ولاية تابعة لروما...، فأحب المصريون الفاتحين، واحتكموا إلى قضاة المسلمين فيها وبدأ حبهم نحو الإسلام يزداد شيئا فشيئا منذ وطئت دعوته أرض مصر، وهذا مما يدل على صدق الدعوة، وما تدعو إليه، وهذا مما عنيت به هذه الدراسة.

وبعد :فهذا هو الجهد الذى وفّقنى الله إلى جمعه..رجوت أن يكون تأريخا، ومنهجا ودراسة للدعوة من حيث الموضوع وهو:

الدعوة الإسلامية فى مصر منذ الفتح حتى آخر عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .

ومن ناحية المنهج الذى فصّلته، واعتمدت عليه فى عرضى له، وابراز صورته للقارىء الكريم، كما أشرت إليه فى المقدمة، ورغبة فى اتمام الفائدة فقد تعرّضت فيه لغير الزمن الذى حدّد له، ولغير البقعة التى دار حولها الحديث، والأفراد الذين جاء ذكرهم فيه، والهدف منه هو التجانس العلمى للأحداث [١]، حتى اكتملت صورة الرسالة وظهرت بهذا الثوب القشيب - فى نظرى - وقد تضمنت الخاتمة ما يلى :-

أ - النتائج المستخلصة لما قدمت من بحوث.

ب - التوصيات التى تهم القارىء والباحث.

جـ - كلمة هامة إلى الدعاة.

**من أهم هذه النتائج المستخلصة ما يلى :**

**أولا** : ثبتت عروبة مصر قبل مجىء الإسلام، فقد اتفق كثير من الباحثين على أن مصر كانت موضعا لعناصر آسيوية من الجنس الأبيض كانت تطرأ عليها فى عصور ما قبل التاريخ.

**ثانيا** : يعد موطن الساميين: الجزيرة العربية، وأنهم هاجروا منها إلى سائر البلاد التى

(١) انظر مقدمة مدرسة الحديث فى مصر، بتصرف.

استوطنوها، والأصح أن يطلق عليها: الأقوام العربية بدلا من الجنس السامى.

**ثالثا**: كانت تربط مصر بالجزيرة العربية روابط تجارية، وبرية يرجع تاريخها إلى ما قبل المسيح - عليه السلام - كما تشير إحدى الوثائق إلى ذلك.

**رابعا**: اتفق معظم الباحثين على أن جزيرة العرب هى مصدر الموجات التى خرجت إلى الأقطار المجاورة، وأن الجماعة السامية هى الجماعة العربية، ومهدها نجد، والحجاز، والعروض، واليمن، ثم هاجرت إلى بلاد الحبش، ووادى النيل، وأن الأمة العربية قديما وحديثا هى الجنس السامى بأكمله.

**خامسا**: فى القرن السادس والثلاثين ق .م خرجت الموجات.

فى القرن السادس والعشرين ق . م كانت الموجات تخرج زاحفة على ما حولها.

فى القرن الخامس عشر ق . م كانت الموجات تخرج زاحفة على ما حولها.

**سادسا**: كانت تلك الموجات تنزل وادى النيل من أنحاء الجزيرة العربية مخترقة طريق باب المندب إلى شواطىء أفريقيا الشمالية الشرقية، فأثيوبيا فمصر أحيانا، أو من الشمال إلى بلاد العراق، والشام، ومنها إلى مصر عن طريق برزخ السويس أحيانا، أى قبل أن تصبح اللغة العربية الفصحى، لغة العرب علما على العرب.

**سابعا**: أصل اللغة العربية، والمصرية واحد، وأن الاختلاف الظاهر بينهما ليس إلا نتيجة لإسقاط بعض كلمات فى بلاد العرب، وبقائها فى وادى النيل أو العكس.

**ثامنا**: تجاهل الشعوبيين، والمبشرين، والمستعمرين، وأعداء الإسلام ما سجلته الآثار المصرية القديمة من محاولات التسلل العربى إلى مصر من شمالها وجنوبها..ونجاح أكثر هذه المحاولات، وإنكار أعداء الإسلام فى مصر للسيل العربى الذى أخذ طريقه منذ القدم.

**تاسعا**: العروبة فى مصر تمتد إلى عشرات القرون قبل مجىء الإسلام، ولا يخفى ما لأهمية هذه العوامل فى مصر بالإضافة إلى أنها أقوى بلاد العرب.

**عاشرا**: توضح هذه الدراسة: -

أ - الصلة الصادقة بين مصر، والعروبة.

ب - هذه الصلة الصادقة سجلتها الآثار القديمة.

**حادي عشر**: كانت للموجات العربية غير الصريحة أثر فى تعريب الشام ومصر، حتى إذا كان دور العروبة الصريحة، حدث مزج واختلاط...مما يدل على وحدة السلالة، والمقومات، واللغة.

**ثاني عشر**: لا يخفى أن أبناء إسماعيل، أقرب إلى المصريين من أبناء روما، وأثينا.

**ثالث عشر**: كان لتبادل الرسائل بين رسول الله ﷺ، والمقوقس آثار طيبة فى نفوس المصريين، والمسلمين، وكانت شائعة بين المصريين خاصة هدية المقوقس إلى محمد ﷺ.

**رابع عشر**: شهادة يوحنا النخيوى من أن المسيحيين الملكيين دخلوا الإسلام حتى لا يرجعوا فى أحكامهم إلى الكنيسة التى يعادونها وتعاديهم.

**خامس عشر**: هجرات القبائل إلى وادى النيل، واختلاطها بأهله عن طريق الجوار والمصاهرة.

**سادس عشر**: مما يدلل على صدق العروبة لدى المصريين اندماجهم مع المسلمين عند دخولهم أرض مصر، وإلا فلماذا لم يندمجوا مع الفرس، أو الروم؟ مثلا؟

**سابع عشر**: لم يرغم المسلمون أحدا من أهل الذمة فى مصر، أو يضطهدوهم، ولو نفذوا إحدى الخطتين لاكتسحوا المسيحية، كما فعل فرديناند وايزابلا عندما أقصوا الإسلام من أسبانيا، أو الذى فعله لويس الرابع عشر حينما أقصى المذهب البروتستانتى من فرنسا، أو أبعاد اليهود من انجلترا مدة خمسين وثلثمائة سنة.

**ثامن عشر**: هناك محاولات دائبة لفصل مصر عن العروبة حتى تضعف صلة مصر بالعرب المسلمين، فى الوقت الذى يحاولون فيه نشر الفرعونية على حساب اللغة العربية والدين، واعتناق المصريين للإسلام فى القديم والحديث أكبر رد على دعاة الفرقة، وإلا فلماذا، لم يعتنق المصريون لغات الفرس والروم مع أن الروم مكثوا فى مصر ما يزيد على ستمائة سنة محتلين لها مغتصبين لخيراتها....

**تاسع عشر**: الفرق بين العروبة الصريحة، وغير الصريحة:

أن الأولى حدثت فى وقت لم يكن العرب قد عرفوا بهذا الإسم، ولم تكن اللغة العربية قد غدت علما على اللسان العربى، بمثل تلك الموجات الأولى التى كانت تنساح من جزيرة العرب إلى وادى النيل.

ويمثل الدور الأخير، أن هذا الاسم صار علما جنسا، حين أصبحت اللغة العربية الفصحى لغة له، وتمثله القبائل والدول العربية الصريحة التى جاء إليها الإسلام.

**عشرون**: مفهوم كلمة عرب لدى المصريين يرجع إلى ما يلى: -

أ - أن العراقيين القدماء هم الذين أطلقوا كلمة عرب على اتجاه جغرافى أيا كان ساكنوا هذا المكان وهو عندهم بمعنى غرب فى اللغة السامية الأولى، ثم أطلق العراقيون لفظ

عرب على أهل البادية المرابطين بين العراق والشام بما فيها شبه جزيرة سيناء، ثم أصبح لفظ عربى، أو عريبى فى الأصل على البدو الرحل.

ب ـ وأقدم نص ورد فيه لفظ عرب، هو نص أشورى يعود إلى الملك سلمنصر ملك آشور شمال العراق القديم (٨٥٩ حتى ٨٢٤ ق / م).

جـ ـ اتسع مفهوم لفظ عرب عند المصريين فشمل البادية، بما فيها شبه الجزيرة العربية، وأن هذه المنطقة عند مفهوم قدماء المصريين، أنها تمتد من شرق النيل إلى غرب الفرات وأنها بلد واحد بما فيها العراق والشام، وشبه جزيرة سيناء، ويطلقون على سكانها لفظ (عامو) أو (عمورو) وهو مشتق أو محرف عن لفظ عرب.

**واحد وعشرون:** أثبت علماء الأجناس أن التكوين الجسمانى للعرب المحدثين ـ لا يختلف عن النماذج الجنسية التى عرفت من البقايا العظمية لسكان مصر فى عهد ما قبل الأسرات.

**ثان وعشرون:** العلاقات الدينية:فقد كان المصريون ينظرون إلى العرب نظرة تقديس لأن بلادهم مقدسة، حتى آلهة العرب التى كانوا يعبدونها كانت آلهة للمصريين بنفس الاسم.

**ثالث وعشرون:** العلاقات اللغوية:اللغة المصرية القديمة تنتمى إلى نفس الأصل الذى تنتمى إليه اللغة العربية، ثم دخل عليها عوامل القلب والابدال، كما حصل فى كل اللغات القديمة، مما أدى إلى افتراقهما، ومما يدل على هذا وجود كلمات متشابهة، وحتى اليوم، كما أن هناك حروفا متشابهة موجودة فى كل من اللغتين .

**رابع وعشرون:** لما استتب الأمر للمسلمين، واطمأنوا إلى أهل مصر، قاموا بتعريب الدواوين، وأصبحت اللغة العربية فى الوثائق الرسمية كلغة ثانية أحل المسلمون محل الأقباط فى الولايات فى عهد عمر بن عبد العزيز، فكان ذلك إيذانا بتقدم اللغة العربية شيئا فشيئا.

لم يظهر على المصريين تذمر، ولا معارضة إزاء تعريب الدواوين، فهم قد تعلموا لغة اليونان، ومن السهل عليهم تعلم اللغة العربية، بل منهم من ذهب إلى أكثر من هذا، فاعتنق الإسلام، مما أدى فى النهاية إلى تلاشى اللغة القبطية من الدواوين.

**خامس وعشرون:** تسيد اللغة العربية فى مصر مرجعه إلى ما يلى: ـ

أ ـ هيبتها وقيمتها الذاتية.

ب ـ أنها لغة حضارة تفوق القبطية.

جـ ـ إنها لغة النبى ﷺ .

د ـ لم يكن الأقباط غيورين على لغتهم لدرجة أنهم فى القرن الرابع، أو الخامس الميلادى، اختاروا أبجدية جديدة معظمها من الأحرف اليونانية.

هـ ـ بذل المسلمون نشاطا ملموسا فى تعريب مصر، ونشر اللغة العربية فيها.

سادس وعشرون: الأسباب التى أدت إلى سرعة انتشار اللغة العربية:

أ ـ أنها جزء من حقيقة الإسلام.

ب ـ أن من يعتنق الإسلام لابد له من معرفة باللغة العربية ليقرأ القرآن ثم ليصلى.

جـ ـ ارتبط تقدم اللغة العربية فى مصر بتقدم دعوة الإسلام وانتشارها!! حتى قال دى لاسى أوليرى:«كان انتشار الإسلام بلا شك عاملا من عوامل إحلال اللغة العربية محل القبطية».

د ـ اختلاط القبائل العربية بأهل القرى المصرية..كان له تأثير كبير فى نشر دعوة الإسلام، ومعرفة لغتها مما تولد عنه تفاعل نتبين منه لماذا ترك المصرى القديم لغته رغم تمسكه بالقديم وحرصه عليه.

هـ ـ كان انتشار الدعوة أسرع من انتشار اللغة العربية، ومن ثم كان من يعتنق الدين يذهب ليتعلم اللغة العربية.

و ـ امتاز المسلمون على غيرهم ممن دخلوا مصر أنهم نجحوا فى تحويل الغالبية من سكان مصر إلى دينهم ولغتهم.

ز ـ تعد مصر إحدى الأمم التى تخلت نهائيا عن ماضيها اللغوى القديم..ورمت بنفسها فى أحضان الإسلام ومدنيته.

ح ـ تألقت مصر، فأصبحت دولة إسلامية تتزعم العالم الإسلامى كله..حتى لا نجد اليوم أوفر فى الحضارة من مصر، فهى أم العالم، وايوان الإسلام، وينبوع العلم والصنائع، فتبوأت مركز الصدارة بعد أن كانت ولاية تابعة لروما، فالدعوة التى رفعت العرب، وعزت من شأنهم رفعت مصر مكانا عليا.

ط ـ من الخطأ التاريخى، أن يقال:إن المسلمين أكرهوا القبط على ترك لغتهم واتخاذ اللغة العربية لغة لهم، فهذا خطأ محض، وبعيد عن التصديق، فالمعروف اليوم أن الدول

المستعمرة لكى تميت لغة أمة تنشىء المدارس فى المدن والقرى، فهل كان لدى المسلمين مثل هذه القدرة، ثم هل هناك نص أو وثيقة تقول بأن المسلمين منعوا الناس من استعمال لغتهم؟ كل الذى فعله المسلمون أنهم غيروا لغة الدواوين من يونانية إلى اللغة العربية، فهل مثل هذا العمل وحده يكفى لحمل الفلاح فى قريته، والمرأة فى عقر دارها أن تتكلم اللغة العربية، وتترك لغتها الأصلية؟ حتى لو قلنا: إن ظالما أمر الناس بذلك أكان يكفى فى ذلك ضياع لغة ونسخها بلغة أخرى كما حدث للقبطية؟ فإذا فتشنا عن السبب فى ضياع القبطية لظهر ما يلى:

١ ـ عدالة المسلمين وتواضعهم مع أهل مصر..حتى سادت روح التعاون بين الفاتح، والقبطى المغلوب على أمره.

٢ ـ انبسطت أسارير الأقباط لأسلوب المعاملة الكريمة فى مصر، فاندفعت الألوف من أبنائها إلى الفاتح المسلم.

٣ ـ لم يكن للدعوة دعاة يمشون خلف الجيوش يرغبون الناس فى الإسلام، بعد أن تكون الجيوش قد أهلكت الحرث والنسل بل إن بعض الولاة كان يكره دخول المصريين فى الإسلام.

٤ ـ الضغط الواقع على الأقباط من السلطتين المدنية، والدينية لحكوماتهم الوطنية، فكانوا يتنسمون عبير الخلاص يهب عليهم من أية جهة، حتى إذا هب عليهم من قبل المسلمين أسرعوا إليه. وقابلوه بأرواحهم، فكان هذا سبب دخول عشرات الملايين من الناس فى الإسلام بدون ضغط، ولا إكراه على مدار السنين.

٥ ـ لما كانت اللغة تخضع للعقائد، فقد انصرف القبط لتعرف العقيدة الجديدة الوافدة عليهم، فكان لابد لهم من تعلم العربية لغة الدين الذى أحبوه، وليست القبطية هى الوحيدة فى ضياعها فقد ضاعت لغات البربر فى شمال أفريقيا وهم المغاربة، ولغات أهل سوريا، ومالطة وغيرهما، فالاضطهاد لا يزيل لغة أمة، وإلا لأزالتها اضطهادات الرومان وما أكثرها حتى وصل عدد من قتل منهم (٨٠٠,٠٠٠)، ومع ذلك لم يتزعزع إيمانهم بلغتهم وعقيدتهم، فما هو يا ترى ـ نوع الاضطهاد الذى أوقعه المسلمون بالأقباط حتى تركوا لغتهم؟.

٦ ـ لقد أحيا المسلمون اللغة القبطية، فكانت الدروس الدينية فى الكنيسة تقرأ بالقبطية بعد أن كانت تقرأ باليونانية، وتشرح بالقبطية، وهذا أمر كانت تحرم منه الكنيسة.فقط طالب المسلمون أن تترجم دروس الكنيسة إلى اللغة العربية حتى يعرف هل فيها هجوم على الإسلام، أم لا؟ وكان الذى يقوم بالترجمة أحد الشمامسة، لم يكتف المسلمون بهذا، بل ردوا الأسماء

اليونانية للبلاد والأقاليم إلى القبطية فأستعادت القبطية مكانتها بعد الفتح الإسلامى.

**سابع وعشرون:** لم يسلم الفاتحون لمصر من الاتهامات، فقد اتهموا بأنهم أجبروا المصريين على اعتناق الإسلام، واتهموا بأنهم أرغموهم على تغيير لغتهم. كما اتهموا بإحراق مكتبة الإسكندرية وهذا الاتهام، واضح فيه الكذب والافتراء، وعدم التثبت، ولقد دار نقاش طويل حول حريق مكتبة الإسكندرية، حتى ليظن البعض ـ غير القارىء المتدبر ـ أنها حقيقة، لكن الباحثين عن الصدق سرعان ما يظهرون كذب هذا الادعاء وأن أمر هذه المكتبة خرج المسلمون منه برءاء.. ومن هؤلاء المعلنين: ـ

جبرن، وسديو، ورينان، وجوستاف ليبون، وبتلر، كما زيفتها دوائر المعارف البريطانية والإسلامية، وفصل الخطاب فى الأمر، معاهدة المسلمين مع الروم، ففيها من البنود:

المحافظة على أموال المسيحيين وكنائسهم، وأن يظلوا أحد عشر شهرا خارج المدينة، وهذه المدة كافية بنقل هذه المكتبة لو كانت قائمة، ونختم أمر المكتبة بهذه الجملة الصادقة:

يقول بتلر: إن رواية أبى الفرج لا تعدو أن تكون قصة من أقاصيص الخرافة ليس لها أساس فى التاريخ.

**أما عن الإصلاحات.. فأوجزها فيما يلى:**

**أولا:** الإصلاحات الداخلية ضرورة من ضرورات الحياة، لتظل مسيرتها، ولما كانت دعوة الإسلام للحياة وللأحياء. فإن الإصلاحات الداخلية مما تدعو إليه رسالة الإسلام، ودعوته...

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ (التوبة من الآية ١٠٥).

﴿ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ (القصص من الآية ٧٧).

﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾ (الملك من الآية ١٥).

**ثانيا:** ظلت أحكام الشريعة مطبقة فى مصر منذ فتحها المسلمون (سنة ٢٠ هـ ـ ٦٤١م) حتى أسرة محمد على (إسماعيل باشا).

**ثالثا:** يعد القضاء العادل صورة الدعوة إلى الإسلام، فهو التطبيق العملى لما تدعو إليه، ولأهميته أمر الله به فى محكم آياته كما حثت عليه السنة.

**رابعا:** أول سجل للقضاء فى مصر الإسلامية، كان على يد القاضى (سليم بن عتر). كما امتاز القضاء عصر البحث أن القاضى كان يجتهد رأيه، كما أنه غير متأثر بالسياسة، ولا

يتولى القضاء إلا من توفرت فيه الشروط اللازمة، ولا يجتهد إلا إذا توفرت فيه شروط خاصة.

**خامسا**: الحق الذى ينطق به صاحبه لا تتم فائدته مالم تكن معه قوة تحميه، وتعمل على تطبيقه، لابد لإقامة هذا الحق من أمة تتكفل به، ومن غير أمة الإسلام تنال هذا الشرف؟ والتى قال الله فيها: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأعراف الآية ١٨١).

**سادسا**: عثمان بن عفان ﷺ يرسل إلى عماله رسالة فى فن الإدارة لتعطى صورة مرضية لله ولرسوله.

**سابعا**: من أسلوب الحكومة الإسلامية عدم اللامركزية، فهناك أكثر من بردية تنص على اهتمام الحكومة بحسن سير العمل، وأسلوب الإدارة، وأجور الصناع الذين يعملون فى بناء السفن، كما تنص بردية أخرى على خطاب يدور حول هذا الغرض.

**ثامنًا**: كان لابد لاستمرار حسن سير الإدارة من إنشاء ديوان للرسائل يهتم بشؤون البلاد.

**تاسعًا**: من إصلاحات الإدارة، فرض الجزية، وفى فرضها أقوال: هل كان الكل متساوٍ فى دفعها؟ أم كان هناك اختلاف حول من يدفعونها، الرأى الشائع أن كل واحد من أهل الذمة يدفع دينارين، باستثناء الطوائف المعفاة، لكن الواقع أن المسلمين وزعوا الجزية على الوجه التالى:

أ - على الموسرين ثمانية وأربعين درهماً.

ب- ومن الوسط أربعة وعشرين درهماً.

جـ- ومن دون الوسط اثنا عشر درهماً.

مع الفرق بين ما فعله المسلمون وما فعله البيزنطيون من فرض جزية متساوية على الكل، وفى مقابل دفع الجزية من أهل الذمة كان فرض الزكاة على المسلمين.

**عاشرًا**: أجرى المسلمون أرض مصر مجرى البلاد المفتوحة صلحاً، فأبقى المسلمون لأهل مصر أرضهم يتصرفون فيها كما يريدون، وكل ما فعلوه أنهم فرضوا ضريبة يستعينون بها على تجهيز الجيوش، وتعبيد الطرق وإصلاح مشروعات الرى والزراعة. فكانت الأراضى مقسمة فى ظل الإدارة الإسلامية إلى :

أ ـ أراضي المصريين ب ـ أراضي الرومان. جـ ـ أراضي في أيدي الحكومة.

أما أراضى المصريين فلم تمسسها يد الحكومة، واكتفت بفرض ضريبة، أما أرض الرومان فقد آلت إلى المسلمين بعد فرار الروم، أما القسم الثالث، فقد آل إلى الإدارة الإسلامية بعد إخراج الروم منها ـ وهذا منتهى الإنصاف حيث لم تستول الإدارة الإسلامية على أرض للمصريين ومع ذلك أعطتها للمصريين يزرعونها، واكتفت بالخراج.

**حادي عشر:** فرضت الإدارة الإسلامية ضرائب من أجل الإصلاحات الداخلية، ففرضت على التجار من أهل الذمة إذا بلغت تجارتهم عشرين ديناراً، أن يؤخذ دينار فقط وما نقص فبحسابه حتى تبلغ عشرة دنانير، فإن نقصت لا يؤخذ منها شيئاً، وهذه على التجار الذين يتاجرون في مصر نفسها، وتثبت أوراق البردى وجود هذه الضرائب الداخلية.

**ثاني عشر:** حول المسلمون وقت جباية الخراج من السنة الشمسية إلى القمرية، فوفروا بذلك على المصريين سنة خراجية فكانت لمسة رحيمة منهم، ولفتة إلى اهتمام المسلمين بالشهور العربية.

كما حرصت الإدارة الإسلامية أن تعطى ما يفيد خلو الذمة من الدفع تسمى (براءة)، كذلك من صور نشاط الإدارة الإسلامية: ضرب النقود التى يتعامل بها، وكان ذلك سنة (٦٧هـ) زمن الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان، وأرسل إلى الأمصار الإسلامية أن تضرب نقودها بمقتضى السكة التى ضربها عبد الملك، ثم خضعت السكة فى مصر للسكة الإسلامية، وهذا مظهر من مظاهر التبعية الإسلامية دون شك.

**ثالث عشر:** من الإصلاحات الداخلية التى اهتم بها المسلمون أيضاً الرى والزراعة، فقاموا ببناء مقاييس على النيل، فى حلوان، وأسوان، ودندرة، وأنصنا، ثم جزيرة الروضة، نحن إذن أمام إصلاحات شاملة من إدارة إسلامية لم يزد عمرها عن خمسين أو أقل، ومع ذلك تبرز لنا أعمالهم فى خير صورة، ولما أعطوا المستأجرين الأرض اشترطوا هذا الشرط ( وما بورت فعليك خراجه) ....

وظل الحال على ذلك حتى إذا كان عهد هشام بن عبد الملك، شجع القبائل فى الولايات على الزراعة والنزوح إلى الريف، والاستقلال بالزراعة، فنزل إلى أرض مصر أيد عاملة جديدة، لها طاقة وحيوية، فعم الرخاء، وازدهرت الحياة فى مصر.

**رابع عشر:** وفى مجال الصناعة والمعمار لم تتوقف بل ازدهرت فى عهد الإدارة الإسلامية فبرز إلى الوجود فى مجال البناء، مبانى الفسطاط وحلوان.

وفى الصناعة ازدهرت الصناعة الصوفية، والتيلية، والحريرية، ونستطيع القول : إن المسلمين منذ فتحوا مصر لم يكونوا أبدًا حجر عثرة فى تقدمها ورقيها، أو استغلالها، لقد كانت الميرة التى ترسل إلى الحجاز تستقطع من الجزية!!

**خامس عشر :** استطاع المسلمون أن يدخلوا صناعة الورق إلى مصر بعد أن نقلوها من الصين، بعد أن ظلت سرًا لم يقترب منه أحد حتى إذا امتدت الفتوحات الإسلامية، وأخذت المنطقة المحيطة بسمرقند، وسقط بعض الأسرى الصينيين فى أيدى المسلمين، استطاعوا بطريقتهم أن يعرفوا سرًا جديدًا من أسرار صناعة الورق، فنقلوه إلى بغداد، ومنها إلى مصر، وكانت هذه الصناعة هى السبب فى زحزحة ورق البردى عن عرشه، الذى كان معروفًا فى زمن الرسول ﷺ باسم القراطيس، كما جاءت الإشارة إليه فى القرآن الكريم.

وبقية الصناعات الأخرى حافظ المسلمون عليها مثل صناعة: الخشب، والخزف والزجاج، والمعادن، التى أخذت زخرفها وازينت

**سادس عشر :** إصلاح الطرق، وتأمينها، وهذا أمر لابد منه حتى تظل قوافل التجارة غادية رائحة بين البحر الأحمر والنيل، وإقامة الحاميات فيه، وحفر الآبار، والقضاء على القرصنة فى البحر الأحمر، والمحيط الهندى، كذلك اهتم المسلمون بفتح قناة تراجان، التى سميت فيما بعد باسم : خليج أمير المؤمنين نسبة إلى عمر بن الخطاب ﷺ ، إن مصر لم تفقد مكانتها، بل تألقت مكانتها حتى قال أحد زوار بيت المقدس عن الإسكندرية بعد أن دخلها المسلمون بخمسين عامًا، فتلكم عنها على اعتبارها ملتقى التجارة العالمية حيث يتبادل البضائع فيها شعوب لا حصر لها. وهكذا تعطينا إدارة المسلمين الحزم والعزم وتطبيق القول على العمل.

**أما عن أهم نتائج فتح مصر فألخصها فيما يلى :**

**أولاً :** اتخذ المسلمون مصر نقطة ارتكاز ينطلقون منها للفتوحات الخارجية، وذلك لموقعها الجغرافى الممتاز.

**ثانيًا :** لم يكن الهدف من فتح مصر إذن هو الاستيلاء على خيراتها، كما يدعى من لم يفهم رسالة الإسلام.

**ثالثًا :** انطلق المسلمون كالإعصار إلى الساحل الغربى يفتحونه، ويطاردون قوات الرومان المتمركزة هناك، وكان أول البلاد التى فتحوها هى برقة اشترك فيها قبائل عربية مختلفة بقيادة الصحابى المغوار عمرو بن العاص ﷺ ففتحوها، وفرضوا عليها الجزية، ونشروا فيها

دعوة الإسلام، وتركوا فيها من يؤذن فيهم ويقيم الصلاة، ومن برقة انتلقت الدعوة إلى بقية مدن الساحل الغربي ففتحوا لوبية، ومراقية، وطرابلس، وسبرت، وطاردوا الرومان حتى ألجاؤهم إلى الفرار.

**رابعًا :** خطا المسلمون خطوة كبرى، ففتحوا أفريقية، في عهد عثمان بن عفان ﷺ على يد عبد الله بن سعد ﷺ ومعه عبد الله بن الزبير ﷺ وكانت أفريقية من أكبر الميادين التى فتحت أبوابها أمام دعوة الإسلام في القرن الأول الهجرى.

**خامسًا :** ثم انتقل المسلمون من الشمال إلى الجنوب ليفتحوا بلاد النوبة، فإذا تعسر عليهم فتحها عقدوا معاهدة صلح حتى يأمن الجانبان كليهما، وكان من هذه السياسة الرشيدة أن دخل الكثيرون منهم الإسلام، وكانت مقدمة لدخول الدعوة إلى تلك البلاد، فانتقلت منها إلى السودان. ثم انتقلوا إلى ميدان أرحب إلى بلاد الأندلس....

**سادسًا :** من القواد الذين ألقى عليهم عبء تلك الفتوحات :

عمرو بن العاص ﷺ ، عبد الله بن سعد ﷺ ـ عقبة بن نافع ﷺ ، وأبو المهاجر ﷺ ، وحسان بن النعمان ﷺ ثم موسى بن نصير ﷺ ، وطارق بن زياد ﷺ ... الذين ردوا الروم على أعقابهم مرة أخرى بعد استيلائهم على أنطابلس بعد أن فتحها حسان بن النعمان، فتولى موسى بن نصير فتح بلاد المغرب، ثم واصل سيره حتى فتح بلاد الأندلس، وكان ذلك سنة ثنتين وتسعين، وغنم المسلمون مغانم كثيرة، لا يبلغها الحصر، حتى كتب موسى بن نصير إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك يخبره بفتحها قائلاً : «إنه ليس بالفتح، وإنما هو الحشر وذلك لكثرة ما وجدوا فيها من خيرات، كما عثروا على مائدة سليمان بن داود عليهما السلام ـ وتاجه، وأهم ما في تلك الفتوح دخول دعوة الإسلام بلاد الأندلس وانتشارها في بقعة عظيمة من أرض الله الواسعة.

**سابعًا :** خطا المسلمون خطوة جبارة في مجال ظَلَّ الرومان يصولون فيه ويجولون إنه مجال البحر، إذ أصبح لهم أسطول بحرى يجوب شواطئ البحر الأبيض المتوسط، فاستطاع ملاحقة أساطيل بيزنطا، وأن يستولى على جزر البحر الأبيض المتوسط، ويطردوا منها جنود الرومان، حتى غدا البحر الأبيض .. بحيرة إسلامية، كان هذا في عهد الخليفة الورع عثمان ابن عفان ﷺ ، بقيادة واليه على مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح، أمير البحر الثانى أما أمير البحر الأول فهو معاوية بن أبي سفيان ﷺ على الشام وكانت أول المعارك الحاسمة

معركة (ذى الصوارى) التى انتصر فيها الأسطول الإسلامى على الأسطول البيزنطى نصراً مؤزراً.

**ثامنًا** حرص المسلمون أن يعودوا إلى مدينة الفسطاط كلما فرغوا من حروبهم، فقد جعلوها نقطة انطلاقهم، ومرفأ راحتهم، ومن ثم عملوا على حراستها الدائمة، وتعزيز قواتها البرية والبحرية.

**تاسعًا :** كان من عدالة المسلمين وحبهم للمصريين ـ بعد إسلامهم ـ أن أشركوهم فى الجهاد معهم فى البر والبحر وهذا أول مرة يخرج من أهل مصر من يدافع عنها ويذود عن حياضها، كما أخبرت بذلك أوراق البردى.

**عاشرًا :** اهتم المسلمون بمدينة الإسكندرية لموقعها، مكمن المخافة والخطر، فعززوا رباطها، وشددوا الحراسة عليها، فجعلوا مرابطيها يتناوبون كل ستة أشهر، حتى لا يتعود الجند على مكان واحد، فيتراخوا ويكسلوا.

**حادي عشر** : يرجع اهتمام المسلمين بالبحرية إلى ما يلى :

**أ-** طمع الرومان فى استرداد مصر والشام أكثر من مرة عن طريق البحر ومحاولتهم تطويق مصر عن طريق الشام.

**ب-** محاولتهم احتلال الإسكندرية أكثر من مرة، والتى كانت تفشل فى النهاية فكان لابد لهم أمام هذا التحدى الذى فرض عليهم، أن يكرسوا جهودهم لدفع هذا الخطر البيزنطى، فاستعانوا بالله فأعانهم، واستنصروه فنصرهم.

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾ (غافر من الآية ٥١).

وهكذا ما اجتمع الإيمان والكفر فى عرصات القتال إلا نصر الله الإيمان، ودحر الكفر.

﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ (سورة الأحزاب آية : ٢٥).

## أهميـة ختم البحث بعمر بن عبد العزيز ﷺ :

**أولاً :** كانت خلافة عمر بن عبد العزيز ﷺ ضرورية، ليرد للدعوة مكانتها، وللمسلمين عزهم ومجدهم، وللإسلام رونقه وبهاءه، وللدولة عزها وشرفها، فكرس جهده لتحقيق هذه الغاية بواسطة أمرين هما: الحق والعدل بعد ما شاع سخط العامة والخاصة، على من سبقوه فقام بهما خير قيام.

**ثانيًا :** أول بشائر الخير ما جاء فى أول خطبة له بعد تعيينه خليفة للمسلمين، يعلن تسمكه بالكتاب والسنة، فقد تولى الخلافة، على خلاف قاعدة بنى أمية فى عصره، ولكن مكانته المبرزة رشحته لهذا الأمر الخطير.

**ثالثًا :** لم يتوان عقب توليه الخلافة أن يرد المظالم إلى أهلها، فبدأ بنفسه، ثم بأهل بيته، ثم ببلاطه كما شجع على نشر دعوة الإسلام، فتألف قلوب أهل الذمة ... كما كتب إلى ملوك الهند يدعوهم إلى الإسلام ويمنيهم.

**رابعًا :** هدد من طلب أخذ الجزية ممن أسلم من أهل الذمة فى مصر.

**خامسًا :** من أعماله الخالدة: إحياؤه لسنة رسول الله ﷺ وأمره بكتابتها وجمعها...

**سادسًا :** إحياؤه أهم أسلحة الدعوة: الحق والعدل، فاستطاع أن يفتح للدعوة قلوبًا مغلقة، وأن يعيد لها مجدها.

**سابعًا :** اتسم عهد عمر بن عبد العزيز بسمات خالدة، فألغى السخرة، وتشدد على الظلم والظالمين، حتى منع أن تحد الشفرة أمام الشاة عند ذبحها، تأثرًا بقول رسول الله ﷺ ، كما كان يسهر على راحة الرعية، وتفقد أحوالها، ويمنع أن يظلم أحد أحدًا حتى قال حفيد لأبى بكر الصديق ﵁ واصفًا عصر عمر بن عبد العزيز : «اليوم ينطق كل من كان لا ينطق» ، لقد شعرت الأمة فى عصره بحرية الكلمة، فلم تحبسها فى الصدور من الخوف والهلع.

**ثامنًا :** نجاحه فى تغيير مسار الاقتصاد حتى أرغم الأجانب على دراسة نظريته الاقتصادية فمنهم من أيده، ومنهم من عارضه ونقده، حتى كانت النهاية نجاح نظريته ، بعد أن أيدتها الأدلة المادية، فقد هيأ لها المناخ الملائم لتسلكه، وتصل إلى غايتها.

**تاسعًا :** كان من أهم نجاح نظريته تلك، أنه بدأ بإصلاح نفسه، وأهل بيته، ثم ببلاطه، فاستقام له عوج الاقتصاد، يعاونه جهاز إدارى صادق، لقد علم أن الدرهم دم، فلا يجوز أن يجرى فى غير عروق أصحابه، وتمسكه بالإصلاح... اقتضى الأمر إلغاء أنواع من الضرائب، واكتفى بأخذ الزكاة والخراج، والضريبة العشرية والجزية. كما اهتم بالإصلاحات الداخلية حتى شعر بها كل الناس حتى أهل مصر، راقب الخراج، والمكاييل والموازين، ثم توسع فأمر بالضمان الاجتاعى ليشمل كل طوائف الأمة، لقد خدم عمر بن عبد العزيز الدعوة بأن طبق ركيزتيها القول والعمل، فأحسن إلى الإسلام والمسلمين.

**عاشرًا :** هب الحاقدون على الإسلام يهاجمون سياسة عمر.. الاقتصادية... لأنهم

يودون من حشاشة قلوبهم وضع العراقيل والمثبطات أمام كل حاكم مسلم يريد أن يتجه ببلاده نحو الإسلام، وإحياء دعوته، والعمل بالكتاب والسنة.

**حادي عشر:** كان هناك من انبرى لتلك الافتراءات مفنداً إياها واضعًا الحقيقة ناصعة أمام أولي الألباب فهو رحمه الله اتخذ الخطوات التالية :

أ - وفر على الدولة كثيراً من الأموال التي كانت تنفق على محاربة الخارجين فلجأ إلى الأسلوب السلمي بالحجة والمنطق.

ب - أوقف أعمال الابتزاز التي كان يتعرض لها بيت المال.

جـ - اهتم بجمع الزكاة ، والجزية، والخراج، وإنفاق كل في مصرفه.

د - اهتم بالزراعة.

هـ - فتح باب التجارة الحرة.

و- نظم بيوت المال.

ز - أوقف الفتن والمنازعات التي كانت تأخذ من الدولة الجهد والوقت والمال.

ح - أوجد المناخ المستقر الآمن لدى أفراد المجتمع الإسلامي.

**ثاني عشر:** زاد المال واطمأن الناس واغتنوا حتى صعب وجود من يستحق الزكاة، وأصبحت مشكلة الأغنياء كيف يصرفون أموالهم، حتى قال يحيى بن سعيد عامل الزكاة في أفريقية: بعثني عمر بن عبد العزيز على صدقات أفريقيا، فاقتضيتها، وطلبت فقراء نعطيها لهم فلم نجد من يأخذها، لقد أغنى عمر الناس حتى أهل أفريقيا. فاشتريت بها رقاباً فأعتقتهم، وولاؤهم للمسلمين، شهد بنجاح عمر ونظريته أكابر العلماء من المسلمين، والمحققين من الأجانب كفلهاوزن الذي خطأ كل من راح يهاجم نظرية عمر... الاقتصادية.

**ثالث عشر:** يظهر الفرق الواضح في عهد عمر بن عبد العزيز عن سابقيه، كعبد الملك والحجاج، فإن الأحوال المالية كانت في أيامهم مضطربة، لكنها في عهد عمر.. .عادت إلى الصحة والمسار الناجح.

**رابع عشر:** حرض عمر على تنفيذ برامجه فكان يحل المسلمين محل غيرهم سواء كانوا ذميين، أو مسلمين، فهو يريد رجل أصلح من رجل، لقد كان المثل الأعلى في الإدارة عند عمر هو نشر الأمن في البلاد، وزرع المودة في قلوب الرعية حتى كان يقول : «لعمري أن

تموت نفسي أول نفس أحب إليّ من أن أحملهم على غير اتباع كتاب ربهم، وسنة نبيهم ﷺ » حتى قال فيه إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه : «أعجبني عزم عمر في ذلك».

**خامس عشر :** حرصه رضي الله عنه على إقامة حدود الله حتى كتب إلى عماله: «إن إقامة الحدود عندي كإقامة الصلاة والزكاة» ، ومن ثم طارد الفجور وأعلن بأخذ الفاجر بأقصى العقوبة.

**سادس عشر :** كان من أجلِّ أعمال عمر رضي الله عنه أَمْرُهُ بتدوين السنة، حتى لا تضيع بالترك والنسيان، وهنا يلتقي الجد والحفيد على عملين جليلين، فكما أشار جده عمر بن الخطاب رضي الله عنه بجمع القرآن المصدر الأول للتشريع، جاء الحفيد ليجمع المصدر الثاني للتشريع وهو السنة النبوية، وبهذا العمل المجيد حفظ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه للدعوة الركن الثاني، كما حفظ الركن الأول جده عمر رضي الله عنه .. إنها ذرية بعضها من بعض. ومن يمن هذا البحث أن يعيش مفتتحاً، بالجد ومختتماً بالحفيد.

**سابع عشر :** أما أثره في مصر خاصة فقد :

أ ـ رغّب أهل الذمة وأعطاهم، وأسقط عنهم الجزية إذا أسلموا...

ب ـ حذر ولاة المسلمين من اتخاذ بطانة غير مؤمنة، فشجع أهل مصر على اعتناق الإسلام خاصة من يريد أن يظل في منصبه.

جـ ـ اهتمامه بعزة المسلم، وكرامته، مما شجع الغير على الدخول في دينهم.

**ثامن عشر :** جاء ختم رسالتي به أنه تمكن من :

أ ـ إيقاظ حاسة المسلم وربطه بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ .

ب ـ أفهمهم أن الإسلام معناه إسلام الإنسان نفسه، ووجوده كلية لخالق الأرض والسموات.

جـ ـ أن الإنسان وحده صاحب العقل والإرادة، دون خلق الله جميعاً.

د ـ إثبات أن المسلمين باستطاعتهم أن يحيوا حياة كريمة بالإسلام.

هـ ـ ضرب المثل في التغيير الداخلي النفسي وإمكان ذلك لو صدق العزم.

و ـ جعل .. الإيمان دافعاً حضارياً يجمع القيم المبعثرة، فأنجز في شتى الميادين، منجزات حضارية هامة في زمن وجيز قل أن يحدث في التاريخ.

ز - أعاد الوحدة بين الشريعة والواقع وربط أجهزة الدولة بالتعاليم التى رسَمها القرآن الكريم والسنة، فنجحت سياسته أيما نجاح.

ح - ضرب المثل والقدوة لكل مسؤول يتولى أمر المسلمين، أن يصل إلى ما وصل إليه، إذا سار على ما سار هو عليه.

ط - انتقاؤه الجهاز الحكومى، حتى كان طوع أمره.

ي - تمكن من توحيد كلمة المسلمين مرة أخرى، وهذه غاية كل مسلم، غيور محب لدينه ودعوته.

**والسبب الذي دفعني لإضافة بعض الملاحق، والخرائط الهامة في آخر البحث الآتي:**

**أولاً :** زيادة التأكيد على رسالة النبى ﷺ إلى حاكم مصر، كما فى الصورة الخطية.

**ثانيا :** إماطة اللثام عن شخصية المقوقس التاريخية، وإظهار الدور الذى قا به مع المسلمين.

**ثالثًا :** إثبات وثيقة عمر بن الخطاب التى أرسلها إلى عمرو بن العاص يأمره فيه بالسير إلى مصر.

**رابعًا :** المعاهدات الموثقة التى أبرمت بين المسلمين وأهل مصر.

**خامسًا :** بيان لأول مجموعة قبطية تدخل الإسلام، دفعة واحدة، على إثر كتاب عمر بشأن إطلاق السبايا.

**سادسًا :** كتاب عمر بن عبد العزيز... لعماله بشأن معاملة أهل الذمة، وقتل الخنازير.

**سابعًا :** إقامة الحدود فى أرض الكنانة، مما يدل على تطبيق المسلمين للدعوة العملية فيها.

**ثامنًا :** أمر عمر بن عبد العزيز.. تعليم الناس القرآن.

**تاسعًا :** معاهدة موثقة لأهل النوبة.

**عاشـرًا :** عهود النبى ﷺ لطوائف النصارى القبط، مما يدل على اهتمام المؤرخين بعلاقة نبى الإسلام الطيبة بأهل مصر.

**حادي عشر :** تطبيق الجزية فى أرض الكنانة.

**ثاني عشر :** توضيح السبب المباشر لفتوحات المسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ. وأنها دفاع عن الدعوة وحماية للمسلمين من المتربصين بهم الدوائر وإلجام قوى الشر بحق الدعوة فى العيش بسلام.

**ثالث عشر :** الخرائط والهدف منها توضيح :

أ - سيطرة الفرس والروم على بلاد العرب ومصر.

ب ـ الطريق الذى سلكه المسلمون بقيادة عمرو.. والبلاد التى دخلوها عند فتحهم لمصر.

جـ ـ موقع مصر من الجزيزة العربية.

د ـ بيان الأماكن التى بين العريش وتنيس.

هـ ـ بيان وضع مصر (السفلى والعليا) زمن الفتح ..

و ـ بيان مسار عمرو بن العاص داخل الوجه البحرى .

ر ـ مساحة العالم الإسلامى زمن النبى ﷺ والخلفاء الراشدين حتى سنة (٤٠هـ) وبيان المساحة التى كانت فى حوزة المسلمين، وحافظوا عليها ـ (زمن مجدهم) .

والغرض من هذا كله وضع صورة صادقة عن مصر، وعما كان يحيط بها عصر البحث.

وبعد الفراغ من كلمة الختام التى شملت أهم نتائج البحث أعقبتها بهذه التوصيات الهامة، التى أراها ـ من وجهة نظرى ـ جديرة بالاهتام، لعلها تصلح مسار الدعوة فى أرض مصر.

## التوصيـــات

**أولاً :** نجاح الدعوة الإسلامية مرتبط بأمرين :

أ ـ ألا تقتصر على المساجد، أو دور التعليم (الدينى) .

ب ـ ألا تحبس فى الصدور.

فالدعوة إن ظلت مقصورة على المساجد .. فإن الشطر الأكبر منها يكون معطلاً ـ وهذا مما يثلج صدور أعداء الإسلام ـ فهل جاءت الدعوة لتحبس فى المساجد، أو يقتصر الحديث عنها فى دور التعليم؟ أم أنها جاءت أصلاً لتنظم حركة الحياة: فى المعاملات، والأخلاق والقضاء بالإضافة إلى العبادات؟ فإذا سلب من الدعوة الجانب العملى منها فهل يكتب لها التقدم والازدهار؟ أو بمعنى آخر هل تعيش عصرها الذهبى؟.

إن عصر الدعوة الذهبى يبدأ حين يشعر الناس بالأمن والأمان على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم أى بتطبيق الجانب العملى .. فإن الكل يتمنى أن يطبق الشق الثانى من الدعوة الجانب العملى لترتاح النفوس، ألا ترى أن المجتمع يتحدث مع نفسه عن السارق يسرق ثم يحكم عليه ببضعة أشهر، أو أكثر ثم يخرج إلى الحياة أكثر ظلماً وأشد عتواً... شهدت بذلك وسائل الإعلام التى أذاعت أن فلاناً خرج من السجن وله ست وثلاثون سابقة!!

إن إقامة الحد على السارق أول بادرة خير لتطهيره أولا وتطهير المجتمع ثانيًا من الانحراف. وقس على ذلك أمر الزانى، والشارب، والمحارب، وقاطع الطريق، والمرتشى، والمرابى... إلخ. فمتى تخرج الدعوة إلى الحياة العملية، فتبرأ الصدور من الحديث الهامس، وتتفرغ للبناء والتشييد؟

**ثانيًا:** العناية بنشر الدعوة فى الخارج، أسوة بصحابة رسول الله ﷺ يوم خرجوا لفتح البلاد والقلوب على معرفة الله سبحانه....

**ثالثًا:** العناية بنشر التربية الإسلامية فى المدارس والمعاهد والجامعات وتنسيق العمل بين جامعة الأزهر والجامعات المصرية لإزالة الغشاوة.. والجهل عن القلوب بالنسبة لروح الإسلام ودعوته.

**رابعًا:** أن يكون لدى جامعة الأزهر جهاز مسؤول مسؤولية مباشرة عن كل ما يكتب عن الإسلام ونبيه، وصحابته ، ولا يترك هذا الأمر لجهود فردية.

**خامسًا:** الدعوة الإسلامية التى حركت أذهان العالم فى العصور الوسطى، واعتنقتها مصر، وأصبحت تحمل عبء هذه الأمانة تستطيع اليوم أن تنشر لواءها فى العالم أجمع، فتحرك أذهانه مرة أخرى لمعرفة الخالق سبحانه، وهى رسالة حبذا لو تبناها المصريون جميعًا، وهى ميدان بكر تستطيع مصر أن توجه أنظار العالم إليها فى أهم ميدان فى الحياة.

**سادسًا:** لتمكين المسلمين من عقيدتهم لابد من :

أ ـ تطبيق حدود الله فى أرض مصر.

ب ـ عدم إحراج المسلمين فى مصر بالزج بهم فى مخالفات لا تتفق ودينهم عن طريق البنوك الربوية حتى وصل الأمر بالأزهر نفسه ـ الذى ينادى بإبطال الربا وتحريمه ـ أن تجبر جامعته على التعامل به، كما جاء ذلك صريحًا فى جريدة الجمهورية بتاريخ ١٧ / ٥ / ١٩٨٥ .

ج ـ موقف الدعاة الحرج حينما يخاطبون الجماهير المؤمنة ، فينهونهم عن الربا ، والخمر فإذا سئلوا ماذا تقولون، والدولة تتعامل بالربا ، وتصنع الخمر.. ؟ فكيف يرد الداعية؟

**سابعًا:** إذا طبقت مصر حدود الله ، تكون بذلك قد عادت إلى عظمتها ومجدها، فكما فتح الأجداد أرض الكنانة، وأقاموا فيها حدود الله، فهاهم الأحفاد يطبقون الجانب العملى من الدعوة... حتى أن رئيس البلاد السيد/ محمد حسنى مبارك يقسم فى رحاب الأزهر الشريف لترتفعن مآذن الأزهر ـ ومبلغ فهمى أنه إيذان برفعة مكانة الأزهر بتطبيق حدود الله تعالى..

**ثامنًا:** ظل العمل بالشريعة الإسلامية حتى احتلت انجلترا مصر سنة (١٨٨٢م) فتوقف العمل بها، ومعنى توقف العمل بالشريعة - حتى اليوم - أننا ما زلنا خائفين من إنجلترا نعمل لهاألف حساب حتى بعد أن غادرت أرض الكنانة فهل يرضى ذلك أى وطنى بهذا المسلك؟

**تاسعا:** ثبت أن الغربيين تلامذة للشرقيين فى الأديان، فلماذا لا يستمسك المصريون بالدين الحق، وهو الإسلام فيطبقونه قولا وعملا، حتى إذا اقتدى بهم غيرهم كانوا على صواب.

**عاشرا:** تعميق الفهم الصحيح حول حقيقة أصل المصريين لدى طلاب الجامعات حتى لا تشوه الصورة فى أنظار أبناء الأمة الواحدة.

**حادي عشر:** عندما يرفع المصريون راية التوحيد، فيدعون للإسلام بحماس، وذكاء فإن أهم ما يظفرون به مكانة عند الله عظيمة بالإضافة إلى ما يدخره الله لهم فى الآخرة من جزاء حسن، وهو خير وأبقى.

ومن ثم ينبغى أن يكون لدى كل مسلم فى مصر واجب هو هداية بعض البشر من أبناء العالم حتى يعوض الإسلام عما فقده من المسلمين فى بلاد البلقان وشرق أوربا، وجزر البحر الأبيض...، وجنوب آسيا وشرقيها، أو الأجيال التى خسرها الإسلام بين الفلبين شرقا والأندلس غربا، إنها رسالة عظيمة المقدار لو وعاها المسلمون فى مصر، وفى غيرها لحكموا العالم.

ومن الجدير بالذكر أنه تكونت فى غرب أوربا أحزاب تطالب بطرد الغرباء وأهل الكتاب بعامة يضيقون أشد الضيق بالمسلمين، ولا يستبعد غدرهم بهم فى أية لحظة، فمن الواجب توثيق العلاقات بين المسلمين فى مصر، وبين أخوة العقيدة الذين يعيشون مبعثرين فى أماكن شتى، لا نعرف ماذا يفاجئهم به أهل الكتاب.

**ثاني عشر:** اعطاء الفرصة للمخلصين ليعملوا، فلا ينبغى أن تأتى راهبة..لتقيم مشروعا إنسانيا فى مصر لترفع من مستوى عمال النظافة فيها، فأين أبناء أرض الكنانة؟ إن أمثال هذه الراهبة دعاية عملية لدينها، وفى الوقت نفسه غزو لنا فى عقر دارنا، إن الملل الأخرى تطمع فينا حين ننصرف عن الحجادة فالذى يغزى فى عقر داره يذل.

يوجد نحو مائة ألف مبشر للفاتيكان يعملون بجد ضد عقيدة التوحيد فضلا عن سماسرة الكنائس الأخرى، التى لهم رسائل، واذاعات تذيع صباح مساء تتحدث عن عقيدة

الصلب والفداء، وواجب المسلمين أن يقابلوا هذه التيارات بتيارات أشد، وأن يدفعوا الباطل عن أمتهم حتى ينقذوا الألوف المؤلفة من هذه الغارات الفكرية الضالة.

**ثالث عشر:** الميادين التى انتصر فيها المسلمون جديرة بالدراسة والبحث والتسجيل، فقد ثبت بالدليل القاطع أن المعارك التى خاضها المسلمون كان عامل النصر فيها إيمانهم بالله، تعالى ولو ظلوا على هذا الحال لسار النصر فى ركابهم أينما ساروا.

فإذا كان اليهود اليوم يبنون دولتهم على التوراة المحرفة، فمن باب أولى أن يبنى المسلمون دولتهم على القرآن الكريم المعصوم من الخطأ والتحريف، فإذا حدثت مواجهة فلابد أن تكون الغلبة لدولة القرآن..

إن المعارك القادمة معارك ضارية ولن ينقذنا منها إلا الإيمان، فالإيمان والحضارة هما الدواء الشافى، وكل ما عدا ذلك باطل وهراء، فالذى لا يؤمن بعالم لا قداسة فيه من أين يأتيه النصر؟ إن غياب الإيمان مرادف لغياب المسؤولية، وغياب الأخلاق.

**رابع عشر:** إن العجز عن الصلاح، والإصلاح يقودان إلى القهر والقمع والاكراه، فالدولة فى الإسلام هى دولة الأخلاق، بينما هى فى أنظمة الحكم الأخرى دولة بوليس ومخابرات، ورقابة فاحشة على حريات الأفراد، فماذا بقى للأمة إذا فصلت أبناءها.عن حوافز الإيمان؟ اليهودى المهاجر من روسيا، لا يكاد يطأ أرض إسرائيل حتى يتحول فجأة إلى صهيونى متعصب، أول ما يفعله، زيارة حائط المبكى وتقبيل جدرانه المنخورة، وغسل حجارته بدموع الفرح الدينى، وتجديد العهد لبناء الهيكل المقدس على أنقاض مسجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه

**خامس عشر:** هناك أربع فضائل لا يمكن أن تقوم أمة وتنهض إلا بتوافرها:

الحرية، الديمقراطية أو الشورى، والعلم، والإيمان.

فإطلاق شعار الفرعونية، أو القومية مما يؤدى إلى تمزيق أبناء مصر، أما الإيمان فيجمع أبناء الأمة الواحدة، يصوغها فى قالب المدافع عن ذمار البلاد.

وفى استطاعة أبناء مصر لو كانوا على قلب رجل واحد أن يوقظوا العالم على حقيقة واحدة هى أهمية الإسلام للعالم فى حل مشاكله، بعد أن فقد الرجل الأبيض سيادته لأنه استنفد أغراضه ولم تعد عنده فكرة صالحة يمنحها للبشرية كما قال برتراندرسل.

**سادس عشر:** لماذا لا تتعاون المسيحية والإسلام فى مصر على هداية الوثنيين خاصة وأن الإسلام لا يحمل للمسيح ـ عليه السلام ـ حقدا ولا ضغنا؟

إن التعاون بين المسيحية والإسلام اليوم أصبح ضرورى حتى يمكن القضاء على الوثنية، إن اليهود يحاربون التبشير المسيحى فى إسرائيل دون هوادة والدليل ما ذكرته الأسوشيدبرس بتاريخ ٩ / ٢ / ١٩٧٣ من «أن جماعة من المتدينين المتعصبين حاولت حرق متجر يبيع المنشورات المسيحية فى جبل الزيتون وتواجه الحكومة الإسرائيلية حملات يومية مستمرة لمنع التبشير المسيحى، وتخشى أن تؤثر مثل هذه الحركة المتنامية ضد الإنجيل والصليب على ادعائها بأنها حامية الأماكن المقدسة المسيحية.

**سابع عشر:** ما الذى يخيف أعداء الإسلام من تطبيق الشريعة؟ إلا أنها تفضح قوانينهم الوضعية؟ حتى لنسمع هذه الأسئلة الماكرة.

كيف يمكن أن يطبق اليوم فى دولة عصرية قانون وضع قبل أربعة عشر قرنا لمجتمع بعينه؟ من التطور الهائل الذى شهدته البشرية فى هذا القرن الأخير، وهل من العقل أو المنطق فى عصر العلم والحضارة....والتقدم إقامة الحدود البربرية...كالجلد والرجم وقطع الأيدى؟ وما موقف الأقليات من هذا الأمر؟ هذه الأسئلة وغيرها تثار فى المجتمعات الإسلامية حتى تبعدها عن محاولة تطبيق الشريعة، أو حتى التفكير فيها، ولا ينخدع بمثل هذه الأسئلة الماكرة إلا من دار فى فلك المبشرين والمستشرقين...فعلى الأزهر أن يعقد ندوات لمناقشة مثل هذه الأسئلة وغيرها، ويرد على الرافضين بالحجة والمنطق الرصين، حتى لا يظل موضوع تطبيق الشريعة فى مصر أمنية تتردد فى الصدور، ولا ترى النور.

**ثامن عشر:** هناك من يدعو لتحطيم الأديان السماوية كاليهود الذين زرعوا المتناقضات والخلافات للسيطرة على البشرية بابعادها عن الدين، وقيمه الأخلاقية، تصديقا لما جاء فى التلمود «إن شعوب الأرض هم الحمير الذين خلقهم الله ليركبهم شعبه المختار» فجاء مخاض الحضارة الغربية فى محضن المعلمين اليهود من أمثال «فرويد»، ودارون،وماركس، على أساس لا دينى هو نصف الطريق نحو تحطيم الأديان السماوية، ومسخ أثرها فى النفوس حتى تصبح التوراة وحدها دستور الشعب المختار المسيطر على الدنيا بأسرها، وبقى نصف الطريق الآخر فى الهجوم على القلعة الوحيدة الإسلام الذى وقف فى وجه الصهيونية منذ العصور الوسطى حتى الآن، أليست أمريكا اليوم تمتطيها الصهيونية لتحقيق أغراضها المشينة؟

وأبلغ رد على هؤلاء المغرورين:أن تطبق الشريعة فى مصر.

**تاسع عشر:** بين الحين والحين نسمع الدعوة إلى العامية، والهدف، القضاء على لغة

القرآن التى يلتئم فى حضنها شمل العرب، وينتظر مع تقدم فكرة التضامن الإسلامى أن تصبح الشعوب الإسلامية كلها، أمة واحدة فإذا تم القضاء على هذه اللغة أصبح لكل قطر عربى وإسلامى لغة خاصة به، وبمرور الوقت..يغيب القاسم المشترك الأعظم بين العرب والشعوب الإسلامية فيتم القضاء على الإسلام حتى قال لورانس براون:«إذا اتحد المسلمون فى امبراطورية واحدة أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرا، وأمكن أن يصبحوا نعمة أيضا، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا قوة ولا تأثير».

والرأى: لماذا لا تعقد جامعة الأزهر مؤتمراً للنهوض باللغة العربية، وبحث سبل وتقدم هذه اللغة الشريفة، والمطالبة باستخدامها فى مؤسساتنا العلمية والصحفية والإعلامية.

**عشرون:** اتفق التبشير والاستشراق على تهوين الإسلام فى عيون المسلمين وخاصة فى مصر ومهمة الاستشراق:تسميم وافساد عقول المثقفين بابعادهم عن الإسلام، ومهمة المبشرين: تسميم وافساد عقول العامة بكافة وسائل الإغراء، وكلاهما يمشى فى ركاب الاستعمار يمهد لاستيراده ويمكن لبقائه، وقد نشأ أساتذة الاستشراق والتبشير فى محاضن أقسام الدراسات الشرقية فى الجامعات الغربية والأمريكية، والرأى أن تتفق جامعة الأزهر مع بقية الجامعات فى مصر على عقد مؤتمر يناقش فيه رأى هؤلاء وأولئك، ووضع خطة لمواجهة هذا الخطر الداهم.. خاصة وأن لهم تلامذة من بيننا......

**واحــد وعــشــرون:** يجب على الدولة تنفيذ حكم القتل فى المرتد، حماية لبيضة الإسلام، فإن المرتد فى التعبير الحديث يشبه المتهم بالخيانة العظمى، فمن دخل فى الإسلام فقد دخل فى النظام العام للجماعة، فإذا خرج منه فهو قد قصد التشكيك فيه والإساءة إليه، والإضرار بالدعوة الإسلامية التى هى شريعة الله سبحانه..

**ثان وعشرون:** عدم استخدام الاضطهاد للدعاة فهم واجهة الأمة وأمل أفرادها، وأى إهانة تحل بهم ضررها يعود على الدولة كلها، لالتفاف الجماهير حولهم، وأفضل طريق هو إجراء الحوار معهم ليظهر الحق من الباطل.

**ثالث وعـشـرون:** أن يلتزم الكتاب والصحفيون بالحيدة عند اندلاع نقاش هام يمس الدين فلا ينصروا طرفا على طرف لحاجة فى نفوسهم ـ كما يحدث فى بعض الأحيان ـ فإن مثل هذا العمل يمزق شمل الأمة، وهم مطالبون بجمع شملها.

**رابع وعــشــرون:** على الدولة إقامة المجتمع النظيف لأن فيه تحرير الفرد من الخوف

والجشع وتحرير الجماعة من الفتنة والفساد، ولا يتأتى ذلك بغير الشريعة لأن الشريعة الإسلامية نظام وعقيدة، ومنهج عمل وسلوك وهى وحدها المهيأة لتكون نظام الإنسانية الأكمل..لقد فشلت الرأسمالية، وأفلست الشيوعية وبقى رجاء الإنسانية منوطا بالإسلام والمستقبل لهذا الدين مهما طال الزمن فهو دين السماحة والاخوة والمساواة والعدالة والسلام.

**خامس وعشرون**: ينبغى على الدولة أن تدرّس الإسلام كنظام اقتصادى واجتماعى، ويدرّس كنظام للحكم، ودستور للسياسة الداخلية والخارجية، وكنظام للتربية والتعليم بمعنى أن يكون الإسلام مهيمنا على الحياة بدلا من الشبهات التى وضعها المستشرقون وغيرهم من الصليبيين الأوربيين ليفتنوا بها المسلمين عن دينهم تنفيذا لغرض الاستعمار الخبيث.

**وفي الختام كلمة إلى الدعاة:**

وقبل أن أطوى صحف البحث بعد النتائج والتوصيات أنوه بهذه الكلمة للدعاة السائرين على درب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، المبلغين رسالة الإسلام، رسالة محمد ﷺ :-

**أولا:** هذه الرسالة جهد متواضع جمع فيه الباحث ما يخدم الدعوة، وأوضح عمل المسلمين تجاه دينهم، وكيف آثروا ما عند الله على ما عند الناس...، كما رد على الشبهات والطعنات التى حاولت النيل من روح الإسام ودعوته، والقارىء لها - إن شاء الله - سيجد الكثير والكثير مما يحتاج إليه الداعية إلى الله فى أخطر حقل يعمل فيه المسلم.

**ثانيا:** لابد للداعية من معرفة تامة بأصول الإسلام، وفروعه حتى إذا درّسه للناس نقل إليهم حقائق الرسالة، بأمانة واخلاص.

**ثالثا:** الأصل فى الداعية أنه روح مفعم بالحق واليقظة، فمهمته أن ينظر إلى الحياة بعين ناقدة وبصر حديد، فإذا رأى فتورا نفخ فيه من روحه ليقوى.....والأمة المصرية اليوم فقيرة جدا إلى ذالكم النوع من الدعاة وايقاظ الذين يحيون بعيدا عن روح الإسلام ودعوته، ومراقبة المسؤولين ونصحهم.

**رابعا:** أن يكون معلوما أن الدعوة إلى الإسلام تأخذ مفهومها من طبيعة الرسالة الإسلامية نفسها، فالإسلام عقيدة وقانون، وخلق، واقتصاد، ونصح ومعاملة.

فالحاكم العادل، والمشرع الضليع، والأديب الموجه، والمجاهد المخلص، والواعظ النصوح الثائر على المظالم، المتمرد على الطغيان..كل أولئك من رجالات الدعوة الإسلامية.

**خامسا:** الصلة الصادقة الورعة بالله تعالى، هى الدعامة الأولى فى أخلاق الدعاة.

**سادساً:** إصلاح النفس..وهذا جهد لا ينفك عنه مسلم، وهو بالدعاة ألصق.

**ســابعــاً:** دقة الفهم للدين والدنيا، والداعية الحصيف رجل يشخص العلة التى أمامه ويهىء لها الشفاء المناسب من كلام الله تعالى وسنة رسوله ﷺ...ومن ثم لابد له من:

أ ـ ثروة طائلة من كتاب الله تعالى، وأحاديث رسوله، يعدهما لأى داء وافد أو مرض عارض.

ب ـ معرفة جيدة بسيرة رسول الله ﷺ وصحابته....

جـ ـ أن يدرس تواريخ نزول القرآن الكريم وأسبابه، والمناسبات التى قيلت فيها ألوف الأحاديث.

د ـ على الداعى أن يكون ذا خبرة واعية بالميدان الذى سيعمل فيه حتى يدرك كيف يصلح دنيا الناس بدين الله ودعوته.

**ثـامنـاً:** عليهم أن ينبهوا الأمة إلى أن الدعوة التى جعلت من رعاة الإبل والغنم، ومن صغار الزراع والتجار خلفاء كسرى وقيصر، والمقوقس، فعلموهم مافاتهم من العدل والإحسان، كفيلة بأن تجعل بلدا كمصر، لو أخلصت لها أن ترفعها مكانا عليا وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾ (سورة غافر من الآية ٥١).

**تـاسعـاً:** ألا يتطرق اليأس إلى قلوب الدعاة؛ لأن لهم فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة فى تبليغ دعوة الله سبحانه إلى الناس بكل حب وإخلاص.

والحمد لله فى المبدأ والختام.

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (هود:٨٨).

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**الفقير إلى عفو ربه**
**محمود محمد رسلان**



# أهم مراجع البحث


| المرجع | المؤلف | الطبعة | تاريخ الطبع |
|---|---|---|---|
| القرآن الكريم | | | |
| الاتقان في علوم القرآن | الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي | الهيئة المصرية العامة للكتاب | ١٩٧٤ |
| الأحكام السلطانية | أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب | دار الكتب العلمية ببيروت | ١٣٩٨م<br>١٩٧٨م |
| احياء علوم الدين ٤ أجزاء | الإمام أبو حامد الغزالي | طبعة الشعب. الطبعة الأولي | بدون |
| الإدارة الإسلامية في عز العرب | د/ محمد كرد علي | طبعة مصر | ١٩٣٤م |
| أدب الخليفة الثاني عمر | دكتور: علي أحمد الخطيب | رسالة دكتوراه: كلية اللغة العربية | ١٣٩٧هـ<br>١٩٧٧م |
| الأديان والمذاهب الشرقية | د/ عثمان عبد المنعم عيش | مكتبة الطلبة ومطبعتها | ١٣٨٦هـ<br>١٩٦٦م |
| أسباب النزول وبهامشه الناسخ والمنسوخ | الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري | ط. عالم الكتب (بيروت) | بدون |
| الاستيعاب في معرفة الأصحاب | أبو عمر يوسف بن عبد الله المعروف بابن عبد البر النمري القرطبي | الطبعة الأولى ط. دائرة المعارف النظامية الدكن | ١٣١٨هـ |
| أسد الغابة في معرفة الصحابة ٧ أجزاء | عز الدين الأثير أبو الحسن علي بن محمد الجوزي. تحقيق، وتعليق: محمد إبراهيم البنا، محمد أحمد عاشور. | ط. الشعب | ١٣٩٠هـ |
| الإسلام فطرة الله | دكتور محمد البهي. جزء ١ | سلسلة مجمع البحوث الإسلامية | ١٣٩٧هـ<br>١٩٧٦م |
| الإسلام والاستبداد السياسي | الشيخ/ محمد الغزالي | ط. الثانية. دار الكتب الحديثة القاهرة. | ١٣٨٠هـ<br>١٩٦١م |

| | | | |
|---|---|---|---|
| الإسلام والحضارة العربية (جزءان) | د/ محمد كرد علي | لجنة التأليف والترجمة والنشر | بدون |
| الإسلام في عصر العلم | دكتور أحمد الغمراوي اعداد الدكتور أحمد عبد السلام الكرداني | ط. السعادة | ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م |
| الإسلام دين الهداية والاصلاح | محمد فريد وجدي | مراجعة وتصحيح محمد زهري النجار ط. الرابعة | ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م |
| أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة | رفيق بك العظم | المطبعة الهندية | ١٣٤٠هـ ١٩٢١م |
| الأشعة اللاهوتية في مبادئ التعاليم المسيحية | نيافة الدكتور / مول | جمعية المهليين الأسقفيين. القاهرة | ١٩١٨ |
| أشهر الديانات البدائية | دكتور علي عبد الواحد وافي | دار المعارف | ١٩٥٩م |
| أصول الدعوة | دكتور عبد الكريم زيدان | دار عمر بن الخطاب الإسكندرية ط. الثالثة النهضة المصرية | ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م |
| أضواء على الاستشراق | الدكتور / محمد عبد الفتاح عليان | دار البحوث العلمية | |
| الإعراب الرواة | د/ عبد الحميد الشلقاني | دار المعارف - القاهرة | ١٩٧٧ |
| أقباط ومسلمون من الفتح العربي إلى عام ١٩٢٢م | دكتور جاك تاجر | دراسات التاريخ المصري القاهرة | ١٩٧١ |
| الله أو الدمار | سعد جمعة | ط. المختار الإسلامي | ١٩٧٦م |
| الإمامة والسياسة | الإمام أبو محمد عبد الله بن مسلم (ابن قتيبة) | مؤسسة الحلبي | بدون |
| انجيل برنابا | خليل سعادة | ط. محمد علي | بدون |
| الانتصار لواسطة عقد الأمصار | إبراهيم بن محمد بن بدر الشهير بابن دقماق | ط. الأولى ط. بولاق | ١٣٠٩هـ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| أهل الذمة في الإسلام | دكتور أس ترتون | دار المعارف | ١٩٧٧م |
| أهل الذمة في مصر العصور الوسطى | دكتور عبده قاسم | دار المعارف | ١٩٧٧م |
| أوراق البردي العربية | ترجمة الدكتور حسن إبراهيم حسن | دار الكتب ج١، ج٢، ج٣ | ١٩٣٥، ١٩٥٦، ١٩٦٢ |
| الإيمان ٤ أجزاء | الحافظ محمد بن إسحاق بن يحيى ابن منده تحقيق وتخريج الدكتور: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي | ط الأولى الجامعة الإسلامية (السعودية) | ١٤٠١هـ ١٩٨١م |
| بدائع الزهور في وقائع الدهور | محمد بن أحمد بن إياس الحنفي تحقيق محمد مصطفى | الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة | ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م |
| البداية والنهاية | أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي | ط. الثانية بيروت | ١٩٧٧م |
| بذل المجهود في حل أبي داود | المحدث الشيخ خليل أحمد السهارنفوري | دار الكتب العلمية. بيروت لبنان | بدون |
| البردي | دكتور مهندس: حسن رجب | دار المعارف مصر | ١٩٨١م |
| بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: ثلاثة أجزاء (ج٣) | السيد محمود شكري الألوسي | دار الكتب الحديثة. القاهرة | ١٣٤٢هـ |
| البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث | السيد الشريف إبراهيم بن كمال الدين تحقيق الدكتور حسين هاشم | ط دار التراث | ١٩٧٣م |
| البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب | أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي. نشر ومراجعة: إبراهيم رمزي نقلا عن النسخة الألمانية المطبوعة في مدينة جوتنجن ١٨٤٧م. | مطبعة المعارف الفجالة ومكتبة الأزهر تحت رقم ٦٠٧٧١.٥١٧٠ | ١٣٢٤هـ |
| بين الإسلام والمسيحية | كتاب أبي عبيدة الخزرجي تحقيق وتعليق دكتور محمد شامة. | ط دار الكتب الحديثة القاهرة | ١٩٦٢م |
| تاج العروس من جواهر القاموس | محمد مرتضى الزبيدي | منشورات دار مكتبة الحياة بيروت | بدون |

| | | | |
|---|---|---|---|
| التاريخ الكبير | أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري | القسم الثاني. الجزء الأول الطبعة الأولى جمعية دار المعارف العثمانية بعاصمة الدولة الأصفية حيدر آباد الدكن. | ١٣٦١هـ مكتبة الأزهر رقم ٥١٤٠ |
| تاريخ الرسل والملوك ١٠ أجزاء. | الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري | دار المعارف | ١٩٦٩م |
| تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. | العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي | ط. بيروت | ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م |
| تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية) جزءان في مجلد واحد | الشيخ محمد الخضري بك | المكتبة التجارية | ١٩٦٩م |
| تاريخ الخلفاء | الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. | دار النهضة مصر | ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م |
| تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ج١ | دكتور إبراهيم حسن | ط. التاسعة | ١٩٧٩م |
| تاريخ التشريع الإسلامي ومصادره | دكتور سلام محمد مدكور | م. النهضة | ١٩٥٩م |
| تاريخ الشرائع | دكتور مختار القاضي | المطبعة العلمية | القاهرة ١٩٦٧م |
| تاريخ العرب قبل الإسلام | الدكتور جواد علي | بدون | بدون |
| تاريخ اللغة العربية في مصر | دكتور أحمد مختار عمر | الهيئة العامة للتأليف والنشر | ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م |
| تاريخ الشعوب الإسلامية | كارل بروكلمان | دار العلم للملايين | ط. التاسعة ١٩٧٧م |
| تاريخ التمدن الإسلامي ٥ أجزاء | جورجي زيدان | ط. دار الهلال | بدون |
| تاريخ العرب (مطول) ج١ | دكتور فيليب حتى | دار الكشاف للنشر | ١٩٤٩م |

| تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم | آدم عبد الله الألوري | ط. الثانية القاهرة | ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م |
|---|---|---|---|
| تاريخ ابن عساكر ج٦ | الحافظ المؤرخ أبو القاسم علي بن الحسن... المعروف بابن عساكر | ط. دار المسيرة بيروت ط الثانية | ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م |
| تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي حتى الفتح العثماني | دكتور السيد عبد العزيز سالم | دار المعارف ط. الأولى | ١٩٦١م |
| تاريخ الأقباط ج١ | زكي شنوده المحامي | ط. الأولى | ١٩٦٢م |
| تاريخ مختصر الدول | غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون الملطي المعروف بابن العبري | ط. الكاثوليكية بيروت | ١٨٩٠ |
| التبشير والاستشراق أحقاد وحملات. | المستشار محمد عزت إسماعيل الطهطاوي | سلسلة مجمع البحوث الإسلامية | ١٩٧٧م |
| تجريد أسماء الصحابة ج١، ٢ | الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد.. الذهبي | دار المعرفة بيروت | بدون |
| تذكرة الحفاظ | الإمام أبو عبد الله شمس الدين الذهبي | دار احياء التراث العربي بيروت | بدون |
| تذكرة الدعاة | البهي الخولي | مكتبة الشباب القاهرة | ١٩٧٩م |
| الترغيب والترهيب ٤ أجزاء | الإمام حافظ زكي الدين عبد العظيم ابن عبد القوي المنذري | ط. وزارة الأوقاف | بدون |
| تطور الفكر والدين في مصر | جيمس هنري برستيد. ترجمة زكي موسى | دار الكرنك القاهرة | ١٩٦١م |
| تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة | الحافظ شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني تحقيق السيد/ عبد الله هاشم يماني المدني المدينة المنورة | بدون | ١٣٨٦هـ |
| التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام | محمد الغزالي | دار الكتب الحديثة | ١٣٨٤هـ ١٩٦٥م |

| | | | |
|---|---|---|---|
| التعليم المسيحي الأرثوذكسي | الأب غناطيوس فرزلي ط. جريدة أناتول الإسكندرية | مكتبة الأرثوذكسية رقم١ | ١٩٤٤م |
| تفسير القرآن العظيم (٤) أجزاء | للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي | ط. الحلبي | بدون |
| تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن (٨) أجزاء | أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي | ط. الشعب | بدون |
| تفسير القرآن الكريم، المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل | للقاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر محمد البيضاوي | مكتبة الجمهورية | بدون |
| تفسير المنار (١٢) جزء | السيد رشيد رضا | الهيئة العامة للكتاب القاهرة | ١٩٧٣م |
| تفسير في ظلال القرآن (٦) أجزاء | سيد قطب | ط. الثانية دار الشروق | ١٩٧٥م |
| تقريب التهذيب جزآن | الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني | المكتبة العلمية ط. الأولى المطبعة الأميرية بولاق | ١٣٠٠هـ |
| التقويم العربي قبل الإسلام وتاريخ ميلاد الرسول وهجرته ﷺ | محمود باشا الفلكي ترجمة السفير محمود صالح الفلكي | مجمع البحوث الإسلامية ط. الأزهر | ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م |
| التنبيه والاشراف | أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي مؤلف مروج الذهب | مكتبة خياط بيروت | ١٩٦٥م |
| تنوير الحوالك شرح علي موطأ مالك (٤) أجزاء | الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي | الجزء الأول والثاني | ١٣٥٣هـ |
| تهذيب التهذيب (٤) أجزاء | الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني | مجلس دائرة المعارف النظامية | الهند ١٣٢٧هـ |
| جامع البيان عن تأويل القرآن | الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري | ط. الأولى طبعة بولاق | ١٣٣٨هـ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| الجامع الصحيح (صحيح مسلم) (٤) أجزاء | الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيري | ط.الحلبي | بدون |
| الجانب العاطفي في الإسلام | محمد الغزالي | ط الثانية ط السعادة | ١٣٨٢هـ ١٩٦٢م |
| جمع الجوامع المعروف بالجامع الكبير نسخة مصورة بلجنة السنة بمجمع البحوث الإسلامية | الإمام جلال الدين السيوطي. نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية، ويقوم مجمع البحوث الإسلامية بإخراجه على حلقات | بدون | بدون |
| جمهرة الأمثال | أبو هلال العسكري تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. وعبد المجيد قطامش | ط.المؤسسة العربية القاهرة | |
| الجندية والسلم | أمين الخولي | ط الرسالة القاهرة | ١٣٨٠هـ ١٩٦٠م |
| الجهاد في الإسلام منهج وتطبيق | دكتور رؤوف شلبي | سلسلة مجمع البحوث الإسلامية | ط.الأزهر ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م |
| الجهاد في الإسلام | محمد شديد | مؤسسة المطبوعات الحديثة القاهرة | بدون |
| الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (عليه السلام) ج١، ٢ | شيخ الإسلام ابن تيمية | مطابع المجد التجارية | بدون |
| حاشية العلامة العدوي | على شرح أبي الحسن لرسالة أبي زيد في الفقه المالكي | ط الاستقامة القاهرة | ١٣٧٢هـ ١٩٥٢م |
| الحسبة ومسؤلية الحكومات الإسلامية | ابن تيمية تحقيق صلاح عزام | طبعة دار السلام القاهرة | ١٣٧٢هـ ١٩٥٢م |
| حسن المحاضرة ج١ | الإمام جلال الدين السيوطي تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم | دار احياء الكتب العربية ط. الحلبي ط الأولى | ١٣٧٨هـ ١٩٦٧م |

| | | | |
|---|---|---|---|
| حسن الأثر في التعريف برجال الأثر | أمين سرور | ط.الثالثة طبعة الشرق الإسلامية | القاهرة ١٣٥٧هـ،١٩٣٩م |
| حركة الفتح في القرن الأول الهجري | دكتور شكري فيصل | دار العلم بيروت | ١٦٩٦م |
| الحضارة المصرية والحضارة الشرقية في العصور القديمة | الدكتور حسن إبراهيم حسن | بدون | بدون |
| حضارة مصر في العصر القبطي | مراد كامل | ط.دار العالم العربي | بدون |
| حقائق الإسلام وأباطيل خصومه | عباس محمود العقاد | ط.دار الهلال | ١٣٨٤هـ ١٩٦٥م |
| حلية الأولياء وطبقات الأصفياء | الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الاصبهاني | | ١٣٩٤هـ |
| حياة محمد ﷺ | دكتور محمد حسين هيكل | دار المعارف مصر | ١٩٧٤م |
| حياة الصحابة (٣) أجزاء | محمد يوسف الكاندهلوي | مكتبة الدعوة القاهرة | ١٣٧٨هـ |
| خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز جزآن | دكتور أحمد الشرباصي | ط.الشعب | ١٩٥٩م |
| الخراج | لأبي يوسف صاحب أبي حنيفة تحقيق وتعليق دكتور محمد إبراهيم البنا | دار الاعتصام | ١٩٨١م |
| الخراج | يحيى آدم القرشي تصحيح وشرح أحمد شاكر | ط.السلفية ط.الثانية | ١٣٨٤هـ |
| الخطط التوفيقية جـ٨ | علي باشا مبارك | ط.الأولى،ط بولاقم.الأزهر (٤٥٩) | ١٣٠٥هـ |
| الخليفة الخامس | عبد المنعم عامر | ط.الأولى مطبعة الجهاد القاهرة | ١٣٧٨هـ ١٩٥٨م |
| دائرة معارف القرن الرابع عشر (العشرين) | محمد فريد وجدي | ط الثالثة دار المعارف بيروت | ١٩٧١م |
| داعي السماء بلال بن رباح مؤذن الرسول ﷺ | عباس محمود العقاد | دار سعد للطباعة والنشر | القاهرة ١٩٤٥م |

| دعاة..لا قضاة | حسن إسماعيل الهضيبي | ط.الأولى دار الطباعة والنشر الإسلامية القاهرة | ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م |
|---|---|---|---|
| الدعوة إلى الإسلام | سير توماس أرنولد | مكتبة النهضة القاهرة | ١٩٧٠ |
| الدعوة إلى الإسلام | محمد أبو زهرة | سلسلة مجمع البحوث الإسلامية | ١٩٧٣ |
| دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين | محمد الغزالي | ط.الثانية | ١٣٨٤ ١٩٦٤ |
| دفاع عن السنة ورد شبهات المستشرقين والكتاب المعاصرين | دكتورة محمد أبو شهبة | ط.الأزهر مجمع البحوث الإسلامية | ١٩٦٧ |
| الدين المقارن المسيحية جـ ١. ٢ | أحمد عبد المنعم عبد السلام الحلواني | ط.المعرفة القاهرة | ١٩٦٧ |
| الدين العالمي. ومنهج الدعوة إليه | عطية صقر | مجمع البحوث الإسلامية | ١٣٩٠ ١٩٧٠ |
| الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان | دكتور محمد عبد الله دراز | ط.السعادة مصر | ١٣٨٩ ١٩٦٩ |
| رجال الفكر والدعوة | أبو الحسن علي الحسيني الندوي | ط.السادسة دار القلم: الكويت | ١٤٠٢ ١٩٨٢ |
| الرد الجميل | الإمام أبو حامد الغزالي. تحقيق وتقديم عبد العزيز عبد الحق حلمي | مجمع البحوث الإسلامية | ١٣٩٤ ١٩٧٤ |
| رسالة التوحيد | الإمام محمد عبده | ط.صبيح | ١٣٨٥ ١٩٦٥ |
| الرق في الإسلام | أحمد شفيق بك. وترجمه إلى اللغة العربية أحمد زكي | ط.الأولى المطبعة الأهلية الأميرية ببولاق | ١٣٠٩ ١٨٩٢ |
| روح الدين الإسلامي | عفيف عبد الفتاح طبارة | دار العلم بيروت | ١٩٧٩ |
| روح الإسلام | السيد أمير علي. ترجمة أمين محمود الشريف (جزآن) | ط.النموزجية القاهرة المجلس | ١٩٦١ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| | | الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية | |
| رياض الصالحين | الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي تحقيق وتخريج: عبد العزيز رباح. وحمد يوسف الدقاق. مراجعة الشيخ شعيب الأرنؤوط | دار المأمون للتراث دمشق ط. الثالثة | ١٤٠٠ ١٩٨٠ |
| زعماء الإصلاح في العصر الحديث | أحمد أمين | ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة | ١٣٦٨ ١٩٤٩ |
| سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد جـ ٣ | الإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي الجزء الثالث تحقيق عبد العزيز عبد الحق حلمي | المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية | ١٣٩٥هـ ١٩٧٠م |
| السبيل إلى دعوة الحق | دكتور محمد البهي | مجمع البحوث الإسلامية | ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م |
| السرايا الحربية في العهد النبوي | دكتور محمد السيد طنطاوي | ط. الأزهر مجمع البحوث الإسلامية | ١٣٩١هـ ١٩٧١م |
| السفارات الإسلامية إلى أوربا في العصور الوسطى | دكتور إبراهيم أحمد العدوي | دار المعارف | ١٩٥٧م |
| سلاحك أيها المسيحي | الأب نعمة الله العنداري | ط. المرسلين | ١٩٢٩م |
| السنة النبوية ومكانتها في التشريع | دكتور مصطفى السباعي | (لبنان) | ١٣٧٩هـ.١٩٦٠م |
| سنن الترمذي | أبو عيسى محمد بن عيسى تحقيق وشرح أحمد شاكر | ط. الحلبي ط. الأولى | ١٣٥٦ ١٩٣٧ |
| سيرة النبي ﷺ | أبو محمد عبد الملك بن هشام تعليق محمد محي الدين عبد الحميد | ط. التحرير القاهرة | ١٣٨٣هـ |
| سيرة القاهرة | ستانلي لينبول ترجمة: دكتور حسن إبراهيم وآخرين. | ط. الرابعة | ١٩٢٤م |

| سيرة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه | للحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي تصحيح محب الدين الخطيب | ط. المؤيد مصر | ١٣٣١هـ |
| --- | --- | --- | --- |
| سيرة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه | لأبي محمد عبد الله بن عبد الحكم | ط. الأولى المطبعة الرحمانية مصر | ١٣٤٦هـ ١٩٧٧م |
| شبهات حول الإسلام | محمد قطب | دار الشروق ط. السادسة | بدون |
| شخصية مصر | دكتورة نعمات أحمد فؤاد | الهيئة المصرية العامة للكتاب | ١٩٧٨م |
| شذرات الذهب في أخبار من ذهب | للمؤرخ الفقيه الأديب: أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الدينلي | دار السيرة بيروت ط. الثانية | ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م |
| شرح العقيدة الطحاوية | التحقيق جماعة من العلماء تخريج الأحاديث لمحمد ناصر الأباني | المكتب الإسلامي ط. الخامسة | ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م |
| شرح التعليم المسيحي | عيد سيدة الكرمل | بدون | ١٩٣٩م |
| الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام | المستشار علي علي منصور | المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية | ١٩٥٦م |
| صبح الأعشى في صناعة الإنشا | الشيخ أبو العباس أحمد القلقشندي | مكتبة الأزهر خاص ٣٥٩٨ ٣٦٧٧١ | ١٣٤٠هـ ١٩٢٢م |
| صحيح البخاري | الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردازيه البخاري الجعفي | حاشية السندي | ١٣٥٢هـ |
| الصديق أبو بكر | الدكتور محمد حسين هيكل | الطبعة السادسة دار المعارف. مصر | ١٩٧١م ١٩٣٩م |
| صلة الإسلام بإصلاح المسيحية | أمين الخولي | مطبعة الأزهر | ١٩٨٤م |
| الصيام من البداية حتى الإسلام | دكتور علي الخطيب | مكتبة الكليات الأزهرية. مصر | ١٩٦٤م ١٤٠٠ |
| ضحى الإسلام | دكتور أحمد أمين | النهضة المصرية دار التحرير القاهرة | ١٩٦٤ ١٣٨٨هـ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| الطبقات الكبرى | محمد بن سعد (كاتب الواقدي) | | |
| الطوطمية أشهر الديانات البدائية | دكتور / علي عبد الواحد وافي | دار المعارف | ١٩٥٩ |
| عجائب مصر (مخطوط) | العلامة الجركسي | م الأزهر | ٥٣٥٨٤ |
| عروبة مصر | محمد عزة دروزة | العصرية لبنان | ١٣٨٣ |
| | | ط. الثانية | ١٩٦٣ |
| العقد الفريد | أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي | لجنة التأليف والترجمة والنشر | ١٣٨٤هـ |
| العقد الثمين في محاس أخبار وبدائع آثار الأقدمين من المصريين | أحمد أفندي كمال | الطبعة الأولى ط. الأميرية | ١٣٠٠هـ |
| العقيدة والشريعة في الإسلام | المستشرق المجري أجناس جولد تسيهر ونقله إلى العربية وعلق عليه دكتور: محمد يوسف موسى. ودكتور علي حسن عبد القادر والأستاذ عبد العزيز عبد الحق | ط. دار الكتاب القاهرة | ١٣٧٨هـ |
| العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق | دكتور محمد البهي | مجمع البحوث الإسلامية ط. الأزهر | ١٩٧٦م |
| عمرو بن العاص | عباس محمود العقاد | دار الهلال | بدون |
| العهد القديم والجديد | | دار الكتاب المقدس | |
| العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ | القاضي أبو بكر بن العربي تحقيق وتعليق محب الدين الخطيب | القاهرة ط. الخامسة المطبعة السلفية | ١٩٧٠ ١٣٩٩هـ |
| عيون الأخبار (٤) أجزاء | أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري | الهيئة المصرية العامة للكتاب | ١٩٧٣م |
| الغزو الفكري | محمد جلال كشك | المختار الإسلامي | |
| الفاروق عمر | دكتور محمد حسين هيكل | ط. السادسة دار المعارف | ١٩٧٥ ١٩٧٧ |
| فتح المبدي بشرح مختصر الزبيدي | شيخ الإسلام عبد الله الشرقاوي. وبهامشه | ط. صبيح | |

| | | | |
|---|---|---|---|
| | التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح للحسين بن المبارك الزبيدي | | بدون |
| فتح العرب لمصر | دكتور الفرد ج بتلر | ط.الثانية | ١٣٦٥هـ ١٩٤٦م |
| فتوح البلدان | الإمام أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي الشهير بالبلاذري | ط.الأولى مكتبة الأزهر تحت رقم ٤٤٨٣ | ١٣١٩هـ ١٩٠١م |
| فتوح مصر والمغرب | أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الحكم | مكتبة المثنى بغداد طبعة ليون | ١٩٢٠ |
| | أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الحكم تحقيق عبد المنعم عامر (القسم التاريخي) | لجنة البيان العربي | القاهرة ١٩٦١ |
| فجر الإسلام | أحمد أمين | النهضة المصرية | ١٩٦١ |
| فجر الدولة الإسلامية | دكتور علي حسني الخربوطلي | المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية | ١٣٨٨ ١٩٦٩ |
| الفسطاط وضاحيتاها: العسكر والقطائع | دكتور عبد الرحمن زكي | دار القلم | ١٩٦٦ |
| الفصل في الملل والأهواء والنحل | أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري | ط.الثانية دار المعرفة بيروت | ١٣٩٥ ١٩٧٥ |
| الفصول في اختصار سيرة الرسول ﷺ | الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير تحقيق وتعليق محمد العبد الخطراوي ومحي الدين منتو | ط.الأولى | ١٣٩٩ ١٤٠٠ |
| فقه السيرة | محمد الغزالي | ط.الخامسة دار الكتب الحديثة القاهرة | ١٩٦٥ ١٣٨٤هـ |
| الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي | دكتور محمد البهي | ط.الرابعة | ١٩٦٤ ١٣٩٦هـ |
| الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، جزآن يشتملان على أربعة أقسام | محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي، تخريج وتعليق: عبد العزيز ابن عبد الفتاح القاري | المكتبة العلمية المدينة المنورة ط.الأولى | ١٩٣٧م ١٣٩٦هـ |
| في مصر الإسلامية | دكتور زكي محمد حسن وآخرين | ط.المقتطف | ١٩٧٦م |

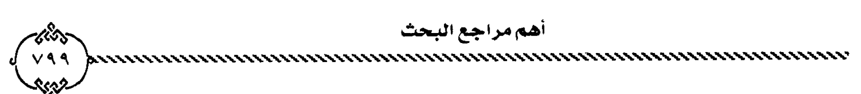
| في فقه اللغة | دكتور عبد الله ربيع، ودكتور عبد العزيز علام | ط. الأولى المكتبة التوفيقية | ١٣٩١هـ ١٩٧١م |
| --- | --- | --- | --- |
| فيض القدير شرح الجامع الصغير | محمد عبد الرؤوف المناوي جـ ٢،١ على كتاب الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير / للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، وبهامشه تعليقات نخبة من العلماء | ط. الثانية دار النهضة الحديثة بيروت | |
| قذائف الحق | محمد الغزالي | بيروت. صيدا | بدون |
| القرآن وعلومه في مصر | دكتور عبد الله خورشيد البري | دار المعارف مصر | ١٩٦٩م |
| القرآن وعلم النفس | دكتور محمد عثمان نجاتي | دار الشروق | ١٩٨٢م |
| قصة الحضارة | ول ديورانت. ترجمة محمد بدران | لجنة التأليف والترجمة والنشر | ١٩٧٣م |
| قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام | دكتور توفيق الطويل | ط. الثانية دار الفكر العربي | ١٣٦٦هـ ١٩٤٧م |
| قصص الأنبياء | عبد الوهاب النجار | ط. الثالثة مطبعة مصر | ١٣٧٢هـ ١٩٥٣هـ |
| القضاء في الإسلام | إبراهيم نجيب محمد عوض | مجمع البحوث الإسلامية ط. الأميرية | ١٣٩٥هـ |
| قوص في التاريخ الإسلامي | محمد عبده الحجاجي | الهيئة المصرية العامة للكتاب | ١٩٨٢م |
| الكامل في التاريخ | لابن الأثير: عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم. الشيباني. | دار صيدا للطباعة والنشر. بيروت | ١٣٨٥هـ |
| كتاب المصاحف | الحافظ أبو بكر عبد الله السجستاني | ط. أولى | ١٣٥٥هـ،١٩٣٦ |
| كتاب الولاة والقضاة | أبو محمد بن يوسف الكندي المصري | ط. بيروت | ١٩٠٨م |
| الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل وهو تفسير القرآن الكريم. | الإمام محمود بن عمر الزمخشري | ط. الأولى مطبعة مصطفى محمد. مصر | ١٣٥٤ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| كلمة الله الأخيرة | عبد العظيم منصور | مطابع الأهرام | ١٩٧٣ |
| كنز العمال في سنن الأقوال | العلامة علاء الدين علي المتقي بن | دائرة المعارف | ١٣١٥هـ |
| والأفعال | حسام الدين الهندي | الهند النظامية | |
| لباب النقول في أسباب النزول | جلال الدين السيوطي | دار إحياء العلوم | ١٩٧٨ |
| | | بيروت ط. الأولى | ١٣٨٢ |
| | | وطبعة كتاب | |
| | | التحرير | |
| لسان العرب | ابن منظور: جمال الدين محمد بن | الدار المصرية | |
| | مكرَّم الأنصاري. ط. مصورة عن | للتأليف والترجمة | بدون |
| | طبعة بولاق | دار الأنصار | |
| ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ | أبو الحسن الندوي | القاهرة | ١٣٩٣هـ |
| مالية مصر من عهد الفراعنة إلى | للأمير عمر طوسون | ط. العاشرة | ١٩٧٧م |
| الآن | | مطبعة | |
| | | صلاح الدين | ١٣٥٠هـ |
| ما يقال عن الإسلام | عباس محمود العقاد | بالأسكندرية | ١٩٣١م |
| مؤرخو مصر الإسلامية | محمد عبد الله عناني | الهلال، القاهرة | ١٣٨٦هـ |
| | | طبعة لجنة | ١٩٦٩م |
| المبتكر: الجامع لكتابي المختصر | عبد الوهاب عبد اللطيف | التأليف والترجمة | |
| والمعتصر في علوم الأثر | | دار الكتب | ١٣٨٦هـ |
| المبشرون والمستشرقون | الدكتور محمد البهي | الحديثة | ١٩٦٦م |
| المجتمعات الإسلامية في القرن | الدكتور شكري فيصل | ط. الأزهر | بدون |
| الأول الهجري جـ١ | | دار العلم بيروت | ١٩٦٩م |
| المجمع المسكوني «فاتيكان الثاني» | الأنبا إسحاق غطاس مطران طيبة | | |
| | الأقصر | مطبعة أطلس | ١٩٦٢م، ١٩٦٥م |
| المجموع شرح مهذب الشيرازي (٢٠) | الإمام أبو زكريا محيي الدين بن شرف | | |
| جزء | النووي تحقيق وتعليق وتكملة: | ط. الأولى | ١٩٧١م |
| | محمد نجيب المطيعي | | |
| مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد | جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد | | |
| ابن تيمية | ابن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي | ط. الثانية | مكتبة ابن تيمية |

| | | | |
|---|---|---|---|
| | | | احياء التراث الإسلامي القاهرة |
| محموع الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة | الدكتور محمد حميد الله | دار الارشاد ط.الثالثة | بدون ١٤٠٠هـ |
| محاضرات في فقه اللغات السامية | الدكتور حامد عبد القادر والدكتور د/ علي عبد الواحد وافي | ط.الثالثة | ١٣٨٩هـ.١٩٦٩م |
| محاضرات في النصرانية | الشيخ/ محمد أبو زهرة | ط.الخامسة دار الفكر العربي | ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م |
| | | ط.الثالثة | ١٩٦٩م |
| مختار الصحاح | محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ترتيب محمود خاطر بك | المطبعة الاميرية القاهرة | ١٣٤٣هـ ١٩٢٥م |
| المختار في تفسير التوراة | الحاخام سلمون | مطبعة الأرابيد (السرعة) | بدون |
| مختصر تاريخ الدول | ابن العبري | | |
| المدخل المسمى بمدخل الشرع الشريف علي | العلامة أبو عبد الله محمد بن العبدي الشهير بابن الحاج | دار الفكر | ١٤٠١هـ.١٩٨١م |
| مدرسة الحديث في مصر منذ سقوط بغداد إلى نهاية القرن العاشر الهجري | الدكتور محمد رشاد | رسالة دكتوراه إلى كلية أصول الدين | ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م |
| المدونة الكبرى في فقه المالكية ج٣ | الإمام مالك بن أنس الأصبحي رضي الله عنه | ط.السعادة مصر | ١٣٢٣هـ |
| مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ج١ | دكتورة سعاد ماهر محمد | المجلس الأعلى للشئون الإسلامية | ١٩٦١م |
| مستقبل الإسلام خارج أرضه كيف نفكر فيه؟ | محمد الغزالي | ط.الأولى مؤسسة الشرق..للنشر والترجمة.عمان الأردن | ١٩٨٤م |
| المسند | الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه | شرح أحمد محمد شاكر | دار المعارف ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م |
| مصر في القرآن والسنة | الدكتور أحمد عبد الله يوسف | دار المعارف | ١٩٧٣م |

| | | | |
|---|---|---|---|
| مصر في عصر الولاة من الفتح العربي حتى قيام الدولة الطولونية | سيدة إسماعيل كاشف | مكتبة النهضة المصرية.ط.دار القلم | بدون |
| مصر في فجر الإسلام | دكتوره سيدة إسماعيل كاشف | دار الفكر العربي | ١٩٤٧م |
| مصر العربية منذ الفتح العربي إلى الفتح الإسلامي | دكتور علي حسني الخربوطلي | مطبعة لجنة البيان | ١٩٦٣م |
| مصر والشام في الغابر والحاضر | دكتور أسعد طلس | دار المعارف | ١٩٤٥م |
| مصر عربية | محمد فاوي عسر | المجلس الأعلى للشئون الإسلامية | بدون |
| مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية | محمد عبد الله عنان | ط.الأولى ط.دار الكتب المصرية القاهرة | ١٣٥٠هـ ١٩٣١م |
| مصر في الإسلام القرن الأول | د.عبد الصبور شاهين إصلاح عبد السلام الرفاعي | الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة | ٢٠٠١م |
| المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية | ابن حجر،شهاب الدين أحمد بن علي محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي | دار الكتب العلمية بيروت | ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م |
| المعارف | ابن قتيبة الدينوري | دار احياء التراث العربي | ١٩٧٠م ١٩٧٨م |
| المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم | محمد فؤاد عبد الباقي | ط.الشعب | ١٣٧٨هـ |
| معجم البلدان | ياقوت الحموي:الإمام شهاب الدين أبو عبد الله..ياقوت الحموي الرومي البغدادي. | ط.دار صادر | بدون |
| المعجم المفهرس | مجمع اللغة العربية | القاهرة | بدون |
| المعجم الوسيط | مجمع اللغة العربية | القاهرة.ط.الثانية دار المعارف | ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م |
| معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي | المستشرق زامباور، أخرجه الدكتور محمد حسين بك عميد كلية الآداب | ط.فؤاد الأول | ١٩٥١م |

| | | | |
|---|---|---|---|
| | بجامعة فؤاد الأول وحسن أحمد محمود وآخرين | | |
| مع الله دراسات في الدعوة والدعاة | محمد الغزالي | مطبعة مخيمر ط. الثالثة القاهرة | ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م |
| مع المصطفى ﷺ في عصر المبعث | دكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) | ط.الثالثة دار المعارف | ١٩٧١م |
| مع المسيح (عليه السلام) في الأناجيل الأربعة | فتحي عثمان | الدار القومية للطباعة | بدون |
| ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه | دكتور عماد الدين خليل | ط.الثانية الدار العلمية بيروت | ١٣٩١هـ ١٩٧١م |
| الملل والنحل | أبو الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني | ط.الثانية الدار العلمية بيروت | ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م |
| الموارد المالية في الإسلام | دكتور ابراهيم فؤاد أحمد علي | مطابع سجل العرب | ١٩٧٠م |
| المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية | تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي | ط. صادر بيروت | بدون |
| موسى بن نصير مؤسس المغرب العربي | دكتور ابراهيم أحمد العدوي | دار الكتاب المصري ط.الثالثة | ١٩٦٧م |
| نشأة الدولة الإسلامية على عهد رسول الله ﷺ دراسة في وثائق العهد النبوي | دكتور عون الشريف قاسم | مؤسسة الزهراء للإيمان والخير | ١٤٠١هـ ١٩٨١م |
| نظام التجريم والعقاب في الإسلام | المستشار علي علي منصور | ط.الأولى دار النهضة العربية | ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م |
| نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين | ثروت أنيس الأسيوطي | نسخة مصورة عن طبيعة دار الكتب | ١٩٦٨م |
| نهاية الأرب في فنون الأدب | شهاب الدين بن عبد الوهاب النويري | المؤسسة المصرية..للتأليف والترجمة والنشر ط.التاسعة دار الاعتصام القاهرة | بدون |



| | | | |
|---|---|---|---|
| هداية المرشدين إلى طريق الوعظ والخطابة | الشيخ علي محفوظ | ط.الأولى بيروت | ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م |
| الوحدة العربية | محمد عزة دروزة | ط.دار صادر بيروت | ١٣٧٦هـ.١٩٥٧م |
| يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء | دكتور: رؤوف شلبي | دار الاعتصام ط.الثانية | ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م |



**أصحاب الكنى**

**الباب الثالث**

**توزيع دار التقــوى**
**٥ شارع ١٥ مايو - منشية الحرية**
**شبـرا الخيمة**

**ت / ٤٧١٥٥٠٦ - ٤٧٣١٨٢٤ - ٢٢٣١١٠٣**